جامعة مؤتة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
وتستمر المسيرة
صندوق دعم البحث العلمي
Scientific Research Support Fund

عدد خاص

المجلة الأردنية في

اللغة العربية وآدابها

مجلة علمية عالمية متخصصة ومحكمة
تصدر بدعم من صندوق دعم البحث العلمي
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المجلد (١٧) عدد خاص ٢٠٢١ م

ISSN 2520 - 7180

الرقم المتسلسل
٦٤

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة مؤتة

المجلة الأردنية في

اللغة العربية وآدابها

مجلة علمية عالمية متخصصة ومحكمة
تصدر بدعم من صندوق دعم البحث العلمي
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المجلد (١٧) عدد خاص ٢٠٢١ م

الناشر
عمادة البحث العلمي
جامعة مؤتة
الكرك / ٦١٧١٠ الأردن
فاكس: ٠٠٩٦٢ ٣ ٢٣٩٧١٧٠
البريد الالكتروني : jjarabic@mutah.edujo

المملكة الأردنية الهاشميـــة
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٣٦٣٥ / ٢٠٠٧ / د)

رقم التصنيف الدولي
ISSN 2520-7180
Key title: Jordanian journal of Arabic language and literature Abbreviated key title: Jordan. J. Arab. lang. lit.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنَّفِهِ
ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي
جهة حكومية أخرى

© ٢٠٢١ عمادة البحث العلمي
جميع الحقوق محفوظة، فلا يسمح بإعادة طباعة هذه المادة أو النقل منها أو تخزينها، سواء كان ذلك عن طريق النسخ أو التصوير أو التسجيل أو غيره، وبأية وسيلة كانت: إلكترونية، أو ميكانيكية، إلا بإذن خطي من الناشر نفسه.

جامعة مؤتة

المجلد (١٧) عدد خاص ٢٠٢١م

رئيس التحرير
أ.د أنور أبو سويلم
سكرتير التحرير
د. خالد أحمد الصرايرة

هيئة التحرير

أ.د محمد محمود الدروبـــــي	أ.د. جـــزاء محمد المصـــاروة
أ.د. إبراهيم محمد الكوفحـــي	أ.د. عبدالحليم حســـين الهروط
أ.د عمر عبدالله أحمد الفجّـاوي	أ.د. حسين عباس محمود الرفايعة
أ.د. فايز عارف سليمان القرعان	أ.د. سيف الدين طـــــه الفقراء

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د محمد صالح ربيع الغامدي	أ.د مولاي يوسف الإدريسي	أ.د سمير شريف استيتية
أ.د عبدالعزيز صافي الجيل	أ.د عبدالرحمن رجاء الله السلمي	أ.د محمود البطل
أ.د مراد عبدالرحمن مبروك	أ.د أحمد علي حساني	أ.د إبراهيم عبدالرحيم السعافين
أ.د أحمد مصطفى عفيفي	أ.د علي أحمد الكبيسي	أ.د صلاح محمد جرار
أ.د محمد نجيب العمامي	أ.د نسيمة راشد الناصر الغيث	أ.د أمل طاهر نصير
أ.د خليفة السعيد بوجادي	أ.د سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن	أ.د عبد الفتاح أحمد الحموز
أ.د محمد وجيه صبحي فانوس	أ.د الحواس الحاج مسعودي	أ.د سمير محمود الدروبي
أ.د مسعود محمد صحراوي	أ.د سوزانا بنكني ستيتكيفيش	أ.د محمد أحمد المجالي
أ.د عمر حمدان الكبيسي	أ.د ديلوورث ب.بارکنسون	أ.د محمد إبراهيم حور
أ.د عبدالله صالح بابعير	أ.د خليل محمد الشيخ خليل	أ.د عبدالقادر أحمد الرباعي

التدقيق اللغويّ
أ.د فايز عيسى محاسنة (عربـــي)
د. عبير عصر الرواشدة (إنجليزي)

تحرير
د. محمود نايف قزق

التنضيد والإخراج الضوئيّ
عروبة الصرايرة

©حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها

مجلة علمية عالمية محكمة

أ- شروط النشر:

- لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثاً بالإنجليزية أو أية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة باللغة العربية وآدابها.
- يشترط فيما يقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور ولم يسبق تقديمه لمجلة أو أية جهة ناشرة أو أكاديمية (وألاّ يكون جزءاً من رسالة علمية). ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- يصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل منه إلاّ بالإشارة إلى المجلة.
- يجوز للباحث إعادة نشر بحثه بعد مضي سنتين على نشره في كتاب بعد موافقة هيئة التحرير الخطيةعلى أن يشار إلى المجلة حسب الأصول.
- يتولّى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب تقدير هيئة التحرير.
- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقها في عدم قبول أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية.
- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم في حال سحبه للبحث أو رغبته في عدم متابعة إجراءات التقويم.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المُحَكِّمُون خلال شهرٍ من تاريخ تسلُّمه قرار التعديلات.
- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة أو سياسية اللجنة العليا أو وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في المملكة الأردنية الهاشمية.

ب- تعليمات النشر:

١- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي، ومستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الأصالة، والإحاطة، والاستقصاء، والإضافة المعرفية، والمنهجية، والتوثيق، وسلامة اللغة، ودقة التعبير، واستيفاء المصادر والمراجع وحداثتها.

٢- أن يكون البحث المقدّم للمجلة مطبوعًا بوساطة برنامج(WORD)، بمسافات (سطر ونصف بين الأسطر) وهوامش (٢.٥سم) ،وأن لا يزيد عدد الكلمات على (٨٠٠٠) كلمة، ويستثنى من هذا العدد المصادر والمراجع، ونوع الخط لبحوث اللغة العربيّة هو (Simplified Arabic) بنط (١٤) في المتن وبنط(١٦) في العناوين، وبنط (١٢) في الهوامش، ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزيّة (Times New Roman)، بنط (١٤)، والهوامش بنط(١٢).

٣- يقدّم البحث إلى هيئة المجلة الكترونياً على موقع المجلة الالكتروني حسب الأصول.

٤- يدخل الباحث بياناته الشخصية المقررة على موقع المجلة، وتشمل اسم الباحث/ الباحثين،الرتبة الأكاديمية، والمؤسسة التي يعمل فيها، وعنوان البحث، وبيانات الاتصال.

٥- أن يكتب الباحث/ الباحثون ملخصاً للبحث باللغة العربيّة وآخر باللغة الإنجليزية بما لا يزيد على (٢٠٠) كلمة لكلّ منهما، ويتمّ إدخالهما في المكان المخصص لذلك على الموقع حسب الأصول.

٦- أن يكتب الباحث/ الباحثون الكلمات الدالة (keywords) من ٣-٦ كلمات باللغتين العربية والإنجليزية، ويتمّ إدخالها في المكان المخصص لذلك على الموقع حسب الأصول.

ب- النواحي الفنيّة والشّكل:

١- يراعي الباحث/ الباحثون العناصر الآتية عند كتابة البحث: المقدّمة، (وتشمل مشكلة الدراسة،والأهداف، والدّراسات السّابقة، والمنهج، وأهمية الدراسة) والمناقشة والتحليل،والنّتائج والتّوصيات. وقائمة المصادر والمراجع.

٣- يكون التوثيق بطريقة MLA وهي (Modern Language Association) ويكون متسلسلا، توضع أرقام الهوامش بين قوسين إلى الأعلى هكذا : (١)، (٢)، (٣)، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كلّ صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (٧) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (١). ويكون ذكرها للمرة الأولى على النحو الآتي:

أ- الكتب المطبوعة

اسم شهرة المؤلف، يتلوه اسمه الأول والثاني، ويذكر تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري أو الميلادي، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط المائل. واسم المحقق أو المترجم: والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الجزء إن تعددت الأجزاء- والصفحة، مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ/٧٧١م). *الحيوان*. تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥، ج٣، ص٤٠.

ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو التالي: الجاحظ، *الحيوان*، ج، ص.

٢- الكتب المخطوطة

اسم شهرة الكاتب يتلوه اسمه الأول والثاني، مع ذكر تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري أو الميلادي، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط المائل. واسم المكتبة التي تحفظ المخطوط، ورقم المخطوط، ورقم الورقة.

مثال: الكناني، شافع بن علي (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م). *الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور*. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (٤٢٤)، ورقة ٥٠.

٣- البحوث المنشورة في الدوريات

اللقب، اسم المؤلف، "عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص"، واسم الدورية مكتوباً بالبنط المائل، ورقم المجلد، والعدد، والسنة، وأرقام الصفحات.

مثال: جرار، صلاح. "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي". *مؤتة للبحوث والدراسات*، المجلد العاشر، العدد الثاني، لسنة ١٩٩٥م، ص١٧٩-٢١٦.

٤- البحوث المنشورة ضمن كتب:

اللقب، اسم المؤلف. "عنوان المقالة موضوعة بين علامتي تنصيص" ". واسم الكتاب كاملاً بالبنط المائل، واسم المحرر أو المحررين، ورقم الطبعة، الناشر، مكان النشر، سنة النشر، ورقم الصفحة.

مثال : الحياري، مصطفى."توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"*في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عباس*، تحرير: إبراهيم السعافين، ط١، دار صادر، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤١٧.

٤- البحوث المنشورة في وقائع المؤتمرات:

اللقب، اسم المؤلف. "عنوان المقالة موضوعة بين علامتي تنصيص". واسم المؤتمر بالبنط المائل، مكان المؤتمر، السنة، والتاريخ.

٥- تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بينقوسين).

٦- توضع الآيات القرآنية بالرسم القرآني بين قوسين مزهرين مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية مثال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء:٢٣) وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين هلاليين مزدوجين (( )) بعد تخريجها من مصادرها.

٧- يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصدر أو المرجع عربياً، والحرف (p) للصفحة الواحدة، و (pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.

٨- عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر، والبحر.

٩- تدرج المصادر والمراجع في نهاية البحث متسلسلة على حسب المؤلف ومرتبة على وفق الحروف الهجائية، ووفق نظام (MLA) . ولا يعتد بلفظ(أبو وابن وأم ولا ب(أل التعريف) مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ/٧٧١م) . الحيوان. تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥.

١٠- تترجم قائمة المصادر والمراجع إلى اللغة الإنجليزية، ويعاد ترتيبها وفق الأبجدية الإنجليزية، فإذا كان للمراجع العربيّة ترجمة إنجليزيّة معتمدة، فيجبُ اعتماد ذلك، أمّا المراجع التي ليس لها ترجمة إنجليزيّة معتمدة مثل: حديث فيتمّ عمل Transliteration فيكتب المرجع بالأحرف اللاتينية كتابةً حرفيّةً ((Hadith): (الرومنة) مع إعادةُ ترتيب المراجع كافّة – التي يُفترضُ أنّها قد أصبحت باللّغة الإنجليزيّة – حسب ترتيب الأحرف الإنجليزيّ:

الرومنة	الحرف العربي	الرومنة	الحرف العربي	الرومنة	الحرف العربي	الرومنة	الحرف العربي
a	الفتحة	ṯ	ث	z	ز	ḡ	غ
I	الكسرة	j	ج	S	س	f	ف
u	الضمة	ḥ	ح	š	ش	Q	ق
>	ء	ẖ	خ	ṣ	ص	k	ك
ã	ا	d	د	ḍ	ض	L	ل
b	ب	ḏ	ذ	Ẓ	ظ	m	م
t	ت	r	ر	<	ع	n	ن
h	ه	w	و حرف صحيح	û	و/ حرف مد	y	ي حرف صحيح
ĭ	ي حرف مد	ḍ	ض	ṭ	ط		

رئيس تحرير المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها

عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية

ص.ب (١٩) مؤتة- (٦١٧١٠) الأردن

هاتف ٩٩- ٢٣٧٢٣٨٠ (٣-٩٦٢)

فاكس: ٢٣٩٧١٧٠ (٣-٩٦٢)

E-mail: jjarabic@mutah.edu.jo

تقديم

رئيس هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم

تشرُف المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها أن تقدم للباحثين عدداً خاصاً بمئوية الدولة الأردنية (١٩٢١م – ٢٠٢١م) مائة عام من الإبداع والبناء والتحديث في ظلال وارفة من رعاية ملوك بني هاشم الذين قادوا المسيرة، وأخرجوا البلاد من المحن والمؤامرات، والتف حولهم أحرار الأمة العربية، وقدموا الشهداء تلو الشهداء تحت راية الثورة العربية الكبرى، ذات الرسالة الخالدة في وحدة الأمة العربية. ومواكبة التطور والتقدم والعمران، وبناء أجيال مؤمنة برسالتها وقيمها وحضارتها ولغتها، ونبغ في ظلال الهاشميين مئات من العلماء والفقهاء والمشرّعين والتربويين والمؤرخين والكتّاب والأدباء والشعراء، وكانت مجالس الهاشميين تحتفي بهؤلاء، وتسمع لهم، وتحاورهم وترعاهم ... فقد كان الملك المؤسس عبدالله الأول طيب الله ثراه أديباً بليغاً، وشاعراً بارعاً.

وجامعة مؤتة إذ تحتفي بإنجازات الوطن في مائة عام، وهي واحدة من منجزات التعليم العالي الأردني قدمت للوطن في مسيرتها المباركة آلافاً من أبناء الوطن المسلحين بالعلم والمعرفة بجناحيها العسكري والمدني، ورعت المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها لتخدم لغة القرآن وعلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، ونثرها وشعرها. ومن دواعي فخرنا أن ننشُرَ في هذا العدد الخاص ثماني دراساتٍ علمية لنخبة من الباحثين تكشف عن النهضة العلمية المباركة في مئوية الدولة الأردنية المظفرة التي يرعاها ويقود مسيرتها إلى المستقبل جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين حفظه الله ورعاه.

المجلة الأردنية في اللغة العربية آدابها

مجلة دورية محكمة تصدر عن اللجنة العليا للبحث العلمي – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي– وعمادة البحث العلمي في جامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية

ثمن العدد: (٣) دنانير

قسيمة الاشتراك

تصدر المجلة أربعة أعداد في السنة، ويدفع قيمة الاشتراك بالدينار الأردني أو ما يعادله بشيك أو بحوالة بنكية ترسل إلى:

رئيس تحرير المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها
عمادة البحث العلمي/ جامعة مؤتة
الكرك– الأردن

قيمة الاشتراك السنوي:

– للافراد:

- داخل الأردن: (١٠) دنانير
- خارج الأردن: (٣٠) دولاراً

– للمؤسسات:

- داخل الاردن: (٢٠) ديناراً
- خارج الأردن: (٤٠) دولاراً

– للطلبة: (٥) دنانير سنوياً

اسم المشترك وعنوانه:

الاسم	
العنوان	
المهنة	

طريقة الدفع: ☐ شيك ☐ حوالة بنكية ☐ حوالة بريدية

التوقيع : **التاريخ :** / / ٢٠

محتويات العدد

المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (١٧)

عدد خاص

بمناسبة المئوية الأولى للدولة الأردنية، ٢٠٢١م

	اسم البحث	الصفحات
*	بَواكِيْرُ الأَصْواتِ الثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١-١٩٤٦م) **أ.د مُحَمَّد مَحْمُود الدُّرُوبِيّ**	١٣-٨٨
	البحث اللسانيّ الصّوتيّ في الأردن خلال المئويّة الأولى **أ.د سيف الدين الفقراء**	٨٩-١٢٤
*	حسن البرقاوي (أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة في الأردن): مسيرته العلمية ومصادره المعرفية **أ.د سمير محمود الدروبي**	١٢٥-١٩٨
*	حسن البرقاوي (أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة في الأردن): أثر مشاهداته في بناء ثقافته وتشكيل وعيه الوطني **أ.د سمير محمود الدروبي**	١٩٩-٢٦٤
*	تداوليّة الخطاب السّياسيّ الدينيّ في رسالة عمّان **د. باسم يونس البديرات**	٢٦٥-٢٩٨
*	الألفاظُ والتّراكيبُ العاميّةُ الدّارجةُ والمُحدَثَةُ في شِعر عَرّار **أ.د يس محمد أبو الهيجاء**	٢٩٩-٣٢٦
*	لغة المكاتبات الإداريّة في إمارة شرق الأردن: البدايات نموذجًا **أ.د. محمد سليمان السعودي**	٣٢٧-٣٦٠
*	ناصر الدّين الأسد عَلَامَة أدبيّة في مسيرة الدّولة الأردنيّة: قراءة في نماذج من رسائله المخطوطة إلى ولده بشر **أ.د عمر عبد الله أحمد الفجّاويّ**	٣٦١-٣٩٠

بَواكِيرُ الأَصْواتِ الثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١-١٩٤٦م)

أ.د مُحَمَّد مَحْمُود الدُّرُوبِيّ*

مُلَخَّص

تَسْتَجْلِي هَذِهِ الدِّراسَةُ آفاقَ مَسارِ مُهِمٍّ مِنْ مَساراتِ النَّشْرِ التي وَلَجَها الكُتّابُ الرُّوّادُ في الأُرْدُنّ، في عَهْدِ تأسيسِ الدَّوْلَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الحَدِيثَةِ (١٩٢١-١٩٤١م)، وتُلْقِي ضَوْءاً جَدِيداً عَلى الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ الأُولى في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ في تِلْكَ المُدَّة، مِمّا كانَ يَصْدُرُ في بَعْضِ الأَقْطارِ العَرَبِيَّةِ المُجاوِرَة، ولا سِيّما في مِصْرَ وفِلَسْطِينَ وسُورِيَةَ ولُبْنان؛ إِذْ كانَ النَّشْرُ في هَذِهِ المَجَلّاتِ أَقْصَرَ سُبُلِ النَّشْرِ المُتاحَةِ أَمامَ جِيلِ الرُّوّاد، وأَشَدَّها اتِّساعاً في الوَقْتِ نَفْسِه؛ بِسَبَبِ ما كانَ يَكْتَنِدُ حَرَكَةَ النَّشْرِ المَحَلِّيَّةِ - في ذَلِكَ الوَقْتِ- مِنْ عَوائِقَ ومُشْكِلات.

حاوَلَتِ الدِّراسَةُ في مُباحَثَتِها الرَّئِيسَةِ أَنْ تُنِيرَ عَلى أَبْرَزِ الكُتّابِ والأُدَباءِ والباحِثِينَ الأُرْدُنِيِّينَ الأَوائِلِ الذِينَ شارَكُوا في حَراكِ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ آنَذاك، وهُمْ يَنُوفُونَ عَلى الأَرْبَعِيْن، وقَدَّمَتْ مَعارِفَ عَنِ اهْتِمامِهِمْ بِهذا المَسْلَكِ الجَدِيْد. ثُمَّ تَناوَلَتْ أَهَمَّ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي ذَرَعَ الأُرْدُنِيُّونَ سَبِيلَ النَّشْرِ عَلى صَفَحاتِها مُبَكِّراً، وأَوْصَلَها التَّكْشِيفُ المُعَمَّقُ إِلى اثْنَتَيْنِ وعِشْرِيْنَ مَجَلَّة، أَهَمُّها مَجَلَّةُ "الرِّسالَة" المِصْرِيَّةُ التي شَكَّلَتْ حاضِنَةَ الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ في عَقْدَيِ: الثَّلاثِيْنَ والأَرْبَعِيْنَ مِنَ القَرْنِ المُنْصَرِم. ثُمَّ عَرَضَتِ الدِّراسَةُ في شِقِّها الأَخِيْرِ لاتِّجاهاتِ كِتابَةِ الرُّوّادِ في تِلْكَ المَجَلّات، ووَقَفَتْ عَلى أَهَمِّ مَساراتِها الثَّقافِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ المُنْمازَةِ بِثَرائِها وتَنَوُّعِها.

وأَظْهَرَتِ الدِّراسَةُ جُمْلَةً مِنَ النَّتائِجِ التي تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ أَهَمِّيَّةِ ما نَشَرَ الرُّوّادُ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَةِ في دِراسَةِ مَناحِي الحَياةِ الثَّقافِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ في الأُرْدُنّ، في العُقُودِ الثَّلاثَةِ الأُولى لِتأسِيسِ الدَّوْلَةِ الحَدِيثَة، وما يُمَثِّلُهُ ذَلِكَ الحَراكُ مِنْ وَعْيِ جِيلِ الرُّوّاد، وتَجَذُّرِ انْتِمائِهِم، وسُهْمَتِهِم الثَّمِيْنَةِ في مَيْدانِ النَّهْضَةِ الجَدِيْدَة، وسَعْيِهِم إِلى تَقْدِيْمِ صُوْرَةٍ مُحَبَّبَةٍ عَنْ وَطَنِهِم الذي لَمْ يَكُنِ الآخَرُ يَعْرِفُ عَنْهُ إِلّا القَلِيْل، فَضْلاً عَمّا رَمَوا إِلَيه مِنْ سَدِّ الفَجْوَةِ الثَّقافِيَّة، والخُرُوجِ مِنَ العُزْلَةِ التي طَوَّقَتِ المَنْطِقَةَ في أَواخِرِ العَهْدِ العُثْمانِيّ.

الكَلِماتُ الدّالَة: الأُرْدُنّ، الحَرَكَةُ الثَّقافِيَّة، الأَصْواتُ الأَدَبِيَّةُ والفِكْرِيَّة، الكِتاباتُ الأُرْدُنِيَّةُ الأُولى، حَرَكَةُ النَّشْر، المَجَلّاتُ العَرَبِيَّة.

* قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة- كُلِّيَّةُ الآدابِ والعُلُومِ الإِنْسانِيَّة، جامِعَةُ آلِ البَيْت- الأُرْدُنّ ١٤٤٣هـ ٢٠٢١م.
حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

The First Jordanian Cultural, Intellectual, and Literary Voices in Arabic Magazines (1921-1946)

Prof. Mohammad Mahmoud Al-Droubi

Abstract

This study explores the prospects of one of the important fields in publishing that pioneered writers in Jordan encountered during the foundation era of the modern Jordanian state (1921-1921 AD). And it sheds a new light on the first Jordanian writings in Arab magazines during that period. Most of these magazines were issued in few neighboring Arab countries, especially in Egypt, Palestine, Syria and Lebanon. The reason behind publishing in these magazines was that they were the shortest means of publication available to the pioneering generation; meanwhile, it was the most extensive one because of the obstacles and problems that the local publishing movement - at that time - was suffering from.

The study tried to shed light, in its main topics, on the most prominent writers and the first Jordanian researchers who participated in the publishing movement in the Arabic magazines at the time; and they made more than forty writers. The study provided information about their interest in this new path. Then, it covered the most important Arab magazines that the Jordanians had given opportunity to publish on their pages at early stages. The in-depth indexing at the time made it reach twenty-two magazines. The most important of these magazines was the Egyptian magazine Al-Resalah (the Message) that formed a host for Jordanian writers during the thirties and forties of the last century. Then, the study presented, in its last part, the trends of the pioneers' writing in those magazines, and identified their most versatile cultural and cultural paths.

The study revealed a number of results centered on the importance of the publications of the pioneers in the early Arabic magazines in the study of aspects of cultural, literary and intellectual life in Jordan during the first three decades of the founding of the modern Jordanian state. That represents the movement of awareness of the pioneer generation, and deepen their affiliation, and reinstate their precious contribution in the field of the new Arab Renaissance. Besides, it elucidates their quest to provide a shine image of their homeland, which was not completely familiar to the other. What is more, their endeavors aimed at bridging the cultural gap and step out of the state of isolation that characterized the area at the end of the Ottoman era.

Key words: Jordan, The cultural movement, Literary and intellectual voices, The first Jordanian writings, The publishing movement, Arabic Magazines.

المُقَدِّمَة:

تَرُومُ هَذِهِ الدِّراسَةُ الإِطْلالَةَ عَلى مَسارٍ جَدِيْدٍ مِنْ مَساراتِ الحَرَكَةِ الثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ الأَدَبِيَّةِ فِي الأُرْدُنّ، إِبّانَ طَوْرِ تأسِيْسِ الإِمارَة، فِي الفَضاءِ المُمْتَدِّ زُهاءَ رُبْعِ قَرْن، بَيْنَ سَنَتَي (١٩٢١-١٩٤٦م). ويَتَمَثَّلُ هَذا المَسارُ بِما نَشَرَهُ الكُتّابُ والأُدَباءُ والنُّقّادُ والمُفَكِّرُونَ والباحِثُونَ الأُرْدُنِيُّونَ الأَوائِلُ عَلى صَفَحاتِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ السَّيّارَةِ التي كانَتْ تُهَيْمِنُ عَلى المَشْهَدِ الثَّقافِيِّ العَرَبِيِّ آنَذاك، ولا سِيَّما المَجَلّاتُ المِصْرِيَّةُ والفلسطِيْنِيَّةُ واللُّبْنانِيَّةُ والسُّورِيَّةُ التي نالَتْ شُهْرَةً كَبِيْرَة، فأَقْبَلَ المُسْتَنِيْرُونَ مِنْ أَبْناءِ البُلْدانِ العَرَبِيَّةِ عَلى النَّشْرِ فِيْها، فِي وَقْتٍ لَمْ تَعْرِفْ فِيه أَكْثَرُ هَذِهِ البُلْدانِ نَشاطاً واضِحاً لِحَراكِ المَجَلّات؛ لِعَدَمِ ظُهُورِها بَعْدُ، أَو لِتَعَثُّرِ صُدُورِها فِي البِدايات، أَو لِعَدَمِ شُهْرَتِها شُهْرَةَ المَجَلّاتِ التي كانَتْ تَصْدُرُ فِي مِصْرَ وبِلادِ الشّامِ خاصَّة.

لَقَدْ شَكَّلَ هَذا المَسارُ الذي وَلَجَهُ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ – آنَذاك– مَنْفَذاً جَدِيْداً واسِعاً مِنْ مَنافِذِ النَّشْرِ التي لَمْ يَعْرِفُوها مِنْ قَبْلُ؛ لِبَواعِثَ أَهَمُّها: ضَعْفُ حَرَكَةِ التَّعْلِيْمِ فِي الدِّيارِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي أَواخِرِ العَهْدِ العُثْمانِيّ، قِياساً بِالبُلْدانِ المُجاوِرَة؛ فَرُغْمَ أَهَمِّيَّةِ المَنْطِقَةِ ووجُودِ إِداراتٍ عُثْمانِيَّةٍ فِي سائِرِ نَواحِيْها وتَقْسِيْماتِها الإِداريَّة، لَمْ يَلْقَ التَّعْلِيْمُ – آنَذاك– ما يُعَزِّزُ دَوْرَهُ فِي تَبْصِيْرِ النّاشِئَةِ ونَشْرِ الثَّقافَةِ والوَعْيِ بَيْنَ صُفُوفِ السُّكّان، ورُغْمَ وجُودِ طائِفَةٍ مِنَ المَدارِسِ (المَكاتِب) البَسِيْطَةِ فِي بَعْضِ المُدُنِ والقُرى – التي تُدَرِّسُ بِالتُّرْكِيَّةِ لا العَرَبِيَّة– فَضْلاً عَنْ وجُودِ طائِفَةٍ الكَتاتِيْبِ التَّقْلِيْدِيَّةِ القَدِيْمَة، ومَدارِسِ الطَّوائِفِ المَسِيْحِيَّة[1]، فإِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُمارِسَ دَوْرَها التَّنْوِيْرِيَّ فِي إِحْداثِ النَّقْلَةِ المَطْلُوبَة، وظَلَّ التَّعْلِيْمُ وَقْفاً عَلى فِئاتٍ مِنَ المُجْتَمَع، وكانَ أَبْعَدَ غاياتِهِ مَحوُ الأُمِيَّة.

وفَضْلاً عَنْ هَذا الباعِث، كانَ التَّواصُلُ بَيْنَ المُثَقَّفِيْنَ العَرَبِ جِدَّ فاتِر، فَلَمْ يُتَحْ لأَبْناءِ الأُرْدُنِّ – إِلّا القَلِيْلُ مِنْهُم– التَّعَرُّفُ إِلى الأَسْماءِ اللّامِعَةِ فِي دُنْيا الثَّقافَةِ الرّائِجَةِ آنَذاك، وخاصَّةً فِي مِصْر. وبَقِيَ المَشْهَدُ الثَّقافِيُّ العَرَبِيُّ شِبْهَ غائِبٍ عَنْ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ الأُرْدُنّ؛ ولا سِيَّما مَنْ زَكَتْ أَنْفُسُهُم إِلى تَحْصِيْلِ العِلْمِ والثَّقافَة. ويُمكِنُ أَنْ يُضافَ إِلى هَذَيْنِ الباعِثَيْنِ باعِثٌ ثالِث، يَتَمَثَّلُ بِقِلَّةِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي كانَتْ تَصْدُرُ قَبْلَ مِئَةِ عام، فَضْلاً عَنِ اهْتِمامِها – فِي الغالِب– بِالنَّشْرِ لِمَشاهِيْرِ الكُتّاب، أَو لأَبْناءِ بُلْدانِها. وقَدْ تَضافَرَتْ هَذِهِ البَواعِثُ وغَيْرُها فِي تأَخُّرِ انْطِلاقَةِ الحَرَكَةِ الثَّقافِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ فِي الأُرْدُنِّ حَتّى نَشأَةِ الإِمارَة، واسْتِقْرارِ الأَوْضاعِ السِّياسِيَّةِ والإِداريَّةِ فِي البِلاد.

وهَكَذا، لَمْ يُتَحْ لِلكُتّابِ مِنْ أَهْلِ الأُرْدُنِّ أَنْ يَذْرَعُوا سَبِيْلَ النَّشْرِ فِي المَجَلّات – قَبْلَ سَنَةِ (١٩٢١م)– ولَمْ يُسْعِفِ النَّظَرُ والفَتْشُ المُعَمَّقانِ فِي سِجِلّاتِ طائِفَةٍ واسِعَةٍ مِنَ المَجَلّاتِ التي كانَتْ تَصْدُرُ – فِي ذَلِكَ الوَقْتِ– مِنَ العُثُورِ عَلى سُهْمَةٍ أُرْدُنِيَّةٍ قَبْلَ هَذا التّارِيْخ، وإِنْ وَجَدْنا كِتاباتٍ عَنِ الأُرْدُنّ – تارِيْخِهِ

---

(١) انْظُر: أَبُو الشَّعَر، هِنْد، والسَّوارِيَة، نُوفان، عَمّان فِي العَهْدِ الهاشِمِيّ (١٩١٦-١٩٥٢م)، مَنْشُورات أَمانَةِ عَمّان الكُبْرى، الطَّبْعَة١، عَمّان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٥١-٥٣. وأَبُو الشَّعَر، هِنْد، تارِيْخ الأُرْدُنّ فِي العَهْدِ العُثْمانِيّ (٩٢٢-١٣٣٧هـ-١٥١٦-١٩١٨م)، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، عَمّان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٥٤٤-٥٦٩.

وجُغْرافِيَّتِهِ وآثارِه- مَنْشُورَةً في بَعْضِ المَجَلّاتِ المِصْرِيَّةِ والشّامِيَّةِ القَدِيمَةِ، مِنْ مِثْل: "المُقْتَطَف"[١]، و"الهِلال"[٢]، و"المَنار"[٣]، و"المَشْرِق"[٤]، و"المُقْتَبَس"[٥]، بَدْءاً مِنْ نُشُوءِ المَجَلّاتِ في الرُّبْعِ الأَخِيرِ مِنَ القَرْنِ التّاسِعَ عَشَر. ولَكِنَّ هَذِهِ الكِتاباتِ - عَلى قِيمَتِها العالِيَةِ- لَمْ تُكْتَبْ بِأَيْدٍ أُرْدُنِيَّة، وإِنَّما كَتَبَها بَعْضُ الطّارِئِيْنَ العابِرِيْن، كالرَّحّالَةِ والزُّوّارِ والمُراسِلِيْن، أو بَعْضُ الكُتّابِ والباحِثِيْنَ الذيْنَ كَتَبُوا عَنِ الأُرْدُنّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطَأَ أَقْدامُهُم أَرْضَه، اعْتِماداً عَلى الكُتُبِ والمَرْوِيّاتِ المَنْقُولَة.

وتأسِيساً عَلى هَذا المُنْطَلَق، يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ نَشاطَ حَرَكَةِ الكِتابَةِ الأُرْدُنِيَّةِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ - وأَعْنِي المَجَلّاتِ الصّادِرَةَ خارِجَ الأُرْدُنّ- تَزامَنَ مع قُدُومِ الأَمِيْرِ عَبْدِ الله بنِ الحُسَيْنِ الهاشِمِيّ، وتأسِيْسِ إِمارَةِ شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، سَنَةَ (١٩٢١م). ويُلاحَظُ أَنَّ عَدَداً مِنَ الكُتّابِ الأَوائِلِ كانُوا مِنْ رِجالِ الأَمِيْرِ وحاشِيَتِه، مِمّا يَشِي بِدَوْرِهِ الرَّئِيْسِ في حَفْزِ هَؤلاءِ الكُتّابِ وتَشْجِيْعِهِم عَلى فِعْلِ الكِتابَةِ والإِبْداع، وارْتِيادِ مَسارٍ جَدِيْدٍ مِنْ مَساراتِ النَّشْرِ المَحْدُودَةِ آنَذاك. وغَنِيٌّ عَنِ القَوْلِ إِنَّ الأَمِيْرَ نَفْسَهُ كانَ مُتَأَدِّباً ذا قَلَمٍ سَيّال، وكانَ يَقْرأُ المَجَلّاتِ السَّيّارَة، ويُشارِكُ بِنَفْسِهِ في الحَراكِ الثَّقافِيِّ الدّائِر، ونَشَرَ كِتاباتٍ ومُساجَلاتٍ في الصُّحُفِ الأُرْدُنِيَّةِ المَعْرُوفَةِ آنَذاك، كَجَرِيْدَةِ "الجَزِيْرَة"[٦]. وقَدْ تَرَكَ الأَمِيْرُ مُؤَلَّفاتٍ ورَسائِلَ وأَشْعاراً تَدُلُّ عَلى مُسْتَواه الأَدَبِيِّ والثَّقافِيِّ والفِكْرِيِّ المَرْمُوق[٧].

إِذَنْ، لَمْ يَعْرِفِ الكُتّابُ الأَوائِلُ- في الأُرْدُنّ- سَبِيْلَ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ - عَلى اخْتِلافِ مَساراتِها الفِكْرِيَّةِ والثَّقافِيَّةِ- إِلّا بَعْدَ تأسِيْسِ الدَّوْلَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الحَدِيْثَةِ في مَطْلَعِ عَقْدِ العِشْرِيْنَ مِنَ القَرْنِ المُنْصَرِم - أَي مُنْذُ مِئَةِ عام- فَقَدْ كانَ تأسِيْسُ الكِيانِ السِّياسِيِّ الأُرْدُنِيِّ أَوَّلَ حاضِنَةٍ لِلكِتابَةِ والنَّشْرِ في تارِيْخِ

---

(١) انْظُر مِثالاً: بهنا، جرجس، البَحْر المَيّت، مَجَلّة المُقْتَطَف، السَّنَة ٣، الجُزْء٧، القاهِرَة، ١٢٩٥هـ- ١٨٧٨م، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) انْظُر مِثالاً: مَجَلّة الهِلال، مَدِيْنَة العَقَبَة: وَصْفُها وأَهَمِّيَّتُها وتارِيْخُها، السَّنَة٢٣، العَدَد٣، القاهِرَة، ١٣٣٣هـ-١٩١٤م، ص٢١٠-٢١٤.

(٣) انْظُر مِثالاً: مَجَلّة المَنار، مَسألة العَقَبَة، السَّنَة٩، العَدَد١، القاهِرَة، ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م، ص٢٣١-٢٣٣.

(٤) انْظُر مِثالاً: لامنس، هِنْري، عَجائِب بِلاد مُؤاب، مَجَلّة المَشْرِق، السَّنَة١٠، العَدَد١٣، بَيْرُوت، ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م، ٥٧٧-٥٨١.

(٥) انْظُر مِثالاً: مَجَلّة المُقْتَبس، البَلْقاء والكَرَك، المُجَلَّد٧، العَدَد٧، دِمَشْق، ١٣٣٠هـ-١٩١٢م، ص٦٣٨-٦٦١.

(٦) انْظُر: ظَبْيان، تَيْسِيْر، المَلِك عَبْد الله كَما عَرَفْتُه، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، مُصَوَّرَة عَنِ الطَّبْعَةِ الأُولى، عَمّان، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٧٣، ٨١، ٩٢، وشِهاب، أُسامَة، صَحِيفَة الجَزِيْرَةِ الأُرْدُنِيَّةِ ودَوْرُها في الحَرَكَةِ الأَدَبِيَّة (١٩٣٩-١٩٥٤م)، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، الطَّبْعَة١، عَمّان، ص١٨٢-١٨٦. وقَدْ جَمَعَ كايد هاشِم مُساجَلاتِ الأَمِيْر عَبْدِ الله والنّاقِدِ عَبْدِ الحَلِيْم عَبّاس في كِتابِ "شَباب الأُرْدُنّ في المِيْزان"، د.ن، عَمّان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٧) نُشِرَتِ "الآثار الكامِلَة لِلمَلِكِ المُؤَسِّسِ عَبْدِ الله بن الحُسَيْن" في مُجَلَّدٍ ضَمَّ كُتُبَهُ ورَسائِلَهُ وأَمالِيه ومُذَكِّراتِهِ وأَشْعارَهُ وغَيْرَها، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، مُصَوَّرَة عَنِ الطَّبْعَةِ الأُولى، عَمّان، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م. وجَمَعَ خَلَفُ النَّوافِلَة شِعْرَ المَلِكِ المُؤَسِّسِ "دِيْوان خَواطِر النَّسِيْم"، في مُجَلَّدَيْن، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، الطَّبْعَة١، عَمّان، ١٤٢٢-١٤٣٠هـ-٢٠٠٢-٢٠٠٩م.

الأُرْدُنّ الحَدِيْث، إِذْ شَهِدَتِ البِلادُ – كَما أَكَّدَ الكُتّابُ الأَوائِلُ أَنْفُسُهُم[١] حالةً غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ مِنَ الاعْتِناءِ بِالكِتابَةِ والنَّشْرِ، وتَزامَنَ ذَلِكَ معَ نَهْضَةِ التَّعْلِيْمِ التي عاشَتْها البِلادُ في هَذِهِ الأَثْناء، مُمَثَّلَةً بِتَزايُدِ أَعْدادِ المَدارِسِ والمُعلِّمِيْنَ والطُّلّاب، في خَطٍّ مُتَسارِعٍ لافِت[٢]. وقَدْ أَفْضَتْ هَذِهِ البِيْئَةُ الجَدِيْدَةُ إِلى ظُهُورِ جِيْلٍ مِنَ الشَّبابِ الذيْنَ تَسابَقُوا إِلى اسْتِكْمالِ التَّعْلِيْمِ في بَعْضِ الجامِعاتِ العَرَبِيَّة[٣]، ومِنْ بَيْنِ هَؤلاءِ الشَّبابِ الجامِعِيِّيْنَ المُثَقَّفِيْنَ نَجَمَتْ طائِفَةٌ مِنَ الكُتّابِ الذيْنَ حَمَلُوا على عاتِقِهِمْ هَمَّ الكِتابَةِ والنَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، عَلى أَنَّ بَعْضَ الكُتّابِ الجُدُدِ لَمْ يَتَسَنَّ لَهُمُ الالْتِحاقُ بِالجامِعات، أَو مُتابِعَةُ الدِّراسَةِ فِيها؛ لأَنَّ ظُرُوفَهُم لَمْ تَكُنْ مُواتِيَةً ولَو عَلى نَحْوٍ.

كانَ النَّشْرُ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَةِ الرّائِجَةِ – في ذَلِكَ الوَقْتِ– سانِحَةً ثَمِيْنَةً أَمامَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ لِلكِتابَةِ في المَوْضُوعاتِ المُخْتَلِفَةِ التي راقَ لَهُم إِطْلاقُ اليَراعَةِ في حِماها، ولا سِيَّما المَوْضُوعاتُ الأَدَبِيَّةُ والنَّقْدِيَّةُ والتّارِيْخِيَّةُ والفِكْرِيَّة، كَما عَبَّدَ هَذا الاتِّجاهُ – بِالمِثْلِ– السَّبِيْلَ أَمامَ هَؤلاءِ الكُتّابِ لِلكِتابَةِ عَنْ وَطَنِهِم، في جَوانِبِهِ الثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والتّارِيْخِيَّةِ والجُغْرافِيَّةِ والأَثَرِيَّةِ والاجْتِماعِيَّة، فَضْلاً عَنِ التَّعْرِيْفِ بِبَعْضِ أَعْلامِهِ الكِبار، مِمَّنْ كانَ لَهُم حُضُورٌ واضِحٌ في مَشْهَدِ الحَياةِ الثَّقافِيَّةِ زَمَنَذاك.

ويَجِبُ أَنْ نُلاحِظَ أَنَّهُ رُغْمَ الإِقْبالِ الأُرْدُنِيِّ الواضِحِ عَلى المُشارَكَةِ بِالكِتابَةِ والنَّشْرِ في المَجَلّاتِ التي كانَتْ تَصْدُرُ في البُلْدانِ المُجاوِرَةِ في ذَلِكَ العَهْد، ورُغْمَ اعْتِناءٍ كَثِيْرٍ مِنَ المُثَقَّفِيْنَ الأُرْدُنِيِّيْنَ بِقَراءَةِ المَجَلّاتِ التي كانَتْ تَصِلُ إِلى المُدُنِ الأُرْدُنِيَّة، والحِرْصِ عَلى اقْتِنائِها، فَإِنَّ تَوَجُّساً مِنْ بَعْضِ هَذِهِ المَجَلّات، وما قَدْ تُسَرِّبُهُ مِنْ أَفْكارٍ غَيْرِ مُناسِبَة، ظَلَّ يَجِيْشُ في صُدُورِ نَفَرٍ مِنَ الكُتّابِ المُسْتَنِيْرِيْنَ أَنْفُسِهِم؛ إِذْ أَبْدَوا تَخَوُّفاً عَلى الجِيْلِ الجَدِيْدِ أَنْ يَنْساقَ وَراءَ ما تَحْمِلُهُ بَعْضُ المَجَلّاتِ مِنْ رُؤًى وتَوَجُّهاتٍ لا تَتَّسِقُ مع مُواضَعاتِ التَّرْبِيَةِ المُلْتَزِمَةِ التي نَشَأَ عَلَيها أَبْناءُ ذَلِكَ الجِيْل. وهَذا ما نُبْصِرُهُ جَلِيّاً في رِسالَةِ الشّاعِرِ عَرار – سَنَةَ (١٩٣٤م)– إِلى ابْنِهِ وَصْفِي – رَئِيْسِ الوُزَراءِ لاحِقاً– وهُوَ طالِبٌ في الثّانَوِيَّة؛ إِذْ كَتَبَ إِلَيه أَبُوهُ: "وإِذا كُنْتَ رأَيْتَنِي – أَحْياناً– أَقْرأُ بَعْضَ المَجَلّاتِ التي أُحَذِّرُكَ مِنْ قِراءَتِها؛ فَما ذَلِكَ إِلّا لِلاطِّلاعِ عَلى النَّواحِي التي يُهاجِمُنا المُهاجِمُونَ عَنْ طَرِيْقِها بِاسْمِ الثَّقافَةِ والمَدَنِيَّة، ولِعَمَلِ ما

---

(١) انْظُر: القَسُوس، جريس، الحَياة الأَدَبِيَّة في شَرْقِ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٥١، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص٨٦٥، والنّاعُورِيّ، عِيْسى، الحَياة الأَدَبِيَّة في شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الأَدِيْب، السَّنَة٥، الجُزْء١، بَيْرُوت، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٢٨.

(٢) انْظُر: مَحافِظَة، عَلِيّ، تارِيْخ الأُرْدُنّ المُعاصِر: عَهْد الإِمارَة (١٩٢١-١٩٤٦م)، نُشِرَ بِدَعْمٍ مِنَ الجامِعَةِ الأُرْدُنِيَّة، عَمّان، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ومَحافِظَة، مُحَمَّد، إِمارَة شَرْق الأُرْدُنّ: نَشأَتُها وتَطَوُّرُها في رُبْعِ قَرْنٍ (١٩٢١-١٩٤٦م)، دار الفُرْقان، الطَّبْعَة١، عَمّان، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ص٢٦٢-٢٧٨، وأَبُو الشَّعر، هِنْد، والسَّوارِيَة، نُوفان، عَمّان في العَهْدِ الهاشِمِيّ (١٩١٦-١٩٥٢م)، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥٥-٧٦.

(٣) انْظُر: الأَسَد، ناصِر الدِّيْن، الاتِّجاهات الأَدَبِيَّة الحَدِيْثَة في فلسطِيْنَ والأُرْدُنّ حتّى ١٩٥٠م، دار الفَتْح، الطَّبْعَة٢، عَمّان، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م، ص٥٥-٥٧.

يُمْكِنُ عَمَلُه؛ لإحْباطِ تأثِيرِها بِكِتابَةِ وإذاعَةِ ما يُشِلُّ مَفْعُولَها"[١]. ولَعَلَّ هَذِهِ المُقْتَبَسَةَ مِنْ رِسالَةِ عَرار تُفَسِّرُ عَدَمَ حَماسَتِهِ لِلنَّشْرِ فِي المَجَلّات؛ إذِ اقْتَصَرَ عَلى بِضْعِ مُشارَكات، يُمْكِنُ إدْراجُها فِي بابِ الرَّدِّ عَلى غَيْرِه، وشاهِدُهُ ما نَشَرَ – سَنَةَ (١٩٢٥م)– فِي مَجَلَّةِ "مينرفا" اللُّبْنانِيَّة[٢].

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ الأَوائِلُ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة

يُرْشِدُنا الحَفْرُ فِي وِعاءِ السِّجِلّاتِ المُؤَرْشَفَةِ لِطائِفَةٍ واسِعَةٍ مِنَ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ الصّادِرَةِ فِي المُدَّةِ التي تُعْنى بِها هَذِهِ الدِّراسَةُ – (١٩٢١-١٩٤٦م)– إلى ما يَرْبُو عَلى أَرْبَعِيْنَ صَوْتاً أُرْدُنِيّاً، شارَكَتْ فِي نَشْرِ طَلائِعِ مَقالاتِها الثَّقافِيَّةِ وبُحُوثِها العِلْمِيَّةِ وإبْداعاتِها الأَدَبِيَّةِ فِي هَذِهِ المَجَلّات. ويُمَثِّلُ هَؤلاءِ الكُتّابُ الجِيلَ الأَوَّلَ مِنْ أَجْيالِ الكُتّابِ والنُّقّادِ والمُفَكِّرِيْنَ والباحِثِيْنَ فِي الأُرْدُنّ، وتُعَدُّ كِتاباتُهُم –عَلى اخْتِلافِ مَساراتِها– الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةَ الأُولى التي احْتَضَنَتْها الدَّوْرِيّاتُ العَرَبِيَّةُ مُنْذُ نَحْوِ مِئَةِ عام.

ويَجِبُ أَلّا يَغِيْبَ عَنِ الذِّهْنِ أَنَّ طائِفَةً مِنَ الكُتّابِ والأُدَباءِ والمُفَكِّرِيْنَ – العَرَبِ وغَيْرِ العَرَب– مِمَّنْ كانُوا يَعْلَمُونَ فِي إمارَةِ شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، أو مِمَّنْ وَفَدُوا زائِرِيْنَ عَلى بَلاطِ الأَمِيْرِ عَبْدِ الله، نَشَرُوا شَيْئاً مِنْ كِتاباتِهِم وإبْداعاتِهِم الأَدَبِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ فِي أَثْناءِ إقامَتِهِم عَلى ثَرى الأُرْدُنّ. ولَنا أَنْ نَذْكُرَ مِنْهُم: خَيْرَ الدِّيْنِ الزِّرِكْلِيّ، وفُؤاد الخَطِيْب، وعَبْدَ المُحْسِنِ الكاظِمِيّ، ورِضا تَوْفِيْق، ومُحَمَّد عَلِيّ الحُومانِيّ، وسَعِيْدَ البَحْرَة، وصُبْحِي كَحّالَة، وبُولس سَلْمان، وأَنْطوان فَرْعانِيّ، وفُؤاد سَلِيْم، وكُلُوب باشا، وغَيْرَهُم. ولَكِنَّ كِتاباتِ هَؤلاءِ لا تَدْخُلُ فِي حُدُودِ دِراسَتِنا التي تَقِفُ عِنْدَ الأَصْواتِ الأُرْدُنِيَّة.

وقَدْ أَمْكَنَ التَّعَقُّبُ مِنْ تَرْتِيْبِ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الأَوائِل، عَلى وَفْقِ أَسْبَقِيَّةِ نَشْرِهِم فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ – التي اسْتَطَعْنا تَكْشِيْفَها بَعْدَ طَوِيْلِ عِشْرَةٍ وعَناء– عَلى النَّحْوِ الآتِي (الكاتِبُ فَسَنَةَ النَّشْر): سَعِيْدُ عَلِيّ الكَرْمِيّ (١٩٢١م)[٣]، ومُصْطَفى وَهْبِي التَّلّ المُلَقَّبُ بِعَرار (١٩٢٥م)[٤]، ومُحَمَّد يُوسُف الشُّرَيْقِيّ (١٩٢٥م)[٥]، وأَدِيْب عَودَة عَبّاسِيّ (١٩٢٦)[٦]، وحُسْنِي فَرِيْز خَزْنَة كاتِبِي (١٩٢٧)[٧]، وعَبْد

---

(١) العَوْدات، يَعْقُوب (البَدَوِيّ المُلَثَّم)، عَرار: شاعِرُ الأُرْدُنّ، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، مُصَوَّرَة عَنِ الطَّبْعَةِ الأُولى، عَمّان، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م، ص٢٩٦.

(٢) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، الخِيّام ورُباعِيّاته، مَجَلَّة مينرفا، السَّنَة٣، الجُزْء٤، بَيْرُوت، ١٣٤٣هـ=١٩٢٥م، ص١٧٣-١٧٥، والجُزْء١٠، ص٥١٩-٥٢١.

(٣) انْظُر: الكَرْمِيّ، سَعِيْد، دُور الكُتُب وفائِدَتُها، مَجَلَّة المَجْمَع العِلْمِيّ العَرَبِيّ، المُجَلَّد١، العَدَد١، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، ص٨-١٢.

(٤) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، الخِيّام ورُباعِيّاته، مَجَلَّة مينرفا، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٧٣-١٧٥.

(٥) انْظُر: الشُّرَيْقِيّ، مُحَمَّد، مِصْر والشّام (شِعْر)، مَجَلَّة الزَّهْراء، المُجَلَّد٢، العَدَد٥، القاهِرَة، ١٣٤٤هـ=١٩٢٥م، ص٣٠٠-٣٠٣.

(٦) انْظُر: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، الحُكُومَةُ العَرَبِيَّة وسِياسَتُها، مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٦٩، الجُزْء٤، القاهِرَة، ١٣٤٥هـ=١٩٢٦م، ص٣٨١-٣٨٤. نَشَرَ أَدِيب عَبّاسِيّ مَقالاتِهِ الأُولى فِي "المُقْتَطَف" بِاسْمِ "أَدِيب عَوْدَة".

(٧) انْظُر: فَرِيْز، حُسْنِي، شِكْسبِيْر (تَرْجَمَة)، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد١٤، الجُزْء٢، صَيْدا، ١٣٤٦هـ=١٩٢٧م، ص١٩١-٢٠٠.

الحَلِيْم عبّاس العَواملَة (١٩٢٩م)[١]، وفَوْزِي عِيْد المُلْقِي (١٩٣١م)[٢]، وصيّاح فالِح الرُّوسان (١٩٣١م)[٣]، وحنّا سُلَيْمان القُسُوس (١٩٣٢م)[٤]، ومُحَمَّد تَوْفِيْق الحِنّاوِيّ (١٩٣٣م)[٥]، ورُوكس بن زائِدٍ العُزَيْزِيّ (١٩٣٤م)[٦]، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ (١٩٣٤م)[٧]، وفَرْحان عَبْد رَبِّه شُبَيْلات (١٩٣٤م)[٨]، وشُكْري رَشِيْد شعْشاعَة (١٩٣٥م)[٩]، ومُحَمَّد صُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة (١٩٣٥م)[١٠]، وسُلَيْمان فارِس (١٩٣٥م)[١١]، وجريس صالِح القُسُوس (١٩٣٥م)[١٢]، وغَسّانِيّ/ اسْمٌ مُسْتَعارٌ ولَعَلَّهُ رُوكس العُزَيْزِيّ المُعْتَدُّ بِأَصْلِهِ الغَسّانِيّ (١٩٣٥م)[١٣]، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ (١٩٣٥م)[١٤]، وخَلِيْل جُمْعَة (١٩٣٦م)[١٥]، ومُحَمَّد الأَمِيْن بن مُحَمَّدٍ الخِضْرِ الشِّنْقِيْطِيّ (١٩٣٧م)[١٦]، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ

---

(١) انْظُر: عبّاس، عَبْد الحَلِيْم، الطَّبِيْعَة والإِنْسان، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد١٧، الجُزْء١، صَيْدا، ١٣٤٧هـ=١٩٢٩، ص١٩-٢١.

(٢) انْظُر: المُلْقِي، فَوْزِي، الأَبْطال لِلفَيْلَسُوفِ الكَبِيْرِ تُوماس كارلِيل (عَرْض)، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٢، الجُزْء٢، صَيْدا، ١٣٥٠هـ=١٩٣١، ص١٥٣-١٥٩.

(٣) انْظُر: الرُّوسان، صيّاح، النَّهْضَة الحَدِيْثَة فِي العالَمِ الإِسْلامِيّ(تَرْجَمَة)، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢١، الجُزْء٣، صَيْدا، ١٣٤٩هـ=١٩٣١م، ص٢٩٥-٣٠٦.

(٤) انْظُر: القُسُوس، حنّا، كَلِماتٌ صِحِيَّةٌ وفَوائِدُ طِبِّيَّة: الحَلِيْب واللَّبَن، مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة٨، العَدَد٩٣، القُدْس، ١٣٥١هـ=١٩٣٢م، ص١٠٩-١١٠.

(٥) انْظُر: الحِنّاوِيّ، تَوْفِيْق، مِنْ غَيْرِ عُنْوان (شِعْر)، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة١، العَدَد٤، دِمَشْق، ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م، ص٣٨١.

(٦) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، عُمَر الخَيّام فِي رُباعِيّاتِه، المَجَلَّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٣، العَدَد٨، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٤٩-٥٤.

(٧) انْظُر: الشُّرَيْقِيّ، بَشِيْر، طَرَفَة بن العَبْد، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٥٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ١١٤٥-١١٤٦.

(٨) انْظُر: شُبَيْلات، فَرْحان، الوَزِيْر مُؤَيِّد الدِّيْن ابن العَلْقَمِيّ: هَلْ غَدَرَ بِأُمَّتِهِ وخَلِيفَتِه؟، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٣٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ٢٩٣-٢٩٥.

(٩) انْظُر: شعْشاعَة، شُكْري، المَرافِق الاقْتِصادِيَّة فِي شَرْق الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الاقْتِصادِيّات العَرَبِيَّة، السَّنَة١، العَدَد٦، القُدْس، ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م، ص٨-١٥.

(١٠) انْظُر: أَبُو غَنِيْمَة، مُحَمَّد صُبْحِي، الله مَحَبَّة (قِصَّة)، مَجَلَّة الفَجْر، السَّنَة١، العَدَد١، يافا، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص٨-١٠.

(١١) انْظُر: النّابُلُسِيّ، سُلَيْمان، التَّصَوُّف الإِسْلامِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد٨٠، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م، ص٥٩-٦٠.

(١٢) انْظُر: القُسُوس، جريس، وليم ورد زورث، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد١٠٩، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٢٦٧-١٢٦٨م.

(١٣) انْظُر: غَسّانِيّ، النَّصْرانِيَّة فِي شَرْق الأُرْدُنّ فِي الأَجْيالِ السِّتَّةِ الأُولى، مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة١١، العَدَد١١٩، القُدْس، ١٣٥٤هـ= ١٩٣٥م، ص١٥٩-١٦٢.

(١٤) انْظُر: الإِيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، تأَمُّلاتِي: آلام العَبْقَرِيَّة، مَجَلَّة الفَجْر، السَّنَة٢، العَدَد١، يافا، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٦

(١٥) انْظُر: الطَّوال، خَلِيْل، برسي شلي، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٥٤، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص٩٨١-٩٨٣.

(١٦) انْظُر: الشِّنْقِيْطِيّ، مُحَمَّد الأَمِيْن، إِبْراهِيْم بن سَهْل الإِشْبِيْلِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢١٠، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١١٣٧-١١٣٩.

(١٩٣٧م)[١]، ومُحَمَّد تَيْسِيْر ظَبْيان الكَيْلانِيّ(١٩٣٧م)[٢]، وجُورج سَلِيْم مرّار العُزَيْزات (١٩٣٧م)[٣]، وجَمِيْل قُبْعِيْن (١٩٣٨م)[٤]، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان (١٩٣٨م)[٥]، وخَلِيْل سالم السّالم (١٩٣٨م)[٦]، وتَوْفِيْق فارس النَّمرِيّ (١٩٣٨م)[٧]، وعَلِيّ أَحْمَد الحِيارِيّ (١٩٣٨م)[٨]، وفَتى الأُرْدُنّ/اسْمٌ مُسْتَعار (١٩٣٨م)[٩]، وعِيْسى إِبْراهِيْم النّاعُورِيّ (١٩٣٨م)[١٠]، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس (١٩٣٨م)[١١]، ومُصْطَفى حَيْدَر زَيْد الكَيْلانِيّ (١٩٣٩م)[١٢]، وأَمِيْن حافِظ النُّوبانِيّ (١٩٣٩م)[١٣]، ومُصْطَفى عَلِيّ العَزّام (١٩٣٩م)[١٤]، وأَمِيل جُمَيْعان (١٩٤١م)[١٥]، وناصِر الدِّيْن مُحَمَّد الأَسَد (١٩٤٣م)[١٦]، وتَوْفِيْق أَبُو

---

(١) انْظُر: العامِرِيّ، مُحَمَّد أَدِيْب، الظّاهِرَة الهامَّة وتأويلها، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢١٨، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص١٤٥٣-١٤٥٤.

(٢) انْظُر: ظَبْيان، مُحَمَّد تَيْسِيْر، الأَدْيان والمَذاهِب في الحَبَشَة، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢٨، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص١٨٦٦-١٨٦٨.

(٣) انْظُر: العُزَيْزات، جُورج، رُوح الأُسْرَة، مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَوْن، السَّنَة١٣، العَدَد١٤٥، القُدْس، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٤) انْظُر: قُبْعِيْن، جَمِيْل، الفُرُوسِيَّة العَرَبِيَّة (تَرْجَمَة مُحاضَرَةٍ لِكُلُوب باشا)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٦، العَدَد٢٦١، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م، ص١١٠٧-١١١٠، والعَدَد٢٦٢، ص١١٥١-١١٥٢، والعَدَد٢٦٣، ص١١٩٣-١١٩٤، والعَدَد٢٦٥، ص١٢٧١-١٢٧٣.

(٥) انْظُر: الرَّشْدان، مُحَمَّد سَلِيْم، الفُروسِيَّة العَرَبِيَّة (تَعْلِيْقٌ على مُحاضَرَةِ كُلُوب باشا الآنِفَة)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٦، العَدَد٢٦٤، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص١٢٣٧.

(٦) انْظُر: السّالم، خَلِيْل، شبابُنا والشُّعُور بِالواجِب، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَد٢، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص١٨.

(٧) انْظُر: النَّمرِيّ، تَوْفِيْق فارِس، مِيْلاد الرَّسُول (شِعْر)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَد٢، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٣٠.

(٨) انْظُر: الحِيارِيّ، عَلِيّ أَحْمَد، الإِنْسان بَيْنَ عامِلَيْن، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَد٢، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٢٤.

(٩) انْظُر: الأُرْدُنّ، فَتى، دَمْعَة حَزِيْنَة أَو بَيْنَ قَلْبِ أُمّ وعاطِفَة أَبّ (قِصَّةٌ واقِعِيَّة)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَد٦، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٢٨-٣٠.

(١٠) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، تَحِيَّة المُبْعَدِيْن العائِدِيْن (شِعْر)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَدان٨-٩، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٨.

(١١) انْظُر: الدَّبّاس، عَبْد الكَرِيْم، دَمْعَة عَلى الماضِي (خاطِرَة)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٢، العَدَد١، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٤٦-٤٧.

(١٢) انْظُر: الكَيْلانِيّ، مُصْطَفى زَيْد، مِنْ نَفَثات التّائِي وذِكْرياتِ الأُخوة (شِعْر)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٢، العَدَد٢، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٩٢.

(١٣) انْظُر: النُّوبانِيّ، أَمِيْن، ذِكْرى رَحِيْل المَلِكِ غازِي الأَوّل، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٢، العَدَد٢، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٧٦.

(١٤) انْظُر: العَزّام، مُصْطَفى عَلِيّ، الغَدّ (عَنِ المَجَلَّة)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٢، العَدَد٦، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٥٢.

(١٥) انْظُر: جُمَيْعان، أَمِيل، كَيْف أَنْسى؟ (شِعْر)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٤، العَدَد٣، بَيْت لَحْم- القُدْس،١٣٦٠هـ=١٩٤١م، ص٤٤.

(١٦) انْظُر: الأَسَد، ناصِر الدِّيْن، قَصِيْدَة مُتَرْجَمَة لِلشّاعِر طاغُور، مَجَلَّة المُنْتَدى، المُجَلَّد١، العَدَد١، القُدْس، ١٣٦٢هـ=١٩٤٣م، ص١٦.

(١٩٤٥م)[١]، وعَبْد المُنْعِم طالب الرِّفاعيّ (١٩٤٦م)[٢]، ورِفْعَت سَعِيْد الصّلِيْبِيّ (١٩٤٦م)[٣]، ويَعْقُوب ويَعْقُوب العَوْدات المُلَقَّبُ بالبَدَوِيّ المُلَثَّم (١٩٤٦م)[٤]، وعَبْد الرَّحمن العَواملَة (١٩٤٦م)[٥]، وسَعْد جُمْعَة جُمْعَة الأَيُّوبِيّ (١٩٤٦م)[٦]، وسُلَيْمان عَبْد الحَلِيْم الحَدِيْدِيّ (١٩٤٦م)[٧]، وفُؤاد سَلامَة جُمَيْعان (١٩٤٦م)[٨]، وخالد/ اسْمٌ مُسْتَعارٌ فِيْما يَبْدُو (١٩٤٦م)[٩].

جَدْوَلٌ يُدَرِّجُ الكُتّابَ الأُرْدُنِيِّيْنَ الأَوائِلَ وَفْقَ أَقْدَمِيَّةِ النَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة (١٩٢١-١٩٤٦م)

الكاتِب/ الأَدِيْب	أَقْدَمِيَّة سَنَةِ النَّشرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة
سعيد الكَرميّ	1921
مُصطفى وهبي التّلّ	1925
محمّد الشُّريقيّ	1925
أَدِيْب عبّاسيّ	1926
حُسني فَرِيْز	1927
عبد الحليم عبّاس	1929

(١) انْظُر: أَبُو شَرِيْف، تَوْفِيْق، مَشاكِل الأَقَلِّيات، مَجَلّة المُنْتَدى، المُجَلّد٩، العَدَد٣، القُدْس، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٢٣.

(٢) انْظُر: الرِّفاعِيّ، عَبْد المُنْعِم، رَسُول الهُدى (شِعْر)، مَجَلّة المُنْتَدى، المُجَلّد١، العَدَد١٦، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٦.

(٣) انْظُر: الصّلِيبِيّ، رِفْعَت، بَيْنَ الفَنّ وفَنّ الحياة، مَجَلّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد١، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١٠. ص١٠.

(٤) انْظُر: العَوْدات، يَعْقُوب، صُوَر أَدَبِيّة مِنَ القاهِرَة، مَجَلّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٢، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٩، ١٦.

(٥) انْظُر: العَواملَة، عَبْد الرَّحمن، عَلى هامِشِ الأَدَبِ في الأُرْدُنّ، مَجَلّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٤، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٢٦.

(٦) انْظُر: جُمْعَة، سَعْد، الطَّنْطاوِيّ: نَبّاحُ الرَّجْعِيَّة الجَدِيْد، مَجَلّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَد١٧، القُدْس، ١٣٦٦هـ=١٩٤٦م، ص١١.

(٧) انْظُر: الحَدِيْدِيّ، سُلَيْمان، عِبَر الهِجْرَة، مَجَلّة الغَدّ، السَّنَة٢، العَدَد٣٣، القُدْس، ١٣٦٦هـ=١٩٤٦م، ص١٣.

(٨) نَشَرَ فُؤاد جُمَيْعان مَقالَةً بِعُنْوانِ "الرُّمُوز العِلْمِيّة وتَغْيِيرُها فِي العَرَبِيّة"، مَجَلّة المُقْتَطَف، المُجَلّد١٠٨، (العدد؟)، القاهِرَة، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٢٣٣. ولَمْ يَتَسنّ لي الوقُوف عَلى هَذا المُجَلّد وبَعْضِ المُجَلّداتِ التي سَبَقَتْهُ مِنْ مَجَلّةِ المُقْتَطَف (١٩٤٢-١٩٤٦م). وانْظُر تَوْثِيقَ المَقالَة، خَلا ذِكْر العَدَد: عَبْد الرَّحمن، عَبْد الجَبّار، كَشّاف الدَّوْرِيّاتِ العَرَبِيّة (١٨٧٦-١٩٨٤م)، مَرْكَز التَّوْثِيق الإِعْلامِيّ لِدُوَلِ الخَلِيْجِ العَرَبِيّ، الطَّبْعَة١، بَغْداد، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، ج٣، ص١٤.

(٩) انْظُر: خالِد – عَمّان، مِنْ زَوايا النَّفْس: وَسْوَساتٌ وهَمَسات، مَجَلّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٧، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١٦.

الكاتِب/ الأَدِيب	أَقْدَمِيَّة سَنَةِ النَّشرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة
صيّاح الرُّوسان	1931
فَوْزي المُلقي	1931
حنّا القُسوس	1932
تَوْفِيق الحِنّاويّ	1933
رُوكس العُزيزيّ	1934
بَشِيْر الشُّريقيّ	1934
فَرْحان شُبيلات	1934
جريس القُسوس	1935
مُحمُود سيف الدّين الإيرانيّ	1935
شُكْري شعْشاعَة	1935
سُليمان النّابُلسيّ	1935
غسّانيّ (مُستعار)	1935
صُبْحي أبو غَنيْمَة	1935
خَلِيْل الطّوال	1936
مُحمّد أَدَيْب العامِريّ	1937
تَيْسِيْر ظَبْيان	1937
مُحَمّد الأَمِيْن الشّنقيطيّ	1937
عِيْسى النّاعوريّ	1938
محمّد سَليم الرّشْدان	1938
خليلْ السّالم	1938
جُورج العُزيزات	1938
جَمِيْل قُبْعيْن	1938
عبد الكريم الدّبّاس	1938

الكاتِب/ الأديب	أَقْدَميّة سَنَةِ النّشرِ في المَجَلّاتِ العَرَبيّة
فتى الأُردنّ (مُستعار)	1938
تَوْفِيق النّمريّ	1938
عَليّ الحياريّ	1938
مُصْطفى زَيْد الكَيلانيّ	1939
مُصْطفى العَزّام	1939
أَمِيْن النُّوبانيّ	1939
أَميل جُمَيْعان	1941
ناصِر الدّين الأَسَد	1943
تَوْفِيق أَبو شَرِيْف	1945
سَعْد جُمعة	1946
رِفْعَت الصّليبيّ	1946
خالِد (مُسْتَعار)	1946
عبد الرّحمن العواملَة	1946
فُؤاد جُمَيْعان	1946
سُلَيْمان الحَدِيْديّ	1946
يَعْقُوب العَودات	1946
عبد المُنْعِم الرّفاعيّ	1946

هَؤلاءِ هُمُ الكُتّابُ الرُّوّادُ الذينَ كانَتْ لهُمُ السُّهْمَةُ الأُولى فِي المُشارَكَةِ بِنَشْرِ نَتاجِ أَفْكارِهِم وعُقُولِهِم وأَقْلامِهِم فِي المَجَلّاتِ العَرَبيّةِ القَدِيْمَة، قَبْلَ نِهايَةِ آخِرِ سَنَواتِ عَهْدِ الإِمارَة (١٩٤٦م). ومِنَ الحَرِيِّ أَنْ يُشارَ إِلى أَنَّ هَذِهِ القائمَةَ المُرَتَّبَةَ عَلى أَقْدَميَّةِ النَّشْرِ لا تَتَضَمَّنُ سائرَ أَسْماءِ الكُتّابِ الأُرْدُنيِّينَ المَوجُودِيْنَ فِي المَشْهَدِ آنَذاك، وإِنَّما تَقْتَصِرُ عَلى مَنْ وَجَدنا لَهُ إِطْلالَةً فِي المَجَلّاتِ المَنْشُورَةِ خارِجَ الوَطَن.

ومِنَ اللّافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّ عَدَداً مِنَ الكُتّابِ والأُدَباءِ المَعْرُوفِيْنَ فِي السّاحَةِ آنَذاك، مِنْ مِثْل: نَدِيْم المَلّاح، وحَمْزَة العَرَبيّ، وحُسْنِي زَيْد الكَيْلانِيّ، ورَشِيْد زَيْد الكَيْلانِيّ، وحَسَن البَرْقاويّ، وبَهاء الدِّيْن طُوقان، وأَمِيْن أَبُو الشَّعَر، وحَنّا الشَّوارب، ومُصْطَفى السَّكْران، ومِتْري شَرايحَة، وسَعِيْد الدُّرَّة، ويَعْقُوب هاشِم، وعَليّ سِيْدُو الكُرْدِيّ، وجَمِيْل ذِياب، وإِبْراهِيْم هاشِم، وعَبْد الرَّحِيْم الواكِد، وسُلَيْمان

المُوسى، وغَيْرِهم، لَمْ أَعْثُرْ لهُم عَلى مُشارَكاتٍ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، ويَبْدُو أَنَّ نَشاطَهُم فِي النَّشْرِ اقْتَصَرَ عَلى المَجَلّاتِ الوَطَنِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ الصّادِرَةِ آنَذاك، وإِنْ كُنّا وَجَدنا لِبَعْضِهِم إِطْلالَةً فِي مَجَلّاتٍ عَرَبِيَّة، ولَكِنْ بَعْدَ انْقِضاءِ المُدَّةِ التي تَشْمَلُها هَذِهِ الدِّراسَة.

ويَبْدُو واضِحاً أَنَّ الكُتّابَ الأَوائِلَ – مِمَّنْ رَصَدْنا أَسْماءَهُم– لَمْ يَكُونُوا عَلى مُسْتَوًى واحِدٍ مِنْ جِهَةِ اهْتِمامِهِم بِالنَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، فَهُمْ يَتَفاوَتُونَ تَفاوتاً كَبِيراً فِيما نَشَرُوهُ فِي هَذِهِ الأَثْناء، فمِنْهُم مَنْ تَجِدُ لَهُ مُشارَكَةً يَتِيمَةً فَحَسْب، ومِنْهُم مَنْ تَجِدُ لَهُ ما يُقارِبُ خَمْسِيْنَ مُشارَكَة. ويُمْكِنُنا إِعادَةُ تَرْتِيْبِ القائِمَةِ الآنِفَة، بِالنَّظَرِ إِلى مِعْيارِ غَزارَةِ النَّشْرِ ووَفْرَتِهِ – فِي هَذِهِ المُدَّةِ– إِلى ثَلاثَةِ مُسْتَوِيات:

- المُسْتَوى الأَوَّل: ويَضُمُّ الكُتّابَ المُقِلِّين، وهُمُ الذيْنَ وَجَدْنا لهُم مُشارَكاتٍ مَنْشُورَةً دُونَ السَّبْع، وتَشْمَلُ هَذِهِ الفِئَةُ كُلًّا مِنْ: مُصْطَفى التَّلّ، ومُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ، وصُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة، وحَنّا القُسُوس، وفَوْزِي المُلْقِي، وصَيّاح الرُّوسان، وتَوْفِيْق الحِنّاوِيّ، وفَرْحان شُبَيْلات، وشُكْرِي شعْشاعَة، وسُلَيْمان النّابُلْسِيّ، وتَيْسِيْر ظَبْيان، ومُحَمَّد الأَمِيْن الشِّنْقِيْطِيّ، وسَعْد جُمْعَة، وجَمِيْل قُبْعِيْن، وتَوْفِيْق النَّمرِيّ، ورِفْعَت الصّلِيْبِيّ، وعَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ، ويَعْقُوب العَوْدات، وناصِر الدِّيْن الأَسَد، وعَلِيّ الحِيارِيّ، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس، وأَمِيْن النُّوبانِيّ، ومُصْطَفى العَزّام، وأَمِيل جُمَيْعان، وعَبْد الرَّحمن العَواملَة، وسُلَيْمان الحَدِيْدِيّ، وفُؤاد جُمَيْعان، وتَوْفِيْق أَبُو شَرِيْف.
- المُسْتَوى الثّانِي: ويَضُمُّ الكُتّابَ المُتَوَسِّطِيْن، وتَشْمَلُ هَذِهِ الفِئَةُ عَدَداً مِنَ الكُتّابِ الذيْنَ نَشَرُوا ما بَيْنَ سَبْعٍ إِلى خَمسَ عَشرَةَ مُشارَكَةً فِي المُدَّةِ المَدْرُوسَة، وهُمْ: سَعِيْد الكَرْمِيّ، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ، وجُورج العُزَيْزات، وخَلِيْل السّالم، ومُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِيّ.
- المُسْتَوى الثّالث: ويَضُمُّ الكُتّابَ المُكْثِرِيْنَ نِسْبِيّاً، وهُمُ الذيْنَ نَشَرُوا أَزْيَدَ مِنْ خَمسَ عَشرَةَ مُشارَكَة، ويَتَقَدَّمُ هَذِهِ الفِئَةَ أَدِيْب عَبّاسِيّ الذي حازَ قَصَبَ السَّبْق بَيْنَ أَتْرابِهِ ومُعاصِرِيْهِ الأُرْدُنِيِّيْنَ المُهْتَمِّيْنَ بِالكِتابَة، ويُعَدُّ – عَلى ذَلِكَ– أَغْزَرَهُمْ إِنْتاجاً وأَوْفَرَهُمْ نَشْراً فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، فِي هَذِهِ المُدَّةِ تَحْدِيْداً؛ إِذْ نَجِدُ لَهُ قُرابَةَ خَمْسِيْنَ مُشارَكَة، ويَقَعُ فِي هَذا المُسْتوى كُتّابٌ آخَرُونَ، هُمْ: رُوكس العُزَيْزِيّ، وخَلِيْل الطّوال، وحُسْنِي فَرِيْز، وجريس القُسُوس، وعِيْسى النّاعُورِيّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان.

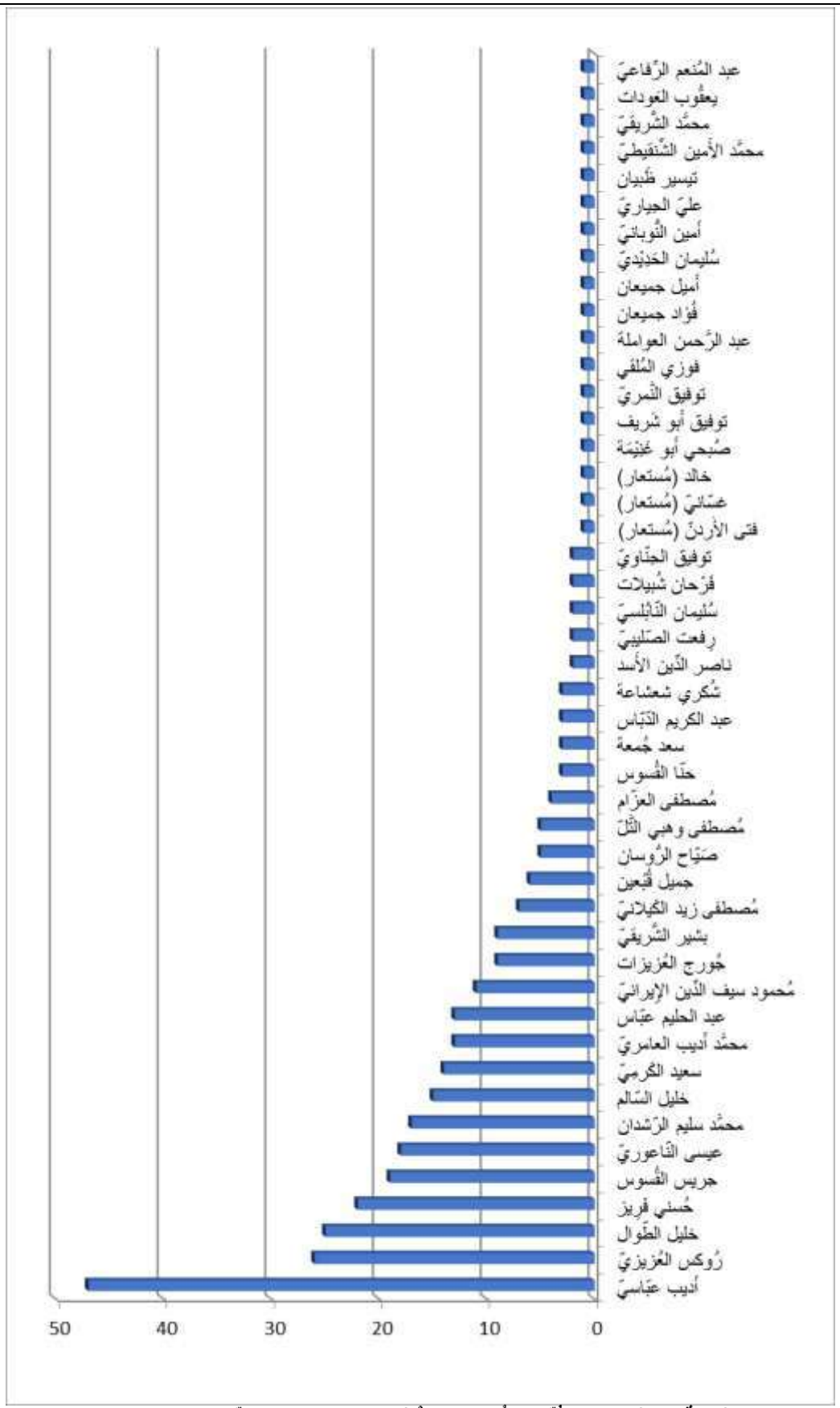

تمثيلٌ بيانيٌّ يدرّجُ الكتّابَ الأُردنيّين وفْقَ حُضورِهم في المجلّاتِ العربيّة (١٩٢١-١٩٤٦م)

ويُلاحَظُ أَنَّ أَكْثَرَ الكُتّابِ كانُوا مِنْ جِيلِ الشَّباب، فمِنْهُم مَنْ كَتَبَ فِي المَجَلّاتِ وهُوَ بَعْدُ دُونَ العِشْرِيْن، كعَبْدِ الحَلِيْم عَبّاس الذي نَشَرَ - وهُوَ فِي السّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِه، وكانَ يَدْرُسُ الحُقُوقَ فِي دِمَشْقَ- ثَلاثَ مَقالاتٍ رَصِيْنَة، فِي مَجَلَّةِ "العِرْفان" اللُّبْنانِيَّة، سَنَةَ (١٩٢٩م)[١]، تَحَدَّثُ فِيها - بِعُمْقٍ- عَنْ قَضايا فَلْسَفِيَّةٍ إِنْسانِيَّة، مُتَأَثِّراً بِأُسْلُوبِ العَقّادِ ومَنْهَجِه، وهُو أَمْرٌ لافِتٌ لمن كانَ فِي تِلْكَ السِّنِّ المُبَكِّرَة، ويَدُلُّ عَلى تَفَوُّقِ الفُتُوَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ آنَذاك، وإِقْبالِ الشَّبابِ الجادِّ عَلى الحَياةِ بِفَضْلِ وَعْيٍ وذَكاء. كَما وَجَدنا مُشارَكاتٍ - فِي بَعْضِ المَجَلّاتِ الطّالِبِيَّةِ العَرَبِيَّةِ- لِبَعْضِ الفِتْيان، مِمَّن كانَتْ أَعْمارُهُمْ أَقَلَّ مِنْ ذَلك[٢]. وكانَ أَكْثَرُ الكُتّابِ حِيْنَ اتَّجَهُوا إِلى الكِتابَةِ فِي المَجَلّاتِ فِي عَقْدِ العِشْرِيْن، بَيْنَما بَدأَ بَعْضُهُم وهُو فِي عَقْدِ الثَّلاثِيْن، مِثْل: مُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ، ومُحَمَّد الأَمِيْن الشِّنْقِيْطِيّ، ورُوكس العُزَيْزِيّ، وتَيْسِيْر ظَبْيان، وتَوْفِيْق الحِنّاوِيّ، ورِفْعَت الصّلِيبِيّ[٣]، وقَلِيْلٌ مِنْهُم مَنْ بَدأَ النَّشْرَ فِي المَجَلّاتِ وهُوَ فِي عَقْدِ الأَرْبَعِيْن.

مِعْطاءَة، وهُوَ الشَّيْخُ سَعِيْد الكَرْمِيّ، المُقِيْمُ - آنَذاك- فِي دِمَشْق؛ رَئِيْساً لِلمَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيِّ بالإِنابَة، وذَلِكَ قُبَيْلَ انْتِقالِهِ إِلى عَمّان؛ لِلعَمَلِ وَزِيْراً لِلقَضاءِ والأَوْقافِ فِي عَدَدٍ مِنَ الحُكُوماتِ الأُرْدُنِيَّةِ المُتَعاقِبَةِ (١٩٢٢-١٩٢٦م). فقَدْ نَشَرَ هَذا الشَّيْخُ الشّامِيُّ - الفلسطِيْنِيُّ السُّورِيُّ الأُرْدُنِيُّ- طائِفَةً مِنَ المَقالاتِ العِلْمِيَّةِ فِي الأَعْدادِ الأُولى مِنْ "مَجَلَّةِ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ"[٤] بِدِمَشْق، وهُوَ عَلى مَشارِفِ السَّبْعِيْن، ثُمَّ شارَكَ بِمَقالَةٍ يَتِيْمَةٍ فِي مَجَلَّةِ "الزَّهْراء"[٥] المِصْرِيَّة، وقَدْ ذَرَّفَ عَلى السَّبْعِيْن، وكانَتْ كِتاباتُهُ فِي "مَجَلَّةِ المَجْمَعِ" - عَلى ما ظَهَرَ لِكاتِبِ هَذِهِ السُّطُور- أُولى الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ التي تَظْهَرُ عَلى صَفَحاتِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة.

ويُمْكِنُ القَوْلُ - بِناءً عَلى فَحْصِ تَواريْخِ الوِلاداتِ- إِنَّ الشَّيْخَ الكَرْمِيَّ هُو أَقْدَمُ هَؤلاءِ الكُتّابِ مَوْلِداً (١٨٥٢م)، وهُوَ أَوَّلُهُم رَحِيْلاً عَنِ الدُّنْيا (١٩٣٥م)[٦]، وأَنَّ عَدَداً مِنْهُم وُلِدُوا بَعْدَ قِيامِ الإِمارَةِ بِسَنَواتٍ

---

(١) انْظُر: السَّنَة١٧، الأَعْداد: ١، ٤، ١٠، بَيْرُوت، ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م.

(٢) بِناءً عَلى تَرْجِيْحِ أَنَّ وِلادَتَهُ كانَتْ سَنَةَ (١٩١٣م)، انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، الأَعْمال الأَدَبِيَّة الكامِلَة، جَمْع وتَقْدِيْم وتَحْقِيْق: مُنى محيلان وزِيَاد أَبُو لَبَن، مَنْشُورات أَمانَةِ عَمّان الكُبْرى، الطَّبْعَة١، عَمّان، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م، ج١، ص٥ (مُقَدِّمَة المُحَقِّقَيْن). ومِنَ الباحِثِيْنَ مَنْ يَرى أَنَّ وِلادَتَهُ كانَتْ سَنَةَ (١٩١٠م)، انْظُر: هاشِم، كايد، شَباب الأُرْدُنّ فِي المِيْزان، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١.

(٣) انْظُر الجَدْوَلَ الوارِدَ فِي آخِرِ المَبْحَثِ الثّانِي - مِنْ هَذِهِ الدِّراسَةِ- مُتَضَمِّناً أَعْمارَ سائِرِ الكُتّابِ والأُدَباءِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الرُّوّادِ حِيْنَ شُرُوعِهِم بِالكِتابَةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة.

(٤) انْظُر: المُجَلَّد١، الأَعْداد: ١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، والمُجَلَّد٢، الأَعْداد: الأَعْداد: ١، ٢، ٣، ٤، ١٣٤٠هـ=١٩٢٢م.

(٥) انْظُر: الكَرْمِيّ، سَعِيْد، الأَرامِل، مَجَلَّة الزَّهْراء، المُجَلَّد٤، العَدَد١٠، القاهِرَة، ١٣٤٦هـ=١٩٢٧م، ص٦١٥-٦١٧.

(٦) انْظُر: الزِّرِكْلِيّ، خَيْر الدِّيْن، الأَعْلام، دار العِلْم لِلمَلايين، الطَّبْعَة٩، بَيْرُوت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج٣، ص٩٨-٩٩، والبَوّاب، مَرْوان، أَعْلام مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِدِمَشْق فِي مِئَةِ عام (١٩١٩-٢٠١٩م)، مَطْبُوعات مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، الطَّبْعَة١، دِمَشْق، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م، ص٣٩-٤١.

قَلِيْلَة، وأنَّ العَلّامةَ ناصِرَ الدِّيْنِ الأسَد هُو آخِرُهُم رَحِيْلاً عَنِ الدُّنيا (٢٠١٥م)[١]، وإنَّ وِلاداتِ أكْثَرِهِم تَرْجِعُ إلى العَقْدَيْنِ الأوَّلَيْنِ مِنْ مَشْرَعِ القَرْنِ العِشْرِيْنَ[٢].

ولَنا أنْ نَلْحَظَ مُشارَكَةَ بَعْضِ الطُّلّابِ النّابِهِيْنَ فِي بَعْضِ المَدارِسِ الأُرْدُنِيَّةِ آنَذاك – كَمَدْرَسَةِ السَّلْط[٣]، ومَدْرَسَةِ عَمّان، ومَدْرَسَةِ الصَّنائِعِ والفُنونِ بِعَمّان– بِالنَّشْرِ فِي بَعْضِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي تُعْنى بِالإبْداعِ الطُّلّابِيّ، وأهَمُّها مَجَلَّةُ "الغَدّ" التي كانَتْ تَصْدُرُ فِي بَيْتَ لحمَ ثُمَّ القُدْس، فَقَدْ نَشَرَ فِيْها عَدَدٌ مِنَ الطُّلّابِ والشَّبابِ الأُرْدُنِيِّينَ، مِنْ مِثْل: خَلِيْل السّالم، ومُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِيّ، ومُصْطَفى العَزّام، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس، وتَوْفِيْق النَّمريّ، وعَلِيّ الحِيارِيّ، وأمِيْن النُّوبانِيّ. واسْتَطاعَ هَؤلاءِ أنْ يُقَدِّمُوا – فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ وغَيْرِها– مُشارَكاتٍ جاءَتْ مَقالاتٍ وخَواطِرَ وقَصائِد، لا أقَلَّ مِنْ أنْ يُقالَ إنَّ مُسْتَواها الفَنِّيَّ مُبْهِج؛ قِياساً بِأعْمارِ كُتّابِها.

ويَظْهَرُ لِلنّاظِرِ اخْتِفاءُ الصَّوْتِ النِّسْوِيِّ وغِيابُهُ عَنِ المَشْهَدِ تَماماً، وقَدْ لا يَبْدُو هَذا الأمْرُ مُسْتَغْرَباً إذا احْتَكَمْنا إلى الظُّرُوفِ الاجْتِماعِيَّةِ التي كانَتِ المَرأةُ الأُرْدُنِيَّةُ تَعِيْشُها فِي ذَلِكَ الوَقْت؛ إذْ كانَتْ مَهْمُومَةً بِرِعايَةِ شُؤونِ البَيْت، مُنْصَرِفَةً إلى القِيامِ عَلى تَرْبِيَةِ الأبْناء، ومُشارَكَةِ الرَّجُل فِي أعْماله، ولَمْ يَكُنْ لأكْثَرِ الفَتَياتِ حَظٌّ مِنَ التَّعْلِيْم، بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي الإمارَةِ سِوى عَدَدٍ مَحْدُودٍ مِنْ مَدارِسِ البَناتِ النّاشِئَةِ حَدِيْثاً[٤]. ورُغْمَ ذَلِكَ كُلِّه، طَفَقَ الصَّوْتُ الثَّقافِيُّ النِّسْوِيُّ يُطِلُّ بِصُورَةٍ أجْلى مَع مُرُورِ الوَقْت، ومَع إطْلالَةِ عَقْدِ الأرْبَعِيْنَ مِنَ القَرْنِ المُنْصَرِمِ نُشِرَتْ بَعْضُ المُشارَكاتِ النِّسْوِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ – وغالِباً ما ظَهَرَتْ بِأسْماءٍ مُرَمَّزَةٍ أو مُسْتَعارَةٍ– فِي بَعْضِ الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ الأُرْدُنِيَّة، ولا سِيّما جَرِيْدَةُ "الجَزِيْرَة" ومَجَلَّةُ "الرّائد"[٥]. ويُمْكِنُ القَوْلُ إنَّ هَذِهِ المُشارَكاتِ هِيَ أُولى الكِتاباتِ النِّسْوِيَّةِ التي تَجاوَبَتْ فِي السّاحَةِ المَحَلِّيَّة زَمَنَذاك، ولَكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ – فِيْما يَبْدُو– أنْ تُغادِرَ مُحِيْطَها الوَطَنِيَّ إلى دائِرَةِ النَّشْرِ الأوْسَعِ فِي الدَّوْرِيّاتِ العَرَبِيَّة، إلّا بَعْدَ مُنْتَهى هَذا العَهْد.

وعَلى نَحْوٍ عام، كانَ جُلُّ هَؤلاءِ الكُتّابِ الرُّوّادِ مُثَقَّفِيْنَ ثَقافَةً مَتِيْنَة، شَفَّتْ عَنْها كِتاباتُهُم المُبَكِّرَةُ التي كُتِبَتْ بِأنْفاسٍ قَوِيَّةٍ مُتَدَفِّقَة، وأُسْلُوبٍ سامٍ مُشْرِق، يَدُلُّ عَلى تَمَكُّنِهِم اللُّغَوِيّ ، وتَضَلُّعِهِم المَعْرِفِيّ، ولا

---

(١) انْظُر: العَلاونَة، أحْمَد، نَبْل الأعْلام، دار المَنارَة – جُدَّة، ودار ابن حَزْم– بَيْرُوت، الطَّبْعَة الأُولى، ١٤٣٩هـ=٢٠١٨م، ج٥، ص١٩٠. وعَلَيَّ أنْ أذْكُرَ لِلقارئ – مِنْ بابِ الأمانَةِ العِلْمِيَّة– أنِّي قَرأتُ – سَنَةَ (٢٠١٦م) فِي بَعْضِ الأخْبارِ التي تَحْمِلُها إلينا الشّابِكَةُ العالَمِيَّةُ (الإنترنت) أنَّ الباحِثَ الأُرْدُنِيَّ المُهاجِرَ فُؤاد جُمَيْعان – الذي يُقِيْم فِي أمْرِيكا مُنْذُ عَقْدِ الخَمْسِيْنَ مِنَ القَرْنِ الفائِتِ– يَعِيْشُ فِي ولايَةِ (فلوريدا)، وأنَّه يَبْلُغُ (٩٤) سَنَة، ولَمْ يَتَسَنَّ لِي التَّأكُّدُ مِنْ صِدْقِ الخَبر. ويُلاحَظُ أنَّ مَعارِفَنا عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ التي عَمِلَتْ فِي تَحْقِيْقِ التُّراثِ العِلْمِيِّ العَرَبِيِّ ودِراسَتِه – مُنْذُ عَقْدِ الأرْبَعِيْنَ مِنَ القَرْنِ المُنْصَرِمِ– قَلِيْلَةٌ جِدّاً.

(٢) انْظُر الجَدْوَلَ الوارِدَ فِي آخِرِ المَبْحَثِ الثّانِي – مِنْ هَذِهِ الدِّراسَة– مُتَضَمِّناً وِلادَتَ الكُتّابِ والأُدَباءِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الرُّوّادِ ووَفَياتِهِم.

(٣) انْظُر حَوْلَ ما كانَ يَنْشُرُهُ طُلّابُ مَدْرَسَةِ السَّلْطِ فِي بَعْضِ المَجَلّاتِ الطّالِبِيَّةِ الأُرْدُنِيَّة، مَحاسِنَه، مُحَمَّد حُسَيْن (ورِفاقه)، مَدْرَسَة السَّلْط: سِيْرَةٌ ومَسِيْرَة، مَنْشُورات جامِعَةِ مُؤتَة، الكَرَك، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ج١، ٢٦٤-٢٨٣.

(٤) انْظُر: أبُو الشَّعَر، هِنْد، والسَّواريَة، نُوفان، عَمّان فِي العَهْدِ الهاشِمِيّ (١٩١٦-١٩٥٢م)، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥٩.

(٥) انْظُر: قَطامِي، سَمِيْر، الحَرَكَة الأدَبِيَّة فِي شَرْقِ الأُرْدُنّ مُنْذُ قِيامِ الإمارَةِ حَتّى سَنَةِ ١٩٤٨م، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، مُصَوَّرَة عَنِ الطَّبْعَةِ الأُولى، عَمّان، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م، ص٢٧٧-٣٠٤.

سيَّما أَنَّ أَكْثَرَهُم كانُوا يَحْمِلُونَ المُؤَهِّلاتِ الجامِعِيَّة، وتَخرَّجَ نَفَرٌ مِنْهُم في الجامِعَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ – في بَيْرُوتَ– كَفَرِيْز وعَبّاسِيّ والعامِرِيّ والرُّوسان والرِّفاعِيّ والنابُلْسِيّ والمُلْقِي والرِّفاعِيّ وجريس القُسُوس والسّالم والرَّشْدان. ومِنْهُم مَنْ تَخرَّجَ في جامِعَةِ دِمَشْق، أَو أَحَدِ مَعاهِدِها العِلْمِيَّة، كالطّوال ومُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ الحِنّاوِيّ والصّلِيبِيّ وسَعْد جُمْعَة والحَدِيْدِيّ. ومِنْهُم مَنْ تَخَرَّجَ في جامِعَةِ القاهِرَةِ (جامِعَة فُؤاد الأَوَّل)، كالأَسَد. وكانَ عَدَدٌ مِنْهُم مِنْ أَوائِلِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الذينَ حَصَلُوا عَلى الدَّرَجَةِ الجامِعِيَّةِ الأُولى في عَقْدَي: العِشْرِيْنَ والثَّلاثِيْنَ مِنَ القَرْنِ الفائت. ومِنْهُم مَنْ دَرَسَ في الجامِعاتِ الأُورُوبِيَّة، كَحنّا القُسُوس وصُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة وفَوْزِي المُلْقِي.

ومِنْ هَذا الفَرِيْق مَن اسْتَكْمَلَ الدِّراسَةَ والمُباحَثَةَ عَلى نَفْسِه؛ لأَنَّ ضِيْقَ ذاتِ يَدِهِ وظُرُوفَهُ المُعْسِرَةَ وَقَفَتْ حائِلاً مَنِيْعاً أَمامَ انْتِظامِهِ في الجامِعَة، كالإِيْرانِيِّ ورُوكس العُزَيْزِيِّ وجُورج العُزَيْزات والنّاعُورِيِّ وشعْشاعَة والعَوْدات والعَزّام[1]، ومِنْهُم مَنِ انْسَحَبَ مِنَ الجامِعَة ولَمْ يَتَسَنَّ لَهُ إِتْمامُ الدِّراسَةِ فِيْها، كعَبْدِ الحَلِيْم عَبّاس[2]. ويُلاحَظُ أَنَّ ناصِرَ الدِّيْن الأَسَد هُوَ الأَوْحَدُ مِنْ بَيْنِ هَؤلاءِ الكُتّاب الذي اكْتَسى الثَّوْبَ الأَكادِيْمِيَّ الخالص، وذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ دِراسَةَ (الدّكتوراه) لاحِقاً (١٩٥٥م)، وتَحَوَّلَ إِلى السِّلْكِ التَّعْلِيْمِيِّ الجامِعِيّ، لِيَكُونَ أَوَّلَ رَئِيْسِ جامِعَةٍ تُؤَسَّسُ في البِلادِ (١٩٦٢م). وكانَ الرَّشْدانُ أَوَّلَ مَنْ سَلَكَ سَبِيْلَ الدِّراساتِ العُلْيا مِنْ جِيْلِ الرُّوّاد، إِذْ حَصَلَ عَلى (الماجستير) في الآدابِ والسّامِيّاتِ مِنَ الجامِعَةِ العِبْرِيَّة، قَبْلَ انْتِهاءِ هَذا الطَّوْر.

ولَعَلَّهُ يَبْدُو واضِحاً أَنَّ هَؤلاءِ الكُتّابَ كانُوا مُتَعَدِّدِي الوَظائِفِ والتَّخَصُّصاتِ والاهْتِمامات، فَقَدْ كانَ عَدَدٌ كَبِيْرٌ مِنْهُم يَعْمَلُ – في هَذا الطَّوْرِ المُبَكِّر– في سِلْكِ المَعارِفِ والتَّعْلِيْم، أَبْرَزُهُم: مُصْطَفى وَهْبِي التَّلّ، ومُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ، وأَدِيْب عَبّاسِيّ، ورُوكس العُزَيْزِيّ، وتَيْسِيْر ظَبْيان، مُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ، وصَيّاح الرُّوسان، وحُسْنِي فَرِيْز، وعِيْسى النّاعُورِيّ، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، وخَلِيْل الطّوال، وفَرْحان شُبَيْلات، وسُلَيْمان النّابُلْسِيّ، وجُورج العُزَيْزات، وعَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ، وخَلِيْل السّالم، وناصِر الدِّيْن الأَسَد، ومُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِيّ.

ويُلاحَظُ أَنَّ عَدَداً مِنَ هَذا الفَرِيْق انْتَقَلَ لِلعَمَلِ في سِلْكِ الإِداراتِ الحُكُومِيَّةِ مِنْ بَعْدُ، ومِنْهُم مَنْ تَقَلَّبَ بَيْنَ سِلْكَي: التَّعْلِيْمِ والإِدارَةِ الحُكُومِيَّة. وهَكَذا، نَرى أَنَّ الكُتّابَ الأُرْدُنِيِّيْنَ الرُّوّاد، كانَ مِنْهُم: الطّالِب، والمُعَلِّم، والمُفَتِّش التَّرْبَوِيّ، والكاتِب، والمُتَرْجِم، والنّاقِد، والمُؤَرِّخ، والشّاعِر، واللُّغَوِيّ، والمُحَقِّق، والباحِث، والقاصّ، والرِّوائِي، والفَنّان، والمُوَظَّف، والمُدِيْر الإِدارِيّ، والحاكِم الإِداريّ، والقاضِي، والقانُونِيّ، والمُحامِي، والصُّحفِيّ، والخَطِيْب، والسِّياسِيّ، والاقْتِصادِيّ، والعَسْكَرِيّ، والطَّبِيْب، والبِيْطار، والسَّفِيْر، والوَزِيْر، وغَيْرُ ذَلِك.

---

(1) أَخْبرني بِذَلِكَ – مَشْكُوراً– نَجْلُهُ الدّكتور هَيْثَم العَزّام (٧١عاماً) في اتِّصالٍ هاتِفِيٍّ بِتارِيْخ ٢٠٢١/٩/١٩م.

(2) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، الأَعْمال الأَدَبِيَّة الكامِلَة، مَصْدَرٌ سابِق، ج١، ص٥ (مُقَدِّمَة التَّحْقِيْق).

كَما يُلاحَظُ أَنَّ عَدَداً كَبيراً مِنْهُم تَسَنَّمُوا – في هَذا الطَّوْرِ ولاحِقِه– مَناصِبَ رفيعَةً فِي الدَّوْلَة، حَتّى إِنَّ أَرْبَعَةً مِنْهم شَغَلُوا مَنْصِبَ رَئيسِ الوزُراء، وهُمْ: فَوْزي المُلْقي، وسُلَيْمان النّابُلُسيّ، وسَعْد جُمْعَة، وعَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ. وعُيِّن أَحَدُ هؤلاءِ الكُتّاب فِي مَنْصِب نائب رَئيسِ الوزُراء، وهُو الشَّيْخ مُحَمَّد الأَمين الشِّنْقيطيّ. وتَقَلَّدَ عَدَدٌ مِنْهُم حَقائبَ وزارِيَّةً – غَيْرَ مَرَّةٍ– مِثْل: مُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ، وحَنّا القُسُوس، وشُكْري شعْشاعَة، وفَرْحان شُبَيْلات، وخَلِيل السّالم، ومُحَمَّد أَديب العامِريّ، وناصِر الدِّين الأَسَد، وسُلَيْمان الحَدِيدِيّ. كَما عَمِلَ بَعْضُهُم فِي مَناصِبَ حُكُوميَّةٍ وثَقافِيَّةٍ مُهِمَّة، مِثْل: مُصْطَفى التَّلّ، وحُسْني فَرِيْز، وصُبْحي أَبُو غَنيْمَة، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، وصَيّاح الرُّوسان، وجريس القُسُوس، وعِيْسى النّاعُورِيّ، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ.

وفِي قُبالَةِ ذَلِكَ، آثَرَ بَعْضُ الكُتّاب العَمَلَ فِي مِهْنَتِهِ الخاصّة، كالشّاعِرِ الطَّبِيْب تَوْفِيْق الحِنّاوِيّ، وكانَ يَعْمَلُ فِي عِيادَتِهِ الخاصّةِ في مَدِيْنَةِ إِرْبِد، ومِثْلُهُ الكاتِبُ الطَّبِيْبُ خَلِيْل الطّوال، وكانَ يَعْمَلُ طَبِيْباً فِي دِمَشْقَ سَنَوات، بَعْدَ تَخَرُّجِهِ هُناك، ثُمَّ عادَ أَدْراجَهُ إِلى مَدِيْنَةِ عَمّان، واسْتَمَرَّ يَعْمَلُ فِي عِيادَتِهِ الخاصّة، بَعْدَ أَن اعْتَزَلَ الكِتابَة، إِلى أَنْ وافَتْهُ المَنِيَّة.

ولَنا أَنْ نُشِيْرَ إِلى تَجْرِبَةِ الكاتِب أَدِيْب عَبّاسِيّ، الذي عَمِلَ فِي سَنَواتِهِ الأُولى مُعَلِّماً، ثُمَّ اعْتَزَلَ فِي صَوْمَعَتِه العِلْمِيَّة، مُنْذُ سَنَةِ (١٩٤٢م)، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ التَّعْلِيْمَ مُضْطَرّاً، وتَحَوَّلَ إِلى بَيْتِهِ القَدِيْم، فِي قَرْيَةِ الحِصْنِ فِي مَدِيْنَةِ إِرْبِد، وعاشَ حَياتَهُ عازِباً، بُوهِيمِيّاً، مُنْقَطِعاً عَنْ مُشارَكاتِهِ الثَّقافِيَّةِ ومُبادَلاتِهِ الاجْتِماعِيَّةِ ومُطارَحاتِهِ الفِكْرِيَّة، عاكِفاً عَلى القِراءةِ والكِتابَةِ والتَّصْنِيْف، إِلى أَنْ رَحَلَ عَنِ الدُّنْيا وهُوَ عَلى تِلْكَ الحال[١].

وإِذا ما أُتِيْحَ لَنا أَنْ نَتَرَسَّمَ خَرِيْطَةَ تَوْزِيْعِ هؤلاءِ الكُتّابِ الجُغْرافِيَّة، وَجَدْنا مَدِيْنَةَ السَّلْطِ تَسْتَأْثِرُ بِالنَّصِيْبِ الأَكْبَرِ مِنْ هؤلاءِ الكُتّابِ والأُدَباء، وهُمْ: حُسْني فَرِيْز، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، وسُلَيْمان النّابُلُسيّ، وجَمِيْل قُبْعين، ورِفْعَت الصّلِيْبِيّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان، ومُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِيّ، وسُلَيْمان الحَدِيْدِيّ، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس، وعَلِيّ الحِيارِيّ، وعَبْد الرَّحمن العَواملَة؛ وهَذا راجِعٌ إِلى وجُودِ المَدْرَسَةِ الثّانَوِيَّةِ الوَحِيْدَةِ فِي الأُرْدُنِّ فِي هَذِهِ المَدِيْنَةِ التي خَرَّجَتْ طَلائِعَ الكُتّابِ والمُفَكِّرِيْنَ والباحِثِيْنَ فِي الوَطَن . تَتْلُوها مَدِيْنَةُ إِرْبِد؛ إِذْ تَسْتَأْثِرُ بِتِسْعَةٍ مِنَ الكُتّابِ والأُدَباء، وهُمْ: مُصْطفى التَّلّ، وأَدِيْب عَبّاسِيّ، وصُبْحي أَبُو غَنِيْمَة، وفَوْزي المُلْقي، وصَيّاح الرُّوسان، وخَلِيْل السّالم، وتَوْفِيْق النَّمرِيّ، ومُصْطَفى العَزّام، وتَوْفِيْق أَبُو شَرِيْف. بَيْنَما تَسْتَأْثِرُ مَدِيْنَةُ مأدبا بِخَمْسَةِ كُتّاب، هُمْ: رُوكس العُزَيْزِيّ، وجُورج العُزَيْزات[٢]، وخَلِيْل الطّوال، وفُؤاد جُمَيْعان، وأَميل جُمَيْعان[٣]. ونَجِدُ – بَعْدَ ذَلِكَ– ثَلاثَةَ كُتّابٍ مِنْ مَدِيْنَةِ عَمّان، هُمْ: عِيْسى النّاعُورِيّ، وأَمِيْن النُّوبانِيّ، وخالِد (اسْمٌ مُسْتَعار)، وثَلاثَةَ كُتّابٍ مِنْ مَدِيْنَةِ مِنَ الكَرَك، هُمْ: حَنّا القُسُوس،

---

(١) انْظُر: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، بُنَيّات الطَّرِيْق: خَواطِرُ فِي الحَياةِ والأَخْلاق والاجْتِماعِ والفَلْسَفَة، تَقْدِيْم: سَمِيْر قَطامِي، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة لِلدِّراساتِ والنَّشْرِ وأَمانَة عَمّان الكُبْرى، ط١، بَيْرُوت – عَمّان، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م، ص٦–٨.

(٢) رُوكس وجُورج أَبْناءُ عُمُومَة.

(٣) أَميل وفُؤاد أَبْناءُ عُمُومَةٍ أَيْضاً.

وجريس القُسُوس، ويَعْقُوب العَوْدات، وآخَرَيْنِ مِنَ الطَّفِيْلَة، هُما: فَرْحان شُبَيْلات، وسَعْد جُمْعة، وآخَرَ مِنَ العَقَبَة، هُوَ ناصِر الدِّيْن الأَسَد. ويَجِبُ أَلّا يَغِيْبَ عَنِ البالِ أَنَّ هَذِهِ المُدُنَ كانَتْ بَلْداتٍ صَغِيْرَة، تُشْبِه القُرى، فَقَدْ كانَتْ عَمّانُ – قَبْل أَنْ تُتَّخَذَ عاصِمَةً– قَرْيَةً مَحْدُودَةَ المَوارِدِ والسُّكّان، ولَذا قَلَّ نَصِيْبُها مِنَ الكُتّابِ والمُبْدِعِيْنَ فِي ذَلِكَ الطَّوْر.

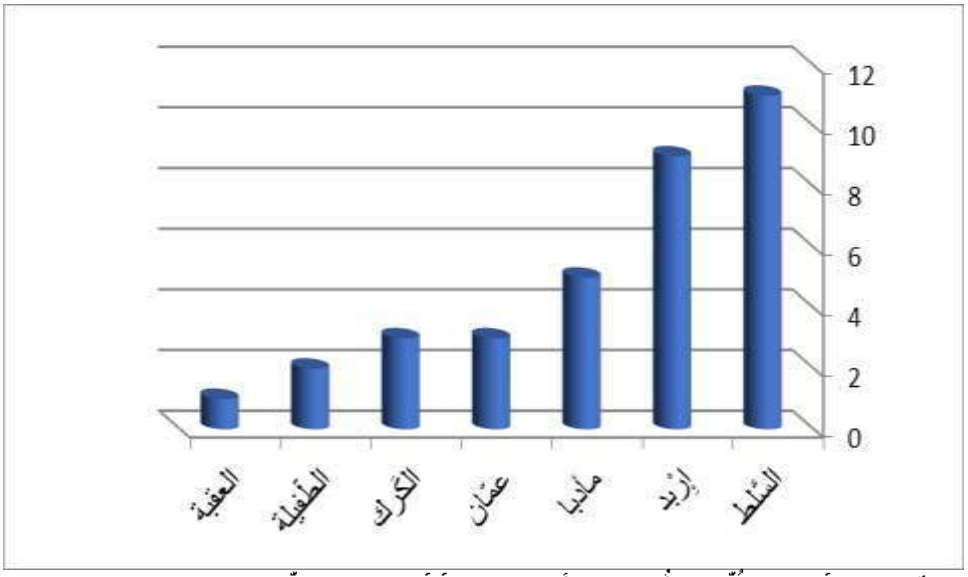

مُثَيِّلٌ بَيانِيٌّ يُوَضِّحُ تَوْزِيْعَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الأَوائِلِ الذِيْنَ نَشَرُوا فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١-١٩٤٦م)

كَما نَجِدُ كُتّاباً آخَرِيْنَ جاءُوا مِنْ سُورِيَّةَ واسْتَوْطَنُوا الأُرْدُنّ، وهُمْ: مُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، وتَوْفِيْق الحِنّاوِيّ، وتَيْسِيْر ظَبْيان، وآخَرِيْنَ مِنْ فِلَسْطِيْنَ، وهُمْ: سَعِيْد الكَرْمِيّ، وشُكْرِي شَعْشاعَة، وعَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ. وأَمّا مُحَمَّدُ الأَمِيْن الشِّنْقِيْطِيّ، فَجاءَ ووالِدُهُ مُحَمَّدُ الخِضْرِ بنُ ما يأبى الشِّنْقِيْطِيّ مِنَ الحِجاز، صُحْبَةَ الأَمِيْرِ عَبْدِ الله بنِ الحُسَيْن. وكانَ كَثِيْرٌ مِنْ هَؤلاءِ الكُتّابِ قَدِ انْتَقَلُوا لِلعَيْشِ فِي مَدِيْنَةِ عَمّانَ وأَكْنافِها، بَعْدَ أَن أَضْحَتْ عاصِمَةَ البِلاد، ومُسْتَقَرَّ النَّشاطِ السِّياسِيِّ والاقْتِصادِيِّ والثَّقافِيِّ فِي الوَطَن.

وبِالنَّظَرِ فِي تَوْقِيْعاتِ الكُتّابِ فِي ذُيُولِ المَقالاتِ التي نُشِرَتْ فِي هَذِهِ المدّة، عَرَفْنا عَدَداً مِنَ الأَمْكِنَةِ الأُرْدُنِيَّةِ التي كانَتْ تُكْتَبُ مِنْها المَقالات، فَقَدْ كانَ يَظْهَرُ – فِي الغالِب– فِي لَواحِقِ المَقالاتِ – بَعْدَ اسْمِ الكاتِب– اسْمُ "شَرْق الأُرْدُنّ"[1]، مَتْبُوعاً – فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْيانِ– بِاسْمِ المَدِيْنَةِ – أَو القَرْيَةِ– التي يُقِيْمُ فِيْها الكاتِب. وهُوَ مَنْحًى لَطِيْفٌ مِنَ التَّوْثِيْقِ المَعْمُولِ بِهِ – آنَذاك– فِي عَدَدٍ مِنَ المَجَلّات، ولا سِيَّما مَجَلَّةُ

(1) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١، العَدَد٢٣، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٣م، ص١٤.

"الرِّسالَة" المِصْرِيَّة. ومِنْ أَهَمِّ المَواضِعِ الأُرْدُنِيَّةِ التي ظَهَرَتْ أَسْماؤها صَرِيْحَةً: عَمّان[١]، والسَّلْط[٢]، وجَرَش[٣]، وإِرْبِد[٤]، والحِصْن[٥]، وعَجْلُون[٦]، والكَرَك[٧]، والشَّوْبَك ووادِي مُوسى[٨].

كَما عَرَفْنا – بِالمِثْل– أَنَّ عَدَداً مِنَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ كَتَبَ مَقالاتِهِ مِنْ مَدِيْنَةِ القُدْس[٩]؛ فِي أَثْناءِ دِراسَتِهِ أَو عَمَلِهِ فِيْها، مِثْل: أَدِيْب عَبّاسِيّ، ورُوكس العُزَيْزِيّ، وعِيْسى النّاعُورِيّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان. كَما كَتَبَ بَعْضُ الكُتّابِ عَدَداً مِنَ مَقالاتِهِم الأُولى وهُمْ طُلّابٌ يَدْرُسُونَ خارِجَ الوَطَن، فَقَدْ كَتَبَ أَدِيْب عَبّاسِيّ وفَوْزِي المُلْقِي وصَبّاح الرُّوسان وجريس القُسُوس وخَلِيْل السّالِم وغَيْرُهُم عَدَداً مِنْ مَقالاتِهِم الأُولى مِنْ بَيْرُوت[١٠]، إِبّانَ دِراسَتِهِم فِي الجامِعَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ هُناك. كَما كَتَبَ عَبْدُ الحَلِيْم عَبّاس وخَلِيْلُ الطّوال جُمْلَةً مِنْ مَقالاتِهِما الأُولى وهُما عَلى مَقاعِدِ الدِّراسَةِ الجامِعِيَّةِ فِي دِمَشْق[١١].

ويُسْتَبانُ أَنَّ فَرِيْقاً مِنَ الكُتّابِ والأُدَباءِ الرُّوادِ سَعَوا فِي بِناءِ مَشْرُوعاتِ نَشْرٍ خاصَّةٍ بِهِم؛ لِيَسُدُّوا بَعْضَ الفَراغِ الكَبِيْرِ النّاجِمِ عَنْ قِلَّةِ الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ فِي السّاحَةِ الأُرْدُنِيَّة، ومالَ أَكْثَرُ هَذا الفَرِيْق إِلى تأْسِيْسِ جَرِيْدَةٍ أَو مَجَلَّة، فأَسَّسَ صُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة– سَنَةَ (١٩٢٣م)– مَجَلَّةَ "الحَمامَة" فِي (أَلمانيا) – إِبّانَ دِراسَتِهِ هُناك، وأَسَّسَ عَرارٌ جَرِيْدَةَ "الأَنْباء"، سَنَةَ (١٩٢٨م)، وأَسَّسَ نَدِيْم المَلّاح مَجَلَّةَ "الحِكْمَة"، سَنَةَ (١٩٣٢م)[١٢]، وأَسَّسَ صُبْحِي أَبُو غَنِيْمَةَ وعادِل العَظْمَة جَرِيْدَةَ "المِيْثاق"، سَنَةَ (١٩٣٣م)، ونَقَلَ تَيْسِيْر ظَبْيان جَرِيْدَةَ "الجَزِيْرَة" مِنْ دِمَشْقَ إِلى عَمّان، سَنَةَ (١٩٣٩م)، وأَسَّسَ أَمِيْن أَبُو الشَّعَر مَجَلَّةَ "الرّائِد"، سَنَةَ (١٩٤٥م)[١٣]، وتابع الكُتّابُ – كالحَدِيْدِيِّ وظَبْيان وغَيْرِهِما– تأْسِيْسَ مَشْرُوعاتٍ أُخْرى بَعْدَ مُنْصَرَمِ هذا العَهْد، كَما عَمِلَ بَعْضُ الكُتّابِ – كالشَّرَيْقِيِّ والإِيْرانِيِّ والطّوالِ والرَّشْدان– فِي وَظِيْفَةِ

---

(١) انْظُر مِثالاً: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٥، العَدَد٢١٨، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٤٥٤.

(٢) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة الدُّهُور، العَدَد٨، بَيْرُوت، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٧٩٣.

(٣) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٩، الجُزْءان٤-٥، صَيْدا، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٤٠٦.

(٤) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد ٧٨، الجُزْء١، القاهِرَة، ١٣٤٩هـ=١٩٣١، ص٤٨.

(٥) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٩، العَدَد٤٦١، القاهِرَة، ١٣٦٠هـ=١٩٤١م، ص٩٦٦.

(٦) انْظُر مِثالاً: المَجَلَّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٣، العَدَد٨، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٥٤.

(٧) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد١١٦، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٥٤٣.

(٨) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة مينرفا، السَّنَة٣، العَدَد١٠، بَيْرُوت، ١٣٤٣هـ=١٩٢٥م، ص٥١٩.

(٩) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٦٩، العَدَد٤، القاهِرَة، ١٣٤٥هـ=١٩٢٦م، ص٣٨٤، ومَجَلَّة الأَدِيْب، السَّنَة٤، العَدَد١٠، بَيْرُوت، ١٣٦٤هـ=١٩٦٥م، ص٢٢.

(١٠) انْظُر مِثالاً: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٣، العَدَد١، صَيْدا، ١٣٥١هـ=١٩٣٢م، ص٨٦.

(١١) انْظُر مِثالاً: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد١٧، العَدَد١، صَيْدا، ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م، ص٢٠.

(١٢) نَشَرَتِ اللَّجْنَةُ الوَطَنِيَّةُ العُلْيا لِإِعْلانِ عَمّانَ عاصِمَةً لِلثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ لعام ٢٠٠٢م أَرْشِيْفَ مَجَلَّةِ "الحِكْمَة" مُصَوَّراً، فِي مُجَلَّدٍ يَتَضَمَّنُ (١١) عَدَداً، عَمّان، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(١٣) انْظُر: المُوسى، سُلَيْمان، إِمارة شَرْقِي الأُرْدُنّ: نَشْأَتُها وتَطَوُّرُها فِي رُبْع قَرْن (١٩٢١-١٩٤٦م)، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، مُصَوَّرَة عَنِ الطَّبْعَةِ الأُولى، عَمّان، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م، ص٣٧٠-٣٧٧.

رَئِيْسِ – أَو مُدِيْرِ– تَحْرِيْرِ لِبَعْضِ الجَرائِدِ والمَجَلّاتِ داخِلَ الأُرْدُنِّ وخارِجَه. ولَكِنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ المَشْرُوعاتِ واجَهَتْ صُعُوباتٍ جَمَّة، فَلَمْ تَسْتَطِعِ الصُّمُودَ والبَقاءَ طَوِيْلاً، وسَرْعانَ ما نَكَّسَتْ راياتِها وأَغْلَقَتْ أَبْوابَها.

ولَعَلَّهُ يَتراءى جَلِيّاً أَنَّ الكُتّابَ المَسِيْحِيِّيْنَ شَكَّلُوا نِسْبَةً لا بأسَ بِها مِنْ بَيْنِ الرُّوّاد، وهُمْ: حَنّا القُسُوس، وأَدِيْب عَبّاسِيّ، ورُوكس العُزَيْزِيّ، وخَلِيْل الطّوال، وجريس القُسُوس، ويَعْقُوب العَوْدات، وجُورج العُزَيْزات، وعِيْسى النّاعُورِيّ، وتَوْفِيْق النَّمرِيّ، وخَلِيْل السّالم، وفُؤاد جُمَيْعان، وأَمِيل جُمَيْعان. ولا يَبْدُو هَذا الأَمْرُ غَرِيْباً، فَقَدْ كانَتْ ثَمَّةَ بَواعِثُ أَفْضَتْ إلى بُرُوزِ المُثَقَّفِيْنَ المَسِيْحِيِّينَ بِقُوَّةٍ فِي المَشْهَدِ الثَّقافِيِّ الأُرْدُنِيِّ مُنْذُ البِدايات. ولَعَلَّ أَهَمَّ هَذِهِ البَواعِثِ اهْتِمامُ الطَّوائفِ المَسِيْحِيَّةِ بِالتَّعْلِيْمِ الخاصِّ مُنْذُ مُدَّةٍ مُبَكِّرَة، وتَنْظِيْمُ مَدارِسِها بِشَكْلٍ جَيِّد، مع الاعْتِناءِ باسْتِقْدامِ المُدَرِّسِيْنَ الأَكْفِياء، مِنْ سُورِيَّةَ ولُبْنانَ وفِلَسْطِيْن وأُورُوبا، مِمّا أَفْضى إلى انْتِشارِ الوَعْيِ والثَّقافَةِ بَيْنَ صُفُوفِ أَبْناءِ تِلْكَ الطَّوائف، فَضْلاً عن إِطْلالَةِ كَثِيْرٍ مِنَ المَسِيْحِيِّيْنَ الأُرْدُنِيِّيْنَ عَلى مَشْهَدِ الثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ والعالمِيَّة، واعْتِنائِهِم بِتَعَلُّمِ اللُّغاتِ الأَجْنَبِيَّة، والتَّواصُلِ مع أَقارِبِهِم وأَصْدِقائِهِم مِنْ أَهْلِ المَهْجَر، فِي أُورُوبا والأَمْرِيكِيَّتَيْن، ناهِيْكَ عَنْ تَنامِي الشُّعُورِ القَوْمِيِّ لَدى المَسِيْحِيِّينَ العَرَبِ عامَّة، بَعْدَ أُفُولِ نَجْمِ الدَّوْلَةِ العُثْمانِيَّةِ التي كانَتْ تَحْكُمُ باسْمِ الإِسْلام، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ البَواعِثِ التي مَهَّدَتْ لِظُهُورِ الأَقْلامِ المَسِيْحِيَّةِ التي شارَكَتْ بِفاعِلِيَّةٍ فِي هَذا الحَراكِ الثَّقافِيِّ الجَدِيْدِ الذي شَهِدَتْهُ البِلادُ آنَذاك.

ويَجِدُ المُتَأَمِّلُ فِي هَذا المَشْهَدِ أَنَّ كِتاباتِ المَسِيْحِيِّينَ انْمازَتْ بِوَعْيِها واعْتِدالِها ومَوْضُوعِيَّتِها، بَلْ نَظْرَتِها الإِيجابِيَّةِ المُتَسامِحَة، وصُولاً إلى الإِشادَةِ بِالحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ والدِّفاعِ عَنْها، ودَفْعِ الشُّبُهاتِ التي تُثارُ حَوْلَ نِظامِ الحُكْمِ فِي الإِسْلام، وطَبِيْعَةِ انْتِشارِهِ السَّرِيْعِ فِي العالم. ويَكْفِي أَنْ يُشارَ فِي هَذِهِ السَّبِيْلِ إلى طائِفَةٍ من المَقالاتِ المُتَّسِمَةِ بِعُمْقِها ومَوضُوعِيَّتِها، مِمّا كَتَبَهُ خَلِيْل الطّوال، فِي مَجَلَّةِ "الرِّسالَة"[1]، فِي السَّنَواتِ: (١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٤٦م)، مُدافِعاً بِقَلَمِ الحَقِّ عَنِ الإِسْلام، مُحاوِلاً أَنْ يُقَدِّمَ حَقِيْقَةَ هَذا الدِّيْن، ناقِضاً دَعْوى انْتِشارِهِ بِالسَّيْف، مُبَيِّناً أَنَّ ذَلِكَ مُجَرَّدُ فِرْيَة؛ لِلنَّيْلِ مِنْ صُورَتِهِ السّامِيَة. لَمْ يَقِفْ قَلَمُ الكاتِبِ المَسِيْحِيِّ المُنْصِفِ خَلِيْل الطّوال عِنْدَ هَذا الحَدّ، بَلْ راحَ يَبْحَثُ فِي مَظاهِرِ العَبْقَرِيَّةِ فِي الحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ الزّاهِيَة؛ تَعْزِيْزاً لِرُؤْيَتِهِ الإِيْجابِيَّة، ومَوْقِفِهِ العِلْمِيِّ المُتَّزِنِ مِنَ الإِسْلام.

ويُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ هَذا الكاتِبَ سَبَقَ عَصْرَهُ حِيْنَ أَعْلى صَوْتَهُ غَيْرَ الإِسْلامِيِّ بِالحَدِيْثِ عَنِ الصُّورَةِ الحَقِيْقِيَّةِ المُشْرِقَةِ لِلإِسْلام، نابِذاً العَصَبِيَّةَ العَمْياءَ وَراءَ ظَهْرِه، وهُوَ – عَلى ذَلِكَ– أَوْضَحُ الأَصْواتِ المَسِيْحِيَّةِ المُنادِيَةِ بِإِنْصافِ الحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ التي عاشَ المَسِيْحِيُّونَ أَنْفُسُهُم قُرُوناً طَوِيْلَةً فِي ظِلالِها، يَنْعَمُونَ بِالحُرِّيَّةِ والرِّعايَة. وقَدِ افْتَتَحَ الطّوالُ إِسْلامِيّاتِهِ الرّائِعَةَ بِقَوْلِه: "أَنا لَسْتُ مُسْلِماً، ولَكِنَّ ذَلِكَ لا يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَقُولَ فِي الإِسْلامِ الحَقّ... وآلَيْتُ عَلى نَفْسِي أَنْ أُعَوِّضَ عَنْ عَدَمِ إِسْلامِي بِنَشْرِ فَضائِلِ

(١)انْظُر: السَّنَة٥، العَدَدان: ٢٢٩،٢٣٢، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، والسَّنَة٦، العَدَدان:٢٧٩،٢٨٠، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، والسَّنَة١٤، الأَعْداد: ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٣، ٦٩٤، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م.

الإسْلامِ بِقَلَمِي ولِسانِي"[١]، بَلْ ذَهَبَ إلى القَوْلِ: "كُلُّ مَنْ كانَ فاضِلاً شَرِيْفَ الخُلُقِ فَهُوَ مُسْلِم"[٢]. ويُمْكِنُ – بناءً عَلى قِراءَةِ ما كَتَبَهُ الطّوالُ مِنْ مَقالاتٍ مُبَكِّرَةٍ لا تَنْقُصُها القُوَّةُ والحَصافَةُ والعُمْقُ والاسْتِشْرافُ– أَنْ أَنْعَتَ هَذا الكاتِبَ الفَذَّ بـــ"الكاتِبِ الذي أَسْلَمَ قَلَمُهُ".

وغَيْرُ خافٍ عَلى المُتَأَمِّلِ أَنَّ الحَراكَ الثَّقافِيَّ الجَدِيْدَ الذي قادَهُ هَؤلاءِ الرُّوّاد، عادَ جَناهُ طَيِّباً عَلى مَسِيْرَةِ النَّشْرِ والكِتابَةِ في الأُرْدُنّ، في الطَّوْرِ اللّاحِقِ – أَيْ بَعْدَ سَنَةِ (١٩٤٦م)– فَقَدْ شَهِدَتِ المُدَّةُ بَعْدَ انْقِضاءِ عَهْدِ الإمارَةِ تَسارُعاً كَبِيْراً في النَّهْضَةِ الثَّقافِيَّة، إِذْ أَثْمَرَتْ أَنْفاسُ هَؤلاءِ الكُتّابِ ولادَةَ عَشَراتِ الأَقْلامِ الجَدِيْدَة، وظَهَرَ جِيْلٌ جَدِيْدٌ اسْتَوْلَتِ الكِتابَةُ عَلى نَفْسِه، وجاءَ عَقْدُ الخَمْسِيْنَ وما بَعْدَهُ بِمِئاتِ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ التي رَفَدَتِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةَ بِطاقاتٍ جَدِيْدَة، تُعَدُّ اسْتِمْراراً ونَماءً لِجُهُودِ النَّشْرِ الأُولى التي تُلْقِي هَذِهِ الدِّراسَةُ الضَّوْءَ عَلَيها.

وعَلَينا أَنْ نُلاحِظَ في خاتِمَةِ هَذا المِحْورِ أَنَّ عَدَداً مِنَ الكُتّابِ الشَّبابِ الذيْنَ ظَهَرُوا في البَواكِيْرِ، اشْتَدَّ عُودُهُم في الطَّوْرِ اللّاحِقِ، وتَضاعَفَ إِقْبالُهُم عَلى النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، عَلى نَحْوٍ أَشَدَّ كَثافَة، مِمّا كانَتْ عَلَيه الحالُ في الطَّوْرِ الأَوَّل، كَما نَجِدُهُ – مِثالاً– عِنْدَ عِيْسى النّاعُورِيِّ الذي نالَ قَصَبَ السَّبْقِ بِنَشْرِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَتَي مُشارَكَة، وكَما نَجِدُهُ – عَلى نَحْوٍ أَقَلَّ– عِنْدَ: رُوكس العُزَيْزِيِّ، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيِّ، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيِّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان، وناصِر الدِّيْن الأَسَد، وأَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ: مُحَمَّد الشُّرَيْقِيِّ، وصُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة، وحُسْنِي فَرِيْز، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، وسَعْد جُمْعَة. ورُبَّما أَصْبَحَ اهْتِمامُ بَعْضِ هَؤلاءِ بِنَشْرِ المُؤَلَّفاتِ القائِمَةِ بِرأسِها بَدِيْلاً جَدِيْداً لَهُم عَنِ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ التي كَثُرَت، وعَسُرَ عَلى القُرّاءِ مُلاحَقَتُها.

وفِيما يُقابِلُ هَذا الوَجْه، نَرى أَنَّ نَفَراً مِنْ أُولئِكَ الرُّوّادِ لَمْ تَجُدْ أَقْلامُهُم بِالنَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ إِلّا في هَذا الطَّوْر، بِمَعْنى أَنَّهُم تَوَقَّفُوا عَنِ النَّشْرِ في تِلْكَ المَجَلّاتِ بَعْدَ مُحاوَلاتِهِم الأُولى، أَو أَنَّهُم وجَدُوا سَبِيْلاً أُخْرى لِلنَّشْرِ في المَجَلّاتِ – أَو الصُّحُفِ– الأُرْدُنِيَّةِ الجَدِيْدَة. والمُهِمُّ أَنّا لا نَلْقى سُهْمَةً لِعَدَدٍ مِنَ الرُّوّادِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ إِلّا في عَهْدِ الإمارَة، كَما هِيَ حالُ: حَنّا القُسُوس، وأَدِيْب عَبّاسِي، وشُكْرِي شَعْشاعَة، وتَوْفِيْق الحِنّاوِيّ، وفَوْزِي المُلْقِي، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، وخَلِيْل الطّوال، وصَيّاح الرُّوسان، وفَرْحان شُبَيْلات، وسُلَيْمان النّابُلْسِيّ، وجريس القُسُوس، وجَمِيْل قُبْعِيْن، وجُورج العُزَيْزات، وتَوْفِيْق النَّمرِيّ، وخَلِيْل السّالِم، ومُصْطَفى العَزّام، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس، وتَوْفِيْق أَبُو شَرِيْف، وغَيْرِهِم، ولا رَيْبَ أَنَّ تَوَقُّفَهُم عَنِ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ كان خَسارَةً كَبِيْرَةً لِلثَّقافَة، وتَشَتُّتاً لأَصْواتٍ كانَتْ بِداياتُها مُبَشِّرَة.

---

(١) الطّوال، خَلِيْل، حَقِيقَة الإِسْلام، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢٩، القاهرة، ١٣٥٦هـــ=١٩٣٧م، ص١٩٠٢.

(٢) المَصْدَر نَفْسُه، ص١٩٠٣.

المَبْحَثُ الثّانِي: المَجَلّاتُ العَرَبِيَّةُ التي نَشَرَ فِيها الرُّوّاد.

اتَّسَعَتْ نَوافِذُ النَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي كانَتْ تَرُوجُ فِي المَشْهَدِ الثَّقافِيِّ العَرَبِيِّ آنَذاك، ولا سيَّما فِي مِصْرَ وفِلَسْطِيْنَ ولُبْنانَ وسُورِيَّة، وتَسابقَ الشَّبابُ الأُرْدُنِيُّونَ الرُّوّادُ إِلى تَوْجِيْهِ ما يُدَبِّجُونَهُ مِنْ مَقالاتٍ وإِبْداعاتٍ لِلنَّشرِ عَلى صَفَحاتِها؛ عَلى اعْتِبارِ أَنَّ هَذِهِ المَجَلّاتِ هِيَ السَّبِيْلُ الأَيْسَرُ أَمامَهُم لِنَشْرِ ثَمَراتِ أَقْلامِهِم النّاشِئَة، وذَلِكَ أَنَّ نَشْرَ الكُتُبِ لَمْ يَكُنْ مَيْسُوراً فِي ذَلِكَ الوَقْت، إِلّا عَلى نِطاقٍ ضَيِّق؛ لِعَدَمِ وجُودِ دُورِ النَّشْرِ والوِراقَةِ المُخْتَصَّة، واضْطِرارِ الكاتِبِ الأُرْدُنِيِّ إِلى نَشْرِ مُصَنَّفِهِ عَلى نَفَقَتِهِ الشَّخْصِيَّة.

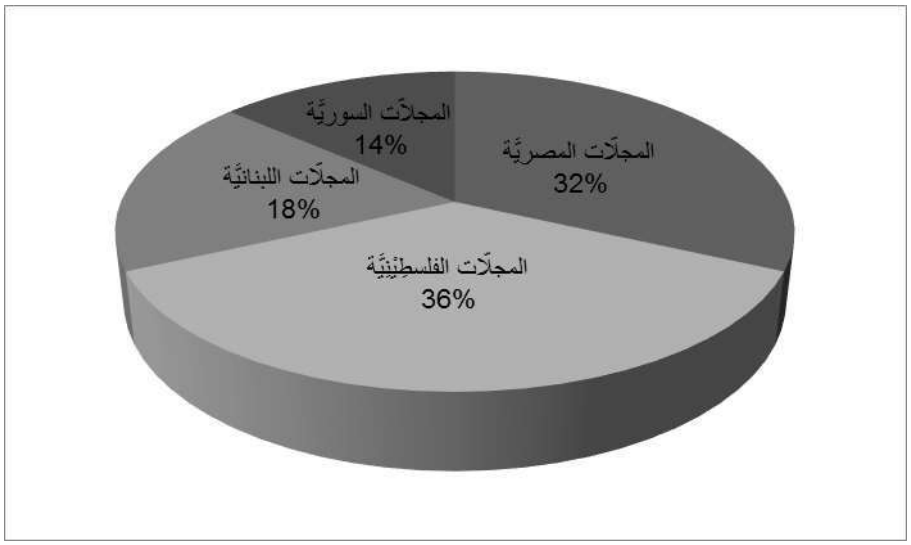

تَمْثِيْلٌ بَيانِيٌّ لِعَدَدِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي نَشَرَ فِيْها الأُرْدُنِيُّون (١٩٢١-١٩٤٦م)

تَدُلُّنا نَتائِجُ الإِحْصاءِ الذي أَجْرَيْناهُ عَلى أَنَّ المَجَلّاتِ الفِلَسْطِيْنِيَّةَ التي نَشَرَ فِيْها الرُّوادُ بَلَغَتْ ثَمانِيَ مَجَلّات، ووَصَلَتْ نِسْبَةُ النَّشْرِ فِيْها إِلى (٣١%) مِنْ مُجْمَلِ المَنْشُوراتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ المُدَّة، بِيْنَما نَشَرَ الأُرْدُنِيُّونَ فِي سَبْعِ مَجَلّاتٍ مِصْرِيَّة، بِنِسْبَةٍ أَعْلى وَصَلَتْ إِلى (٥٤%) مِنَ المُجْمَل. وأَمّا المَجَلّاتُ السُّورِيَّة، فَقَدْ بَلَغَ عَدَدُها ثَلاثَ مَجَلّاتٍ فَقَط، بِنِسْبَةِ نَشْرٍ انْخَفَضَتْ إِلى (٧%)، وأَخِيْراً، بَلَغَتِ المَجَلّاتُ اللُّبْنانِيَّةُ أَرْبَعَ مَجَلّات، وكانَتْ نِسْبَةُ النَّشْرِ فِيْها (٨%). وهَكذا، يُمْكِنُ تَصْنِيْفُ المَجَلّاتِ التي نَشَرَ فِيْها الأُرْدُنِيُّونَ -آنَذاك- مِعْيارِيّاً عَلى النَّحْوِ الآتِي:

- التَّصْنِيْفُ العَدَدِيّ: وتُرَتَّبُ فِيْه المَجَلّاتُ وَفْقَ حُضُورِها العَدَدِيِّ عَلى النَّحْوِ الآتِي: المَجَلّاتُ الفِلَسْطِيْنِيَّة، فالمَجَلّاتُ المِصْرِيَّة، فالمَجَلّاتُ اللُّبْنانِيَّة، وأَخِيْراً المَجَلّاتُ السُّورِيَّة.
- التَّصْنِيْفُ الكَمِّيّ: وتُرَتَّبُ فِيْه المَجَلّاتُ وَفْقَ حَجْمِ المادَّةِ المَنْشُورَةِ فِيْها عَلى النَّحْوِ الآتِي: المَجَلّاتُ المِصْرِيَّة، فالمَجَلّاتُ الفِلَسْطِيْنِيَّة، فالمَجَلّاتُ اللُّبْنانِيَّة، وأَخِيْراً المَجَلّاتُ السُّورِيَّة.
- التَّصْنِيْفُ الزَّمَنِيّ: وتُرَتَّبُ فِيْه المَجَلّاتُ وَفْقَ أَقْدَمِيَّةِ النَّشْرِ عَلى النَّحْوِ الآتِي: المَجَلّاتُ السُّورِيَّة، فالمَجَلّاتُ اللُّبْنانِيَّة، فالمَجَلّاتُ المِصْرِيَّة، وأَخِيْراً المَجَلّاتُ الفِلَسْطِيْنِيَّة.

ويَبْدُو بِجَلاءٍ أَنَّ المُلابساتِ العَسِيْرَةَ التي أَحاطَتْ بِنَشْرِ الكُتُبِ – فِي الأُرْدُنِّ– آنَذاك، كانَتْ مِنْ أَهَمِّ البَواعِثِ التي أَمْلَتْ عَلى الرُّوادِ الاتِّجاهَ إِلى النَّشْرِ فِي المَجَلّات، بِوَصْفِهِ الطَّرِيْقَ المَيْسُورَةَ لِلتَّعْرِيْفِ بِالمَشْرُوعاتِ البَحْثِيَّةِ التي تَدُورُ في رُؤوسِ الكُتّاب، أَو تَقْدِيْمِ صُوَرَةٍ لِلقُرّاءِ عَنْ تِلْكَ المَشْرُوعاتِ التي تَسَنّى لَهُم الفَراغُ مِنْ إِنْجازِها. وقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الكُتّابِ أَنَّ ما يَنْشُرُونَهُ مِنْ مَقالاتٍ أَو إِبْداعاتٍ هُوَ جُزْءٌ مِنْ كُتُبٍ لَهُم فِي سَبِيْلِها إِلى النَّشْر. ومِنَ الشَّواهِدِ عَلى ذَلِكَ، قَوْلُ مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ– سَنَةَ (١٩٣٧م)– إِنَّ عَمَلَهُ المَوْسُومَ "مِنْ مَسْرَحِيَّةِ اللَّهَب" هُوَ فَصْلٌ مُقْتَطَعٌ مِنْ كِتابِهِ "أَوَّل الشَّوْط" الذي سَيُصْدِرُهُ مِنْ قَرِيْب[١]. ومِنْ ذَلِكَ، تَصْرِيْحُ خَلِيْل الطَّوال – سَنَةَ (١٩٤٦م)– أَنَّ ما يَنْشُرُهُ مِنْ مَقالاتٍ عَنِ الإِسْلامِ هُوَ صُورَةٌ مِنْ كِتابِهِ "تَحْتَ رايَةِ الإِسْلام" المائِلِ لِلطَّبْع، عَلى حَدِّ قَوْلِه[٢]. ومِنْ ذَلِكَ، إِشارَةُ عِيْسى النّاعُورِيّ– سَنَةَ (١٩٤٦م)– إِلى أَنَّ ما كَتَبَهُ عَنِ الشّاعِرِ عَرارٍ هُوَ جُزْءٌ يَسِيْرٌ مِنْ دِراسَةٍ مُطَوَّلَةٍ هُوَ بِسَبِيْلِ إِعْدادِها، كَما يَقُول[٣].

وهَكَذا، كانَتِ المَجَلّاتُ أَقْصَرَ الطُّرُقِ المُتاحَةِ لِلنَّشْرِ أَمامَ أَبْناءِ ذَلِكَ الجِيْل، فالنَّشْرُ فِيها لا يُشَكِّلُ مُعْضِلَةً أَلْبَتَة، بَلْ هُوَ مُتاحٌ لِمَنْ ثَبَتَتْ كِفايَتُهُ فِي أُصُولِ الكِتابَة، مع المَعْرِفَةِ العِلْمِيَّةِ فِيما يَكْتُب، فَضْلاً عَنْ أَنَّ المَجَلّاتِ لَمْ تَكُنْ تَتَوانى فِي نَشْرِ المَوادِّ المَكْتُوبةِ فِي الغالِب، وكانَ بَعْضُها – كَمَجَلَّةِ "الرِّسالَة"– يَبْسُطُ ذِراعَيْه لِلمُشارَكاتِ التي تَأْتِي مِنَ البُلْدانِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرى، وتَنْظُرُ إِلى ذَلِكَ عَلى أَنَّهُ تَحْقِيْقٌ مَزِيْدٍ مِنَ النَّجاحِ والرَّواجِ والتَّنَوُّعِ المَنْشُودِ لِبَقاءِ المَجَلَّةِ وتَدَفُّقِها فِي السُّوق، وإِقْبالِ القُرّاءِ عَلى اقْتِنائِها وقِراءَتِها. وكانَ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ الرُّوّادُ يَنْظُرُونَ إِلى النَّشْرِ فِي هَذِهِ المَجَلّاتِ عَلى أَنَّهُ غايَةٌ سامِيَةٌ يَغْذُونَ الخُطى نَحْوَها، فالنَّشْرُ فِي تِلْكَ المَجَلّاتِ كانَ يَعْنِي الكَثِيْرَ لأَبْناءِ ذَلِكَ الجِيْل، فَهُوَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوانِ تَحْقِيْقِ الذّات، واكْتِسابِ الشُّهْرَة، والمُشارَكَةِ فِي الحَراكِ الفِكْرِيّ، وسَدِّ الفَجْوَةِ الثَّقافِيَّةِ القائِمَة.

ولَعَلَّ مِنَ اللَّطِيْفِ أَنْ يُشارَ – قَبْلَ البَدْءِ بِتَناوُلِ المَجَلّاتِ ذاتِها– إِلى مَيْسَمِ الإِهْداءِ الذي تَراءى فِي بَعْضِ ما نَشَرَهُ الرُّوادُ فِي هَذِهِ المُدَّة، وهُوَ مَنْحًى يَحْمِلُ فِي أَعْطافِهِ مَعانِيَ السُّمُوِّ والمَوَدَّةِ والتَّقْدِيْرِ لِلشَّخْصِ الذي يُهْدِي إِلَيْه الكاتِبُ مَقالَهُ أَو إِبْداعَه. ومِنَ الشَّواهِدِ التي عَثَرْنا عَلَيْها مِمّا يُمَثِّلُ هَذِهِ الوِجْهَةَ الإِنْسانِيَّةَ اللَّطِيْفَة، ما كَتَبَهُ عَبْدُ الحَلِيْم عَبّاس فِي صَدْرِ إِحْدى مَقالاتِهِ النَّقْدِيَّة، سَنَةَ (١٩٣٦م): "مُهْداةٌ إِلى الأُسْتاذِ المازِنِيّ"[٤]، ومِنْ ذَلِكَ ما كَتَبَهُ خَلِيْل السّالِم فِي صَدْرِ إِحْدى مَقالاتِهِ العِلْمِيَّة، سَنَةَ (١٩٤١م): "إِلى أُسْتاذِي (جردان) أُهْدِي هَذِهِ الفُصُول"[٥]، وقَدْ يَأْتِي الإِهْداءُ مُرَمَّزاً عِنْدَما يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِجانِبٍ

---

(١) انْظُر: مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، السَّنَة٣، العَدَد٥، دِمَشْق، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٣٦٣.

(٢) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٤، العَدَد٦٩٤، القاهِرَة، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١١٧٩. وقَدْ نَفَضْتُ أَوْعِيَةَ المَعْلُوماتِ بَحْثاً عَنِ هَذا الكِتابِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً، وأُقَدِّرُ أَنَّهُ لَمْ يَرَ النُّور.

(٣) انْظُر: مَجَلَّة الأَدِيْب، السَّنَة٥، العَدَد٦، بَيْرُوت، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٤٥.

(٤) مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٨١، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص٢٠٧٨.

(٥) المَصْدَر نَفْسُه، السَّنَة٥، العَدَد٤١٤، القاهِرَة، ١٣٦٠هـ=١٩٤١م، ص٧٦٧.

عاطِفِيٍّ لا يُحَبِّذُ الكاتِبُ البَوْحَ بِه، كَما يَبْدو مِنْ إِهْداءِ عَبْد الحَلِيْم عَبّاس إِحْدى أُقاصِيْصِه، سَنَةَ (١٩٣٤م) : "إِلى H.M"[١].

ويُمْكِنُنا أَنْ نَتَعَرَّفَ – في الصَّفَحاتِ القابِلَةِ– إِلى أَهَمِّ هَذِهِ المَجَلّات، وسَوْفَ نَعْمَدُ إِلى تَرْتِيْبِها بِالنَّظَرِ إِلى حَجْمِ المادَّةِ الثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والإِبْداعِيَةِ الأُرْدُنِيَّةِ المَنْشُورَةِ فِيها.

أَوَّلاً: مَجَلَّةُ "الرِّسالَة".

يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ مَجَلَّةَ "الرِّسالَة" – التي أَصْدَرَها أَحْمَد حَسَن الزَّيّات – في القاهِرَةِ– مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٣م)– كانَتْ أَهَمَّ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي قَصَدَها الكُتّابُ الرُّوّادُ في الأُرْدُنّ، ولا نُبالِغُ إِذا قُلْنا إِنَّها الوِجْهَةُ الثَّقافِيَّةُ المُفَضَّلَةُ لِكَثِيْرٍ مِنَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ زَمَنَذاك؛ لِسَيْرُورَتِها وشُهْرَتِها وانْتِظامِها، ولِتَشْجِيْعِ الزَّيّاتِ نَفْسِهِ الأَقْلامَ الأُرْدُنِيَّةَ النّاشِئَة، ودَعْوَتَها إِلى النَّشْرِ عَلى صَفَحاتِ مَجَلَّتِهِ السَّيّارَة.

ومِنَ المُهِمِّ أَنْ يَعْرِفَ القارِئُ أَنَّ هَذِهِ المَجَلَّةَ اسْتَطاعَتْ أَنْ تَجِدَ لها مَوْطِئاً في السّاحَةِ الثَّقافِيَّةِ النّاشِئَةِ في الأُرْدُنّ – مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٣م)– فَقَدْ جاءَتِ المَجَلَّةُ لِتَسُدَّ نَهَمَ القُرّاء، وتُلَبِّي حاجَةَ شُداةِ الثَّقافَة، فأَقْبَلَ الطُّلّابُ والقُرّاءُ والمُثَقَّفُونَ عَلى اقْتِنائِها وقِراءَتِها، واسْتَطاعَتْ أَنْ تَملأَ فَراغاً كَبِيْراً ناجِماً عَنْ قِلَّةِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، ولاسِيَّما في بَلَدٍ ناشِئٍ كالأُرْدُنّ، ويَظْهَرُ أَنَّ أَعْدادَ "الرِّسالَة" كانَتْ تُباعُ بِالمِئاتِ في المُدُنِ الأُرْدُنِيَّة. وقَدْ أَشارَ جَرِيس القُسُوس في مَقالَةٍ نَشَرَها – سَنَةَ (١٩٣٦م)– إِلى دَوْرِ هَذِهِ المَجَلَّةِ في حَفْزِ الحَراكِ الثَّقافِيِّ الأُرْدُنِيّ، فَقالَ: "لا أُبالِغُ إِذا قُلْتُ إِنَّهُ كانَ (لِلرِّسالَة) أَثَرٌ مَلْمُوسٌ في إِحْياءِ النَّهْضَةِ الفِكْرِيَّة، وتَشْجِيْعِ الحَياةِ الأَدَبِيَّةِ في البِلاد، فَقَدْ كانَ إِقْبالُ الطُّلّابِ – خاصَّةً– عَلى مُطالَعَتِها شَدِيْداً. إِنَّني أَذْكُرُ – عَلى سَبِيْلِ المِثال– أَنَّهُ كانَ يُباعُ مِنْها في حِيْنٍ نَحْوَ ثَمانِيْنَ عَدَداً، في بَلَدٍ صَغِيْرٍ كالسَّلْط. (فالرِّسالَةُ) وغَيْرُها مِنَ المَجَلّاتِ والصُّحُفِ العَرَبِيَّةِ كانَتْ – وما تَزالُ– تَسُدُّ عَوَزَ البِلادِ وافْتِقارَها إِلى صَحافَةٍ حُرَّة، تَعْمَلُ عَلى تَشْجِيْعِ الإِنْتاجِ الأَدَبِيّ، وتُحْيِي في النَّشءِ أَساليْبَ البَلاغَةِ العَرَبِيَّة"[٢].

وبِناءً عَلى مَنْزِلَةِ "الرِّسالَة" وشُهْرَتِها في الدِّيارِ الأُرْدُنِيَّةِ وَقْتَئِذٍ، وَجَدْنا أَنَّ الغالِبِيَّةَ مِنَ الكُتّابِ كانَتْ تَسْعى إِلى النَّشْرِ عَلى صَفَحاتِها، بَلْ كانَتْ تُفَضِّلُها عَلى غَيْرِها، حَتّى إِنَّ بَعْضَهُم لَمْ يَرْتَدْ غَيْرَها مِنَ المَجَلّاتِ المَعْرُوفَة. وأَشْهَرُ مَنْ نَشَرَ فِيها مِنْ جِيْلِ الرُّوّاد، عَلى أَسْبَقِيَّةِ سَنَواتِ نَشْرِهِم فِيْها: أَدِيْب عَبّاسِيّ (١٩٣٣م)[٣]، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ ذَرَعَ سَبِيْلَ النَّشْرِ فِيْها مِنَ الأُرْدُنِيِّيْن، وذَلِكَ في السَّنَةِ الأُولى

---

(١) المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٢، العَدَد٦٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٥٥٦.

(٢) القُسُوس، جريس، الحَياة الأَدَبِيَّة في شَرْقِ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨٦٥.

(٣) انْظُر: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، مَذْهَب النُّشوء وإِخْوان الصَّفا، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١، العَدَد٢٣، القاهِرَة، ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م، ص١٣-١٤.

لِصُدُورِها. ثُمَّ تَوالى النَّشْرُ فِيها مِنْ قِبَلِ: فَرْحان شُبَيْلات (١٩٣٤م)[١]، وحُسْنِي فَرِيْز (١٩٣٤م)[٢]، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس (١٩٣٤م)[٣]، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ (١٩٣٤م)[٤]، وجريس القُسُوس (١٩٣٥م)[٥]، وسُلَيْمان النّابُلُسِيّ (١٩٣٥م)[٦]، وخَلِيْل الطّوال (١٩٣٦م)[٧]، وهُوَ أَكْثَرُهُم نَشْراً فِيْها، وتَكادُ سَوادُ مَقالاتِهِ يَكُونُ مَكْسُوراً عَلى هَذِهِ المَجَلَّةِ تَحْدِيْداً. كَما نَشَرَ فِيْها كُتّابٌ آخَرُون، وهُمْ: مُحَمَّد الأَمِيْن الشِّنْقِيْطِيّ (١٩٣٧م)[٨]، وتَيْسِيْر ظَبْيان (١٩٣٧م)[٩]، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ (١٩٣٧م)[١٠]، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان (١٩٣٨م)[١١]، ومُصْطَفى العَزّام (١٩٤٠م)[١٢]، وخَلِيْل السّالم (١٩٤١م)[١٣]، ورُوكس العُزَيْزِيّ (١٩٤٥م)[١٤].

ويَبْلُغُ مَجْمُوعُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ التي اسْتَطَعْنا تَرَصُّدَها فِي هَذِهِ المَجَلَّة، حَتّى نِهايةِ سَنَةِ (١٩٤٦م) قُرابَةَ مِئَةٍ وثَلاثِيْنَ مُشارَكَة، أَيّ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ مَجْمُوعِ ما نَشَرَهُ الكُتّابُ مِنْ أَهْلِ الأُرْدُنّ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، طِيْلَةَ عَهْدِ الإمارَة.

ثانياً: مَجَلَّةُ "الغَدّ" – بَيْت لَحم/القُدْس

أَصْدَرَتْها رَابِطَةُ الطَّلَبَةِ العَرَبِ فِي بَيْتَ لَحَمَ، ثُمَّ فِي القُدْس، مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٨م)، وكانَ يَرأَسُ تَحْرِيْرَها داود ترزي، وهِيَ مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ تُعْنى بِقضايا الطُّلّابِ وإبداعاتِهِم. استَطاعَتْ هَذِهِ المَجَلَّةُ أَنْ

---

(١) انْظُر: شُبَيْلات، فَرْحان، الوَزِيْر مُؤَيِّد الدِّيْن ابن العَلْقَمِيّ: هَلْ غَدَرَ بِأُمَّتِهِ وخَلِيفَتِه؟، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٩٣-٢٩٥.

(٢) انْظُر: فَرِيْز، حُسْنِي، لَوْ أَمْكَنَتْنِي الفُرْصَة (شِعْر)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٢٩، القاهِرَة، ١٣٥٢هـ=١٩٣٤م، ص٣٠.

(٣) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، أَبُو العَتاهِيَة، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٥٧، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٣٠-١٣١.

(٤) انْظُر: الشُّرَيْقِيّ، بَشِيْر، طَرَفَة بن العَبْد، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١٤٦-١١٤٧.

(٥) انْظُر: القُسُوس، جريس، وليم ورد زورث، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٢٦٧-١٢٦٨.

(٦) انْظُر: النّابُلُسِيّ، سُلَيْمان، التَّصَوُّف الإسْلامِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥٩-٦٠.

(٧) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، برسي شلي، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٩٨١-٩٨٣.

(٨) انْظُر: الشِّنْقِيْطِيّ، مُحَمَّد الأَمِيْن، إبراهِيم بن سَهْل الإشْبِيلِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١٣٧-١١٣٩.

(٩) انْظُر: ظَبْيان، مُحَمَّد تَيْسِيْر، الأَدْيان والمَذاهِب فِي الحَبَشَة، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٨٦٦-١٨٦٨.

(١٠) انْظُر: العامِرِيّ، مُحَمَّد أَدِيْب، الظاهرة الهامة وتأويلها، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٤٥٣-١٤٥٤.

(١١) انْظُر: الرَّشْدان، مُحَمَّد سَلِيْم، الفُرُوسِيَّة العَرَبِيَّة، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٢٣٧.

(١٢) انْظُر: العَزّام، مُصْطَفى عَلِيّ، شَرْح بَيْتٍ ونِسْبَة آخر، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٨، العَدَد٣٨١، القاهِرَة، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م، ص١٦١٢.

(١٣) انْظُر: السّالِم، خَلِيْل، آلَة الوقت، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٧٣٧-٧٤٠.

(١٤) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، "حَضارة العَرَب" لِغُوستاف لُوبُون، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٣، العَدَد٦٤٢، القاهِرَة، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١١٦١-١١٦٢.

تَسْتَقْطِبَ – مُنْذُ انْطلاقَتِها– نَفَراً مِنَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْن، فَضْــلاً عَنْ طُلّابِهِم الدّارِسِيْنَ فِي بَعْضِ المَدارِسِ الأُرْدُنِيَّة، وفِي مُقَدِّمَتِها مَدْرَسَةُ السَّــلْط. وقَدْ نَشَرَ فِيْها عَلى التَّعاقُبِ – مُنْذُ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ إلى سَنَةِ (١٩٤١م)– كُلٌّ مِنْ: خَلِيْل السّــالم[١]، وعَلِيّ الحِيارِي[٢]، وتَوْفِيْق النَّمرِي[٣]، وأَدِيْب عَبّاسِي[٤]، وعِيْسى النّاعُورِي[٥]، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس[٦]، ومُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِي[٧]، وأَمِيْن النُّوبانِي[٨]، ومُصْطَفى العَزّام[٩]، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِي[١٠]، وحُسْــنِي فَرِيْز[١١]، وأَمِيل جُمَيْعان[١٢]. وفَضْــلاً عَنْ هَذِهِ الأَسْــماء، وبَعْضُها جَدِيْدٌ لَمْ يَعْرِفْهُ أَكْثَرُ الباحِثِيْنَ مِنْ قَبْل، نَجِدُ مُشارَكَةً قَصَصِيَّةً فِي المَجَــلَّةِ مَنْشُــورَةً باسْمٍ مُسْتَعار، هُوَ "فَتى الأُرْدُنّ"[١٣]، مِمّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ الكُتّابَ الأُرْدُنِيِّيْنَ الأَوائِــلَ عَرَفُــوا القِناعَ واسْــتَتَرُوا خَلْفَه أَحْيانــاً[١٤]، وسَــنَرى أَصْواتاً مُسْتَعارَةً أُخْرى فِيْما يَأْتِي مِنَ الصَّفَحات. وقَدْ وَصَلَ مَجْمُوعُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ إلى ما يَزِيْدُ عَلى ثَلاثِيْنَ مُشارَكَة، وهَذا يَعْنِي أَنَّ تَرْتِيْبَها الكَمِّيَّ يأْتِي ثانِياً بَعْدَ مَجَلَّةِ "الرِّسالَة"، فَضْلاً عَنْ مُلاحَظَةِ تَعَدُّدِ الأَصْواتِ الأُرْدُنِيَّةِ عَلى صَفَحاتِها.

ثالثاً: مَجَلَّةُ "رَقِيْب صِهْيَون".

وهِيَ مَجَلَّةٌ دِيْنِيَّةٌ مَسِيْحِيَّة، مُهْتَمَّةٌ بِالشُّؤونِ السِّياسِيَّة، أَصْدَرَتْها بَطْرِيركِيَّةُ اللّاتِيْن – فِي القُدْسِ– مُنْذُ سَنَةِ (١٩٢٤م)، وكانَتْ مُهْتَمَّةً بِنَشْرِ مَقالاتٍ فِي مُناهَضَةِ الصِّهْيَونِيَّةِ والدِّفاعِ عَنْ حُقُوقِ العَرَبِ فِي فلسطِيْن. وَجَدْنا فِي الأَعْدادِ المُتاحَةِ مِنْ أَرْشِيْفِ هَذِهِ المَجَلَّةِ واحِدَةً وعِشْرِيْنَ مُشارَكَة، نَشَرَها الكُتّابُ

---

(١) انْظُر: السّالم، خَلِيْل، شَبابُنا والشُّعُور بِالواجِب، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٨.

(٢) انْظُر: الحِيارِي، عَلِيّ أَحْمَد، الإِنْسان بَيْنَ عامِلَيْن، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٤.

(٣) انْظُر: النَّمرِي، تَوْفِيْق فارِس، مِيْلاد الرَّسُول (شِعْر)، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٠.

(٤) انْظُر: عَبّاسِي، أَدِيب، فِي النّاسِ طَبِيْعَةُ العَدْل، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة١، العَدَد٧، بَيْت لَحْم – القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٥٨م، ص١٩-٢٠.

(٥) انْظُر: النّاعُورِي، عِيْسى، تَحِيَّة المُبْعَدِيْنَ العائِدِيْن (شِعْر)، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨.

(٦) انْظُر: الدَّبّاس، عَبْد الكَرِيْم، دَمْعَة عَلى الماضِي (خاطِرَة)، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٤٦-٤٧.

(٧) انْظُر: الكَيْلانِي، مُصْطَفى زَيْد، مِنْ نَفَثاتِ التّائِي وذِكْرياتِ الأُخوة، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٩٢.

(٨) انْظُر: النُّوبانِي، أَمِيْن، فِي ذِكْرى رَحِيْل المَلِكِ غازِي الأَوّل، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٧٦.

(٩) انْظُر: العَزّام، مُصْطَفى عَلِيّ، الغَدّ (عَنِ المَجَلَّة)، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥٢.

(١٠) انْظُر: العامِرِي، مُحَمَّد أَدِيب، مَهْمَة الشَّباب، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٣، العَدَد٢، بَيْت لَحْم –القُدْس، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م، ص٣٨-٣٩.

(١١) انْظُر: فَرِيْز، حُسْنِي، مُتَناقِضات (خاطِرَة)، مَجَلَّة الغَدّ، السَّنَة٣، العَدَد٦، بَيْت لَحْم – القُدْس، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م، ص١٠٨-١٠٩.

(١٢) انْظُر: جُمَيْعان، أَمِيل، كَيْف أَنْسى؟ (شِعْر) مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٤٤.

(١٣) انْظُر: الأُرْدُن، فَتى، دَمْعَة حَزِيْنَة أَو بَيْنَ قَلْبِ أُمٍّ وعاطِفَةِ أَب (قِصَّة واقِعِيَّة) مَجَلَّة الغَدّ، مَصْــدَرٌ ســابِق، ص٢٨-٣٠.

(١٤) انْظُر: حَوْلَ الأَسْماءِ المُسْتَعارَةِ التي نَشَرَتْ فِي الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ الأُرْدُنِيَّةِ آنَذاك، قَطامِي، سَمِيْر، الحَرَكَة الأَدَبِيَّة فِي شَرْقِ الأُرْدُنّ مُنْذُ قِيامِ الإِمارَةِ حَتّى سَنَةِ ١٩٤٨م، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥١، ٥٣، ١٧١، ٢١١، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨.

الأُرْدُنِيُّونَ المَسِيْحِيُّون، مُنْذُ سَنَةَ (١٩٣٢م)، وتَعاقَبَ عَلى النَّشْرِ فِيها كُلٌّ مِنْ: حَنّا القُسُوس[١]، ورُوكس العُزَيْزِيّ[٢]، وجُورج العُزَيْزات[٣]، وخَلِيْل الطّوال[٤]، وعِيْسى النّاعُورِيّ[٥]، وغَسّانِيّ (اسْمٌ مُسْتَعار يَبْدُو أَنَّ صاحِبَهُ رُوكس العُزَيْزِيّ)[٦]. ويُعَدُّ جُورج العُزَيْزات أَكْثَرَهُم نَشْراً فِيْها؛ إِذْ وَجَدْنا لَهُ ثَمانِيَ مُشارَكاتٍ بَيْن سَنَتَي (١٩٣٧-١٩٣٩م) [٧].

رابعاً: مَجَلَّةُ "المُقْتَطَف".

أَسَّسَها يَعْقُوب صَرُّوف وفارِس نَمَر فِي الشّام، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلى القاهِرَة، وهِيَ مِنْ أَعْرَق المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ وأَسْبَقِها صُدُوراً سَنَةَ (١٨٧٦م). تأْتِي هَذِهِ المَجَلَّةُ فِي المَنْزِلَةِ الرّابِعَةِ أَهَمِّيَّةً -كَمِّيَّةً- بَعْدَ مَجَلَّةِ "الرَّقِيْب"؛ إِذْ نَشَرَتْ -عَلى صَفَحاتِها- عِشْرِيْنَ مُشارَكَةً أُرْدُنِيَّة، ابْتِداءً مِنْ سَنَةِ (١٩٢٦م)، يَعُودُ جُلُّها لِكاتِبٍ واحِد، هُوَ أَدِيْب عَبّاسِي[٨]، مِمّا يَعْنِي أَنَّ المَجَلَّةَ -رُغْمَ قِيْمَةِ الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ التي نَشَرَتْها، ومُنْذُ تارِيْخٍ مُبَكِّرٍ- لَمْ تَتَعَدَّدْ فِيْها الأَصْواتُ الأُرْدُنِيَّة. ورُغْمَ ذَلِك، نَجِدُ إِشارَةً إِلى مُشارَكَةٍ نَشَرَها فُؤاد جُمَيْعان فِي هَذِهِ المَجَلَّة، سَنَةَ (١٩٤٦م)[٩].

خامِساً: مَجَلَّةُ "العِرْفان".

أَصْدَرَها أَحْمَد عارِف الزَّيْن -فِي بَيْرُوت- مُنْذُ سَنَةِ (١٩٠٩م)، ثُمَّ نَقَلَها إِلى صَيْدا. اسْتَطاعَتْ هَذِهِ المَجَلَّةُ المَشْهُورَةُ أَنْ تَسْتَقْطِبَ عَدَداً مِنْ حَمَلَةِ الأَقْلامِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الأَوائِل، فَنَشَرَ فِيها أَوَّلاً: حُسْنِي

---

(١) انْظُر: القُسُوس، حَنّا، كَلِماتٌ صِحِيَّةٌ وفَوائِدُ طِبِّيَّة: الحَلِيْب واللَّبَن، مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٠٩-١١٠.

(٢) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، نَظَرات فِي الجُزْءِ الثّانِي مِنْ "مُزْهِر" السّيوطِيّ: بَعْضُ أَوْهامِ الأُسْتاذِ جَواد، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٠، العَدَد١١٤، القُدْس، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٣٩٧-٤٠٣.

(٣) انْظُر: العُزَيْزات، جُورج مرار، رُوح الأُسْرَة، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٣، العَدَد١٤٥، القُدْس، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٤) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، جُون ملتُون: سياسِيٌّ داهِيَةٌ وشاعِرٌ فَذّ، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٣، العَدَد١٤٥، القُدْس، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٣٠٩-٣١٢.

(٥) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، الحُرِّيَّة (شِعْر)، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٥، العَدَدان١٦٨-١٦٩، القُدْس، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٣٥٣-٣٥٥.

(٦) انْظُر: غَسّانِيّ، النّصْرانِيَّة فِي شَرْق الأُرْدُنّ فِي الأَجْيالِ السِّتَّة الأُولى، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١١، العَدَد١١٩، القُدْس، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٥٩-١٦٢.

(٧) نُشِرَتْ فِي المَجَلّات: ١٣، ١٤، ١٥، الأَعْداد: ١٤٥، ١٥٤-١٥٥، ١٦٨-١٦٩، القُدْس، ١٣٥٦-١٣٥٨هـ=١٩٣٧-١٩٣٩م.

(٨) نُشِرَتْ فِي الأَعْدادِ الصّادِرَةِ بَيْنَ سَنَتَي ١٩٢٦-١٩٣٩م.

(٩) انْظُر: عَبْد الرَّحمن، عَبْد الجَبّار، كَشّاف الدَّوْرِيّاتِ العَرَبِيَّة (١٨٧٦-١٩٨٤م)، مَصْدَرٌ سابِق، ج٣، ص١٤. وانْظُر الحاشِيَةَ رَقْم (٥٨) آنِفاً.

فَرِيْز (١٩٢٧م)[١]، ثُمَّ أَعقَبَهُ: عَبْد الحَلِيْم عَبّاس (١٩٢٩م)[٢]، وفَوْزِي المُلْقِي (١٩٣١م)[٣]، وصَيّاح الرُّوسان (١٩٣١م)[٤]، وخَلِيْل الطّوال (١٩٣٩م)[٥]. وبَلَغَ مَجْمُوعُ ما تَسَنّى رَصْدُهُ مِنَ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مُشارَكَة، أَنْجَزَ شَطْراً كَبِيْراً مِنْها صَيّاح الرُّوسان وحُسْني فَرِيْز.

سادِساً : مَجَلَّةُ "المُنْتَدى".

وهِيَ مَجَلَّةٌ رَسْمِيَّةٌ ثَقافِيَّة، أَصْدَرَها مَكْتَبُ المَطْبُوعاتِ وسُلْطَةُ الإِذاعَةِ الفلسطِيْنِيَّةِ – في القُدسِ– مُنْذُ سَنَةِ (١٩٤٣م). نَشَرَ فِيْها مُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان عَدَداً مِنَ مَقالاتِهِ وإِبْداعاتِه، في الأَعْوامِ (١٩٤٤-١٩٤٦م"[٦]، كَما نَشَرَ فِيْها كُلٌّ مِنْ: ناصِر الدِّيْن الأَسَد[٧]، ومُحَمَّد أَدِيْب العامِرِي[٨]، وعِيْسى النّاعُورِي[٩]، وتَوْفِيْق أَبُو شَرِيْف[١٠]، وعَبْدِ المُنْعِمِ الرِّفاعِي[١١]، ورُوكس العُزَيْزِي[١٢]. ووَصَلَ عَدَدُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مُشارَكَة.

سابِعاً: مَجَلَّةُ "الذَّخِيْرَة".

أَصْدَرَها مُحَمَّد دَرْوِيْش – فِي القُدْسِ– سَنَةَ (١٩٤٦م)، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلى يافا، وتَعَثَّرَت. اسْتَقْطَبَتْ هَذِهِ المَجَلَّةُ الثَّقافِيَّةُ الأَدَبِيَّةُ عَدَداً مِنَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ مُنْذُ انْطِلاقَتِها، ومِنْ أَبْرَزِ مَنْ نَشَرَ فِيْها فِي عامِها

---

(١) انْظُر: فَرِيْز، حُسْني، شِكْسبِيْر، مَجَلَّة العِرْفان، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٩١-٢٠٠.

(٢) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، الطَّبِيْعَة والإِنْسان، مَجَلَّة العِرْفان، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٩-٢١.

(٣) انْظُر: المُلْقِي، فَوْزِي، الأَبْطال لِلفَيْلَسُوفِ الكَبِيْرِ تُوماس كارلِيل (عَرْض)، مَجَلَّة العِرْفان، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٥٣-١٥٩.

(٤) انْظُر: الرُّوسان، صَيّاح، النَّهْضَة الحدِيْثَة في العالمِ الإِسْلامِيّ، مَجَلَّة العِرْفان، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٩٥-٣٠٦.

(٥) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، سِيادَة مِصْرَ في العالمِ العَرَبِيّ، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٩، الجُزْءان٤-٥، صَيْدا،١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٣٩٩-٤٠٦.

(٦) انْظُر: مَجَلَّة المُنْتَدى، المُجَلَّد٢، العَدَد٤، القُدْس، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م، ص٢٤، والعَدَد٦، ص٢١، والعَدَد٢، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١٢، والمُجَلَّد٣، العَدَد٥، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٢٢، والعَدَد٨، ص١٨، والعَدَد١٢، ص١٧.

(٧) انْظُر: الأَسَد، ناصِر الدِّيْن، قَصِيْدَة مُتَرْجَمَة لِلشّاعِرِ طاغُور، مَجَلَّة المُنْتَدى، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٦.

(٨) انْظُر: العامِرِيّ، مُحَمَّد أَدِيْب، الإِمام الشَّيْخ مُحَمَّد عَبْده، المَصْدَر نَفْسهُ، المُجَلَّد٢، العَدَد٥، القُدْس، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م، ص٣.

(٩) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، خَواطِر في التَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيْم، المَصْدَر نَفْسهُ، المُجَلَّد٢، العَدَد١١، القُدْس، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١١.

(١٠) انْظُر: أَبُو شَرِيْف، تَوْفِيْق، مَشاكِل الأَقَلِّيات، مَجَلَّة المُنْتَدى، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٣.

(١١) انْظُر: الرِّفاعِيّ، عَبْد المُنْعِم، رَسُول الهُدى (شِعْر)، مَجَلَّة المُنْتَدى، مَصْدَرٌ سابِق، ص٦.

(١٢) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، بَدْو شَرْق الأُرْدُنّ وعاداتِهم، المَصْدَر نَفْسهُ، المُجَلَّد١، العَدَد٢٩، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١١.

الأوّل، على التّعاقُب: عيسى النّاعُوريّ[١]، ورفْعَت الصّلّيبيّ[٢]، ويَعقُوب العَوْدات[٣]، ومُحَمَّد أَديْب العامِريّ[٤]، وعَــرار[٥]، وشُكْري شعْشاعَة[٦]، وجريس القُسُوس[٧]، وعَبْد الرَّحمَن العَوامــلَة[٨]، وعَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس[٩]، وخالد (اسْمٌ مُسْتَعار فِيْما يَبْدُو)[١٠]. ووَصَلَ مَجْمُوْع تِلْكَ المُشارَكاتِ فِي سَنَةٍ واحِدَةٍ – هِيَ آخِرُ سَنَواتِ عَهْدِ الإمارَةِ– إلى أَرْبَعَ عَشْرَةَ مُشارَكَة.

ثامِناً: "مَجَلَّةُ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ".

جاءَتْ "مَجَلَّةُ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ" – بدِمَشْقَ – فِي التَّرتِيْبِ الثّامِنِ كَمّاً، إِذْ نَشَرَتْ على صَفَحاتِ مُجَلَّدَيْها الأَوَّلَيْنِ – فيما بَيْنَ عامَي (١٩٢١–١٩٢٢م)– ثَلاثَ عَشْرَةَ مُشارَكَة[١١]، قَدَّمَ جَمِيْعَها كاتِبٌ واحِد، هُو الشَّيْخُ سَعِيْد الكَرْمِيّ، رَئِيْسُ المَجْمَعِ بِالإنابَةِ آنَذاك. وعَلَيه، يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ هَذِهِ المَجَلَّةَ هِيَ أُولى المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي نَشَرَ فِيها الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ بُحُوثَهُم ومَقالاتِهِم، قَبْلَ أَن يَعْرِفُوا طَرِيْقَ النَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ الثَّقافِيَّةِ المِصْرِيَّةِ والفِلَسْطِيْنِيَّةِ واللُّبْنانِيَّة، ويُلاحَظُ بِوضُوحٍ اقْتِصارُ المَجَلَّةِ على الصَّوْتِ الواحِد.

تاسِعاً: "المَجَلَّةُ الجَدِيْدَة".

وهِيَ مَجَلَّةٌ ثَقافِيَّةٌ مِصْرِيَّةٌ مَعْرُوفَة، أَصْدَرَها سَلامَة مُوسى– فِي القاهِرَةِ– مُنْذُ سَنَةِ (١٩٢٩م). نَشَرَ فِيها على التَّعاقُبِ عَدَدٌ مِنَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْن، وهُمْ: رُوكس العُزَيْزِيّ (١٩٣٤م)[١٢]، وجُورج

---

(١) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، خَواطِر فِي الحُرُوب، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد١، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١١–١٢.

(٢) انْظُر: الصّلّيبيّ، رِفْعَت، بَيْنَ الفَنّ الجَمِيْلِ وفَنّ الحَياة، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٠.

(٣) انْظُر: العَوْدات، يَعْقُوب، صُوَر أَدَبِيَّة مِنَ القاهِرَة، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٩، ١٦.

(٤) انْظُر: العامِرِيّ، مُحَمَّد أَدِيب، ذَكاء، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٢، القُدْس، ١٣٦٥هـ١٩٤٦م، ص٧، ١٨.

(٥) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، (مِسّ) عَشِيّات وادِي اليابِس (شِعْر)، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٢، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٨.

(٦) انْظُر: شعْشاعَة، شُكْري، أَهْل الجِيل (خاطِرَة)، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٣، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١٤.

(٧) انْظُر: القُسُوس، جريس، مع ميْخائِيل نُعَيْمَة، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٤، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١٤.

(٨) انْظُر: العَواملَة، عَبْد الرَّحمن، على هامِشِ الأَدَبِ فِي الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٦.

(٩) انظر: الدَّبّاس، عَبْد الكَرِيْم، مُشَعْوِذ (خاطِرَة)، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٧، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٨–٩.

(١٠) انْظُر: خالِد – عَمّان، مِنْ زَوايا النَّفْس: وَسْوَساتٌ وهَمَسات، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٦.

(١١) نُشِرَتْ فِي أَعْدادِ المُجَلَّدَيْن: الأَوَّلِ والثّانِي، دِمَشْق، ١٣٣٩–١٣٤٠هـ=١٩٢١–١٩٢٢م.

(١٢) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، عُمَر الخَيّام فِي رُباعِيّاته، المَجَلَّة الجَدِيْدَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٤٩–٥٤.

العُزَيْزات (١٩٣٨م)[١]، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإيْرانِيّ (١٩٣٨م)[٢]، وبَلَغَ مَجْمُوعُ تِلْكَ المُشارَكاتِ عَشْراً.

عاشِراً: مَجَلَّةُ "الهِلال".

وهِيَ مِنْ أَكْثَرِ المَجَلّاتِ انْتِشاراً، أَصْدَرَها جُورجِي زَيْدان – فِي القاهِرَةِ– مُنْذُ سَنَةِ (١٨٩٢م)، نَشَرَتِ "الهِلالُ" – بَدْءاً مِنْ سَنَةِ (١٩٣٥م)– ثَمانِي مُشارَكاتٍ أُرْدُنِيَّة، نَشَرَها كاتِبٌ واحِد، هُوَ أَدِيْب عَبّاسِي[٣].

حادِي عَشَر: مَجَلَّة "الغَدّ" – القُدْس.

أَصْدَرَتْها رابِطَةُ المُثَقَّفِيْنَ العَرَبِ فِي فلسطِيْنَ مُنْذُ سَنَةِ (١٩٤٥م)، وهِيَ مَجَلَّةٌ سِياسِيَّةٌ اشْتِراكِيَّة، كانَتْ تَصْدُرُ مِنَ القُدْس. نَشَرَ فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ حُسْنِي فَرِيْز عَدَداً مِنْ مَقالاتِهِ المُتَرْجَمَةِ عَنِ الإِنْجلِيزِيَّة، بَيْنَ عامِي (١٩٤٥-١٩٤٦م)[٤]، كَما نَشَرَ فِيْها كُلٌّ مِنْ: سَعد جُمْعَة[٥]، وسُلَيْمان الحَدِيْدِيّ[٦]. وبَلَغَ عَدَدُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ ثَمانِيَ.

ثانِي عَشَر: مَجَلَّةُ "الطَّلِيْعَة".

أَصْدَرَها ناصِر الدِّيْن حدّة– فِي دِمَشْق– مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٥م). نَشَرَ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ سَبْعَ مُشارَكاتٍ فِي "الطَّلِيْعَة" مُنْذُ سَنَتِها الثّانِيَة، وتَعاقَبَ عَلى النَّشْرِ فِيْها كُلٌّ مِنْ: مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإيْرانِي[٧] وحُسْنِي فَرِيْز[٨]، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس[٩].

---

(١) انْظُر: العُزَيْزات، جُورج، مِنْ تأمُّلات الإمبراطُور مرقص أُوريلْيوس، المَجَلَّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٧، العَدَد٣، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ= ١٩٣٨م، ص١٧-٢٠.

(٢) انْظُر: الإيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، هَلْ المَوْتُ أَفْضَلُ مِنَ الحَياة؟، المَجَلَّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٨، العَدَد٦، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ= ١٩٣٨م، ص٣٢-٣٦.

(٣) نُشِرَتْ فِي الأَعْدادِ الصّادِرَةِ بَيْنَ سَنَتَي ١٩٣٥-١٩٣٩م.

(٤) نُشِرَتْ فِي المُجَلَّدَيْن: الأَوَّل والثّانِي، الأَعْداد: ٥، ٩، ١٢، ١٣، القُدْس، ١٣٦٤-١٣٦٥هـ=١٩٤٥-١٩٤٦م.

(٥)انْظُر: جُمْعَة، سَعْد، الطَّنْطاوِيّ: نَبّاحُ الرَّجْعِيَّة الجَدِيْد، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١.

(٦) انْظُر: الحَدِيْدِيّ، سُلَيْمان، عِبَر الهِجْرَة، مَجَلَّة الغَدّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٣.

(٧) انْظُر: الإيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، السَّعادَة حَقٌّ مُطْلَقٌ لِلجَمِيْع، مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، السَّنَة٢، العَدَد١، دِمَشْق، ١٣٥٤هـ=١٩٣٦م، ص٣٢-٣٨.

(٨) انْظُر: فَرِيْز، حُسْنِي، آثار جَرَش (شِعْر)، مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، السَّنَة٢، العَدَد١٠، دِمَشْق، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص٨٥٧-٨٥٩.

(٩) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، الشِّعْر العَرَبِيّ بَيْنَ الجاهِ والسُّلْطان، مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، السَّنَة٣، العَدَد٤، دِمَشْق، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٢٤٨-٢٥٠.

ثالثَ عَشَر: مَجَلَّةُ "الثَّقافَة" (المِصْرِيَّة).

وهِيَ ذاتُ شُهْرَةٍ عالِيةٍ فِي الأَوْساطِ الثَّقافِيَّةِ العَرَبِيَّة، أَصْدَرَها أَحْمَد أَمِيْن – فِي القاهِرَةِ– مُنْذُ سَنَةِ(١٩٣٩م). نَشَرَ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ فِي "الثَّقافَةِ" مُنْذُ سَنَتِها الأُولى، وتَعاقَبَ عَلى النَّشْرِ فِيْها كُلٌّ مِنْ: مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ (١٩٣٩م)[١]، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس (١٩٤١م)[٢]، وأَدِيْب عَبّاسِيّ (١٩٤٢م)[٣]، وعِيْسى النّاعُورِيّ (١٩٤٢م)[٤]، وناصِر الدِّيْن الأَسَد (١٩٤٥م)[٥]، ولَكِنَّ مَجْمُوعَ ما نَشَرَتْهُ المَجَلَّةُ لِلأُرْدُنِيِّيْنَ لا يَتَجاوَزُ سِتّاً، وهُوَ قَلِيْلٌ إِزاءَ ما كانَ مأْمُولاً.

رابِعَ عَشَر: مَجَلَّة "السَّلام والخَيْر".

أَصْدَرَتْها حِراسَةُ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ (الفِرنْسِيْسكان) – فِي مَدِيْنَةِ القُدس، مُنْذَ سَنَةِ (١٩٣٧م)، وهِيَ مَجَلَّةٌ دِيْنِيَّةٌ مَسِيْحِيَّةٌ كاثُولِيكِيَّة. نَشَرَ فِيْها رُوكس العَزَيْزِيّ عَدَداً مِنْ مَقالاتِهِ وخَواطِرِهِ الأَدَبِيَّةِ والدِّيْنِيَّة، فِيْما بَيْنَ عامِي (١٩٤٥–١٩٤٦م)[٦]، ثُمَّ تابَعَ الكِتابَةَ عَلى صَفَحاتِها فِي السَّنَةِ اللّاحِقَة. كَما نَجِدُ فِي المَجَلَّةِ مُشارَكَةً شِعْرِيَّةً نَشَرَها عِيْسى النّاعُورِي (١٩٤٥م)[٧].

خامِسَ عَشَر: مَجَلَّة "مينرفا".

أَصْدَرَتْها ماري يِنّي عَطا الله– فِي بَيْرُوت– مُنْذُ (١٩٢٣م). نَشَرَ مُصْطَفى وَهْبِي التَّلّ فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ – سَنَةَ (١٩٢٥م) – رُدُوداً عَلى تَرْجَمَةِ أَمِيْن نَخْلَة لِطائِفَةٍ مِنْ "رُباعِيّات الخَيّام"، وانْتَقَدَ نَقْلَهُ إِيّاها عَنِ الإِنْجلِيزِيَّة[٨]، ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِتَعْرِيْبِ طائِفَةٍ مِنَ الرُّباعِيّاتِ عَنِ التُّرْكِيَّة[٩].

---

(١) انْظُر: الإِيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، ترغيف: عَصْرُهُ وحَياتُه، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة١، العَدَد٤٣، القاهِرَة، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص١٤–١٨.

(٢) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، الحَياة بِلا شِعْر، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة٣، العَدَد١٢٦، القاهِرَة، ١٣٦٠هـ=١٩٤١م، ص٢١–٢٢.

(٣) انْظُر: عَبّاسيّ، أَدِيْب، هِيَ (شِعْر)، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة٤، العَدَد١٥٩، القاهِرَة، ١٣٦١هـ=١٩٤٢م، ص٥١–٥٢.

(٤) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، إِداور جنر، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة٤، العَدَد١٨٠، القاهِرَة، ١٣٦١هـ=١٩٤٢م، ص١٦–١٧.

(٥) انْظُر: الأَسَد، ناصِر الدِّيْن، أَيُّها اللَّيْل (شِعْر)، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة٧، العَدَد٣٤٣، القاهِرَة، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٢٥.

(٦) نُشِرَتْ فِي المُجَلَّدِ الأَوّل، العَدَدان٦–٨، والمُجَلَّد السّادِس، العَدَدان١١–١٢، القُدْس، ١٣٦٥–١٣٦٦هـ=١٩٤٥–١٩٤٦م.

(٧) انْظُر، النّاعُورِيّ، عِيْسى، سِرُّ الفِداء، مَجَلَّة السَّلام والخَيْر، السَّنَة٥، العَدَد٤ القُدْس، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٣٢.

(٨) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، الخَيّام ورُباعِيّاته، مَجَلَّة مينرفا، السَّنَة٣، الجُزْء٤، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٧٣–١٧٥، والجُزْء١٠، ص٥١٩–٥٢١.

(٩) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، مِنْ رُباعِيّات الخَيّام، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٣، الجُزْء٧، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٧٣–١٧٥، والجُزْء٨، ص٤٢١–٤٢٤.

سادِسَ عَشَر: مَجَلَّة "الفَجْر".

مَجَلَّةٌ ثَقافِيَّةٌ فَنِّيَّةٌ أَسْبُوعِيَّة، أَصْدَرَها عارِف العَزونِيّ – في يافا- سَنَةَ (١٩٣٥م)، وكانَ مَحْمُود سَيْف الدِّين الإِيْرانِيّ يَعْمَلُ سِكْرتيْراً لِتَحْرِيْرِها، ولَكِنَّها أَوْصَدَتْ أَبْوابَها مَع انْدلاعِ الثَّوْرَةِ الفلسطِينِيَّةِ (١٩٣٦م). نَشَرَ الإِيْرانِيُّ في هَذِهِ المَجَلَّةِ عَدَداً مِنْ مَقالاتِهِ في سَنَتِها الأُولى[١]، كَما نَشَرَ فِيْها صُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة إِحْدى قَصَصِهِ في السَّنَةِ ذاتِها[٢].

سابِعَ عَشَر: مَجَلَّةُ "الأَدِيْب".

وهِيَ مِنَ المَجَلّاتِ الأَدَبِيَّةِ الثَّقافِيَّةِ المَشْهُورَةِ آنَذاك، أَصْدَرَها أَلبير أَدِيْب- في بَيْرُوتَ- مُنْذُ سَنَةِ (١٩٤٢م). نَشَرَ رُوكس العُزَيْزِيّ وعِيْسى النّاعُورِيّ عَدَداً يَسِيْراً مِنَ المَقالاتِ في هَذِهِ المَجَلَّة، فِيْما بَيْنَ سَنَتَي (١٩٤٥-١٩٤٦م)[٣].

ثامِنَ عَشَر: مَجَلَّةُ "الاقْتِصادِيّاتِ العَرَبِيَّة".

أَصْدَرَتْها شَرِكَةُ المَطْبُوعاتِ العَرَبِيَّةِ – في القُدْسِ- مُنْذَ سَنَةِ (١٩٣٥م)، وهِيَ مَجَلَّةٌ اقْتِصادِيَّةٌ تَوَلّى تَحْرِيْرَها فُؤاد سابا. نَشَرَ فِيْها شُكْرِي شعْشاعَة – في العامِ المَذْكُور-مَقالَتَيْنِ في مَجالِ الاقْتِصاد، تَتَعَلَّقُ إِحْدَهُما بِالمَرافِقِ الاقْتِصادِيَّةِ في شَرْقِ الأُرْدُن[٤].

تاسِعَ عَشَر: مَجَلَّة "الرِّوايَة".

أَصْدَرَها أَحْمَد حَسَن الزَّيّات – في القاهِرَةِ- مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٧م). نَشَرَ أَدِيْب عَبّاسِيّ في هَذِهِ المَجَلَّةِ بَعْضَ المُشارَكاتِ القَصَصِيَّة، في سَنَتِها الأُولى[٥].

عِشْرُون: مَجَلَّةُ "الزَّهْراء".

أَصْدَرَها مُحِبُّ الدِّيْن الخَطِيْب- في القاهِرَةِ- مُنْذُ سَنَةِ (١٩٢٤م). وهِيَ مِنَ المَجَلّاتِ القَدِيْمَةِ التي نَشَرَ فِيها الأُرْدُنِيّان: مُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ (١٩٢٥م)[٦]، والشَّيْخ سَعِيْد الكَرْمِيّ (١٩٢٧م)[٧].

---

(١) نُشِرَتْ في الأَعْداد: ١، ٢، ٣، القُدْس، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م.

(٢) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، مِنْ رُباعِيّات الخَيّام، المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٣، الجُزْء٧، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٧٣-١٧٥، والجُزْء٨، ص٤٢١-٤٢٤.

(٣) نُشِرَتْ في المُجَلَّد٤، العدد١٠، والمُجَلَّد٥، العَدَدان: ١، ٢، بَيْرُوت، ١٣٦٤-١٣٦٥هـ=١٩٤٥-١٩٤٦م.

(٤) انْظُر: شعْشـــاعَة، شُكْرِي، المَرافِق الاقْتِصادِيَّة في شَرْق الأُرْدُن، مَجَلَّة الاقْتِصادِيّات العَرَبِيَّة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨-ص٨-١٥.

(٥) نُشِرَتْ في المُجَلَّدِ الأَوّل، الأَعْداد: ١٩، ٢٠، ٢٢، القاهِرة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م.

(٦) انْظُر: الشُّرَيْقِيّ، مُحَمَّد، مِصْر والشّام (شِعْر)، مَجَلَّة الزَّهْراء، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٠٠-٣٠٣.

(٧) انْظُر: الكَرْمِيّ، سَعِيْد، الأَراقِم، مَجَلَّة الزَّهْراء، المُجَلَّد٤، الجُزْء١، القاهِرَة، ١٣٤٦هـ=١٩٢٧م، ص٦١٥-٦١٧.

حادي وعِشْرُون: مَجَلَّةُ "الثَّقافَة" (السُّوريَّة).

أَصْدَرَها خَلِيْل مَرْدَم وبَعْضُ أَقْرانِهِ– في دِمَشْقَ– مُنْذُ سَنَةَ (١٩٣٣م). نَشَرَ فِي هَذِهِ المَجَلَّةِ تَوْفِيْق الحِنّاوِيّ – المُقِيْمُ في إِرْبِدَ آنَذاك– قَصِيْدَتَيْن، في سَنَتَي (١٩٣٣، و١٩٣٤م)[١].

ثاني وعِشْرُون: مَجَلَّةُ "الدُّهُور".

أَصْدَرَها سَلِيْم خياطَة – فِي بَيْرُوتَ– مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٤م)، نَشَرَ فِيها حُسْنِي فَرِيْز إِحْدى مَسْرَحِيّاتِه، فِي سَنَتِها الأُولى[٢].

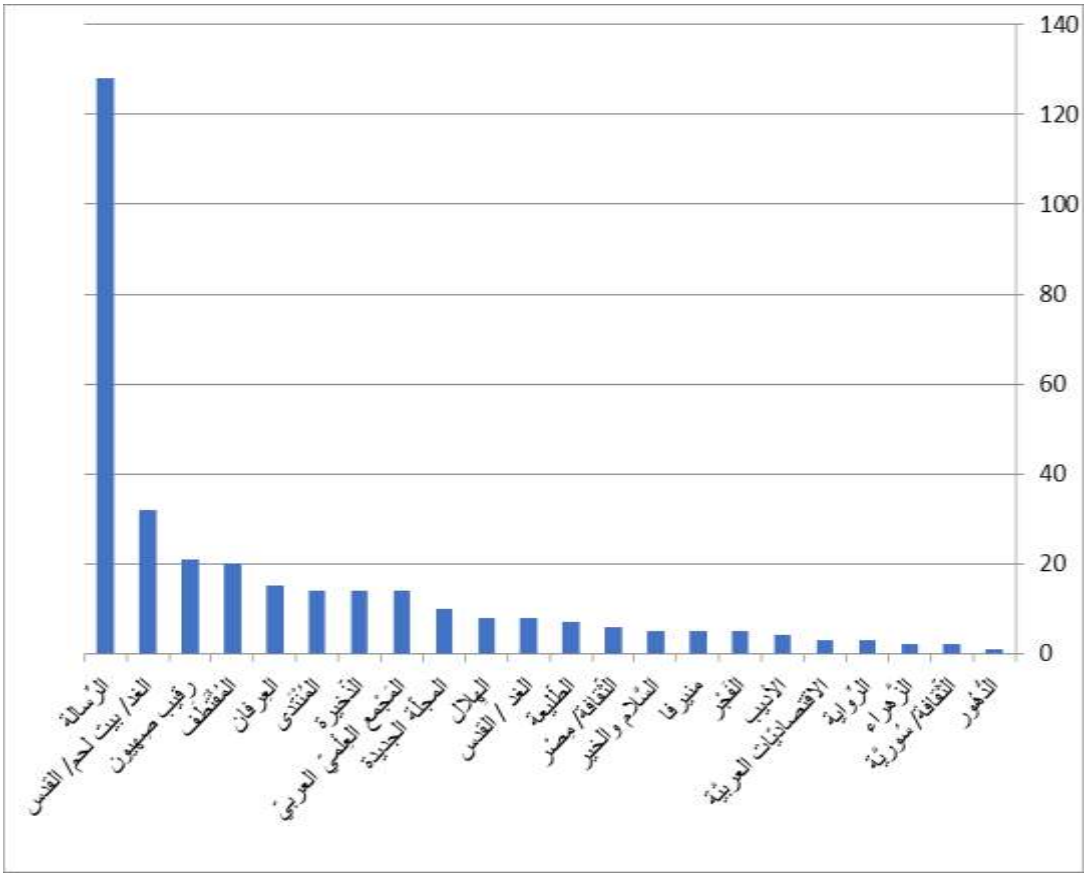

تَمْثِيْلٌ بَيانِيٌّ يُوَضِّحُ أَعْدادَ المَوادِّ الأُرْدُنِيَّةِ المَنْشُورَةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١–١٩٤٦م)

ويَرى النّاظِرُ – بَعْدَ هَذا الشَّوْطِ مِنِ اسْتِعْراضِ أَهَمِّ المَجَلّاتِ التي نَشَرَ فِيْها الرَّعِيلُ الأَوّلُ مِنَ الكُتّابِ فِي الأُرْدُنِّ– أَنَّ الإِسْهامَ الأُرْدُنيَّ فِي مَشْهَدِ الحَرَكَةِ الثَّقافِيَّةِ العَرَبِيَّةِ – التي كانَتْ تُحَرِّكُها

(١) انْظُر: الحِنّاوِيّ، تَوْفِيْق، مِنْ غَيْرِ عُنْوان (شِعْر)، مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة١، العَدَد٤، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٨١، والعدد٨، ص٧٦١.

(٢) انْظُر: فَرِيْز، حُسْنِي، حَدِيْثٌ في المَقْهى (مَشْهَدٌ مَسْرَحِيّ)، مَجَلَّة الدُّهُور، العَدَد٨، بَيْرُوت، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٧٨٩–٧٩٣.

المَجَلّاتُ الثَّقافِيَّةُ والفِكْرِيَّةُ والأَدَبِيَّة- لَمْ يَكُنْ هَيِّناً أَو قَلِيْلاً، فَلَدَينا نَحوَ ثَلاثَمِئَةٍ وثَلاثِيْن[1] مُشارَكَةً مَنْشُورَةً في اثْنَتَيْنِ وعِشْرِيْنَ مَجَلَّةً مِنَ المَجَلّاتِ المَشْهُورَةِ الصّادِرَةِ في تِلْكَ المُدَّة، ولا سيَّما في المَجَلّاتِ المِصْرِيَّةِ والفلسطِيْنِيَّة، وعَلى رأسِها مَجَلَّةُ "الرِّسالَة"، كَما أَلْمَعْنا. فَضْلاً عَنِ المَجَلّاتِ السُّورِيَّةِ واللُّبْنانِيَّة، وهُو عَدَدٌ يُعَبِّرُ عَنِ اتِّساعِ حَرَكَةِ الكِتابَةِ والنَّشْرِ في الأُرْدُنِّ آنَذاك، وتَمَدُّدِها خارِجَ الوَطَن، في مُدَّةٍ قِياسِيَّة.

جَدْوَلٌ إِحْصائِيٌّ يُبَيِّنُ عَدَدَ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ المَنْشُورَةِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١-١٩٤٦م)

السَّنَة	عَدَدُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ المَنْشُورَةِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة
1921	10
1922	4
1923	0
1924	0
1925	5
1926	2
1927	3
1928	0
1929	5
1930	4
1931	10
1932	3
1933	9
1934	30
1935	27
1936	23
1937	34
1938	32
1939	18
1940	5

(1) لَم يَرْصُدْ كَشّافُ الدُّوْرِيّاتِ العَرَبِيَّةِ: (١٨٧٦-١٩٨٤م)، إِعْداد عَبْد الجَبّار عَبْد الرَّحمَن، مَصْدَرٌ سابِق، سِوى أَقَلّ مِنْ عِشْرِيْنَ مُشارَكَةً أُرْدُنِيَّةً في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة (١٩٢١-١٩٤٦م)، ممّا يَعْنِي أَنَّ الفَوْتَ كَبِيْر.

السَّنَة	عَدَدُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ المَنْشُورَةِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة
1941	15
1942	12
1943	2
1944	5
1945	24
1946	43

يَبْدُو مِنَ التَّدْقِيْقِ فِي هذا الجَدْوَلِ أَنَّ نَشاطَ حَرَكَةِ النَّشْرِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١–١٩٤٦م) مَرَّ بِأَرْبَعِ مَراحِلَ، هِيَ:

- المَرْحَلَةُ الأُولى(١٩٢١–١٩٣٣م)، وهِيَ مَرْحَلَةُ البِداياتِ، وكانَ النَّشْرُ فِيْها مُتَواضِعاً ضَعِيْفاً، ودُوْنَ المُسْتَوى المأْمُول. وبَلَغَ عَدَدُ ما نُشِرَ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ (٥٥) مُشارَكَة، أَيّ ما نِسْبَتُهُ (١٧%) مِنْ مُجْمَلِ المُشارَكات، ويُلاحَظُ أَنَّ هَذِهِ المَرْحَلَةَ التي تَسْتَغْرِقُ اثْنَي عَشَرَ عاماً – أي قُرابَةَ شَطْرِ عَهْدِ الإمارَةِ– هِيَ أَطْوَلُ المَراحِلِ وأَقَلُّها عَطاءً، وتَخْلُو بَعْضُ سَنَواتِها مِنْ أَيَّةِ مُشارَكَة.
- المَرْحَلَةُ الثّانِيَة (١٩٣٤–١٩٣٩م)، وهِيَ مَرْحَلَةُ الغَزارَةِ والتَّدَفُّق، فَفِي هَذِهِ السَّنَواتِ السِّتِّ تَضاعَفَتِ المُشارَكاتُ ونَمَتْ نُمُوّاً واسِعاً، حَتّى وَصَلَ عَدَدُ المُشارَكاتِ إِلى (١٦٤) مُشارَكَة، أَيّ ما نِسْبَتُهُ (٥٠%) مِنْ مُجْمَلِ المُشارَكات. ولَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبابِ هَذا الارْتِفاعِ الكَبِيْرِ عَوْدَةُ كَثِيْرٍ مِنَ الكُتّابِ الأَوائِلِ مِنَ الدِّراسَةِ فِي الخارِجِ، وتَقَلُّدُهُم الوَظائِفَ التَّعْلِيْمِيَّةَ والحُكُومِيَّة، وتَفَرُّغُهُم لِلكِتابَة، فَضْلاً عَنْ ظُهُورِ مَجَلَّةِ "الرِّسالَة" المِصْرِيَّةِ فِي هَذِهِ الأَثْناء، وهِيَ المَجَلَّةُ التي اسْتَقْطَبَت طائِفَةً مِنَ الأَقْلامِ الأُرْدُنِيَّةِ النّاشِئَة، وشَكَّلَتْ – فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ– الوِجْهَةَ الأَثِيْرَةَ لَدى كَثِيْرٍ مِنَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الأَوائِل، كَما رأَينا آنِفاً.
- المَرْحَلَةُ الثّالِثَة (١٩٤٠–١٩٤٤م)، وهِيَ مَرْحَلَةُ الرُّكُودِ والتَّراجُعِ بَعْدَ التَّدَفُّق، ولَمْ يَتَسَنَّ لِلأُرْدُنِيِّيْنَ أَنْ يَنْشُرُوا فِي هَذِهِ السِّنِي العَصِيْبَةِ سِوى (٣٩) مُشارَكَة، بِنِسْبَةِ (١١%). وواضِحٌ أَنَّ هَذِهِ المَرْحَلَةَ هِيَ أَقَلُّ المَراحِلِ عَطاءً وإِنْتاجاً ونَشْراً فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة. ولَعَلَّ السَّبَبَ المُفْضِي إِلى هَذا التَّراجُعِ الكَبِيْرِ هُوَ مُرُورُ المَنْطَقَةِ بِتَداعِياتِ الحَرْبِ الكَوْنِيَّةِ الثّانِيَةِ التي أَلْقَتْ بِظِلالِها عَلى وَقْعِ الحَياة، فَتَعَطَّلَتْ بِسَبَبِها كَثِيْرٌ مِنَ الأَنْشِطَة.
- المَرْحَلَةُ الرّابِعَة (١٩٤٥–١٩٤٦م)، وهِيَ مَرْحَلَةُ التَّعافِي بَعْدَ الرَّكْدَةِ التي أَصابَتْ حَراكَ الكِتابَةِ والنَّشْرِ فِي سَنَواتِ الحَرْب، فَقَدْ اسْتَأْنَفَ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ نَشاطَهُم، وجَدُّوا فِي آخِرِ عَهْدِ الإمارَةِ بِالنَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، فَنَشَرُوا فِي هَذَيْنِ العامَيْنِ فَقَط (٦٧) مُشارَكَة، تُشَكِّلُ ما نِسْبَتُهُ (٢٠%) مِنْ مُجْمَلِ المُشارَكاتِ المَنْشُورَةِ طِيْلَةَ عَهْدِ الإمارَة، مِمّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ نَشاطَ الكِتابَةِ والنَّشْرِ بَلَغَ أَوْجَ خَطِّهِ المُتَصاعِدِ فِي آخِرِ سَنَواتِ عَهْدِ الإمارَة (١٩٤٦م)، إِذْ بَلَغَ عَدَدُ المُشارَكاتِ فِي هَذا

العام وَحْدَه (٤٣) مُشارَكَة، أَيّ ما نِسْبَتُهُ (١٣%) مِنْ مُجْمَلِ المُشارَكاتِ المُمْتَدَّةِ عَلى مَدارِ رُبْعِ قَرْنٍ (١٩٢١-١٩٤٦م)، وهِيَ أَعْلى النِّسَبِ المُسَجَّلَة.

كانَتْ هَذِهِ المَجَلّاتُ -إِذَن- المَنْفَذَ الأَوْسَعَ الذي آوى إِلَيه أَكْثَرُ الكُتّابِ في هَذا العَهْد، ولَكِنَّ المُلاحَظَ أَنَّ عَمَلِيَّةَ الكِتابَةِ والنَّشْرِ- رُغْمَ سَيْرورَتِها- لَمْ تَكُنْ تَخْلُو مِنْ مُعاناة، ولا سِيَّما في بِيْئَةٍ لَمْ تَعْتَدْ هَذا اللَّوْنَ مِنَ الحَراك. ولِذا، جاءَ النَّشْرُ مُتَذَبْذِباً غَيْرَ مُنْتَظِمٍ لَدى أَكْثَرِ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْن، فَبَعْضُهُم أَلْقى مُحاولاتِهِ الأُولى وآثَرَ الانْسِحاب، واضْطُرَّ بَعْضُهُم إِلى الاعْتِزالِ واطِّراحِ الكِتابَة، ووَقَفَتِ الظُّرُوفُ الصَّعْبَةُ في وَجْهِ اسْتِمْرارِ بَعْضِهِم، واسْتَساغَ بَعْضُهُم مَنافِذَ أُخْرى جَدِيْدَةً لِلنَّشْر، كالكُتُب. ومع ذَلِكَ، حافَظَ بَعْضُهُم عَلى خَطِّ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، فاكْتَسَبَ فَضْلَ شُهْرَةٍ في الأَوْساطِ الأَدَبِيَّةِ العَرَبِيَّة، كَما هُو شأن عِيْسى النّاعُورِيّ الذي لَمْ تَنْطَفِئْ ذُبالَةُ قَلَمِهِ عَنِ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ إِلى أَنْ وافَتْهُ المَنِيَّة.

ويَتَلامَحُ أَنَّ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةَ القَدِيْمَةَ احْتَضَنَتْ فَيْضاً مِنَ الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ الأُولى، وتَجاوَبَتْ عَلى صَفَحاتِها عَشَراتِ الأَصْواتِ الجَدِيْدَةِ القادِمَةِ مِنَ الأُرْدُنّ. ولِذا، فإِنَّ هَذِهِ المَجَلّاتِ تُشَكِّلُ مَوْرِداً بَحْثِيّاً مُهِمّاً، ومَرْجِعِيَّةً أَصِيْلَة، ومَكْنَزاً ثَرِيّاً لِكُلِّ مَنْ يَتَغَيّا الكِتابَةَ عَنِ الحَرَكَةِ الثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ في الأُرْدُنّ في عُقُودِها التَّأْسِيْسِيَّةِ الأُولى. ولَكِنْ مِمّا يُؤْسَفُ عَلَيه غِيابُ هَذِهِ المَرْجِعِيَّةِ في جُلِّ البُحُوثِ والدِّراساتِ التي دارَتْ حَوْلَ هَذِهِ الرَّحى، وقَدْ لاحَظَ الدَّارِسُ أَنَّ أَشْهَرَ مَنْ كَتَبُوا في هَذا المَدارِ البَحْثِيِّ اعْتَمَدُوا - بِشَكْلٍ رَئِيْسٍ- عَلى الدِّراساتِ والكُتُبِ والدَّواوِيْنِ والمَجْمُوعاتِ المَطْبُوعَة، أَو الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ المَحَلِّيَّة، وهَذا مَسْلَكٌ عِلْمِيٌّ حَسَن، ولَكِنَّ عَدَمَ اكْتِراثِهِم بِالاطِّلاعِ عَلى أَرْشِيْفِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَة، وما تُقَدِّمُهُ مِنْ مادَّةٍ غَنِيَّة، فَوَّتَ عَلَيْهِم الكَثِيْر، وكانَ يُمْكِنُ لِهذا المَوْرِدِ الثَّرِيِّ أَنْ يُمِدَّهُم بِطاقاتٍ جَدِيْدَة.

وقَدْ وُجِدَ - بَعْدَ فَحْصٍ وتَعَقُّبٍ - أَنَّ هَذِهِ المَرجِعِيَّةَ المُهِمَّةَ شَيْهٌ غائِبَةٍ عَنْ أَكْثَرِ الدِّراساتِ التي يُقَدِّرُ الباحِثُ جُهُودَ مُؤَلِّفِيْها، وقَدْ أَشارَ سَمِيْر قَطامِي - وهُوَ مِنْ أَبْرَزِ الكاتِبِيْنَ في هَذا المَوْضُوعِ- إِلى صُعُوبَةِ الاسْتِعانَةِ بِالصُّحُفِ والمَجَلّاتِ القَدِيْمَةِ عِنْدَ تَناوُلِ هَذا المَوْضُوع؛ لِفُقْدانِ كَثِيْرٍ مِنْها، فَضْلاً عَنِ افْتِقارِها إِلى الفَهْرَسَةِ التي تُيَسِّرُ سَبِيْلَ البَحْث، كَما يَقُول[1].

والشَّيءُ ذاتُهُ يُقالُ عَنِ المَجامِيْعِ التي كَفَلَ بَعْضُ الباحِثِيْنَ صِناعَتَها؛ ابْتِغاءَ جَمْعِ أَعْمالِ نَفَرٍ مِنَ الرُّوّاد، فَقَدْ أَغْفَلَ جُلُّ هَذِهِ المَجامِيْعِ - رُغْمَ وَسْمِها بِـمَسْكُوكَةِ "الأَعْمال الكامِلَة"- المَوْرُوثَ الذي نَشَرَهُ الرُّوّادُ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَة، مِمّا جَعَلَ العُوارَ والنَّقْصَ سِمَةَ هَذِهِ الأَعْمال.

وبَعْدُ، فَلا جَرَمَ أَنَّ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةَ الأُولى المَنْشُورَةَ في هَذِهِ المَجَلّاتِ حَمَلَتْ في أَعْطافِها جُمْلَةً مِنَ الدَّلالاتِ المُهِمَّة:

([1]) انْظُر: قَطامِي، سَمِيْر، الحَرَكَة الأَدَبِيَّة في شَرْقِ الأُرْدُنّ مُنْذُ قِيامِ الإِمارَةِ حَتّى سَنَةِ ١٩٤٨م، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١.

- أَوَّلُها: تَحَفُّزُ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الجُدُدِ ورَغْبَتُهُم فِي الحُضُورِ الثَّقافِيّ، والمُشارَكَةِ فِي رَسْمِ مَعالِمِ المَشْهَدِ الثَّقافِيِّ والحَرَكَةِ الفِكْرِيَّةِ فِي الوَطَنِ العَرَبِيّ، بِما يُقَدِّمُونَهُ مِنْ رُؤًى وأَفْكارٍ وإِبْداعاتٍ لَقِيَتِ التَّقْدِيْرَ والاحْتِرام.
- وثانِيْها: ما يُمَثِّلُ هَذا الحَراكُ الجَدِيْدُ مِنَ العَزْمِ عَلى الخُرُوجِ مِنْ طُغْمَةِ العُزْلَةِ الثَّقافِيَّةِ التي أَرْخَتْ سُدُولَها عَلى البِلاد، مُنْذُ عُقُودٍ طَوِيْلَة، فَكانَتْ هَذِهِ السَّبِيْلُ فُرْصَةً لِتَجْدِيْدِ الوَصْلِ الثَّقافِيِّ والفِكْرِيِّ بِالأَشْقّاءِ العَرَب، فِي الأَقْطارِ المُجاوِرَة.
- وثالِثُها: أَنَّ الأَصْواتَ الأَدَبِيَّةَ والثَّقافِيَّةَ والفِكْرِيَّةَ الأُرْدُنِيَّةَ الأُولى، وقَدْ وَجَدَتْ لَها مَوْطِئَ قَدَمٍ فِي أَزْهى المَجَلّاتِ وأَشْهَرِها، كانَتْ مُؤَهَّلَةً تأهِيلاً ثَقافِيّاً وفَكْرِيّاً ولُغَوِيّاً مَتِيْناً، ولَولا ذَلِكَ لما وَجَدَتْ تَرْحاباً عَلى صَفَحاتِ تِلْكَ المَجَلّاتِ التي كانَتْ تَحْرَصُ عَلى مُسْتَواها الرَّفِيْع، ولا تَقْبَلُ إِلّا نَشْرَ ما يَرْقى إِلى المُسْتَوى المَطْلُوب.
- ورابِعُها: أَنَّ حُضُورَ حَمَلَةِ الأَقْلامِ الأَرادِنَةِ فِي الأَعْدادِ الأُولى لِعَدَدٍ مِنْ تِلْكَ المَجَلّات، فَضْلاً عَنِ اسْتِكْتابِ بَعْضِهِم مِنْ قِبَلِ مُؤَسِّسِي بَعْضِ المَجَلّاتِ ورُؤَساءِ تَحْرِيْرِها، يُعَدُّ عَلامَةً وَضّاءَةً عَلى الثِّقَةِ التي حازَها هَؤُلاءِ الرُّوّاد، وامْتِدادِ شَبَكَةِ عَلاقاتِهِم الثَّقافِيَّةِ خارِجَ الوَطَن، وانْعِقادِ صِلاتِهِم الفِكْرِيَّةِ القَوِيَّةِ مَعَ الأَسْماءِ الكَبِيْرَةِ المَعْرُوفَةِ فِي السّاحَةِ آنَذاك.
- وخامِسُها: أَنَّ أَسْماءَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ طَفِقَتْ تَتَجاوَبُ فِي عالَمِ الفِكْرِ والثَّقافَةِ والأَدَبِ مُنْذُ ذَلِكَ الحِيْن، وبَدأَتْ هَذِهِ الأَسْماءُ الجَدِيْدَةُ التي تَراءَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلى صَفَحاتِ المَجَلّاتِ تَزْحَمُ الأَسْماءَ الكَبِيْرَة، وتَظْهَرُ إِلى جانِبِها.
- وسادِسُها: أَنَّ النَّشْرَ فِي هَذِهِ المَجَلّاتِ أَفْسَحَ لِلكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الجُدُدِ الطَّرِيْقَ لِخَوْضِ غِمارِ المُناقَشاتِ العِلْمِيَّةِ العَمِيْقَةِ مَعَ القاماتِ الفِكْرِيَّةِ الكَبِيْرَة، مِنْ مِثْلِ: عَبّاس العَقّاد[١]، وأَحْمَد أَمِيْن[٢]، وزَكِي مُبارَك[٣]، وسَلامَة مُوسى[٤]، وأَمِيْن نَخْلَة[٥]، وعِيْسى المَعْلُوف[٦]، وغَيْرِهِم. وجاءَتْ هَذِهِ المُناقَشاتِ العَمِيْقَةِ رُدُوداً رَصِيْنَةً ومُساجَلاتٍ عِلْمِيَّةً[٧] اتَّسَمَتْ بِالحَيْدَةِ والمَوْضُوعِيَّةِ والشَّجاعَةِ وبَيانِ الحَقِيْقَة، مِنْ غَيْرِ مُواربَة.

---

(١) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٣٤، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٢٠٨٩-٢٠٩٠.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٤، العَدَد١٣٦، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٦م، ص٢١٩-٢٢١.

(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٩، العَدَد٤٢٧، القاهِرَة، ١٣٦٠هـ=١٩٤١م، ص٤٢٧.

(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٢، العَدَد٦٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٥٥٠-١٥٥٢.

(٥) انْظُر: مَجَلَّة مينرفا، السَّنَة٣، الجُزْء٤، بَيْرُوت، ص١٧٣-١٧٥، والجُزْء١٠، ص٥١٩-٥٢١.

(٦) انْظُر: مجلة الأَدِيب، السَّنَة٤، العَدَد٥، بَيْرُوت، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٥٧.

(٧) انْظُر: العَوْدات، يَعْقُوب، عَرار: شاعِرُ الأُرْدُنّ، مَصْدَرٌ سابِق، ص٩٥-١٠٤، والتَّلّ، مُصْطَفى وَهْبي، رُباعِيّات الخَيّام (تَرْجَمَة)، دِراسَة وتَحْقِيْق: يُوسُف بَكّار، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، عَمّان، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م، ص٣١-٣٧ (دِراسَة المُحَقِّق).

جَدْوَلٌ يَتَضَمَّنُ بَعْضَ البَياناتِ عَنِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الذيْنَ نَشَرُوا في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (١٩٢١-١٩٤٦م)

الرَّقم	الكاتِب/ الأَدِيْب	الوِلادَة	الوَفاة	العُمْرُ عِنْدَ بَدْءِ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة	عَدَدُ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة التي نَشَرَ فِيْها
	سَعِيْد الكَرْمِيّ	١٨٥٢	١٩٣٥	٦٩	٢
	حَنّا القُسُوس	١٨٨٥	١٩٥٣	٤٧	١
	شُكْري شَعْشاعَة	١٨٩٠	١٩٦٣	٤٥	٢
	تَوْفِيْق الحِنّاوِيّ	١٨٩٤	١٩٨٢	٣٩	١
	مُحَمَّد الشَّرَيْقِيّ	١٨٩٨	١٩٧٠	٢٧	١
	مُصْطَفى وَهْبِي التَّلّ	١٨٩٩	١٩٤٩	٢٦	٢
	تَيْسِيْر ظَبْيان	١٩٠١	١٩٧٨	٣٦	١
	صُبْحِي أَبُو غَنِيْمَة	١٩٠٢	١٩٧٠	٣٣	١
	رُوكس العُزَيْزِيّ	١٩٠٣	٢٠٠٤	٣١	٥
	أَدِيب عَبّاسِيّ	١٩٠٥	١٩٩٧	١٩	٦
	مُحَمَّد الأَمِيْن الشَّنْقِيْطِيّ	١٩٠٥	١٩٩٠	٣٢	١
	حُسْني فَرِيْز	١٩٠٧	١٩٩٠	٢٠	٦
	صَيّاح الرُّوسان	١٩٠٧	بَعْدَ ١٩٨٩	٢٤	١
	مُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ	١٩٠٧	١٩٧٨	٣٠	٣
	سُلَيْمان النّابُلُسِيّ	١٩٠٨	١٩٧٦	٢٧	١
	فَوْزِي المُلْقِي	١٩٠٩	١٩٦٢	٢٢	١
	يَعْقُوب العَوْدات	١٩٠٩	١٩٧١	٣٧	١
	بَشِيْر الشَّرَيْقِيّ	نَحْوَ ١٩١٠	–	نَحْوَ ٢٤	١
	جُورج العُزَيْزات	١٩١٠	٢٠٠٥	٢٧	٢
	جَمِيْل قُبْعِيْن	نَحْوَ ١٩١٠	–	٢٨	١
	فَرْحان شُبَيْلات	١٩١١	١٩٧٩	٢٣	١
	جريس القُسُوس	١٩١٣	بَعْدَ ١٩٨٩	٢٢	٢
	عَبْد الحَلِيْم عَبّاس	١٩١٣	١٩٧٩	١٦	٤
	خَلِيْل الطّوال	١٩١٤	١٩٨٠	٢٢	٣

الرَّقم	الكاتِب/ الأَدِيْب	الوِلادَة	الوَفاة	العُمْرُ عِنْدَ بَدْءِ النَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة	عَدَدُ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة التي نَشَرَ فِيْها
	مَحْمُود الإِيْرانِيّ	١٩١٤	١٩٧٤	٢١	٤
	رِفْعَت الصَّلِيْبِيّ	١٩١٦	١٩٥٢	٣٠	١
	سَعد جُمْعَة	١٩١٦	١٩٧٩	٣٠	٢
	عَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ	١٩١٧	١٩٨٥	٢٩	١
	عِيْسى النّاعُورِيّ	١٩١٨	١٩٨٥	٢٠	٧
	تَوْفِيْق النَّمرِيّ	١٩١٨	٢٠١١	٢٠	١
	مُصْطَفى العَزّام	١٩١٩	٢٠١٠	٢٠	٢
	خَلِيْل السّالم	١٩٢١	١٩٩٠	١٧	٢
	مُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان	١٩٢١	٢٠٠١	١٧	٢
	ناصِر الدِّيْن الأَسَد	١٩٢٢	٢٠١٥	٢١	١
	عَبْد الكَرِيْم الدَّبّاس	نَحْوَ ١٩٢٢	–	نَحْوَ ١٦	٢
	أَمِيل جُمَيِّعان	نَحْوَ ١٩٢٢	–	نَحْوَ١٨	١
	فُؤاد جُمَيِّعان	نَحْوَ ١٩٢٢	–	نَحْوَ٢٤	١
	تَوْفِيْق أَبُو شَرِيْف	نَحْوَ ١٩٢٢	–	نَحْوَ٢٣	١
	عَلِيّ الحِيارِيّ	١٩٢٣	٢٠٠٢	١٥	١
	أَمِيْن النَّوبانِيّ	١٩٢٥	١٩٩٣	١٤	١
	عَبْد الرَّحمَن العَواملَة	نَحْوَ ١٩٢٥	–	نَحْوَ٢١	١
	سُلَيْمان الحَدِيْدِيّ	١٩٢٦	١٩٩٣	٢٠	١
	مُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِيّ	١٩٢٧	٢٠٠٣	١٢	١

*** المَبْحَثُ الثّالث: اتِّجاهاتُ الكِتابَةِ لَدى الرُّوّادِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة.**

تَنَوَّعَتْ اتِّجاهاتُ كِتابَةِ الرُّوادِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي نَشَرُوا فِيها أَعْمالَهم، وتَعَدَّدَتْ مَساراتُها الثَّقافِيَّةُ والأَدَبِيَّةُ والفِكْرِيَّة، وتَباينَتْ مَضامِيْنُها، عَلى نَحْوٍ يَدلُّ عَلى مُكْنَةِ الكُتّاب أَنْفُسِهم، واتِّساعِ آفاقِهم، وقُدْرَتِهم عَلى تَناوُلِ أَشْتاتٍ مِنَ الموضُوعاتِ الأَدَبِيَّةِ والنَّقْدِيَّةِ والتّارِيْخِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والفَلْسَفِيَّةِ والتَّرْبَوِيَّةِ والقانُونِيَّةِ والعِلْمِيَّة، وغَيْرِها مِنَ المَجالاتِ التي سَنَعْرِضُ لَها فِي هَذا المَحْورِ مِنَ الدِّراسَة، رُغْمَ أَنَّ طائِفَةً كَبِيْرَةً مِنْ هَؤلاءِ الكُتّاب كانُوا فِي فَوْرَةِ الشَّباب وسِنِّ الطَّلَب بَعْدُ، ولَمْ تَكُنْ لَدَيْهِم كَبِيْرُ تَجارِبَ فِي الغَوْصِ عَلى هَذِهِ المَوْضُوعاتِ التي تَسْتَدْعِي الكِتابَةُ فِيْها اطِّلاعاً عَمِيْقاً وتَمَكُّناً مَعْرِفِيّاً راسِخاً.

ومَهما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فإنَّ هَذا التَّلَوُّنَ مَرَدُّهُ تَلَوُّنُ اهْتِماماتِ الكُتّابِ أَنْفُسِهِم، وإرْضاءُ مُيُولِهِم الذّاتِيَّةِ في تَناوُلِ المَوْضُوعاتِ التي تَرُوقُ لَهُم الكِتابَةُ فِيها، فمِنْهُم مَنْ آثَرَ البَقاءَ في دائِرَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ واحِدَةٍ، ومِنْهُم مَنْ تَجاوَزَ حُدُودَ التَّخَصُّص، فَنَوَّعَ فِيما كَتَب، وأَذِنَ لِقَلَمِهِ أَنْ يَطُوفَ عَلى غَيْرِ مَجالٍ مِنَ المَجالاتِ الآنِفَة. ولَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ أَدِيبٍ عَبّاسِيّ مِثالاً عَلى هَذا التَّنَوُّعِ والتَّنَقُّلِ بَيْنَ الأَدَبِيِّ والتّارِيخِيِّ والسِّياسِيِّ والاجْتِماعِيِّ والفَلْسَفِيِّ والنَّفْسِيِّ والتَّهْذِيبِيِّ والإبْداعِيّ، ولا نَعْدُو الحَقِيقَةَ إذْ نَجْعَلُ هَذا الكاتِبَ الفَذَّ أَكْثَرَ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الرُّوّادِ تَنَوُّعاً وإخْلاصاً لِمَبْدأِ الثَّقافَةِ الشّامِلَة.

كانَ عَبّاسِيّ كَما يَصِفُهُ العارِفُونَ بِهِ القَرِيبُونَ مِنْهُ – كالنّاعُورِيّ– "كاتِباً مِلءَ السَّمْعِ والبَصَرِ في العالَمِ العَرَبِيّ، بِما كانَ يَكْتُبُهُ فِي مَجَلّاتِ: (المُقْتَطَف) و(الهِلال) و(الرِّسالَة) و(الثَّقافَة) – في مِصْرَ– مِنْ أَبْحاثٍ عِلْمِيَّةٍ وأَدَبِيَّة، وبِما كانَ يُشارِكُ فِيهِ مِنْ مُناقَشاتٍ فِكْرِيَّة"[١]. وقَدْ كانَ هَذا الانْطِباعُ سائِداً بَيْنَ مُعاصِرِي عَبّاسِيّ مِنْ جِيلِ الرُّواد، فَهَذا عَبْد الحَلِيم عِبّاس يَصِفُهُ فِي أَوائِلِ عَقْدِ الأَرْبَعِيْنَ بِأَنَّهُ "أَكْتَبُ فِتْيانِ الأُرْدُنّ، ومِنْ أَوْسَعِهِم ثَقافَةً واطِّلاعاً"[٢]، فِيما يَرَى سَمِيْر قَطامِي أَنَّ اسْمَ عَبّاسِيّ كانَ "يَقْتَرِنُ بِأَسْماءِ طَه حُسَيْن والعَقّاد والرّافِعِيّ والزَّيّات"[٣].

أَوَّلاً: المَباحِثُ اللُّغَوِيَّة.

يُعَدُّ هَذا المَجالُ مِنْ أَوَّلِ المَجالاتِ التي كَتَبَ فِيها الرُّوّادُ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، وإنْ لم يَكُنْ مِنْ أَوْفَرِها حُضُوراً، ويُلاحَظُ أَنَّ القَضايا اللُّغَوِيَّةَ – وهِيَ ذاتُ مِيْسَمٍ تَخَصُّصِيٍّ فِي الغالِب– دارَتْ عَلى كِتاباتِ الشَّيْخِ اللُّغَوِيِّ سَعِيْد الكَرْمِيّ. ويُمْكِنُ القَوْلُ إنَّ كِتاباتِهِ – فِي هَذِهِ البابَةِ– هِيَ أَقْدَمُ ما كَتَبَهُ الرُّوّادُ – فِي الأُرْدُنِّ– فِي عُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة عامَّةً، بَيْدَ أَنَّ اللّافِتَ أَنَّ الكِتابَةَ فِي هَذا المَجالِ راوَحَتْ مَكانَها، ولَمْ نَظْفَرْ – مِنْ بَعْدُ– بِمَزِيْدِ مُشارَكاتٍ نَشَرَتْها المَجَلّاتُ العَرَبِيَّةُ لِلُغَوِيِّيْنَ أُرْدُنِيِّيْنَ فِي هَذا الطَّوْر، سِوى ما نَجِدُهُ مِن اعْتِناءٍ مَحْدُودٍ بِتَسْجِيلِ طائِفَةٍ مِنَ الأَلْفاظِ العامِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ التي عُنِي رُوكس العُزَيْزِيّ بِتَقْيِيدِها؛ تَعْلِيقاً عَلى "مُعْجَمِ الأَلْفاظِ العامِيَّة" الذي وَضَعَهُ عِيْسى إسْكَنْدَر المَعْلُوف[٤].

قَدَّمَ الكَرْمِيّ – سَنَةَ (١٩٢١م)– بَحْثاً مُعَمَّقاً فِي قَضِيَّةِ "الدَّخِيلِ فِي العَرَبِيَّة"[٥]، هادِفاً –كَما يَقُولُ– إلى " إصْلاحِ غَلَطاتِ الكُتّاب، وتَعْرِيْبِ ما يَلْزَمُ تَعْرِيْبُهُ – أَو تَرْجَمَتُهُ– مِنَ الأَلْفاظِ الحَدِيْثَة"، مُفِيْداً مِنْ طائِفَةٍ مِنَ المَظانِّ اللُّغَوِيَّةِ المُهِمَّةِ، مِثْل: "المُعَرَّب" لِلجَوالِيقِيّ، و"الأَمالي" لِلقالِي، و"الخَصائِص" لابنِ جِنّي، و"دُرَّة الغَوّاص" لِلحَرِيْرِيّ، و"القامُوس المُحِيط" لِلفَيْرُوز أَبادِيّ، و"المُزْهِر" لِلسُّيُوطِيّ، وغَيْرِها،

---

(١) النّاعُورِيّ، عِيْسى، الحَرَكَة الشِّعْرِيَّة فِي الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ المَمْلَكَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الهاشِمِيَّة، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَةِ الشَّباب، عَمّان، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، ص١٣٧.

(٢) قَطامِي، سَمِيْر، الحَرَكَة الأَدَبِيَّة فِي شَرْق الأُرْدُنّ مُنْذُ قِيامِ الإمارَةِ حَتّى سَنَةِ ١٩٤٨م، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥١.

(٣) المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٥١

(٤) انْظُر: مَجَلّة الأَدِيب، السَّنَة٤، العَدَد٨، بَيْرُوت، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٥٧-٥٩، والعَدَد١٠، ص٢٢-٢٣.

(٥) انْظُر: مَجَلّة المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ، المُجَلَّد١، الجُزْء٥، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، ص١٣١-١٣٧.

عامِداً إلى التَّوْثِيقِ الأَمِيْنِ مِنْ مَوارِدِه، ولَكِنَّهُ يُجارِي طَرائقَ الأَقْدَمِيْنَ في التَّوْثِيقِ اللَّيِّن، فَيَذْكُرُ المَصْدَرَ اجْتِزاءً، ولا يُحِيلُ على صَفَحاتِه، أو أَجْزائه، إنْ وُجِدَت.

والمُهِمُّ أَنَّ الكَرْمِيَّ – بوصفِهِ باحِثاً لُغَوِيّاً أُرْدُنِيّاً مُبَكِّراً– يَعْبأُ بمُناقَشةِ الآراءِ المُخْتَلِفَةِ في مَسألَةِ المُعَرَّبِ مِنَ اللُّغَة، ويَتَّخِذُ مَوْقِفاً عِلْمِيّاً واضِحاً مِنْ مُجْمَلِ تِلْكَ الآراء، قَبُولاً أو رَدّاً، تَفْسِيْراً أو تَوْجِيْهاً، وهُو طَرَفٌ مُهِمٌّ مِنْ لُبابِ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ في البَحْثِ اللُّغَوِيِّ الذي استَنَّ بِهِ الباحِثُونَ الأُرْدُنِيُّونَ في بُحُوثِهِم الأُولى.

حاولَ الكَرْمِيُّ أَنْ يَحْفِرَ – في مُباحَثَتِهِ تِلْكَ– في طَبِيْعَةِ العَرَبِيَّة، وما تَنْمازُ بِهِ مِنْ دَقائقِ الاسْتِعْمال، وعَجائبِ التَّصرُّفِ في تَسْمِيَةِ الشَّيءِ الواحِدِ بِأَسْماءٍ مُخْتَلِفَة؛ لاخْتِلافِ الحال. وأَشارَ إلى ظاهِرَةِ التَّوَسُّعِ المَجازِيِّ في الاسْتِعْمال؛ في سَبِيْلِ بَيانِ ثَراءِ المُعْجَمِ العَرَبِيّ. وتَوَسَّلَ بِهَذا المَدْخَلِ اللَّطِيْفِ إلى تَناوُلِ قَضِيَّةِ اتِّساعِ العَرَبِيَّةِ مع تَمَدُّدِ الانْتِشارِ الإِسْلامِيّ، واخْتِلاطِ العَرَبِ بالعَجَم، وانْصِهارِ الثَّقافاتِ المُتَصاقِبَة، ممّا نَجَمَ عَنْهُ دُخُولُ مِئاتِ الأَلْفاظِ إلى الاسْتِعْمالِ العَرَبِيّ، وهُو ما عُرِفَ باسْمِ: "المُعَرَّب" أو "الدَّخِيْل". ويَدِلُّ الكَرْمِيُّ على نَوْعَيِ المُعَرَّب، وهُما: المُوَلَّدُ والمَصْنُوع، راصِداً بَعْضَ عَلاماتِ مَعْرِفَةِ اللَّفْظِ المُعَرَّب، وطَرائقِ تَعْرِيْبِه، وسَبِيْلِ التَّصرُّفِ في تَحْوِيْلِهِ إلى اللِّسانِ العَرَبِي[١].

ويَطْغى الاهْتِمامُ بالمَباحِثِ الدَّلالِيَّة على اهْتِماماتِ الكَرْمِيِّ اللُّغَوِيَّة، إِذْ نَشَرَ – فيما بَيْنَ عامَيِ (١٩٢١–١٩٢٢م)– سِتَّ حَلَقاتٍ في "مَجَلَّةِ المَجْمَع"[٢]، تَناوَلَ فِيْها تَفْسِيْرَ دَلالاتِ أَسْماءِ مَشْهُورِ طائفَةٍ مِنَ الأَعْلامِ والقَبائلِ العَرَبِيَّة، مَنْسُوقَةً على تَرْتِيْبِ المُعْجَم، وقَدِ استَهَلَّها الكَرْمِيُّ بِتَفْسِيْرِ مَعانِي اسْمِ النَّبِيِّ الأَكْرَمِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم– وآبائِهِ وأَجْدادِه، ثُمَّ عادَ إلى تَناوُلِ طائفَةٍ واسِعَةٍ مِنَ الأَسْماء، مِنْ حَرْفِ الأَلِفِ فَحَسب، ولَمْ يُكْمِلْ بَقِيَّةَ المَوادّ. ولَعَلَّ هَذِهِ الحَلَقاتِ كانَتْ بَذْرَةَ مَشْرُوعٍ مُعْجَمِيٍّ لِلكَرْمِيّ، يَسْتَكْمِلُ فِيْهِ تَفْسِيْرَ دَلالاتِ مِئاتِ الأَسْماءِ العَرَبِيَّة، مُفِيْداً مِنْ طاقاتِ طائفَةٍ مِنْ مَصادِرِ التُّراثِ العَرَبِيّ، ولا سِيَّما كِتابُ "الاشْتِقاق"[٣]، لابنِ دُرَيْدٍ الأَزْدِيّ، فَهُوَ المُسْتَحْكِمُ فيما أَوْرَدَهُ الكَرْمِيّ، بَلْ يُشْبِهُ عَمَلُهُ أَنْ يَكُونَ صَفْوَةً مَزِيْدَةً مِنْ عَمَلِ ابنِ دُرَيْد.

ثانياً: التُّراثُ الأَدَبِيّ.

احْتَفَتْ كِتاباتُ الرُّوّادِ المَنْشُورَةُ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ بالتُّراثِ الأَدَبِيِّ أَيّما احْتِفاء، ولا غَرْوَ في ذَلِكَ، فَقَدَ كانَ التُّراثُ مُتَمَكِّناً مِنْ ثَقافَتِهِم الأَدَبِيَّة، وكانَتْ نَشْأَةُ جُلِّهِم على مَشْهُورِ النُّصُوصِ الأَدَبِيَّة، وفي صُحْبَةِ أُدَباءِ العَرَبِيَّةِ الكِبار. ولِهَذا، كانَتِ الكِتابَةُ في التُّراث، ولا سِيَّما في نُصُوصِهِ المَشْهُورَةِ وأَعْلامِهِ الكِبار، تَشُدُّ جِيْلَ الرُّوّادِ بِقُوَّة. وسَوفَ نَسُوقُ هُهُنا – بِشَدِيْدِ إِيْجازٍ– شاهِدَيْنِ على ذَلِكَ، ونُرْجِئُ الحَدِيْثَ عَنِ الأَعْلامِ والشَّخْصِيّاتِ التُّراثِيَّةِ إلى مِحْورٍ لاحِق.

---

(١) انْظُر: المَصْدَرَ نَفْسَهُ، ص١٣٣–١٣٧.

(٢) نُشِرَتْ في أَعْدادِ المُجَلَّدَيْن: الأَوَّلِ والثّاني، دِمَشْق، ١٣٣٩–١٣٤٠هـ=١٩٢١–١٩٢٢م.

(٣) انْظُر: الكَرْمِيّ، سَعِيْد، الإِعْلام بِمَعانِي الأَعْلام، مَجَلَّةُ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ، المُجَلَّد١، الجُزْء١٠، دِمَشْق، ١٣٤٠هـ=١٩٢١م، ص٢٩١.

تَناولَ الشَّيْخُ سَعِيْد الكَرْمِيّ – سَنَةَ (١٩٢١م)– "مُعَلَّقَةَ طَرَفَةَ بنِ العَبْد"[١] بالدِّراسَة والتَّحْلِيْل، وقَدَّمَ نَمُوذَجاً مُسْتَحْسَناً عَلى تَعاطِي النُّقّادِ الأُرْدُنِيِّيْنَ المُبَكِّر مع النَّصِّ المَوْرُوث، في مُحاولَةِ اسْتِكْناهِ مَفاصِلِهِ الرَّئِيْسَة، وما يَعْرِضُهُ مِنَ القَضايا والرُّؤى المِحْوَرِيَّة. وتُحاولُ مُقارَبَةُ الكَرْمِيِّ قِراءةَ مَتْنِ المُعَلَّقَة، قِراءةً دَقِيْقَةً مِنَ الدّاخِلِ والخارِجِ في آنٍ؛ فهُوَ يُقِيْمُ مُوازَنَةً بَيْنَها وبَيْنَ مُعَلَّقَةِ امْرئِ القَيْس، ثُمَّ يَضَعُ يَدَهُ عَلى مَواضِعِ التَّوارُدِ (التَّناصّ) بَيْنَ المُعَلَّقَةِ وغَيْرِها مِنْ قَصائِدِ الشِّعْرِ الجاهِلِيّ، وهِيَ إلماحَةٌ ذَكِيَّة. ثُمَّ يَمْضِي في دِراسَةِ مَلْمَحِ التَّشْبِيْه (الصُّورَة الفَنِيَّة) البارِزِ في المُعَلَّقَة، ويَنْتَهِي إلى تَبَيُّنِ بَعْضِ المَحاوِرِ المُهِمَّةِ التي تَطْفُو عَلى سَطْحِ النَّصّ، كأَهَمِّيَتِهِ في قِراءةِ التّارِيْخِ العَرَبِيّ، وما فِيْها مِنَ الحِكْمَةِ العامِرَة، وما تَشِفُّ عَنْهُ مِنْ مَذْهَبِ طَرَفَةَ (الابيقُورِيّ) في الحَياة[٢]، وما إلى ذَلِكَ مِنْ قَضايا النَّصّ.

وتَناولَ رُوكس العُزَيْزِيّ – سَنَةَ (١٩٣٤م)– رُباعِيّاتِ الشّاعِرِ الفارِسِيِّ عُمَر الخَيّام[٣] بالتَّحْلِيْلِ أَيْضاً، مُسْتَشِفّاً مِنْ دِراسَتِها شَخْصِيَّةَ الشّاعِر، وغايَتَهُ مِنْ نَظْمِ الرُّباعِيّات، ومَلامِحَ عَقِيْدَةِ الانْتِخاب، كَما تَراءَتْ في أَشْعارِه، فَضْلاً عَنْ آرائِهِ الفَلْسَفِيَّة، في الكَوْنِ والإنْسانِ والحَياة، وما تَحْمِلُ أَشْعارُهُ مِنْ مَعانِي الزُّهْدِ واليأسِ والشَّكِّ والتَّهَكُّمِ والتَّفاؤل، ونَظْرَتِهِ إلى السَّعادةِ والزَّواجِ والشُّهْرَة، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ القَضايا والمَلامِحِ التي تَشِفُّ عنها القِراءةُ المُعَمَّقَةُ لِلرُّباعِيّات.

- **ثالثاً: الإبْداعُ الأَدَبِيّ.**

تَحْظى النُّصُوصُ الأَدَبِيَّةُ التي أَبْدَعَها الرُّوّادُ بحَيِّزٍ كَبِيْرٍ مِمّا نَشَرُوهُ عَلى صَفَحاتِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ في ذَلِكَ الطَّوْر، فَلَدَيْنا عَشَراتُ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ والنَّثْرِيَّةِ التي تُمَثِّلُ هَذا الاتِّجاهَ الحاضِرَ بقُوَّة. ولا جَرَمَ أَنَّ النَّشْرَ في تِلْكَ المَجَلّاتِ يَسَّرَ عَلى الأُدَباءِ الأَوائِلِ كَثِيْراً، ولا سِيَّما أَنَّ الاتِّجاهَ إلى نَشْرِ الدَّواوِيْنِ الشِّعْرِيَّةِ والمَجْمُوعاتِ القَصَصِيَّةِ لَمْ يَكُنْ تَجَذَّرَ بَعْدُ في مَشْهَدِ الحَياةِ الأَدَبِيَّةِ والثَّقافِيَّة؛ بِداعٍ مِنْ عَوائِقِ النَّشْرِ التي كانَتْ تَكْتَنِدُ سَبِيْلَ المُبْدِعِيْن.

انْفَسَحَتْ مَساراتُ الإبْداعِ عِنْدَ هَذا الجِيْلِ عَلى مِصْراعَيْها، واتَّقَدَتْ قَرائِحُ جِيْلِ الشَّبابِ في التَّعْبِيْرِ عَنْ أَفْكارِهِم وخَواطِرِهِم ورُؤاهُم في الكَوْنِ والإنْسانِ والحَياة، فأَطْلَقُوا العَنانَ لِخَيالاتِهِم، واسْتَمَدُّوا كَثِيْراً مِنَ الواقِعِ، ولَوَّنُوا أَشْكالَ التَّعْبِيْرِ التي حَمَلَتْ مَشاعِرَهُم وعَواطِفَهُم وزَفَراتِهِم وآلامَهُم وآمالَهُم بَيْنَ القَصِيْدةِ والقِصَّةِ القَصِيْرَةِ والخاطِرَةِ العابِرَةِ والمَقالَةِ الأَدَبِيَّةِ والمَشاهِدِ المَسْرَحِيَّةِ والرَّسائِلِ الأَدَبِيَّةِ والذِّكْرَياتِ الغابِرَةِ في الحَياة. وشارَكَ في هَذا الاتِّجاهِ الأَدَبِيِّ العَرِيْضِ عَدَدٌ مِنَ الرُّوّادِ الذَيْنَ تَسابَقُوا إلى إظْهارِ فَنِّهِم الأَدَبِيِّ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة.

يَرى النّاظِرُ في هَذِهِ السَّبِيْلِ أَنَّ الإبْداعَ الشِّعْرِيَّ كانَ أَوْفَرَ حُضُوراً مِنْ غَيْرِه، كَما كانَ – بالمِثْلِ– أَسْبَقَ ظُهُوراً في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة. وقَدْ شارَكَ في تَقْدِيْمِ لَوْحاتِهِ الفَنِّيَّةِ عَدَدٌ مِنَ الشُّعَراءِ الرُّوّاد،

---

(١) انْظُر: مَجَلَّة المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ، المُجَلَّد١، الجُزْء٧، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، ص٢٠٣-٢١٨.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢١٤.

(٣) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، عُمَر الخَيّام في رُباعِيّاتِه، المَجَلَّة الجَدِيْدَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٤٩-٥٤.

أَبْرَزُهُم: محمد الشُّرَيْقِيّ، وحُسْني فَرِيْز، وأَدِيْب عَبّاسِيّ، وتَوْفِيْق الحِنّاوِيّ، وعِيْسى النّاعُورِيّ، ورِفْعَت الصَّلَيْبِيّ، وعَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان، وناصِر الدِّيْن الأَسَد، ومُصْطَفى زَيْد الكَيْلانِيّ.

ويَلُوحُ واضِحاً أَنَّ قَصائدَ الرُّوّادِ المَنْشُورَةَ فِي مَجَلّاتِ ذَلِكَ الطَّوْرِ تَلَوَّنتْ فِي أَغْراضِها ومَضامِيْنِها، ولكِنَّ المَنْحى الغَزَلِيَّ كانَ غَلّاباً، ويُمْكِنُ تَفْسِيْرُ ذَلِكَ بِأَنَّ الشُّعَراءَ الذِيْنَ أَنْتَجُوا تِلْكَ القَصائدَ كانُوا فِي زَهْوَةِ الشَّباب وعُنْفُوانِه، فَجاءَ إِبْداعُهُم مُحَمَّلاً بِمَكْنُوناتِ أَنْفُسِهِم، وما تَضَمَّتْهُ جَوانِحُهُم مِنَ عِشْقٍ وشَكْوَى وحَنِيْنٍ وتَلَهُّفٍ وجَوًى ونِزاعٍ ولَوْعَة، ونَجِدُ هَذا النَّفَسَ حاضِراً فِيما نَشَرَ حُسْنِي فَرِيْز والنّاعُورِيُّ والحِنّاوِيُّ وغَيْرُهُم من قَرِيْضٍ فِي هَذِهِ المُدَّة[١].

كما يُلاحَظُ النّاظِرُ أَنَّ الشُّعُورَ الوَطَنِيَّ والقَوْمِيَّ والإِسْلامِيَّ كانَ حاضِراً بِقُوَّةٍ فِي أَشْعارِ أُولئكَ الشُّعَراءِ الشَّباب، فَهُمْ يَتَّقِدُونَ عَزْماً ومَضاء، ويَتَطَلَّعُونَ إِلى وَحْدَةِ الأُمَّة، والتفافِ بَنِيْها تَحْتَ رايَةٍ واحِدَة، ونَفْضِ التَّبَعِيَّةِ البَغِيْضَةِ لِلمُسْتَعمِرِ الأَجْنَبِيِّ الذي مَزَّقَ أَوْصالَ البِلادِ العَرَبِيَّة، وأَقامَ الحُدُودَ بَيْنَها، وفرَّقَ وَحْدَةَ بَنِيْها، ونَجِدُ هَذا النَّفَسَ قَوِيّاً فِي أَشْعارِ: مُحَمَّد الشُّرَيْقِيّ[٢]، وعَبْد المُنْعِم الرِّفاعِيّ[٣]، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان[٤]، وغَيْرِهِم.

ونَلْقى – عَلى سَبِيْلِ المِثال– قَصِيْدَةً ذاتَ بُعْدٍ وَطَنِيٍّ لِحُسْنِي فَرِيْز[٥]، تَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ مَعالِمِ وَطَنِه، فَهُو يَتَغَنّى بِأَطْلالِ مَدِيْنَةِ جَرَش وعادِياتِها العَرِيْقَة، ويَنْقُلُ صُورَةً مُتَخَيَّلَةً لما كانَتْ عَلَيه المَدِيْنَةُ – قَدِيْماً– مِنْ حَرَكَةٍ عامِرَةٍ ونَشاطٍ حافِل، فِي ساحاتِها المُمَهَّدَة، وعَلى مُدَرَّجاتِها الواسِعَة، وفِي هَياكِلِها الباذِخَة، وبَيْنَ أَعْمِدَتِها المَمْشُوقَة. كَما تَلْقانا قَصِيْدةٌ ذاتُ بُعْدٍ إِنْسانِيّ، نَظَمَها عِيْسى النّاعُورِيّ بِعُنْوان " عِنْدَ سَرِيرِ طِفْلي فِي شَهْرِهِ الثّالث"[٦]، تَبْدُو مَمْلُوءَةً بِمَعانِي الحُبِّ الأَبَوِيّ، والحُنُوِّ الأُسَرِيّ، وإِعْلاءِ مَعانِي الطُّفُولَةِ الباسِمَة.

ويَتَلامَحُ حُضُورُ الخَواطِرِ الأَدَبِيَّةِ العَمِيْقَةِ بِوضُوحٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِها مِنَ الفُنُونِ النَّثْرِيَّة، وتَتَّخِذُ هَذِهِ الخَواطِرُ – فِي الغالِب– سِمَتَ الشَّذَراتِ القَصِيْرة، القائمَةِ عَلى تَكْثِيْفِ المَعْنى، وتَعْمِيْقِ مَغْزاه، مع المَيْلِ إِلى الحِكْمَة، والاقْتِصادِ فِي اللَّفْظ، ولا يَبْعُدُ هَذا الشَّكْلُ عَنْ فَنِّ التَّوْمِيْض، والتَّوقِيْعَةِ الأَدَبِيَّةِ (الابيجرام) التي تُناسِبُ رُوحَ العَصْرِ سُرْعَةً وإِيْجازاً. بَرَعَ فِي هَذا الفَنِّ أَدِيْب عَبّاسِيّ الذي نَشَرَ –

---

(١) انْظُر مِثالاً: فَرِيْز، حُسْني، حَوراء تَبْسِمُ عن جُمان (شِعْر)، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢١، العَدَدان٤–٥، صَيْدا، ١٣٤٩هـ=١٩٣١م، ص٥٠٦.

(٢) انْظُر: الشُّرَيْقِيّ، مُحَمَّد، مِصْر والشّام (شِعْر)، مَجَلَّة الزَّهْراء، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٠٠–٣٠١.

(٣) انْظُر: الرِّفاعِيّ، عَبْد المُنْعِم، رَسُول الهُدى (شِعْر)، مَجَلَّة المُنْتَدى، مَصْدَرٌ سابِق ص٦.

(٤) انْظُر: الرَّشْدان، مُحَمَّد سَلِيْم، الوَحْدَة الكُبْرى، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٣، العَدَد٦١٣، القاهِرة، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٢٤٧.

(٥) انْظُر: فَرِيْز، حُسْني، آثار جَرَش (شِعْر)، مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨٥٨–٨٥٩.

(٦) انْظُر: مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة٦، العَدَد٢٧٣، القاهِرة، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م، ص٤.

فِيما بَيْنَ سَنَتَي (١٩٣٤-١٩٣٧م)- عَدَداً مِنَ المُحاولاتِ[١] التي حَمَلَتْ إلى القُرّاءِ عَشَراتٍ مِنَ الشَّذَراتِ المَنْثُورَةِ المُكَثَّفَةِ التي يَقِفُ خَلْفَها العَقْل، وتُعَبِّرُ عَنْ فُيُوضِ الحِكْمَةِ وإشْراقاتِها العَمِيقَة. كَما نَجِدُ المَنْحى ذاتَهُ ماثِلاً فِيما خَطَّهُ رُوكس العُزَيْزِيّ - فِيما بَيْنَ سَنَتَي (١٩٣٥-١٩٣٧م)- مِنْ خَواطِرَ ووَمَضات[٢]، اسْتِقاها مِنْ رُوحِ المُعايَشَةِ وواقِعِ الحَياة.

ويَحْضُرُ الإبْداعُ القَصَصِيُّ واضِحاً بِالمِثْل، ويَتَزَعَّمُ مَسارَهُ أَدِيْب عَبّاسِيّ الذي جَدَّ فِي نَشْرِ قَصَصِهِ القَصِيْرَة، فِيما بَيْنَ سَنَتَي (١٩٣٤- ١٩٣٧م)[٣]، وهِيَ قَصَصٌ تُلامِسُ الواقِعَ مَلِيّاً، وتَسْتَمِدُّ أَحْداثَها مِنْ مُجْرِياتِهِ فِي الغالِب، ولكِنَّ القاصَّ يُلْقِي بِرُوحِهِ ومَشاعِرِهِ عَلى مَساري: السَّرْدِ والحِوار؛ لِيَرْقى بِالعَمَلِ إلى دائِرَةٍ فَنِيَّةٍ مُوحِيَة.

ونَجِدُ أَصْواتاً إبْداعِيَّةً تُعْنى بِكِتابَةِ القِصَّةِ القَصِيْرَةِ ونَشْرِها عَلى صَفَحاتِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الأَثْناء، لَعَلَّ أَبْرَزَها القاصّ عَبْد الحَلِيْم عَبّاس، فَقَدْ نَشَرَ - سَنَةَ (١٩٣٤م)- قِصَّةً قَصِيْرَةً بِعُنْوانِ "ضَمأ الرُّوح"[٤]، اسْتَمَدَّها مِنْ واقِعِه، وربَّما عَبَّرتْ عَنْ إحْدى تَجارِبِهِ الذّاتِيَّةِ حِيْنَ كانَ طالِباً فِي دِمَشْق. وتَدُورُ أَحْداثُ القِصَّةِ حَولَ حِكايَةِ حُبٍّ غَيْرِ مُتَكافِئٍ بَيْنَ شابٍّ وامْرأةٍ مُتَزَوِّجَةٍ تَكْبُرُهُ بِسَنَوات، عَلاقَةٌ مُسْتَحْكِمَةٌ مَلأَتْ فَراغَهُما الرُّوحِيّ، فَسادَها العَفاف، وتَرَفَّعَتْ عَنْ وَحْلِ الشَّهْوةِ ومَلَذّاتِ الجَسَد، ولكِنَّ الرِّياحَ الاجْتِماعِيَّةَ العاتِيَةَ وَقَفَتْ فِي وَجْهِ هَذِهِ العَلاقَة، فَحِيلَ بَيْنَ الشّابِّ ومَحْبُوبَتِه، وساءَتْ أَحْوالُهُ الصِّحِّيَّة، حَتّى أَقامَ مُدَّةً طَوِيْلَةً فِي المَشْفى، ولَكِنَّ أَمَلَهُ بِمُجَدَّدِ اللِّقاءِ لم يَزَلْ يَمْلأُ ثَناياه، ويَرْسُمُ سَبِيْلَ شِفائِهِ مِنَ الأَسْقام، وإشْباعِ ما تُكابِدُهُ الرُّوحُ العاشِقَةُ مِنْ ضَمأ مُقِيْمٍ لا يُقْلِعُ أَبداً.

ورُغْمَ ما يُمْكِنُ تَسْجِيْلُهُ عَلى الأَعْمالِ القَصَصِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ المَنْشُورَةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ - فِي تِلْكَ الآونَةِ- مِنْ مآخِذَ نَقْدِيَّة، لا يُمْكِنُ - فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ- مُحاكَمَتُها وَفْقَ المَعايِيْرِ الفَنِيَّةِ الرّائِجَةِ فِي هَذا الوَقْت، وحَسْبُنا أَنَّ هَذِهِ الإبْداعاتِ كانَتْ بَوابَةَ العُبُورِ إلى إنْتاجِ النُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ الأُرْدُنِيَّةِ النّاضِجَةِ فِيْما بَعْد.

وتَبْدُو الفُنُونُ النَّثْرِيَّةُ الأُخْرى بِدَرَجاتٍ أَقَلّ؛ إذْ نَلْمَحُ النَّصَّ المَسْرَحِيَّ القَصِيْرَ (المَشْهَد الواحِد) فِيما نَشَرَ حُسْنِي فَرِيْز[٥]، سَنَةَ (١٩٣٤م)، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإيْرانِيّ[٦]، سَنَةَ (١٩٣٧م). كَما نَلْقى

---

(١) انْظُر مِثالاً: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، خَواطِر، مَجَلّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٣٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) انْظُر: العُزَيْزِيّ، رُوكس، عَلى هامِشِ الحَياة، المَجَلّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٥، العَدَد١٢، القاهِرَة، ١٩٣٦م، ص٧٠-٧٢.

(٣) انْظُر مِثالاً: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، طارِق اللَّيْل (قِصَّة)، مَجَلّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٥٤، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١١٩٣-١١٩٦.

(٤) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، ضمأ الرُّوح (قِصَّة)، مَجَلّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٦٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٤٣م، ص١٥٥٦-١٥٥٨.

(٥) انْظُر: فَرِيْز، حُسْنِي، حَدِيْث فِي المَقْهى، مَجَلّة الدُّهُور، مَصْدَرٌ سابِق، ص٧٨٩-٧٩٧.

(٦) انْظُر: الإيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، مِنْ مَسْرَحِيّة اللَّهَب، مَجَلّة الطَّلِيْعَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٦٣-٣٧٠.

المَقالَةَ الأَدبيَّةَ النّاضِجَةَ فيْما كَتَبَ عَبْد الحَلِيْم عَبّاس[١]، سَنَةَ (١٩٣٦م)، وأَدِيْب عَبّاسِيّ[٢]، سَنَة (١٩٣٧م). فَفِي إِحْدى المَقالاتِ التي عَنْوَنَها عَبّاسِيّ بـــ "الشِّتاء"[٣] يُحاكِي فِيها مَقالَةَ أَحْمَد أَمِيْن عَنِ "الشَّمْس"، ويَبْدُو التَّأَثُّرُ واضِحاً فِي الفِكْرَةِ والأُسْلُوبِ وسَمْتِ التَّناول. ونَقْرأُ – كَذا الأَمْر–مُثُلاً مِنْ أَدَبِ الذِّكْرَياتِ فِيما كَتَبَ أَدِيْب عَبّاسِيّ[٤] وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس[٥]، بَيْنَما يُطالِعُنا نَمُوذَجانِ مِنْ أَدَبِ التَّرسُّلِ الحَدِيْثِ فِيما كَتَبَهُ مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ إِلى صَدِيْقِهِ حَولَ فِكْرَةِ حَقِّ الجَمِيْعِ بِالسَّعادَة[٦]، وفِيْما كَتَبَهُ جُورج العُزَيْزات إِلى الآنِسَةِ مَيّ زِيادَة[٧].

- **رابعاً: الحَياةُ الأَدَبِيَّةُ والثَّقافِيَّةُ فِي المَنْطِقَة**

يُعَدُّ هَذا البابُ مِنَ الأَبْوابِ المُهِمَّةِ التي تَناوَلَتْها أَقْلامُ بَعْضِ الرُّوّادِ الذيْنَ وَجَدُوا أَنَّ الواجِبَ يَدْعُوهُم إِلى إِماطَةِ اللِّثامِ عَنْ مَشْهَدِ الحَراكِ الأَدَبِيِّ الجَدِيْدِ فِي بِلادِهِم، ولا سِيَّما أَنَّ مَلامِحَ هَذا الحَراكِ كانَتْ غائِبَةً عَنْ كَثِيْرٍ مِنَ المُثَقَّفِيْنَ فِي البُلْدانِ العَرَبِيَّةِ المُجاوِرَة. ولمّا افْتَتَحَ جريس القُسُوس هَذِهِ البابَةَ مِنَ الكِتابَة – سَنَةَ (١٩٣٦م)– أَظْهَرَ بَعْضَ التَّرَدُّد، ولَكِنَّهُ وَجَدَ أَنَّ الواجِبَ يُحَرِّكُهُ لِلكِتابَةِ عَنْ وَطَنِه، بِقَوْلِه: " ما كُنْتُ أَرْغَبُ فِي التَّعَرُّضِ لِهَذا المَوْضُوعِ لَوْ لم تَنْشُرِ (الرِّسالَةُ) الغَرّاءُ بُحُوثاً مُمْتِعَةً لِمُخْتَلَفِ الكُتّابِ عَنِ الحَياةِ الأَدَبِيَّةِ فِي أَوْطانِهِم، ولِهَذا رأيتُ أَنَّ مِنْ واجِبِي أَنْ أُقَدِّمَ لِلقُرّاءِ الكِرامِ صُورَةً صادِقَةً – بِقَدْرِ الإِمْكانِ– عَنِ الحَياةِ الأَدَبِيَّةِ فِي شَرْقِ الأُرْدُنّ"[٨].

وعِنْدَما كَتَبَ عِيْسى النّاعُورِيّ عَنِ المَوْضُوعِ ذاتِهِ – بَعْدَ عَشْرِ سَنَواتٍ– اسْتَولى هَذا المَنْزَعُ عَلَيْه أَيْضاً، فَرأى أَنَّ ما يَكْتُبُهُ عَنِ الحَياةِ الأَدَبِيَّةِ فِي وَطَنِهِ مِنْ شأنِهِ أَنْ يُحْدِثَ لَوْناً مِنَ التَّقارُبِ الثَّقافِيِّ مع البُلْدانِ المُجاوِرَة، وأَنَّ يُعَرِّفَ أَهْلَها بِالحَرَكَةِ الفَتِيَّةِ الدّائِرَةِ فِي وَطَنِه، فَذَكَرَ أَنَّهُ رامَ مِنْ كِتابَتِهِ "إِطْلاعَ أُدَباءِ الأَقْطارِ العَرَبِيَّةِ ومُثَقَّفِيْها عَلى طَرَفٍ مِنْ نِتاجِ إِخْوانِهِم أُدَباءِ الأُرْدُنِّ الذي يَجْهَلُونَهُ ويَجْهَلُونَ أَصْحابَه"[٩]. والأَمْرَ ذاتَهُ أَكَّدَهُ مُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان حِيْنَ كَتَبَ عَنِ الحَياةِ الأَدَبِيَّةِ فِي فِلَسْطِيْن، يَقُولُ:

---

(١) انْظُر مِثالاً: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، المُجاهِد، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٦٩، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص١٥٨٦-١٥٨٧.

(٢) انْظُر مِثالاً: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، الشِّتاء، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد١٨٧، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٧م، ص١٨٥-١٨٧.

(٣) المَصْدَر نَفْسُه، ص١٨٥-١٨٧.

(٤) انْظُر: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، سَوْداء، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٧، العَدَد٣٢٢، القاهِرَة، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص١٧٢٩-١٧٣٠.

(٥) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، لَيْلَة فِي مَضارِبِ النُّوَر، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٧١، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٤٣م، ص١٨٥٢-١٥٨٣.

(٦) انْظُر: الإِيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، السَّعادَة حَقّ مُطْلَق لِلجَمِيْع، مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٢-٣٨.

(٧) انْظُر: العُزَيْزات، جُورج، مَيُّ: قَتْلُ الإِنْسانُ ما أَكْفَرَه!!، مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة١٤، العَدَد١٥٥، القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٩٩-١٠٢.

(٨) القُسُوس، جريس، الحَياة الأَدَبِيَّة فِي شَرْقِ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨٦٥.

(٩) النّاعُورِيّ، عِيْسى، الحَياة الأَدَبِيَّة فِي شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الأَدِيْب، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٨.

"ولَعَلَّ الكَثِيْرِيْنَ مِنْ إِخْوانِنا فِي مِصْر، وغَيْرِ مِصْر، يَجْهَلُونَ أَنَّ فِي فِلَسْطِيْنَ نَهْضَةً ثَقافِيَّةً وحَياةً أَدَبِيَّة"[١]. وهكَذا، فإِنَّ رَغْبَةَ هَؤلاءِ الكُتّابِ الصّادِقَةَ فِي التَّعْرِيْفِ بِما تَشْهَدُهُ بِلادُهُم مِنْ نَهْضَةٍ مُسْتَحْدَثَةٍ لَمْ يَكُنْ لَهُم عَهْدٌ بِها مِنْ قَبْلُ هُوَ ما كانَ يُمْلِي عَلَيهِم، ويَحْفِزُهُم إِلى الحَفْرِ فِي هَذا العُمْقِ الجَدِيْد.

وقَدْ نَجَمَ عَنْ كِتاباتِ هَؤلاءِ الكُتّابِ الثَّلاثَةِ تَشْكِيْلُ الصُّورَةِ المَشْهَدِيَّةِ الأُولى لِبِداياتِ الحَراكِ الثَّقافِيِّ والأَدَبِيِّ الحَدِيْثِ فِي الأُرْدُنِّ وفِلَسْطِيْن، كَما تَظْهَرُ عَلى صَفَحاتِ المَجَلّات. وتَبْدُو قِيْمَةُ هَذِهِ الصُّورَةِ فِي مِصْداقِيَّتِها الدَّقِيْقَة، واقْترابِها مِنَ الواقِعِ إِلى حَدٍّ كَبِيْر، فَقَدْ تَحلّى كُتّابُها بِقَدْرٍ وافِرٍ مِنَ المَوْضُوعِيَّةِ والدِّقَّة، فَكَتَبُوا عَنِ البَواعِثِ التي حَفَزَتْ هَذا الحَراك، وما انْمازَ بِهِ مِنْ سِماتٍ وعَلامات، ولَكِنَّهُم لَمْ يُطْبِقُوا – فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ– أَعْيُنَهُم عَنْ تَشْرِيْحِ الحالِ الرّاهِنَةِ لِلحَراك، وما يَكْتَنِفُ سَبِيْلَهُ مِنْ عِقابٍ ومُشْكِلات، وما يَلْزَمُ تَحْقِيْقُهُ مِنْ أَجْلِ إِنْجازِ الوَثْبَةِ المأْمُولَةِ فِي تَعْزِيْزِ دَوْرِ هَذا الحَراكِ فِي الحَياةِ الثَّقافِيَّةِ الجَدِيْدَة.

قَدَّمَ جريس القُسُوس فِي مُحاوَلَتِهِ الأُولى صُورَةً مُقْتَضَبَةً عَنْ حَرَكَةٍ ناهِضَةٍ لَمْ يَتَجاوَزْ عُمْرُها حِيْنَ كَتَبَ مَقالَتَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً، مُؤَكِّداً أَنَّ البِلادَ لَمْ تَعْرِفْ هَذا الحَراكَ الثَّقافِيَّ الجَدِيْدَ إِلّا مع مَقْدَمِ الأَمِيْرِ عَبْدِ الله بنِ الحُسَيْنِ إِلى البِلاد، وتأْسِيْسِ إِمارَةِ شَرْقِيِّ الأُرْدُنِّ (الشَّرْق العَرَبِيّ)؛ فَقَدْ نَجَمَ عَنْ ذَلِكَ نُشُوءُ الحُكُومَةِ التي أَخَذَتْ عَلى عاتِقِها اسْتِحْداثَ المَدارِس، ورِعايَةَ حَرَكَةِ التَّعْلِيْم، واسْتِقْدامَ طائِفَةٍ مِنْ صَفْوَةِ العُلَماءِ والأُدَباءِ والمُعَلِّمِيْنَ المُسْتَنِيْرِيْنَ – ولا سِيَّما مِنْ سُورِيَّةَ ولُبْنان–؛ لِلمُشارَكَةِ فِي إِحْداثِ التَّغْيِيرِ المَطْلُوب. فَضْلاً عَنْ نَشاطِ حَرَكَةِ الابْتِعاثِ إِلى الجامِعَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ فِي بَيْرُوت، والمَعاهِدِ العُلْيا فِي سُورِيَّةَ وفِلَسْطِيْن، والتِفاتِ الأَهالِي إِلى أَهَمِيَّةِ العِلْمِ والتَّحْصِيْلِ المَعْرِفِيّ، وإِرْسالِ أَبْنائِهِم إِلى الأَقْطارِ المُجاوِرَة؛ لاسْتِكْمالِ دِراساتِهِم الجامِعِيَّة. فَضْلاً عَنْ دَوْرِ الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ فِي إِثارَةِ الوَعْيِ الوَطَنِيّ، ومَدِّ هَذِهِ الحَرَكَةِ الفَتِيَّةِ بِمَزِيْدٍ قُوَّةٍ ونَشاط[٢]. تِلْكُمْ هِيَ أَهَمُّ البَواعِثِ التي وَضَعَ القُسُوسُ يَدَهُ عَلَيها وهُوَ بِسَبِيْلِ الحَدِيْثِ عَنِ المُحَفِّزاتِ التي أَثارَتْ عَجاجَةَ الحَراكِ الأَدَبِيِّ فِي البِلادِ فِي ذَلِكَ الحِيْن.

ويَعْتَرِفُ القُسُوسُ بِقِلَّةِ الأَصْواتِ الأَدَبِيَّةِ المَوْجُودَةِ فِي السّاحَةِ الثَّقافِيَّةِ آنذاك، ويَصِفُ أَصْحابَها بِـ "الأُدَباءِ الأَحْداث"[٣]، فِي إِشارَةٍ إِلى فُتُوَّةِ الحَرَكَة، وانْتِماءِ طَلائِعِها لِجِيْلِ الشَّباب، ويَذْكُرُ مِنْهُم الكُتّابَ[٤]: أَدِيْب عَبّاسِيّ، ومُحَمَّد أَبُو غُنَيْمَة، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، ويَعْقُوب العَوْدات، والشُّعَراءَ[٥]: مُصْطَفى وَهْبِي التَّل – ويُلَقِّبُهُ "شاعِرِ النُّور"–، وحُسْنِي فَرِيْز، ورَشِيْد زَيْد الكَيْلانِيّ، وحَنّا وحَنّا الشَّوارِب. ولا يُورِدُ الكاتِبُ شَيْئاً مِنَ النَّماذِجِ الدّالَةِ عَلى كِتاباتِهِم أَو شاعِرِيَّتِهِم.

---

(١) الرَّشْدان، مُحَمَّد سَلِيْم، الأَدَب فِي فلسطِيْن، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٤، العَدد٦٨٤، القاهِرَة، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٨٩٧.

(٢) انْظُر: القُسُوس، جريس، الحَياة الأَدَبِيَّة فِي شَرْق الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨٦٥.

(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٨٦٥.

(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٨٦٥.

(٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٨٦٥.

وفيما يُقابِلُ ذَلِكَ، يُلْقِي القُسُوسُ نَظْرَةً عَلى الشِّعْرِ البَدَوِيِّ الذي كانَ يَرُوجُ فِي المَنْطِقَةِ[١]، مُشِيْراً إِلى أَهَمِّيَّةِ هَذا اللَّونِ مِنَ الأَدَبِ الشَّعْبِيِّ فِي حَياةِ المُجْتَمَعِ آنَذاك، ومَدى ما يَسْتَجْمِعُهُ مِنْ عَناصِرَ حَيَّة. ويَذْكُرُ الكاتِبُ عَدَداً مِنْ أَشْهَرِ شُعَرائِه، وهُم[٢]: نَمَر العُدوان، وعَوْدَة أَبُو تايه، وأَبُو الكَباير (مِنَ الشَّرارات)، وسالم المَرْعِي، وعليّ القزيعيّ، وسعُود المَجالي، ومُحَمَّد بن هِلال. ويَرى القُسُوسُ أَنَّ هُناكَ شُعَراءَ آخَرِيْنَ يُمَثِّلُونَ هَذا اللَّونَ مِنَ الشِّعْر، يَعِيْشُونَ فِي عُمْقِ الصَّحْراء، وفِي مَناطِقَ بَعِيْدَة، تَصْعُبُ عَلَيه مَعْرِفَتُهُم[٣]. ولا يَفُوتُ القُسُوس أَنْ يُشِيْرَ إِلى المَضامِيْنَ الرَّئِيْسةِ التي كانَ يَتَعاطاها الشُّعَراءُ الشَّعْبِيُّون، كالمَدْحِ والحَماسَةِ والغَزَلِ والعِتابِ والرِّثاء، مُسْتَشْهِداً بِنَماذِجَ مِمّا جادَتْ بِهِ القَرِيْحَةُ البَدَوِيَّةُ آنَذاك[٤].

لَمْ تَكُنْ مُحاوَلَةُ القُسُوسِ – رُغْمَ قِيْمَتِها– إِلّا نَظْرَةً عابِرَةً عَجْلى، لَمْ تَفِ المَشْهَدَ حَقَّه، ويَبْدُو أَنَّ النّاعُورِيَّ اسْتَشْعَرَ هَذا الأَمْر، فَجاءَتْ مُحاوَلَتُهُ – بَعْدَ عَقْدٍ مِنَ الزَّمَن– أَعْمَقَ وأَوْفى وأَشَدَّ تَرْكِيْزاً مِنْ سابِقَتِها، معَ اسْتِبْعادِ مَشْهَدِ الشِّعْرِ البَدَوِيِّ العامِيِّ كُلِيّاً. فَقَدْ وَضَعَ النّاعُورِيُّ يَدَهُ مُجَدَّداً عَلى البَواعِث، وتَعَمَّقَ فِي الحَدِيْثِ عَنْ دَوْرِ الأَمِيْرِ عَبْدِ الله فِي بَعْثِ الوَعْيِ الوَطَنِيّ، ورِعايَةِ الحَرَكَةِ الأَدَبِيَّة، وعَمَّقَ الحَدِيْثَ عَنْ دَوْرِ بَعْضِ الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ فِي حَفْزِ الحَراكِ النّاشِئ، ولَكِنَّهُ سَجَّلَ – قُبالَةَ ذَلِكَ– مآخِذَهُ عَلى حَرَكَةِ الصَّحافَةِ وعَجْزِها عن إِحْداثِ النَّهْضَةِ المأْمُولَة[٥].

وكَما هُوَ شأْنُ المَقالَةِ السّابِقَة، ذَكَرَ النّاعُورِيّ طائِفَةً أَوْسَعَ مِنْ أَسْماءِ الشُّعَراءِ والكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الشَّباب، مُؤَكِّداً أَنَّ الحَرَكَةَ الأَدَبِيَّةَ ما تَزالُ فِي مَرْحَلَةِ "الطُّفُولَة"[٦]، وأَنَّها لَمْ تَتَجَذَّرْ بَعْدُ، فَجَمِيْعُ رُوّادِها ما زالُوا أَحْياء، بَلْ جُلُّهُم فِي سِنِّ الشَّباب، وهُم فِئَةٌ قَلِيْلَة، لَكِنَّهُم مُمَتَّعُونَ – كَما يَقُولُ الكاتِبُ – بِثَقافَةٍ عالِيَة، ولا يَقِلُّونَ عَنْ نُظَرائِهِم فِي البِلادِ العَرَبِيَّة، ولَكِنَّ أَسْماءَهُم لَمْ يُتَحْ لَها أَنْ تَتَأَلَّقَ فِي سَماءِ الشُّهْرَةِ الأَدَبِيَّة؛ بِسَبَبِ ضَعْفِ حَرَكَةِ الصَّحافَة، وعَدَمِ وجُودِ دُورِ نَشْرٍ تُظْهِرُ أَعْمالَهُم[٧].

---

(١) نَشَرَ بُولس سَلْمان فِي مَجَلَّةِ "المَشْرِق" بَحْثاً مُوَسَّعاً عَنِ الشِّعْرِ البَدَوِيِّ فِي شَرْقِ الأُرْدُنّ، لَعَلَّهُ مِنْ أَوائِلِ ما كُتِبَ فِي هَذا المَوْضُوع، انْظُر: مَجَلَّة المَشْرِق، السَّنَة١٧، العَدَد٤، بَيْرُوت، ١٣٣٢هـ=١٩١٤م، ص٢٩٣-٢٧٣، والعَدَد٥، ص٣٣٢-٣٤٢، والعَدَد٧، ص٤٩٦-٥١٠. وانْظُر، سَلْمان، بُولس، خَمْسَة أَعْوامٍ فِي شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، مَنْشُورات وِزارَةِ الثَّقافَة، سِلْسِلَة مَكْتَبَةِ الأُسْرَةِ الأُرْدُنِيَّة، مُصَوَّرَة عَنِ الطَّبْعَةِ الأُولى، عَمّان، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م، ص٢٣-٦٢.

(٢) انْظُر: القُسُوس، جريس، الحَياة الأَدَبِيَّة فِي شَرْقِ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨٦٦.

(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، ص٨٦٦.

(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، ص٨٦٦.

(٥) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، الحَياة الأَدَبِيَّة فِي شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، مَجَلَّة الأَدِيْب، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٣-٢٤.

(٦) المَصْدَر نَفْسُه، ص٢٣.

(٧) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، ص٢٣.

وقَدَّمَ النّاعُورِيُّ مَعارِفَ مُهِمَّةً عَنْ مَشاهِيرِ الشُّعَراءِ والكُتّاب، مِثْل[١]: أَدِيب عَبّاسِيّ، وعَبْد الحَلِيْم عَبّاس، ورُوكس العُزَيْزِيّ، ومُصْطَفى وَهْبي التَّلّ، وحُسْنِي فَرِيْز، وخَلِيْل السّالم، وخَلِيْل الطّوال، ويَعْقُوب العَوْدات، وسِواهُم، وساقَ نَماذِجَ مِنَ الشِّعْرِ الدّالِّ عَلى تِلْكَ الحَرَكَة، وأَثْبَتَ بَعْضاً مِنَ الكُتُبِ والدِّراساتِ والدَّواوِيْنِ والمَجْمُوعاتِ الأَدَبِيَّةِ التي تَسَنّى نَشْرُها في عَقْدِي: الثَّلاثِيْن والأَرْبَعِيْن[٢]، مِمّا يُمْكِنُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيه طَلائِعَ المَنْشُوراتِ الأُرْدُنِيَّة.

ووَقَفَ النّاعُورِيُّ عِنْدَ بَعْضِ المَحاوِرِ اللّافِتَةِ في مَشْهَدِ الحَرَكَةِ الفَتِيَّة، مِنْ ذَلِكَ حَدِيْثُهُ عَنْ تأَثُّرِ الأُدَباءِ الشَّباب – رُوّادِ تِلْكَ الحَرَكَةِ- بِالأَسْماءِ الأَدَبِيَّةِ الكَبِيْرةِ في البِلادِ العَرَبِيَّةِ المُجاوِرَة، فهُو يَرى أَنَّ الأَدَبَ الأُرْدُنِيَّ الجَدِيْدَ يَغْتَرِفُ – بِخاصَّةٍ- مِنْ مَعِيْنِ الآدابِ المِصْرِيَّةِ والسُّورِيَّةِ واللُّبْنانِيَّةِ الحَدِيْثَة، ولَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ ظُهُورِ تَيّارٍ أَدَبِيٍّ أُرْدُنِيّ، ذِي مَلامِحَ وقَسَماتٍ مُمَيَّزَة[٣].

كَما لَفَتَ النّاعُورِيُّ إِلى مَسأَلَةِ فُقْدانِ الأَدَبِ الأُرْدُنِيِّ – آنَذاك- الاتِّجاهَ السِّياسِيَّ الذي يُواكِبُ ما يَجْرِي في البِلادِ مِنْ أَحْداثٍ سِياسِيَّة، فالشُّعَراءُ الرُّوّادُ – خَلا مُصْطفى وَهْبي التَّلّ- لا يَتَحَدَّثُونَ عَنِ السِّياسَةِ في بِلادِهِم، ولا يَخُوضُونَ غِمارَها، فِيْما هُمْ مُنْصَرِفُونَ إِلى تَصْوِيْرِ الأَحْداثِ السِّياسِيَّةِ الكُبْرى في الأَقْطارِ الشَّقِيْقَة، إِذْ تَظْهَرُ أَصْداءُ ذَلِكَ جَلِيَّةً في أَشْعارِهِم الوَطَنِيَّةِ والقَوْمِيَّة، ويَعْزُو النّاعُورِيُّ هَذا المَلْحَظَ اللّافِتَ إِلى الهُدُوءِ الذي تَنْعَمُ بِهِ الإِمارَة، وخُلُوِّ المَشْهَدِ مِنْ أَحْداثٍ سِياسِيَّةٍ مُؤَثِّرَة[٤]. وإِخالُ أَنَّ النّاعُورِيَّ بالَغَ في إِطْلاقِ حُكْمِهِ عَلى ضَحالَةِ المَنْزِعِ السِّياسِيِّ في الشِّعْرِ الأُرْدُنِيِّ آنَذاك؛ إِذْ كَشَفَتِ المَجْمُوعاتُ والدَّواوِيْنُ التي نُشِرَتْ حَدِيْثاً، فَضْلاً عَنْ بَعْضِ المَخْطُوطاتِ المُكْتَشَفَةِ- عَنْ حُضُورٍ لا بأسَ لِهذا الاتِّجاهِ الأَدَبِيّ.

وأَشارَ النّاعُورِيُّ إِلى مَسأَلَةِ تَنَوُّعِ الأَساليْبِ الكِتابِيَّةِ الأُرْدُنِيَّة، فَهُوَ يَرى أَنَّ الكُتّابَ يَتَفاوتُونَ في مَيْسَمِهِمِ الأُسْلُوبِيّ، إِذْ يَرْكَبُ كُلُّ واحِدٍ ما يَرُوقُ لَهُ مِنْ طَرائِقِ التَّعْبِيْرِ والكِتابَة، حَتّى يَغْدُو أُسْلُوبُهُ مَمْهُوراً بِطَوابِعَ يَعْرِفُها القُرّاء. وقَدْ ساقَ الكاتِبُ مُثُلاً عَلى هَذا التَّفاوتِ الواقِعِ في سَمْتِ الكِتابَةِ آنَذاك، فالبَدَوِيّ المُلَثَّمُ يَنْمازُ أُسْلُوبُهُ بِالخِفَّةِ والإِشْراق، ويَنْمازُ أُسْلُوبُ العُزَيْزِيِّ بِالعُنْفِ والقُوَّة، ويَتَّسِمُ أُسْلُوبُ عَبْدِ الحَلِيْم عَبّاس بِالقَفْزِ القَصِيْرِ السَّرِيْع، ويَجْنَحُ خَلِيْل السّالم إِلى التَّعْبِيْرِ عَنِ المَوادِّ العِلْمِيَّةِ الجافَّةِ بِأُسْلُوبٍ أَدَبِيٍّ جَمِيْل[٥].

وبِإِزاءِ ذَلِك، ذَهَبَ الكاتِبُ مُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان – المُدَرِّسُ في القُدْسِ آنَذاك- إِلى تَقْدِيْمِ صُورَةٍ مُعَمَّقَةٍ عَنْ حالِ الحَراكِ الأَدَبِيِّ والثَّقافِيِّ في فِلَسْطِيْن، جاءَتْ بَحْثاً مُتَكامِلاً، نُشِرَ في مَجَلَّةِ "الرِّسالَة" في خَمْسِ حَلَقاتٍ[٦]- سَنَةَ (١٩٤٦م)- تَحَدَّثَ فِيْها بِإِسْهابٍ عَنْ واقِعِ الأَدَبِ والثَّقافَةِ وأَعْلامِهِما المُعاصِرِيْنَ

---

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٦-٢٨.
(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٥.
(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٥.
(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٥-٢٦.
(٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٥.
(٦) نُشِرَتْ في المُجَلَّد١٤، الأَعْداد: ٦٨٤، ٦٨٨، ٦٨٩، ٧٠٢، ٧٠٤، القاهِرَة، ١٣٦٥-١٣٦٦هـ=١٩٤٦م.

المُعاصِرِيْنَ في فِلَسْطِيْن، وخَصَّ أَكْثَرَ هَؤلاءِ بِحَدِيْثٍ مُفَصَّلٍ عَنْ حَيَواتِهِم وأَدْوارِهِم وآثارِهِم المَخْطُوطَةِ والمَطْبُوعة، مِنْ مِثْل[١]: يُوسُف الخالدِيّ، وبَنْدل الجوزِيّ، ورَوْحي الخالدِيّ، ويُوسُف النَّبْهانِيّ، ومُحَمَّد إِسْعاف النَّشاشِيبِيّ، وأَحْمَد سامِح الخالدِيّ، وإِسْحاق مُوسى الحُسَيْنِيّ، وعَجاج نُوَيْهِض، وعارِف العارِف، وقَدْري طُوقان، وعَبْد الله الرِّيماوِيّ، وغَيْرِهِم مِنَ الأَعْلامِ الرُّوّاد، كُلٌّ فِي مَجالِه. وساقَ – فِي أَثْناءِ ذَلِكَ– تَفارِيْقَ وأَشْتاتاً مُنْتَخَبَةً مِنْ آدابِهِم.

وتَحدَّثَ الرَّشْدانُ – بِالمِثْل– عَنْ عَوامِلِ نَهْضَةِ الأَدَبِ الحَدِيْثَةِ فِي فلسطِيْن، ولَمْ يَفُتْهُ تَسْلِيْطُ الضَّوءِ – فِي الوَقْتِ ذاتِهِ– عَلى مُشْكِلاتِها، كَقِلَّةِ الصُّحُفِ والمَجَلّات، ونُدْرَةِ دُورِ النَّشْرِ التي تَأْخُذُ عَلى عاتِقِها طِباعَةَ التَّألِيْفِ الجَدِيْدَةِ وتَوْزِيْعِها[٢]. وهِيَ ذاتُها العَوائِقُ التي كانَتْ تَقِفُ فِي وَجْهِ تَدَفُّقِ الحَرَكَةِ الأَدَبِيَّةِ فِي الأُرْدُنّ، ولا غَرْوَ فِي ذَلِكَ؛ فإِنَّ الظُّرُوفَ المُحِيْطَةَ بِالمَنْطِقَةِ كُلِّها مُتَشابِه، حَتّى إِنَّهُ لَيُمْكِنُ القَولُ إِنَّ عَناصِرَ اللُّحْمَةِ تَبْدُو واضِحَةً بَيْنَ الحَراكَيْنِ القائِمَيْنِ فِي الأُرْدُنِّ وفِلَسْطِيْنَ مُنْذُ القَدِيْم.

- **خامِساً: الآدابُ الأَجْنَبِيَّة**

امْتَدَّتْ عِنايَةُ الرُّوّاد – ولا سِيَّما مَنْ دَرَسَ مِنْهُم فِي الجامِعات– إِلى دِراسَةِ الآدابِ غَيْرِ العَرَبِيَّة، فَتَناوَلُوا عَدَداً مِنْ رُمُوزِ الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيّ – خاصَّةً– بِالمُباحَثَة، وتَعَمَّقُوا فِي تَناوُلِ بَعْضِ القَضايا النَّقْدِيَّةِ الشّائِكَةِ التي كانَتْ تُثارُ – آنَذاك– حَولَ بَعْضِ قَضايا الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيّ، كَقَضِيَّةِ الانْتِحالِ التي أَخَذَتْ حَيِّزاً فِيما نَشَرَ بَعْضُ الرُّوّاد. وثَمَّةَ عَدَدٌ مِنَ الأَعْمالِ التي تُتَرْجِمُ عَنْ هَذِهِ الوِجْهَة، وتَدُلُّ – فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ– عَلى وَعْيِ الرُّوّاد، وامْتِدادِ اهْتِماماتِهِم بِالآدابِ الأَجْنَبِيَّة؛ تَعْبِيراً عَنْ رَغْبَةٍ جامِحَةٍ بِالتَّعَرُّفِ إِلى ما عِنْدَ الآخَر، والاطِّلاعِ عَلى ثَقافَتِه.

اهْتَمَّ بِهَذا اللَّونِ مِنَ الدِّراسَةِ عَدَدٌ مِنْ أَبْناءِ ذَلِكَ الجِيْل، فَنَشَرُوا طائِفَةً مِنْ دِراساتِهِم فِي بَعْضِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، وأَشْهَرُ مَنْ عُنِيَ بِذَلِكَ: بَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، وجرِيس القُسُوس، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ، وخَلِيْل الطّوال، وجُورج العُزَيْزات. ويُعَدُّ القُسُوس أَكْثَرُهُم تَخَصُّصاً بِالأَدَبِ الإِنْجلِيزِيّ، وغَوْصاً عَلى قَضاياه النَّقْدِيَّة، ومَعْرِفَةً بِأَعْلامِهِ ورُمُوزِهِ الكِبار؛ إِذْ كان القُسُوسُ دَرَسَ فِي الجامِعَةِ الأَمْرِيكِيَّة – فِي بَيْرُوت– ثُمَّ قَفَلَ إِلى وَطَنِهِ مُعَلِّماً لِلإِنْجلِيزِيَّةِ فِي مَدْرَسَةِ السَّلْط، وأَنْجَزَ كِتاباتِهِ ونَشَرَها فِي تِلْكَ المَجَلّاتِ وهُوَ عَلى رأْسِ عَمَلِهِ فِي تِلْكَ الوَظِيْفَة.

ونَبْدأُ بِتَقْدِيْمِ نَبْذَةٍ عَنْ بَعْضِ دِراساتِ هَؤلاء، مُسْتَهِلِّينَ بِالشُّرَيْقِيّ الذي أَبْدى بَعْضَ اهْتِمامٍ بِدِراسَةِ الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيّ – رُغْمَ تَخَصُّصِهِ بِالمُحاماة– فَنَشَرَ – فِي سَنَةِ (١٩٣٤م)– مَقالَةً بِاسْمِ "الأَدَب الإِنْجلِيزِيّ فِي القَرْنِ التّاسِعَ عَشَر"[٣]، نَقَدَ فِيْها كِتابَ سَلامَة مُوسى المَوْسُوم "الأَدَب الإِنْجلِيزِيّ الحَدِيْث" وتَعْلِيْقَةَ مَحْمُود الخَفِيْف عَلَيه التي نُشِرَتْ فِي عَدَدٍ آنِفٍ مِنْ مَجَلَّةِ "الرِّسالَة". وقَدْ أَظْهَرَ الشُّرَيْقِيُّ مُخالَفَتَهُ

(١) انْظُر: الرَّشْدان، مُحَمَّد سَلِيْم، الأَدَب فِي فلسطِيْن (الحَلَقَة١)، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨٩٨–٨٩٩.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٨٩٧–٨٩٨.

(٣) مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٦٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٥٥٠–١٥٥٢.

الاثْنَيْنِ فِي عَدَدٍ مِنَ المَحاوِرِ التي تَوافَقا عَلَيها، ووافَقَهُما حِيْناً، ولكنَّه جَعَلَ وُكْدَهُ مُوَجَّهاً إلى تَسْجِيْلِ المَلاحِظِ النَّقْدِيَّةِ المَنْهَجِيَّةِ على كِتابِ مُوسى وتَعْلِيْقَةِ الخَفِيْف عَلَيه، مُتَعَقِّباً بَعْضَ ما خالَفا فِيه الآراءَ التي يَكادُ الإجْماعُ يَقَعُ عَلَيها عِنْدَ النُّقّادِ الإنْجليز أَنْفُسِهِم. ويُمْكِنُ القَولُ إنَّ مَلاحِظَ الشُّرَيْقِيِّ النَّقْدِيَّةَ جاءَتْ دَقِيْقَةً إلى حَدٍّ كَبِيْر، وهِيَ تَشِفُّ عَنْ مَعْرِفَتِهِ الواعِيَة، وإشْرافِهِ على نَوافِذِ الأَدَبِ الإنْجليزِيِّ الحَدِيْث، وشِدَّةِ عارِضَتِهِ فِي الرَّدِّ على كاتِبٍ فِي وَزْنِ سَلامَةَ مُوسى.

ويَرى المُتَأَمِّلُ أَنَّ الأَنْظارَ النَّقْدِيَّةَ الأُرْدُنِيَّةَ فِي تَناوُلِ الأَدَبِ الأُورُوبِيِّ أَخَذَتْ تَتَعَمَّقُ شَيْئاً فَشَيْئاً، حَتّى بَلَغَتْ مُسْتَوًى مِنَ العُمْقِ المَعْرِفِيِّ فِيما كَتَبَ جريس القُسُوس، وقد دارَتْ أَكْثَرُ كِتاباتِهِ المَنْشُورَةِ فِي المَجَلّاتِ حَوْلَ دِراسَةِ الأَدَبِ الإنْجليزِيّ، وإلقاءِ مَزِيْدٍ مِنَ الأَضْواءِ الكاشِفَةِ على أَعْلامِهِ الكِبار، ولا سِيَّما (وليم شِكْسبِيْر)، والتَّفَرُّغِ لِتَناوُلِ بَعْضِ المَسائِلِ النَّقْدِيَّةِ المُهِمَّةِ التي سَنُومِئُ إلى أَهَمِّها بَعْدَ قَلِيْل.

وقَدْ ذَرَعَ القُسُوسُ هَذِهِ الوِجْهَةَ فِي الكِتابَةِ- بَدْءاً مِنْ سَنَةِ (١٩٣٥م)- مُقَدِّماً بَحْثاً مُتَكامِلاً – نُشِرَ فِي أَرْبَعِ حَلَقاتٍ- تَناوَلَ بِفَضْلِ تَعَمُّقِ سِيْرَةَ الشّاعِرِ الإنْجليزِيِّ المَشْهُور (وليم ورد زورث)[١]، مُفَصِّلاً وَجْهَ القَوْلِ فِي مَوْلِدِهِ ونَشْأَتِهِ وأُسْرَتِهِ وتَعْلِيْمِهِ ورَحَلاتِهِ الأُورُوبِيَّةِ وخَطِّ سَيْرِ حَياتِه، مُخَصِّصاً مَحاوِرَ لِلحَدِيْثِ عَنْ أَشْعارِهِ وإبْداعاتِهِ الأَدَبِيَّة، وتَصَوُّفِهِ وغُمُوضِ أَدَبِه، وتَعْبِيْرِهِ عَنْ قَضايا الفَقْرِ والطُّفُولَةِ على نَحْوٍ واضِح، وصُولاً إلى المَحَطّاتِ الأَخِيْرَةِ فِي حَياتِهِ ووَفاتِه. ومِنَ الجَمِيْلِ اعْتِناءُ القُسُوس بِالتَّوْثِيْقِ اللَّيِّن فِي آخِرِ حَلَقاتِهِ عن هَذا الشّاعِرِ المَعْرُوف، إذْ ذَكَرَ جُمْلَةً مِنَ المَصادِرِ التي فاءَ إلَيها فِي بَحْثِه، على نَحْوٍ مُجْمَل، وهِيَ ثَمانِيَةُ مَراجِعَ إنْجليزِيَّة[٢].

وجاءَ اهْتِمامُ القُسُوس بِالكِتابَةِ عَنْ (شِكسبِيْر) أَشَدَّ تَرْكِيْزاً وعُمْقاً، فَقَدْ حامَتْ طائِفَةٌ مِنْ مَقالاتِهِ المَنْشُورَةِ فِي مَجَلَّةِ "الرِّسالَة"، فِي السَّنَواتِ: (١٩٣٦، و١٩٣٧، و١٩٤٦م)، حَولَ حَياةِ هَذا الأَدِيْبِ المَشْهُورِ وأَدَبِه، إذْ أَعادَ القُسُوسُ إلى مأدُبَةِ البَحْثِ السُّؤالَ المُشْكِلَ: "هَلْ أَلَّفَ شِكْسبِيْر رواياتِه؟"[٣]، مُسْتَعْرِضاً آراءَ المَدْرَسَةِ المُنافِحَةِ عَنْ أَصالَةِ هذا الأَدِيْبِ (المَدْرَسَة السّتراتفُورِيَّة)، وآراءَ نَقِيْضَتِها التي أَنْكَرَتْ أَنْ يَكُونَ (شِكْسبِيْر) قَدْ خَرَجَ عَنِ التَّرِكَةِ الإبْداعِيَّةِ الكَبِيْرَةِ المَنْسُوبَةِ له (المَدْرَسَة اللاستراتفُورِيَّة). وانْتَهى الكاتِبُ إلى تَرْجِيْحِ كِفَّةِ المَدْرَسَةِ الأُولى، مُؤَكِّداً أَنَّهُ مَهْمَا وُجِّهَ لها مِنْ نُقُود، فإنَّ النَّجاحَ سَيَكُونُ حَلِيْفَها فِي إثْباتِ عَبْقَرِيَّةِ (شِكْسبِيْر) وقُدْراتِهِ الفَذَّةِ فِي الإبْداع.

وعادَ القُسُوسُ مُجَدَّداً إلى إثارَةِ سُؤالٍ آخَرَ يَتَعَلَّقُ (بِشِكْسبِيْر)، وهُو "هَلْ تأَثَّرَ شِكْسبِيْر بالآداب العَرَبِيَّة؟"[٤]، وهُوَ سُؤالٌ مَشْرُوعٌ فِي ضَوءِ المَشابِهِ التي وُجِدَتْ بَيْنَ أَدَبِهِ وبَعْضِ الأَعْمالِ الأَدَبِيَّةِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَة، ولَكِنَّ هَذا التَّقاطُعَ لَمْ يَقِفْ حائِلاً أَمامَ إنْكارِ القُسُوسِ مَسألَةَ التَّأَثُّرِ والمُحاكاةِ مِنْ أَصْلِها،

---

(١) القُسُوس، جريس، وليم ورد زورث (الحلقة١)، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٢٦٧-١٢٦٨.

(٢)انْظُر: القُسُوس، جريس، وليم ورد زورث (الحَلَقَة٤)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد١١٢، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٣٧٨.

(٣) مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد١١٦، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٥٤١-١٥٤٣.

(٤) انْظُر: القُسُوس، جريس، شِكْسبِيْر والأَدَب العَرَبِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَر سابِق، ص١٠٢٤-١٠٢٦.

مُؤكِّداً أَنَّ التَّوارُدَ مِمّا يَقَعُ فِي الآداب عادَّة، وأَنَّ مَيْدانَ المُماثَلَةِ مَيْدانٌ مَفْتُوحٌ عَلى مِصْراعَيْه، وأَنَّ التَّفْكِيرَ الإِنْسانِيَّ المُشْتَرَكَ هُوَ الإِطارُ النَّقْدِيُّ الذي تُفَسَّرُ عَلى أَساسِهِ هَذِهِ المَسأَلَة. ومَهما يَكُن، فإِنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ اتَّخَذَتْ – فِيما بَعْدُ– أَبْعاداً أَعْمَقَ غَوْراً مِمّا تَصَدّى له القُسُوسُ فِي مَقالَيْه، وما تَزالُ مَوْضِعَ مُباحَثَةٍ مِنْ قِبَل دُرّاسِ الأَدَبِ المُقارَن.

والتَفَتَ القُسُوسُ فِي مَقالَةٍ أُخْرى إِلى تَحْلِيلِ الجَوِّ العامِّ الذي نَبَغَ فِيْهِ (شِكْسبِيْر)، وكَيْفَ تَهَيَّأَ لَهُ أَنْ يَزْحَمَ كِبارَ فُحُولِ الأُدَباءِ فِي عَصْرِه، مِنْ مِثْل: (كريستوفر مارلو) و(توماس ناش)، حَتّى استَطاعَ أَنْ يَشُقَّ طَرِيْقَ الشُّهْرَةِ الأَدَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ الوَسَطِ المُزْدَحِمِ بِالأَصْواتِ الأَدَبِيَّةِ فِي (إِنْجلترا) فِي تِلْكَ المُدَّة[١].

وإِلى جانِبِ ذَلِكَ، نَشَرَ القُسُوسُ فِي مَجَلَّةِ "الرِّسالَة"، بَحْثاً مُعَمَّقاً، فِي أَرْبعِ حَلَقاتٍ – سَنَةَ (١٩٣٦م)– تَناوَلَ فِيْهِ قَضِيَّةً نَقْدِيَّةً اشْتَجَرَتْ حَوْلَها الآراءُ والأَقْلامُ آنَذاك، وهِيَ ما عَنْوَنَهُ الكاتِبُ بـــ "هَلْ مِن انْتِحالٍ فِي الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيّ؟"[٢]، وهِيَ قَضِيَّةٌ شائِكَةٌ بِحَقّ، إِذ أَدْلى كَثِيْرٌ مِنْ نُقّادِ الغَرْبِ بآرائِهِم حَولَها، ولَمْ يَنْتَهُوا فِيْها إِلى مَقْنَع، فأَعادَ القُسُوسُ القَضِيَّةَ إِلى دَوائِرِ البَحْثِ مُجَدَّداً، مُتَّخِذاً مِنَ الأَدِيْبَيْنِ الإِنْجلِيزِيَّيْنِ المَعْرُوفَيْن: (جيْمس مكفرسن)، و(تُوماس تشاترتن) مِثالَيْنِ بارِزَيْنِ لِلمُباحَثَةِ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ التي لَمْ يَسْتَقِرِ الأَمْرُ فِيْها عَلى رأْيٍ يُطْمَئَنُ إِلَيه.

ورأى القُسُوسُ – بَعْدَ اسْتِعْراضِ وِجْهاتِ النَّظَرِ المُخْتَلِفَة، وتَقْلِيْبِها مِنْ سائِرِ أَقْطارِها– أَنَّ الانْتِحالَ يَصْعُبُ إِثْباتُهُ بِحَقِّ هَذَيْنِ الأَدِيَبْيْنِ المُبْدِعَيْن – رُغْمَ اتِّهامِهِما بِذَلِك– بَلْ مَضى فِي نَفْيِ تِلْكَ التُّهْمَةِ مِنْ جُذُورِها، داعِياً إِلى وَضْعِهِما فِي مَنْزِلَتِهِما الأَدَبِيَّةِ التي يَسْتَحِقّاها. ومَرَّةً أُخْرى، يُطالِعُنا القُسُوسُ بِقائِمَةٍ تَوْثِيْقِيَّةٍ مُوجَزَة، يُذَيِّلُ بِها بَحْثَه، مُحِيلاً القُرّاءَ إِلى عَشَرةِ مَراجِعَ أَجْنَبِيَّة، أَفادَ مِنْها فِي تَشْكِيْلِ مادَّتِهِ البَحْثِيَّة[٣].

وإِذا ما عَدَّيْنا القُسُوسَ إِلى صَوْتٍ آخَرَ عُنِيَ بِدِراسَةِ الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيِّ فِي هَذِهِ المُدَّة، لَقِينا الكاتِبَ خَلِيْل الطَّوال، الذي نَشَرَ فِي مَجَلَّةِ "الرِّسالَة" – فِي سَنَتَي (١٩٣٦–١٩٣٧م)– بَحْثَيْنِ تَناوَلَ فِيهِما عَلَمَيْنِ مِنْ أَعْلامِ الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيِّ المَشاهِيْر، وهُما:(برسي شلي)[٤]، و(جُون ملتُون)[٥]. ففِي البَحْثِ الأَوَّلِ الذي نُشِرَ عَلى ثَلاثِ حَلَقاتٍ، قَدَّمَ الطَّوالُ إِطْلالَةً عَلى مَوْلِدِ الشّاعِرِ (برسي شلي) وأُسْرَتِهِ ونَشْأَتِهِ وتَعْلِيمِهِ وأَخْلاقِه، وتأَثُّرِهِ بِالأُدَباء، وإِبْداعِهِ وشِعْرِهِ ورِواياتِه، وثَوْرَتِهِ الفِكْرِيَّة، وآراءِ النُّقّادِ فِيه،

---

(١) انْظُر: القُسُوس، جريس، شِكْسبِيْر والمُعاصِرُون، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٤، العَدَد١٨٧، القاهِرَة، ١٣٦٥هـــ=١٩٤٦م، ص٩٧٩–٩٨١.

(٢) مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، الأَعْداد: ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، القاهِرَة، ١٣٥٥هـــ=١٩٣٦م.

(٣) انْظُر: القُسُوس، جريس، هَلْ مِن انْتِحالٍ فِي الأَدَبِ الإِنْجلِيزِيّ؟ (الحَلَقَة٤)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٦٧، القاهِرَة، ١٣٥٥هـــ=١٩٣٦م، ص١٥٥١.

(٤) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، الأَعْداد: ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، القاهِرَة، ١٣٥٥هـــ=١٩٣٦م.

(٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، السَّنَة٥، الأَعْداد: ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، القاهِرَة، ١٣٥٦هـــ=١٩٣٧م.

مُرُوراً بالمحطّاتِ الرَّئِيسةِ في حَياتِه، وصُولاً إلى نِهاياتِهِ ووَفاتِه. وعلى غِرارِ ما صَنَعَهُ القُسُوس، عُنِيَ الطَّوالُ بذِكْرِ مَراجِعِهِ البَحْثِيَّةِ المُعْتَمَدَة، وهي عَشرَة، أَحَدُها بالعَرَبِيَّة[١].

وأَمّا البَحْثُ الآخَر، فَيَسِيرُ على شاكِلَةِ صِنْوِهِ إلى حَدٍّ بَعِيْد، فَهُوَ مَنْشُورٌ في ثَلاثِ حَلَقاتٍ في ذاتِ المَجَلَّة، ويَقَدِّمُ فيهِ الكاتِبُ رُؤْيَةً مُكَثَّفَةً تَتَمَحْوَرُ حولَ حَياةِ (ملتُون) وشَخْصِيَّتِه، ورُؤْيَتِهِ السِّياسِيَّةِ والأَدَبِيَّة، وفَنِّهِ وإِبْداعِه، وأُسْلُوبِه، وآراءِ النُّقّادِ فيه، وخاتِمَتِهِ ووَفاتِه. مع تَسْلِيْطِ الضَّوْءِ على مَلْحَمَتِهِ الشِّعْرِيَّةِ المَشْهُورَةِ "الفِرْدُوس المَفْقُود"، والتَّعْرِيْفِ بِمَحاوِرِها الرَّئِيْسة. وسَرَدَ الطَّوالُ في آخِرِ بَحْثِهِ ما أَسْماهُ (أَسانِيْدِ الدِّراسَة)، وهِيَ ثَمانِيَةُ مَراجِعَ أَجْنَبِيَّة، اسْتَقَى مِنْها أَفْكارَ دِراسَتِه[٢]. و تَدُلُّ هَذِهِ المُثُلُ الجَدِيْدَةُ على التَّوَثُّقِ المُجْمَلِ على الرُّوحِ العِلْمِيَّةِ الأَمِيْنَةِ التي سَرَتْ في أَوْصالِ ما كَتَبَهُ بَعْضُ الرُّوّادِ مِنْ مُقارَباتٍ نَقْدِيَّةٍ وفِكْرِيَّةٍ مُبَكِّرَةٍ تَسْتَحِقُّ التَّوَقُّفَ عِنْدَها بِعُمْق.

ونَقْرأُ – فَضْلاً عمّا سَبَقَ– مَقالَةً نَشَرَها مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ – سَنَةَ (١٩٣٩م)– عَنِ القاصِّ الرُّوسِيّ المَشْهُور: (ترغنيف)، مُتَضَمِّنَه تَعْرِيْفاً بِعَصْرِهِ وشَخْصِيَّتِهِ وبِيْئَتِهِ وثَقافَتِهِ وأَعْمالِهِ القَصَصِيَّة. وهَذِهِ المَقالَةُ – كَما يَذْكُرُ الإِيْرانِيُّ نَفْسُهُ– تَعْرِضُ سِيْرَةَ (ترغنيف) [٣] ورُوحَ عَصْرِه، كَما صَوَّرَها كاتِبُ السِّيَرِ المَعْرُوفُ (أَنْدريه مُوروا)، فَهِيَ مُلَخَّصٌ بِتَصَرُّف، رُبَّما يَدْخُلُ في بابِ التَّرْجَمَةِ التي سَنُلْقِي الضَّوْءَ عَلَيها في مِحْورٍ آتٍ.

- **سادساً: التّارِيْخ**

اهْتَمَّ بَعْضُ الرُّوّادِ الأُرْدُنِيِّيْنَ بِمَباحِثِ التّارِيْخِ وقَضاياه، ولا سِيَّما مَسائِلُهُ المُشْكِلَةُ التي اخْتَلَفَ المُؤَرِّخُونَ أَنْفُسُهُم في إِثْباتِها أَو نَفْيِها، كَحادِثَةِ خِيانَةِ الوَزِيْرِ ابنِ العَلْقَمِيِّ وتآمُرِهِ مع المَغُولِ في اقْتِحامِ عاصِمَةِ الخِلافَةِ وتَدْمِيْرِها، فَضْلاً عَنْ مَسائِلَ أُخْرى تَبايَنَتِ الآراءُ – قَدِيْماً وحَدِيْثاً– في تَفْسِيْرِها، كَحادِثَةِ إِيْقاعِ الخَلِيْفَةِ الرَّشِيْدِ بِوُزَرائِهِ البَرامِكَةِ والتَّخَلُّصِ مِنْ سُلْطَتِهِم، وحادِثَةِ إِحْراقِ مَكْتَبَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ التي وُجِّهَتْ أَصابِعُ التُّهْمَةِ فِيْها – زُوراً وبُهْتاناً– إلى الفاتِحِيْنَ المُسْلِمِيْن. إلى جانِبِ اعْتِناءِ بَعْضِ الرُّوّادِ بالرَّدِّ على بَعْضِ الشُّبُهاتِ التي أَثارَها نَفَرٌ مِنْ مُفَكِّرِي الغَرْبِ حَوْلَ مَسِيْرَةِ التّارِيْخِ الإِسْلامِيّ، وإِلصاقِ التُّهَمِ الباطِلَةِ بِطَبِيْعَةِ انْتِشارِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ في الخافِقَيْن.

سَلَّطَ المُؤَرِّخُونَ الأُرْدُنِيُّونَ الأَوائِلُ – إِذا جازَ أَنْ نُسَمِّيَهُم بِالمُؤَرِّخِيْنَ؛ على اعْتِبارِ تَناوُلِهِم المادَّةَ التّارِيخِيَّةَ بِالبَحْثِ والتَّحْلِيْلِ– الضَّوْءَ على حَلَقاتٍ مُهِمَّةٍ مُثِيْرَةٍ مِنَ التّارِيْخِ الإِسْلامِيّ، وتَلامَحَ اهْتِمامُهُم بِتارِيْخِ الدَّوْلَةِ العَبّاسِيَّةِ واضِحاً. والجَمِيْلُ أَنَّهُم حاوَلُوا جُهْدَهُم في جُلِّ ما كَتَبُوهُ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْ قَواعِدِ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ في الكِتابَةِ التّارِيْخِيَّة، يَبْدُو ذَلِكَ – على الأَقَلِّ– فيما تَحَلَّوا بِهِ مِنَ المَوْضُوعِيَّةِ حِيْناً،

---

(١) انْظُر: الطَّوال، خَلِيْل، برسي شلي (الحَلَقَة٣)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٥٦، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص١٠٦٧.

(٢) انْظُر: الطَّوال، خَلِيْل، جُون ملتُون (الحَلَقَة٣)، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢٧، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٨٢٦.

(٣) انْظُر: الإِيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، ترغنيف: عَصْرُهُ وحَياتُه، مَجَلَّة الثَّقافَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٤-١٨.

واتِّباعِ مَنْهَجِ الشَّكِّ حِيْناً، ومُحاكَمَةِ المَصادِرِ ومُناقَشَتِها حِيْناً، وتَفْسِيْرِ المَرْوِيّاتِ المُتَضارِبَةِ حِيْناً، فَضْلاً عَنِ الاعْتِناءِ بِالتَّوْثِيْقِ العِلْمِيّ، والإحالَةِ المَرْجِعِيَّةِ إِلى طائِفَةٍ مِنْ أُمّاتِ المَظانِّ التّارِيْخِيَّةِ القَدِيْمَةِ، والإفادَةِ مِنَ الدِّراساتِ الحَدِيْثَةِ، عَرَبِيَّةً وأَجْنَبِيَّةً.

ورُغْمَ ما يُؤْخَذُ عَلى تِلْكَ الكِتاباتِ مِنْ غَلَبَةِ السَّرْدِ التّارِيْخِيّ، وعَدَمِ القُدْرَةِ عَلى تَعْمِيْقِ النَّظْرَةِ فِي بَعْضِ المَسائِلِ حِيْناً، وعَدَمِ الوصُولِ إِلى نَتائِجَ مُقْنِعَةٍ حِيْناً، وعَدَمِ الإحاطَةِ والتَّعَمُّقِ بِتَناوُلِ بَعْضِ المَوْضُوعاتِ حِيْناً، فإنَّ ذَلِكَ لا يُقَلِّلُ مِنْ أَهَمِّيَّةِ تِلْكَ الكِتاباتِ التّارِيْخِيَّةِ الأُولى التي خَرَجَتْ مِنْ رَحِمِ هَذِهِ المُدَّةِ المُبَكِّرَةِ مِنْ تارِيْخِ تأسِيْسِ الدَّوْلَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الحَدِيْثَةِ.

قَدَّمَ صَيّاح الرُّوسان فِي بَحْثِهِ المَنْشُورِ – سَنَةَ (١٩٣٣م) – تَحْقِيْقاً تارِيْخِيّاً حَوْلَ" نَكْبَةِ البَرامِكَةِ"[١]، مُفِيْداً مِنْ طاقاتِ ما كَتَبَهُ المُؤَرِّخُونَ المُسْلِمُونَ الكِبار، كاليَعْقُوبِيّ، والطَّبَرِيّ، والمَسْعُودِيّ، وابنِ الأَثِيْر، وابنِ خَلِّكان، وابنِ الطِّقْطَقا، وابنِ خَلْدُون. ولَمْ يَنْسَ الإفادَةَ مِنْ مَصْدَرٍ مُتَأَخِّرٍ اخْتَصَّ بِالحَدِيْثِ عَنِ البَرامِكَة، وهُوَ كِتابُ "إِعْلام النّاس بِما وَقَعَ لِلبَرامِكَةِ مع بَنِي العَبّاس" لِلأَتْلِيدِيّ، فَضْلاً عَنِ الإفادَةِ مِنْ بَعْضِ الدِّراساتِ الحَدِيْثَةِ، عَرَبِيَّةً وأَجْنَبِيَّة. ولَمْ يَفُتِ الرُّوسانُ – كَذا الأَمْر– أَنْ يُطِلَّ عَلى بَعْضِ المَظانِّ الأَدَبِيَّة، مِثْل "البَيان والتَّبْيِيْن" لِلجاحِظ، و "الأَغانِي" لأَبِي الفَرَجِ الأَصْفَهانِيّ، وهِيَ إِطْلالَةٌ ذَكِيَّة؛ إِذْ يُشَكِّلُ هَذا اللَّونُ مِنَ المَرْجِعِيّاتِ غَيْرِ التّارِيْخِيَّةِ رافِداً مُهِمّاً فِي الكِتابَةِ التّارِيْخِيَّةِ المُسْتَبْصِرَة.

ويُمْكِنُ وَصْفُ مُحاوَلَةِ الرُّوسانِ فِي تَحْلِيْلِ هَذِهِ المَسألَةِ التّارِيْخِيَّةِ بِأَنَّها – كَما يَقُولُ نَفْسُهُ– "مُحاوَلَةٌ لِسَرْدِ الحَوادِثِ والأَخْبارِ المُسْتَقاةِ مِنَ المَصادِرِ العَرَبِيَّة، مع الاعْتِناءِ بِالتَّدْلِيْلِ عَلى كُلِّ أَمْرٍ يُوجِبُ الشَّكّ"[٢]، وبِهَذِهِ الرُّوحِ التي أَلَّفَتْ بَيْنَ سَبِيْلَيْ: السَّرْدِ والشَّكّ، سَعى الرُّوسانُ فِي بِناءِ مَحاوِرِ دِراسَتِهِ التي تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ تَقْرِيْراً عِلْمِيّاً، مُتَحَدِّثاً عَنْ أَصْلِ أُسْرَةِ البَرامِكَةِ الفارِسِيّ، ومَنْشَئِهِم واتِّصالِهِم بِالعَبّاسِيِّيْن، ودُورِهِم السِّياسِيِّ والإدارِيِّ فِي الدَّوْلَةِ العَبّاسِيَّة. مُسْتَرْسِلاً فِي التَّعْرِيْفِ بِسِتَّةٍ مِنْ كِبارِ أَعْيانِهِم، بَدْءاً بِخالِدِ بنِ بَرْمَك، ومُرُوراً بِيَحيى بنِ خالِد، وانْتِهاءً بِأَبْنائِه.

ويُلاحِظُ المُتَأَمِّلُ أَنَّ المُباحَثَةَ التي قَدَّمَها الرُّوسانُ لا تَغُوصُ فِي مَفاصِلِ نَكْبَةِ البَرامِكَةِ ذاتِها، بِقَدْرِ تَرْكِيْزِها عَلى التَّعْرِيْفِ بِمَنْزِلَتِهِم وأَدْوارِهِم فِي دَوْلَةِ الخِلافَة، وقُرْبِهِم مِنَ الخَلِيْفَةِ الرَّشِيْدِ خاصَّة. ويَبْدُو أَنَّ الرُّوسانَ شَعَرَ بِهَذا الفَراغ، فَنَشَرَ بَحْثاً جَدِيْداً بَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيْزَةٍ مِنَ البَحْثِ الآنِف، بِعُنْوان "كَلِمَة مُخْتَصَرَة عَنِ الرَّشِيْدِ وعَصْرِه"[٣]، مُكَثِّفاً الحَدِيْثَ عَنْ تارِيْخِ الرَّشِيْدِ وأَعْمالِهِ وصِفاتِهِ وجِهادِه، ورِعايَتِهِ الحَرَكَةَ العِلْمِيَّة، وعَلاقَتِهِ بِالشِّيْعَةِ والبَرامِكَة، مُلْقِياً ضَوْءاً مُسْتَأْنَفاً عَلى نَكْبَةِ البَرامِكَة.

---

(١) انْظُر: الرُّوسان، صَيّاح، تَحْقِيْق فِي نَكْبَةِ البَرامِكَة، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٣، الجُزْءان٤-٥، صَيْدا، ١٣٥٤هـ=١٩٣٣م، ص٥٢٩-٥٣٨.

(٢) المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٥٣٠.

(٣) مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٤، الجُزْء١، صَيْدا، ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م، ص٣١-٤٠.

تَوَسَّلُ الرُّوسانُ بِالحَدِيْثِ عَنِ البَرامِكَةِ – فِي هَذِهِ المَقالَةِ– إِلى تَقْدِيْمِ تَفْسِيْرٍ شُمُولِيٍّ لِنَكْبَتِهِم المَشْهُورَةِ، ولا يَخْرُجُ تَفْسِيْرُهُ عَنْ حَدِّ المَقُولاتِ والآراءِ الآنِفَةِ التي سِيْقَتْ فِي مَعْرِضِ تَفْسِيْرِ هَذِهِ الحادِثَةِ، فَهُوَ يُفَصِّلُ القَوْلَ فِي البَواعِثِ التي أَفْضَتْ إِلى اتِّخاذِ الرَّشِيْدِ قَرارَهُ بِإِنْهاءِ الوجُودِ البَرمَكِيِّ القابِضِ عَلى مَشْهَدِ السُّلْطَةِ العَبّاسِيَّةِ آنَذاك، وأَهَمُّ هَذِهِ البَواعِثِ[1]: كَراهَةُ العُنْصرِ العَرَبِيِّ للبَرامِكَةِ، ودَوْرُ العُنْصرِ النِّسوِيِّ العَبّاسِيِّ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهُم، وتَشَيُّعُ البَرامِكَةِ الخَفِيّ ودَعْوَتُهُم لِلعَلَوِيِّيْنَ سِرّاً، وتَعَصُّبُهُم لأُصُولِهُم الفارِسِيَّة، وتَعاظُمُ نُفُوذِهِم فِي الدَّوْلَةِ العَبّاسِيَّة، وخَشْيَةُ الرَّشِيْدِ عَلى سُلْطانِهِ مِنْهُم، واسْتِبْدادُهُم بِالأَمرِ وكَثْرَةُ مَظالِمِهِم.

حاوَلَ الرُّوسانُ أَنْ يَحْشُدَ – بِرُوحِ المُؤَرِّخِ – المَرْوِيّاتِ التي تُؤَيِّدُ كُلَّ واحِدٍ مِنْ هَذِهِ البَواعِث، مُبْدِياً مَوْقِفَهُ المَنْهَجِيَّ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ المَرْوِيّات. وقَدِ اسْتَطاعَ بِحِسٍّ عالٍ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ حادِثَةِ العَبّاسَة، أُخْتِ الرَّشِيْد، نافِياً أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الحادِثَةُ مِنَ البَواعِثِ الحَقِيْقِيَّةِ التي دَفَعَتِ الرَّشِيْدَ إِلى إِيْقاعِ المِحْنَةِ بِالبَرامِكَة. وقَدْ بَذَلَ الرُّوسانُ جُهْدَهُ فِي اسْتِبْعادِ هَذِهِ الحادِثَةِ مِنَ المَشْهَدِ كُلِيّاً، بَلْ ذَهَبَ إِلى القَوْلِ إِنَّ هَذِهِ الرِّوايَةَ الغَرامِيَّةَ لا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مِنْ نَسْجِ الخَيالِ العاطِفِيّ، وقَدِ اسْتَثْمَرَها الكُتّابُ الغَرْبِيُّونَ والشَّرْقِيُّون، فَحاكُوها رِواياتٍ خَيالِيَّة، تَحَوَّلَتْ– مِنْ بَعْدُ– إِلى (دراما) تَمْثِيْلِيَّة، لا تَنْسَجِمُ مَعَ الواقِعِ التّارِيْخِيِّ بِحال[2]. وانْتَهى الرُّوسانُ مِنْ مُقارَبَتِهِ إِلى أَنَّ دَوْلَةَ البَرامِكَةِ بَلَغَتْ أَلْقَها، حَتّى ضُرِبَتِ الأَمْثالُ بِها، ولكِنْ لمّا طَفَحَتْ عُيُوبُهُم فِي عَيْنِ الخَلِيْقَة، واتَّقَدَتْ فِي نَفْسِهِ الظُّنُونُ بِهِم، أَخَذَ يَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ لِلإِيْقاعِ بِهِم، والتَّخَلُّصِ مِنْ سُلْطانِهِم المُنافِسِ نِهائِياً[3].

وفِي العامِ اللّاحِق (١٩٣٤م)، نَشَرَ فَرْحان شُبَيْلات بَحْثَهُ التّارِيْخِيَّ الذي صاغَ عَتَبَتَهُ عَلى صُورَةِ تَساؤُل: "الوَزِيْرُ مُؤَيِّدُ الدِّيْنِ ابن العَلْقَمِيّ، هَلْ غَدَرَ بِأُمَّتِهِ وخَلِيْفَتِه؟"[4]، وجاءَ هَذا البَحْثُ – فِي حَلْقَتَيْنِ– عَلى شاكِلَةِ بَحْثَيِ الرُّوسان الآنِفَيْن، إِذْ نَجِدُ مَنْحًى خَفِيْفاً مِنَ التَّوْثِيْق، وذِكْرٍ لِعَدَدٍ مِنَ المَصادِرِ التّارِيْخِيَّةِ المُتَأَخِّرَةِ التي اسْتَقى مِنْها الكاتِب، وأَهَمُّها كِتاباتُ: ابن الطِّقْطَقا، وأَبِي الفِداءِ الحَمَوِيّ، وابنِ الوَرْدِيّ، وابن شاكِرٍ الكُتُبِيّ، وابن خَلْدُون.

تَمَيَّزَ الشُّبَيْلات – فِي مُطارَحَتِهِ التّارِيْخِيَّةِ هَذِهِ– بِمُحاوَلَةِ مُحاكَمَةِ المَصادِرِ التّارِيْخِيَّةِ التي ذَكَرَتْ حادِثَةَ تَواطُؤِ ابنِ العَلْقَمِيِّ مع المَغُول، وتَسْهِيْلِ اسْتِيلائِهِم عَلى عاصِمَةِ الخِلافَةِ الإِسْلامِيَّة، وتَدْمِيْرِ الدَّوْلَةِ العَبّاسِيَّة. فَقَدْ عَمِدَ الباحِثُ إِلى مُناقَشَةِ الرِّواياتِ التي ساقَتْها المَصادِر، وانْتَهى إِلى تَرْجِيْحِ رأي ابنِ خَلْدُونَ القائِلِ بِتَوْجِيْهِ تُهْمَةِ الخِيانَةِ العُظْمى لِلوَزِيرِ ابنِ العَلْقَمِيّ، مُنْتَقِداً مَوْقِفَ المُؤَرِّخَيْنِ الآخَرِيْن

(1) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٣٣-٤٠.
(2) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٣٦-٣٩.
(3) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٤٠.
(4) مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٣٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٢٩٣-٢٩٥.

– كابن الطِّقْطقا وابن الورْدِيّ– الذيْنَ دافَعُوا عَن ابن العِلْقَميّ، مُتَخَلِّيْنَ عَنْ كياسَةِ المُؤرِّخِ فِي تَمْحيْصِ الرِّوايات، واصْطفاءِ أَقْرَبِها إلى الدِّقَّةِ والصَّواب[١].

ونَلْقى – فِي العامِ (١٩٣٨م)– صَوْتاً تاريْخِيّاً أُرْدُنِيّاً ثالِثاً، يُعْنى بِبَحْثِ شَيءٍ مِمّا أَشْكَلَ مِنْ مَسائِلِ التّاريْخِ الإسْلامِيِّ عَلى بَعْضِ مُفَكِّري الغَرْب، ولا سِيَّما مَنْ تَعَجَّلُوا فِي تَوْجيْهِ التُّهْمَةِ إلى الفُتُوحاتِ الإسْلامِيَّة، قَبْلَ أَنْ يَتَعَمَّقُوا فِي قِراءةِ مُجْرياتِ التّاريْخِ الإسْلامِيِّ الحَقِيْقِيَّة، وطَبِيْعَةِ التَّفْكِيْرِ الإسْلامِيِّ فِي مَسألَةِ الحَرْبِ والقِتال. ولَعَلَّ ما يُمَيِّزُ هَذا الصَّوْتَ الذي يُمَثِّلُهُ خَلِيْل الطّوال أَنَّهُ صَوْتٌ مَسِيْحِيٌّ مُنْصِف، دَفَعَتْهُ المَوْضُوعِيَّةُ العِلْمِيَّةُ إلى النَّفْحِ عَنِ الحَقِيْقَةِ التّاريْخِيَّة، ودَحْضِ المُفْتَرياتِ – كَما يَقُولُ نَفْسُهُ– بالاسْتِقْراءِ واسْتِنْطاقِ الأَدِلَّة، وتَقْدِيْمِ الحَقائِقِ المَوْضُوعِيَّة، بِكُلِّ حَيْدَةٍ ونَزاهَةٍ وأَمانَة.

مَضى الطّوالُ فِي الحَدِيْثِ عَنْ "طَبِيْعَةِ الفَتْحِ الإسْلامِيّ"[٢]، مُشِيْراً إلى أَنَّ الإسْلامَ انْتَشَرَ بالإقْناع، لا بالجَبْرِ والإكْراه، وأَنَّ المُسْلِمِيْنَ لم يَكُونُوا غُزاةً فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيّام، ولمْ تَظْهَرْ فِي مَسِيْرَتِهِم الحَضارِيَّةِ أَعْمالُ القَتْلِ والسَّلْبِ والنَّهْبِ والغَصْبِ والعَبَثِ بِحال؛ لأَنَّ الإسْلامَ لمْ تُبِحْ شَرائِعُهُ الاعْتِداءَ عَلى الآخَرِيْن، ولمْ يُوجِبِ القِتالَ إلّا دِفاعاً. ويَحْزِمُ الطّوالُ هَذِهِ الحَقائِقَ الثّابِتَةَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مَواقِفِ النَّبِيِّ الأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ – صَلّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم– وصَحابَتِهِ الكِرام، فِي تَحْقِيْقِ مَبادِئِ السِّلْمِ الإنْسانِيّ، وعَدَمِ الاعْتِداءِ عَلى الآخَرِيْن، جاعِلِيْنَ هَمَّهُم مَصْرُوفاً إلى هِدايَةِ النّاس، لا إلى تَحْصِيْلِ الأَنْفالِ والغَنائِمِ والأَسْلاب[٣].

وانْتَقَلَ الطّوالُ – بِرُوحِهِ المَوضُوعِيَّة– إلى تَقْدِيْمِ صُوَرٍ عَمَلِيَّةٍ مُشْرِقَةٍ عَنْ أَفْعالِ المُسْلِمِيْنَ ومَسْلَكِهِم فِي فُتُوحاتِهِم، شَرْقاً وغَرْباً، مِمّا تَجَلَّتْ فيه مَعانِي الرِّفْقِ بالإنْسانِ والحَيَوانِ والنَّبات، وإعْلاءِ شَأْنِ الكَرامَةِ الإنْسانِيَّة، وضَمانِ حُرِّيَّةِ الأَدْيان، وعَدَمِ الاعْتِداءِ عَلى أَهالِي البِلادِ المَفْتُوحَة. وفِي قُبالَةِ ذَلِكَ، قَدَّمَ الطّوالُ صُوَراً مُفارِقَةً بَشِعَةً لِلجَرائِمِ التي ارْتَكَبَها الغُزاةُ الصَّلِيبِيُّونَ حِيْنَ وَصَلَتْ حَمَلاتُهُم العَسْكَرِيَّةُ إلى المَشْرِقِ العَرَبِيّ، مُسَلِّطاً الضَّوْءَ عَلى فَعَلاتِهِم الشَّنِيْعَةِ حِيْنَ دَخَلُوا مَدِيْنَةَ القُدْسِ الشَّرِيْفَة، وساقَ صُوَراً مِنْ جَرائِرِهِم فِي قَتْلِ أَهْلِ المَدِيْنَة، وتَعْذِيْبِهِم بالماءِ والنّار، والاحْتِفالِ بِقَتْلِ عَشَراتٍ مِنْهُم فِي السّاحاتِ العامَّة[٤].

وخَتَمَ الطّوالُ مَقالَتَهُ بِجُمْلَةٍ مِنَ الشَّهاداتِ المُنْصِفَةِ التي صَدَرَتْ عَنْ باحِثِيْنَ غَرْبِيِّيْنَ لَمْ تَحْجُبِ المَوْضُوعِيَّةُ التّاريْخِيَّةُ النُّورَ عَنْ أَبْصارِهِم وبَصائِرِهِم، فَسَجَّلُوا بِمِدادِ الحَقِيْقَةِ الصُّورَةَ الواقِعِيَّةَ

---

(١) انْظُر: شُبَيْلات، فَرْحان، الوَزِيْر مُؤَيِّد الدِّيْن ابن العِلْقَميّ هَلْ غَدَرَ بِأُمَّتِهِ وخَلِيْفَتِه؟ (الحَلَقة٢)، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٣٨–٣٤٠.

(٢) مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٦، العَدَد٢٧٩، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص١٨١٩–١٨٢١، والعَدَد٢٨٠، ص١٨٥٨–١٨٦٠.

(٣) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، طَبِيْعَة الفَتْحِ الإسْلامِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٦، العَدَد٢٨٠، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص١٨٥٨–١٨٥٩.

(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، ص١٨٥٩–١٨٦٠.

لِفُتُوحاتِ المُسْلِمِيْن، وتَحَدَّثُوا عَنْ مَبْلَغِ السُّمُوِّ الإِسْلامِيِّ فِي تَحْرِيْمِ إِراقَةِ الدِّماء، والحِرْصِ عَلى صَوْنِ الأَرْواح، والحِفاظِ عَلى مَبادئ الحُرِّيَّةِ والتَّسامُحِ والإِنْسانِيَّة، ومُحاولَةِ إِقْناعِ النّاسِ بِالحُسْنى[١].

وهَكَذا، نَرى بَعْضَ اهْتِماماتِ الرُّوّادِ بِجَوانِبَ لافِتَةٍ مِنَ البَحْثِ التّارِيْخِيّ، وقَدْ كانَتْ هَذِهِ الجَوانِبُ مَحَطَّ الأَنْظارِ العِلْمِيَّةِ آنَذاك. ويُمْكِنُ أَنْ نُضِيْفَ إِلى ذَلِكَ التفاتَةَ بَعْضِ الرُّوّادِ إِلى تَناوُلِ بَعْضِ مَسائِلِ فَلْسَفَةِ التّارِيْخِ ذاتِه، كَما يَتراءى هَذا المَنْحى بِجَلاءٍ فِيما كَتَبَهُ أَدِيْب عَبّاسِيّ – سَنَة (١٩٢٦م)– عَنْ "فِكْرَةِ التَّقَدُّمِ فِي التّارِيْخ"[٢]، وقَدْ نالَتْ هَذِهِ الفِكْرَةُ اهْتِمامَ أَرْهاطٍ مُتَعاقِبَةٍ مِنَ الفَلاسِفَةِ والمُفَكِّرِيْنَ ودارِسِي التّارِيْخِ مِنَ القُدامى والمُحْدَثِيْنَ عَلى السَّواء، وتَبايَنَتِ الآراءُ تَبايُناً كَبِيْراً فِي تأْيِيْدِها أَو مُخالَفَتِها.

سَيْطَرَتْ فِكْرَةُ أَنَّ الحَضارَةَ الإِنْسانِيَّةَ تَسِيْرُ نَحْوَ الانْحِطاط، وصُولاً إِلى الفَناء، عَلى تَفْكِيْرِ أَكْثَرِ الفَلاسِفَة، مُنْذُ أَنْ زَرَعَها اليُونانُ الذِيْنَ رَكَّزُوا فِي الأَذْهانِ نَظَرِيَّةَ "العَصْرِ الذَّهَبِيّ" الذي فارَقَتْهُ البَشَرِيَّةُ مُنْذُ زَمَن[٣]. وقَدِ اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الفِكْرَةُ تُسَيْطِرُ عَلى أَرْوِقَةِ العِلْمِ حَتّى القَرْنِ السّادِسَ عَشَر، حِيْنَ أَعْلَنَ (جين بُودين) ثَوْرَتَهُ عَلى مَضْمُونِ الفِكْرَةِ مِنْ أَساسِه، مُؤَكِّداً أَنَّ الحَضارَةَ تَسِيْرُ فِي سُلَّمٍ تَصاعُدِيّ، فَهِيَ تَتَصاعَدُ رُقِيّاً لا انْحِداراً. ومَضى عَبّاسِيّ فِي اسْتِعْراضِ الرُّؤى الأُورُوبِيَّةِ اللّاحِقَةِ التي سارَتْ فِي هَذا الاتِّجاه، مُرُوراً بِـــ (بيكُون)، و(وديْكارت)، و(فُونتنيل)، وانْتِهاءً بِالفَلاسِفَةِ والمُفَكِّرِيْنَ الإِنْجلِيْز القائِلِيْنَ بِفِكْرَةِ تَقَدُّمِ التّارِيْخِ لا انْحِطاطِه، مِثْل: (هيُوم)، و(آدم سمِيث)، و(وجُودون)، و(ملتُوس)[٤]. ويَبْدُو واضِحاً أَنَّ عَبّاسِيّ يَتأَشَّبُ لِهَذا الاتِّجاه، ويَنْظُرُ بِإِيْجابِيَّةٍ إِلى نُمُوِّ الحَضارَةِ الإِنْسانِيَّةِ وتَقَدُّمِها المُطَّرِد.

ورُغْمَ تَعَزُّزِ هَذا الاتِّجاهِ وقُوَّتِهِ فِي المَيادِيْنِ العِلْمِيَّةِ الحَدِيْثَة، فإِنَّ عَبّاسِيّ يَرى أَنَّ التَّيّارَ المُتَشائِمَ الذي يُشَكِّكُ فِي مُسْتَقْبَلِ الحَضارَةِ الإِنْسانِيَّة، مُؤْمِناً أَنَّ الرِّدَّةَ والوَيْلَ والجَهْلَ وخَرابَ العُمْرانِ لاحِقٌ بِها لا مَحالَة، ما زالَ يَسْتَحْكِمُ بِكَثِيْرٍ مِنَ الأَذْهان، بِناءً عَلى نَظَرِيَّةِ (شِبْنجلر) التي قارَبَتْ عُمْرَ الحَضارَةِ بِعُمْرِ الإِنْسان، وهِيَ النَّظَرِيَّةُ التي نَقَضَها كَثِيْرٌ مِنَ الفلاسِفَةِ والمُفكِّرِيْن، مُؤَكِّدِيْنَ اسْتِمْرارَ التَّطَوُّرِ الحَضارِيِّ والرُّقِيِّ الإِنْسانِيِّ مع تَعاقُبِ الزَّمان[٥].

- **سابعاً: التَّراجِمُ والسِّيَر**

بَدَتْ عِنايَةُ الرُّوّادِ بِتَراجِمِ الأَعْلامِ وسِيَرِهِم المُقْتَضَبَةِ جِدَّ واضِحَةٍ فِيما نَشَرُوهُ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة – فِي هَذِهِ المُدَّة– وغالِباً ما سارَ الكُتّابُ عَلى السَّنَنِ نَفْسِهِ فِي إِضاءَةِ مَشْهَدِ الكِتابَةِ عَنِ الشَّخْصِيّاتِ المَشْهُورَة، مُعَرِّفِيْنَ بِالمَحاوِرِ الرَّئِيْسَةِ التي يَقُومُ عَلَيْها عَمُودُ التَّرْجَمَة، كالحَدِيْثِ عَنِ الاسْمِ والنَّسَب

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص١٨٦٠.
(٢) مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٧٨، الجُزْء٣، القاهِرَة، ١٣٤٩هـ=١٩٣١م، ص٢٩٨-٣٠٢.
(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٩٩.
(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٩٩-٣٠١.
(٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٣٠١-٣٠٢.

والنَّشأةِ والعَصْرِ والبِيْئَةِ والمَذْهَبِ والأَخْلاق والمَحطّاتِ الرَّئِيْسَةِ فِي الحَياةِ والآثارِ والوَفاة، معَ الحِرْصِ عَلى الاسْتِشْهادِ بِبَعْضِ مَواقِفِ صاحِبِ التَّرجمَةِ وأَقْواله، أَو أَشْعارِه، إِنْ وُجِدَت.

ويَبْدُو واضِحاً أَنَّ أَعْلامَ التُّراثِ العَرَبِيّ، ولا سيَّما الشُّعَراءُ المَشْهُورُون، نالُوا اهْتِماماً كَبِيْراً، مِمّا يَدُلُّ عَلى حُضُورِ التُّراثِ ومَنْزِلَتِهِ السّامِقَةِ فِي فِكْرِ الرُّوّاد. ومِنَ الشَّواهِدِ الدّالَةِ عَلى هَذا المَنْحى: ما كَتَبَهُ بَشِيْر الشُّرَيْقِيّ – سَنَةَ (١٩٣٤م)– عَنِ الشّاعِرِ الجاهِلِيِّ طَرَفَةَ بنِ العَبْد[١]، وما كَتَبَهُ عَبْد الحَلِيْم عَبّاس– سَنَةَ (١٩٣٤م)– عَنِ الشّاعِرِ العَبّاسِيِّ أَبِي العَتاهِيَة[٢]، وعَنِ الشّاعِرِ الأُمَوِيِّ كُثَيِّر عَزَّة[٣]، وعَنِ الشّاعِرِ العَبّاسِيِّ دِعْبِل الخُزاعِي[٤]، سَنَةَ (١٩٣٧م)، وما كَتَبَهُ أَدِيْب عَبّاسِيّ – سَنَةَ (١٩٣٥م)– عَنِ الفَلْيَسُوفِ الفارابِي[٥]، وما كَتَبَهُ مُحَمَّد الأَمِيْن الشِّنْقِيْطِيّ– سَنَةَ (١٩٣٧م)– عَنِ الشّاعِرِ الأَنْدَلُسِيِّ ابن سَهْلٍ الإِشْبِيْلِي[٦].

وبِإِزاءِ ذَلِكَ، اهْتَمَّ الرُّوّادُ بِالكِتابَةِ عَنْ بَعْضِ مَشاهِيْرِ الأَعْلامِ فِي العَصْرِ الحَدِيْثِ – مِنْ عَرَبٍ وأُورُوبِيِّيْن– كَما فِي كِتابَةِ صَيّاح الرُّوسان – سَنَةَ (١٩٣٢م)– عَنِ الأَدِيْبِ العالِمِ الشّامِيِّ إِبْراهِيْم الحَوْرانِي[٧]، وكِتابَةِ مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ – سَنَةَ (١٩٣٧م)– عَنِ الفَنّانِ النَّحّاتِ الإِيْطالِيِّ (مايكل أَنْجلُو)[٨]، وكِتابَةِ عِيْسى النّاعُورِيّ – سَنَةَ (١٩٤٢م)– عَنِ الطَّبِيْبِ الإِنْجلِيزِيِّ المُكْتَشِفِ لِلَقاحِ الجُدَرِيّ (إِداور جنر)[٩]، وكِتابَتِهِ أَيْضاً – سَنَةَ (١٩٤٦م)– عَنِ مُحَمَّدِ إِسْعافِ النَّشاشِيْبِي[١٠].

---

(١) انْظُر: الشُّرَيْقِيّ، بَشِيْر، طَرَفَة بن العَبْد، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١٤٥-١١٤٦.

(٢) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، أَبُو العَتاهِيَة، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٣٠-١٣١.

(٣) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، كُثَيِّر عَزَّة، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٥٩، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٣٨١-١٣٨٣.

(٤) انْظُر: عَبّاس، عَبْد الحَلِيْم، دِعْبِل الخُزاعِيّ: الشّاعِر المُتَمَرِّد، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢١، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٥٨٧-١٥٨٩.

(٥) انْظُر: عَبّاسِيّ، أَدِيْب، الفارابِيّ، مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٨٦، الجُزْء٣، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م، ص٢٩٥-٣٠٠.

(٦) انْظُر: الشِّنْقِيْطِيّ، مُحَمَّد الأَمِيْن، إِبْراهِيْم بن سَهْل الإِشْبِيلِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١١٣٧-١١٣٩.

(٧) انْظُر: الرُّوسان، صَيّاح، الشَّيْخ إِبْراهِيْم الحَوْرانِيّ، مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٣، الجُزْء١، صَيْدا، ١٣٥١هـ=١٩٣٢م، ص٨١-٨٦.

(٨) انْظُر: الإِيْرانِيّ، مَحْمُود سَيْف الدِّيْن، مايكل آنجلُو، مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، السَّنَة٣، العَدَدان٢-٣، دِمَشْق، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٩٢-٢٠٣، والعَدَد٨، ص٦٩٠-٦٩٤.

(٩) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، إدوارد جنر، مَجَلَّة الثَّقافَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٦-١٧.

(١٠) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، الأُسْتاذ إِسْعاف النَّشاشِيْبِيّ، مَجَلَّة الذَّخِيْرَة، السَّنَة١، العَدَد٢، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١٨.

ولمْ أَجِدْ مِنَ المَقالاتِ التي تَناولَتِ التَّرْجَمَةَ لأَعْلامِ الأُرْدُنّ المُعاصِرِيْن، سوى ما كَتَبَهُ عِيْسى النّاعُورِيّ- سَنَةَ (١٩٤٦م)- عَنِ الشّاعِرِ مُصْطَفى وَهْبِي التَّلّ[١]، وهُوَ يُسَمِّيْهِ "شاعِرِ الخَمْرِ والنّورِ". ويَسْتَمِدُّ الكاتِبُ بَعْضَ مَعارِفِهِ مِنْ مَرْوِيّاتِ الشّاعِرِ نَفْسِهِ التي حَدَّثَ بِها الكاتِب، مِمّا يُعْنِي دِقَّةَ الكِتابَةِ وأَصالَةَ مَصادِرِها. ويَرى النّاعُورِيُّ أَنَّ التَّلّ شاعِرٌ مَغْمُورٌ جَدِيْرٌ بالدِّراسَةِ الأَدَبِيَّةِ الوافِيَة، فَهُوَ طِرازٌ فَذٌّ مِنَ الأُدَباء، ولَكِنَّهُ لمْ يَلْقَ ما يَسْتَحِق[٢]. والمُهِمُّ أَنَّ هَذِهِ المُحاوَلَةَ لِلكِتابَةِ عَنْ شاعِرِ الأُرْدُنّ – عَرارٍ- رَكَّزَتْ عَلى التَّعْرِيْفِ بِمَعالِمِ الإِبْداعِ الشِّعْرِيِّ لِهَذا الشّاعِرِ المُبْدِع، وإِضاءةِ مَلامِحَ مِنْ مَذْهَبِهِ فِي الحَياة، وما كانَ يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ طَبائِعَ تَرْفُضُ المأْلُوف، وتَثُورُ عَلى مُواضَعاتِه. وساقَ النّاعُورِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ شَواهِدَ دَلَّلَ بِها عَلى شاعِرِيَّةِ عَرارٍ وسُمُوِّهِ الفَنِيّ.

ويَتَراءى جَلِيّاً لمن يَمْضِي فِي فَحْصِ التَّراجِمِ التي كَتَبَها الرُّوّاد – أَدَبِيَّةً وغَيْرَ أَدَبِيَّةٍ- ما تَحْفَلُ بِهِ مِنْ مَعارِفَ وشَواهِد، وما تَمْتازُ به مِنَ: التَّحْلِيْلِ المُعَمَّق، والمُقارَنَةِ الذَّكِيَّة، واللَّفَتاتِ اللَّطِيْفَة، والرَّبْطِ المُحْكَمِ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَحايِيْن، مع الإِفادَةِ مِنَ المَصادِرِ والمَراجِعِ المُتاحَةِ بِقَدْرِ ما تَأْذَنُ بِهِ الرُّوحُ العِلْمِيَّة. وسأَكْتَفِي –هُنا- بالإِشارَةِ إِلى مِثالٍ واحدٍ عَلى ذَلِكَ، وهُوَ ما كَتَبَهُ صَيّاح الرُّوسان عَنِ الشَّيْخِ إِبْراهِيْمِ الحَوْرانِيّ، فَهُوَ يَسْتَقِي مَعارِفَهُ عَنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ التي جَمَعَتْ بَيْنَ العِلْمِ والأَدَبِ مِنَ: السَّماعِ المُباشِرِ مِنِ ابْنَتِهِ أَوَّلاً، ومِنْ قِراءةِ دِيْوانِهِ المَخْطُوطِ ثانِياً، ومِنْ بَعْضِ الكِتاباتِ الجُزْئِيَّةِ السّابِقَةِ عَنْهُ ثالِثاً[٣]؛ لِيَخْرُجَ عَلَينا بِتَرْجَمَةٍ وافِيَة، تُعَرِّفُ بِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ التي لمْ تَلْقَ العِنايَةَ اللّائِقَة.

- **ثامِناً: الآثار**

أَفْضَتِ العِنايَةُ بالبَحْثِ التّارِيْخِيِّ لَدى بَعْضِ الرُّوّادِ إِلى تَناوُلِ العادِياتِ الأَثَرِيَّةِ بالدِّراسَة، ويُلاحَظُ أَنَّ العِنايَةَ بالآثارِ تَرَكَّزَتْ عَلى ما تَزْخَرُ بِهِ المَنْطَقَةُ مِنْ مَعالِمَ عُمْرانِيَّةٍ باذِخَةِ الرَّوْعَةِ والجَمال، كَمَدِيْنَةِ البَتْراء، أَو ما عُثِرَ عليه مِنْ قِطَعٍ تارِيْخِيَّةٍ قَيِّمَة، كَحَجَرِ المَلِكِ (ميشع) المُؤابِيّ. ويَبْدُو واضِحاً أَنَّ النَّشْرَ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ أَفْسَحَ مَجالاً جَدِيْداً لِلحَدِيْثِ عَمّا يَحْتَضِنُهُ الأُرْدُنُّ مِنْ مَواقِعَ نادِرَة، كانَ كَثِيْرٌ مِن القُرّاءِ لا يَعْرِفُونَ عنها سِوى الاسْم. وعَلى ذَلِكَ، تُعَدُّ هَذِهِ الكِتاباتُ فاتِحَةَ الكِتابَةِ عَنِ الآثارِ الأُرْدُنِيَّةِ وتارِيْخِها العَرِيْق.

وقَفَتْ دِراسَتُنا الماثِلَةُ عَلى مُحاوَلَتَيْنِ مُبَكِّرَتَيْنِ نِسْبِياً، أَنْجَزَهُما الرُّوّادُ فِي الكِتابَةِ عَنْ بَعْضِ المَعالِمِ واللُّقى الأَثَرِيَّةِ الأُرْدُنِيَّة. أَمّا المُحاوَلَةُ الأُولى، فَقَدْ نَشَرَها جريس القُسُوس – سَنَةَ (١٩٣٦م)- وتَناوَلَ فِيْها الحَدِيْثَ عَنِ "الحَجَرِ المُؤابِيّ"[٤] – مِسَلَّةِ (ميشع)- الذي عُثِرَ عَلَيه فِي مَنْطِقَةِ ذِيْبان فِي مأدبا. وأَمّا

---

(١) انْظُر: النّاعُورِيّ، عِيْسى، مُصْطَفى وَهْبِي التَّلّ، مَجَلَّة الأَدِيْب، السَّنَة٥، العَدَد٦، بَيْرُوت، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص٤٥-٤٧.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٤٦.

(٣) انْظُر: الرُّوسان، صَيّاح، الشَّيْخ إِبْراهِيْمِ الحَوْرانِيّ، مَجَلَّة العِرْفان، مَصْدَرٌ سابِق، ص٨١.

(٤) انْظُر: القُسُوس، جريس، الحَجَرِ المُؤابِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٤٢، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٦م، ص٤٦٢.

الأُخْرى، فقَدْ نَشَرَها خَلِيْل الطّوال – سَنَةَ (١٩٣٨م)– فِي ثَلاثِ حَلَقاتٍ، تَناولَ فِيها تارِيْخَ دَوْلَةِ الأَنْباط، مُفَصِّلاً القَوْلَ فِي الحَدِيْثِ عَنِ المَعالِمِ الرَّئِيْسَةِ لمدِيْنَةِ البَتْراء[١].

قَدَّمَ جريس القُسُوس فِي مَقالَتِهِ المُشارِ إِليها مَعارِفَ أَساسِيَّةً عَنِ اكْتِشافِ القسّ الأَلمانيّ (كلاين) – سَنَةَ (١٨٦٨م)– الحَجَرَ التّارِيْخِيَّ الذي نَقَشَهُ المَلِكُ "ميشع" – مَلِكُ مُؤاب– عَلى شَكْلِ مِسَلَّةٍ قَصِيْرَةٍ تَذْكارِيَّة، بِاللُّغَةِ المُؤابِيَّةِ القَدِيْمَة. وبَيَّنَ الكاتِبُ كَيْفِيَّةَ انْتِقالِهِ – بِجَهالَةٍ– إِلى فلسطِيْن، وبَيْعِهِ لِبَعْضِ الفِرَنْسِيِّين، ونَقْلِهِ قِطَعاً مُتَناثِرَةً إِلى مَتْحَفِ (اللُّوفر) فِي (بارِيْس)، ثُمَّ القِيامِ بِتَجْمِيْعِ القِطَعِ وتَرْمِيْمِها، وصُولاً إِلى قِراءَةِ الكِتابَةِ التّارِيْخِيَّةِ القيِّمَةِ المَنْقُوشَةِ عَلى سَطْحِهِ كامِلَة[٢].

وأَثْبَتَ القُسُوسُ التَّرْجمَةَ العَرَبِيَّةَ لِهَذا النَّصِّ النّادِرِ المَرْقُون عَلى الحَجَرِ البازِلتِيِّ الأَسْود، وهُوَ يَقَعُ – كَما يَصِفُ القُسُوس– فِي (٣٤) سَطْراً، مُتَضَمِّناً (٢٦٠) كَلِمَة، تَتَحَدَّثُ عَنْ تارِيْخِ المَنْطِقَة، ومُلُوكِها المُؤابِيِّين، وحَضارتِها وعُمْرانِها، وأَهَمِّ مُدُنِها وقُراها. ويُخَلِّدُ النَّقْشُ انْتِصارَ المَلِكِ "ميشع" عَلى اليَهُود، وعَدَداً مِنْ مآثِرِهِ الأُخرى. وقَدِ اعْتَمَدَ القُسُوسُ فِي اسْتِقاءِ هَذِهِ المَعارِفِ بَعْضَ المَراجِعِ غَيْرِ العَرَبِيَّة، وغالِباً ما كانَ يَتَحَرّى الدِّقَّةَ فِيما يُقَدِّمُهُ مِنْ مَعارِفَ عَنْ هَذا الكَنْزِ الأَثَرِيِّ الذي فارَقَ مَوْطِنَهُ الحَقِيْقِيَّ إِلى مَجاهِلِ أُورُوبا، مُنْذُ نَحْوِ مِئَةٍ وخَمْسِيْنَ عاماً.

وتَعَمَّقَ خَلِيْل الطّوال فِي بَحْثِ تارِيْخِ الأَنْباط، وأَهَمِّ بِلادِهِم، ومَظاهِرِ حَضارتِهِم، وديانَتِهِم، وسِيادَتِهِم التِّجارِيَّة، فِي سَبِيْلِ إِضاءَةِ مَشْهَدِ الحَدِيْثِ عَنْ مَدِيْنَتِهِم البَتْراءِ التي تَقِفُ شاهِداً قَوِيّاً عَلى رُقِيِّ حَضارتِهِم، ومَنَعَةِ دَوْلَتِهِم. وفِي هَذا الشِّقِّ الأَهَمِّ مِنَ البَحْث، يُعَرِّفُ الطّوالُ تَعْرِيْفاً دَقِيْقاً بِأَهَمِّ المَعالِمِ التي تَحْتَضِنُها المَدِيْنَةُ الصَّخْرِيَّة، بَدْءاً مِنَ السِّيْق، ومُرُوراً بِمَعْبَدِ "إِيزِيس" (خَزِانَة فِرْعَون)، والأَطْلالِ الباقِيَةِ: كالمَلْهى الكَبِيْر، وأُمِّ الصَّنادِيْق، وقَبْرِ التَّماثِيْل، وقَصْرِ فِرْعَون (قَصْرِ البِنْت)، والسِّيْقِ البارِد، وانْتِهاءً بِمَعْبَدِ الدَّيْر.

ولَعَلَّ ما يُمَيِّزُ كِتابَةَ الطّوالِ عَنِ البَتْراءِ أَنَّهُ يُقَدِّمُها فِي صُورَةِ اسْتِطْلاعٍ مَيْدانِيٍّ حَيّ، فهُو يَصِفُ المَعالِمَ الأَثَرِيَّةَ كَما يَراها الزّائِرُ بِعَيْنِه، مُعَزِّزاً ذَلِكَ بِالصُّوَرِ(الفُوتغرافِيَّة) التي يَبْدُو أَنَّ الطّوالَ التَقَطَها بِآلَةِ تَصْوِيْرٍ كانَ يَصْحَبُها مَعَهُ فِي زِيارَتِهِ البَتْراء، مِمّا يَعْنِي أَنَّهُ يُقَدِّمُ لِلقُرّاءِ وَصْفاً مِعْمارِيّاً أَثَرِيّاً دَقِيْقاً، بِالكَلِمَةِ والصُّورَةِ الحَيَّةِ مَعاً، وهُوَ مَنْحًى جَدِيْدٌ مِنَ التِّقانَةِ المُصَوَّرَة، لَمْ نَعْهَدْهُ فِيما كَتَبَ الرُّوّادُ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ مِنْ قَبْل. ولَمْ يَكْتَفِ الطّوالُ بِالمُشاهَدَةِ والعِيان، والسَّماعِ مِنْ أَهْلِ المَنْطِقَة، بَلْ فاءَ إِلى بَعْضِ المَراجِعِ الأَجْنَبِيَّةِ التي أَسْعَفَتْه[٣]، ولا سِيَّما فِي إِثْراءِ الشِّقِّ التّارِيْخِيِّ مِنَ البَحْث. ولَعَلَّ اعْتِزازَ

---

(١) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، الأَنباط وأَطْلال بترا، مَجَلّة الرِّسالَة، السَّنَة٧، العَدَد٢٥٨، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ٩٨٨-٩٩١.

(٢) انْظُر: القُسُوس، جريس، الحَجَر المُؤابِيّ، مصدر سابق، ص٤٦٣.

(٣) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، الأَنباط وأَطْلال بترا (الحَلَقَة١)، مَجَلّة الرِّسالَة، السَّنَة٧، العَدَد٢٥٦، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٩١٠-٩١١ (الحَواشي).

الكاتِبِ بِهَذِهِ الأَطْلالِ الباذِخَةِ هُوَ وَراءَ رِحْلَتِهِ الاسْتِطْلاعِيَّةِ إِلى البَتْراء؛ لِيُقَدِّمَ لِلقُرّاءِ دَلِيلاً عَلى عَظَمَةِ تارِيخِ البِلادِ، وجَلالِ آثارِها الباقِيَة.

- **تاسِعاً: التَّشْرِيعُ والقانُون**

أَطَلَّ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ الأَوائِلُ عَلى بَعْضِ مَسائِلِ التَّشْرِيعِ والقانُونِ إِطْلالَةً مُبَكِّرَةً فِي هَذِهِ المُدَّة، ورُغْمَ عَدَمِ تأَصُّلِ هَذا الاتِّجاهِ قَوِيّاً فِيما كَتَبُوه، فإِنَّ كِتاباتِهِم تَنْهَضُ شاهِداً عَلى المُحاوَلاتِ الأُرْدُنِيَّةِ الأُولى لِلكِتابَةِ فِي هَذا المَوْضُوعِ المُهِمّ، ولا سِيَّما مِمَّن كانَ لَهُم اعْتِناءٌ بِدِراسَةِ القانُون، كالمُحامِي المُتَأَدِّب بَشِيرِ الشَّرِيقِيّ الذي يُمْكِنُ عَدُّهُ أَبْرَزَ الكُتّابِ الذينَ شَقُّوا هَذِهِ السَّبِيلَ الجَدِيدَةَ فِي الكِتابَة، فَضْلاً عَنْ كاتِبٍ آخَر، تَنَوَّعَتْ اهْتِماماتُهُ بَيْنَ الطِّبِّ والثَّقافَةِ والأَدَب، وهُوَ خَلِيل الطَّوال.

عَقَدَ الشَّرِيقِيُّ فِي مَقالَتِهِ المَنْشُورَةِ - سَنَةَ (١٩٣٥م) - بِعُنْوانِ "أُصُول التَّحْقِيق الجِنائِيّ فِي التَّشْرِيعَيْنِ الأُورُوبِيِّ والإِسْلامِي"[١] مُوازَنَةً بَيْنَ ما كانَ مُتَّبَعاً عِنْدَ الأُورُوبِيِّيْنَ - لِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ- مِنْ أَساليبَ فِي إِثْباتِ الأَفْعالِ الجُرْمِيَّة. وتُوصَفُ هَذِهِ الأَساليبُ بِالقَسْوَةِ والوَحْشِيَّةِ والغَباوَةِ والظُّلْمِ والجَهالَة؛ إِذْ كانَ القُضاةُ يُكْرِهُونَ الظَّنِينَ، ويُعَذِّبُونَهُ بِالماءِ والنّار، عَلى نَحْوٍ يُجافِي الحُقُوقَ الإِنْسانِيَّة، ولا يُراعِي مَبادِئَ الرَّحْمَةِ والعَدالَةِ القانُونِيَّة. وقَدْ بَقِيَتْ هَذِهِ الأَساليبُ البِدائِيَّةُ الفَظَّةُ قائِمَةً فِي أُورُوبا، حَتّى جاءَتِ الثَّوْرَةُ الفِرَنْسِيَّةُ التي كَشَفَتْ عُوارَها ومُخالَفَتَها أَبْسَطَ قَواعِدِ العَدالَةِ وقِيَمِها الإِنْسانِيَّة[٢].

وتَحَوَّلَ الكاتِبُ - مِنْ ثَمَّ- إِلى اسْتِعْراضِ الوَجْهِ الآخَرِ لما كانَ عَلَيه التَّحْقِيقُ الجِنائِيُّ فِي التَّشْرِيعِ الإِسْلامِيّ، مُنْذُ جاءَ الإِسْلامُ بِتَعالِيمِهِ القائِمَةِ عَلى تَحْقِيقِ العَدالَةِ المُطْلَقَةِ بَيْنَ النّاس. فَقَدْ كانَ القُضاةُ المُسْلِمُونَ - كَما تَكْشِفُ عَنْ ذَلِكَ المَصادِرُ الوَثِيقَةُ المُدَوَّنَةُ- لا يَسْتَعْمِلُونَ التَّخْوِيفَ والتَّعْذِيبَ والتَّوَعُّدَ مُطْلَقاً، وكانُوا يَتَحَوَّطُونَ فِي حِفْظِ الحُقُوق، ويَدْرَءُونَ الحُدُودَ بِالشُّبُهات، ولا يُكْرِهُونَ الظَّنِينَ عَلى الإِدْلاءِ بِالبَيِّنات، ثُمَّ ما كانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ ظاهِرِ البَيِّناتِ التي تَسَنَّى جَمْعُها، بَلْ كانُوا يَحْكُمُونَ بِعِلْمِهِم وقَناعاتِهِم ووِجْدانِهِم[٣].

وبِناءً عَلى هَذِهِ المُفارَقَةِ بَيْنَ الأَساليبِ الأُورُوبِيَّةِ البَشِعَةِ والأَساليبِ الإِسْلامِيَّةِ المُتَسامِحَة، يَرى الكاتِبُ أَنَّ التَّشْرِيعَ الإِسْلامِيَّ كانَ مُتَقَدِّماً عَلى ما جاءَ بِهِ العِلْمُ الجِنائِيُّ الحَدِيثُ مِنْ قَواعِدَ وأُصُولٍ فِي التَّحْقِيق، بِما يَتَوافَقُ مع رِسالَةِ الإِسْلامِ القائِمَةِ عَلى تَحْقِيقِ العَدالَةِ وحِفْظِ المَصالِحِ الإِنْسانِيَّة.

وتَناوَلَ خَلِيل الطَّوال - المَسِيحِيُّ المَعْرُوفُ بِانْتِصافِهِ لِلحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ ودِفاعِهِ المَوْضُوعِيِّ عَنْها- فِي مَقالَتِهِ المَنْشُورَةِ- سَنَةَ (١٩٣٧م)- التَّشْرِيعاتِ الجَدِيدَةَ التي جاءَ بِها الكاتِبُ الإِنْجلِيزِيُّ (هربرت ولز)[٤] فِي أَهَمِّ مَوْضُوعاتِ الأَحْوالِ الشَّخْصِيَّة، وهُوَ مَوضُوعُ الزَّواجِ والأُسْرَة. فَقَدْ كانَتْ

---

(١) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد٨٥، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص٢٥٧-٢٥٩.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، ص٢٥٨.

(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُه، ص٢٥٨.

(٤) انْظُر: الطَّوال، خَلِيل، تَشْرِيع ويلز لِلزَّواج وأَثَرُهُ الاجْتِماعِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢١٩، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٦م، ص١٥٠٠-١٥٠٣.

آراءُ (ولْز) الجَدِيْدَةُ فِي هَذا المَوْضُوع، والتي حَمَلَ صُورَتَها التَّفْصِيْلِيَّةَ كِتابُهُ "الطُّوبى العَصْرِيَّة"، مَدْعاةً لِلاهْتِمامِ والنَّظَرِ مِنْ قِبَلِ كَثِيْرٍ مِنَ المُعاصِرِيْن؛ لما تَتَضَمَّنهُ مِنْ أَنْماطِ التَّفْكِيْرِ التَّشْرِيْعِيِّ الجَدِيْدِ الذي حاوَلَ الكاتِبُ الطَّوال تَقْدِيْمَ بَعْضِ صُورَتِهِ لِلقُرّاءِ العَرَب[١].

عَرَضَ الطَّوالُ جُمْلَةً وافِرةً مِنْ آراءِ (ولْز) الجَدِيْدَةِ فِي شُرُوطِ الزَّواجِ المَدَنِيّ، ونَظْرَتِهِ الإِيْجابِيَّةِ لِلطَّلاقِ بِشُرُوطِه، وفِكْرَتِهِ عَنِ الزَّواجِ المُؤَقَّتِ (المُتْعَةِ) بِشُرُوطِه، ونَظْرَتِهِ إِلى المُساواةِ بَيْنَ الجِنْسَيْن، وَفْقَ النَّظْرَةِ الأَفْلاطُونِيَّة، ومَوْقِفِهِ غَيْرِ الحازِمِ مِنْ عَمَلِ المَرأة، ودَعْوَتِهِ إِلى وجُوبِ دَفْعِ الحُكُومَةِ مَبْلَغاً مِنَ المالِ لِلمَرأةِ عِنْدَ كُلِّ وِلادَة؛ لِتَتَمَكَّنَ مِنْ تَدْبِيْرِ شُؤونِ مَعاشِها، والتَّفَرُّغِ لأَداءِ واجِباتِها البَيْتِيَّة، وعَدَمِ التَّطَلُّعِ لِلوظائِفِ الحُكُومِيَّة[٢].

ورُغْمَ اسْتِحْسانِ الطَّوال لِكَثِيْرٍ مِمّا انْضَمَّتْ عَلَيه مَنْظُومَةُ التَّشْرِيْعِ الجَدِيْدَةُ التي اقْتَرَحَها (ولْز) لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الأَعْرافِ الكَنَسِيَّةِ فِي بِناءِ العَلاقاتِ الاجْتِماعِيَّة، فإِنَّه يَعِيْبُ عَلَيه نَظْرَتَهُ غَيْرَ المَوْضُوعِيَّةِ إِلى الحَضارةِ الإِسْلامِيَّةِ التي حَفِظَتْ حُقُوقَ المَرأة، وصانَتْ كَرامَتَها، وأَنْقَذَتْها مِنْ وَحْلِ الفَسادِ والضَّياعِ الذي أَغْرَقَتْها فِيه المُجْتَمَعاتُ الأُورُوبِيَّةُ التي أَطْلَقَتْ عَنانَ الحُرِّيَّةِ لِلمَرأة، مِمّا أَفْضى إِلى ضَياعِها وضِيْقِها مِنَ الحالِ التي وَصَلَتْ إِلَيها. ويُؤَكِّدُ الكاتِبُ أَنَّ الأُورُوبِيِّيْنَ لو اطَّلَعُوا عَنْ كَثَبٍ عَلى الحَضارةِ الإِسْلامِيَّة، لأَدْرَكُوا قِيْمَةَ ما جاءَ بِهِ الإِسْلامُ لِلمُحافَظَةِ عَلى المَرأةِ وصَوْنِها مِنَ الفَسادِ الذي جَرَّهُ الأُورُوبِيُّونَ عَلَيها[٣]. وفِيما يُقابِلُ ذَلِكَ، يأْخُذُ الطَّوالُ عَلى (ولْز) بَعْضَ أَنْظارِهِ المُبْتَذَلَة، كَقَوْلِهِ بِشُيُوعِيَّةِ النِّساء، ويَرى أَنَّ الذَّوْقَ العَرَبِيَّ يَنْبُو عَنْ بَسْطِ القَوْلِ فِي تِلْكَ الأَنْظار[٤].

- **عاشراً: الأَخْلاقُ والتَّصَوُّف.**

تَمَيَّزَ كَثِيْرٌ مِنْ جِيْلِ الرُّوّادِ بِالتِزامِهِ واهْتِمامِهِ بِالحَدِيْثِ عَنْ مَنْظُومةِ القِيَمِ والسُّلُوكِ التي يَجِبُ أَنْ تَسُودَ الحَياة. ومِنْ هُنا، جاءَتْ عِنايَتُهُم بِالكِتابَةِ عَنِ الأَخْلاقِ والفَضائِلِ وتَهْذِيْبِ النَّفْس، وتَحَوَّلَتْ كِتاباتُهُم إِلى الحَدِيْثِ – بِمَرارَةٍ– عَنْ مآلِ الفَضائِلِ السّامِيَةِ فِي عَصْرٍ يَعِيْشُ أَزْمَةً عَمِيْقَةً مَعَ القِيَمِ التي كانَتْ تَتَشَبَّثُ بِها الأَجْيالُ السّابِقَة.

وتَبْدُو هَذِهِ المُفارَقَةُ واضِحَةً فِيما كَتَبَ خَلِيْل الطَّوال – سَنَةَ (١٩٣٧م)– عَمّا جَلَبَتْهُ المَدَنِيَّةُ المُعاصِرةُ مِنْ وَيْلاتٍ عَلى نَظَرِيَةِ القِيَمِ وتَطْبِيْقاتِها فِي الحَياة[٥]، شاكِياً فَسادَ الأَخْلاقِ الفاضِلَة، وضَياعَ القِيَمِ النَّبِيْلَة، وانْقِلابَ المَقاييْسِ التي تَحْكُمُ الأَخْلاق؛ إِذْ صارَتِ الأَخْلاقُ تَخْضَعُ لِتَكْيِيفِ (المَوْضَةِ) العَصْرِيَّة –كَما يَقُولُ الكاتِبُ– حَتّى أَمْسى النَّبِيْلُ فاسِداً، والأَمِيْن خائِناً، وتَخَلَّتِ المُجْتَمَعاتُ عَنْ مَبادِئ

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص١٥٠١-١٥٠٣.
(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص١٥٠١-١٥٠٣.
(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص١٥٠٣.
(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص١٥٠٣.
(٥) انْظُر: الطَّوال، خَلِيْل، تَكْيِيْف الأَخْلاق الفاضِلَة، مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٣٣، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ٢٠٥٣-٢٥٠٤.

السُّمُوّ، فَغَرِقتْ فِي دَرَكِ الرَّذائِلِ القَبِيحَة، وصارَ كَثِيْرٌ مِنَ النّاسِ يَنْظُرُونَ إِلى الفَضائِلِ عَلى أَنَّها مِنْ مُخَلَّفاتِ الماضِي البائِد[١].

حاولَ الطّوالُ – بِأُسْلُوبٍ تَغْمُرُهُ السُّخْرِيَةُ– أَنْ يُشَخِّصَ حالَ التَّبَدُّلِ التي أَصابَتْ أَخْلاقَ المُجْتَمَعِ فِي راهِنِ العَصْرِ، مِمّا أَفْقَدَهُ طَرِيْقَ البَهْجَةِ والسَّعادَة، فَغَلَبَتْ عَلَيه الزَّخارِفُ الزّائِفَة، وتَماهَتْ شَخْصِيَّتُهُ المُمَيَّزَةُ التي كانَتِ القِيَمُ الفاضِلَةُ تُزَيِّنُها، فَكانَتِ الخَسارَةُ كَبِيْرَة، إِذِ انْحَطَّ السُّلُوكُ العامّ، وفَسَدَتْ قَواعِدُ المُعامَلَة، وسَلَكَ الأَفْرادُ سَبِيْلَ الفَشَل[٢].

وتَساءلَ أَدِيْب عَبّاسِيّ فِي مَقالَتِهِ المَنْشُورَةِ – سَنَةَ (١٩٣١م)– عَنْ قَضِيَّةِ "قِياسِ الأَخْلاق"[٣]، وهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَضَعَ مَعايِيرَ نَعْرِفُ فِيها مَدى ثَباتِ السُّلُوكِ البَشَرِيّ، وهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُمَيِّزَ الكاذِبَ مِنَ الصّادِق، والخائِنَ مِنَ الأَمِيْن؟. وعَرَضَ عَبّاسِيّ بَعْضَ الأَساليْبِ القَدِيْمَةِ فِي قِياسِ الأَخْلاق، وهِيَ أَساليْبُ قِوامُها التَّفَرُّسُ والنَّظَرُ فِي عَلاماتِ الوَجْهِ ومَعالِمِ الجِسْم[٤]. ثُمَّ قَدَّمَ أُسْلُوباً آخَرَ قامَ عَلى أَساسِ الرَّبْطِ بَيْنَ بَعْضِ التَّغَيُّراتِ التي تَعْتَرِي الجِسْمَ والسُّلُوكَ الخُلُقِيّ، إِذْ هُناكَ – فِيْما يَبْدُو– عَلاقَةٌ بَيْنَ بَعْضِ التَّغَيُّراتِ الجِسْمانِيَّة وسُلُوكِ الشَّخْص، ولَكِنَّ الكاتِبَ رأى أَنَّ هَذِهِ المَباحِثَ ما تَزالُ مُعَقَّدَةً ومُتَناقِضَة، ولا يُعَوَّلُ عَلَيها فِي مَسأَلَةِ قِياسِ الأَخْلاقِ بَعْدُ[٥].

وانْحازَ الكاتِبُ لِلأُسْلُوبِ الثّالِثِ فِي قِياسِ الأَخْلاق، وهُوَ الأُسْلُوبُ النَّفْسِيُّ الحَدِيْثُ الذي يَقُومُ عَلى أَساسِ الاخْتِباراتِ النَّفْسِيَّةِ الدَّقِيْقَةِ التي تُجْرى لِمَعْرِفَةِ دَرَجَةِ ثَباتِ بَعْضِ الصِّفاتِ الخُلُقِيَّة، ولا سِيَّما الأَمانَةُ والخِداع، أَو الصِّدْقُ والكَذِب. ويَسُوقُ عَبّاسِيّ بَعْضَ نَتائِجِ تِلْكَ الاخْتِباراتِ المُذْهِلَةِ التي أُجْرِيتْ بِهَذا الشَّأنِ عَلى عَيِّناتٍ عَشْوائِيَّة، أَظْهَرَتْ نَتائِجَ مُتَقَدِّمَةً فِي مَعْرِفَةِ دَرَجَةِ الصِّدْقِ والأَمانَةِ عِنْدَ مَنْ خَضَعُوا لِلاخْتِبارِ القِياسِيِّ الفاحِص[٦].

وانْتِقالاً إِلى الحَدِيْثِ عَنِ التَّصَوُّفِ الذي يُمَثِّلُ وَجْهاً بارِزاً لِلتَّطْبِيقِ العَمَلِيِّ لِنَظَرِيَّةِ الأَخْلاقِ والسُّلُوك، نَلْقى مَقالَةً وافِيةً تَتَحَدَّثُ عَنِ "التَّصَوُّفِ الإِسْلامِيّ"[٧]، نَشَرَها سُلَيْمان النّابُلُسِيُّ – سَنَةَ (١٩٣٥م) – فِي حَلَقَتَيْن، وهِيَ مَقالَةٌ ثَقافِيَّةٌ وافِيَةٌ تَعْرِضُ صَفْحَةً مِنْ تارِيْخِ التَّصَوُّفِ ونَشْأَتِهِ وتَعالِيْمِهِ وطُرُقِهِ عِنْدَ المُسْلِمِيْن، فَتَقِفُ عِنْدَ مُصْطَلَحِ التَّصَوُّف ذاتِه، وتَعْرِضُ مَنْشَأَ التَّصَوُّفِ فِي الإِسْلام، وأَهَمَّ مَراحِلِ تَطَوُّرِه، وأَبْرَزَ رَوافِدِهِ المَعْرِفِيَّةِ الأَجْنَبِيَّة، وماهِيَّةَ الصُّوفِيَّةِ الإِسْلامِيَّة، وأَشْهَرَ طُرُقِها، وأَهَمَّ

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٠٥٣.
(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٢٠٥٤.
(٣) مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٧٨، الجُزْء١، القاهِرَة، ١٣٤٨هـ=١٩٣١م، ص٤٣-٤٨.
(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٤٤.
(٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٤٤.
(٦) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٤٤-٤٨.
(٧) انْظُر: النّابُلُسِيّ، سُلَيْمان، التَّصَوُّف الإِسْلامِيّ، مَجَلَّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٥٩-٦٠.

عَقائدِ المُتَصَوِّفةِ وأَنْظارِهِم في الكَوْنِ والإنْسانِ والحَياة، ومَدى تَطوُّرِ الفِكْرِ الصُّوفِيّ، ومَوْقَفِ بَعْضِ مُفَكِّري الإسْلامِ مِنَ التَّصوُّفِ وسُلُوكِ مُرِيْدِيْه[١].

وتَكْشِفُ هَذِهِ المُقارَبَةُ وَجْهاً مَعْرِفِيّاً آخَرَ لِشَخْصِيَّةِ النّابُلْسِيِّ الذي شُهِرَ بالعَمَلِ السِّياسِيّ، حَتّى اسْتَطاعَ تَشْكِيْلَ الوِزارةِ في عَقْدِ الخَمْسِيْنَ – على ما هُو مَعْرُوفٌ– وهُو وَجْهٌ يُعْلي مِنْ شأْنِ الفِكْرِ الصُّوفِيّ، ويُبِيْنُ عَنْ مَساراتِهِ العِرْفانِيَّةِ الحَقِيْقِيَّة. بَيْدَ أَنَّ النّابُلْسِيَّ بَدا مُتأثِّراً بِمَقُولاتِ الاسْتِشْراق عَنِ التَّصَوُّفِ الإسْلامِيّ، ولا سيَّما تَضْخِيْمُ شأْنِ المُؤَثِّرِ الأَجْنَبِيِّ – الهِنْدِيِّ والمَسِيْحِيِّ واليُونانِيِّ– في نَشْأةِ اتِّجاهاتِ الصُّوفِيَّةِ في الإسْلام[٢]، وفي ذَلِكَ ما فِيْهِ مِنْ حَجْبِ الحَقِيْقِيَّةِ عَنْ أَصالَةِ التَّصَوُّف، وولادَتِهِ في مَحاضِنَ عَرَبِيَّةٍ إسْلامِيَّةٍ نَقِيَّة، مِنْ غَيْرِ إنْكارٍ لمبدأ التَّأَثُّرِ والتَّأْثِيْرِ الذي قَدْ يَقَع.

ومِنْ ذَلِكَ تأكِيْدُ النّابُلْسِيِّ أَنَّ تَعالِيْمَ الصُّوفِيَّةِ ناسَبَتِ العَقْلِيَّةَ الفارِسِيَّةَ أَكْثَرَ مِمّا ناسَبَتِ العَقْلِيَّةَ العَرَبِيَّة، وأَنَّ تأثِيْرَ التَّصَوُّفِ كانَ أَعْظَمَ في حَياةِ الفُرْسِ وأَدَبِهِم مِنْ حَياةِ العَرَبِ وأَدَبِهِم. ولا يَجِدُ النّابُلْسِيّ مِنَ الشَّواهِدِ السّامِقَةِ عَلى تَجَلِّي التَّصَوُّفِ في الأَدَبِ العَرَبِيّ، سوى ابنِ الفارِضِ وابنِ عَرَبِيّ[٣]. ولا شَكَّ أَنَّهُ حُكْمٌ غَيْرُ دَقِيْقٍ أَلْبَتَة، ويَسْهُلُ نَقْضُهُ بِكَثِيْرٍ مِنَ الشَّواهِدِ التي لا يَتَّسِعُ المَقامُ لسَرْدِها. ولَعَلَّ تَصْرِيْحَ النّابُلْسِيِّ في آخِرِ مَقالَتِهِ بِدَوْرِ المُسْتَشْرِقِ الإنْجِلِيزِيّ (نِيْكلسُون) في التَّنْقِيْبِ عَنْ أُسُسِ التَّصَوُّف، والإشادَةِ بِجُهُودِهِ في تَقْدِيْمِ صَفْحَةٍ عَنْه، يَصِفُها بِأَنَّها "مُشْرِقَة"[٤]، لَهو أَوْضَحُ دَلِيْلٍ ما ذَهَبْنا إِلَيه مِنْ صُدُورِ النّابُلْسِيِّ عَنْ رَوافِدَ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ فِيما كَتَبَهُ عَنْ مَدْرَسَةِ التَّصَوُّفِ الإسْلامِيّ.

- **حادي عَشر: السِّياسَة**

يُلاحِظُ المُتأمِّلُ في هَذا المَشْهَدِ أَنَّ عَدَداً مِنَ الرُّوّادِ لم يَلْتَفِتُوا إلى قَضايا السِّياسَة، وظَلُّوا يُؤْثِرُونَ الابْتِعادَ عَنْ دَوائِرِها ما أَمْكَن، ولا سيَّما السِّياسَةُ المُعاصِرَة. ومع ذَلِكَ، لا نَعْدِمُ بَعْضَ الكِتاباتِ التي اتَّشَحَتْ بِوِشاحِ السِّياسَة، كما في بَعْضِ كِتاباتِ أَدِيْبٍ عَبّاسِيّ وخَلِيْلٍ الطَّوال، وإِنْ كُنّا نَعْدِمُ حَدِيْثاً عن السِّياسَةِ الدّاخِلِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بالأُرْدُنّ.

يُحَلِّلُ عَبّاسِيّ في أُولى مَقالاتِهِ المَنْشُورَةِ – سَنَةَ (١٩٢٦م)– "مَعالِم سِياسَةِ الحُكُومَةِ العَرَبِيَّة"[٥] في عَهْدِ الخُلَفاءِ الرّاشِدِيْن، ولا يَرى غَضاضَةً مِنْ تَسْمِيَّةِ هَذا العَهْدِ بـــ "الحُكْمِ الجُمْهُورِيّ"[٦]، مُتَّخِذاً مِنْ خِلافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطّاب مِثالاً لهَذا للحُكْمِ الرَّشِيْدِ القائِمِ عَلى تَطْبِيْقِ أَعْلى مُثُلِ الشُّورى والعَدالَةِ وتَحْقِيْقِ المُساواةِ بَيْنَ أَفْرادِ الرَّعِيَّة. ويَنْطَلِقُ الكاتِبُ مِنْ إعْجابِهِ الشَّدِيْدِ بِشَخْصِيَّةِ عُمَرَ وأَعْمالِهِ الرّائِدة، على الصَّعِيْدَيْن: الدّاخِلِيّ والخارِجِيّ، مُبَيِّناً أَنَّ سِياسَتَهُ الحَكِيْمَةَ تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ مُماثِلَةً لأَرْقى النُّظُمِ السِّياسِيَّةِ

---

(١) النّابُلْسِيّ، سُلَيْمان، التَّصَوّف الإسْلامِيّ(الحَلَقَة٢)، مَجَلّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد٨١، مَصْدَرٌ سابِق، ص٩٩-١٠٠.

(٢) انْظُر: النّابُلْسِيّ، سُلَيْمان، التَّصَوّف الإسْلامِيّ، مَجَلّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٦٠.

(٣) انْظُر: انْظُر: النّابُلْسِيّ، سُلَيْمان، التَّصَوّف الإسْلامِيّ (الحَلَقَة٢)، مَجَلّة الرِّسالَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٠٠.

(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص١٠٠.

(٥) انْظُر: مَجَلّة المُقْتَطَف، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٨١-٣٨٤.

(٦) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٣٨١.

فِي العالمِ الحَدِيْث[١]؛ فَقَدْ كانَ عُمَرُ يَسْعى – كَما يَرى الكاتِبُ– بِكُلِّ طاقَةٍ إِلى تَوْحِيْدِ الأُمَّةِ العَرَبِيَّة، وكَبْتِ مَظاهِرِ العَصَبِيَّةِ البَغِيْضَة، وإِقامةِ مَبادئِ العَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّة، ورِعايةِ مَصالِحِ كُلِّ مُكَوِّناتِ الشَّعْب، وعَدمِ ضَرْبِ مَصالِحِ أَهْلِ البُلْدانِ المَفْتُوحَة. وساقَ الكاتِبُ بَيْنَ يَدَي حَدِيْثِهِ طائِفةً مِنَ الشَّواهِدِ الحَيَّةِ التي تَدُلُّ عَلى حُسْنِ السِّياسَةِ العُمَرِيَّةِ فِي تَدْبِيْرِ شُؤونِ الدَّوْلَةِ والمُجْتَمَع[٢].

وأَمّا خَلِيْل الطّوال، فَيَتَناولُ فِي مَقالَتِهِ المَنْشُورَةِ فِي العَدَدِ الخاصِّ عَنْ مِصْر، فِي مَجَلَّةِ "العِرْفان" – سَنَةَ (١٩٣٩م)– ويَبْدُو أَنَّهُ استُكْتِبَ فِيْها، الدَّوْرَ السِّيادِيَّ لمصْرَ فِي مُحِيْطِها العَرَبِي[٣]، فَهُوَ يَنْطَلِقُ مِنْ فِكْرَةِ الأَهَمِيَّةِ السِّياسِيَّةِ والتّارِيْخِيَّةِ والجُغْرافِيَّةِ لمصْر، باعْتِبارِها مَعْقِلَ العُرُوبَة، وزَعِيْمَةَ النَّهْضَةِ العَرَبِيَّةِ الحدِيْثَة. ويَسُوقُ الكاتِبُ شَواهِدَ عَلى تأَثِيْرِ مِصْرَ فِي الأَقْطارِ المُجاوِرَة، فِي كَثِيْرٍ مِنْ جَوانِبِ الحَياة، ولا سِيَّما الفِكْرُ والأَدَبُ والثَّقافَةُ والتَّعلِيْمُ والصَّحافَةُ والتَّشْرِيعُ والفَنّ، مُسَلِّطاً الضَّوءَ عَلى الآمالِ العَرَبِيَّةِ المَعْقُودَةِ عَلى مِصْر، بِوَصْفِها وَجْهَ الأُمَّةِ العَرَبِيَّة، ومَحَطَّ أَنْظارِ الرّائِيْنَ إِلى تَحْقِيْقِ الوَحْدَةِ العَرَبِيَّة.

ويُؤَكِّدُ الطّوالُ أَنَّ مَوْقِعَ مِصْرَ فِي قَلْبِ الوَطَنِ العَرَبِيّ، هَيَّأَ لها زِمامَ القِيادَةِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيْد، وأَنَّ المِصْرِيِّيْنَ عَرَبٌ أُصَلاء، فِي أُصُولِهِم وأَنْسابِهِم ودَمِهِم وعَقِيْدَتِهِم ولُغَتِهِم، وعَلى ذَلِكَ هُمْ مُنْذُ إِشْراقَةِ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ لِبلادِهِم، وأَنَّ الدَّعاوى المُغْرِضَةَ التي تُحاوِلُ سَلْخَ الوَجْهِ العَرَبِيِّ عَنْ مِصْر، والمُناداةَ بالفِرْعَونِيَّةِ القَدِيْمَة[٤]، هِيَ دَعاوى تَحْجُبُ الحَقائِقَ الثّابِتَة، ولا يُمْكِنُ أَنْ تُغَيِّرَ مِن انْتِماءِ المِصْرِيِّيْنَ الأَصِيْلِ لِلحَضارَةِ العَرَبِيَّةِ التي تُمَثِّلُ مَصْدَرَ اعْتِزازٍ لا يَتَزَعْزَعُ فِي نُفُوسِهِم جَمِيْعاً.

- **ثانِي عَشَر: العُلُوم**

لَعَلَّ مِنَ الطَّرِيْفِ أَنْ يأْخُذَ الرّائِدُ خَلِيْل السّالم عَلى عاتِقِهِ – فِي هَذِهِ المُدَّة– الكِتابَةَ عَنْ حَقائِقِ العُلُومِ ومَسائِلِها المُجرَّدَة، ولا سِيَّما فِي الفِيْزِياء والفَلَكِ وتارِيْخِ العُلُومِ والأَخْلاقِ العِلْمِيَّة، فَقَدْ نَشَرَ مُذْ كانَ طالِباً يَدْرُسُ الرِّياضِيّات، فِي الجامِعَةِ الأَمْرِيكِيَّة – فِي بَيْرُوت– سِلْسِلَةً مِنَ المَقالاتِ العِلْمِيَّةِ الصِّرْفَة، وتابَعَ مَسِيْرَتَهُ فِي البَحْثِ والنَّشْر – فِي هَذا المَجال– بَعْدَ تَعْيِّينِهِ مُدَرِّساً فِي مَدْرَسَةِ السَّلْط.

وقَدْ بَلَغَتْ عِدَّةُ مَقالاتِهِ العِلْمِيَّةِ التي نَشَرَها فِي مَجَلَّةِ "الرِّسالَة"– فِيما بَيْنَ سَنَتَي (١٩٤١-١٩٤٥م)– بِضْعَ عَشْرَةَ مَقالَة، تَناولَ فِيها قَضايا عِلْمِيَّةً مُهِمَّة، مِثْل: الحَيِّز[٥]، والبُعْد الرّابع[٦]، وعُمْر كَوْكَب الأَرْض[٧]، وقُلُوب النُّجُوم[٨]، واسْتِعْمالات الذَّرَّةِ فِي الصِّناعَة[٩]، والبِيْئة العِلْمِيَّة التي يَجِبُ أَنْ

---

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٣٨٣.
(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٣٨٣-٣٨٣.
(٣) انْظُر: الطّوال، خَلِيْل، سِيادَة مِصْرَ فِي العالمِ العَرَبِيّ، مَجَلَّة العِرْفان، مَصْدَرٌ سابِق، ص٣٩٩-٤٠٦.
(٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، ص٤٠١، ٤٠٤.
(٥) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٩، العَدَد٤١٩، القاهِرَة، ١٣٦٥هـ=١٩٤١م، ص٩١٠.
(٦) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٩، العَدَد٤١٤، ١٣٦٠هـ=١٩٤١م، ص٧٦٧-٧٦٩.
(٧) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٠، العَدَد٤٤٥، ١٣٦٠هـ=١٩٤٢م، ص٣٦-٣٨.
(٨) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٠، العَدَد٤٧١، ١٣٦١هـ=١٩٤٢م، ص٧٠٧-٧٠٩.
(٩) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٣، العَدَد٦٤٢، ١٣٦٤هـ=١٩٤٠م، ص١١٤٣-١١٤٥.

تَقُومَ لِتَطَوُّرِ العِلْمِ والمُجْتَمَعِ والحَياةِ[١]، وأَخْطارِ التَّكَتُّمِ فِي البَحْثِ العِلْمِيِّ وغاياتِهِ غَيْرِ المُسَوَّغَةِ[٢]، ومُسْتَقْبَلِ العِلْمِ فِي العالمِ والبِلادِ العَرَبِيَّةِ[٣]، إلى غَيْرِ ذَلِكَ.

وتُعَدُّ كِتاباتُ السّالمِ – فِي هَذا المَيْدانِ– مِنْ بَواكِيرِ الكِتاباتِ العِلْمِيَّةِ فِي الأُرْدُنّ، وهِيَ ما تَمْتازُ بِتَقْدِيمِ حَقائِقِ العِلْمِ بِأُسْلُوبٍ أَدَبِيٍّ مُشْرِقٍ، يَنْفِي السّأَمَ والمَلَلَ عَنِ القارئِ غَيْرِ المُتَخَصِّصِ. ولَعَلَّ السّالمَ كانَ يَصْدُرُ – فِيما يَكْتُبُهُ فِي هَذِهِ المَوْضُوعاتِ النّادِرَةِ– عَنْ تأثُّرٍ واضِحٍ بِما كانَ يَكْتُبُهُ – فِي هَذِهِ الأَثْناءِ– العالمانِ العَرَبِيّانِ: أَحْمَد زَكِي وقَدْرِي طُوقان، فَهُوَ يَحْذُو حَذْوَهُما عَلى نَحْوٍ بَيِّنٍ، مُحاوِلاً الاطِّلاعَ عَلى أَحْدَثِ نَظَرِيّاتِ العِلْمِ الحَدِيثِ، والتَّواصُلِ مع أَهَمِّ مَرْجِعِيّاتِهِ المُعْتَمَدَةِ، بِرُؤْيَةٍ ثاقِبَةٍ ورُوحٍ عِلْمِيَّةٍ واثِقَةٍ.

لَمْ يَكُنْ خَلِيلٌ السّالمِ الصَّوْتَ الأُرْدُنِيَّ الأَوْحَدَ الذي جاسَ خِلالَ مَيادِينِ العُلُومِ الأَساسِيَّةِ والتَّجْرِيبِيَّةِ، فَلَدَيْنا كاتِبٌ آخَرُ هُوَ فُؤاد جُمَيْعان الذي اهتَمَّ بِالبَحْثِ فِي تارِيخِ العُلُومِ فِي هَذِهِ الأَثْناء، ويُعَدُّ رائِدُ الباحِثِيْنَ الأُرْدُنِيِّيْنَ فِي هَذِهِ البابَةِ البَحْتِيَّةِ، ولَكِنَّهُ لَمْ يَهتَم – فِيما يَبْدُو– بِالنَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ، إِلّا عَلى نِطاقٍ مَحْدُودٍ جِدّاً[٤]. ولَعَلَّ مِمّا يُؤسَفُ عَلَيه نُدْرَةَ مَعارِفِنا عَنِ الرّائِدِ جُمَيْعان الذي هاجَرَ مُنْذُ نَحْوِ سَبْعِيْنَ عاماً إِلى أَمرِيْكا لِلعَمَلِ فِي "بَرنامِجِ غَزْوِ الفَضاء"، فَكانَ – بِذَلِكَ– مِنْ أَوّلِ العَرَبِ الذِيْنَ عَمِلُوا فِي هَذا البرنامَج. وبَيْنَ أَيْدِيْنا عَمَلانِ مَنْشُورانِ مُهِمّانِ أَنْجَزَهُما جُمَيْعان، الأَوّلُ تَحْقِيْقُ كِتابِ "مِيْزانِ الحِكْمَةِ"، لأَبِي جَعْفَرٍ الخازِن(ق٤هـ)، نُشِرَ فِي القاهِرَةِ، سَنَةَ(١٣٦٦هـ=١٩٤٧م)، وقَدَّمَ لَهُ قَدْرِي حافِظ طُوقان، وأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذا العَمَلَ أَوّلُ جُهْدٍ أُرْدُنِيٍّ فِي تَحْقِيْقِ التُّراثِ العَرَبِيِّ الإِسْلامِيّ. وأَمّا العَمَلُ الثّانِي، فَهُوَ كِتابُ "مآثِرِ العَرَبِ العِلْمِيِّ أَساسُ حَضارَةِ الغَرْب"، وهُوَ دِراسَةٌ قَيِّمَةٌ نَشَرَها جُمَيْعان – فِي بَيْرُوتَ– سَنَةَ (١٤٢١هـ=٢٠٠١م).

- **ثالثَ عَشَر: التَّعْرِيْفُ بِالكُتُبِ والإِصْداراتِ الجَدِيْدَة**

تَعَدَّتْ عِنايَةُ الرُّوّادِ إِلى بابِ عَرْضِ الكُتُبِ – مَخْطُوطَةً ومَطْبُوعَةً– ومُراجَعَةِ ما صَدَرَ حَدِيْثاً مِنْها، وهُوَ بابٌ مُهِمٌّ ولَجَهُ الرُّوّادُ بِقَصْدِ تَعْرِيْفِ القُرّاءِ بِما هُوَ جَدِيْدٌ فِي عالمِ النَّشْرِ الذي طَفِقَ يَتَطَوَّرُ بِتَسارُعٍ كَبِيْر، مع انْتِشارِ دُورِ النَّشْرِ الجَدِيْدَة، وتَنامِي الوَعْي، وتَطَوُّرِ تِقاناتِ الطِّباعَةِ الحَدِيْثَة. وقَدْ دَلَّتِ السُّهْمَةُ الأُرْدُنِيَّةُ الأُولى فِي هَذا المجالِ عَلى سَعَةِ اطِّلاعِ جِيْلِ الرُّوّاد، ومَعْرِفَتِهِم بِما هُو مَخْطُوطٌ ومَطْبُوعٌ مِنْ كُتُبِ التُّراثِ العَرَبِيّ، فَضْلاً عَنْ مُتابَعَتِهِم لِكُلِّ ما هُوَ جَدِيْدٌ فِي بابِه، مِنْ مُؤَلَّفاتٍ وإِبْداعاتٍ ومُعَرَّبات، كَما يُتَرْجِمُ عَنْ ذَلِكَ ما نَشَرَ بَعْضُ الرُّوّادِ ممَّن عُنُوا بِهَذا الجانِبِ خاصَّة، وأَهَمُّهُم: سَعِيْد الكَرْمِيّ، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ، ورُوكس العُزَيْزِيّ، وعِيْسى النّاعُورِيّ، ومُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان.

---

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٠، العَدَد٤٨٢، ١٣٦١هـ=١٩٤٢م، ص٩٢٤-٩٢٦.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٣، العَدَد٦١٣، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١٢، العَدَد٥٦٤، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م، ص٢٦-٣٢.

(٤) انْظُر: عَبْد الرَّحمن، عَبْد الجَبّار، كَشّاف الدَّوْرِيّات العَرَبِيَّةِ (١٨٧٦-١٩٨٤م)، مَصْدَرٌ سابِق، ج٣، ص١٤.

فَفِي مَسارِ التَّعْرِيْفِ بِالتُّراثِ المَخْطُوطِيِّ العَرَبِيّ، نَلْقى مَقالَةَ الكَرْمِيِّ بِعُنْوان "مِنْ نَفائِسِ الآثار"[١] – المَنْشُورَةَ سَنَةَ (١٩٢١م)– مُعَرِّفَةً بِمَخْطُوطَةِ كِتابِ "الفَوائِد في مَعْرِفَةِ عِلْمِ البَحْرِ والقَواعِد"، لِلمَلّاحِ العَرَبِيِّ ابنِ ماجِد، وهِيَ مَخْطُوطَةٌ نَفِيْسَةٌ في عِلْمِ المِلاحَةِ والإبْحار، تَعْرِضُ طُرُقَ المِلاحَة، ورُكُوبَ السُّفُن، ومَعْرِفَةَ الجِهاتِ والأَوْقاتِ والمَنازِلِ ومَهَبِّ الرِّياحِ وسَمْتِ القِبْلَة، وما إلى ذَلِكَ مِنَ المَعارِفِ البَحْرِيَّةِ القَدِيْمَة.

كَما نَلْقى مَقالَتَهُ الأُخْرى – في العامِ ذاتِهِ– في التَّعْرِيْفِ بِمَخْطُوطَةِ كِتابِ "شَذَراتِ الذَّهَبِ في أَخْبارِ مَنْ ذَهَب"[٢]، لابنِ العِمادِ الحَنْبَلِيّ، إذْ يَعْرِضُ الكاتِبُ مَنْهَجَ الكِتابِ العامّ، وما يَشْتَمِلُ عَلَيهِ مِنْ فَوائِدَ مُسْتَحْسَنَة، وما يَفِيْضُ بِهِ مِنْ نَوادِرِ الأَخْبارِ والأَشْعار، والتَّراجِمِ لِلمَشاهِيْر، مع خَصِّ النِّساءِ المَشْهُوراتِ بِبَعْضِ العِنايَة. وأَخِيْراً، يُطالِعُنا الكَرْمِيُّ بِمَقالَتِهِ الثّالِثَةِ – في المُدَّةِ ذاتِها– عارِضاً مَخْطُوطاً آخَر، هُوَ مَخْطُوطُ كِتابِ "قامُوس الأَطِبّاء ونامُوس الأَلِبّاء"[٣]، لِلقُوصُونِيّ، مُسْتَهِلّاً بِتَقْدِيْمِ نَبْذَةٍ عَنِ المُؤَلِّف، مُفَصِّلاً في مَنْهَجِ الكِتاب، مُتَلَمِّساً قِيْمَتَهُ العِلْمِيَّة، ولا سِيَّما في مَجالِ الطِّبِّ والصِّحَّةِ العامَّة.

وفي مَسارِ التَّعْرِيْفِ بِما هُوَ مَطْبُوعٌ مِنْ كُتُبِ التُّراثِ الأَدَبِيِّ العَرَبِيّ، كَتَبَ بَشِيْر الشُّرَيْقِيّ – في سَنَةِ (١٩٣٥م)– مُعَرِّفاً بِأَهَمِّ آثارِ ابنِ المُقَفَّع[٤]، وكَما هِيَ العادَةُ الجارِيَة، اسْتَهَلَّ بِتَقْدِيْمٍ إلماحَةٍ عَنْ حَياةِ الكاتِب، وأَهَمِّ ما خَلَّفَهُ مِنْ آثارٍ مُؤَلَّفَةٍ ومُتَرْجَمة، ثُمَّ خَصَّصَ مِحْوراً رَئِيْساً عَرَضَ فِيهِ ثَلاثَةً مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِهِ ومُتَرْجَماتِه، وهِيَ: "الدُّرَّة اليَتِيْمَة"، و"الأَدَب الصَّغِيْر"، و"كَلِيْلَة ودِمْنَة". وتَمَيَّزَ عَرْضُهُ بِالاقْتِضابِ الشَّدِيْد، وإجْمالِ القَوْلِ مِنْ غَيْرِ اسْتِرْسال.

وفي مَسارِ نَقْدِ جَدِيْدِ الكُتُبِ ومُراجَعَتِها، نَلْقى نَماذِجَ عِدَّةً مِنْها مُراجَعَةُ مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإيْرانِيِّ النَّقْدِيَّةَ لِكتاب "ما قَبْلَ الصَّمْتِ الأَخِيْر" – لِلكاتِبِ البلجيكِيِّ (موزيس ماترلك)– وقَدْ جَعَلَ الإيْرانِيُّ مُراجَعَتَه –المَنْشُورَةَ سَنَةَ (١٩٣٨م)– عَلى شَكْلِ تَساؤُل: "هَل المَوْتُ أَفْضَلُ مِنْ الحَياة؟"[٥]، ومَضى يُحاكِمُ آراءَ المُؤَلِّفِ القائِمَةِ عَلى فِكْرَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ مَفادُها أَنَّ المَوْتَ هُوَ الذي يُعْطِي الحَياةَ قِيْمَتَها، وأَنَّ الحَياةَ هِيَ سِرُّ المَوْت. وانْتَهى الإيْرانِيُّ إلى نَقْدِ تِلْكَ الآراءِ، مِنْ غَيْرِ هَوادَة، مُبَيِّناً أَنَّها تُعَبِّرُ – في أَصْلِ الأَمْرِ– عَنْ تَرَدُّدٍ وحَيْرَةٍ وقَلَقٍ وشَكّ، غَرِقَ فِيها الكاتِبُ طِيْلَةَ حَياتِه.

وفي المَسارِ ذاتِهِ، عَرَضَ رُوكس العُزَيْزِيّ – سَنَةَ (١٩٤٥م)– مَباهِجَ التَّرْجَمَةِ العَرَبِيَّةِ لِكِتابِ "حَضارَةِ العَرَب"[٦]، تَأْلِيْفِ الطَّبِيْبِ المُؤَرِّخِ الفِرَنْسِيِّ (غُوستاف لُوبُون)، التي نَاءَ بِها المُتَرْجِمُ القَدِيْرُ

---

(١) انْظُر: مَجَلَّة المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيّ، المُجَلَّد١، الجُزْء٢، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، ص٣٣-٣٥.

(٢) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد١، الجُزْء٣، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، ص٦٥-٧٥.

(٣) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد١، الجُزْء٦، دِمَشْق، ١٣٣٩هـ=١٩٢١م، ص١٧٧-١٧٩.

(٤) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٣، العَدَد١١٩، القاهِرَة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٦٦٠-١٦٦٢.

(٥) انْظُر: المَجَلَّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٨، العَدَد٦، القاهِرَة، ١٩٣٨م، ص٣٢-٣٦.

(٦) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٣، العَدَد٦٤٢، القاهِرَة، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١١٦١-١١٦٢.

عادِل زُعَيْر، مُرَكِّزاً عَلى قِيْمَةِ الكِتابِ التّارِيْخِيَّةِ والحَضارِيَّةِ الرَّفِيْعَة، مُتَحَوِّلاً إلى تَرَصُّدِ طائِفَةٍ مِنَ المَلاحِظِ والمآخِذِ والأغالِيْطِ التّارِيْخِيَّةِ التي وَقَعَ فِيها المُؤلِّف، أو فارَقَ فِيها وَجْهَ الصَّواب.

ونَظِيرُ ذَلِكَ، ما نَجِدُهُ في مَقالَةِ عِيْسى النّاعُورِيّ، في العام ذاتِهِ، التي تَناولَ فِيها كِتابَ إسْحاق مُوسى الحُسَيْنِيّ المَوْسُومَ "عَوْدَة السَّفِينَة"[١]، فقَدِ استَهَلَّ الكاتِبُ بِبَيانٍ ما يَنْضَمُّ عَلَيه الكِتابُ مِنْ قِيْمَةٍ وجَدِيْدٍ يَستَحِقّانِ التَّقْدِيْر، مُتَحوِّلاً – مِنْ ثَمَّ– إلى تَسْجِيْلِ نَقَداتِهِ ومُناقَشاتِهِ لِبَعْضِ ما حَمَلَ الكِتابُ مِنْ رُؤًى وأفْكارٍ كانَ لِلنّاعُورِيِّ مَوْقِفٌ مِنْها. وما ذُكِرَ آنِفاً مَحْضُ مُثُلٍ، ولَدَيْنا مُثُلٌ أُخْرى لا يَتَّسِعُ المَقامُ لِعَرْضِها[٢].

- **رابِعَ عَشَر: التَّرْجَمَة**

تَناهَتْ عِنايَةُ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ الرُّوّادِ باللُّغاتِ الأجْنَبِيَّة، ولا سِيَّما الإنْجليزِيَّةُ والفِرَنْسِيَّة، إلى تَقْدِيْمِ عَدَدٍ مِنْ تَجارِبِ النَّقْلِ القِصارِ التي نَشَرُوها في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ الصّادِرَةِ في تِلْكَ الحِقْبَة. ويُمْكِنُ أن نَعُدَّ هَذِهِ المُحاوَلاتِ مِنْ بَواكِيْرِ العِنايَةِ الأُرْدُنِيَّةِ بالتَّرْجَمَة، وهِيَ مُحاوَلاتٌ جادَّة، تَشِي بانْطِلاقَةٍ جَدِيْدَة، وإطْلالَةٍ مُشْمِسَةٍ عَلى الآدابِ العالَمِيَّة، ولَكِنْ مِمّا يُؤسَفُ عَلَيه أنَّ أكْثَرَ هَذِهِ التَّجارِبِ لَمْ تَتَجَذَّرْ مَلِيّاً في بِنْيَةِ الحَياةِ الثَّقافِيَّة، ولم تَستَطِعْ أنْ تُنْجِبَ أسْماءً كَبِيْرَةً في فَضاءِ التَّرْجَمَة، ولَكِنَّها تَظَلُّ – رُغْمَ ذَلِكَ– سُهْمَةً مُبَكِّرَةً تَسْتَحِقُّ الإشادَة.

حَمَلَ لِواءَ النَّقْلِ والتَّعْرِيْبِ عَدَدٌ مِنَ الكُتّابِ والمُبْدِعِيْنَ الذيْنَ تَمَكَّنُوا مِنْ بَعْضِ الأَلْسُنِ الأُورُوبِيَّة، بِسَبَبِ دِراسَتِهِم في الجامِعاتِ والكُلِيّاتِ الحَدِيْثَةِ التي تُدَرِّسُ بالإنْجليزِيَّةِ أو الفِرَنْسِيَّة، ولا سِيَّما الجامِعَةُ الأَمْرِيكِيَّة – في بَيْرُوت– التي دَرَسَ فِيها نُخْبَةٌ مِنَ الرُّوّادِ الأُرْدُنِيِّين، ابْتِداءً مِنْ عَقْدِ العِشْرِيْن مِنَ القَرْنِ الفائت. كانَتِ الدِّراسَةُ الجامِعِيَّةُ سانِحَةً ثَمِيْنَةً للاطِّلاعِ عَلى الأعْمالِ الأدَبِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ لِعَدَدٍ مِنْ مَشاهِيْرِ الكُتّابِ والشُّعَراءِ والمُبْدِعِيْنَ والمُفَكِّرِيْنَ الأُورُوبِيِّيْنَ بِلُغاتِها، فأخَذَ الرُّوّادُ يَنْتَخِبُونَ مِنْها نَماذِجَ دالَّة، ويَنْقُلُونَها إلى العَرَبِيَّة. ومِنْ أشْهَرِ مَنْ حَمَلَ هَذا اللِّواء: حُسْنِي فَرِيْز، وصَيّاح الرُّوسان، وبَشِيْر الشُّرَيْقِيّ، ومَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإيْرانِيّ، وجُورج العُرَيْزات، وجَمِيْل قُبْعِيْن.

نَقَلَ حُسْنِي فَرِيْز عَنِ الإنْجليزِيَّةِ – سَنَةَ (١٩٢٧م) – مَقالَةً مُطَوَّلَةً – نُشِرَتْ في حَلَقَتَيْن– عَنِ الأدِيْبِ الإنْجليزِيِّ المَشْهُور (وليم شِكْسبِيْر)[٣] – غابَ اسْمُ كاتِبِها ومَصْدَرُها– مُتَضَمِّنَةً فَيْضاً مِنَ المَعارِفِ الشَّخْصِيَّةِ عَنْ هَذا الأدِيْب، مَوْلِدِهِ ومَنْزِلِهِ وبَلْدَتِهِ ونَشأتِهِ ودِراسَتِهِ وإبْداعِهِ وشُهْرَتِهِ ووَفاتِهِ وقَبْرِه. والمَقالَةُ ذاتُها أشْبَهُ بِرِحْلَةٍ استِطْلاعِيَّةٍ قامَ بِها الكاتِبُ إلى مَسْقَطِ رأسِ (شِكْسبِيْر)– بَلْدَةِ (ستراتفورد)– مُحاوِلاً أنْ يُضِيءَ مَشْهَدَ حَياتِهِ مِنَ الدّاخِل، وعَلى نَحْوٍ مَلْمُوس. ولَمْ تَكُنْ تِلْكَ مُحاوَلَةَ

---

(١) انْظُر: مَجَلَّة الثَّقافَة، السَّنَة٧، العَدَد٣٥٤، القاهِرَة، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١٧-١٩.

(٢) انْظُر: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٢، الجُزْء٢، بَيْرُوت، ١٣٥٠هـ=١٩٣١م، ص١٥٣-١٥٩، ومَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة١٠، العَدَد١١٤، القُدْس، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٣٩٧-٤٠٣، ومَجَلَّة الفَجْر، السَّنَة١، العَدَد٣، يافا، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥، ص٢٤-٢٥، ٣١، ومَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة١٤، العَدَد١٥٤، القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٣٥-٤١، ومَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة١٤، العَدَد٦٨٨، القاهِرَة، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١١٠٣-١١٠٤.

(٣) انْظُر: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد١٤، الجُزْء٢، صَيْدا، ١٣٤٦هـ=١٩٢٧م، ص١٩١-٢٠٠.

فَرِيْز اليَتِيْمَةَ فِي التَّرْجَمَة؛ إِذْ نَجِدُ لَهُ عَدَداً مُضافاً مِنَ المُحاولات، نَشَرَها فِي مَجَلَّة "الذَّخِيْرَة"[١]، سَنَةَ(١٩٤٦م).

ونَقَلَ صَيَّاح الرُّوسان – سَنَةَ (١٩٣١م)– مَقَالَةً عَنْ مَجَلَّةِ "العالم الإِسْلامِيّ" الإِنْجلِيْزِيَّة، وقَدْ تَناوَلَتْ هَذِهِ المَقَالَةُ المُشْكِلَةَ – بِحَقٍّ– مَلامِحَ مِنَ "النَّهْضَة الحَدِيْثَة فِي العالمِ الإِسْلامِيّ"[٢]، وفْقَ رُؤْيَةٍ عَلْمانِيَّةٍ غَرْبِيَّة، لا تَتَّفِقُ فِي كَثِيْرٍ مِنْ جَوانِبِها معَ التَّفْكِيْرِ الإِسْلامِيّ. ومِنْ ذَلِكَ أَنَّ كاتِبَ المَقَالَةِ اسْتَرْسَلَ فِي إِقْناعِ القُرَّاءِ بِأَن إِسْقاطَ الخِلافَةِ كانَ أَعْظَمَ الأَحْداثِ التِي عادَ جَناها عَلى الشُّعُوبِ الإِسْلامِيَّة!! مُسْتَعْرِضاً صَفَحاتٍ مِنْ تارِيْخِ الدَّوْلَةِ العُثْمانِيَّةِ التِي كانَتْ تَحْكُمُ هَذِهِ الشُّعُوبَ باسْمِ الدِّيْن، مُبَيِّناً أَنَّه لما انْتَهى هذا الحُكْمُ انْفَتَحَتْ أَمامَ هَذِهِ الشُّعُوب – عَلى ما يَقُولُ– نَوافِذُ الحُرِّيَّةِ والرُّقِي والعُمْرانِ والتَّضامُنِ والاطِّلاعِ عَلى المُنْجَزِ الغَرْبِيِّ والاقْتِباسِ عنه!! بَلْ يَذْهَبُ الكاتِبُ إِلى أَنَّ هَذا الحَدَثَ أَعادَ لِلإِسْلامِ رُوحَه!!، وفَتَحَ المَجالَ لِتَحْقِيْقِ المُساواةِ فِي الحُقُوقِ والمُعامَلات!!. ولا شَكَّ أَنَّ الحَدِيْثَ عَنْ هَذِهِ الفِكْرَةِ كانَ يَجْرِي عَلى كَثِيْرٍ مِنَ الأَقْلامِ الغَرْبِيَّةِ والعَرَبِيَّةِ التِي حاوَلَتْ تَصْوِيْرَ الخِلافَةِ عَلى أَنَّها عائِقُ التَّقَدُّمِ الإِسْلامِيِّ مِنَ الدُّخُولِ إِلى الحَياةِ العَصْرِيَّةِ الرّاقِيَة، وقَدِ اشْتَدَّ سُعارُ هَذِهِ الأَقْلامِ بَعْدَ حادِثَةِ إِلغاءِ الخِلافَةِ عَلى يَدِ (أَتاتُورك) سَنَةَ (١٩٢٤م)، وما هَذِهِ المَقَالَةُ المُتَرْجَمَةُ إِلّا مِثالٌ عَلى ذَلِك.

وطالَعَنا بَشِيْر الشُّرَيْقِيّ – سَنَةَ (١٩٣٤م)– بِتَرْجَمَةِ ثَلاثِ مَقالاتٍ عَنِ الإِنْجلِيزِيَّةِ أَيْضاً، تَتَضَمَّنُ الأُولى صَفْوَةَ رُؤْيَةِ عالَمِ التّارِيْخِ الأَمْرِيكِيّ (جُورج سارتُون) فِي مُصْطَلَحِ "العُصُور المُظْلِمَة"[٣]، وأَنَّ اسْتِعْمالَهُ لا يَتَجاوزُ أَنْ يَكُونَ خَطأً عِلْمِيّاً مَحْضاً. وتَقُومُ أُطْرُوحَةُ (سارتُون) تِلْكَ عَلى إِنْصافِ الحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ التِي شَهِدَتْ ازْدِهاراً عَظِيْماً فِي تِلْكَ العُصُورِ التِي تُوصَفُ بِالظُّلْمَةِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ حَقّ. وتَتَضَمَّنُ المَقالَةُ الثّانِيةُ حِكَماً وأَقاوِيْلَ وتَفارِيْقَ وشَذَراتٍ قِيْلَتْ فِي مَوْضُوعِ السَّعادَةِ الإِنْسانِيَّة[٤]، اسْتَلَّها المُتَرْجِمُ مِنْ كِتابِ "فائِدَة الحَياة" لِلفَيْلَسُوفِ الإِنْجلِيزِيّ (افِيري). وأَمّا المَقالَةُ الأَخِيْرة، فَعُنْوانُها "النّايِ السِّحْرِيَّة"[٥]، وهِيَ مُسْتَلَّةٌ – أَيْضاً– مِنْ كِتابِ "مَقالات فِي تارِيْخِ الفَنّ"، لِلكاتِبِ الإِنْجلِيزِيّ (كلاتون بروك)، وتَعْرِضُ لَنا هَذِهِ المَقالَةُ صَفْحَةً مُكَثَّفَةً مِنْ تارِيْخِ الفَنِّ فِي الشَّرْقِ والغَرْب.

ونَجِدُ مُثُلاً مُقابِلَةً عَلى تَرْجَماتٍ أُرْدُنِيَّةٍ عَنِ الفِرَنْسِيَّةِ نَشَرَتْها الدَّوْرِيّاتُ العَرَبِيَّةُ فِي هَذا الطَّوْر، قَدَّمَ إِحْداها مَحْمُود سَيْف الدِّيْن الإِيْرانِيّ – سَنَةَ (١٩٣٦م) – وهِيَ لَمَحاتٌ مِنْ حَياةِ الكاتِبِ الرُّوسِيِّ المَعْرُوفِ (مكسيم غُوركِي)[٦]، مَنْقُولَةٌ مِنْ كِتابِهِ "حَياتِي وأَنا صَبِي". بَيْنَما قَدَّمَ الأُخْرى جُورج العُزَيْزات – سَنَةَ (١٩٣٨م) – وهِيَ حِكَمٌ وتَأَمُّلاتٌ وفُصُولٌ قِصارٌ وشَذَراتٌ مَنْثُورةٌ لِلإِمبراطُورِ

---

(١) نُشِرَتْ فِي المُجَلَّدَيْن: الأَوَّل والثّانِي، الأَعْداد: ٥، ٩، ١٢، ١٣.

(٢) انْظُر: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢١، الجُزْء٣، ١٣٤٩هـ=١٩٣١م، ص٢٩٥-٣٠٦.

(٣) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٥٥، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٢١٨-١٢١٩.

(٤) انْظُر: المَصْدَرَ نَفْسَهُ، السَّنَة٢، العَدَد٦٠، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٤١٢-١٤١٣.

(٥) انْظُر: المَصْدَرَ نَفْسَهُ، السَّنَة٢، العَدَد٦٥، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص١٦١٢-١٦١٤.

(٦) انْظُر: مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، السَّنَة٢، العَدَدان٦-٧، دِمَشْق، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص٥٦٧-٥٧٣.

الرُّومانيِّ الفَيْلَسُوفِ (مرقص أُوريلِيوس) [١]. وقَدْ أَصْدَرَ العُزَيْزات التَّرْجَمَةَ العَرَبِيَّةَ الكامِلَةَ لكِتَابِ (إوريليوس) – فِي العامّ ذاتِهِ– بِعُنْوانِ "تأمُّلات"، ونُشِرَتْ فِي المَطْبَعَةِ الهاشِمِيَّة، فِي عَمّان[٢]. كَما قَدَّم العُزَيْزاتُ جُهُوداً أُخْرى فِي التَّرْجَمَةِ نَكْتَفِي بِالإحالَةِ عَلَيها[٣].

والحَقُّ أَنَّ التَّرْجَمَةَ عَنِ اللُّغاتِ الأُورُوبِيَّةِ الحَدِيثَةِ لَمْ تَكُنْ فاتِحَةَ اتِّجاهِ الرُّوّادِ إِلى النَّقْلِ عَنِ الأَلْسِنَةِ الأُخْرى، فَقَدْ سَبَقَ الشّاعِرُ عَرارٌ – سَنَةَ ١٩٢٥م– إِلى نَشْرِ تَرْجَمَةٍ عَرَبِيَّةٍ لِنَحْوِ ثَلاثِيْنَ رُباعِيَّةً مِنْ "رُباعِيّات الخَيّام"[٤]، مُعْتَمِداً تَرْجَمَتَها التُّرْكِيَّة، ومُسْتَأْنِساً – فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ– بِمَعْرِفَتِهِ المُتَواضِعَةِ بِالفارِسِيَّة. وقَدْ جَعَلَ عَرارٌ هَذِهِ المُثُلَ المُعَرَّبَةَ رَدّاً عَلى تَرْجَمَةِ أَمِيْن نَخْلَة لِطائِفَةٍ مِنَ الرُّباعِيّاتِ عَنِ الإِنْجليزِيَّةِ نَشَرَتْها مَجَلَّةُ "مينرفا" اللُّبْنانِيَّة، ونَجَمَ عَنْ ذَلِكَ مُساجَلَةٌ قَوِيَّةٌ بَيْنَ المُتَرْجِمَيْن: عَرارٍ ونَخْلَة، عَلى صَفَحاتِ المَجَلَّةِ ذاتِها، كانَ صَوْتُ عَرارٍ فِيْها أَعْلى مِنْ صَوْتِ خَصْمِه، وقَدِ انْتَقَدَ عَرارٌ المُتَرْجِم، كَما نَقَدَ – فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ– المَجَلَّةَ التي تَوَهَّمَتْ أَنَّ التَّرْجَمَةَ أَوْفَتْ عَلى الغايَة[٥]، ومالَ عَرارٌ إِلى إِشْباعِ الخَصْمِ بِالسُّخْرِيَّةِ اللّاذِعَة، مُفارِقاً بَيْنَ ثَقافَتِهِ العَرَبِيَّةِ الصّافِيَةِ وثَقافَةِ نَخْلَةَ المَشُوبَةِ بِالمُؤَثِّرِ الأُورُوبِيّ.

وأَخِيْراً، يَبْدُو واضِحاً لمن يَقْرأُ هَذِهِ النَّماذِجَ مِنَ التَّرْجَماتِ الأُرْدُنِيَّةِ الأُولى المَنْشُورَةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، ما تَتَمازُ به مِنَ الأُسْلُوبِ العَرَبِيِّ المَتِيْن؛ إِذْ تَأْخُذُكَ إِشْراقَةُ المَعْنى، وتَأْسِرُكَ جَلالَةُ اللَّفْظ، وتُدْهِشُكَ كَثافَةُ العِبارَة، ويَلْفِتُكَ اكْتِنازُ الجُمْلَة، وتُحِسُّ أَنَّكَ تَقْرأُ لِكِبارِ المُتَرْجِمِيْنَ الذيْنَ أُتُوا المَوْهِبَةَ الفَذَّةَ والذّائِقَةَ العالِيَةَ فِي تَخَيُّرِ العِبارَةِ المُقابِلَة، بِأَدَقِّ طاقاتِ العَرَبِيَّةِ الواسِعَة، وإِلْباسِ المَعانِي المَنْقُولَةِ ما يُناسِبُها مِنَ اللَّفْظِ الدّالِّ المُوحِي.

- **خامِسَ عَشَر: مَجالاتٌ أُخْرى.**

وفَضْلاً عَمّا تَقَدَّمَ مِنْ مَجالاتٍ تَناوَلَتْها الأَقْلامُ الأُرْدُنِيَّةُ الأُولى، ثَمَّةَ مَجالاتٌ أُخْرى يَضِيْقُ المَقامُ عَنْ تَفْصِيْلِ القَوْلِ فِيها، وسَنَكْتَفِي فِي هَذِهِ العُجالَة، بِالإِشارَةِ إِلى أَهَمِّها، مَع ذِكْرِ بَعْضِ الشَّواهِدِ الدّالَّةِ عَلَيها، وأَهَمُّ هَذِهِ المَجالات:

- النَّقْدُ الأَدَبِيّ: ومِنَ الشَّواهِدِ عَلَيه، وهِيَ كَثِيْرَة: ما كَتَبَهُ عَبْدُ الحَلِيْم عَبّاس مِنْ مَقالات، ومِنْها مَقالَتُهُ "الشِّعْر العَرَبِيّ بَيْنَ الجاهِ والسُّلْطان"[٦]، ومَقالَتُهُ "الخُلُود والأُدَباء"[٧]، ومِنْ ذَلِكَ مَقالاتُ رُوكس

---

(١) انْظُر: المَجَلَّة الجَدِيْدَة، السَّنَة٧، العَدَد٣، القاهِرَة، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص١٧-٢٠.

(٢) صَدَرَتْ طَبْعَةٌ جَدِيْدَة لهذه التَّرْجَمَة، عَمّان، ١٤٤٠هـ=٢٠١٩م.

(٣) انْظُر: مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة١٤، العَدَد١٥٤، القُدْس، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٥٣-٦٢، والعَدَد١٥٥، ص١٠٩-١١٨، والسَّنَة١٥، العَدَدان١٦٨-١٦٩، ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م، ص٣٣٧-٣٤٥.

(٤) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، مِنْ رُباعِيّات الخَيّام، مَجَلَّة منيرفا، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٧٣-١٧٥، والجُزْء٨، ص٤٢١-٤٢٤.

(٥) انْظُر: التَّلّ، مُصْطَفى وَهْبِي، الخيام ورُباعِيّاته، مَجَلَّة مينرفا، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٧٣-١٧٥.

(٦) انْظُر: مَجَلَّة الطَّلِيْعَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص٢٤٨-٢٥٣.

(٧) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٤، العَدَد١٨١، القاهِرَة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م، ص٢٠٧٨-٢٠٧٩.

العُزَيْزِيّ، ومِنْها مَقالَتُهُ "أَحْمَد الصّافِيّ النَّجَفِيّ"[١]، ومِنْ ذَلِكَ مَقالاتُ عِيْسى النّاعُورِيّ، ومِنْها مَقالَتُهُ "النَّزْعَة الإِنْسانِيَّة فِي شِعْرِ إِيلِيا أَبِي ماضِي"[٢].

- التَّرْبِيَةُ والتَّعْلِيْم: ومِنَ الشَّواهِدِ عَلَيه ما كَتَبَهُ أَدِيْب عَبّاسِيّ عَنِ "نَظَرِيَّة التَّحْوِيل العامّ فِي سَنَةَ (١٩٣٠م)، وما كَتَبَهُ جرِيس القُسُوس عَنِ "الفُرُوسِيَّة والتَّرْبِيَة"[٤]، سَنَةَ (١٩٣٧م)، وما كَتَبَهُ مُحَمَّد أَدِيب العامِرِيّ بِعُنْوان "شَيء مِنْ تَرْبِيَةِ الطِّفْل"[٥]، سَنَةَ (١٩٤٠م)، وما كَتَبَهُ عِيْسى النّاعُورِيّ بِعُنْوان "خَواطِر فِي التَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيْم"[٦]، سَنَةَ (١٩٤٥م).
- عِلْمُ النَّفْس: ومِنَ المُثُلِ عَلَيه كِتاباتُ أَدِيْب عَبّاسِيّ الكَثِيْرة، مِثْل: "الفُرُوق الذِّهْنِيَّة"[٧]، سَنَةَ (١٩٣٠م)، و"عِلْم النَّفْس الأُنْمُوذَجِيّ"[٨]، سَنَةَ (١٩٣١م)، و "صِفات العَبْقَرِيَّة"[٩]، سَنَةَ (١٩٣١م)، و"تَحْلِيْل العَواطِف المُرَكَّبَة"[١٠]، سَنَةَ (١٩٣٣م)، وما كَتَبَهُ مُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ عَنْ "سِيكُولُوجِيا إِدْلر"[١١]، سَنَةَ (١٩٤٢م).
- التَّفْكِيْرُ العِلْمِيّ: ومِنْ شَواهِدِهِ ما كَتَبَهُ أَدِيْب عَبّاسِيّ عَنْ "أَرْكان التَّفْكِيْرِ الصَّحِيْح"[١٢]، سَنَةَ(١٩٢٩م)، وما كَتَبَهُ مُحَمَّد أَدِيْب العامِرِيّ عَنِ "الطَّرِيقَة العِلْمِيَّة فِي الحَضارَةِ والحَياة"[١٣]، سَنَةَ(١٩٣٧م).
- الإِسْلامِيّات: ومِنَ شَواهِدِها الكَثِيْرَةِ: مقالتا خَلِيْل الطّوال المَوْسُومَتَيْن: "حَقِيقَة الإِسْلام"[١٤]، ومُعْجِزات الإِسْلام"[١٥]، سَنَةَ (١٩٣٧م)، ومَقالات مُحَمَّد سَلِيْم الرَّشْدان حَوْلَ المَوْلِدِ النَّبَوِيّ"[١٦]

---

(١) انْظُر: المَجَلَّة الجَدِيْدَة، العَدَد١١، دِمَشْق، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص٣٦-٣٩.
(٢) انْظُر: مَجَلَّة الأَدِيب، السَّنَة٥، العَدَد٢، بَيْرُوت، ١٣٦٥هـ=١٩٤٥م، ص١٩-٢٠.
(٣) انْظُر: مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٧٧، الجُزْء٥، القاهِرَة، ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م، ص٥٦-٦١.
(٤) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢٣، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٦٥٧-١٦٦١.
(٥) انْظُر: مَجَلَّة الغَد، السَّنَة٣، العَدَد٣، بَيْت لَحْم- القُدْس، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م، ص٥١-٥٢.
(٦) انْظُر: مَجَلَّة المُنْتَدى، السَّنَة٢، العَدَد١١، القُدْس، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١١.
(٧) انْظُر: مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٧٦، الجُزْء١، القاهِرَة، ١٣٤٨هـ=١٩٢٨م، ص٦٧-٧٢.
(٨) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد٧٨، الجُزْء٥، القاهِرَة، ١٣٤٩هـ=١٩٣١م، ص٥٥٠-٥٥٤.
(٩) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد٧٨، الجُزْء٤، القاهِرَة، ١٣٤٩هـ=١٩٣١م، ص٤٢٢-٤٢٥.
(١٠) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد٨٣، الجُزْء١، القاهِرَة، ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م، ص٥٦-٦٠.
(١١) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٤٧٥، القاهِرَة، ١٣٦١هـ=١٩٤٢م، ص٧٧٩-٧٨٠.
(١٢) انْظُر: مَجَلَّة المُقْتَطَف، المُجَلَّد٧٥، الجُزْء١، القاهِرَة ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م، ص٥١-٥٥.
(١٣) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢٧، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٨٠٩-١٨١٢.
(١٤) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد٢٢٩، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص١٩٠٢-١٩٠٣.
(١٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٥، العَدَد٢٣٢، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٢٠١١-٢٠١٣.
(١٦) انْظُر: مَجَلَّة المُنْتَدى، المُجَلَّد٢، العَدَد١٢، القُدْس، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص١٧.

وسيَرِ بَعْضِ الصَّحابَة[١]، في عامَي (١٩٤٤- ١٩٤٥م)، ومَقالَةُ سُلَيْمان الحَدِيْدِيّ "عِبَر الهِجْرَة"، سَنَةَ (١٩٤٦م)[٢].

- الفَلْسَفَة: ومِنْ أَبْرَزِ الشَّواهِدِ عَلى الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِيها مَقالاتُ عَبْد الحَلِيْم عَبّاس الأُولى عَنِ "الإنْسانِ والطَّبِيْعَة"[٣]، سَنَةَ (١٩٢٩م)، ومَقالاتُ أَدِيْب عَبّاسِيّ المُعَمَّقَةِ عَنِ "إِخْوان الصَّفا"[٤]، في سَنَتَي (١٩٣٣-١٩٣٤م).
- الفِرَق والأَدْيان: ومِنَ الكِتاباتِ التي تَشْهَدُ لهَذا الاتِّجاه: مَقالَةُ أَدِيْب عَبّاسِيّ "إِخْوان الصَّفا والإسْماعِيلِيَّة"[٥]، سَنَةَ (١٩٣٤م)، ومَقالَةُ غَسّانِيّ (اسْمٌ مُسْتَعار) عَنِ "النَّصْرانِيَّة في شَرْقِ الأُرْدُنّ في الأَجْيالِ السِّتَّةِ الأُولى"[٦]، سَنَةَ (١٩٣٥م)، ومَقالَةُ تَيْسِيْر ظَبْيان عَنِ "الأَدْيان والمَذاهِب في الحَبَشَة"[٧]، سَنَةَ (١٩٣٧م)،
- الاجْتِماع: ومِنْ شَواهِدِهِ ما كَتَبَهُ عَبْد الحَلِيْم عَبّاس عَنِ "الاجْتِماعِيَّة"[٨] أي الاشْتِراكِيَّة، سَنَةَ (١٩٢٩م)، وما كَتَبَهُ أَدِيْب عَبّاسِيّ عَنِ " الدِّيمُقْراطِيَّة: تَساوي الفُرَص لا تَساوي الأَنْصِبَة"[٩]، سَنَةَ (١٩٣٧م)، ما كَتَبَهُ رُوكس العُزَيْزِيّ عَنْ "بَدْو شَرْقِ الأُرْدُنّ وعاداتِهِم"[١٠]، سَنَةَ (١٩٤٦م)،
- الصِّحَّةُ والطِّبّ: ومِنَ الكِتاباتِ الدّالَةِ عَلى هَذا المَجالِ ما نَشَرَهُ حَنّا القُسُوس تَحْتَ عُنْوانِ "كَلِمات صِحِّيَّة وفَوائِد طِبِّيَّة"[١١] في سَنَتَي (١٩٣٢-١٩٣٣م).
- الاقْتِصاد: ومِنَ الكِتاباتِ الأُولى في هَذا المَجالِ مَقالَةُ صَبّاح الرُّوسان عَنِ "كُنُوز البَحْر الميّت"[١٢]، سَنَةَ (١٩٣١م)، ومَقالَتا شُكْري شَعْشاعَة: "حاجَتُنا إِلى الاقْتِصاد"[١٣]، و"المَرافِق الاقْتِصادِيَّة في شَرْق الأُرْدُن"[١٤]، سَنَةَ (١٩٣٥م).

---

(١) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، المُجَلَّد٢، العَدَد٦، القُدْس، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م، ص٢١، والمُجَلَّد٢، العَدَد١٢، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥، ص٢٣،١٧، والمُجَلَّد٣، العَدَد٥، ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م، ص٢٢.

(٢) انْظُر: مَجَلَّة الغَد، السَّنَة٢، العَدَد٣٣، بَيْت لَحْم – القُدْس، ١٣٦٦هـ=١٩٤٦م، ص١٣.

(٣) انْظُر: مَجَلَّة العِرْفان، الطَّبِيْعَة والإنسان، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٩-٢١.

(٤) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٢، العَدَد٣٤، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٣٣٠-٣٣٢، والعَدَد٣٥، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٥) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة٢، العَدَد٤٠، القاهِرَة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، ص٥٧٤-٥٧٦.

(٦) انْظُر: مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة١١، العَدَد١١٩، القُدْس، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م، ص١٥٩-١٦٢.

(٧) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، الأَدْيان والمَذاهِب في الحَبَشَة، مَصْدَرٌ سابِق، ص١٨٦٦-١٨٦٧.

(٨) انْظُر: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد١٧، الجُزْء٤، صَيْدا، ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م، ص٤٣٩-٤٤٣.

(٩) انْظُر: مَجَلَّة الرِّسالَة، السَّنَة٥، العَدَد١٩٧، القاهِرَة، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م، ص٦١٨-٦١٩.

(١٠) انْظُر: مَجَلَّة المُنْتَدى، المُجَلَّد١، العَدَد٢٩، القُدْس، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ص١١.

(١١) انْظُر: مَجَلَّة رَقِيْب صِهْيَون، السَّنَة٨، العَدَد٩٣، القُدْس، ١٣٥١هـ=١٩٣٢م، ص١٠٩-١١٠، والسَّنَة٩، العَدَد٩٤، ١٣٥١هـ=١٩٣٣م، ص٣٠-٣١، والعَدَد٩٦، ص١٤٠-١٤١.

(١٢) انْظُر: مَجَلَّة العِرْفان، المُجَلَّد٢٢، الجُزْء١، صَيْدا، ١٣٥٠هـ=١٩٣١م، ص٣٤-٤١.

(١٣) انْظُر: مَجَلَّة الاقْتِصاديّات العَرَبِيَّة، السَّنَة١، العَدَد٤، القُدْس، ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م، ص٣-٦.

(١٤) انْظُر: المَصْدَر نَفْسُهُ، السَّنَة١، العَدَد٦، مصدر سابق، ص٨-١٥.

الخاتِمَة

أَلْقَتْ هَذِهِ الدِّراسَةُ ضَوءاً جَدِيْداً عَلى الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ الأُولى في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَة، الصّادِرَةِ بَيْنَ عامَي (١٩٢١-١٩٤٦م)، أي في عَهْدِ تأسِيْسِ إمارةِ شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، وانْطِلاقَةِ الحَرَكَةِ الأَدَبِيَّةِ والثَّقافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ في البِلاد، وهِيَ مُدَّةٌ حاسِمَةٌ تَشَكَّلَتْ فِيْها مَعالِمُ النَّهْضَةِ الحَدِيْثَة، فَأَخَذَ فَرِيْقٌ مِنْ أَبْناءِ الوَطَنِ المُسْتَنِيْرِيْنَ يَحْمِلُونَ هُمُومَ الكِتابَة، ويَتَبارَونَ في نَشْرِ نِتاجِ أَقْلامِهِم عَلى صَفَحاتِ المَجَلّاتِ التي كانَتْ من أَقْصَرِ وَسائِلِ النَّشْرِ المُتاحَةِ آنَذاك. وقَدِ انْتَهَتِ الدِّراسَةُ – بَعْدَ رِحْلَةٍ طَوِيْلَةٍ في تَقْلِيْبِ مُجَلَّداتِ زُهاءِ سَبْعِيْنَ مَجَلَّةً مِنْ أَهَمِّ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ المَعْرُوفَةِ في السّاحَةِ الثَّقافِيَّةِ – في تِلْكَ المُدَّةِ– إلى تَسْجِيْلِ النَّتائِجِ الآتِيَة:

أَوَّلاً: أَخَذَ الكُتّابُ العَرَبُ – مِنْ غَيْرِ الأُرْدُنِيِّيْنَ– يَكْتُبُونَ عَنِ الأُرْدُنّ – مَعالِمِهِ وعادِياتِهِ– في بَعْضِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيْمَةِ – مُنْذُ الرُّبْعِ الأَخِيْرِ مِنَ القَرْنِ التّاسِعَ عَشَر، وتَعُودُ أَقْدَمُ هَذِهِ الكِتاباتِ إلى سَنَةِ (١٨٧٨م)، أَيّ بَعْدَ عامَيْنِ – فَقَطْ– مِنْ ظُهُورِ أَعْرَقِ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، وهِيَ مَجَلَّةِ "المُقْتَطَف" التي تُعَدُّ أُولى المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي كَتَبَتْ عَنِ الأُرْدُنّ.

ثانِياً: لَمْ يَعْرِفِ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ – فِيْما ظَهَرَ بَعْدَ فَتْشٍ وتَعَقُّبٍ طَوِيْلَيْنِ– سَبِيْلَ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ قَبْلَ تأسِيْسِ إمارَةِ شَرْقِ الأُرْدُنّ سَنَةَ (١٩٢١م)، ولَمْ نَجِدْ في أَراشِيْفِ المَجَلّاتِ التي قُمْنا عَلى تَكْشِيْفِها كِتاباتٍ أُرْدُنِيَّةً قَبْلَ التّارِيْخِ المَذْكُور.

ثالِثاً: تَضافَرَتْ جُمْلَةٌ مِنَ البَواعِثِ التي أَفْضَتْ إلى نَشاطٍ حَرَكَةِ الكِتابَةِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ مُنْذُ تأسِيْسِ الدَّوْلَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الحَدِيْثَة، فأَخَذَ الكُتّابُ والأُدَباءُ الجُدُدُ يُشارِكُونَ في نَشْرِ ما يَكْتُبُونَهُ مِنْ مَقالاتٍ وإِبْداعاتٍ وتَرْجَماتٍ عَلى صَفَحاتِ تِلْكَ المَجَلّاتِ المِصْرِيَّةِ والفلسطِيْنِيَّةِ والسُّورِيَّةِ واللُّبْنانِيَّة.

رابِعاً: تَكاثَرَ الكُتّابُ الأُرْدُنِيُّونَ الأَوائِلُ في مُدَّةٍ يَسِيْرة، ونافَ عَدَدُ الذيْنَ سَلَكُوا طَرِيْقَ النَّشْرِ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ – غَيْرِ الأُرْدُنِيَّةِ– عَلى أَرْبَعِيْنَ كاتِباً، كانَ أَكْثَرُهُم في رَيْعانِ الشَّباب. ولَمْ يَكُنْ هَؤلاءِ الكُتّابُ الجُدُدُ عَلى سَوِيَّةٍ واحِدَة، فَقَدْ كانَ مِنْهُم المُكْثِرُ والمُقِلُّ في الكِتابَة، مع مُلاحَظَةِ غِيابِ الصَّوْتِ النِّسوِيِّ تَماماً.

خامِساً: وَجَدَ الرُّوادُ الأُرْدُنِيُّونَ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ المَنْفَذَ الأَوْسَعَ والأَسْرَعَ لِنَشْرِ ما في جَعْبَتِهِم مِنْ كِتاباتٍ ثَقافِيَّةٍ يُناسِبُ نَشْرُها في المَجَلّات، ولا سِيّما أَنَّ طَرائِقَ نَشْرِ الكُتُبِ لَمْ تَكُنْ مَيْسُورَةً في تِلْكَ الآوِنَةِ في بَلَدٍ ناشِئٍ لا عَهْدَ لَهُ بِالطِّباعَةِ مِنْ قَبْل. وقَدْ شَكَّلَ هَذا المَنْفَذُ المَسارَ الجَدِيْدَ الذي آوى إِلَيه كَثِيْرٌ مِنَ الرُّوادِ في هَذا الطَّوْر.

سادِساً: رَصَدَتْ الدِّراسَةُ ما يَنُوفُ عَلى ثَلاثِمِئَةِ مُشارَكَةٍ أُرْدُنِيَّةٍ في المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ عَلى مَدارِ رُبْعِ قَرْنٍ (١٩٢١-١٩٤٦م)، وهُوَ عَدَدٌ يَشِي بِنَشاطِ حَراكِ الكِتابَةِ والثَّقافَةِ في الإِمارَةِ النّاشِئَةِ التي لَمْ يَكُنْ لأَبْنائِها اعْتِناءٌ بِهَذا اللَّوْنِ مِنَ النَّشْرِ قَبْلاً.

سابِعاً: تَجاوَزَ عَدَدُ المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ التي نَشَرَ فِيْها الرُّوادُ الأُرْدُنِيُّونَ – في هَذا الطَّوْرِ المُبَكِّرِ– عِشْرِيْنَ مَجَلَّة، أَهَمُّها مَجَلَّةُ "الرِّسالَة" المِصْرِيَّةُ التي يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّها تَرْقى أَنْ تَكُونَ الوِجْهَةَ المُفَضَّلَةَ لَدى أَكْثَرِ الكُتّابِ الأُرْدُنِيِّيْنَ آنَذاك، وقَدِ اسْتَطاعَتْ هَذِهِ المَجَلَّةُ أَنْ تُشَكِّلَ حاضِنَةً ثَقافِيَّةً مَنِيْعَةً وحِصْناً فِكْرِيّاً قَوِيّاً لِجِيلِ الرُّوادِ في الأُرْدُنّ في عَقْدَيْ: الثَّلاثِيْنَ والأَرْبَعِيْنَ مِنَ القَرْنِ الفائت، حَتّى دانَتْ عِدَّةُ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِيْها – مُنْذُ سَنَةِ (١٩٣٣م) حَتّى سَنَةِ (١٩٤٦م)– مِئَةً وثَلاثِيْنَ مُشارَكَة.

ثامناً: استَطاعَ الرُّوّادُ الأُرْدُنِيُّونَ أَنْ يُحَقِّقُوا مَكاسِبَ جَمَّةً مِنَ المُشارَكَةِ فِي حَراكِ النَّشْرِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ، فَقَدْ حَقَّقُوا ما تَسْمُو إِليه ذَواتُهُم مِنَ الشُّهْرَةِ، وشارَكُوا إِخْوانَهُم العَرَبَ فِي مَيادِيْنِ النَّهْضَةِ الثَّقافِيَّةِ الجَدِيْدَةِ، واستَطاعُوا أَنْ يُنِيْرُوا عَلى المَشْهَدِ الأُرْدُنِيِّ: تارِيْخاً وثَقافَةً وإِنْساناً ومَعالِمَ أَثَرِيَّةً وجُغْرافِيَّةً، وأَنْ يَسُدُّوا بَعْضَ الفَجْوَةِ النّاجِمَةِ عَنِ العُزْلَةِ الثَّقافِيَّةِ التي طَوَّقَتِ المَنْطَقَةَ في آواخِرِ العَهْدِ العُثْمانِيِّ.

تاسِعاً: تَلَوَّنَتِ اتِّجاهاتُ كِتاباتِ الرُّوادِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ تَلَوّناً لافِتاً، حَتّى إِنَّه لَيُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّهُم وَلَجُوا سائِرَ مَجالاتِ الكِتابَةِ المَعْرُوفَةِ آنَذاك، فَقَدْ خاضُوا فِي مَيادِيْنِ: الأَدَبِ والنَّقْدِ، والتّارِيْخِ والجُغْرافِيةِ، والتّراجِمِ والسِّيَرِ، والفَلْسَفَةِ والتَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيْمِ وعِلْمِ النَّفْسِ، والإِسْلامِيّاتِ والفِرَقِ والأَدْيانِ، والاجْتِماعِ والآثارِ والسِّياسَةِ والاقْتِصادِ، والحَضارَةِ والتَّشْرِيْعِ والقانُونِ، والأَخْلاقِ والتَّصَوُّفِ، والعُلُومِ الأَساسِيَّةِ والتَّجْرِيْبِيَّةِ، والصِّحَةِ والطِّبِّ، والتَّفْكِيْرِ العِلْمِيِّ والنَّقْلِ والتَّرْجَمَةِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَجالاتِ.

عاشِراً: تَمَيَّزَتِ الكِتاباتُ الأُرْدُنِيَّةُ الأُولى فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ – فِي الغالِبِ– بِشُمُولِها وَقُوَّتِها وتَدَفُّقِها ولُغَتِها العالِيَةِ وأُسْلُوبِها المُعَبِّرِ، رُغْمَ أَنَّها مُحاولاتٌ جَدِيْدَةٌ لَمْ يَكُن لِلكُتّابِ عَهْدٌ بِها مِنْ قَبْلُ، مِمّا يَدُلُّ عَلى مُكْنَةِ الكُتّابِ أَنْفُسِهِم، واتِّساعِ آفاقِهِم، وقُدْرَتِهِم عَلى مُصاوَلَةِ كِبارِ الكُتّابِ، مَعَ أَنَّ جُلَّ هَؤلاءِ الكُتّابِ كانُوا فِي فَوْرَةِ الشَّبابِ ومُقْتَبَلِ العُمْرِ.

حادِي عَشَر: نَجَمَ عَنْ نَشاطِ حَرَكَةِ الكِتابَةِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ – فِي هَذا الطَّوْرِ– ولادَةُ عَشَراتِ الأَقْلامِ الجَدِيْدَةِ التي أَمْسَكَتْ بِزِمامِ حَراكِ الثَّقافَةِ والفِكْرِ والإِبْداعِ فِي الوَطَنِ، مُنْذُ بِدايَةِ عَهْدِ الاسْتِقْلالِ (١٩٤٦م). صَحِيْحٌ أَنَّ عَدَداً مِنَ الرُّوادِ أَنْفُسِهِم امْتَدَّ عَطاؤُهُم عُقُوداً بَعْدَ عَهْدِ الإِمارَةِ، لَكِنَّ أَنْفاسَهُم أَفْرَزَتْ جِيلاً جَدِيْداً مُسْتَنِيراً، استَوْلَتْ الكِتابَةُ عَلى اهْتِماماتِه. وهَكَذا، جاءَ عَقْدا: الخَمْسِيْنَ والسِّتِّيْنَ بِعَشَراتِ الكُتّابِ الجُدُد، ومِئاتِ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ.

ثانِي عَشَر: تُعَدُّ المَجَلّاتُ العَرَبِيَّةُ القَدِيْمَةُ مَصْدَراً مُهِمّاً لا يُمْكِنُ إِغْضاءُ الطَّرْفِ عَنْهُ فِي دِراسَةِ مَناحِي الحَياةِ الثَّقافِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ فِي الأُرْدُنِّ فِي العُقُودِ الأُولى لِتَأْسِيْسِ الدَّوْلَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الحَدِيْثَة؛ إِذْ حَمَلَتْ هَذِهِ المَجَلّاتُ فَيْضاً مِنَ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ المُنَوَّعَة، واسْتَطاعَتْ – فِي ضَوءِ قِلَّةِ المَجَلّاتِ الأُرْدُنِيَّةِ وتَعَثُّرِها آنَذاك– أَنْ تَنْقُلَ أَصْداءَ الصَّوْتِ الثَّقافِيِّ الأُرْدُنِيِّ الغائِبِ عَنِ المَشْهَدِ العَرَبِيِّ. ولِذا، فإِنَّ هَذِهِ المَرْجِعِيَّةَ المُضْمَرَةَ لا يُسَوِّغُ اطِّراحُها، أَو التَّغافُلُ عَنْ تَوْظِيْفِها فِي البَحْث؛ بِحُجَّةِ عَناءِ تَقْلِيْبِ المَجَلّاتِ القَدِيْمَة، ووعُورَةِ الحَفْرِ فِي سِجِلّاتِها المُؤَرْشَفَةِ الشّاسِعَة، وعَدَمِ إِتاحَتِها بِشَكْلٍ مُتَكامِل.

ثالِث عَشَر: لا تَحْمِلُ هَذِهِ الوَرَقَةُ الصُّورَةَ النِّهائِيَّةَ لِمَشْهَدِ الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةِ الأُولى فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّة، فَرُغْمَ تَمَكُّنِ الباحِثِ مِنْ تَكْشِيْفِ سِجِلّاتِ زُهاءِ سَبْعِيْنَ مَجَلَّةً كانَتْ تَصْدُرُ آنَذاك، ما زالَ ثَمَّةَ مُرْتَجًى فِي العُثُورِ عَلى طائِفَةٍ أُخْرى مِنَ المُشارَكاتِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي مَجَلّاتٍ أُخْرى.

وبَعْدُ، فَيُوصِي الباحِثُ بِبِناءِ مُدَوَّنَةٍ مَرْجِعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ مُوَثَّقَةٍ تَضُمُّ بَيْنَ دَفَّتَيْها الكِتاباتِ الأُرْدُنِيَّةَ التي نَشَرَها الأَرادِنَةُ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ فِي عَهْدِ الإِمارَةِ (١٩٢١-١٩٤٦م)، ووَضْعِها بَيْنَ أَيْدِي الباحِثِيْن؛ لِلإِفادَةِ مِنْها فِي إِعادَةِ كِتابَةِ تارِيْخِ الحَياةِ الثَّقافِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ لِمَنْطِقَةِ شَرْقِيِّ الأُرْدُنّ، إِبّانَ طَوْرِ التَّأْسِيْس.

الدهور

مجلة
الاقتصاديات العربية

الطليعة

الرواية

السلام الخير

الثقافة

الأديب

الغد

الذخيرة
مجلة اسبوعية للعلوم والآداب والفنون
AZ-ZAKHIRAH

صُوَرُ طائِفَةٍ مِنَ الرُّوّادِ الأُرْدُنِيِّينَ النّاشِرِينَ فِي المَجَلّاتِ العَرَبِيَّةِ (1921-1946) مُرَتَّبِينَ وَفْقَ أَقْدَمِيَّةِ السِّنّ

سَعيد الكَرْمي

شُكري شَقْشاعة

تَوفيق الحَنّاوي

محمّد الشُّريقي

مُصطفى وَهبي التَّل

تيسير ظبيان

رُوكس العَزيزي

أديب عبّاسي

محمّد الخضْر الشّنقيطي

حُسني فَريز

صبّاح الرُّوسان

محمّد أديب العامري

سُليمان النّابلسي

يعقوب العودات

بَشير الشُّريقي

جُورج العَرَيْدات

خليل الطّوال

عبد الحليم عبّاس

جريس القسّوس

فرحان شبيلات

عيسى النّاعوري

عبد المنعم الرّفاعي

رفعت المصلّبي

محمود سيف الدّين الإيراني

ناصر الدّين الأسد

محمّد سليم الرّشدان

خليل السّالم

مُصطفى الحَرّام

مُصطفى زَيْد الكيلاني

سُليمان الخديدي

علي الحياري

أميل جميعان

البحث اللسانيّ الصّوتيّ في الأردن خلال المئويّة الأولى

أ.د سيف الدين الفقراء *

ملخّص

يدرسُ البحثُ اتّجاهات البحث اللسانيّ الصّوتيّ في اللغة العربيّة في المملكة الأردنيّة الهاشمية خلال المئويّة الأولى، بهدف بيان اتّجاهات البحث اللسانيّ في هذا الحقل، وتوثيق الدراسات وإبراز دور الباحثين في المملكة في هذا الحقل البحثيّ، وقام البحث على توزيع الحقول البحثية إلى علم الأصوات العام، والفنولوجيا، والتوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنية، وعيوب النطق وأدواء الكلام (الأرطفونيا)، وعلم الأصوات التاريخيّ المقارن.

تنبع مشكلة البحث من عدم وجود دراسة توثيقيّة لجهود الأردنيين في البحث الصّوتيّ في العربيّة، وقد اتّخذ الباحثُ من المنهجين الوصفي والتاريخي أداة في توصيف هذه البحوث، لتحقيق غايته في بيان هذه الدراسات واتّجاهاتها.

الكلمات الدالة: اللسانيّات، الأصوات، المئويّة الأولى، الأردن، اتّجاهات.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Linguistic Research in Phonetics During the First Centenary in Jordan

Prof. Saif Al_dain Taha Alfuqara

Abstract

The research studies the trends of phonetic-linguistic research in the Arabic language in the Hashemite Kingdom of Jordan during the first centenary. The research aims to indicate the trends of linguistic research in this field, to document its studies, and to highlight the role of researchers in the Kingdom in this research field. The research was based on the distribution of research fields to general phonetics, phonology, the phonetic lesson of Quranic readings, pronunciation defects, and comparative historical phonetics.

The problem of the research stems from the lack of a documentary study to the efforts of Jordanians in phonetic research in Arabic, the research used the descriptive and historical method as a tool in describing these researches, to show these studies and their trends.

Keywords: Phonetic, Linguistic, First centenary, Jordan.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين حمداً يليق بجلاله، والصّلاة والسلام على سيدّ الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيته، وأصحابه الأطهار، وعلى تابعيه، أمّا بعد:

فهذا بحث مداره اتّجاهات البحث اللسانيّ في الصّوتيّات خلال المئويّة الأولى في الأردن، وتتبع مشكلته من عدم وجود دراسة وصفيّة توثيقيّة لجهود الباحثين الأردنيين في اللسانيّات الصّوتيّة الحديثة، تُبرز اتّجاهات البحث في الصّوتيّات، وتبيّن دور المؤسسات الأكاديميّة الأردنيّة في هذا المجال، وتكشف تطوّر هذا الاتّجاه البحثيّ في المملكة الأردنية الهاشميّة.

إنّ أهميّة البحثِ تنبعُ من غزارة التأليفِ في هذا الاتّجاه اللسانيّ في الأردن، وتنوّع الاتّجاهات البحثيّة في هذا الحقل من الباحثين الأردنيين الذين تركوا بصمة عميقة الأثرِ في الجهود العلميّة في ميدان الصّوتيّات، وأسهموا بفاعليّة في تطوّر البحوث اللسانيّة في الصّوتيّات العربيّة، وهذه الغزارة في الإنتاج يقابلها قلّة في البحوث والدراسات التي توثّق هذه الجهود، وتُبرز أبعادها في البحث العلميّ في الوطن العربيّ.

إنّ الهدف الذي سعى البحث إلى تحقيقه هو بيان اتّجاهات البحث اللسانيّ في الصّوتيّات لدى الباحثين المختصّين في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، وإبراز تنوّع حقول البحث اللسانيّ الصّوتيّ لديهم، وتوثيق بحوثهم ومصنفاتهم في الصّوتيّات العربيّة، وكشف التطوّر في هذه البحوث في المئويّة الأولى لتأسيس المملكة الأردنيّة الهاشمية، الذي يعكس بدوره تطّور البحث العلميّ في المملكة، ويمتدّ أثره إلى تطّور البحث اللسانيّ الصّوتيّ في الوطن العربيّ.

اتّخذ البحث من المنهج الوصفيّ أداة في الدّراسة من خلال استقصاء الدراسات اللغويّة في الصّوتيّات في الأردن، وتصنيفها وتبويبها حسب اتّجاهاتها، وصولاً إلى الإجابة عن أسئلة الدراسة الماثلة في: ما اتّجاهات البحث اللسانيّ الصّوتيّ الحديث في الأردن؟ وما مدى تطّور البحث في هذا الحقل؟ وما إسهامات الباحثين الأردنيين في هذا الاتّجاه البحثيّ؟

لقد توافرت دراسات سابقة في هذا الموضوع منها ما هو على صعيد الدول العربيّة مثل دراسة نعمان بوقرة، الموسومة بـــ(اتّجاهات الدراسات اللسانيّة الحديثة في المملكة العربيّة السعودية) المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٩ ع ١، ٢٠١٣م، و(البحث اللغويّ في لبنان في القرن التاسع عشر) رياض قاسم، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، ١٩٧٢، و(البحث اللسانيّ في المغرب) رسالة دكتوراه لفاطمة الزهراء بغداد، جامعة وهران، ٢٠١٧م، و(اتّجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر) رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٩٤. و(الحركة اللغويّة في المملكة العربيّة

السعوديّة) رسالة دكتوراه، إبراهيم علي، جامعة أم القرى، ١٤٢٣ه. ومنها ما هو على صعيد المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ومنها:

- أعمال مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ اللغويّة والنحويّة، فاطمة عليمات، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٦.
- الدراسات اللغويّة في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين، رسالة دكتوراه، عمران الطويل، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢. وقد أفرد الباحث الفصل الأول من الرسالة للدراسات الصّوتيّة في الأردن، وذكر منها ثلاثة كتب فقط، وعشر رسائل علميّة، وعرض تسعة أبحاث في الصّوتيّات[١]. وقد نشر الباحثُ نفسُه بحثاً من هذه الرسالة بعنوان (ملامح من الدرس اللغوي الحديث في الأردن)، مجلة جامعة المنصورة، العدد٥٢، لسنة ٢٠١٣[٢].
- "جهود داود عبده في الدراسات اللغوية العربيّة"، إسلام محمود، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، إشراف زيد القرالة، ٢٠١٩، وفيها إبراز للجوانب الصّوتيّة في جهود داود عبده.
- (جهود سمير استيتية في صوتيّات العربيّة) رسالة الماجستير لميسون عبد الفتاح البطاينة جامعة اليرموك. ٢٠١٨، إشراف مصطفى حيادرة. وفيها إبراز للجوانب الصّوتيّة في جهود سمير استيتية.
- (نهاد الموسى وجهوده اللغويّة) رسالة ماجستير لفتحية الدبابسة، جامعة الخليل،٢٠١١. وفيها فصول عن جهوده اللسانيّة.

اقتضت طبيعة البحث أن أقسّم الموضوع على المباحث التالية:

أولاً- الإرهاصات الأولى للبحث اللغويّ في الأردن.

ثانياً- البحث اللسانيّ في علم الأصوات العام/ الصّوتيّات(phonetics).

ثالثاً- البحث اللسانيّ في الصّوتيّات الوظيفيّة (phonology).

رابعاً- البحث اللسانيّ في التّوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنية.

خامساً- البحث اللسانيّ في عيوب النطق وأدواء الكلام.

---

(١) انظر: الطويل، عمران، *الدراسات اللغويّة في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين*، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢، إشراف رشيد العبيدي، ص٢٠- ٧٢.

(٢) انظر: الطويل، عمران، *ملامح من الدرس اللغويّ الحديث في الأردن*، مجلة جامعة المنصورة، العدد٥٢، لسنة ٢٠١٣، ص ٢٦٨-٢٨٤.

سادساً- البحث اللسانيّ في الصّوتيّات التاريخيّة المقارنة.

أولاً- الإرهاصات الأولى للبحث اللغويّ في الأردن:

كانت المنطقة التي تعرف بـــ(شرقي الأردن) جزءاً من سوريا، وخاضعة للدولة العثمانيّة منذ ١٥١٦م، وخضعت لحكمهم أربعة قرون"[١]. وكانت حالها كحال المناطق المحيطة بدمشق من سيطرة البداوة على حياة الناس، وتعاني من الفوضى والاضطراب في معظم شؤونها، وقد لخّص علي محافظة أحوال هذه المنطقة وأهلها وما تتّسم به من عدم استقرار بما يغني عن الإعادة[٢]، وهذا ما دونه المستشرقون الذين طافوا في هذه المنطقة وعايشوا أهلها في تلك الحقبة[٣].

وعلى أثر التطوّرات المتلاحقة والمتسارعة التي شهدتها سوريا والحجاز خلال المدة من ١٩١٦إلى عام ١٩٢٠ كان شرق الأردن جزءاً من العهد الفيصلي، إلى أن انفصلت عن سوريا بموجب اتفاقية سايكس بيكو المشؤومة عام ١٩١٦م، التي أدخلت شرقي الأردن تحت النفوذ البريطاني، وتوالت الأحداث في سوريا والعراق بتأثير فرنسا وبريطانيا حتى دخلت القوات الفرنسية في سوريا بعد معركة ميسلون عام ١٩٢٠، فغادر فيصل إلى فلسطين، وانهارت المملكة السورية، وفرضت فرنسا سيطرتها على سوريا ولبنان، ولم تتوغل القوات الفرنسية في شرقي الأردن وبقيت المنطقة بلا حكومة ولا أمن ولا جيش، حتى امتدت إليها يد بريطانيا وشكلت فيها ست حكومات (إدارة) محلية عام ١٩٢٠، واستمرت هذه الحكومات ذات الطابع العشائري، حتى عام ١٩٢١م، ولكنّها لم ترتق إلى مستوى الدولة المركزيّة[٤].

في عام نهاية عام ١٩٢٠م انطلق الأمير عبدالله بن الحسين من الحجاز باتّجاه بلاد الشام قاصداً تحرير سوريا، ثمّ توالت الأحداث بسبب الوضع في العراق وفلسطين والوضع الداخلي لبريطانيا، وعُقد مؤتمر القاهرة لبلورة السياسة البريطانية في المنطقة في ضوء توجهات الأمير في تحرير سوريا وإعادتها إلى حكم فيصل، وتمّت دعوة الأمير إلى القدس للقاء تشرشل، وتمّ الاتفاق على إنشاء حكومة

(١) محافظة، علي، *تاريخ الأردن المعاصر*، عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦، ط١، عمّان، ١٩٧٣، ص٥.

(٢) محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص٥-١٠.

(٣) بيركهارت، يوهان، *رحلات بيركهارت*، ترجمة أنور عرفات، المطبعة الأردنية، عمّان، ج٢، ص ١٧٤-١٧٨.

(٤) انظر: محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص١٥- ١٩. الماضي، منيب، والموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين، عمان، ١٩٥٨، ص١٠٦-١٠٩

في شرقي الأردن، ضمن اتفاق تضمن عدة بنود، وأنشئت الإدارة المركزية في ٢١ نيسان ١٩٢١، لتكون نواة المملكة الأردنيّة الهاشمية "[١].

ظلت البلاد تعاني من عدم الاستقرار والتقلّبات السياسيّة، وغياب سيطرة الدولة والتأثّر بتداعيات الأحداث في بريطانيا وفرنسا ونفوذهما في العراق وسوريا وفلسطين، وظلت الأردن تدار بموجب قانون إدارة الولايات العثمانية حتى عام ١٩٢٧، عندما صدر قانون أردنيّ جديد جعل اسم الدولة (إمارة شرقيّ الأردن) ونظّم الدولة في أربعة ألوية هي: عجلون والبلقاء والكرك ومعان، واتّخذت إجراءات كبيرة في التنظيم المالي والعسكري والأمني والإداري، وشهدت اضطرابات كثيرة أيضاً[٢].

خلال هذه المدة نجد شواهد على الحركة الثقافيّة والبحث اللغويّ، ففي سوريا إبان الحكم الفيصلي كان هناك لجان للتعريب منها لجنة التعريب: وتُعرف باللجنة أو الشعبة الرابعة وهي تابعة لديوان الشورى الحربي، وهذا الديوان مقسّم على ثلاث شعب، تُعرف الثالثة منها باسم شعبة التعليم والتمرين العسكري، وقد قامت هذه الشعبة بترجمة كتب في العلوم العسكرية عن اللغة التركية، ومنها: "آداب التحية العسكرية"، و"نظام الملابس العسكرية والمغفر"، و "رياضة الفرسان"، و"الفصل الخاص بالإيعازات: إيعازات الرياضة البدنية"، و"نظام خيل القُنية".[٣] وتُرجمت مجموعة أخرى من الكتب العسكرية حتى سنة ١٩١٩م. وكانت الكتب المترجمة: "تُبعث إلى لجنة خاصة تجتمع في المدرسة الحربية كل يوم، مؤلّفة من خيرة الكتّاب واللغويين لتهذيبها، ووضع اصطلاحاتها بالعربيّة الفصحى"[٤]. وهذا موضوع أفاض الدكتور سمير الدروبي في الحديث عنه في كتاب له عن المجامع اللغويّة في عهد الهاشميين، سيصدر عن وزارة الثقافة لهذا العام.

ويرى محمّد كرد علي أنّ هذه الشّعبة هي اللبنة التي قام عليها المجمع العلمي فيما بعد[٥]. وقد كان للمجمع العلمي ألذي أنشأه الملك فيصل دور فاعل في التعريب، إذ أنشأت الحكومة في عهده شعبة

---

(١) انظر: محافظة، *تاريخ الأردن المعاصر*، ص١٥- ١٩. الماضي، منيب، والموسى، سليمان، *تاريخ الأردن في القرن العشرين*، ص١٠٦-١٠٩، وانظر الزركلي، خير الدين، *عامان في عمّان*، تحقيق ومراجعة عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩، ص٦-٧.

(٢) انظر: محافظة، *تاريخ الأردن المعاصر*، ص٤٠- ٤٨. الزركلي، عامان في عمّان، ص ١٢- ١٥.

(٣) انظر: قاسمية، خيرية: *لمحات من الحياة التعليمية والثقافية في ظل حكومة فيصل في دمشق* ١٩١٨-١٩٢٠م"، بحث منشور ضمن كتاب: *بناء الدولة العربية الحديثة*، تحرير: هند أبو الشعر، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٨م، ص٢٠٧.

(٤) جريدة العاصمة (*جريدة الحكومة الرسمية*)، ١٧ شباط، سنة ١٩١٩م، ص٧.

(٥) كرد علي، محمّد، *أعمال المجمع العلمي العربي*، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، مجلد ٢، ص٣٥٤.

الترجمة والتأليف سنة ١٩١٨م، وعرفت باسم الشعبة الأولى، وتحولت إلى ديوان المعارف في الثاني عشر من شهر شباط عام ١٩١٩م، وعهد لمحمَّد كرد علي رئاسة هذا الديوان، وتحول هذا الديوان بأعضائه الثمانية ورئيسه إلى مجمع علمي في ٨ حزيران ١٩١٩م"[١]. وقد أصدر علي رضا الركابي الذي كان حاكماً عسكرياً للحكومة العربيّة قراراً بتحويل ديوان المعارف إلى مجمع علميّ. وكان في أعضائه: أمين سويد، وعيسى اسكندر المعلوف، وأنيس سلوم، وسعيد الكرمي، وعبد القادر المغربي، ومِتْري قَنْدَلَفت، وعزّ الدِّين آل علم الدِّين، وطاهر الجزائري، وتميز الأعضاء بتنوع تخصصاتهم[٢]، وهم من ذوي الخبرة والمعرفة الواسعة، وكان معظمهم من العلماء باللغة العربيّة وآدابها، ولهم في ذلك المصنَّفات، ويتقنون أكثر من لغة، وكان بعضهم من العلماء الموسوعيين، كعبدالقادر المغربي، ومحمَّد كرد علي، وطاهر الجزائري.

وحددت الأهداف المناطة بالمجمع التي يسعى إلى تحقيقها، وهي: النظر في اللغة العربيّة وأوضاعها العصرية. ونشر آداب اللغة العربيّة وإحياء مخطوطاتها. وتعريب ما ينقص العربيّة من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربيّة وتعريب الكتب المفيدة. وجمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات، ونقود وكتابات، وجمع المخطوطات الشرقية[٣].

كان لأعضاء المجمع المؤازرين دور في التعريب والترجمة، ومنهم الطبيب مرشد خاطر (١٨٨٨-١٩٦١م)، وله فضل في تعليم الطب باللغة العربيّة، وله مصنّفات طبيّة باللغة العربيّة منها "الأمراض الجراحية" ستة مجلدات، وشارك في ترجمة "معجم المصطلحات الطبية، وكان من الأعضاء العاملين في المجمع العلمي العربيّ بدمشق، وتوفي بها، وله في مجلة المجمع أبحاث كثيرة، وصنف كتباً، طبع منها (إصلاح النسل)، و(الأمراض الجراحية) ستة مجلدات، و(فن التمريض)، و(موجز الأمراض الجراحيّة) مجلدان. وشارك في ترجمة (معجم المصطلحات الطبيّة)، وفي تأليف (السريريات والمداواة الطبية) مجلدان، و(معجم طبي عربي فرنسي) يشتمل على (٤٠) ألف لفظة طبية "[٤]. ومن الأطباء المؤازرين في المجمع الذين أسهموا في نقل الكتب الطبية إلى العربيّة الطبيب حكمة المرادي (١٨٨٨-١٩٢٨م)، الذي ترجم كتاب "الطب الشرعي" في ستة أجزاء صغيرة[٥].

---

(١) كرد علي: *أعمال المجمع العلمي العربي*"، ص٣٥٤.

(٢) الدروبي، سمير: *المجامع اللغويّة في عهد الهاشميين*، كتاب قيد النشر من وزارة الثقافة، عمّان، ص ١٢٠-١٢٦.

(٣) الدروبي، *المجامع اللغويّة في عهد الهاشميين*، ص ١٥٩-١٦٠.

(٤) انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: ١٣٩٦هـ)، *الأعلام*، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م ، ج٧، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٥) انظر: الزركلي، *الأعلام*، ج٢، ص٢٦٨. الدروبي، *المجامع اللغويّة في عهد الهاشميين*، ص ١٧٤.

إنّ هذه النشاطات وغيرها تشير إلى التوجهات العلميّة للحكومة الفيصلية في التعريب والترجمة والتأليف، ولكنّ سرعان ما انتهت هذه الجهود بنهاية الدولة الفيصلية التي كانت الأردن جزءاً منها، ومع نشوء الإمارة في شرقي الأردن، وقدوم الأمير عبدالله، كانت الأوضاع السياسة المضطربة والمتسارعة وغياب مقومات الدولة والتركيز على تكوين إدارة مركزية تحول دون أي نشاط من هذا القبيل في مجال البحوث والتأليف والترجمة، لا سيما أنّ الإمارة الوليدة ما زالت في حضانة بريطانيا وتحت انتدابها، وتشهد تطورات متلاحقة في التأسيس ومجابهة الصراع مع نجد والقبائل واليهود، ومع سوريا منذ ١٩٢١إلى١٩٢٨.

بعد عام ١٩٢٨م انشغلت الإمارة الجديدة بتأسيس الدولة وبناء مؤسّساتها وتطويع العشائر وصهرها في الدولة، كما انشغلت بالصراعات السياسيّة المحيطة وتوطيد الأمن، والاستقلال عن بريطانيا، وقد تحقّقت تطورات كبيرة في هذه المرحلة[١]، والذي يعنينا من هذه التطورات الشأن التعليميّ وما له صلة بالبحث اللغويّ، فقد أسّس أول مجمع للغة العربيّة في الإمارة في تموز١٩٢٣م، برئاسة سعيد الكرميّ، وكان بعض أعضائه ممن شاركوا في المجمع العربي في سوريا في عهد فيصل بن الحسين، وتقرر إصدار مجلة علمية باسم (المجمع العلمي في الشرق العربيّ)[٢]، وقد شهد التعليم في عهد الإمارة تطورات كبيرةً في المرحلة الأساسية والتعليم الثانوي والمهني، وقد بدأ الاهتمام بالتعليم الجامعي منذ ١٩٢٨ فقد كان عدد المبعوثين إلى الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٢٨ خمسة طلاب، وعدد المبعوثات إلى دار المعلمات في القدس ثلاث معلمات، وفي عام ١٩٣٤ صدرت تعليمات تنفيذية لتنظيم الابتعاث[٣].

لم يحالف الحظّ المجمع الوليد في تحقيق أهدافه وممارسة نشاطاته بسبب الظروف المرافقة لنشأة الدولة، ومضى الأمر على هذه الحال منذ ١٩٢٣ الذي تأسّس فيه المجمع على يد العالم الوزير سعيد الكرمي عقب تكليفه بذلك من الأمير عبد الله الأول، وقد تولى الكرمي رئاسة المجمع. وكان الهدف من إنشاء المجمع هو إحياء اللغة العربيّة، ونشر المدارس، وإلقاء المحاضرات، وإنشاء دار كتب، وإصدار مجلة شهرية، ولكن العمل توقّفَ في المجمع لقلّة الإمكانات، وعدم الاستقرار الذي رافق إنشاء الإمارة.

وفي عام١٩٦١م أنشئت اللجنة الأردنيّة للتعريب والترجمة والنشر وهي تابعة لوزارة التربية والتعليم الأردنيّة. وكانت إحدى أفكار هذه اللجنة أن يقام مجمع للغة العربيّة في الأردن. وفي عام ١٩٧٣م وافق مجلس الوزراء على تأسيس المجمع، حتى صدرت الإرادة الملكية بإنشائه في ١٩٧٦م

(١) انظر: عبدالله بن الحسين، *مذكراتي*، مؤسسة هنداوي القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٩٥- ٢١٢ محافظة، *تاريخ الأردن المعاصر*، ص٦٥- ١٢٣.

(٢) انظر: محافظة، *تاريخ الأردن المعاصر*، ص ١٤٧.

(٣) انظر: محافظة، *تاريخ الأردن المعاصر*، ص ١٦٣.

الذي نهض بمسؤوليات جسام في التأليف والترجمة والتعريب، وإنشاء مجلة للغة العربيّة كانت وعاءً لنشر أبحاث كثيرة في اللغة والأدب والإنسانيات.

لقد نشطت الحركة الأدبيّة في الأردن إبان الإمارة وبعدها، وهذا موضوع حظي بدراسات كثيرة تناولت تطور الحركة الأدبيّة في عهد الإمارة وبعدها، مثل كتاب سمير قطامي عن الحركة الأدبيّة في شرقي الأردن، وما نشره روكس بن زائد العزيزي، وما نشره تيسير ظبيان، ويعقوب العودات، وجريس القسوس، وعيسى الناعوري، ناهيك عمّا أصدره ناصر الدين الأسد من كتابيه: (الاتّجاهات الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن)[١] و(الشعر الحديث في فلسطين والأردن) [٢]. وما أصدره هاشم ياغي عن القصة القصيرة في الأردن، وتركي المغيض عن الحركة الشعريّة في بلاط الملك عبدالله. ولكنّ هذا النشاط لم يواكبه نشاط مماثل في البحث اللغويّ واللسانيّ في المملكة.

إنّنا نستطيع القول إنّ البحث اللسانيّ الحديث بدأ مع إنشاء الجامعة الأردنيّة عام ١٩٦٢ ومع إنشاء كلية الآداب التي ضمّت قسماً للغة العربيّة وآخر للغة الانجليزية، وهذا ساهم في توفير علماء للنهوض بالدراسات اللغويّة، كما كانت الجامعة وسيلة لإيفاد المبعوثين الذين شكلوا العمود الفقري للبحث اللغوي فيما بعد. وقد جاء إنشاء هذه الجامعة في الوقت الذي ازدهرت فيه الجامعات في الدول المحيطة، لا سيما مصر التي رفدت جامعاتنا بالعلماء وأعضاء هيئة التدريس، وكانت البحوث اللسانيّة فيها على درجة من التألق على يد تمام حسان، وإبراهيم أنيس، ورمضان عبد التواب، وشوقي ضيف، وكمال بشر، ومحمد حماسة عبد اللطيف وغيرهم.

لقد كانت الجامعة ومجمع اللغة العربيّة الأردنيّ أهمّ رافدين للبحث اللسانيّ في الأردن، ناهيك عمّا أسهمت به الجامعات الأردنيّة الأخرى من إيفاد مبعوثين في اللغويات والنظريات اللسانيّة وعادوا ليسهموا في الحركة البحثيّة والنشر في اللسانيّات. أمّا قبل إنشاء الجامعة الأردنيّة فقد كان البحث اللغوي في مجال الترجمة والتعريب للجنة الخاصة بالتعريب التي كانت نواة للمجمع اللغويّ، ومن أعمالها[٣]:

- آثار الأردن، لانكستر هاردغ، وترجمة سليمان موسى، صدر سنة ١٩٦٤.
- طاغور، كريشنا كريجلاني، وترجمة حسيني فريز (بتصرّف) صدر سنة ١٩٦٤.
- من القصص العالمي، ترجمة عيسى الناعوري، صدر سنة ١٩٦٨.

(١) الأسد، ناصر الدين، *الاتّجاهات الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة ١٩٥٠*، ط٢، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٠٩.

(٢) الأسد، ناصر الدين، *الشعر الحديث في فلسطين والأردن حتى سنة ١٩٥٠*، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٠٩.

(٣) الطويل، عمران، *الدراسات اللغويّة في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين*، ص ١٠.

- ابن سينا، بارون كارادیفو، ترجمة عادل زعيتر، صدر سنة ١٩٧٠م.
- الإهدار التربوي، تأليف برايمر وبادلي، ترجمة صادق عودة، صدر سنة ١٩٧٤م.
- التربية عام ٢٠٠٠م تقرير وضعه (ت هيوسن) السويدي للمجلس الوطني للتربية في السويد، ترجمة السيدة إحسان أبو غربية، صدر سنة ١٩٧٤.

لقد برزت مؤلفات قليلة جداً في اللغة في الحقبة التي سبقت إنشاء الجامعة الأردنيّة وإنشاء مجمع اللغة منها: دراسة خليل السكاكيني (مطالعات في اللغة والأدب) صدر عام ١٩٢٠م، عن دار الأيتام الإسلامية في القدس، ودراسات أخرى لجبران ميخائيل فوتيه في كتابه (الطرف الشهية في تحصيل القواعد الصرفية)، و(السائغ الصّرف في تحصيل علم الصّرف) صدرا في بيروت عام ١٩١٢م، وكتاب عبد الرؤوف رزق إسماعيل (قاموس غريب القرآن الكريم) مكتبة الطاهر، يافا، ١٩٤٣م، وله (قاموس البيان في غريب القرآن)، عمان، مكتبة المحتسب، ١٩٥٧م[١].

إنّ إنشاء الجامعة الأردنيّة وبعدها إنشاء سلسلة الجامعات الحكوميّة والخاصة التي ربت على عشرين جامعة في نهاية القرن العشرين، وكذلك إنشاء مجلات علميّة في هذه الجامعات، وإنشاء المجمع في مطلع السبعينات من القرن العشرين، وإنشاء مجلته، وإرسال البعثات العلميّة إلى مختلف دول العالم لا سيما أوروبا وأمريكا، ودعم النشر من وزارة الثّقافة ومؤسسات التعليم العالي والجامعات، وتوافر دور نشر ذات سمعة عالمية في عمّان، وتمكين الباحثين من الاطلاع على البحث اللسانيّ في العالم والإقليم، واستقطاب بعض العلماء للتدريس في الجامعات الأردنيّة، كلّها عوامل أسهمت في توسيع مجالات البحث اللسانيّ في المملكة، وتشعب تخصصاتها، وساعد الاستقرار ووجود أسس متينة للتعليم الأساسي والعالي في الدولة الأردنيّة على تطوّر هذه النهضة العلمية التي تعدّ من التجارب المتميزة، وحظي موضوع تطّور التعليم العالي في الأردن برسالة ماجستير لميساء جرادات، جامعة جرش، ٢٠١٣، كشفت فيه مظاهر هذا التطّور وبيان عوامله[٢]. إنّ تطوّر البحث اللسانيّ في الأردن كان مواكباً لتطوّر الدراسات اللغويّة في الوطن العربيّ لعوامل تتعلق بالبعثات العلميّة، والجامعات، وتوافر دور النشر، والتأثر بالغرب، وغير ذلك[٣].

(١) الطويل، *الدراسات اللغويّة في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين*، ص ١٦.

(٢) جرادات، ميساء حمزة، *تطّور التعليم العالي في الأردن*؛ دراسة تاريخيّة، رسالة ماجستير، جامعة جرش، إشراف باسم حوامدة، ٢٠١٣.

(٣) العارف، عبدالرحمن، *واقع البحث اللساني الحديث واتجاهاته*، أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والآفاق، فاس،٢٠٠٧، ص ٣٥-٥٠.

لقد كان لمجمع اللغة العربيّة الأردنيّ دور فاعل في تهيئة الظروف لتطوّر البحث العلميّ سواء من خلال منشوراته أو من خلال موسمه الثّقافي وندواته ومحاضراته وترجماته، أو من خلال مجلة المجمع التي كانت وعاء لنشر الدراسات المحكّمة التي تتّصل باللغة العربيّة وآدابها ومن بينها اللسانيّات، منذ عام ١٩٧٨، وقد حظيت هذه الجهود برسالة دكتوراه لفاطمة عليمات، ٢٠٠٦. وثمّة موضوع لا يجوز إغفاله وهو جهود الباحثين الأردنيين في تحقيق التراث، ومن بين هذا التراث مصنفات في اللغة والنحو والصرف، وينطوي قسم منها على موضوعات صوتيّة بسبب منهاج القدماء في الجمع بين المستويات اللغويّة في التصنيف، وهذا الموضوع انبرى له الدكتور محمد الدروبيّ بكتاب قيّم ربت صفحاته على (٧٠٠) صفحة، وثّق فيها جهود الأردنيين في التحقيق وإحياء التراث، وسيكون لنا معه وقفة في نهاية البحث.

ثانياً- البحث اللسانيّ في الصّوتيّات(phonetics):

لم يكن للسانيات وجود قبل القرن التاسع عشر بوصفها مجالاً معرفياً متميّزاً، له منهجه العلميّ ونظرته العامة الراسخة الأساس[١]، وفي العقود الأولى من القرن التاسع عشر انصبّت البحوث اللغويّة على الدراسات المقارنة والأُسَر اللغويّة، وتركّزت على اللغات الهند أوروبيّة، ثمّ توسّعت في النصف الثاني من القرن التّاسع عشر لتشمل بقية الأُسَر اللغويّة، وسميت تلك الدراسات بالاتّجاه الرومانسي[٢]، وأرسى المذهب النفسي قواعده في نهاية القرن التاسع عشر على يد (شتاينتهال) وبتأثير من نظريات الألماني (هامبولدت)[٣]. ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ظهر النحاة المحدثون (جماعة ليبزيج) الذين ساروا في منحى جديد في الدراسات التاريخيّة المقارنة تركّز على مقارنة التغيرات الصّوتيّة في اللغات، ومعرفة قوانين التطوّر اللغويّ، وقد ركز النحاة المحدثون على العوامل الفسيولوجية في التطوّر، وعلى اللهجات الحيّة[٤].

شهد القرن العشرون منحنى جديداً في البحث اللسانيّ بظهور البنيويّة، واستناد التّحليل العلميّ إلى نظرية المعرفة (الابستيمولوجيا)، وفي مطلع هذا القرن كانت اللهجات الحيّة هي الأوفر حظاً في الدراسات اللغوية، وبلغ علم الدلالة وعلم التراكيب طور النضج، وكذلك تطوّرت الأسلوبية، وعلم

(١) إفيتش، ميلكا، *اتّجاهات البحث اللسانيّ*، ترجمة سعد مصلوح، ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ٧.

(٢) إفيتش، *اتّجاهات البحث اللسانيّ*، ص ٤٦.

(٣) إفيتش، *اتّجاهات البحث اللسانيّ*، ص ٧٤.

(٤) إفيتش، *اتّجاهات البحث اللسانيّ*، ص ٨٣-٨٩.

السيمولوجيا (السيميائية)، واللسانيّات النفسية، والنحو التوليديّ، والنحو التقابليّ، وتقدمت الدراسات الفيلولوجية تقدماً كبيراً[١].

اتّخذ البحث اللغويّ اتّجاهاً في العصر الحديث يقوم على نظرية المستويات في التحليل اللغويّ، وهذا من نتاجات علم اللغة الوصفي وتطوّراته، الذي فرض نفسه على ميدان الدراسات اللسانيّة الحديثة، بدءاً بمستوى الأصوات، ثمّ البنى الصرفيّة، ثم التراكيب، ثمّ الدلالة، ثمّ بروز المناهج اللسانيّة التطبيقية مثل التوليدية، والتداولية، وعلم لغة النص، وتحليل الخطاب والحجاج.

انعكست النظريات المعاصرة في التحليل الصّوتيّ التي تطوّرت على يد سوسير وجونز ومدرسة براغ وبلومفيلد على الدّراسات الصّوتيّة وغيّرت وجهتها[٢]، وأثّرت هذه الاتّجاهات العالميّة في واقع الدراسات اللسانيّة على الأمة العربيّة، وبرزت بداية في مصر، ونشطت في المغرب العربيّ، وامتدت إلى المملكة الأردنيّة، فبرزت دراسات صوتيّة مستقلّة عن النّحو والصّرف، وبرزت الصّوتيّات حقلاً فرعياً مستقلاً في علم اللغة الحديث، وكانت هذه الجهود امتداداً لجهود علماء عرب سابقين على رأسهم إبراهيم أنيس، وكمال بشر، وتمام حسان، وغيرهم من رواد الرعيل الأول العرب الذين أسهموا في نقل معارف الغرب اللغويّة إلى ميدان الدراسات العربيّة. ولكنّ بعض هذه الدراسات لم ينبتّ عن الإرث الصّوتيّ التراثيّ الذي خلّفه العرب في مصنفاتهم الغزيرة.

لقد وجدنا مسارين في البحث الصّوتيّ في المملكة الأردنية الهاشميّة في العصر الحديث: مساراً تقليديّاً يركز على جهود القدماء ويعيد صياغتها وإبرازها في دراسات مستقلّة ويحاول ربطها بنتاجات علم الأصوات الحديث، ومساراً آخر يدرس الأصوات دراسة حديثة كونه علماً قائماً بنفسه، ولعلّ وجود مقررات مستقلة للصوتيات في خطط أقسام اللغة العربيّة واللغة الانجليزية وتخصّص اللغة الفرنسية أسهم في استقلال هذا العلم ومباحثه.

يتفرّع عن علم الأصوات فروع، وهي[٣]: علم الأصوات النطقي (articulatory phonetics)، ويُعنى بدراسة آلية النطق، وكيفية إنتاج الأصوات اللغويّة، وحركات أعضاء النطق في أثناء هذا الإنتاج، وكيفية توليد تيار الهواء اللازم للعملية النطقية، ويدرس توزيع الأصوات اللغويّة إلى صوامت وحركات وأنصاف حركات. وعلم الأصوات التشريحي (phonetics physiological) ويعنى بدراسة أعضاء النطق دراسة تشريحيّة. وعلم الأصوات الفيزيائي (physical phonetics) ويعنى بدراسة

(١) إفيتش، *اتّجاهات البحث اللسانيّ*، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) روبنز، موجز *تاريخ علم اللغة في الغرب*، ترجمة أحمد عوض، علم المعرفة، الكويت، الرسالة ٢٢٧، ١٩٩٧، ص٣٢٣-٣٣٠.

(٣)الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٣، ٢١٥.

الخصائص الفيزيائية لكلّ صوت مثل: طاقته وتردداته، وشدته، وعلوه، وضغطه، وطوله، ودرجة جهارته، وذبذباته، ودرجة وضوحه. وعلم الأصوات السمعي (phonetics auditory) ويدرس أعضاء السمع، وحدوث العملية السمعية وخصائصها ودرجاتها، والإعاقات السمعية. وعلم الأصوات العصبي (phonetic neuro) وهو خاص بدراسة عمل الجهاز العصبي المركزي في إنتاج الأصوات اللغوية، والإعاقات العصبية التي تؤدي إلى مشاكل نطقية أو كلاميّة.

أمّا الدراسات التي اهتمّت ببحث الصّوتيّات(phonetics) في الأردن، فقد تجلّت في جهود سمير استيتية، الذي تبرز هنا قائمة ببحوثه الصّوتيّة البحتة لنعود إلى بحوثه في الفنولوجيا ونضعها في مكانها المناسب من هذا البحث، ومن بحوثه الصّوتيّة: (ميكانيكية النطق، والأصوات المهموسة والمجهورة في اللغة العربيّة)، مجلة مجمع اللغة العربيّة في دمشق، سنة ١٩٨٩. و(ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات اللغوية – جهاز مبتكر لقياسها)، مجلة أبحاث اليرموك، سنة ١٩٩٠. و(التحليل النطقي والفيزيائي للأصوات الوقفية في العربيّة)، نشر في أعمال مؤتمر الأصوات والصوائم في اللسان العربي ٢٠٠٥ في جامعة صفاقس/ تونس. و(أصوات القلقلة في العربيّة– دراسة فيزيائيّة مخبريّة)، مجلة جامعة أم القرى،٢٠١٢. و(الأصوات الاحتكاكيّة في العربيّة بين الأداء والكمية)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين ٢٠١٤. (Articulatory features، energy، and sound (pressure of the) voiceless Stop sounds in English)، مجلة العلوم الإنسانية في جامعة البحرين ٢٠١٥. وله أيضاً كتاب (الأصوات اللغوية – رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية)، دار وائل، عمّان، ٢٠٠٣م.

إنّ هذه الجهود في غنى عن العرض والتحليل فقد حظيت هذه الجهود برسالتين: الأولى للدكتورة انتصار سالم السامرائي للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة بغداد، بعنوان (التقانات الصّوتيّة لدى الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية). وقد صدرت في كتاب، نشرته مكتبة وائل في عمان، ٢٠١٨م، والثانية رسالة لميسون عبد الفتاح البطاينة للحصول على درجة الماجستير من جامعة اليرموك عنوانها: جهود سمير استيتية في صوتيات العربيّة، ٢٠١٨. إشراف مصطفى حيادرة.

ومن الجهود الأردنيّة في الدراسات الصّوتيّة جهود داود عبده ومنها: (في علم أصوات العربيّة: الجزء المتعلق بالنبر من رسالة الدكتوراه On Stress and Arabic Phonology), Beirut,1969). و(دراسات في علم أصوات العربيّة ج١)، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٧٩. الطبعة الثانية، دار جرير، عمّان، ٢٠١٠، وهذه دراسة مبكرة في الظواهر التطريزية، و(السّمات المميزة في الدراسة الصّوتيّة، مجلة الآداب والتربية/ الكويت، ١٩٧٨م، و(دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصّوتيّة الحديثة)،١٩٩٠، وله أيضاً (دراسات في علم أصوات العربيّة ج٢)، دار جرير، عمان، ٢٠١٠، وقد حظيت جهود داود عبده الصّوتيّة برسالة ماجستير قيّمة بعنوان (جهود

داود عبده في الدراسات اللغويّة العربيّة) لإسلام محمود بإشراف زيد القرالة، جامعة آل البيت، ٢٠١٩.

وبرزت بعض هذه الجهود في جهود إسماعيل عمايرة في بحثه (نظرات في التطوّر الصّوتيّ للعربية مثل من ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية، مجلة الدراسات الإسلامية، مج٣٢، ع٢، الجامعة الإسلامية العالمية، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٩٦، وبرزت في أبحاث عبد القادر مرعي في كتابه عن (المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر) جامعة مؤتة ١٩٩٣، وهذا من الكتب التي تجمع بين الجهود التراثية والجهود الحديثة في التحليل الصّوتيّ، وله بحث بعنوان (الفكر الصّوتيّ عند السيوطي) مؤتة للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٨ ، ع ٦، ١٩٩٣، وبحث بعنوان (التّجديد في الدّرس الصّوتيّ عند مكيّ بن أبي طالب القيسيّ)، الآداب، ع٥، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٠م. وكذلك برزت في أبحاث فوزي الشايب، ومنها: (الحركات نقطة الضعف في الدراسات الصّوتيّة عند العرب)، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، مج ٢٠، ع ٨٠ ، جامعة الكويت، ٢٠٠٢.

وحرّر عودة أبو عودة –رحمه الله– (كتاب علم أصوات العربيّة)[1]، وأعدّ محمد علي الخولي كتاب (الأصوات اللغويّة: النظام الصّوتيّ للغة العربيّة)، ١٩٩٠، وفي هذا الكتاب معالجة لموضوع الأصوات اللغوية، مع التركيز على أصوات اللغة العربيّة، في تسعة فصول: جهاز النطق البشري، ووصف الصوت اللغوي، والفونيم والألوفون، والفونيمات القطعية العربيّة، وشيوع الأصوات العربيّة، والفونيمات الفوقطعية، وتوزيع الأصوات، وبعض الظواهر الصّوتيّة، والدراسات الصّوتيّة. وله أيضاً (معجم علم الأصوات)، ونشرته دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٨م. وله أيضاً بحث (التمييز السمعي للأصوات اللغوية: دراسة استطلاعيّة لتمييز الأجانب لبعض أصوات اللغة العربيّة) المجلة التربوية، مج ٢، ع ٥، جامعة الكويت،١٩٨٥م. ومن المصنفات الجيّدة في الأصوات كتاب هادي نهر (علم الأصوات النطقي: دراسات وصفيّة تطبيقيّة) عالم الكتب الحديث، إربد،٢٠١١م. وله أيضاً بحث(الدرس الصّوتيّ النطقي)، مجلة كليات التربية، ع٣، جامعة عدن،٢٠٠١م.

ومن البحوث الصّوتيّة التي تدخل في حيّز علم الأصوات العام بحث محيي الدين رمضان (في صوتيات العربيّة) المجلة العربيّة للدراسات اللغوية، مج ٣، ع ٢، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم – معهد الخرطوم الدولي للغة العربيّة، ١٩٨٥، وبحوث لحليمة عمايرة ومنها: (الضاد بين كتب التراث والتحليل الصّوتيّ الحديث)، مؤتة للبحوث والدراسات، مج ١٥، ع ٨، ٢٠٠٠م، و(صوت القاف بين كتب التراث و(التحليل الصّوتيّ الحديث)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مج ٢٨، ع

(١) أعدّ الكتاب محمد جواد النوري ، والتحكيم للدكتور نهاد الموسى والتحرير للدكتور عودة أبو عودة، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، عمان ــ الأردن

٦٧، ٢٠٠٤. وهذان البحثان يجمعان بين التراث والمعاصرة في الحليل الصّوتيّ. ومن هذه الدراسات دراسة إبراهيم خليل (صوتيات ابن سينا)، دراسات – العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٢، ع ٣، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٥. ويوجد دراسة لمنير شطناوي عن (مراحل نطق الصوامت الوقفية في سياقات العربيّة الصّوتيّة)، مجلة دراسات – العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٣، ٢٠٠٦. و(صفات الأصوات اللغوية في مقدمة معجم جمهرة اللغة بين المحافظة والتجديد، مجلة دراسات – العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٤، ع ٢، ٢٠٠٧. وكذلك دراسته الموسومة بـــ(المخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة " التقليبات الصّوتيّة " المعجمية)، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج ٢٤، ع ٣،٤، ٢٠٠٨. وثمّة بحث لجعفر عبابنة الموسوم بـــ (إنتاج الأصوات عند العلماء العرب القدماء وصلته بالوترين الصّوتيّين)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مج٣٨، ع٨٧، ٢٠١٤.

ومن الأبحاث في هذا الاتّجاه دراسات عبير بني مصطفى ومنها: (خفة الحركات القصيرة ما بين القدماء وعلم الفيزياء)، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ولمحمود عبيدات دراسة بعنوان (أصوات العربيّة من الترتيب الأبجدي إلى الترتيب الصّوتيّ) مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج٢٩، ع٣،٤، ٢٠١٣. و(صفات قوة الأصوات عند سيبويه)، جامعة العلوم الاسلامية، غزه، ٢٠١٤. و(الخصائص النطقية والفيزيائية للأصـــوات الصفيرية)، مجلة كلية دار العلـــوم، القاهرة، ٢٠١٦. و(أثر العمل المخبريّ في نتائج الدّرس الصّوتيّ الحديث)، مجلة آداب ذي قار، العراق، ٢٠١٧. و(الصوائت عند سيبويه في منظور الدرس الصّوتيّ الحديث)، مجلة ريس للعلوم الاجتماعية والتربوية، تركيا، ٢٠١٩.

وقد برز هذا الاتّجاه في الدراسات الصّوتيّة القائمة على علم الأصوات العام في بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي أعدّت في الجامعات الأردنيّة، وسنورد هنا قائمة بهذه الرسائل على سبيل التمثيل، ومنها:

١- (الأصوات العربيّة المتحولة وعلاقتها بالمعنى)، عبدالمعطي موسى، ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٦، إشراف علي الحمد.

٢- التّحليل النطقيّ والفيزيائيّ لرواية ورش (ماجستير)، فاطمة أبو النصر، (١٩٨٨)، إشراف سمير استيتية.

٣- الوتران الصّوتيّان وتحليل وظائفهما النطقية في دراسة أصوات اللغة العربيّة، علي عبد الله أحمد النعيم، إشراف سمير استيتية، (ماجستير) ١٩٨٩.

٤- الوضوح السمعيّ في الأصوات اللغويّة(ماجستير). خلدون الهيجاوي، (١٩٩٢) وقد طُبعت في كتاب، إشراف سمير استيتية.

٥- التحليل النطقي والفيزيائي للحركات والانتقال بينها وبين الوقفيات في العربيّة، إبتسام حسين جميل، (ماجستير)، (١٩٩٤) إشراف سمير استيتية.

٦- (ظاهرة الانسجام الصّوتيّ في القرآن الكريم: دراسة صوتيّة)، هايل الفقراء، ماجستير، ١٩٩٦، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي.

٧- التحليل النطقي والأكوستيكي للظواهر الصّوتيّة في القراءات الشاذة، عبير بني مصطفى، (دكتوراه)، جامعة اليرموك. (٢٠٠١) إشراف سمير استيتية.

٨- (وجوه من الدرس الصّوتيّ في كتاب سيبويه)، أحمد الخلوف، رسالة ماجستير، ٢٠٠١، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي.

٩- أثر الجهر والهمس والمخرج في المبنى والمعنى، فيصل العمري (دكتوراه) (٢٠٠٣). إشراف سمير استيتية.

١٠-(الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الاحتكاكية في العربيّة)، ابتسام حسين جميل، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٣، الجامعة الأردنيّة، إشراف إسماعيل عمايرة.

١١-الأعضاء الخلفية للنطق ووظائف الصّوتيّة، مجدي شحادات، ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣.

١٢-الخصائص الفيزيائيّة والنطقيّة للأصوات الوقفيّة في العربيّة، هالة العبوشي. (دكتوراه). (٢٠٠٥)، إشراف سمير استيتية.

١٣-الخصائص النّطقيّة والفيزيائيّة للصوامت الرنينيّة في العربيّة. محمود الصغير. (٢٠٠٥) رسالة ماجستير، إشراف سمير استيتية.

١٤-النبر في العربيّة – دراسة نطقيّة أكوستيكيّة، حسام العفوري. (دكتوراه). (٢٠٠٦) إشراف سمير استيتية.

١٥-الخصائص النطقية والفيزيائية لأنصاف الحركات في العربيّة منفصلة ومتصلة بالصوامت الرنينية، جمال أبو نعاج، (دكتوراه)، إشراف سمير استيتية،٢٠٠٧.

١٦-التحليل الصّوتيّ للغة العربيّة عند المستشرقين – مايكل بريم نموذجاً، موسى الزعبي، (دكتوراه). (٢٠٠٨) إشراف سمير استيتية.

١٧-التّحليل النطقيّ والفيزيائيّ للأصوات المفخّمة في العربيّة، نادر حنفية، ٢٠٠٨، دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، إشراف جعفر عبابنة.

١٨-(ظاهرة المد عند علماء التجويد: دراسة صوتية تجريبية)، نسيبة الزريقي، ماجستير، ٢٠٠٩، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي.

١٩-(نظرية القوة والضعف في أصوات العربيّة)، منتهى الجعافرة، ماجستير، ٢٠١٤، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي.

٢٠-اختلاس الحركات وإشباعها في العربيّة، حنان مقدادى، دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠١٥، إشراف عبدالقادر مرعي.

٢١-(قراءة أبي عمرو بن العلاء: دراسة نطقية اكوستيكية، زيد خليل القرالة، دكتوراه، ٢٠٠٢، جامعة اليرموك، إشراف حنا حداد، وسمير استيتية.

٢٢-(الآراء الصّوتيّة في مؤلفات الأنباري)، بسام العظامات، ماجستير، جامعة آل البيت،٢٠٢٠. إشراف زيد القرالة.

إنّ هذه الدراسات تدخل في مجملها في علم الأصوات العام(phonetics)، وقد تلتقي في بعض فصولها ومباحثها مع مجال الـــ (phonology) علم الأصوات الوظيفي بسبب الترابط الشديد بين الحقول البحثيّة في علم الأصوات، وهو الاتّجاه الثاني في حقل الدراسات الصّوتيّة الذي ندرسه تالياً. إنّنا نلمس وفرة في البحوث الصّوتيّة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة مقابل الزهد في هذه الدراسات في بعض الأقطار العربية كالسعوديّة مثلاً على النحو الذي انتهى إليه نعمان بوقرّة في بحثه عن اتّجاهات البحث اللسانيّ في السعوديّة[١].

ثالثاً- البحث اللسانيّ في الصّوتيّات الوظيفيّة (phonology):

يهتمّ هذا الفرع بدراسات التغيّرات الصّوتيّة التاريخية والتركيبيّة في اللغة، وهو يمثّل الجانب الوظيفي للأصوات في البنية الصرفيّة، وقد تطوّر هذا الفرع من الصّوتيّات بفضل جماعة من كبار اللغويين المعروفين بـــ "مدرسة براغ" أو "جماعة براغ" اللغوية، ومن أشهرهم "تروبتسكوى"، و"جاكوبسون". وقد حظي هذا الفرع من الدراسات الصّوتيّة بقدر من الدراسات في المملكة الأردنيّة مقارنة بعلم الأصوات العام(phonetics).

لإسماعيل عمايرة بحوث في هذا الحقل منها: (نظرات في التطوّر الصّوتيّ للعربيّة: مَثَل من ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية)، حوليات الجامعة التونسية، ع ٣٥، جامعة منوبة – كلية الآداب والفنون والإنسانيات،١٩٩٤. و(التفكير اللغويّ بين النظام المقطعي والشكل الكتابيّ)، دراسات – العلوم

(١) بوقرة، نعمان، اتجاهات الدراسات اللسانيّة الحديثة في المملكة العربيّة السعوديّة، المجلة الأردنية في اللغة العربيّة، المجلد (٩) العدد (١) صفر ١٤٣٤هـــ / كانون ثاني ٢٠١٣م، ص٢٤٤

الإنسانية والاجتماعية، مج ٢٣، ع ٢، الجامعة الأردنيّة، ١٩٩٦، و(العلاقة الصّوتيّة بين آخر الكلمة وأول مجاورتها في التركيب النحوي)، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج ٢٨، ع ٢، جامعة دمشق،٢٠١٢. ومن الدراسات التي تنتسب إلى هذه الاتّجاه دراسته الموسومة بـــ (العلاقة الصّوتيّة بين آخر الكلمة وأول مجاورتها في التركيب النحوي)، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج ٢٨، ع ٢، ٢٠١٢.

وبرز هذا الاتّجاه البحثيّ في بحث علي الحمد الموسوم بـــ(قراءات في حرف الوصل بين القدماء والمحدثين)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، مج ٨، ع ٢٥، ٢٦، ١٩٨٤. في دراسات يحيى عبابنة ومن أظهرها كتابه الموسوم ب(دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربيّة) الرياض، ٢٠٠٢، وهو من الدراسات القيّمة والعميقة في مجاله، وقد ضمّ الكتاب فصولاً من الدراسات الفنولوجية منها: الفصل الأول؛ أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة، والفصل الثاني؛ في السوابق وأثرها في بنية الكلمة، الفصل الرابع ؛ التقاء الحركة مع الحركة في اللغة العربيّة، الفصل الخامس؛ الحركات المزدوجة وأثرها في توليد الصيغ اللغويّة، الفصل السادس؛ الهمزة المقحمة وأثرها في تشكيل بنية الكلمة، الفصل السابع؛ قانون الأصوات الحنكية وأثره في تشكيل صفات الكلمة. وليحيى عبابنة بحوث أخرى في هذا المضمار منها: (تطوّر صوت الجيم في اللغة العربيّة وأثره في تشكيل بنية الكلمة)، مؤتة للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٤، ع ٥، ١٩٩٩م.

ولعبدالقادر مرعي كتاب عنوانه (التشكيل الصّوتيّ في اللغة العربيّة بحوث ودراسات)، جامعة مؤته، ٢٠٠٢، وهو من الدراسات الفنولوجيّة. وله من الدراسات الفنولوجية: (الحركات الإعرابية بين الدلالة الصّوتيّة والدلالة النحوية)، مؤتة للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٧، ع ١، ١٩٩٢. و(ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربيّة)، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٩، ع ١، ١٩٩٤. و(ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين في العربيّة الفصحى)، أبحاث اليرموك – سلسلة الآداب واللغويات، مج ١٥، ع ١، ١٩٩٧. ومنها: (التشكيل الصّوتيّ للمشتقات)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ١، ٢٠٠٩. وله (التجديد في الدرس الصّوتيّ عند مكي بن أبي طالب القيسي ت. ٤٣٧ هـــ)، مجلة الآداب، ع٥، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٠.

وتجلّى هذا الاتّجاه في دراسات فوزي الشايب في كتابه (أثر القوانين الصّوتيّة في بناء الكلمة العربيّة) عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٤، والكتاب في جميع فصوله يبحث في فنولوجيا اللغة العربيّة. وللشايب من الدراسات في هذا الاتّجاه: (التأكيد بالنون: طبيعته، أصله، وأثره) دراسات/العلوم الإنسانية، مج ١٥، ع ٣، الجامعة الأردنيّة، ١٩٨٨.

ومن أبرز الدراسات في هذا الحقل دراسة سمير استيتية الموسومة بـــ (الظواهر الصّوتيّة في النحو العربي)، ألقي في مؤتمر الصّوتيّات في جامعة آل البيت سنة ٢٠٠٨. وله أيضاً (الإعراب في العربيّة صوتيـــاً ودلاليـــاً بين القديم والحديث – مقاربة لسانية)، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية في جامعة الكويت ٢٠١٣.

ومن هذه الدراسات دراسة إبراهيم خليل (المقطع العروضي في ضوء الدراسات الصّوتيّة)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٢٤، ع ١، الجامعة الأردنيّة، ١٩٩٧. وله دراسة بعنوان (سيبويه والتغيير الفونولوجي في صوائت العربيّة وصوامتها)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٢٩، العدد ١، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٢. ومنها دراسة جعفر عبابنة (البنيّة الصّوتيّة للكلمة العربيّة) المجلة الثقافية، ع ١٢،١٣، الجامعة الأردنيّة، ١٩٨٧. وبحثه الموسوم بـــ(في حقيقة الإدغام) أبحاث اليرموك – سلسلة الآداب واللغويات، مج ٣، ع ٢، ١٩٨٥. ودراسة فيصل صفا (التحوّلات الصّوتيّة المقطعيّة للمزدوج الحركيّ: دراسة في بعض التحولات الغائبة والمغلوطة في الدرس الصرفي القديم)، وقائع الندوة العلمية: الأصوات والصواتم في اللسان العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس، ٢٠٠٥. ودراسة داود عبده (قواعد النبر في اللهجة الكويتية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربيّة، س ٤، ع ١٣، جامعة الكويت، ١٩٧٨.

وممّا يمكن إدراجه في هذا الاتّجاه البحثيّ بحث سهى نعجة (بنية الكلمة العربيّة بين الثبات الدلالي والتغير الصّوتيّ)، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٦، ع ٢، ٢٠٠١. ومن أبحاث هذا الاتّجاه بحث سيف الدين الفقراء، "الحركة المزدوجة وأثرها في بناء المشتقات"، منشور في مجلة آداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٥، المجلد ٣٣. وبحث آمنة الزعبي (ضياع الحركات في النظام المقطعي في الإدغام الكبير عند أبي عمرو بن العلاء)، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، مج ٢٥، ع ٩٩، جامعة الكويت،٢٠٠٧. وبحث نبال نزال (التفسيرات الصّوتيّة لعلامات بناء الأسماء في اللغة العربيّة)، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مج ١٦، ع ٣، جامعة آل البيت، ٢٠١٠م. وبحث حسن الملخ (المحظورات الصّوتيّة الأدائية في العربيّة) مجلة جامعة النجاح للأبحاث – العلوم الإنسانية، مج٢٨، ع٩، ٢٠١٤م. وبحث مصطفى الحيادرة (قانون التخلص من حركة عين الكلمة بالتسكين في اللغة العربيّة وأثره في إنتاج الصيغ الاختيارية: دراسة مقارنة)، مجلة الآداب، مج٢٩، ع٢، جامعة الملك سعود – كلية الآداب، ٢٠١٧.

ولسيف الدين الفقراء أيضاً بحث بعنوان (من المظاهر الصّوتيّة للهجة اليمانيّة في اللهجة العاميّة في جنوب الأردن) منشور في مجلة جامعة الملك فيصل، الإحساء، العدد الخامس عشر. ومنها بحث محمود عبيدات (هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعيّة للكلمة العربيّة)، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج١٨، ع٢، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٠. و(أحكام النون الساكنة في ضوء علم الأصوات المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، ع٣١، جامعة البحرين – كلية الآداب، ٢٠١٨.

وكذلك دراسة حسين الرفايعة (التحول الصّوتيّ في بنية الكلمة المضاعفة المسموعة)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مج ٣٥، ع ٨٠، ٢٠١١. وبحث خالد المساعفة (ائتلاف الصوامت في بنية الكلمة العربيّة عند اللغويين القدماء: دراسة صوتية صرفية، مجلة الدراسات اللغوية، مج١٨، ع٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ٢٠١٦. وثمّة بحث لعمر أبو نواس بعنوان (الإبدال الصّوتيّ في لهجة ناعور: دراسة تأصيلية في ضوء اللهجات العربيّة القديمة)، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب، مج١٥، ع١، ٢٠١٨.

وثمة دراسة لرسلان بني ياسين بعنوان (المماثلة: دراسة صوتية تشكيلية)، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب، مج١، ع١، ٢٠٠٤. ومن بحوث هذا الاتّجاه دراسة علاء الدين الغرايبة (ظواهر صوتية في لهجة عجلون: دراسة وصفية تاريخية) دراسات/ العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٥، ع ١، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٨، ودراسته الموسومة بـــ(ظواهر صوتية في كتاب (ما يحتمل الشعر من الضرورة) للسيرافي، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٦، ع ٢، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م. وبحث منصور كفاوين (التّعاقب بين صوتي الهمزة والعين في العربيّة: دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٧، ع ١، جامعة مؤتة، ٢٠١١. وبحث خولة القرالة (التعاقب أو المعاقبة بين الواو والياء: ظواهره وعلله والخلاف حوله)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مج٣٨، ع٨٧، ٢٠١٤. ولعبير بني مصطفى بحثان في هذا الاتّجاه وهما: (الإمالة عند القدماء في ضوء علم اللغة الحديث)، مجلة مخبر الشعرية، الجزائر، ٢٠١٨ و(دور المقطعية البنية في توجيه دراسة الإعلال عند المحدثين)، مجلة الآداب بقنا، ٢٠١٨.

ولعبد الحميد الأقطش بحث بعنوان (القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربيّة، أبحاث اليرموك – سلسلة الآداب واللغويات، مج ١٥، ع ٢، ١٩٩٧. وله دراسة قيّمة بعنوان (الإشباع الصّوتيّ في المقاطع العربيّة: أوضاعه وأهميته في التعبير اللغويّ)، دراسات، ع١١، جامعة ابن زهر، ٢٠٠٣، وله أيضاً (التفخيم في العربيّة ومستوياتها)، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٦، ع ٢، جامعة مؤتة، ٢٠١٠. ولزيد القرالة دراسات في هذا المجال، منها: (حول التعليل الصّوتيّ للظواهر النحوية) حولية مجمع اللغة العربيّة الليبي، ع٩، ٢٠١٢. و(التشكيل الصّوتيّ في لهجة البادية الشمالية الأردنيّة) مجلة اللسان المبين، ع٨، جامعة طرابلس، ٢٠١٣. و(التوجيه الصّوتيّ للإعراب التقديري: دراسة في إعراب المنقوص والمقصور) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربيّة، ع ٤٥، الإمارات، ٢٠١٣.

وثمّة بحث لحسين غوانمة (البدايات المعتلة الصاعدة للمقطع في الكلمة العربيّة)، حولية مجمع اللغة العربيّة الليبي، ع٨، ٢٠١٠. وبحث لناصر النعيمي (الصوت العسير في اللغة العربيّة)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث – العلوم الإنسانية، مج ٢٦، ع ٢، ٢٠١٢. ودراسة بعنوان (ظاهرة القلب المكاني وأثرها في التحولات البنيوية في الكلمة العربيّة: دراسة وصفية صوتية، لعادل الربطة، حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربيّة للبنات بالإسكندرية، ع٣٤، ج٣، جامعة الأزهر، ٢٠١٨. ودراسة بعنوان (من مظاهر الأثر الصّوتيّ في توجيه المخالفات النحويّة) لباسم البديرات، حوليات آداب عين شمس، مج٤٦، جامعة عين شمس – كلية الآداب، ٢٠١٨.

لقد كان هذا الاتّجاه في الدرس الصّوتيّ متجاوزاً حدود التأثر والتأثير بين الأصوات إلى التكامل في الحقول المعرفيّة بين الأصوات وعلوم اللغة وعلى رأسها علم النحو، ولعلّ أظهر دراسة في هذا الجانب كتب سمير استيتية (علم الأصوات النحويّ) ويقع في (٨٦٥) صفحة، وهو فريد في بابه، وتضمن سبعة فصول، وهي: الأول ثلاثية الأصوات والنحو والتطوّر، والثاني قوانين التطوّر الصّوتيّ النحوي، والثالث خصّصه للعمليات الصّوتيّة في النظام النحويّ، والرابع الإعراب من الصوت إلى الدلالة، والخامس البناء والظاهرة الصّوتيّة، السادس الضمائر والظاهرة الصّوتيّة، والسابع التنوين وثنائية الصرف والمنع[١].

وساد هذا الاتّجاه البحثيّ في الرسائل العلميّة في الجامعات الأردنيّة، وقد طغى الاتّجاه الفنولوجيّ في هذه الرسائل على الاتّجاه الصّوتيّ العام، ومن هذه الرسائل على سبيل التمثيل لا الحصر:

- الأصوات العربيّة المتحولة وعلاقتها بالمعنى، عبدالمعطي موسى، ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف علي الحمد،١٩٨٦.
- الحركات في اللغة العربيّة دراسة في التشكيل الصّوتيّ، زيد القرالة، ماجستير، الجامعة الأردنيّة، إشراف إسماعيل عمايرة،١٩٩٤.
- أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربيّة، عبدالله الكناعنة، ماجستير، إشراف يحيى عبابنة، جامعة مؤتة، ١٩٩٥.
- اختيارات عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي: المستوى الصّوتيّ، محمد النمرات، ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف فارس بطاينة، ١٩٩٧.
- المستوى الصّوتيّ في الضرائر الشعرية: دراسة وصفية تحليلية، أحمد بني حمد، ماجستير، جامعة اليرموك/ محيي الدين رمضان، ١٩٩٧.
- الظواهر الصّوتيّة في قراءة الكسائي، (١٩٩٨) عبير بني مصطفى، ماجستير، إشراف سمير استيتية.
- الظواهر الصّوتيّة في قراءة ابن كثير، علاء الدين الغرايبة، ماجستير، ١٩٩٩، جامعة اليرموك، إشراف سمير استيتية.

(١) استيتية، سمير شريف، علم الأصوات النحويّ، دار وائل، عمّان، ط١، ٢٠١٢م.

- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير ابراهيم الغزاوي، ماجستير، جامعة آل البيت، اشراف سعيد الزبيدي، ١٩٩٩.
- توجيهات ابن خالويه الصّوتيّة في القراءات القرآنية " إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم "محمود عبيدات، ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف علي الحمد، ١٩٩٩.
- المماثلة الصّوتيّة في قراءتي أبي عمر بن العلاء ١٥٤هـ وعلي بن حمزة الكسائي، بيان يوسف العمري، ماجستير، جامعة آل البيت، اشراف سعيد الزبيدي، ٢٠٠٠.
- المعيار الصّوتيّ لغرابة الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: دراسة في بنية الكلمة العربيّة)، عمر المسيعدين، ماجستير، جامعة مؤتة، إشراف يحيى عبابنة، ٢٠٠١.
- الظواهر الصّوتيّة في رواية شعبة عن عاصم، محمد أمين النمرات. (دكتوراه). (٢٠٠٢) إشراف سمير ستيتية.
- الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، وجدان الشمايلة؛ ماجستير، جامعة مؤتة، إشراف عبد القادر مرعي الخليل، ٢٠٠٢.
- قضايا الهمزة وأثرها في تشكيل بنية الكلمة العربيّة، توفيق النواصرة، ماجستير، جامعة مؤتة، إشراف يحيى عبابنة، ٢٠٠٢.
- التفكير الصّوتيّ عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر، علاء الدين الغرايبة، دكتوراه، ٢٠٠٣، الجامعة الأردنيّة، إشراف جعفر عبابنة.
- الاقتصاد اللغوي في السياقات الصّوتيّة العربيّة، منير شطناوي، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف سمير استيتية، ٢٠٠٣.
- التحولات الصّوتيّة في المعرب في العصر الحديث مجلة اللسان العربي أنموذجاً، جمال عيال سلمان، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف فوزي الشايب، ٢٠٠٣.
- الدّرس الصّوتيّ عند مكي بن أبي طالب القيسي، بكر أبو معيلي، ماجستير، ٢٠٠٣، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي.
- المقاطع وأثرها في أبنية الكلم العربيّة، فايز المحاسنة، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف فوزي الشايب، ٢٠٠٣.
- المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدراسات الصّوتيّة الحديثة، أحمد بني حمد، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف علي الحمد،٢٠٠٣.

- البحث الصّوتيّ عند الفراء ٢٠٧ هـ. في معاني القرآن، حمود الرمحي، ماجستير، الجامعة الأردنيّة، إشراف إسماعيل عمايرة، ٢٠٠٤.
- التفسيرات الصّوتيّة للظواهر النحوية، نبال نبيل نزال، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف عبدالقادر مرعي،٢٠٠٤.
- الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو: دراسة صوتيّة، الطاهر محمد المدني، دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، إشراف محمود مغالسة، ٢٠٠٤.
- القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، سعيد إسماعيل، دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، إشراف جعفر عبابنة،٢٠٠٦.
- التحولات الصّوتيّة في بنية الأسماء عند تصريفها، علي الجوابرة، دكتوراه، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي، ٢٠٠٧.
- التبدلات الصّوتيّة والصرفية في كتابي التبريزي واللخمي، أفنان عبد الفتاح النجار، (دكتوراه) الجامعة الأردنيّة، إشراف إبرهيم خليل، ٢٠٠٨.
- الواو أو الياء غير المدية متلوة بالضمة أو الكسرة في العربيّة: دراسة في الوجود والتحول، آلاء حسين مقابلة، ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف فيصل صفا، ٢٠٠٨.
- التشكيل الصّوتيّ للضمائر في اللغة العربيّة، سائدة الضمور؛ دكتوراه، جامعة مؤتة، إشراف عبد القادر مرعي،٢٠٠٩.
- الظاهرة الصّوتيّة في الاسم المبني والفعل المسند إلى الضمير المتصل، محمود نوافلة، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف رسلان بني ياسين، ٢٠١٠.
- القضايا الصّوتيّة في شواهد سيبويه الشعرية، خالد العظامات، ماجستير، الجامعة الهاشمية، إشراف آمنة الزعبي، ٢٠١٠.
- تحليل الظواهر الصّوتيّة في قراءة ابن محيصن المكي، أمل العمري، ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف رسلان بني ياسين، ٢٠١١.
- التحولات الصرفيّة الصّوتيّة في لغات العرب وأثرها على المعنى والدلالة، مالك عودة، ماجستير، جامعة مؤتة، إشراف عادل بقاعين، ٢٠١٦م.
- التوجيه الصّوتيّ والصرفيّ للقراءات القرآنية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن الكريم" للقرطبي من سورة الفاتحة إلى أواخر سورة المائدة: دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث)، عمر الدعجة، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف علي الحمد،٢٠١٦.

- ظاهرة أمن اللبس في الدرس اللغوي في ضوء علم الأصوات، صقر العليمات، ماجستير، جامعة آل البيت، إشراف زيد القرالة، ٢٠١٧.
- معايير الأصالة والفرعية في تبادل الأصوات التاريخي في العربيّة، غفران أبو ضحية، ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٧، إشراف خلف جرادات.
- أثر أصوات المد واللين في بناء الكلمة العربيّة، بشار حمود سيف الدين، ماجستير، جامعة آل البيت، إشراف زيد القرالة، ٢٠١٨.
- التحليل الصّوتيّ لظاهرة البناء في العربيّة، هدى البراج، ماجستير، جامعة الإسراء، إشراف سمير استيتية، ٢٠١٨.
- الظواهر الصّوتيّة في اللهجة الكويتية، عبد الناصر آل عبدان، ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠١٨، إشراف زيد القرالة.
- العلّة الصّوتيّة في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: دراسة وصفية تحليلية، بيان محمد صالح، جامعة العلوم الإسلامية، إشراف ناصر النعيمي، ٢٠١٨.

إنّ هذه الدراسات في قسم منها لم تخرج عن المنهج الوصفي الذي عهدناه في جهود السلف في توصيف الأصوات وتفسير الظواهر الصّوتيّة، على الرغم مـــن تفاوت أدوات البحث وتطوّرها، والتنوع المنهجي الصادر عن مقاربات معرفية متنوعة، ولكّن جلّ هذه الجهود ارتكز على معطيات الدرس الصّوتيّ الحديث، وتمثّله في تفسير الظواهر الصّوتيّة سواء في الظواهر التركيبية الصّوتيّة مثل المماثلة والمخالفة والمقاطع الصّوتيّة والتخلص من توالي الأمثال، أم في الظّواهر التطريزية مثل: النبر(Accent) والتنغيم (Intonation) ، والإشمام والروم والاختلاس.

رابعاً- البحث اللسانيّ في التّوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنية:

هذا الاتّجاه من الدراسات الصّوتيّة التي تدخل في حقل الدراسات الفنولوجية، لأنّه يركّز في مجمله على التبدّلات والتفاعلات الصّوتيّة في التركيب، وهو امتداد للمبحث السابق؛ لأنّ التحليل الفنولوجي طغى على هذا النوع من الدراسات، وقد برز هذا المنهج تجديداً في الاتّجاه البحثيّ الذي يقوم على توظيف اللسانيّات الحديثة في تفسير الظواهر اللغويّة التراثيّة في القراءات، وقد رأيت أن أفرده بمبحث خاص به؛ لسببين: أمّا الأول فلغزارة البحوث والرسائل في هذا الاتّجاه، والثاني يرجع إلى الرغبة في إبراز جهود العلماء والباحثين الأردنيين الذين أسهموا في هذا الحقل بإسهامات كبيرة.

ومن الدراسات في هذا الحقل دراسة سمير استيتية الموسومة بـــ(الظّواهر الصّوتيّة في قراءة ابن كثير)، مجلة جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٩. ودراسته (الظّواهر الصّوتيّة في قراءة الكسائي)، مجلة جامعة الملك سعود، ١٩٨٩. و(الظواهر الصّوتيّة في قراءة يعقوب الحضرمي) مجلة مجمع اللغة

العربيّة الأردني، ١٩٩٢، و(الظواهر الصّوتيّة في قراءة الحسن البصري)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربيّة في دبي سنة ١٩٩٥. و(التوصيف الصّوتيّ الحديث للظواهر الصّوتيّة في القرآن الكريم)، مجلة تجسير العلمية في جامعة قطر (٢٠٢١). ومن هذه الدراسات في هذا الموضوع (التفكير اللغوي بين النظام المقطعي والشكل الكتابي)، لإسماعيل عمايرة، دراسات – العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٢٣، ع ٢، ١٩٩٦.

وممّا يمكن إدراجه في هذا الاتّجاه البحثيّ دراسة محيي الدين رمضان (تحرير ظاهرة القلقلة في القراءة وعلم الأصوات، اللسان العربي، ع ٥٩، ٢٠٠٥. وكذلك دراسة علي البواب (من ملامح توجيه القراءات المثلّثة في كتاب الدّر المصون للسمين الحلبي)، مجلة الدراسات اللغوية، مج١٧، ع٣، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ٢٠١٥. وبحث علاء الدين الغرايبة (سورة طه: دراسة أسلوبية صوتية) مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مج ١٨، ع ٢، جامعة آل البيت، ٢٠١٢م.

ونهض زيد القرالة بجملة من البحوث في هذا الاتّجاه منها: (ياءات القرآن الكريم بين الحذف والقلب والتسكين: دراسة صوتيّة)، المجلة الأردنيّة في الدراسات الإسلامية، مج٥، ع٢، جامعة آل البيت، ٢٠٠٩. وله (الحذف الصّوتيّ في القرآن الكريم: دراسة في حذف الصوامت وأصوات المد واللين)، الآداب، ع١١، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠١٠. وله دراسة بعنوان (الحذف الصّوتيّ في القرآن الكريم وقراءاته: دراسة في حذف الحركات) المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٧، ع ١، جامعة مؤتة، ٢٠١١. ومن بحوثه الفنولوجيّة القرآنيّة (تاءات البزّي المفهوم والحقيقة الصّوتيّة)، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب، مج ٨، ع ٢، ٢٠١١. وله أيضاً دراسة حول (التوجيه الصّوتيّ لقراءات قرآنية انتقدها اللغويون: دراسة في الهمز ين التحقيق والتسهيل)، مجلة الدراسات اللغوية، مج١٦، ع٣، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،٢٠١٤.

ومن المصنفات في هذا الحقل كتاب (ياءات الإضافة الزوائد والمحذوفة في القراءات السبع) لمنال ناجي أبو الرب. دار الفرقان، عمّان، ٢٠٠٦. وبحث بعنوان (الاجتزاء بالفتحة عن الألف في القراءات القرآنيّة) لسيف الدين الفقراء، مجلة علوم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي. الجزائر، ع١٠، مج٢، ٢٠١٩م. وله أيضاً: (علل إطالة أصوات المدّ بين ابن جني وعلماء التجويد)، منشور في كتاب علم الأصوات وتكامل المعارف؛ التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم التجويد، ٢٠١٩. وبحث (من التوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنية في تفسير القرطبي في ضوء علم اللغة الحديث ظاهرة تحقيق الهمز)، عمر الدعجة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع٤٢، ٢٠١٧.

وبرز هذا الاتّجاه بغزارة في رسائل الماجستير والدكتوراه، ومنها:

- (الجوانب الصّوتيّة الوظيفية في توجيه القراءات الشاذة)، لفاتنة عواودة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٥.
- (ياء الإضافة في قراءة أبي عمرو بن العلاء والكسائي: تحليل وتوجيه)، نصرالله الشاعر، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك؛ إشراف علي الحمد،١٩٩٦م.
- (توجيهات ابن خالويه الصّوتيّة في القراءات القرآنية في كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) لمحمود عبيدات؛ (ماجستير) جامعة اليرموك، إشراف علي الحمد،١٩٩٩.
- (دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيّان الأندلسي في تفسير البحر المحيط)،٢٠٠٠، جزاء محمد المصاروة، إشراف يحيى عبابنة، جامعة مؤتة. رسالة ماجستير، وقد تضمن الفصل الأول والثاني منها دراسة الجوانب الصّوتيّة[١].
- (معايير التوجيه الفنولوجي للقراءات السبع عند ابن زنجلة في حجة القراءات) رانية السقرات، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠١.
- (قراءة أبي بن كعب في ضوء نظرية المستويات) عبدالقادر الضمور، ماجستير، جامعة مؤتة، إشراف عبدالقادر مرعي، ٢٠٠٥.
- (التفسيرات الصّوتيّة لرسم المصحف، إعداد طارق محمود خوالدة؛ دكتوراه، اليرموك. إشراف سمير استيتية. ٢٠٠٥.
- (التوجيه الصّوتيّ للقراءات الشاذة في كتاب "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه) رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، عثمان الدراوشة، إشراف عبد القادر مرعي، ٢٠٠٦.
- (الظواهر الصّوتيّة فيما انفرد به كلّ من القراء السبعة) دعاء عبد المهدي؛ (ماجستير) الجامعة الهاشمية، إشراف منير شطناوي،٢٠٠٨.
- (الظواهر الصّوتيّة في قراءة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دراسة وتحليل)، آيات العظمة؛ (ماجستير) الجامعة الهاشمية، إشراف منير شطناوي، ٢٠٠٨.
- (توجيهات الأزهري للظواهر الصّوتيّة في القراءات القرآنية: كتاب القراءات وعلل النحويين فيها أنموذجاً)، نازك العزام؛ (ماجستير)، جامعة اليرموك، إشراف مصطفى الحيادرة،٢٠١٠.

(١) المصاروة، جزاء، دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حسان الأندلسي في تفسير البحر المحيط)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٠، ص ١٠-١٥٠.

- (القضايا الصّوتيّة والصرفية عند الشوكاني في كتابه فتح القدير، صالح أبو زايد، ماجستير، جامعة مؤتة، إشراف سيف الدين الفقراء.٢٠١٢.
- (التوجيهات الصّوتيّة والصرفية والنحوية والدلالية لقراءة يزيد بن قطيب الشاميّ) عبد المجيد السوالقة؛ (ماجستير)، جامعة مؤتة، إشراف عبد القادر مرعي الخليل.٢٠١٢م.
- (الإسكان والاختلاس في اللغة العربيّة: دراسة نحوية صرفية صوتية) عاطف محاميد رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، إشراف يحيى عبابنة، ٢٠١٢.
- (التّوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنيّة المختلف فيها: دراسة في كتب معاني القرآن الكريم)، صلاح بني خالد، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف رسلان بني ياسين، ٢٠١٣.
- (القضايا الصّوتيّة ومصطلحاتها بين علماء النحو وعلماء القراءات)، وسمي الحربي (ماجستير)، جامعة اليرموك، إشراف مصطفى حيادرة، ٢٠١٥.
- –رسالة بعنوان (التوجيه الصّوتيّ والصرفي للقراءات القرآنية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن الكريم " للقرطبي) عمر الدعجة، (دكتوراه) جامعة اليرموك، إشراف علي الحمد، ٢٠١٦.
- (التّوجيه اللغوي للقراءات القرآنية المثلثة في كتب التفسير، عصري الحراحشة، دكتوراه، جامعة اليرموك، إشراف مصطفى الحيادرة،٢٠٢٠.

لقد سارت معظم هذه الرسائل في منهاجها في اتّجاه تجديدي يقوم على الوصف والتحليل الصّوتيّ للقراءات وظواهرها الصّوتيّة في ضوء نتاجات علم اللغة الحديث، ومن نماذج ذلك على سبيل المثال رسالة نازك العزام الموسومة بـــ(توجيهات الأزهري للظواهر الصّوتيّة في القراءات القرآنية)، على النحو الذي يدرس المماثلة والمخالفة[1]. وهذا ما يكاد ينطبق على جلّ الرسائل في هذا الاتّجاه. وقد وجدت من مطالعة هذه الرسالة تفاوتاً بين المستويات في التّحليل؛ يرجع في أسبابه إلى مدى تمكّن الباحث من مرجعيات البحث الصّوتيّ الحديث والإلمام بنظرياته ومصادره لا سيما عند من تعلّموا في الغرب أو أتقنوا لغات أجنبية، أو عدم الإحاطة بأدبيات البحث الصّوتيّ والتمكّن من أدواته ومصادره عند من لم تتح لهم الفرصة لامتلاك أدوات البحث المنهجي في هذا الحقل، وهذه القضية تتجاوز جهود الأردنيين إلى جهود الباحثين العرب في اللسانيّات الحديثة بعامة.

(١) العزام، نازك، *توجيهات الأزهري للظواهر الصّوتيّة في القراءات القرآنية: كتاب القراءات وعلل النحويين فيها أنموذجاً*، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف مصطفى الحيادرة،٢٠١٠، ص ٨٤-١٣٤.

خامساً- البحث اللسانيّ في عيوب النطق وأدواء الكلام

نشأ البحث في عيوب النطق واضطرابات النطق والكلام مع نشوء الدرس النحويّ عند العرب، فثّمة إشارات صريحة لهذا الموضوع عند الخليل، في حديثة عن أعضاء النطق والجهاز النطقي وعلاقة ذلك ببعض العيوب[١]، فقد تحدّث الخليل عن بعض العيوب مثل: الثَّعْثَعَةُ: حكاية كلام الرجُل يَغلِبُ عليه الثَّــاء والعين فهي لُثْغَة في كلامــه[٢]، والثّحثحة[٣]، واللُّثغة[٤]، والتَأتأة[٥]، والفأفأة[٦]، والألِيغ، والألثغ[٧]، والنّعنعة[٨]، والهثهثة[٩]، والرُتّة (العجــلة في الكــلام)[١٠]، واللُّكنة[١١]، وبعض هذه هذه العيوب جاء على ذكرها سيبويه فيما سماه الحروف غير المستحسنة، وما عدّه من اللهجات المذمومة[١٢].

ليس ثمّة مجال للحديث عن هذه الجهود في هذه الدراسة، وليس ذلك من أهدافها، لا سيما أنّها حظيت بدراسات أسابقة أغنتنا عن التفصيل، منها: عيوب النطق والكلام في التراث اللغوي العربيّ، لعبدالحميد الأقطش، وهو بحث منشور في مجلة الضاد، وعيوب الكلام في تراث العرب، لمحمد زنجير (مجلة التاريخ العربي، العدد٢٤، ٢٠٠٢، ص٩-٦١)، و(عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين)، رسالة ماجستير لنورة مروش، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٣م، و(عيوب الكلام في التراث اللغوي العربيّ)، رسالة ماجستير لصهيب محاسيس، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٦، ورسالة ماجستير بعنوان(عيوب النطق وأمراض الكلام)، لباسم المعايطة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٦.

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، معجم *العين*، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (إيران، دار الهجرة، ١٤٠٥ه/١٩٨٤م) ج١، ص٥٢ ، ٥٧، ٥٨، ج٤، ص٣٤٩، ٤١٩. ج٣، ص ٢٣(حثّ).

(٢) الخليل، العين، ج١، ص ٨٤.

(٣) الخليل، العين، ج٣، ص ٢٣.

(٤) الخليل، العين، ج١، ص ١٨٤.

(٥) الخليل، العين، ج٨، ص ١٤٥.

(٦) الخليل، العين، ج٨، ص ٤٠٧.

(٧) الخليل، العين ج٤، ص ٤٤٩.

(٨) الخليل، العين، ج١، ص٩١. (تقول: سمعتُ نَعْنَعَةً وهي رَنّة في اللسان إذا أراد أن يقول: لع فيقول: نع).

(٩) الخليل، العين، ج٣، ص ٣٥٠.

(١٠) الخليل، العين ج٨، ص ١٠٦.

(١١) الخليل، العين ج٥، ص ٣٧١.

(١٢) سيبويه، عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، مطبعة دار الجيل، ط٣، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م)، ج٤، ص ٤٣٢.

إنّ الذي يعنينا في هذه الدراسة أنّ هذه الحقل كان من الاتّجاهات النشطة في البحث الصّوتيّ فيّ الأردن، وأعدّت فيه دراسات عميقة تمثل إنجازاً علمياً بارزاً، ومنها: دراسة عبد الحميد الأقطش (عيوب النطق والكلام في التراث اللغوي العربيّ)، وهو بحث منشور في مجلة الضاد، سعى البحث إلى الاعتناء بعيوب النطق والكلام في لغويات التراث العربي، وحصر منها اثنين وأربعين مصطلحاً.

وثمّة كتاب لإبراهيم الزريقات بعنوان (اضطرابات الكـــلام واللغة التشـــخيص والعلاج)، دار الفكر، ٢٠١٨م، وكتاب لسعيد العزة، بعنوان (الإعاقة السمعية واضطرابات الكلام والنطق واللغة)، عمّان، ٢٠٠١. وكتاب (الإعاقة السمعية، واضطرابات اللغة والنطق) لمصطفى القمش، دار الفكر، عمان، ٢٠٠م. وهذه الدراسات تدخل في اهتمام التربية الخاصة، وفيها بحوث كثيرة لأعضاء هيئة التدريس في كليات التربية بالجامعات الأردنية، مثل دراسة زياد فلاح الزعبي (دور الحاسب الآلي في علاج اضطرابات النطق لدى الأطفال)، المجلة الدوليّة لعلوم وتأهـــيل ذوي الاحتياجات الخاصة، ع٢، ٢٠١٧. ودراسة آيات حامد الحلالمة (فاعلية برنامج علاجي للحد من اضطرابات النطق لدى عينة من أطفال ما قبل المدرسة) رسالة ماجستير، جامعة الاسراء الخاصة، ٢٠١٧م. وبحث لنعيم العتوم ومحمد البطاينة، بعنوان (فاعلية برنامج تدريبي في علاج اضطرابات النطق لدى الأطفال المعاقين فكريا القابلين للتعلم) المجلة التربويّة، جامعة الكويت، مج٣١، ع١٢٤، ٢٠١٧.

ومن الدراسات ذات الاتّجاه اللغويّ في هذا الحقل دراسة فيصل صفا: (تحليل الأخطاء السمعية في مستوى الأصوات اللغوية المفردة – الفونيمات – عند متعلمي اللغة العربيّة من الناطقين بغيرها)، مجلة اللسان العربي، ع ٥٩، ٢٠٠٥. ودراسة سمير استيتية: (الإعاقات النطقية – نماذج تطبيقية في المجتمع الأردني، وكيفية حلها). بحث ألقي في اليوم العلمي لكلية بنات إربد – جامعة البلقاء التطبيقية، ٢٠٠٢.

وثمة رسالة جامعية بعنوان (عيوب الكلام في التراث اللغوي العربيّ)، رسالة ماجستير لصهيب محاسيس، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٦، وفيها فصل عن علاقة المفاهيم اللسانيّة بعيوب الكلام، وفصل عن جهود العلماء العرب في دراسة عيوب الكلام. ورسالة ماجستير بعنوان (عيوب النطق وأمراض الكلام، باسم المعايطة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٦. وفيها استقصاء لبعض عيوب النطق في التراث العربيّ وربطها بجهود حداثيّة، ورسالة دكتوراه لمريم الرواشدة بعنوان (مدى انتشار ظاهرة العيوب النطقية من وجهة نظر المعلمين وعلاقتها بأساليب المعاملة الوالدية وبعض)، قدمت في جامعة أم درمان الإسلامية،٢٠١٥. ورسالة ماجستير بعنوان (فاعلية برنامج تدريبي للتدخل المبكر في علاج اضطرابات النطق للأطفال ذوي الإعـــاقة العقلية)، محمد سعد البطاينة، جامعة عمّان العربيّة، ٢٠١٢.

ولخالد المساعفة دراسة بعنوان (تداخل أمثلة اللثغة مع أمثلة الإبدال الصّوتيّ واللهجات واللحن في المعجمات العربيّة). مجلة الدراسات اللغوية، مج٢٠، ع٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الاسلامية،٢٠١٨. ولخليل الفيومي (اضطرابات النطق والكلام لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن في ضوء علاقتها ببعض المتغيرات)، المجلة الأردنيّة في العلوم التربوية، مج١٣، ع٢، جامعة اليرموك، ٢٠١٧. ولسيف الدين الفقراء بحثان في هذا الاتّجاه بحث (ثنائية اللغة واللثغة) منشورات حوليات جامعة الكويت،٢٠٢٠، والثاني (التكامل المعرفي بين اللسانيّات وعلم الأرطفونيا) المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة، ع٣٥، لسنة ٢٠٢١م. ولأحمد القيسي دراسة عن (عيوب النطق والكلام عند الخليل)، نشرت في المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، ٢٠٢١م.

سادساً- البحث اللسانيّ في الصّوتيّات التاريخيّة المقارنة

برز هذا الاتّجاه في الدراسات الصّوتيّة في المملكة الأردنيّة، وترسّخ على يدّ خمسة من الباحثين المتميّزين في هذا المجال، وهم إسماعيل عمايرة- رحمه الله- ويحيى عبابنة، وآمنة صالح الزعبي، وعبد الحميد الأقطش، وصلاح أحمد سعيد. فإسماعيل عمايرة -رحمه الله- له كتاب (ظاهرة التأنيث بين اللغة العربيّة واللغات السامية: دراسة لغوية تأصيلية)، مركز الكتاب العلمي، عمان، ١٩٨٦. وله دراسات منها: ظاهرة (بجد كفت) بين العربيّة واللغات السامية: دراسة مقارنة) مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مج ١٠، ع ٣١، ١٩٨٦. و(نظرات في التطور الصّوتيّ للعربية: مثل من ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية)، حوليات الجامعة التونسية، ع ٣٥، جامعة منوبة – كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ١٩٩٤. وله أيضاً دراسة بعنوان (مقطع المضارعة بين العربيّة واللغات السامية)، أبحاث اليرموك – سلسلة الآداب واللغويات، مج ١٢، ع ٢، ١٩٩٤. وله (التطوّر التاريخيّ لأبنية المصادر في العربيّة: دراسة مقارنة)، أبحاث اليرموك – سلسلة الآداب واللغويات، مج ١٤، ع ١، ١٩٩٦. و(نظرات في التطور الصّوتيّ للعربية مثل من ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية)، الدراسات الإسلامية، مج٣٢، ع٢، الجامعة الإسلامية العالمية – مجمع البحوث الاسلامية، ١٩٩٦. و(زيادة العين في أول الرباعي: دراسة تأصيلية في ضوء فقه اللغة الوصفي والتاريخي المقارن)، مجلة العلوم الإنسانية، ع٣١، جامعة البحرين، ٢٠١٨، وأشرف على رسالة آمنة الزعبي بعنوان (التغيّر التاريخي للأصوات في العربيّة واللغات السامية: دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠١.

ومن أظهر الدراسات في هذا الجانب كتاب يحيى عبابنة (النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية)، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٧. وله كتاب (اللغة المؤابية في نقش ميشع: دراسة صوتيّة صرفيّة دلاليّة مقارنة في ضوء الفصحى واللغات السامية، جامعة مؤتة، ٢٠٠٠. وله (اللغة النبطية: دراسة صوتيّة صرفيّة دلاليّة في ضوء الفصحى واللغات السامية)، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢. وكتاب (اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣. وله دراسة (في تاريخ ظاهرة الهمز في اللغة العربيّة واللهجات العربيّة البائدة وأثرها في بنية الكلمة) المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج١١، ع٣، جامعة مؤتة،

٢٠١٥. وله دراسة بعنوان (التدرّج الصّوتيّ القائم على الأفضلية في دراسات العلماء العرب: دراسة وصفية تاريخية)، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب، مج١٢، ع٢، ٢٠١٥.

وأشرف الدكتور العبابنة على رسالة ماجستير بعنوان (التحوّل في بنية الفعل المعتل في العربيّة في ضوء اللغات السامية: دراسة تاريخية مقارنة)، محمد زعل الملاحمة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤. وأشرف أيضاً على رسالة (النظام اللغوي للعربية الجنوبية في ضوء الفصحى واللغات السامية) عارف موسى نور، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان، ٢٠١٤.

وقد أعدّ صلاح أحمد سعيد جملة من الدراسات في هذا المضمار منها: (صيغة أفعال والتّحولات المختلفة لها في ضوء العربيّة واللغات الساميّة)، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مج ٣١، ع ٧٢، ٢٠٠٧. و(اللام الزائدة في "زيدل " و"عبدل": دراسة مقارنة في ضوء المصادر والكتابات العربيّة، والسامية، واليونانية القديمة)، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٤، ع ٣، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨. و(صيغة هفعل في التراث اللغوي العربي: دراسة مقارنة في ضوء العربيّة واللغات السامية، مجلة أمارباك، مج ٣، ع ٧، الأكاديميّة الأمريكية العربيّة للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٢.

وللدكتورة آمنة الزعبي دراسات معمّقة في هذا الاتّجاه منها: (ما نُسي أصله من ظاهرتي التنوين والتمييم في اللغة العربيّة: دراسة تاريخية مقارنة، دراسات – العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٣ ملحق، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٦. و(التحول عن الأصل البنائي وجهة نظر في حركة حرف المضارعة في ضوء اللغات القديمة)، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية، مج ٢٧، ع ١١، ٢٠٠٥. و(الحركات وأشباه الحركات في اللهجة اللحيانية: دراسة في نقوش منطقة العلا)، مجلة أدوماتو، ع٢٠، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ٢٠٠٩. و(بنية الفعل الناقص بين العربيّة والعبريّة: دراسة في البنية الصّوتيّة للأصل الثلاثيّ)، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٧، ع ١، جامعة مؤتة، ٢٠١١. و(تغيّرات بنية الفعل المثال في العربيّة وغيرها من اللغات الساميّة: دراسة تحليليّة مقارنة)، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٧، ع ٤، جامعة مؤتة، ٢٠١١. و(تحولات بنية الفعل الأجوف بين العربيّة العبرية: دراسة مقارنة، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٩، ع ١، جامعة مؤتة، ٢٠١٣. ولها أيضاً بحث بعنوان (من طرق التعامل مع المضعف في العربيّة واللغات السامية: دراسة تحليليّة مقارنة، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، مج ٩، ع ٤، جامعة مؤتة، ٢٠١٣. و(أثر الأصوات الحلقية في العربيّة واللغات السامية: دراسة موازنة) مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج٣٠، ع٣،٤، ٢٠١٤. ومن البحوث في هذا الاتّجاه دراسة بعنوان (التنوعات النطقية السامية للأصوات اللغوية المقلقلة)، لحسين مصطفى غوانمة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع ٢٦.

إنّ هذه الاتّجاهات الرئيسية في البحث اللسانيّ الصّوتيّ في المملكة في المئويّة الأولى لا تخلو من اتّجاهات ثانويّة مثل قضية المصطلح الصّوتيّ، ومن ذلك (توحيد المصطلح في علم الأصوات) لجعفر عبابنة، اللسان العربي، ع ٣٩، المنظمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم – مكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٥. وكذلك المنهج الإحصائي كما في دراسة (التحليل الإحصائي لأصوات اللغة العربيّة) لمحمد الخولي، مجلة معهد اللغة العربيّة، ع ٢، جامعة أم القرى – معهد اللغة العربيّة ١٩٨٤. وبعض الدراسات التقابلية التي تشيع في أقسام اللغة الانجليزية في جامعات المملكة، ومنها: (Sound Distribution between Arabic and English) لنجاة بو سبعة (دكتوراه لسانيات تطبيقية بالإنجليزية من جامعة اليرموك)،٢٠١٢. ودراسة خالد عرابي الموسومة بـــ (Phonosemantic Study of the Phoneme (S) in Arabic)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك (٢٠٠٢)، إشراف سمير استيتية.

ولعلّ واحداً من أهمّ المجالات البحثيّة التي أسهمت في الدرس الصّوتيّ التراثي هو تحقيق النصوص، وقد برزت جهود الأردنيين في هذا المجال بقوة، وقد أحاط الدكتور محمد الدروبي بهذه الجهود وألّف فيها كتباً قيّما لم يترك فيه مجالاً للزيادة عليه[١]، ومن هذه الجهود: تحقيق علي البواب لرسائل لغويّة ذات طابع صوتي منها: الألفات لابن خالويه، والظاءات في القرآن الكريم للداني، و(التّبيين والاقتصاد في الفرق بين السين والصاد) و(التّبيين والاقتصاد في الفرق بين الذال والظاء والصاد) و(ما وقع في القرآن من الظاء) للطوفي، وله (شرح النظم الأوجز فيما يهمز ولا يهمز) لابن مالك، و(التطريف في التصحيف) للسيوطي، صدر ١٩٨٨ في عمّان، ونشرت هذه الجهود في عمّان والرياض وبغداد[٢]، ومن التحقيقات التي تمتّ بصلة إلى الأصوات كتاب (منظومة المقصور والممدود)، تحقيق علي البواب، القاهرة، ٢٠٠٠. زكتاب (الهمز) للأنصاري، تحقيق حنا حداد، ٢٠٠٢م. وكتاب(المثلّث) لابن الشحنّة، بتحقيق حليم العكرز، عمّان ٢٠١٣م. ولقد برزت مئات الجهود للباحثين الأردنيين في تحقيق كتب النحو والصرف، وكانت أكثر هذه المصنفات تتضمن مسائل صوتيّة؛ بسبب مناهج القدماء في الخلط بين علم الأصوات والنحو والصرف في مصنفاتهم، وقد استقصى محمد الدروبي هذه الجهود بما يغني عن ذكرها في هذه الدراسة[٣]، ومنها على سبيل التمثيل: التمثيل: كتاب (الواضح) للزبيدي تحقيق عبدالكريم خليفة، ١٩٧٦، (المسائل العسكريات) للفارسي، تحقيق إسماعيل عمايرة، ١٩٨١، و(الوجيز في علم التصريف) للأنباري، تحقيق علي البواب، ١٩٨٢،

(١) الدروبي، محمد محمود، حركة *إحياء التراث في الأردن*، صفحات من تاريخ الأردن الثقافي، كتاب قيد النشر، يقع في ٧٢٥ صفحة.

(٢) الدروبي، حركة *إحياء التراث في الأردن*، ص٣٧٣-٣٧٤، ٣٨٠-٣٨٨.

(٣) الدروبي، محمد محمود، حركة *إحياء التراث في الأردن*، ص ٣٩١-٤١٦.

و(شرح ألفية ان معطي) لابن القواس، تحقيق علي الشوملي، ١٩٨٥، و(تذكرة النحاة) لأبي حيان تحقيق عفيف عبدالرحمن، ١٩٨٦.و(الفصول في العربيّة) لابن الدهان تحقيق فائز الحمد، ١٩٨٨،و(أمالي ابن الحاجب)، تحقيق فخر الدين قدار، ١٩٨٩م. و(الإبانة) للعوتبي، تحقيق مجمع اللغة الأردني، ١٩٩٩م. و(ألفية ابن مالك) تحقيق خالد الرشيد، ١٩٩١م. و(المفضّل في شرح المفصّل) للسخاويّ تحقيق يوسف الحشكي، وزارة الثقافة، ٢٠٠٢، وغيرها الكثير من المصنفات التراثيّة التي تتضمن مسائل صوتيّة ضمن محتوياتها.

إنّ هذه الجهود اللسانيّة الصوتيّة في مجملها تدلّ على غزارة ذات مستوى جيّد جداً في حجمها قياساً بعمر الدولة الأردنيّة وعمر البحث اللغويّ الحديث الذي لم يبرز في الأردن إلاّ بداية السبعينات من القرن الماضي مع نشوء الجامعات واستحداث المجمع، لا سيما أنّنا هنا لم نحط بكلّ الدراسات، ولهذا لا أرى وجهاً لما قاله عمران الطويل في حقّ هذه الجهود: "أمّا الدرس الصّوتيّ في الأردن فلا يختلف من حيث ملامحه وبعض مناهجه عن غيره في الوطن العربي من حيث أنّه مجرد ترديدات لمقولات صوتيّة قد وردت في كتب الرواد الأوائل؛ أمثال إبراهيم أنيس وكمال بشر وغيرهم، مع عدم فهم في كثير من الأحيان لما كان في التراث، وإلى ذلك نعزي قلّة الكتب المؤلفة في الأصوات اللغويّة في الوطن العربي عموماً وفي الأردن خصوصاً"[(١)].

الخاتمة:

لقد بيّن البحث بعضاً من الإرهاصات الأولى لنشأة البحث اللسانيّ في المملكة الأردنيّة الهاشمية التي كانت في بدايتها جزءاً من سوريا، وكّيف أسهم المجمع العلمي في العهد الفيصليّ في بزوغ فجر البحث اللسانيّ في العربيّة بعد سياسة التتريك التي سارت عليها الدولة العثمانيّة في القرن الأخير من عمرها.

كشف البحث أنّ للباحثين الأردنيين دوراً فاعلاً في البحث اللغويّ بشكل عام والبحث اللسانيّ الصّوتيّ بشكل خاص، وأنّ هذه الجهود كانت من نتاج التطوّر الذي شهدته المملكة في التعليم العام والتعليم العالي، والانفتاح على الجامعات العربيّة والعالمية؛ من خلال البعثات العلمية التي نهضت بها الجامعات الأردنيّة التي تضمّ في جلّها أقساماً للغة العربيّة أو اللغويات الإنجليزية، زيادة على ما وفّرته هذه الجامعات من مجلات علميّة محكّمة مكّنت الباحثين من نشر بحوثهم، وما هيأته لهم من دعم للنشر، والمشاركة في المؤتمرات العلميّة. وما أتاحته من برامج دراسات عليا عزّزت البحث العلميّ ونوّعت اتّجاهاته ووسّعت آفاقه.

(١) الطويل، عمران أحمد، *ملامح من الدرس اللغوي الحديث في الأردن*، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد٥٣، لسنة ٢٠١٣، ص ٢٧٣.

لقد تنوعت اتّجاهات البحث العلمي في اللسانيّات الصّوتيّة، فإلى جانب الدراسات التراثيّة التي تجمع بين المستويات الصّوتيّة والصرفية والنحويّة والدلاليّة، كانت هناك دراسات صوتيّة خاصة سارت في أربعة اتّجاهات: البحث اللسانيّ في علم الأصوات العام الصّوتيّات(phonetics). والبحث اللسانيّ في الصّوتيّاتّ الوظيفيّة (phonology). والبحث اللسانيّ في التوجيه الصّوتيّ للقراءات القرآنية، وهو ضمن الاتّجاه الثاني، والبحث اللسانيّ في عيوب النطق واضطرابات الكلام، وأخيراً البحث اللسانيّ في الصّوتيّات التاريخيّة المقارنة.

إنّ ما تحقّق من تطور منذ نشوء الدراسات اللغويّة في المملكة يعدّ مساهمة على درجة كبيرة من الأهمية خصوصاً إذا قورن بالدول العربيّة قياساً إلى عمر الدولة الأردنيّة وإمكاناتها. فالدراسات التي بين أيدينا في الحقل الصّوتيّ تكشف بجلاء عظمَ هذه الجهود وتنوعها وتميّزها، وغزارة الأبحاث والرسائل الجامعية فيها.

إنّ الذي يتّضح من خلال هذه الدراسات أنّها ولدت في أحضان الجامعات وعلى أيدي الباحثين فيها، وأخذت طريقها إلى برامج الدراسات العليا، وإلى النشر في المجلات العلميّة المحكّمة، وأنّ مجمع اللغة العربيّة أسهم بقدر في نموها بقدر، وقد أخذت جهود الأردنيين الصّوتيّة بهذه المواصفات مكانها الطبيعي في الإسهام في البحث اللسانيّ على مستوى العالم والإقليم، ولم تبقَ هذه الدراسات حبيسة الرفوف، بل حظيت بالنشر الذي مكنها من العبور إلى العالم أجمع.

إنّ هذه الجهود في التي لم نحط بكلّ الدراسات فيها لأنّن مقيدون بعدد من الصفحات تدلّ على غزارة ذات مستوى عال في حجمها قياساً بعمر الدولة الأردنيّة، وعمر البحث اللغويّ الحديث الذي برز في الأردن بداية السبعينات من القرن الماضي، مع نشوء الجامعات واستحداث المجمع اللغويّ، وقدّ بيّن البحث أنّ هناك من يصف هذه الجهود بالقلّة لعدم إحاطته بغزارتها.

إنّ البحث يحمل في طياته توصية بإعداد دراسة توثيقية تحليلية كاملة تصدر في كتاب لتبرز اتّجاهات البحث اللسانيّ في الأردن، وتستوفي النقص الواضح فيما صدر من دراسات في هذا الموضوع، لتضع هذه الجهود في موضعها الصحيح من الجهود اللسانيّة في المكتبة العربيّة.

المصادر والمراجع

أبو هاني، عبد الرحمن، الحركة الأدبيّة في الأردن، ١٩٥٠-١٩٧٥م، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٧٩.

استيتية، سمير شريف، علم الأصوات النحويّ، دار وائل، عمّان، ط١، ٢٠١٢م.

إفيتش، ميلكا، اتّجاهات البحث اللسانيّ، ترجمة سعد مصلوح، ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م.

بوقرة، نعمان عبد الحميد، اتّجاهات الدراسات اللسانيّة الحديثة في المملكة العربيّة السعودية، المجلة الأردنية في اللغة العربيّة وآدابها، المجلد (٩) العدد (١) كانون ثاني ٢٠١٣م.

بيركهارت، يوهان، رحلات بيركهارت، ترجمة أنور عرفات، المطبعة الأردنية، عمّان.

جرادات، ميساء حمزة، تطّور التعليم العالي في الأردن؛ دراسة تاريخيّة، رسالة ماجستير، جامعة جرش، إشراف باسم حوامدة، ٢٠١٣.

جريدة العاصمة (جريدة الحكومة الرسمية)، ١٧ شباط، عمّان، سنة ١٩١٩م.

الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

الدبابسة، فتحية محمد، نهاد الموسى وجهوده اللغويّة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، إشراف هاني البطاط، ٢٠١١.

الدروبي، سمير، المجامع اللغويّة في عهد الهاشميين، كتاب قيد النشر من وزارة الثقافة، عمّان،٢٠٢١.

الدروبي، محمد محمود، حركة إحياء التراث في الأردن، صفحات من تاريخ الأردن الثقافي، كتاب قيد النشر، يقع في ٧٢٥ صفحة.

روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، علم المعرفة، الكويت، الرسالة ٢٢٧، ١٩٩٧.

الزركلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

الزركلي، خير الدين، عامان في عمّان، تحقيق ومراجعة عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩.

السكاكيني، خليل، مطالعات في اللغة والأدب، دار هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢.

سيبويه، عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، مطبعة دار الجيل، ط٣، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م.

الطويل، عمران، الدراسات اللغويّة في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢، إشراف رشيد العبيدي.

الطويل، عمران، ملامح من الدرس اللغويّ الحديث في الأردن، مجلة جامعة المنصورة، العدد ٥٢، لسنة ٢٠١٣.

العارف، عبد الرحمن، واقع البحث اللسانيّ الحديث واتّجاهاته، أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربيّة والنظريات اللسانيّة: الحصيلة والآفاق، فاس،٢٠٠٧.

عبد الله بن الحسين، مذكراتي، مؤسسة هنداوي، ط١، القاهرة، ٢٠١٢.

العزام، نازك، توجيهات الأزهري للظواهر الصّوتيّة في القراءات القرآنية: كتاب القراءات وعلل النحويين فيها أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إشراف مصطفى الحيادرة،٢٠١٠.

العليمات، فاطمة محمد، أعمال مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ اللغوية والنحويّة، رسالة دكتوراه، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٦، إشراف محمد حسن عواد.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٥ه/١٩٨٤م.

قاسمية، خيرية: "لمحات من الحياة التعليمية والثقافية في ظل حكومة فيصل في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م"، بحث منشور ضمن كتاب: بناء الدولة العربيّة الحديثة، تحرير هند أبو الشعر، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٨م.

كرد علي: "أعمال المجمع العلمي العربي"، مجلة المجمع العلمي العربيّ، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، مج ٢.

الماضي، منيب، والموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين، عمان، ١٩٥٨.

محافظة، علي، تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦، ط١، عمّان، ١٩٧٣.

المصاروة، جزاء، دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حسان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٠.

المكتبة الوطنيّة، الببليوغرافيا الوطنية الأردنية، عمّان، ٢٠٠١، ٢٠١٥، ٢٠١٩.

الوئاس، نصيرة، اتّجاهات البحث اللسانيّ العربيّ الحديث، قراءة نقدية لمصطفى غلفان، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغويّة، ع١٨، لسنة ٢٠١٩.

حسن البرقاوي (أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة في الأردن): مسيرته العلمية ومصادره المعرفية [١]

أ.د. سمير محمود الدروبي *

ملخص

يسعى هذا البحث إلى تتبع المسيرة العلمية للمعلم حسن محمد صالح البرقاوي المولود ١٨٩٢م تقريباً في قرية برقة، وهي إحدى القرى التابعة لنابلس في فلسطين، ويبدأ البحث بتتبع مسيرة البرقاوي العلمية منذ أن كان طالباً في كتّاب قريته، ثم في مدرستها الرشدية، التي أصبح معلماً فيها فيما بعد. ويتناول البحث دراسته في الأزهر لمدة سنتين ١٩١٠-١٩١٢م، ثم رجوعه لنابلس طالباً في مسجدها الصلاحي لمدة سنتين، طُلب بعدها للتجنيد في الجيش العثماني لمدة أربع سنوات ١٩١٤-١٩١٨م. وقد انضم البرقاوي بعد ذلك إلى الحكومة العربية "الفيصلية" معلماً في إدارة معارفها إلى أن جاء الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٠م، وبقي البرقاوي معلماً في الحكومة السورية حتى سنة ١٩٢٥م، انتقل بعدها معلماً في مدارس إمارة شرقي الأردن.

وسعت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم الأساتذة الذين أخذ البرقاوي علمه عنهم في الأزهر، والمسجد الصلاحي بنابلس، ودمشق، وحمص، إذ لقي أبرز علماء زمانه ولازمهم، وأخذ عنهم اللغة والأدب، والفقه والقانون، والرياضيات والطبيعيات، وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها من العلوم، وأفاد من أساتذته وشيوخه علوم ومعارف جمة، جعلت منه معلماً قديراً، وأصبح مضرب الأمثال في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وفي المعرفة الموسوعة، لدى رجال الدولة الأردنية في الحكم والإدارة، والتعليم والصحافة، والأدب، وكان أول معلم أردني يمنح أعلى وسام للتعليم في الأردن بعد وفاته سنة ١٩٦٩م، وكرمته وزارة التربية بأن أطلق اسمه على واحدة من أكبر المدارس الثانوية في العاصمة الأردنية عمان في ذلك العام، واعتمدت هذه الدراسة المنهج التاريخي في البحث والتحليل في ضوء ما وقفنا عليه من الوثائق والدراسات المتعلقة بالبرقاوي وعصره، مع ربط ذلك بالسياقات التاريخية والاجتماعية والتعليمية.

الكلمات الدالة: حسن البرقاوي، اللغة العربية، كتاتيب، نابلس، الأزهر، مجمع اللغة العربية بدمشق.

---

[١]- إلى أساتذتنا المجمعيين الذين انتقلوا إلى رحمة الله خلال بضعة أشهر: د. عبدالكريم خليفة، د. محمد حمدان، د. عودة أبو عودة، د. عبدالحميد الفلاح العبادي، د. عبدالقادر عابد.

* **قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة. (عضو مجمع اللغة العربية الأردني ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).**

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Hassan Al-Barqawi (The First Teacher of Arabic Language in The Eras of The Emirate and The Kingdom of Jordan): His Scientific Career and Sources of Knowledge

Prof. Samir AL-Droubi

Abstract

This research seeks to trace the scientific career of the teacher Hassan Muhammad Saleh Al-Barqawi, born approximately 1892 AD in the village of Barqa, which is one of the villages affiliated with Nablus in Palestine later. The research deals with his studies at Al-Azhar for two years, 1910-1912 AD, and then his return to Nablus as a student in its Al-Salahi mosque for two years, after which he was asked to join the Ottoman army for four years 1914-1918 AD. After that, Al-Barqawi joined the Arab government "Al-Faisaliah" as a teacher in managing its knowledge until the French mandate came in 1920 AD. Al-Barqawi remained as a teacher in the Syrian government until 1925 AD, after which he moved as a teacher in the schools of the Emirate of Transjordan.

This study sought to identify the most important professors whom Al-Barqawi learned from in Al-Azhar, Al-Salahi Mosque in Nablus, Damascus, and Homs. His teachers and elders had great science and knowledge, which made him a qualified teacher, and he became a proverbial racket in Arabic and Islamic sciences, and in encyclopedic knowledge, among Jordanian statesmen in governance, administration, education, journalism, and literature, and he was the first Jordanian teacher to be awarded the highest honor for learning in Jordan after his death a year 1969 AD. The Ministry of Education honored him by giving his name to one of the largest secondary schools in the Jordanian capital, Amman, in that year. This study adopted the historical method in research and analysis in the light of the documents and studies related to Al-Barqawi and his era, linking this to historical, social and educational context.

Key Words: Hassan Al-Barqawi, Arabic language, Nablus, Al-Azhar, Academy of Arab in Damascus.

حسن البرقاوي: مسيرته العلمية، ومصادره المعرفية

إن الوقوف على المسيرة العلمية للمعلم حسن البرقاوي، ومعرفة المصادر المعرفية التي نهل منها في العقود الأربعة الأولى من حياته، أي منذ التحاقه بكُتّاب قريته برقة الواقعة في قضاء نابلس سنة ١٨٩٧م تقريباً، وحتى مغادرته دمشق متوجهاً إلى إمارة شرق الأردن سنة ١٩٢٥م[١]، ربما أمكن الكشف عنها، وتجليتها من خلال المباحث الآتية التي رتبتها وفقاً للتسلسل الزمني لحياة الشيخ البرقاوي العلمية:

- نشأته في قريته برقة التي تعلم فيها القرآن، وتلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب.
- رحيله إلى مصر طالباً للعلم في الأزهر.
- عودته إلى نابلس لطلب العلم في مسجدها الصلاحي.
- تأدية البرقاوي للخدمة العسكرية في الجيش العثماني بدمشق ومواصلته لطلب العلم فيها.
- تعليمه في مدارس الحكومة العربية وطلبه للعلم في دمشق.
- إفادة البرقاوي من المكتبة الظاهرية وتردده على مجمع اللغة العربية بدمشق.
- طلبه للعلم في حمص وتعليمه في مدارسها.

ونبدأ بأول هذه المباحث:

المبحث الأول– اسمه، نسبه، نشأته في قريته برقة التي تلقى فيها علومه الأولية:

ولد حسن محمد صالح البرقاوي سنة ١٨٩١م أو ١٨٩٢م في قرية بُرقة أو بُرقا كما ترد في بعض الوثائق، وهي من القرى التابعة لقضاء نابلس من أرض فلسطين، وذكر برقة عبدالغني النابلسي (ت١١٤٣هـ/١٦٣٣م) في رحلته الكبرى التي قام بها سنة ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، وأنهى تدوينها بعد ذلك بخمس سنوات، وقد ضبطها قائلاً: "قرية بُرقة بضم الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح القاف وبالهاء"[٢].

---

(١) انظر: **الدروبي**، سمير: "**حسن البرقاوي: أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة**"، مجلة راية مؤتة. جامعة مؤتة، الأردن. ٢٠٢١م: المجلد السابع/ العدد الرابع/ ص٣٨-٤٠.

(٢) **النابلسي**، عبدالغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ/١٦٣٣م): **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**. تقديم وإعداد: أحمد عبدالمجيد هريدي، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م: ص١٠٣.

ويؤكد لنا النابلسي أنه قد مرّ بهذه القرية قبل ذلك بأربع سنوات في الأقل، في رحلته الموسومة بـ"الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية"(١)، وقد وصف كرم أهلها بقوله: "نزلنا بها (برقة)، وأضافنا أهلها بما تيسر من الزاد، وقلنا في ذلك من النَّظْم المستجاد:

ضِفنَا ببرقةَ من أعمالِ نَابُلس أهلَ المكارمِ والأخلاق والشيَمِ(٢)

وبرقة لغةً تعني "الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان"(٣)، ويضيف ياقوت أنه قد اجتمع لديه مئة اسم من أسماء بِرَاق العرب التي سردها ياقوت مع شواهدها من الشعر، وجلها مواقع في جزيرة العرب، وقد جاءت مضافة، مثل: بُرقة يثرب، بُرقة أثماد، برقة أفعى...الخ(٤).

وكانت بُرقة مسقط رأس حسن البرقاوي تابعة لقضاء نابلس، وتقع إلى الشمال الغربي منها، وتبعد عنها حوالي ثمانية عشر كيلو متراً، وتتوسط قرى: جَبع، وبيت إمرين، وسبسطية، وبزارية، وسيلة الظهر، وغيرها من القرى، وهي من أكبر القرى التابعة لنابلس من حيث عدد السكان، وقد وصل عددهم قرابة ألف وسبعمائة نسمة عام ١٩٢٢م.

ويقطن هذه القرية حمولتان: "الإحفاة، وينتسبون إلى قبيلة عتيبة، و"آل سيف" يردون نسبهم إلى اليمن(٥). وحسن البرقاوي ينتسب إلى آل سيف.

ويشير الدباغ إلى أن عشيرة "آل سيف"، كانت موزعة على عدد من القرى: "طولكرم"، و"ترشيحا"، و"ذنابة"، و"كفر كنا"، و"المجيدل"، و"عَرْعَرة" وغيرها، وقد انتقل بعض من أفراد هذه الحمولة إلى دمشق، وعرفوا هناك باسم "آل الحنبلي". ومنهم الشيخ مصطفى بن سليمان ابن محمد مزهر البرقاوي الذي تعلم بدمشق، وتولى قضاء الحنابلة بها سنة

(١) النابلسي، المصدر السابق: ص٩ (مقدمة المحقق).

(٢) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الرحلة الأُنسية في الرحلة القُدسية. تحقيق أكرم حسن العُلبي، دار المصادر بيروت، ط١، ١٤١١/١٩٩٠، ص٧٠.

(٣) ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان. دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م: ج٥، ص٣٩٠.

(٤) انظر: ياقوت، المصدر السابق: ج٥، ص٣٩٠-٣٩٩.

(٥) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية: ١). ط٢، رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م:: ج٢، ق٢، ص٤١٦.

١٢٣٠هـ/١٨١٤م، ثم خلفه بعد وفاته سنة ١٢٥٠ه/ ١٨٣٤م ابنه محمد المتوفى سنة ١٢٩٧هـ/١٨٠٢م[١].

وقد تحدث محمود إبراهيم أستاذ الأدب العربي في الجامعة الأردنية، وعضو مجمع اللغة العربية الأردني سابقاً عن البرقاوي قائلاً: "إننا معاً ننتمي إلى أسرة كبيرة واحدة، هي أسرة "سيف"، وإن كلمة "البرقاوي"، إنما كانت نسبة إلى قرية برقة في قضاء نابلس، وهي القرية التي استقر فيها عدد كبير من أبناء الأسرة، بعد أن قدموا منذ قرنين من الزمان تقريباً من جزء آخر من بلاد الشام إلى فلسطين، ومن هذه القرية انتشروا في مواقع أخرى في فلسطين: في ذنابة، وطولكرم، وعارة، والبروة في حين بقيت منهم مجموعات في بقاع أخرى من بلاد الشام... وكان مما يَسرُّ المرحوم البرقاوي، أن يحدثنا عن فروع هذه الأسرة في مواطنها المختلفة. وعن اتصاله بهم على اختلاف ديارهم، وعن اتصالاتهم بمن حلَّ أرض فلسطين منهم. وقد كان حديث المرحوم عن فروع أسرته حديث الواصل لذوي الأرحام، وذوي القربى، في إطار عاطفة إنسانية كريمة، ظل محتفظاً بها إلى أن انتقل إلى رحمة الله"[٢].

تلقى البرقاوي تعليمه الأولي في كُتاب قريته، وغالباً ما يكون معلم الكتاب هو شيخ المسجد، وقد يطلق عليه اسم الشيخ أو الخطيب أو الفقيه، وكان أهل الطلاب يدفعون له مبلغاً ضئيلاً من النقود، أو بعض الطعام كالخبز والبيض، والسكر والقمح والأرز، وقد وصف لنا محمد عزة دروزة الذي كان مجايلاً للبرقاوي، حالة التعليم في تلك الكتاتيب قائلاً: "كان الأطفال يجلسون على حصر مهترئة على الأرض (كوما)، صف وراء صف، و(كومة وراء كومة)، وأعمارهم مختلفة، من أبناء السادسة وما فوق إلى الخامسة عشرة، وفي أيديهم ألواح من التنك بإطار خشبي، يكتبون عليها دروسهم من الهجاء والقراءة، وآيات القرآن، يكتبها لهم الشيخ، وتلامذته المتقدمون على غيرهم في السن والمعرفة. وكان الطلاب على الأغلب يعلم بعضهم بعضاً، وكانوا يرددون ما يقوله شيخهم ترديداً جماعياً، ويهتزون على اليمين وعلى الشمال، وفي جانبه عِصيٌّ مختلفة الطول، كان واحدها يسمى (منساساً)، كل منها لنكز أو دغر طالب في صف أو كومة ما، الطويل للبعيد، والقصير للقريب..."[٣].

---

(١) انظر: **الدباغ، المصدر السابق:** ج٢، ق٢، ص٤١٧.

(٢) **وزارة الثقافة، حسن البرقاوي (المربي والإنسان... ذكرى وتحية)**، ط١، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ١٩٩٩٠م: ص٦-٧.

(٣) **دروزة**، محمد عزة: **مذكرات محمد عزة دروزة**. ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م: ج١، ص١٤٦.

ويبدو أن هذه الطريقة التعليمية التي وصفها دروزة، كانت نهجاً متبعاً في البلاد العربية في ذلك الزمن، وما ذكره طه حسين في سيرته الذاتية "الأيام"[1] لا يختلف كثيراً عن وصف دروزة بأن التعليم في هذه الكتاتيب كان مشوباً بالقسوة المفرطة على الأطفال، إضافة إلى عدم وجود البنية الصحية المناسبة، مما قد يترك أسوأ الانطباعات والذكريات عن الكتاتيب عند الأطفال[2].

ولا بد لنا من تقدير الدور العظيم الذي قامت به الكتاتيب، إذ علمت الأطفال القرآن، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب في وقت كانت فيه الأمية متفشية في أغلب البلاد العربية، بل إن هذه الكتاتيب وبخاصة في بلاد المغرب العربي: الجزائر والمغرب وتونس، كان لها دور جليل في المحافظة على اللغة العربية، التي كانت تعصف بها سياسة الفرنسة التي عَدّت شيخ الكتاب أو الفقيه، داء أو جرباً، يجب إبعاده عن تعليم الأطفال اللغة العربية التي وصفها دعاة الفرنسة ودهاقنتها بأنها لغة وحشية ولغة القرون الوسطى، ولذا لا بد من شيخ الكتاب أو الفقيه عن الطلاب[3].

وبعد أن يتعلم الطالب في الكتاب مبادئ القراءة والكتابة، ويختم القرآن، ينتقل إلى المدرسة إن وجدت في مدينته أو قريته، ومن حسن حظ البرقاوي أن الدولة العثمانية في أيام السلطان عبدالحميد، كانت قد أنشأت في بلدته برقة في سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م مدرستين: الأولى ابتدائية، والثانية رشدية، ولمّا أنهى تعلمه في الكُتاب الذي يبدو أنه لم يمكث فيه طويلاً؛ لتفوقه على أقرانه في حفظ القرآن، وإتقان الخط، والكتابة والقراءة، وبعض مسائل الفقه، انتقل إلى المدرسة الابتدائية في قريته.

وكان يشرف على المدارس الابتدائية في المدن والقرى لجنة معارف تختارها الدولة العثمانية من المتعلمين، والوجهاء في المدينة أو القرية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يتعلم فيها الطالب: القرآن والتجويد، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، ويُركّز فيها على تعليم الخط. ثم تطورت هذه المدارس إلى تعليم الجغرافية والتاريخ، ومبادئ العلوم، ويُعطى فيها الطلاب كُتباً مطبوعة للقراءة. وكانت العناية بتعلم القرآن والتجويد والصلاة شديدة، وكانت

(١) **طه حسين: الأيام**. ط (٥٢)، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ: ج١، ص٥٣-٧٧.

(٢) انظر: **الطنطاوي**، علي: **ذكريات**. ط١، دار المنار، جدة، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٧م: ج٦، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٣) انظر: **مجموعة من المؤلفين الفرنسيين: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب**. ترجمة وتقديم وتعليق: عبدالعلي الودغيري. ط١، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، الرباط، بلا تاريخ: ص٦٧-٩٧.

المدرسة تحتفي بمن يختم القرآن من طلابها، ويُزفُّ الطالب الذي يختم القرآن، ويُحمل على كرسي مُزيّن يسمى كرسي الزفة، أو على الأكتاف، أو يركب حصاناً كأنه العريس، إذ يحشد الناس لزفته، وهم ينشدون الأهازيج، وتوزع الحلوى بختم ابنهم للقرآن[١]، وكانت هذه المراسم تجري للطلاب في نابلس وغيرها من القرى التابعة لها كبرقة، بل في أغلب بلاد الشام في نهاية القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين/ الرابع عشر الهجري.

وبعد إنهاء الطالب للمدرسة الابتدائية التي لم تزد مقرراتها التعليمية عن الكُتاب كثيراً، ينتقل الطالب إلى المدرسة الرُشدية أو الثانوية المتوسطة التي هدفت إلى تخريج موظفين للجهاز الإداري في الدولة العثمانية، وكانت مدة الدراسة فيها سنتين، وكان تعليم المواد العلمية فيها كالحساب والطبيعيات، والجغرافية وغيرها "باللغة التركية، "بل كان صرف اللغة العربية ونحوها وقواعدها، يعلم باللغة التركية من كتاب اسمه "المشذب"، فضلاً عن أنه كان لتعليم اللغة التركية حصص عديدة لقواعدها وآدابها وقراءاتها، وكانت كتب التعليم الابتدائي هذه تؤلف وتطبع في العاصمة (الآستانة)، وترسل إلى جميع أنحاء الدولة، ويعلم منها الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم..."[٢].

ويبدو أن البرقاوي قد أتم دراسة المرحلة الرُشدية في قريته بُرقة، لكنه لم يجد فيما تلقاه في المدرسة الرشدية ما يروي ظمأه إلى تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية؛ لأن اللغة الأساسية للدراسة كانت التركية، والمقررات الدراسية مكتوبة بلسان الترك، حتى وصل الأمر إلى تعليم قواعد العربية باللغة التركية لأبناء العرب أنفسهم، لذا شعر البرقاوي، وهو الطالب النابه النابغ بخطورة الحالة التي وصلت إليها لغة القرآن، بل شعر بأن التحديات والأخطار التي ستواجه العربية ستكون أكبر ضرراً، وأشد ضراوة وخطراً في قابل الأيام إذا بقيت الحالة آسنة راكدة على ما هي عليه، إذ أصبحت المعاملات في دواوين الدولة في قضاء نابلس بالتركية، وقد وصف محمد عزة دروزة ذلك أي في حدود سنة ١٩٠٨م: "وكانت المعاملات، والكتابات والأوراق باللغة التركية، وكان الموظفون العرب وكتابهم في هذه الدوائر، قد تعلموا التركية قليلاً أو كثيراً، وصاروا يتكلمون ويكتبون بها"[٣].

---

(١) انظر **دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة:** ج١، ص١٤٧-١٥٢.

(٢) دروزة، المصدر السابق: ج١، ص١٥٤.

(٣) دروزة، المصدر السابق: ج١، ص١٤٢.

وبناءً على ما تقدم بيانه من إهانة العربية في أرضها وبين المتكلمين بها، ومن تغول اللغة التركية عليها، فإنه رأى أن ما يطمح إليه من تبحر في العلوم الإسلامية، وإحكام للغة العربية ليس في مواصلة الدراسة في المدارس الثانوية، والمعاهد العالية في إسطمبول وغيرها، بل رأى أن يتتلمذ على فقهاء قريته الذين تخرجوا من حلقات المساجد في نابلس، أو دمشق، أو الأزهر، وأنّ ذلك أجدى وأنفع لما هو جادٌّ في طلبه والبحث عنه.

ولعله وجد أن ما لدى فقهاء قريته، يمكن أن يسدَّ بعضاً من حاجاته إلى الاستزادة من العلم في اللغة العربية، والتفسير والحديث، والفقه والتجويد والمنطق، فأمضى في بُرقة سنتين متتاليتين[١] في تلقي الدروس، وحضور الحلقات العلمية على شيوخ العلم فيها، فنهل من علمهم، وأصبحت لديه حصيلة معرفية جيدة بفضل اختلافه إلى دروس هؤلاء المشايخ، الذين لم نظفر بمعرفة شخصياتهم أو أسمائهم، يقول يعقوب العودات في ترجمته لصديقه البرقاوي: "وتلقى دروساً في العربية والفقه والمنطق على فقهاء قريته سنتين"[٢]. ومن المؤكد أنه قد حصل على إجازات علمية من فقهاء قريته تشهد له بحضور دروسهم، وتجيزه بتعليم ما أخذه عنهم. قلت: إنني لم أظفر بشيء من هذه الإجازات على شدة البحث والطلب، وكثرة السؤال عن ذلك، علماً بأنني قد حصلت على بعض الوثائق والشهادات الخاصة بالبرقاوي، وسوف تستخدم في موقعها من هذا البحث.

ولما أَنِسَ البرقاوي من نفسه تقدماً فيما درسه على شيوخه، الذين يبدو أنهم وجدوا فيه مشروع فقيه شادٍ، فمنحوه إجازاتهم العلمية، تقدم إلى الامتحان الذي يعقده مجلس معارف نابلس الكبير، وكان أعضاؤه من كبار العلماء والفقهاء والمستنيرين[٣]، فاجتازه وأصبحت لديه إجازة للتعليم في المدارس التي أصبح التعليم فيها مشروطاً بدخول امتحان الأهلية واجتيازه، فعين معلماً في مدرسة برقة الابتدائية وعمل فيها سنتين[٤] معلماً لطلاب قريته.

وقد عثرنا في الملف الوظيفي[٥] لحسن البرقاوي على وثيقة كانت محفوظة لدى إدارة المعارف العامة في إمارة شرق الأردن، تكشف لنا عن تواريخ: تعيينه، وعمله، وانفكاكه من العمل، وتحدد لنا تاريخ فحصه أمام لجنة معارف نابلس بتاريخ ١٦ كانون الثاني سنة

١-انظر: **العودات، يعقوب: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**. ط٢، وكالة التوزيع الأردنية، عمان، ١٩٨٧م: ص٦٢.

٢- العودات، المصدر السابق: ص٦٢.

٣- انظر **دروزة، يعقوب: مذكرات محمد عزة دروزة**: ج١، ص١٤٨.

٤- انظر: **العودات، المصدر السابق**: ص٦٢.

٥-وثائق **وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي**، إضبارة رقم ٥٨/١١ التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال).

١٣٢٥ه/١٩٠٧م، والوثيقة صادرة عن رئيس دائرة البلدية في نابلس، سليمان عبدالرزاق طوقان، ومؤرخة بـ ١/مايه (كذا) سنة ١٩٣٧م، ونص الوثيقة التي يتوسطها من أعلى ختم "متصرفية لواء البلقاء":

متصرفية

بتاريخ ١٦ كانون ثان سنة ١٣٢٥ قد أجرينا فحص حسن أفندي امحمد (كذا) الصالح البرقاوي من أهالي قرية برقا التابعة لنابلس، وقد نجح في الفحص أمام لجنة معارف نابلس، وبعد إرسال أوراقه إلى بيروت تصدق على تعيينه معلماً لقرية برقا بتاريخ ١٥ مارت سنة ١٣٢٦ من جناب مدير المعارف في بيروت، وبقي فيها معلماً لغاية ٢٨ شباط سنة ١٣٢٨، ولذا أعطينا له هذه المضبطة مصدقة بإمضاءاتنا، تحريراً/ ٢٩ نيسان سنة ١٣٣٧.

مدير ومعلم العلوم الدينية في مدرسة حسن فتيان	مدير المدرسة الابتدائية أديب مهيار	كاتب وأمين صندوق معارف نابلس سابقاً أحمد زعيتر

إن التواقيع أعلاه هي تواقيع كلاً (كذا) من أحمد أفندي زعيتر، وأديب أفندي مهيار، والشيخ حسن أفندي فتيان، وإنهم كانوا يشغلون الوظائف المنوه عنها فوق تواقيعهم.

رئيس	دائرة البلدية ١ مايه سنة ١٩٣٧ سليمان عبدالرزاق طوقان

والوثيقة أو المضبطة تحدد لنا أن تاريخ تعيين البرقاوي معلماً في قريته برقة كان في ١٥ مارت سنة ١٣٢٦ه/١٩٠٨م وبقي في وظيفته حتى ٢٨ شباط ١٣٢٨ه/١٩١٠م. إن تعيين الفتى البرقاوي معلماً في هذه السن المبكرة، وله من العمر ستة عشر عاماً تقريباً يدل: على ذكاء الرجل، وتقدمه السريع في التحصيل العلمي، وتفوقه على لداته وأقرانه، ويبدو أنه قد أكمل حفظ القرآن في هذه السن، وربما قبلها، مما جعله مؤهلاً للقبول في الأزهر لإتمام تعليمه.

وقد كشف لنا بشارة دوماني عن وثيقة مهمة، تعود إلى أربعة عقود قبل ولادة البرقاوي، وتبين لنا الأهمية الإدارية والاقتصادية لقرية برقة، فهي من كبريات قرى جبل نابلس، وهي مركز إداري لناحية وادي الشعير، وربطتها شراكة تجارية مع بعض القرى المحيطة بها، يقول: "وقد كان في برقة قطاع حرفي، كما كان عدد من عائلاتها يعمل في صناعة الأقمشة، وكان الشركاء من برقة ملائمين بصورة مثالية للتفاوض في عقود السلَم (عقود استلاف المال)؛ لأن قريتهم كانت محوراً للقرى الأخرى المحيطة بها، والأصغر منها حجماً، وكانت لذلك تتمتع بشبكة أصيلة من العلاقات"(١).

ويمكن أن يستدل مما ذكره دوماني عن برقة، على أن هذه القرية كانت إلى حدٍّ ما أحسن من غيرها من القرى التي كانت واقعة تحت ضغط المرابين الذين يعيشون في نابلس، ويقرضون الفلاحين بنسبة ربح عالية لبضعة أشهر، مما يؤدي إلى تحكم التجار الجشعين بمصير هؤلاء الفلاحين، الذين قد تنزع منهم مزارعهم سداداً لشره الدائنين، علماً بأن غاية الفلاحين من هذه الديون كانت سداداً لضرائب الدولة العثمانية المفروضة على أرضهم(٢).

ولا ريب في أن هذا الازدهار النسبي لبرقة، وما تجنيه من محاصيلها الزراعية، وصناعتها الأولية، قد عمل على تنشيط التعليم في هذه القرية أكثر من غيرها من القرى المجاورة، وأصبحت برقة مركزاً تعليمياً للقرى المجاورة لها، الأمر الذي استجلب بعض العلماء للتدريس فيها.

المبحث الثاني- البرقاوي يرحل إلى مصر طلباً للعلم في الأزهر:

ربما كان ما أفاده البرقاوي من علم، وما حصل عليه من وظيفة تعليمية في قريته، أمراً كافياً ومقنعاً لدى كثير من لداته وزملائه في ذلك الزمن، ولكن طموح هذا الشاب المتوقد ذكاء وفهماً، وهمة وعزماً، لم يتوقف عند هذه المرحلة، التي كان من الممكن أن يقف عندها طوال حياته؛ لأنها ضمنت له العيش الكريم، والقرب من أهله وعشيرته، وأكسبته الاحترام في مجتمعه، وحاز لقب الأفندية الذي كان له هيبة واحترام في نفوس القرويين، ويبدو أن حال البرقاوي قد غدت كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

(١) **دوماني**، بشارة: **إعادة اكتشاف فلسطين أهالي جبل نابلس ١٧٠٠-١٩٠٠م**. ترجمة حسني زينة، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨م: ص٢٠٢.

(٢) انظر: **دوماني، المرجع السابق**: ص١٨٢-١٨٣.

ولكن نفسه الكبيرة، وروحه الوثابة في طلب العلم، وتشوُّفَه لتحصيل المعارف ساقه إلى ترك التعليم في مدرسة قريته، في مطلع سنة ١٩١٠ه، وشدّ الرحال قاصداً الأزهر[١] الشريف طلباً للعلم، والأزهر كانت له سمعة علمية مدوية في العالم العربي والإسلامي يومذاك، إذ كان مجرد الانتساب إليه فخراً لصاحبه، وإذا قالوا "فلان أزهري" تلقاه الناس بالإجلال والإكرام تقديراً لعلمه، علماً بأن كثيراً من علماء الشام بعامة، ونابلس بخاصة، قد درسوا في الأزهر، فعرف البرقاوي فضل هؤلاء العلماء، وما لهم من دور في إفادة الطلاب وتعليمهم، وتمنى أن يصبح واحداً منهم، فيقال: البرقاوي عالم أزهري.

وكانت حركة إصلاح التعليم في الأزهر، قد بدأت على يد زعيم الإصلاح الديني والتعليمي والاجتماعي الشيخ محمد عبده[٢] قبل وصول البرقاوي إليه بسنوات، فأفاد مما طرأ على مناهج الأزهر من إصلاح، فبعد أن كان الأزهر مقتصراً على الشروح والمتون التعليمية المعقدة[٣]، والكتب المؤلفة في العصر العثماني، أصبح يدرس المصادر التي ألفت في العصور الزاهية، فعاد الطلاب في الأدب إلى كتاب "الكامل" للمبرد الذي شرحه المرصفي لطلاب الأزهر، وإلى "مقامات بديع الزمان الهمذاني" بشرح الشيخ محمد عبده، وإلى كتاب "نهج البلاغة" لعلي بن أبي طالب بشرح الشيخ محمد عبده، ودرسوا في البلاغة "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" للجرجاني، وأصبحت مقدمة ابن خلدون من الكتب التي تدرس في الأزهر، إضافة إلى دراسة الرياضيات والفلسفة، والمنطق والنحو وغيرها[٤] من المعارف والعلوم التي عَبّ البرقاوي من معينها في أروقة الأزهر، ودرسها على شيوخ أجلاء ممن صَدّرهم الأزهر لإفادة قاصديه ومَنْ أمَّه من طلاب مصر والشام، والمغرب العربي، والسودان وأفريقيا، بل كافة أرجاء العالم الإسلامي وبعض البلاد الأوروبية.

ترك البرقاوي التعليم في مدرسة بُرقة الابتدائية متوجهاً إلى الأزهر، ولكننا لا نعرف على وجه الدقة متى كان ذلك، علماً بأنه ترك وظيفته معلماً في برقة في الثامن والعشرين من شباط سنة ١٩١٠م كما مرّ بنا من خلال إحدى الوثائق التي سبق إيرادها، وربما كانت رحلته العلمية إلى الأزهر بعد تركه للتعليم في مدرسة قريته مباشرة، ثم مكث في ذلك المعهد العلمي العريق قرابة سنتين، للحصول على الشهادة الأهلية العامة.

---

(١) انظر: **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين:** ص٦٢.

(٢) **عبده**، محمد: **مذكرات الإمام محمد عبده**. عرض وتحقيق وتعليق: طاهر الطناحي، دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ: ص٧٧-٧٩؛ وانظر: **بلنت**، ولفرد سكاون: **التاريخ السري للاحتلال الإنجليزي لمصر**. ترجمة: صبري محمد حسن، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م: ص١٤٩-١٥٣.

(٣) انظر: **رضا**، محمد رشيد: **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**. الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠١٢م: ج١، ص٧٥٣-٧٦٠.

(٤) انظر: **الدسوقي**، عمر: **في الأدب الحديث**. ط٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م: ج١، ص٣٨٥-٣٨٦.

وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى دور الشيخ محمد عبده في صدور بعض القوانين لإصلاح الأزهر، أهمها: قانون ١٣١٤هـ/١٨٩٦م الذي حدد الحد الأدنى لسن القبول فيه بخمسة عشر عاماً، إضافة إلى أن يكون الطالب حافظاً للقرآن، ومتقناً للقراءة والكتابة، وحدد ذلك القانون المواد الدراسية في الأزهر، مضيفاً لمقرراته السابقة مواد: التاريخ الإسلامي، والحساب، والجبر والرياضيات، ومصطلح الحديث، وغيرها، وجعل مدة الدراسة ثماني سنوات، يتقدم بعدها الطالب للحصول على "الشهادة الأهلية"، واثنتي عشرة سنة لمن أراد الحصول على "الشهادة العالمية"[١].

ويبدو أن ظروف نُذر الحرب العالمية الأولى لم تمكن البرقاوي من الإقامة أكثر من سنتين في رحاب الأزهر، الذي فتح آفاقاً معرفية، وفكرية وسياسية واجتماعية جديدة أمام البرقاوي، وهو الأمر الذي ساهم في سرعة نضجه العلمي، وتعميق تجربته المعرفية، إذ كانت القاهرة يومها عاصمة العلم والمعرفة في الوطن العربي، ففيها أسست أول جامعة عربية أهلية هي الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م، التي كانت في بداياتها عندما حلّ بها البرقاوي، وكانت حركة الصحافة الحرة مزدهرة بمصر، إضافة إلى كثرة دور النشر والمكتبات العامة والخاصة وأشهرها المكتبة الخديوية، ومكتبة أحمد تيمور باشا، وخزائن الكتب في أروقة الأزهر، وقد أفاد البرقاوي من هذا الحراك الثقافي، والزخم الفكري، والصراعات السياسية التي تموج بها مصر يومذاك، بين الوطنيين والمحتلين، وبين دعاة الوطنية وأنصار الاحتلال البريطاني، وبين دعاة العربية، والمنافحين عنها، وبين خصومها من المستعمرين، وجنودهم المجندة، وصحفهم المرصدة لمهاجمة الإسلام واللغة العربية[٢].

أما أبرز الأساتذة الذين عرفهم البرقاوي، وتتلمذ على أيديهم في الأزهر، فهو الشيخ **محمود أبو العيون** (١٨٨٢-١٩٥١م): ويعود نسبه للأشراف الحسنيين في المغرب، عرف الرجل بخلقه الرفيع، وكان أستاذاً للتاريخ العربي والإسلامي بعد حصوله على شهادة "العالمية" من الأزهر عام ١٩٠٨م، وله مصنف في التاريخ يقرأه طلاب الأزهر، وأبو العيون أحد كبار علماء الأزهر، ودعاة الإصلاح فيه، وكان الرجل من أدباء الحركة الوطنية، وكتابها وشجعانها، وهو من رموزها في ثورة ١٩١٩م، وأدار بعض معاهد الأزهر، ثم أصبح سكرتيراً عاماً له فيما بعد.

(١) انظر: **أحمد تمام**، "**الأزهر جامعاً وجامعة في ذكرى افتتاحه**": ٧ رمضان ١٣٦١هـ، أرشيف إسلام اون لاين نت.
(٢) انظر: **الدوربي**، سمير: **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين من ١٩١٨-٢٠٢١م**. ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٢١م: ج١، ص ١١٦-١٢١.

عُرف الشيخ أبو العيون بخطبه الوطنية من على منابر الأزهر، التي كانت ناراً حامية يصلي بها المستعمرين الإنجليز وأذنابهم، فاعتقل ودخل السجون، وكان الرجل مصلحاً اجتماعياً منذ أن كان طالباً في الأزهر، وعُرف بشدة مقاومته لمظاهر الفساد الاجتماعي، وأشكال الانحلال الأخلاقي التي زرعها الإنجليز في المجتمع المصري، عندما جاءوا بآلاف النساء، وفتحوا لهن المواخير، وبيوت الفساد، فدعا أبو العيون إلى الفضيلة، وحارب الرذيلة في مقالاته ومؤلفاته ومنها: "مذابح الأعراض"، و"صفحة ذهبية في إلغاء البغاء"، ودعا إلى الاهتمام بتعليم الدين في المدارس الحكومية، وتخرج على يدي هذا الرجل المئات من طلاب الأزهر، ومنهم حسن البرقاوي الذي كان معجباً بمواقفه وشجاعته، ومقدراً لدوره وعلمه في الإصلاح والتحرر والوطنية[١].

وإذا كان البرقاوي قد عرف من خلال محاضرات أستاذه (أبو العيون) وكتاباته الحالة الأخلاقية التي اجتاحت مصر، إبان وجود الاحتلال الإنجليزي، الذي كان السبب الرئيس في انتشار مظاهر الانحلال الخلقي، والفساد الأخلاقي، فإنه قد وجدها منتشرة في دمشق، عندما أقام بها جندياً ومعلماً وطالباً، وقد أرجع محمد كرد علي هذه الظاهرة إلى الجيوش الغازية، يقول "وكان لكثرة الجيوش المنوعة: دخل كبير في الاسترسال في البغاء، فعم البلاء، وأنذر هذا السقوط بسوء العقبى"[٢].

وعلاوة على ذلك، فإننا نستطيع أن نعرف أصالة دعوة أبي العيون، ودوره في التنوير والإصلاح والنهضة؛ إذا عرفنا أن حرارة الإصلاح في الفكر الإسلامي، والدفاع عن جوهر الدين الصحيح، كان محصوراً بمصر في "علماء الأزهر، وقد كانوا منزوين وراء سوره، تمرُّ مواكب الحياة من أمامه فلا يحسون بها، ولا يرونها"، ولم يكن له (الإسلام) داع في ميادين الأدب، ولا في كليات الجامعة، ولا في دور النشر، ولا في أروقة السياسة"[٣].

ومن كتب أبي العيون التي قرأها البرقاوي وأفاد منها: "تاريخ العرب"، و"موجز تاريخ مصر والإسلام"، و"الاشتراكية في الإسلام" وغيرها من مصنفات الرجل الهادفة إلى الإصلاح، وتحريك الساكن من العقول. وقد حقق أبو العيون شهرة واسعة في العالم الإسلامي، مما جعل كثيراً من المسلمين يراسلون "مجلة الأزهر"، طالبين منه الإفتاء في كثير من المسائل[٤]؛ لأنهم كانوا يثقون بفتاويه أكثر من ثقتهم بفتاوى غيره من العلماء.

---

(١) انظر: **محمود أبو العيون** (شيخ أزهري) https:\\ar.m.wikipedia.org.

(٢) **كرد علي، المذكرات**. طبعة مصورة، دار أضواء السلف، الرياض، بلا تاريخ: ج٢، ص٤٧٩.

(٣) **الطنطاوي**، علي: **هتاف المجد**. ط٣، دار المنارة، جدة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م: ص٣٣.

(٤) **محمود أبو العيون** (شيخ أزهري)، **المرجع السابق**.

ويظهر لي أن البرقاوي قد أفاد من دروس رجل الإصلاح أبي العيون في الأزهر وقرأ كتبه، وتعلم منها، ووقف منه على عظمة تاريخ الأمة في ماضيها، وتكشفت لها أسباب انحدارها وتراجعها، وعرف مواطن الضعف والانحلال التي أدت إلى تمزيقها، ووقوعها فريسة بيد أعدائها، الذين لديهم المخططات السرية والعلنية لتدمير ما تبقى منها عسكرياً وأخلاقياً، واقتصادياً وحضارياً، واجتماعياً وثقافياً.

وفوق ذلك، فإن أبا العيون من أشد المنافحين عن اللغة العربية، ورأى في استقدام بعض المستشرقين لتدريس فقه اللغة العربية خطراً يهدد الأمة في هويتها ولغتها، وبخاصة إذا توفر العربي الذي يقوم مقام المستشرق، بل قد يفضله علماً[1].

وأفاد البرقاوي من شيخه أيضاً نزعته الإصلاحية التي عرف بها منذ كان طالباً في الأزهر، حتى أصبح واحداً من كبار علمائه الذين أحبهم طلابه، فكانوا قدوة لهم في الإصلاح، ونبراساً في المعرفة وقول الحق، وعرف البرقاوي أن العلماء الذين لديهم رسالة الإصلاح، ينظرون إلى الواقع، وما في مجتمعاتهم من مخالفات للشرع، وتجاوزات للقوانين الأخلاقية والإنسانية، ويحاولون تشخيصه، ومعرفة علله وأسبابه، ثم يلتمسون له الدواء الناجع بكل الوسائل الممكنة، لدفع الظلم، ومحو الفساد.

ومن شيوخ البرقاوي في الأزهر الشيخ **محمود خطاب السُّبك** (ت١٣٥٢هجرية/ ١٩٣٣م)[2]: الذي كان أستاذاً لعلم الكلام، وهو العلم الذي يدافع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، اعتماداً على المنطق والفلسفة، ومعروف لدى مؤرخي الفكر العربي دور علماء الكلام في الإسلام، وما كان لهم من مواقف عظيمة في ردّ حجج المخالفين للإسلام من الشعوبيين، وحملة الثقافة اليونانية، والزرادشت وغيرهم من أتباع الملل والنحل، والديانات والعقائد. وقد عدّ الجاحظ إتقان علم الكلام شرطاً للعلم في الدين، يقول: "... إلا أنّ كلَّ من لم يكن متكلماً حاذقاً، وكان عند العلماء قدوة وإماماً، فما أقرب إفساده لهم من إفساد المتعمِّد لإفسادهم"[3].

ويبدو أن البرقاوي قد برع في هذا العلم بين يدي شيخه السُّبكي، وآية ذلك تمسك البرقاوي بالحجة والبرهان، وشُهر بتفكيره العقلاني، وغرامه بالمنطق والرياضيات، وتدرجه في التفكير، والربط المنطقي بين الأشياء، واعتماده منهج الاستقراء، يقول في إحدى سوانحه

(١) انظر: **الجندي**، أنور: **الفصحى لغة القرآن**. ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا تاريخ: ص١٦٧.

(٢) انظر: **العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

(٣) **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥ه/٨٦٨م): **الحيوان**. تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون. ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧ه/١٩٣٨م: ج١، ص١٨٦.

وتأملاته مخاطباً نفسه: "أما الفصول فقد مرت بي سراعاً فقلت لنفسي: ألست ترين أدوار الطفولة: كيف يقضيها الإنسان في مسارح الحياة؟ فهي أدوار من اللعب والاستطلاع؛ ليرسم بالتعرف إلى الأشياء صوراً ذهنية كثيرة يلائم بينها، ليحكم عليها، ويربط بينها ربطاً، ثم ينتقل إلى دور التعليم يستقرئ المعارف، ويتتبع خواص الأشياء، ليدرجها تحت قاعدة لا تختلف عنها جزئياتها ومسائلها، فتنطبق عليها انطباقاً تاماً من غير ما شذوذ. ولكم ينتقل به الفكر من مرحلة إلى مرحلة، فمن المحسوسات إلى المجردات فاحصاً باحثاً متثبتاً، فهو في هذه المواقف مستلهم، يكشف من نفسه أسراراً، ولكنه يمثل فصولاً عجيبة..."[١].

وكان البرقاوي أثناء انتسابه للأزهر مهتماً بتحصيل الرياضيات التي قرأها في الرواق العباسي على الأستاذ إدريس[٢]، الذي كان -فيما يبدو- مدرساً لمقررات الأزهر في الرياضيات، التي أدخلت إلى مناهجه بعد حركة الإصلاح، التي كان من ركائزها الاهتمام بتدريس العلوم، والمعارف العصرية.

وعرف البرقاوي في الأزهر الشيخ **عبدالله القلقيلي** الذي كان طالباً للعلم في الأزهر، والقلقيلي نسبة إلى قلقيلية إحدى القرى الفلسطينية القريبة من نابلس، وهو من أقران البرقاوي، فقد ذكر يعقوب العودات أن مولده كان في سنة ١٨٩٩م[٣]، أي أنه أصغر من البرقاوي بسبع أو ثماني سنوات في الأقل، ولكن القرائن تدل على أن مولد القلقيلي كان قبل هذا التاريخ ببضع سنوات؛ لأنه التحق بالأزهر عام ١٩١٢م وعمره ثلاثة عشر عاماً، ولكن الأزهر لا يقبل طالباً لنيل الشهادة الأهلية دون سن الخامسة عشرة من عمره، إضافة إلى أن البرقاوي قد أفاد منه كما يذكر العودات، ولكن إقامة البرقاوي في الأزهر لم تتجاوز سنة ١٩١٢م؛ لأنه عاد إلى نابلس بعد هذا التاريخ تقريباً، ودرس في المسجد الصلاحي[٤] سنتين أي حتى ١٩١٤م، ثم جُند في الجيش العثماني.

ويستشف من أخبار الرجلين، أن البرقاوي الذي كان أسن من القلقيلي، قد استعان به في فهم مسائل كتاب "قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام المصري، وهو من الكتب الأساسية والجامعة لمسائل النحو وموضوعاته. واستعان به أيضاً في قراءة المنطق وعلم الكلام"[٥]، مما يدل على شغف البرقاوي في العلم والتعلم حتى ممن هو أصغر منه سناً، وبخاصة إذا علمنا أن الشيخ القلقيلي قد واصل تعلمه في الأزهر بعد ذلك حتى حصوله على الشهادة الأهلية، ثم التحق

(١) **وزارة الثقافة الأردنية، حسن البرقاوي (المربي والإنسان... ذكرى وتحية)**: ص٢٠-٢١.

(٢) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين والأردن**: ص٦٢.

(٣) انظر: **العودات، المصدر السابق**: ص٥١٧.

(٤) انظر: **العودات، المصدر السابق**: ص٦٢.

(٥) **العودات، المصدر السابق**: ص٦٢.

بكلية الآداب في الجامعة المصرية التي أُعجب أساتذتها أمثال أحمد ضيف بنبوغه عندما ألقى محاضرتين عن "اللفظ والمعنى في كتاب الصناعتين"، ثم نشرهما في مجلة "الكواكب" واشتغل القلقيلي بالتعليم في القدس، وأنشأ جريدة "الصراط المستقيم" في يافا سنة ١٩٢٥م وبقيت تصدر حتى حرب عام ١٩٤٨م، فكانت ميداناً وملتقى لأقلام الأدباء والمفكرين والسياسيين، ثم هاجر إلى سوريا معلماً في مدارسها، ثم استقر به المقام في الأردن، فعين مفتياً فيها ثم أحيل على التقاعد سنة ١٩٦٧م، تاركاً مجموعة من الكتب والفتاوى المطبوعة(١).

واللافت للنظر، أن القلقيلي والبرقاوي كانا رفيقي درب، جمعهما حب العلم والسعي إلى الاستزادة منه، فرحلا إلى الأزهر تحقيقاً لهذا الغرض الشريف، وأَلَّفَ بينهما رابطة الأدب والكتابة في الصحافة، التي أدركا دورها في نشر الوعي وتثقيف العقول، وعشقا مهنة التعليم، وكانا داعيتي إصلاح ونهضة، يصدران في ذلك عن تدين عميق، وإيمان بعظمة هذه الأمة، وقدرتها على النهوض.

المبحث الثالث- عودة البرقاوي من الأزهر إلى نابلس طلباً للعلم في مسجدها الصلاحي:

أمضى البرقاوي حولين في أرض الكنانة، متنقلاً بين حلقات العلم في أروقة الجامع الأزهر، ومرّ بتجربة علمية وثقافية خصبة، لكنه لم يكملها حتى الحصول على الشهادة الأهلية التي مدتها الدراسية ثماني سنين، ثم عاد إلى نابلس لأسباب لا نعلمها، ولم تأتِ الشذرات القليلة التي ذكرها العودات من سيرته على ذكرها، واكتفى العودات بالقول: "وبعد أن استكمل البرقاوي زاده العلمي عاد إلى نابلس"(٢).

ولكن عودة البرقاوي إلى نابلس لم تكن نهاية مطافه العلمي، بل شرع في إكمال مسيرته العلمية فيها، وانتسب إلى المسجد الصلاحي الكبير وهو أكبر مساجدها وأعرقها، بل هو المركز الأساس للحياة العلمية فيها.

وانتساب البرقاوي لهذا المسجد في نابلس له أكثر من دلالة على الحركة العلمية في هذه المدينة العتيقة العريقة، ونابُلس-"بفتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها- مدينة من جند الأردن"(٣) وتُعد من أقدم المدن المأهولة ببلاد الشام. فعمرها يزيد

(١) انظر: **العودات، المصدر السابق:** ص٥١٧-٥١٨.

(٢) **العودات، المصدر السابق:** ٦٢.

(٣) **القلقشندي**، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. وزارة الثقافة، القاهرة، بلا تاريخ: ج٤، ص١٠٣.

على عشرة آلاف سنة، وقد سكنها الكنعانيون[١]، ثم العرب المسلمون، وهي مدينة جبلية أطلق عليها البلدانيون المسلمون اسم دمشق الصغيرة[٢].

ووصفها ابن فضل الله العمري بأنها مدينة "مُمدّنة، يُحتاجُ إليها، ولا تحتاج إلى سواها"[٣]، وذكر القلقشندي نقلاً عن ابن حوقل: "وليس بفلسطين بلدة فيها ماء جارٍ سواها"[٤].يضاف إلى ذلك أنها جاءت في موقع متوسط بين القدس، والسلط، وعجلون وحسبان، والكرك، وجنين، واللد والرملة وغيرها من المدن الشامية، ولمّا كانت نابلس واقعة في طريق الحج، فإنها شهدت ازدهاراً اقتصادياً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ووصلت صناعاتها وتجارتها إلى بلاد الأناضول، والعراق، ومصر، ونجد، والهند، واليمن، وغيرها من البلدان، وشهرت بصناعة الصابون المعتمدة على زيت الزيتون المزروع في جبالها الخصبة ذات التربة العذبة[٥].

وقد أبرزت نابلس كثيراً من العلماء والأدباء والفقهاء، والمحدثين والخطباء، وكتاب الدولة في العصرين الأيوبي والمملوكي منهم: الرشيد الإمام (ت٦٦٢هـ/١٢٦٣م) الذي انتهت إليه رياسة الحديث بالديار المصرية، وأحمد بن نعمة (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) الذي تولى التدريس والخطابة في الجامع الأموي بدمشق، وعبدالله بن سرور النابلسي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) شيخ الحنابلة بنابلس. ومحمد بن إبراهيم النابلسي (ت٧٩٣هـ/١٣٩٠م) الذي أصبح رئيساً لديوان الإنشاء بدمشق، ونظم السيرة النبوية في خمسة وعشرين ألف بيت من الشعر، وغيرهم العشرات من المحدثين، والفقهاء والعلماء، والنساء العالمات[٦]، وهو الأمر الذي يفسر لنا إعجاب الشيخ بهجت البيطار -الذي كان عارفاً بأقدار علماء نابلس- بالبرقاوي إذ رأى فيه امتداداً لهم، وأنه سيكون له شأن في تدريس لسان العرب وأدبها.

---

(١) **الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية ١)** ج٢، ق٢، ص٩٨٠.

(٢) **المقدسي**، أبو عبد محمد البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. تقديم محمد مخزوم، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ص١٤٩.

(٣) العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. دراسة وتحقيق: دُورُوتياكَرافولسكي. ط١، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م: ص١٨٧.

(٤) **القلقشندي**، صبح الأعشى: ج٤، ص٤١٠٣ انظر: **أبو الفداء**، عماد الدين إسماعيل (ت٧٢٣هـ/١٣٣١م): **تقويم البلدان**. دار صادر، بيروت، بلا تاريخ: ص٢٦٧.

(٥) انظر: **النمر**، إحسان: **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**. ط١، مطبعة النصر، نابلس، ١٩٦١: ج٢، ص٢٨٨-٢٩١.

(٦) انظر: **الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية)** ق٢، ج٢، ص١٣٠-١٤٣.

وأضحت نابلس من أهم المراكز العلمية في بلاد الشام في العصر العثماني، وهي لا تقل كثيراً في مكانتها العلمية عن دمشق والقدس وحلب، وأصبحت محط أنظار طلاب العلم الذين يغدون إليها للدراسة على شيوخها، أمثال: البسطامي، والحنبلي، والجعفري والعقرباوي، والتميمي، والسفاريني، وابن مكية الذي تواقد الناس عليه طلباً للفتاوى[1].

قفل البرقاوي من الأزهر عائداً إلى نابلس قبل بداية الحرب العالمية الأولى بسنتين في الأقل، وطلب العلم في المسجد الصلاحي حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، ثم طلب للتجنيد في الجيش العثماني، وكانت خدمته العسكرية في مدينة دمشق.

ولا بد لنا من الوقوف عند بعض من تاريخ المسجد الصلاحي الذي كرع البرقاوي من حياض علمائه، ويعرف أيضاً باسم الجامع الكبير، والصلاحي نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي -قدس الله روحه- الذي كانت مدينة نابلس موضع اهتماماته الاستراتيجية أيام حروب الفرنجة، فبعد حملته المرعبة على إمارة الكرك الفرنجية التي دكها بمنجنيقاته بضعة أيام، وضربها ضرباً عنيفاً متداركاً، وأمطرها بحجارة الرجم لذلك الحصن الذي انطلقت منه الحملات لغزو الحرمين الشريفين، وهدم قبر الرسول، عليه السلام، وهو الوكر الذي اختفى فيه أرناط وذئابه. وقد قصف صلاح الدين تلك القلعة الحصينة ليل نهار[2] حتى ظن الفرنج أن القيامة قد قامت، فاستنجد أرناط الغادر بجيوش الفرنج المعسكرة في القدس، فجاءت منجدة للكرك، فانسحب صلاح الدين إلى حسبان الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة عمان، ليواقع الفرنج هناك، ولكنهم انسحبوا إلى الوالة رعباً وفرقاً من أسد الإسلام، وتوجهوا للكرك مجتازين وادي الموجب بمسالكه شديدة الوعورة، ووديانه السحيقة، وضيق عليهم صلاح الدين المسالك والطرق، فانتهز فرصة غيابهم عن منطقة نابلس، وانقض عليها انقضاض الأجدل على طريدته، فخلص من في حصونها من أسرى المسلمين وكانوا آلافاً، وعاد إلى دمشق محملاً بالغنائم، واغتنى الجند بما حازوه من قلاع الأعداء وحصونهم، ووصف ابن جبير الرحالة الأندلسي الذي كان بدمشق وقت غزوة نابلس أي في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م قائلاً: "... قدهم مدينة نابُلوس، وهجمها بعسكره، فاستولى عليها، وسبى كل من فيها... وكانت غزوة لم يسمع بمثلها في البلاد"[3].

---

(١) انظر: **النمر: المصدر السابق**: ج١، ص١١٣-١١٤.

(٢) انظر: **ليونز**، ملكوم كاميرون؛ جاكسون، د. أ. ب: **صلاح الدين**. ترجمة: علي ماضي، راجعه: نقولا زيادة؛ فهمي سعيد. ط١، الأهلية للنشر، بيروت ١٩٨٨م: ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) **ابن جبير**، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م): **رحلة ابن جبير**. دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م: ص٢٧٢.

وبعد تلك الضربة الخاطفة، الحاطمة القاصمة للفرنج في نابلس بثلاث سنوات، وقعت معركة حطين المباركة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، التي حطم فيها صلاح الدين جيوش الفرنج حطماً، وساق ملوكهم مقيدين بالسلاسل والحبال، وأخذ بثارات الأمة، وشفى غيظها ممن سيروا حملاتهم البرية والبحرية لهدم الحرم النبوي، وبيت الله العتيق، وفتح صلاح الدين نابلس بالأمان[١]، وحوّل صلاح الدين الكنيسة التي بناها الفرنج سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م إلى مسجد عُرف بالمسجد الصلاحي، أو المسجد الكبير الذي بلغ طوله ثلاثمائة خطوة، وعرضه مئة خطوة، وفيه خمسة وخمسون عموداً، ومحرابه واسع، وعدّه الرحالة التركي أولياجلبي الذي مرّ به سنة ١٦٧١م آية في فن البناء، وقد أضيف له بعد ذلك إيوانان، وبركة ومئذنة مثمنة[٢]، واكتسب هذا المسجد أهمية كبيرة لوقوعه في طريق الحج، ولعناية سلاطين المماليك والعثمانيين به.

شيوخ البرقاوي في المسجد الصلاحي بنابلس:

ذكر العودات أن البرقاوي أخذ علمه في المسجد الصلاحي بعد إيابه من الأزهر عن شيخين: الأول الشيخ **موسى صوفان**، والثاني الشيخ **داود هاشم**، وقال العودات: إنه قرأ عليهما: العربية والفقه والمنطق[٣].

أما **شيخه الأول، فهو موسى صوفان**: ووالده عيسى بن عبدالله صوفان بن الشيخ عيسى القدومي، وقد ولد موسى سنة ١٢٥٦ه/١٨٤٠م في كفر قدوم، وهي قرية قريبة من نابُلس، وطلب العلم في دمشق، ثم عاد وسكن في نابلس، ودرّس في المسجد الصلاحي حتى وفاته سنة ١٣٣٦/١٩١٧م[٤].

ينتمي الشيخ موسى صوفان إلى عائلة برز منها عدد من العلماء، منهم ابن عمه عبدالله بن عودة بن عبدالله صوفان المولود سنة ١٢٤٦ه/١٨٣٠م في قرية كفر قدوم التي تعلم فيها، ثم أكمل تعليمه بدمشق، وعاد إلى نابلس مدرساً في المسجد الصلاحي سنة ١٢٨٧ه/١٨٧٠م، وبقي في التدريس حتى وفاته عام ١٣٣١ه/١٩١٢م تاركاً بعده عدداً من المؤلفات في الفقه

(١) انظر: **أبو شامة المقدسي**، عبدالرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٩م): **الروضتين في أخبار الدولتين**. حققه وعلق عليه: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ج٣، ص٣١٥-٣١٦.

(٢) انظر: **الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية ١)**: ق٢، ج٢، ص٢٢٨-٢٢٩؛ الموسوعة الفلسطينية. ط١، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤م: ٢/٩١-٩٢.

(٣) انظر: **العودات، من أعلام الأدب والفكر في فلسطين**: ٦٢.

(٤) انظر: **الدباغ، المرجع السابق، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية ١)**: ق٢، ج٢، ص٣٧٨.

والحديث، ورسالة في رحلته إلى المدينة المنورة، وكانت للشيخ موسى مكانة عظيمة عند أهل نابلس[١].

وقد دون محمد عزة دروزة في مذكراته بعضاً من المعلومات العلمية القيمة التي سجلها عن شيخه موسى صوفان، يقول: "ومنهم الشيخ موسى، وكان مدرساً في المسجد الكبير، يقرأ حصة من حديث البخاري، ويكتظ مجلسه بالسامعين، وترددت عليه أكثر من مرة.. ولا بأس في نطقه، وحسن شرحه. وكان متضلعاً بالعربية أيضاً، وله حلقة درس في (المرستان) الملحق بالجامع الكبير، وله ولبني صوفان غُرفة فيه، وكان يعقد مجلساً تدريسياً فيه لطلاب العلم القرويين وغيرهم، وقد ترددت على هذا المجلس وقتاً ما..."[٢].

وما ذكره دروزة عن شيخه صوفان، يضيء لنا بعضاً من جوانب الحياة العلمية التي عاشها البرقاوي في نابلس، وتتلمذ فيها على صوفان الذي كان محدثاً يلقي دروساً من صحيح البخاري، وكان مجلسه العلمي غاصاً بالمستمعين والطلاب، الذين كان يستعمون إلى شرحه على أحاديث صحيح البخاري.

وكان للشيخ صوفان "غرفة" أو مدرسة، أو حلقة علمية في المرستان الذي ذكره عبدالغني النابلسي في رحلته[٣]، وقال: "ذهبنا إلى الجامع الكبير الذي فيه مكان يسمى بالمارستان"[٤]، وقد دَرّس فيه صوفان النحو والصرف، واللغة والأدب وغيرها من علوم العربية التي وصف بأنه كان متضلعاً فيها، ولذا فإن البرقاوي كان ملازماً لهذه الحلقة، وحريصاً على الإفادة من شيخه صوفان، أكبر علماء العربية في المسجد الصلاحي، بل في مساجد نابلس كلها.

وفوق حلقتي الحديث والنحو واللغة، فإن الشيخ صوفان كانت له حلقة علمية، أو مجلس علمي، أو قاعة محاضرات بلغة عصرنا تسمى "غرفة" في أحد زوايا المسجد الصلاحي، وكانت هذه الغرفة مفتوحة لكل طلاب العلم، وكان طلاب العلم من القرويين، أمثال البرقاوي

(١) انظر: **الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية ١)**: ق٢، ج٢، ص٣٧٧؛ دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة: ج١، ص٦٩-٧٠؛ بالحنيحن، أيمن؛ الغيث، محمد: **مكتبة المسجد النبوي الشريف تاريخ ونوادر**. ط١، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، بلا تاريخ: ص١٤٥.

(٢) **دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة**: ج١، ص٧٠.

(٣) انظر **الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية ١)**: ق٢، ج٢، ص٢٢٩.

(٤) **النابلسي**، عبدالغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ/١٦٣٣م): **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**. نشرها: ديمتري أفندي نقولا. ط١، مطبعة الإخلاص، القاهرة، ١٩٠٢م: ص١٢.

يترددون على هذه الغرفة، التي ربما كان التدريس فيها وظيفة مرتبة من إدارة المسجد الصلاحي. علماً بأن كبار علماء المسجد الصلاحي كانت لهم غُرف فيه[١].

ولدينا وثيقة في الملف الوظيفي لحسن البرقاوي الذي عُين معلماً في إدارة المعارف العامة في إمارة شرقي الأردن في ١٩٢٥/٩/١٢م، ورقم إضبارته (٥٨/١١)، وقد جاء في تلك الوثيقة المحفوظة الآن ضمن وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن[٢]:

> "بما أن حسن أفندي بن محمد صالح عبيد من قرية برقا التابعة لقضاء نابلس الذي تولده سنة ١٣١١ رومي شرقي، لدى مراجعة قيود دفتر المدرسة التي هي في المسجد الكبير الصلاحي بنابلس، وجد المومى إليه قد دخل بها سنة ١٣٣٠، وأبرز شهادات بيده تدل على مجاورته في الأزهر، واشتغاله بطلب العلم، وأنه أثناء إقامته بمدرستا في الجامع الكبير الصلاحي عامين، وخلال هذه المدة قد اجتهد وَجدَّ في مطالعة الدروس العربية والفقه حتى انتفع واستفاد ولذلك أعطيناه هذا الإشهاد".

والوثيقة مؤرخة بـ ١٨ أغسطس من عام ١٩٢٦م، وقد كتبها للبرقاوي "خادم العلم الشريف بنابلس: يوسف صوفان القدومي"[٣]، وجاء بعد ذلك توقيع "يوسف بن عبدالله"[٤].

وكتب على الزاوية اليمنى من أسفل الوثيقة أو الشهادة ما نصه[٥]: "إن الإمضاء الموقعة أعلاه هي إمضاء الشيخ يوسف أفندي صوفان، المدرس في الجامع الكبير بنابلس، وللبيان أعطي هذا الشرح"، والذي صدق على الإمضاء هو مأمور أوقاف نابلس محمد أحمد حماد بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٢٦م.

والمعلِّم الثاني الذي تتلمذ البرقاوي على يديه هو: الشيخ داود هاشم:

ينتسب هذا الشيخ إلى بيت هاشم، الذي يُعد من أشهر البيوتات العلمية التي عاشت في نابلس في نهاية العصر العثماني، وترجع هذه العائلة في نسبها إلى الشيخ محمد بن هاشم الجعفري الملقب بزيتون المتوفى سنة ١٨١٣/١٢٢٨م، وقد تعلم في نابلس ودمشق، ويصفه مؤرخ نابلس إحسان النمر بأنه قد "تضلع في المذهب، حتى أصبح من أعلامه، وقد عين قاضياً لمحكمة القدس الكبرى، وقد اختير

---

(١) انظر: **دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة:** ج١، ص٦٩.

(٢) **وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي**، إضبارة رقم ٥٨/١١ التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال).

(٣) المصدر السابق، **الموظف حسن البرقاوي**، إضبارة رقم ٥٨/١١.

(٤) انظر: **المصدر السابق؛ دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة:** ج١، ص٧٠.

(٥) انظر: **وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي**، إضبارة رقم ٥٨/١١.

لمناظرة علماء نجد، فظهر أمره، وكاد هو وصاحبه الشيخ إسماعيل القدومي أن يقضيا هناك، لولا أن الأمير سعوداً حماهما، وأعادهما سالمين"[١].

وصفه دروزة بأنه "كان أصولياً وفقيهاً مجيداً"[٢]، ومن أعيان هذه العائلة فهمي هاشم الأديب الشاعر الذي دَرسَ في الأزهر، وعلّم في مدرسة النجاح بنابلس التي أصبحت فيما بعد جامعة النجاح، وكان ذا خطوة عند الأمير عبدالله بن الحسين، وأصبح وزيراً وسفيراً في عهده[٣].

أما العالم الذي اتصل به البرقاوي من بيت هاشم، فهو داود هاشم الذي كان هو وشقيقه رشيد مدرسين، في جامع النصر بنابلس الواقع وسط البلدة القديمة، ويرجع إلى عهد صلاح الدين الأيوبي[٤]. وكان للشقيقين في جامع النصر غرفة أو حلقة، يلقيان فيها الدروس في الفقه، وعلم الأصول وغيرهما من العلوم الإسلامية.

ويستدل مما ذكر على أن الحركة العلمية كانت مزدهرة في مدينة نابلس، وكان الجامع الصلاحي مركزاً لها، إضافة إلى المساجد الأخرى، كمسجد النصر، ومسجد البيك، وغيرهما من المساجد التي درس فيها علماء من بيوتات: الخماش، والخياط، والصمادي، وتفاحة، والشرابي، وفتيان، والبسطامي، وحنون، وطوقان، والغزاوي، والعنبتاوي، وزعيتر، والداري، وغيرها من العائلات والأسر العلمية التي نبغ منها كثير من العلماء والأدباء[٥].

وكان لكل عالم من علماء هذه البيوتات العلمية غرفة، أو مدرسة صغيرة، أو حلقة علمية في واحد من مساجد نابلس، وكان الطلاب من مدينة نابلس ومحيطها يقصدون هذه الحِلَق، ويتابعون دروسها في الفقه والحديث، والتفسير والقراءات والتجويد، والنحو والصرف والخط، والتصوف وغيرها من العلوم الإسلامية، علماً بأن كثيراً من علماء هذه البيوتات قد تخرجوا من الأزهر، أو أموي دمشق، أو إسطنبول، وكان لدى بعضهم مجالس علمية يعقدونها في بيوتهم، ويتردد إليها العلماء وطلاب العلم[٦].

(١) النمر، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**: ج٢، ص٦٠.
(٢) **دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة**: ج١، ص٦٩.
(٣) انظر: **دروزة، المصدر السابق**: ج١، ص٦٩.
(٤) انظر: **الدباغ، بلادنا فلسطين**: ق٢، ج٢، ص٢٢٥.
(٥)انظر: **دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة**: ج١، ص٦٩.
(٦) انظر: **دروزة، المصدر السابق**: ج١، ص٧٤.

وفوق ذلك، فإنّ العائلات العلمية في نابلس، كانت تمتلك مكتبات خاصة تشتمل على المخطوطات، والكتب المطبوعة في التفسير، والفقه، والحديث، والنحو والتاريخ، ومن المكتبات العائلية التي ذكرها إحسان النمر: مكتبة آل الجوهري، ومكتبة آل عاشور، ومكتبة آل الشرابي، ومكتبة آل البساطي، ومكتبة آل هاشم الذين درس البرقاوي على واحدٍ من علمائهم، وهو داود آل هاشم(١).

ووجدت مكتبات خاصة فردية في نابلس، مثل مكتبة نمر النابلسي الذي وصفه دروزة قائلاً: "ومن نماذج رجال العلم الديني الفريدة الحاج نمر النابلسي، فقد درس العلم الديني في الأزهر... واقتنى مكتبة، وكان يتردد على ديوانه رجال العلم، وتكون ندوة علمية، وحصل على إجازة بتدريس عام في رمضان في جامع الساطون..."(٢). وقام مجمع اللغة العربية الأردني بنشر "فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي في نابلس"، الذي أعده الباحث محمود علي عطا الله بتكليف من مجمع اللغة العربية الأردني، وكان ضمن منشورات المجمع في عام ١٤٠٤ه/١٩٨٣م(٣).

ويبدو أن حركة التأليف في البيئة النابلسية، كانت نشطة في الموضوعات الإسلامية، ولكن أغلب هذا المخطوطات التي ألفها علماء نابلس، أو ورثوها عن أسلافهم لم يطبع، وتم إهمال كثير منها، بعد انتشار الكتب المطبوعة الرخيصة الثمن، وإثر تسرب قسم من هذه المخطوطات إلى تجار المخطوطات الأوروبيين، الذين وجدوا في مخطوطات بلاد الشام تجارة رائجة، إذ قام سماسرة الكتب من الموارنة وغيرهم بشراء المخطوطات من دمشق وحلب، والقدس، ونابلس، بأبخس الأثمان، ثم نقلت بعد ذلك إلى خزائن الكتب والمحفوظات الأوروبية(٤)، فكان ذلك من أعظم المصائب التي حلت بالذاكرة الحضارية للأمة العربية في بلاد الشام وغيرها من البلاد العربية والإسلامية.

ومن مؤلفات علماء نابلس التي نشرت في مصر ولقيت رواجاً "منظومة الآداب" للشيخ السفاريني(٥).

---

(١) انظر: **النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء:** ج٢، ص٦٦.

(٢) **دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة:** ج١، ص٧٤.

(٣) انظر: **الدروبي**، سمير: "**مجمع اللغة العربية الأردني وتحقيق التراث**" بحث منشور ضمن عدد خاص من أعداد مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في الذكرى الأربعين لتأسيس المجمع، ١٤٣٧ه/٢٠١٦م: ص١٤٦.

(٤) انظر: **النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء:** ج٢، ص٦٤-٦٦؛ **كرد علي**، محمد: **خطط الشام**. ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٠ه/١٩٧٠م: ج٦، ص١٧٣؛ **صالحية**، محمد عيسى: **تغريب التراث بين الدبلوماسية والتجارة**. ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م.

(٥) انظر: **النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء:** ج٢، ص٦٦.

وبناءً على المعطيات السابقة من مسيرة الحياة العلمية في مدينة نابلس في العصر العثماني، فإننا نستدل على أنها كانت تلي دمشق وحلب والقدس في أهميتها العلمية، وكان التعليم فيها يرتكز أساساً على المساجد، وأهمها الجامع الصلاحي أو المسجد الكبير، وجامع النصر، ومسجد البيك الذي يضم الطابق العلوي منه عشرات الغرف الصغيرة التي كانت مساكن لطلاب العلم في نابلس[1]، وربما كان البرقاوي واحداً من الطلاب القاطنين في هذه الغرف المرصدة لسكنى الطلاب القرويين، أو الغرباء الوافدين على نابلس طلباً للعلم.

وقد برز في هذه المساجد عدد من مشاهير المشايخ الذي ينتمون إلى عائلات علمية تتوارث العلم كابراً عن كابر، ولها حلقاتها العلمية، ومكتباتها العائلية والخاصة التي يتردد إليها طلاب العلم، حتى الحصول على إجازاتهم العلمية من شيوخهم، وكانت هذه الإجازات معتمدة عند علماء الشام، وفي الجامع الأزهر، مما يدل على المستوى العلمي الرفيع الذي يحصله الطلاب في مساجد نابلس، يقول إحسان النمر: "كان في المساجد حلقات يدرس فيها العلماء، وكان فيها حلقات يدرس فيها نوع خاص دائم من الفقه، أو الحديث، أو التفسير، أو أي نوع، فيداوم عليها الطالب إلى أن يُجاز من صاحب الحلقة أي يُعطى شهادة، وكانت هذه الإجازات معتبرة في دمشق والأزهر"[2]. ويظن أن علماء نابلس، كانوا قد نقلوا إليها التقاليد والطرائق العلمية التي كانت مطبقة في الأزهر، وغيره من مراكز العلم في العالم الإسلامي يومذاك.

لقد مكث البرقاوي سنتين متتالتين من ١٩١٢-١٩١٤م تقريباً في هذه البيئة العلمية النابلسية المزدهرة نسبياً، ويبدو أنه قد وجد ما حصله في نابلس من علوم العربية والتفسير، والقراءات والحديث والفقه وغيرها لا يقل شأناً وقيمة عما وجده من دروس العلم في الأزهر، بل ربما كانت دراسته في نابلس أكثر ملاءمة لنفسه وطبعه مما وجده في الأزهر من جانب، ولعل البرقاوي وجد البيئة النابلسية أقرب إلى الفطرة والبساطة؛ لأنها أقل إيغالاً في الحضارة مما عليه الحال في القاهرة الخاضعة للاحتلال البريطاني، الذي أتى بجيوشه المجمعة من أجناس مختلفة، وما تبع ذلك من المفاتن والمفاسد التي زحفت على مصر من جانب آخر.

وفوق ذلك، فإن الفارق الجوهري بين ما تعلمه البرقاوي في الأزهر، وبين ما تعلمه في نابلس، أن التعليم في الأزهر قد تسربت إليه الدعوات الإصلاحية والتجديدية، بينما التعليم في نابلس بقي جامداً محافظاً على ما ورثه العلماء فيها عن أسلافهم، وقلما تجد بينهم من يدعو إلى تجديد في الفكر أو المنهاج، أو من يفتح أمام الطلاب آفاقاً للتفكير، أي أنه كان علم

(١) انظر: **الموسوعة الفلسطينية**: ج٢، ص٩٢؛ **الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار النابلسية ١)**: ق٢، ج٢، ص٢٢٦.
(٢) النمر، **المصدر السابق**: ج٢، ص٦٦.

رواية يقوم على حفظ الكتب والمتون المعروفة التي قلما سمح بتدريس غيرها، أو مناقشة ما ورد فيها من موضوعات.

المبحث الرابع- البرقاوي في دمشق لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش العثماني ومواصلته طلب العلم:

توالت النكبات والمصائب على الدولة العثمانية، بعد هيمنة **حزب الاتحاد والترقي** على السلطة فيها، وجرّ هذا الحزب الطوراني الغاشم الدولة إلى الدخول في الحرب العالمية إلى جانب ألمانيا، ضد الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وروسيا) وذلك في عام ١٩١٤م.

وقام حزب الاتحاد والترقي مع بداية الحرب، بفرض التجنيد الإجباري على شبان الولايات العربية، وهو ما عرف باسم (السفربرلك) أي النفير العام، وبدأ الترك بتجنيد أبناء الشام والعراق بالقهر والقوة، فمنهم من فرّ إلى الصحارى، ومنهم من قتل، وأصبح مصير أكثر من جُند منهم مجهولاً؛ لأنهم قلما يعودن من جبهات القفقاس، والأنضول، والدردنيل، والبلقان، واليونان، واليمن، فيموت أكثرهم جوعاً وبرداً ومرضاً. علماً بأن مجرد ذكر (السفربرلك)، كان مثاراً للرعب والفزع، والخوف والجوع، وشدة الفقر والعوز في نفوس الجيل الذي عاش تلك الأيام السوداء، وسمع كاتب هذه السطور كثيرين ممن جايلوا تلك الأيام العجاف، وهي سنوات الحرب العالمية الأولى، أو شاركوا فيها، وهم ينعون تلك الأيام، ويبكون أحبتهم الذين ماتوا فيها جوعاً، أو ذهبوا إلى جبهات القتال ولم يعودوا، أو أسرهم الإنجليز وماتوا في معسكراتهم جراء الجوع، أو عدم العناية الصحية، أو تفشي وباء الكوليرا وغيرها من الأوبئة. لذا فإننا ندرك مقدار المعاناة والألم النفسي الذي عاناه البرقاوي، عندما رأى أبناء أمته يموتون جوعاً ومرضاً وقتلاً جرهم إليه طورانيون وماسون وصهاينة، رغماً عن أنف الخليفة العثماني الذي أصبح يومها رسماً واسماً لا أكثر.

وكان من حسن حظ البرقاوي أن دمشق كانت مكاناً لخدمته، فمكث فيها أربع سنوات حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، فلم يتعرض للأهوال والمشاق التي عاناها الجند العرب بعد سوقهم لجبهات الحرب، ولكن خدمته في معسكرات الترك لم تكن مريحة، بل كانت مزيجاً من الخوف والترقب، والقهر والإذلال، وقد وصف أحد الجنود العرب العيش في تلك الثكنات العسكرية بالقول: "كلما أتذكر أنني جندياً (كذا) أحتقر نفسي لوجودي في هذا السلك، وما أضيق، وما أصعب معيشة الجندي، يخاف من كل واحدٍ، ويحسب حساب الكل حتى الأُمباشي، وبعضاً (كذا) منا يخاف من الأنفار، ليست الجندية وخصوصاً العثمانية إلا مدرسة تعلم الجنود الذل والخضوع لمن هو أكبر منه (أعلى) رتبة، بدون فهم ولا

إدراك، فهم والحالة هذه كالأداة بيد الغير"[١]. أما إذا كان الجندي محباً للمطالعة، فإنهم كانوا "يوبخونه كلما باغتوه وهو يطالع خلال ساعات الدوام، الدوافع معادية للقراءة بشكل عام، أكثر من كونها دوافع الحرص على الانضباط العسكري"[٢].

وقد عاش البرقاوي كغيره من المجندين حياة المعسكرات، التي كانت تحارب القراءة والاطلاع خوفاً من انتشار الوعي بين الجند، ولكن رغبته في العلم وتحصيله، دفعته إلى استغلال أوقات الفراغ أو الإجازات، فسعى إلى الاتصال ببعض علماء دمشق الذين يمكنه الإفادة منهم، ويذكر العودات لنا شيخاً واحداً منهم، هو حسن الزبيدي اليماني، الذي قرأ عليه المنطق، يقول العودات: "وإثر اندلاع الحرب العالمية الأولى أخذ جندياً إلى دمشق، وهناك اتصل ببعض العلماء، كالشيخ حسن الزبيدي اليماني، وقرأ عليه المنطق"[٣]. وخبر العودات يدلنا على حرص البرقاوي على طلب العلم حتى في أحلك الظروف أو أشدها سواداً ورهبة في حياة الأمة.

وفوق ذلك، فإن ما ذكره العودات عن اتصال البرقاوي بالشيخ حسن الزبيدي اليماني يدلنا على أن شعلة العلم لم تخمد في دمشق، وأن هذه المدينة العظيمة، بما لها من تاريخ حضاري وعلمي وإسلامي، جعل منها بيئة صالحة للنهوض، وأن لديها استعداداً خاصاً على الأخذ بأسباب الرقي والتقدم، وسرعة على إحياء العلوم العربية وتجديدها. كما أن الصوت العربي لم يخفت في دمشق، على الرغم من غطرسة الطورانيين، الذين قهروا الناس على سياسة التتريك، إلا أن الانتماء العربي لم يفارق بعض وجهاء دمشق وزعمائهم، ومنهم أحمد عزت العابد (١٨٥١م – ١٩٢٤م)، الذي كان عضواً في مجلس شورى الدولة العثمانية، وكان مجاهراً بعروبته أمام رجالات الأتراك، وقد روى لنا محمد كرد علي، عن أحد الرجال الذين "اختلطوا به كثيراً، أن حب قوميته كان ماثلاً فيه كل المثول، حتى ليجهر بقوميته أمام أعراق الأتراك في التغني بقوميتهم، ولطالما أظهر لهم الوشم الذي طبع على معصمه الأيمن، وهو يوقع الأوراق الرسمية ليريهم أنه فخور بعربيته".

ويجب أن لا ننسى أيضاً أن كثيراً من الشهداء الذين أعدمهم الماسون الطورانيون كانوا دمشقيين، وأن هذه المدينة بقيت متمسكة بعروبتها، وأنها المدينة التي استقبلت أعلام الثورة

(١) **تماري**، سليم: **عام الجراد (يوميات جندي مقدسي عثماني ١٩١٥-١٩١٦)**، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٨م: ص١٥٨. وانظر: **البارودي**، فخري: **مذكرات البارودي**. ط١، بيروت- دمشق، ١٩٥١م: ص٩٩.

(٢) **تماري، المصدر السابق**: ص٤٥.

(٣) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ٦٢.

العربية، وفيصل بن الحسين استقبالاً حافلاً، وأقامت حكومة عربية مستقلة، وشرعت في تطبيق سياسة التعريب، وأقامت أول مجمع للغة العربية في العالم العربي الذي كان جله غائباً عن التفكير القومي، ومعاني الوحدة العربية الإسلامية، إنها عبقرية دمشق الضاربة في مجتمع حي، قابل للنهضة والحضارة على أسس عربية إسلامية. ولذا فإن البرقاوي كان مجدوداً في خدمته بدمشق وإقامته، وقد مكنته هذه الحاضنة الدمشقية، من الإطلاع على كثير من المخطوطات والمطبوعات والمترجمات، التي قلما توجد في مكان آخر غير دمشق أو بيروت التي أصبحت مربوطة بدمشق إدارياً وعسكرياً، خلال الحرب العالمية الأولى. ولا ننسى أن دمشق مدينة معرقة في التاريخ الإنساني، وقد قطنت وكانت عامرة، قبل غيرها من المدن ذات التاريخ البعيد كبغداد والقاهرة، بل وصفها الطنطاوي بأنها "أقدم مدن الأرض قدماً، وأكبرها سناً، وأرسخها في الحضارة"(١).

وحاول كاتب هذه السطور أن يعثر على ترجمة للشيخ اليماني، أو عن خبر عن اهتماماته وجهوده في التعلم، ولكنني لم أجد أي خبر أو إشارة لذلك.

- **البرقاوي يتتلمذ في دمشق على كتب المستشرق فَنْدَيك:**

يخبرنا العودات عما حصله البرقاوي في سنوات تجنيده، قائلاً: "وأولع بالرياضيات، وقرأها في مؤلفات الدكتور فان دايك الأمريكي الأصل"(٢). فمن هو (فَنْديك) الذي تتلمذ البرقاوي على مؤلفاته، وكيف تمكن من الاطلاع عليها؟ وما مدى إفادته منها؟ وما سر اهتمامه بمؤلفاته؟ وللإجابة على هذه الأسئلة، فإنه لا بد لنا من الوقوف على لمحات من سيرة فَنْديك، ومعرفة جهوده العلمية ومصنفاته، وبأي اللغات ألفها.

ولد **المستشرق كرنيليوس فَنْدَيْك** Cornelius Van Dyck في إحدى القرى القريبة من نيويورك في أمريكيا عام ١٨١٨م، درس فيها الطب والصيدلة والرياضيات، واللغات القديمة، وتم اختياره من قبل مجمع المرسلين الأمريكيين مبعوثاً طبياً في بلاد الشام، فقدم إلى بيروت عام ١٨٤٠م وتعرف على المعلم بطرس البستاني، وناصيف اليازجي، والشيخ يوسف الأسير، ودرس عليهم العربية، وحفظ كثيراً من أشعارها وأمثالها(٣)، فأتقن العربية سريعاً، وأصبح ينطقها كأنه من أبنائها. وشارك بطرس البستاني في تأسيس مدرسة في (عِبيّة) بلبنان سنة ١٨٤٧م. وقام فنديك بتأليف الكتب اللازمة للتدريس في هذه المدرسة في الرياضيات، والهندسة والجبر، والطبيعيات، والفلك، والجغرافيا باللغة العربية(٤)، وشارك

---

(١) **الطنطاوي**، علي: **دمشق**. ط٢، دار المنار، جدة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ص٨.

(٢) **العودات، المرجع السابق**: ٦٢.

(٣) **الزركلي، الأعلام**. ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م: ج٥، ص٢٢٣.

(٤) انظر: **زيدان**، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**. مراجعة شوقي ضيف، طبعة جديدة، دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ: ج٤، ص١٩٦-١٩٧.

في ترجمة التوراة التي شرع في ترجمتها المستشرق عالي سميث، ولكنه توفي قبل إتمامها، فأتمها (فَنْدَيك)[١].

ويُعدُّ (فنديك) من المؤسسين للكلية الأمريكية في بيروت سنة ١٨٦٦م التي أصبحت تعرف بالجامعة الأمريكية فيما بعد، وعُيّن فيها (فنديك) أستاذاً للكيمياء، والفلك، والباثولوجيا التي ألف فيها كتباً بالعربية لتدريس الطلاب.

وخدم (فنديك) اللغة العربية تحقيقاً وترجمة وتأليفاً، فقد نشر كتاباً في الأنساب، وآخر في العروض والقافية، ورسالة للرازي في الجدري والحصبة في لندن سنة ١٨٦٦م. وترجم عن اللغة الإنجليزية: "بزوغ النور عن ابن حور" ونشره في مصر سنة ١٨٨٦م، و"إرواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء" سنة ١٨٩٣م[٢].

ومن كتبه التي ألفها في العلوم العصرية باللغة العربية: "المرآة العرفية في وصف الكرة الأرضية"، و"طب العيون"، و"الأصول الجبرية" (١٨٦٩م)، و"الأصول الهندسية" (١٨٧٤م)، و"أصول التشخيص الطبي" (١٨٧٤)، و"أصول الكيمياء" (١٨٧٥م)، و"أصول علم الهيئة"، و"أصول الباثولوجيا الداخلية" (١٨٧٨م) وغيرها من المصنفات العلمية التي جاء بعضها في بضعة أجزاء، وكان أغلب هذه المؤلفات من مطبوعات الجامعة الأمريكية في بيروت أو مصر.

وبناءً على ما سبق عرضه، فإن المستشرق فَنْدَيك العالم الموسوعي، الذي أتقن كثيراً من العلوم العصرية، قد ألّفَ فيها كتباً لطلاب كلية (عِبيّة)، والجامعة الأمريكية في بيروت في موضوعات: الرياضيات، والهندسة والطب، والفلك، والطبيعيات، بلغة عربية علمية، وأثبت أهلية هذه اللغة واقتدارها، على أن تُحوّل إليها العلوم الحديثة، وأن تكون لغة التدريس في الجامعة الأمريكية، وكان فَنْدَيك ويوحنا ورتْبات (١٨٢٧– ١٩٠٨م) عضوي لجنة العمل التي أرست قواعد العمل في الجامعة الأمريكية[٣].

وبقي (فَنْدَيك) المحب للعربية التي ألف بها كتباً في العلوم العصرية، وجعلها بين يدي طلابه حتى سنة ١٨٨٢م، في الجامعة الأمريكية، حتى نشب خلاف بينه وبين بوست الأمريكي الذي حول لغة التعليم في الجامعة الأمريكية، ورأى أن تكون الإنجليزية، بينما كان فنديك مُصراً على أن تكون العربية.

---

(١) انظر: **العقيقي**، نجيب: **المستشرقون**. دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م: ج٣، ٩٩٣.

(٢) انظر: **العقيقي، المرجع السابق**: ج٣، ص٩٩٣.

(٣) انظر: **زيدان**، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**: ج٤، ص٣٩؛ **الزواهرة**، تيسير: **تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء دمشق من ١٨٤٠–١٨٦٤م**، ط١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤١٥ه/١٩٩٥م: ص١٦٧.

ولمّا تغلبت دعوة بوست، وحوّل التدريس إلى الإنجليزية، قَدَّم (فَنْدَيك) استقالته احتجاجاً على إقصاء العربية، مما عرّف أهل الشام على اختلاف طوائفهم بفضله على العربية، ودفاعه عنها لغة علمية، وترك فيها ما لا يقل عن خمسة وعشرين مؤلفاً، فاحتفلوا بيوبيله الفضي سنة ١٨٩٠م، وبقي على عهده مع العربية التي عشقها وحذقها وأحبها، وعرف قدرها بين لغات العالم حتى وفاته سنة ١٨٩٥م[١].

ويبدو لي أن عكوف البرقاوي على كتب (فَنْدَيك) في الرياضيات والطبيعيات، كان له أكبر الأثر في إثراء معارف البرقاوي في الموضوعات العلمية، وبات مقتنعاً بضرورة نهوض العربية لغة علمية، وأن تدريس معارف العصر وعلومه بها، يؤدي إلى أفضل النتائج في تحصيل الطالب العربي للعلوم الحديثة، التي أصبح قادراً على فهمها واستيعابها والكتابة فيها بالعربية، ويعود الفضل في ذلك إلى فَنْدَيك و ورْتَبات وغيرهما من مدرسي الكلية الأمريكية، يقول جرجي زيدان: "وتمتاز الكلية الأمريكية، بالتدريب على استقلال الفكر، وبإحياء الآداب العربية؛ لأنها كانت منذ نشأتها تعلم العلوم بالعربية، فهان على تلاميذها التأليف في هذا اللسان، فكثر المؤلفون، ونبغ الخطباء فيها. وأساتذتها الأولون هم الذين قاموا بنقل العلوم الطبية والطبيعية والرياضية إلى اللغة العربية"[٢].

وبناءً عليه، فإن البرقاوي، كان واحداً من النابهين العرب، الذين أفادوا من هذه العلوم التي تم تحويلها إلى العربية، ونقلها إليها نوابغ المستشرقين أمثال (فَنْدَيك) الذي نهل البرقاوي من معين مصنفاته العلمية، التي اتخذ من العربية وعاء لها، وكان مدافعاً عنها لغة علمية يدرس بها أبناء العرب، علماً بأن كثيراً من المستشرقين حاربوا العربية، وحاولوا إبعادها عن علوم العصر، وهو الذي أصبح سائداً في غالبية الجامعات العربية التي تحول كثير من مدرسيها إلى صف الأعداء في الحرب على اللغة العربية، وإلى الدعوة والتشجيع على التدريس باللغات الأجنبية، فأدى ذلك إلى ضعف الفهم، وتقليص قوة الاختراع والإبداع عند الطالب العربي، وعجز عن التأليف العلمي في اللغة العربية، وما زال هذا الليل الطويل يرخي سدوله على الجامعات العربية التي زاد عددها على المئتين، ولكن كثرة بلا ثمر.

ومن خلال قراءة البرقاوي لكتب (فَنْديك)، ومن خلال اطلاعه الواسع على أخبار رواد النهضة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أدرك الدور المحوري الذي يمكن أن ينهض به المعلم الكَفيُّ المخلص في تدريس اللغة العربية، وربما رأى في السيرة العلمية للمستعرب (فَنْدَيك) الذي جاء إلى لبنان، واتصل بالمعلم بطرس البستاني، ودرس على

---

(١) انظر: **الزركلي**، خير الدين: **الأعلام**. ج٥، ص٢٢٣.

(٢) **زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية**: ج٤، ص٤٠. وانظر: **الدروبي: مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨-٢٠٢١م**: ج١، ص١٠٩.

معلمين نابغين في اللغة العربية، كان لهما الدور الأكبر في سرعة إتقانه للعربية، وبراعته في تأليف العلوم بها، والمعلمان هما: ناصيف اليازجي[1] (١٨٠٠-١٨٧١م) صاحب المقامات الموسومة بـ "مجمع البحرين"، وكتاب "فصل الخطاب" في قواعد اللغة العربية، و"الجوهر الفرد" في الصرف، وغيرها من المؤلفات. والشيخ يوسف بن عبدالقادر الأسير (١٨١٧-١٨٨٩م) من خريجي الأزهر، وهو فقيه شاعر قاضٍ، وكاتب صحفي، وله "شرح أطواق الذهب" و"إرشاد الورى" في نقد كتاب "نار القرى" لناصيف اليازجي وغيرهما من الكتب.

أيقن البرقاوي -وهو في مرحلة التكوين والطلب- أن المعلم المبدع المخلص هو الأساس في نهضة اللغة العربية، وهو صاحب المبادرة في ذلك، ومن الأمثلة على ذلك الشيخ محمد الصالح، الذي كان معلماً في المدارس العثمانية في القدس، وكانت هذه المدارس يومها تعلم باللغة التركية، فما كان منه إلا أن أسس مدرسة "الروضة الفيحاء" في آخر العهد الحميدي، واتخذ قراراً جريئاً، أقدم على تدريس مواد النحو والتاريخ والدين باللغة العربية، وقرر تدريس كتاب الشيخ مصطفى الغلاييني في النحو، وكتاب الشيخ محيي الدين الخياط في التاريخ[2].

ويمكن للقارئ أن يتصور الأثر المحمود الذي تركته مبادرة **الشيخ محمد الصالح** في بعث اعتزاز الأمة بتاريخها ولغتها، علماً بأن إدارة المعارف العثمانية كانت تحاصر العربية، وتمنع عرض المسرحيات العربية التي تتغنى بأمجاد العرب، وتخلد بطولاتهم وأبطالهم، وقد منعت هذه الإدارة عرض مسرحية عن طارق بن زياد فاتح الأندلس[3].

ومن المعلمين الذين عاصرهم البرقاوي، وعرف دورهم في إحياء العربية لغة للتدريس، **المعلم نخلة زريق** (١٨٦١-١٩٢١م)، الذي كان مولعاً باللغة العربية، ومحباً للقرآن العظيم، وله دور كبير في إحياء اللغة العربية التي كانت مهمشة في مدارس الحكومة العثمانية، وكان زريق مديراً لـ"مدرسة الشبان الإعدادية"، وهي مدرسة مسيحية، كان زريق فيها مدرساً للغة العربية، وجعل العربية لغة لتدريس الرياضيات والطبيعيات[4].

ويبدو أن البرقاوي كان معجباً بهؤلاء الرواد الأوائل الذين أبت وطنيتهم، وروحهم القومية، إلا إعزاز العربية، وإحلالها في المكان اللائق بها في تدريس أبناء الأمة، التي

(١) انظر: **الزركلي، الأعلام**: ج٧، ص٣٥١، ج٨، ص٢٣٨-٢٣٩.
(٢) انظر: **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٣٤٢.
(٣) انظر: **تماري، يوميات جندي مقدسي عثماني (١٩١٥-١٩١٦)**: ص٥٧.
(٤) انظر: **العودات، المرجع السابق**: ٢٣٤-٢٣٥.

تداعى الترك والفرنسيون والإنجليز والطليان والإسبان وغيرهم على استباحة حماها، واقتلاع لغتها، وطمس تاريخها، وكبح نوازعها الوطنية في القرنين التاسع عشر والعشرين بل قبل ذلك بقرون منذ أيام محاكم التفتيش[١]، التي جعلت الكلام بالعربية، أو الكتابة بها، جريمة كبرى تودي بصاحبها إلى التحريق بالنار، بعد مقاساته لأبشع أنواع العذاب والتنكيل الذي عرفه التاريخ البشري، وهو ما استفاض ذكره في عشرات الدراسات التي كتبها العرب والمستشرقون.

المبحث الخامس- البرقاوي معلماً وطالباً في عهدي: الحكومة العربية "الفيصلية" بدمشق، والاستعمار الفرنسي في سورية:

أسفرت الحرب العالمية الأولى عن هزيمة الأتراك والألمان سنة ١٩١٨م، وجلاء الأتراك عن بلاد الشام، ودخل الأمير فيصل بن الحسين دمشق فاتحاً، وسط فرح شعبي عارم، وترحيب غامر من أهالي الشام، الذين عاشوا ظروف المجاعات، وقاسوا الكوارث والويلات، وشاهدوا قوافل الشهداء من أبنائهم تقدم قرباناً على مذابح الاتحاديين الطورانيين، من عصابة الاتحاد والترقي الماسونية، التي نفخ فيها يهود الدونمة نيران شرورهم، ومكائد دسائسهم، وحقدهم الأسود على العرب والمسلمين، بعد أن قام حزب الاتحاد والترقي بالانقلاب على السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨م[٢].

وفرض الاتحاديون سياسة التتريك الغاشمة على الولايات العربية، وأصبحت العربية غريبة في أرض الآباء والأجداد، وحلّ لسان الترك محل لغة القرآن الكريم في المدارس والمعاهد، والدوائر والمحاكم، وكادت العربية أن تقتلع من حصونها ومعاقلها في الشام والعراق، والحجاز واليمن.

غير أن النخبة المثقفة من الدمشقيين، وبخاصة طلاب جامعة دمشق، والجامعة اليسوعية، وغيرهما من طلاب الكليات والمعاهد العالية، كانوا يتداولون وسائل الإصلاح، التي يمكن أن تخرج الأمة من نفقها المظلم في أيام الاتحاديين السوداء، وقد نقل فاروق بدران أحد تلاميذ البرقاوي، عن والده عبدالحليم بدران الذي تخرج من كلية الصيدلة بجامعة دمشق عام ١٩٢٠م، أن خمسين شاباً من زملائه، قد اجتمع رأيهم على أن أقرب السبل

---

(١) انظر على سبيل المثال: **كار**، ماثيو: **الدين والدم إبادة شعب الأندلس**. ترجمة: مصطفى قاسم، ط١، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣م: ١٥٧-٣٠٣؛ **مظهر**، علي: **محاكم التفتيش**، ط١، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٤٧م: ص٨٤-١٣١.

(٢) انظر: **الدوربي: مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨-٢٠٢١م**: ج٢، ص٨٤-٨٦.

للإصلاح والنهضة، هو إحياء اللغة العربية، وأن هؤلاء الشباب قد بدأوا بأنفسهم، فتكلموا بالعربية الفصيحة، ورأوا إقامة مدينة فاضلة يتحدث ساكنوها بالعربية الفصحى..."[١].

لقد عاش البرقاوي في البيئة الدمشقية جندياً ومعلماً وطالباً، ولمس هذا الحماس المتأجج في نفوس المتعلمين والأحرار من أبناء الأمة حباً للعربية، ورغبة في رفع منارها، ومما لا ريب فيه أن البرقاوي كان واحداً منهم.

رأى البرقاوي في الحكومة العربية أو الفيصلية (١٩١٨- ١٩٢٠م) التي تحمل الأفكار القومية، أن آمال العرب وطموحاتهم في النهضة والاستقلال قد بدأت تتحقق، وأن هذه الحكومة العربية قد شرعت فعلياً بمحو الآثار السلبية لسياسة التتريك، وأسرعت إلى تعريب لغة الجيش، والدوائر والمؤسسات الحكومية، والمدراس والمعاهد، ونهض أبناؤها بتعريب كتب الطب والقانون والعلوم، واضطلعوا بتدريسها لأبناء العرب.

وعلاوة على ذلك، فإن دعوة الحكومة العربية إلى توحيد العرب على أساس القومية والتاريخ والمواطنة، قد لقيت قبولاً واسعاً، وتعضيداً تاماً من جمهرة أهل الشام، إلا شرذمة قليلة باعت نفسها للمستعمر الفرنسي، ورحبت بقدومه، ورأت فيه منقذاً ومخلصاً، ولكنها سرعان ما اكتشفت أنه كان قاتلاً ومدمراً، وناهباً ومخرباً، ومجرماً مغتصباً[٢]، وباللصوص والمرتزقة معتصباً، ثم جعل لغته رسمية في لبنان في القضاء والتعليم والإدارة، وأدرك الوطنيون أنهم خرجوا من رمضاء الطورانيين، لكنهم وقعوا في نيران الغزاة الفرنسيين وجمرهم الملتهب.

وفي العهد الفيصلي، عين البرقاوي معلماً في المدرسة الخانكية بحي الميدان بدمشق[٣]وهي مدرسة ابتدائية أميرية (حكومية)، ويدل الملف الوظيفي لحسن البرقاوي، وهو الملف الذي يعود إلى عهد الإمارة في شرق الأردن، على أن البرقاوي قد عين معلماً في المدرسة الخانكية بتاريخ ١٩١٨/١٠/١٤م أي بعد قرابة أسبوعين من دخول الأمير فيصل ابن الحسين لدمشق، وقد تقاضى البرقاوي مبلغ (٤٠٠) قرش عثماني، واستمر في المدرسة الخانكية حتى ١٩١٩/٩/١٦م.

ونقل البرقاوي من المدرسة الخانكية، إلى مدرسة إنموذج الملك الظاهر، اعتباراً من تاريخ ١٩١٩/٩/١٦م، حتى تاريخ ١٩٢٠/٩/٣٠م، وبراتب مقداره (٦٠٠) قرش، وبقي

(١) **بدران**، فاروق: **محطات في المسيرة التربوية**. ط٢، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م: ص١٧.
(٢) انظر: **خباز**، حنا: **سلسلة الخباز** (الحلقة الأولى). ط١، مطبعة علم الدين، القاهرة، ١٩٢٨م: ص٣٠-٥٠.
(٣) **العودات**، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين: ص٦٢.

البرقاوي معلماً في إنموذج الظاهر في عهد الاحتلال الفرنسي حتى ١٩٢١/٢/٢٧م وبراتب قدره (٦٩٠) قرشاً.

وفي ١٩٢١/٢/٢٧م نقل البرقاوي معلماً إلى مدرسة إنموذج قبر عاتكة حتى ١٩٢١/٩/١٦م، ثم نقل من إنموذج قبر عاتكة بتاريخ ١٩٢١/٩/١٦م إلى إنموذج الميدان التي علّم فيها حتى ١٩٢٢/٩/١٦م[١].

واللافت للنظر، أن البرقاوي قد علّم في أربع مدارس في دمشق، وأن راتبه تضاعف مرتين خلالها مما يدل على اجتهاده في التعليم، وتقدمه في إتقان عمله، وثناء مديري هذه المدارس على جهوده ونشاطه وإخلاصه في التعليم.

وعلاوة على التدريس المدرسي، فإن البرقاوي قد أفاد من البرامج والدورات المكثفة التي كانت تعقدها إدارة المعارف العامة في الحكومية الفيصلية للمعلمين، في أصول التدريس والمقاصد من التعليم، ومثال ذلك الإعلان عن الدورة المكثفة التي ستعقدها إدارة المعارف في دمشق في الفترة الواقعة بين ٧ تموز حتى الحادي والثلاثين منه من عام ١٩١٩م، ويدل برنامج الدورة على أنها معدة إعداداً جيداً، حضرها المعلمون ومديرو المدارس والمفتشون، وقد غطت الدورة معظم المواد المدرسية، مع المتابعة والتقويم لما حصله المشاركون فيها[٢].

وفوق ذلك، فإن مثل هذه الدورات التدريبية، كانت تولى تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، بل في جميع المراحل التدريسية عناية فائقة، وقد جاء في خبر الإعلان عن الدورة التدريبية المذكورة أعلاه، ما نصه: "عدا عما ذكر تلقى دروس لترقية معلومات معلمي الابتدائية، فيما يتعلق بلساننا العربي، والعلوم الحديثة، وستدرس المعلمات أيضاً ما درسه المعلمون، بواسطة هيئة تنتخب لهذا الأمر"[٣].

ويظهر لنا من الإعلانات والبلاغات الرسمية، التي كانت إدارة المعارف تنشرها في العهد الفيصلي، على صفحات الجريدة الرسمية، أنها كانت تجري فحصاً عاماً لكافة المعلمين غير المتخرجين من دار المعلمين، وأنه على طالبي الانخراط في سلك التعليم والذين هم معلمون، ولم يكن في يدهم شهادة دار المعلمين، أو أهلية أعطتها لهم إدارة المعارف، فتخولهم تعاطي مهنة التعليم، أن يراجعوا إدارة المعارف لقيد أسمائهم لديها"[٤]، وجاء في

---

(١) انظر: **وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي**، إضبارة رقم ٥٨/١١ التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال)، سنة ١٩٢٥م.

(٢) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٧هـ/ ٢٧ حزيران سنة ١٩١٩م: العدد (٣٨)، ص٧.

(٣) **المصدر السابق**: العدد (٣٨)، ص٧.

(٤) **المصدر السابق**، السنة الأولى، ٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ/ ٤ أيلول سنة ١٩١٩م، العدد ٥٦، ص٣.

الإعلان نفسه: "يقبل في سلك التعليم خريجو المدارس السلطانية، وما يعادلها من المدارس الأهلية، بشرط أن يفحصوا في آخر السنة المدرسية القادمة..."[١].

ومما لا شك فيه، أن الإعلانات السابقة لإدارة المعارف في الحكومة العربية، تدل على حرصها على الارتقاء بمستوى التعليم، وعلى عنايتها بتأهيل المعلمين، واختيار الأكفياء منهم، مما يؤدي إلى تنافس المعلمين في تطوير أنفسهم وقدراتهم، وما يكون لذلك من آثار إيجابية على طلابهم، ويبدو أن البرقاوي كان سابقاً مقدماً، وحريصاً متابعاً، لكل ما يمكن أن يرتقي بعلمه ومعرفته، ولذا حرصت إدارة المعارف على الإفادة منه في تأسيس الطلاب في أكثر من مدرسة، وحصل على زيادات مجزية في مخصصاته المالية تقديراً لجهوده الحثيثة في التعليم، وإخلاصه في التدريس.

وكانت هذه المدرسة واحدة من خمس مدارس وجدت بدمشق مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان يطلق على المدرسة (الأنموذج)، ويبدو أن البرقاوي عُرف بكفايته في التعليم، وحصل على وظيفة معلم لغة عربية التي كانت تُعد مرموقة في العهد الفيصلي الذي راع أهل الشام حماسة وإعزازاً لتعلم اللغة العربية وتعليمها[٢]، وقد كان يدرس في هذه المدارس الابتدائية كثير من الأساتذة الأعلام، أمثال: بهجة البيطار، ورفيق السباعي، وحامد التقي، وسعيد الأفغاني الحجة في النحو العربي، وجميل سلطان، وزكي المحاسني، وأمجد الطرابلسي وغيرهم من النابغين، مما يدلنا على أن البرقاوي كان واحداً من طرازهم الرفيع آنذاك[٣].

ولكن المعلم البرقاوي كان متطلعاً للترقي في معارج العلم، ولم تقعده الوظيفة عن متابعة الطلب، والسعي للاستزادة من العلم، فانتسب إلى "المدرسة الكاملية" طلباً للعلم[٤]. والمدرسة الكاملية نسبة للشيخ **كامل القصاب**، وكانت تسمى في أيام العثمانيين باسم "المدرسة العثمانية"، وهي إحدى ثلاث مدارس خاصة أو أهلية في نهاية العصر العثماني، وكان الشيخ القصاب مؤسسها مديراً لها.

والقصاب من كبار المربين، ورجال التعليم والنهضة، وقد شهد له على الطنطاوي بأنه "كان إماماً في التعليم، وعلماً في الوطنية والنضال للاستقلال"[٥] وأصدر المجلس العسكري

(١) المصدر السابق: العدد (٥٦)، ص٣.
(٢) انظر: **الأفغاني**، سعيد: **من حاضر اللغة العربية**. ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م: ص٨١.
(٣) انظر: **الطنطاوي**، علي: **ذكريات**. ط٢، دار المنارة، جدة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ج٥، ص٢٥٩.
(٤) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.
(٥) **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج٦، ص١٢٠.

الفرنسي عليه حكماً بالإعدام، بعد إخراج الملك فيصل من دمشق، وكان القصاب أول اسم في قائمة المطلوبين للإعدام من قبل الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٠م في بلاد الشام، وشارك في وضع أسس التعلم في السعودية فيما بعد[١].

وممّا يمكن أن يضيء لنا جوانب من كدّ البرقاوي، وطلبه الحثيث للعلم في هذا الطور المتقدم من حياته العلمية، ما قاله علي الطنطاوي عن هذه المدرسة، واصفاً حالها التي كانت عليها، أيام انتساب البرقاوي إليها: "... الكاملية المدرسة التي كانت يوماً من أعظم مدارس دمشق، فصارت مدرسة ابتدائية، أنشأها الشيخ كامل القصاب العالم المعلم، الوطني المصلح، وكان يعلم فيها ألمع رجال دمشق، كالدكتور عبدالرحمن الشهبندر، وتخرج فيها جلة من الأساتذة كالدكتور أحمد حمدي الخياط أستاذ أطباء دمشق، والدكتور أسعد الحكيم"[٢]، علماً بأن الخياط أصبح مدرساً في كلية الطب في جامعة دمشق سنة ١٩٢٠م، وكان له دور عظيم في تعريب المصطلحات الطبية التي وضع لها معجماً طبياً بالاشتراك مع زميله مرشد خاطر[٣]، ومن خريجيها محمد بهجة البيطار الذي درس عليه البرقاوي كما سيأتي ذكره.

وفوق ذلك، فإن الشيخ القصاب كان من أعيان الحركة الوطنية وأعلامها في العهد الفيصلي، سيما وأنه الخطيب المصقع، المِدْره المُفوّه القادر على هزّ الجماهير، وتحريك نفوسها، فعندما كشر المستعمر الغاشم عن أنيابه الزرق المسمومة، وعزم الفرنسيون على اقتلاع الحكومة العربية التي أعلنت استقلالها زمن الملك فيصل بن الحسين، وبدأ قائد الجيش الفرنسي (غورو) يرغي ويزبد، ويبرق ويرعد، ويوجه الإنذارات والتهديدات للحكومة الفيصلية مستعلياً ومتوعداً، انبرى القصاب للخطابة في دمشق في المساجد والطرقات، ودوائر الحكومة، والمدارس والمعاهد، محرضاً الناس، ومؤججاً حماسهم على مقاومة الغزو الذي أصبح وشيكاً، بعد خروج يوسف العظمة للتصدي للقوى الغاشمة في معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠م التي أسفرت عن دخول الفرنسيين دمشق، رافعين شعاراتهم الصليبية ومتبجحين بها، فما كان منهم إلا أن جعلوا الشيخ القصاب على رأس القائمة المطلوبة للإعدام الفرنسي[٤]؛ لأنه كان محرضاً عظيماً، وصوتاً مرعداً، أجج

---

(١) انظر: **الطنطاوي، المصدر السابق:** ج١، ص٢٦٣؛ ج٥، ص٢٥٨-٢٥٩؛ ج٧، ص٨٩؛ وانظر: **الزركلي**، خير الدين: **ما رأيت وما سمعت**. ط١، المطبعة العربية، مصر، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م: ص١٤.

(٢) **الطنطاوي، المصدر السابق:** ج١، ص٢٨٠.

(٣) **الطنطاوي**، علي: **رجال من التاريخ**. ط١، دارة المنارة، جدة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ج٢، ص١٦٦.

(٤) انظر: **الطنطاوي، المرجع السابق:** ج٢، ص١٦٦-١٦٧.

نيران المقاومة لدى الأمة، وجعل صوتها مدوياً في آذان الطغاة الذين لا يسمعون إلا قعقعة السلاح، وكيف يكون النضال وضرب الهام.

ولمّا كان مشروع الحكومة العربية، هو النهضة الشاملة في العلوم والإدارة والجيش والاقتصاد، والتعريب وترجمة العلوم العصرية؛ لتحقيق النهضة العلمية التي تمكن الأمة من اللحاق بركب الحضارة الإنسانية، والمساهمة الفاعلة فيها، فإن المجمع العلمي العربي بدمشق كان واحداً من إنجازاتها الخالدة التي نيف عمرها على المئة عام، ثم عرف هذا المجمع فيما بعد باسم "مجمع اللغة العربية" الذي أصبح أديب دمشق ومعلمها في الصحافة والعربية والأدب محمد كرد علي أول رئيس له[1]، بعد أن كان فاراً من الشام، لكن الملك فيصل بن الحسين شجعه على القدوم، وعينه رئيساً لإدارة المعارف، فقدم كرد علي خدمات جُلى للعربية، إذ هو مؤسس أول المجامع العربية التي سار جلها على خطاه العلمية في خدمة لغة الأمة، وسيأتي الحديث عن مدى إفادة البرقاوي من مجمع اللغة العربية بدمشق، ومن المكتبة الظاهرية التي يشرف عليها المجمع.

ويبدو أن إقامة البرقاوي بدمشق خلال الحرب العالمية الأولى، وإبان عهد الحكومة العربية "الفيصلية"، وخلال فترة دخول الاستعمار الفرنسي الذي دمّر دولة عربية مستقلة، وفرض نفسه بقوة السلاح منتدباً على بلاد كانت كارهة لوجوده، رافضة بكل الوسائل لانتدابه، الذي قهر جمهرة السوريين عليه، وكل ما تقدم ساهم مساهمة فاعلة في تشكيل الوعي الوطني والقومي لدى البرقاوي، ولدى النابهين الأحرار من أبناء جيله وبقي الرجل حاملاً لمشعل الوطنية، ورافعاً للفكرة القومية العربية المبنية على لغة القرآن وتعاليمه، وسيرة نبيه وخلفائه وصحابته. وكان دائم الحديث والمحاضرة عن تاريخ الأمة، وما لها من أيام عظام في الانتصارات، وكيف نشرت النور والهداية، والعلم والحضارة، والتسامح والمحبة، وعرّفت البشرية بحقوق الإنسان وكرامته دون النظر إلى عقيدته ومذهبه وعرقه.

وقد درس البرقاوي في "المدرسة الكاملية"، اللغة العربية، والرياضيات والطبيعيات على أستاذين جليلين هما: **درويش القصاص، ومحمود الحمصي**[2] الذي ليس لدينا من المعلومات التي تكشف نشاطاته العلمية بشكل دقيق، ولكن من المؤكد أن البرقاوي درس عليه "الطبيعيات" أي مواد العلوم،

(١) انظر: الدروبي، **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين**: ج٢، ص١٥١-١٧٩.
(٢) انظر: **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

وكل ما ذكر عن هذا المعلم هو ما جاء في ذكريات الشيخ علي الطنطاوي الذي كان صديقاً لـه، أنـه كان مدرساً في مدارس المدينة المنورة فيما بعد، وكان والد الأستاذ محمود الحمصي صـالح شـيخاً للطنطاوي[١].

أما **درويش القصاص** (١٣١٢هـ-١٤١٣هـ/١٨٩٥-١٩٩٢م)، فهو دمشـقي عـالم بالرياضـيات، والهندسة والجبر، واللغة العربية، وكان متقناً للغة الفرنسية، وبعض الألمانية، وكان معلماً للقرآن حتى وفاته، درس القصاص على الشيخ كامل القصاب في المدرسة الكاملية، التي كان فيها طالبـاً ومعلمـاً للرياضيات؛ لنبوغه وتفوقه فيها، وكان القصاص يستعين بالمراجع الفرنسية والألمانية والتركيـة فـي تدريسه للرياضيات والهندسة، ودرّس العربية والفرنسية في الكاملية بدمشق، ودرس في حيفـا أيضـاً فيما بعد.

ألف القصاص كتاب "مبادئ الهندسة" لطلابه، وصنّف كتاباً آخر في الفلـك الوصـفي، وعـرف الرجل بالبراعة في تفهيم الرياضيات والهندسة، وكل ما درس لطلابه، إذ كان عارفاً بالطرائق العلمية والتربوية التي يصل بها إلى عقولهم وأفهامهم، يقول الطنطاوي في غضون حديثه عـن القصـاص: "الأستاذ درويش القصاص، أقدم مدرس للرياضيات (الحساب والهندسة) في دمشق، وكانت له براعـة عجيبة في الإفهام، فهو يُدخل العلم في الأدمغة التي يُظن أنها أغلقت أبوابها، وسدت مسالكها دون العلم فلا يدخلها"[٢]، ونعته أيضاً بأنه "شيخ مدرسي الرياضيات في سوريا"[٣].

ويمكن أن ندرك الأثر العميق الذي تركه القصاص في شخصية تلميذه البرقاوي العلميـة، وفـي بنائه المعرفي، فالقصاص جمع إلى تبحره باللغات: العربية، والفرنسية، والتركية، وغيرها، التفوق في معرفة الهندسة والرياضيات التي تُعد من أصعب المواد الدراسية، وكانت طريقته المبتكرة في تدريسها إقليداً لخزائن العقول، التي يفتح لها طريق الاستيعاب والفهم، والترغيب والتحبيب فيمـا هـو بصـدد تدريسه، وإن كانت أبوابها مقفلة عن استيعابها وفهمها، يضاف إلى ذلك تبحره في قراءة القرآن، وفهم علومه وأسرار إعجازه.

---

(١) انظر: **الطنطاوي، ذكريات:** ج٤، ص٢٤٦.

(٢) **الطنطاوي، ذكريات:** ج٧، ص٩١.

(٣) **الطنطاوي، المصدر السابق:** ج٨، ص٢١٩-٢٢٠.

وتؤكد لنا المادة الوثائقية التي عثرنا عليها في الملف الوظيفي للبرقاوي –الذي يعود إلى إدارة المعارف العامة في إمارة شرقي الأردن التي عين فيها معلماً بتاريخ ١٩٢٥/٩/١٢م، ورقم إضبارته فيها ٥٨/١١– حصول البرقاوي على شهادة من المدرسة الإعدادية الكاملية بدمشق ومؤرخة بـ ١٦ تموز ١٩٢٥م، وتثبت لنا هذه الوثيقة أو الشهادة دراسة البرقاوي على محمود الحمصي، ودرويش القصاص، ومحمد بهجت البيطار، وهم من كبار العلماء الدمشقيين ونوابغهم في تخصصاتهم، ونصت شهادتهم على أن البرقاوي كان "مثال الاجتهاد والكمال والبيان" وهذه الكلمات على وجازتها تؤكد لنا مبلغ إعجاب مدرسي البرقاوي بما وصل إليه في دراسته عليهم، ولذا فإنهم عدوه مثالاً وأنموذجاً رفيعاً، وقدوة تحتذى في الدراسة والسلوك والعمل في ثلاثة أمور:

أولها– الاجتهاد: أي أن البرقاوي بذل قصارى جهده، وأفرغ ما في وسعه وطاقته لتحصيل العلم، والتوافر على طلبه وفهمه[١].

وثانياً– الكمال: أي أنه بلغ التمام في الصفات الإنسانية المحمودة، مثل: حسن الخلق، وصدق القول، والاستقامة والورع، إلى غير ذلك من صفات الكمال المحمودة في خُلق البشر[٢].

وثالثهما– البيان: هو "الإفصاح مع ذكاء"[٣]، أي أن لغة البرقاوي فصيحة، وأن السامع له يدرك مبلغ فصاحته التي يتكلم بها مع الناس، أضف إلى ذلك أن تلك الفصاحة، كانت مقرونة بالذكاء الذي يدل على موهبة يمنحها الله لمن يشاء من عباده، علماً بأن الأشخاص الذين يجمعون بين الفصاحة والبيان، والذكاء وسرعة البديهة قلائل، ولكن أساتذة البرقاوي قد شهدوا له باجتماعها فيه، –وهي شهادة ثقات عدول– كانوا يدرسونه: الكيمياء والفيزياء، والهندسة والرياضيات والفلسفة واللغة العربية، وغيرها إذ بدا لهم البرقاوي ظاهرة فريدة، خلقاً وذكاء، وفصاحة وبياناً، وتماماً وكمالاً، وغير ذلك من الصفات المحمودة.

وقد ورد نص شهادة المدرسة الكاملية، أو الإعدادية الهاشمية للبرقاوي على النحو التالي:

---

(١) **الفيروزآبادي**، مجدالدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م): **القاموس المحيط**. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: (مادة: جهد).

(٢) **الفيروزآبادي، المصدر السابق** (مادة: كمل).

(٣) **الفيروزآبادي، المصدر السابق** (مادة: بين).

المدرسة الإعدادية الكاملية بدمشق

إن السيد حسن البرقاوي بن السيد محمد الصالح، قد تلقى في مدرستنا الهاشمية الإعدادية الدمشقية علوم الآداب العربية، والجبر والهندسة، والحكمة الطبيعية، والكيمياء بدراسة خاصة على الأساتذة الأفاضل الشيخ بهجت البيطار، والسيد درويش القصاص، والسيد محمود الحمصي مدة (٣) سنوات ابتداءً من عام ١٩١٩م إلى غاية عام ١٩٢١م وكان خلالها مثال الاجتهاد والكمال والبيان أعطي هذا التصديق.

أستاذ الطبيعيات	أستاذ الرياضيات	أستاذ اللغة العربية
محمود الحمصي	درويش القصاص	محمد بهجت البيطار

أصدق بأن هذه هي تواقيع الأساتذة المذكورين

١٦ تموز سنة ١٩٢٥م

مدير المدرسة الإعدادية الهاشمية

أحمد

ولا ريب في أن البرقاوي، قد نهل من معين علم القصاص الذي لا ينضب، وكان إجلاله له وإعجابه به عظيماً، بل ربما أصبح القصاص مثلاً مفقود المثال، وأنموذجاً ذا مستوى شامخ في العلم والمعرفة، بل في السلوك والشخصية عند البرقاوي، ولعل القصاص العالم هو مفتاح شخصية البرقاوي، الذي كان يتحدى زملاءه في تدريس الرياضيات والطبيعيات، والفلسفة والعقائد، واللغة العربية والعلوم الإسلامية، بل هو الأستاذ المِفَن الذي يدرس كل العلوم بالعربية؛ ليقنع المتشككين الذين حاولوا حصر اللسان العربي ومحاصرته في تدريس الدين واللغة العربية، وسعوا إلى إبعاده عن تدريس العلوم العصرية، والتقنيات الحديثة، وهو ما فعله الفرنسيون في لبنان والمغرب العربي، والإنجليز في مصر والسودان، عندما أصدر أحمد لطفي السيد[١] سنة ١٩٢٧م فرمانه الملزم للجامعة المصرية بتدريس علوم العصر باللغة الإنجليزية؛ لأنه رأى اللغة العربية غير صالحة للتعلم الجامعي في المواد

(١) انظر: **الجندي**، أنور: **الفصحى لغة القرآن**. دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا تاريخ: ١٤٩-١٨٨.

العلمية!!!. ومن يومها سار ركب معظم الجامعات العربية على هذا الدرب المظلم، الذي قدم لغة المستعمر على اللغة القومية، وهو ما تأباه قوانين وشرائع الأمم الحية، ويخالف قوانين التربية والتعليم، ولذا فإن قرار لطفي السيد الذي أوحى به إليه الاستعمار البريطاني قد أخر أمتنا قرناً عن غيرها من الأمم. علماً بأن لطفي السيد كان من المباركين والمهنئين بافتتاح الجامعة العبرية سنة ١٩٢٥م والتي جعلت من اللغة العبرية الميتة لغة لكل العلوم والمعارف منذ يوم افتتاحها الذي كان فيه السيد من المطبلين المطبعين، نيلاً لرضى أولياء أمره من المستعمرين، والذين يدورون في فلكهم من الحزبيين.

وفي دمشق عرف البرقاوي عالِمَيْن مُصلحَيْن كان لهما دور كبير في توجيهه المعرفي وتكوينه الفكري، وهما: بهجت البيطار، وعبدالفتاح الإمام، ولا بد لنا من التعرف على هذين العلمين، لنتبين ما كان لهما من آثار وبصمات، وإضاءات وتوجيهات، في إرشاد البرقاوي، وتوجيه خط سيره علمياً وفكرياً، ثقافياً ومعرفياً، وطنياً ودينياً.

الأول- محمد بهجت البيطار (١٣١١/١٣٩٦م-١٨٩٣/١٩٧٦م):

من مواليد دمشق، وكان والده من جلة مشايخها وعلمائها، وهو سليل أسرة البيطار المعروفة بالعلم، تتلمذ البيطار على أربعة من كبار علماء عصره الذين يعدون من زعماء الإصلاح والنهضة في مطلع القرن العشرين[١]، وهم:

- **جمال الدين القاسمي** (ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م): كان إمام الشام في عصره[٢]، وعالماً بالدين، ومتبحراً في الأدب عرف برفضه للجمود والتقليد، ودعوته للتجديد، وكان يطوف على المدن والقرى لإلقاء المحاضرات، ونشر الوعي بين الناس، وإصلاح المساجد من البدع، وكان يدرس العلوم الإسلامية والآداب العربية، وله عشرات المصنفات في العلوم الإسلامية، أبرزها تفسيره للقرآن المسمى بـ"محاسن التأويل" في سبعة عشر مجلداً.
- **بدر الدين الحسني** (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م): محدث الشام في عصره، كان مرجعاً في الحديث والتفسير، واللغة والنحو والصرف، وله معرفة بالرياضيات والفلك، وكانت دروسه في الأموي مجالس في الحديث النبوي الشريف، وله طريقته في تدريسه، فيأتي بالحديث، ويُعرّف طُرقه ورواته، ويشرحه لغة وبلاغة ونحواً، مورداً الشواهد على ذلك.

(١) انظر: **الطنطاوي، رجال من التاريخ**: ج٢، ص١٧٠.
(٢) **الزركلي، الأعلام**: ج٢، ص١٣٥.

ومما هو معروف عن سيرته العلمية، أنه بعد أن أخذ المبادئ الأولى في العلوم الإسلامية، أصبح كتابه شيخه، وأقبل على المطالعات الواسعة في الكتب المخطوطة والمطبوعة، التي كان يستجلبها من كل البلدان، ولو بأغلى الأثمان[١]، وكان مصنفاً، ترك عشرات الرسائل في الحديث والتوحيد، وكان الحسني خلال الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥-١٩٢٧م يطوف على المدن والقرى، ويتصل بزعماء الثورة، محرضاً على مقاومة الغزاة، وردّ الفرنسيين عن بلادهم، فكان كما يقول الزركلي "أباً روحياً للثورة والثائرين المجاهدين"[٢].

- **رشيد رضا** (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م): وهو من مواليد القلمون القريبة من طرابلس الشام، تتلمذ على يدي الشيخ محمد عبده في بيروت والقاهرة، وحمل راية دعوته الإصلاحية في الدين والاجتماع، والنهضة والحرية والاستقلال من بعده، وأصدر مجلة "المنار" الذائعة الصيت، وأصبح "مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة"[٣]، وهو من دعاة النهضة العربية، اتصل بالملك فيصل بن الحسين بدمشق عام ١٩١٩م، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري في عهد الحكومة الفيصلية، وله مصنفات كثيرة في التجديد والإصلاح، وكتب تاريخ الإمام محمد عبده[٤].
- **محمد الخضر حسين** (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٨م): ولد بتونس سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وتخرج من مسجد الزيتونة ودَرَّس فيه، ثم رحل إلى دمشق قبل الحرب العالمية الأولى، وعمل مدرساً في المدرسة السلطانية، ثم رحل من دمشق إلى القاهرة سنة ١٩٢٢م، ونال العالمية من الأزهر، ودرّس فيه، ثم أصبح شيخاً له فيما بعد، وله كتب في الدعوة إلى الإصلاح، وفي البلاغة القرآنية، ورد على كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي"، وعلى كتاب مصطفى عبد الرازق "الإسلام وأصول الحكم"، إلى غير ذلك من الأعمال التي انبرى فيها للدفاع عن الأدب العربي، والتراث الإسلامي، وكان من أشد المدافعين عن العربية، وألف فيها كتاب "حياة اللغة العربية"، وهو من المدافعين عن المغرب العربي في وجه الاستعمار الفرنسي[٥].

---

(١) انظر: **الطنطاوي، رجال من التاريخ**: ج٢، ص١٣٤-١٣٩.

(٢) **الزركلي، الأعلام**: ج٧، ص١٥٨.

(٣) **الزركلي، المرجع السابق**: ج٦، ص١٢٦.

(٤) انظر: **الزركلي، المرجع السابق**: ج٦، ص١٢٦.

(٥) انظر: **الزركلي، المرجع السابق**، ج٦، ص١١٤.

ومن خلال العرض الموجز لسيرة أربعة من أعلام الإصلاح والنهضة في النصف الأول من القرن العشرين، يتبين لنا مدى التأثير الهائل الذي تركه هؤلاء العلماء في نفس البيطار، وتحصيله العلمي، ولا سيما أنه عُدَّ واحداً من أنجب تلاميذهم، وأكثرهم علماً[1]، وأفاد من طرائقهم في التدريس، وفي الثورة على الجهل والتقليد، وفي العناية بطلاب العلم والإحسان إليهم، وتبني النابغين منهم، وقد وقف البرقاوي على أسرار دعوتهم، ووقف على الكثير من مواقفهم وأخبارهم من شيخه البيطار.

وفوق ذلك: فإن البرقاوي الذي كان منهوماً بجني ثمار العلم، ومتهافتاً على إتقانه، وشغفاً بتحصيله، قد أفاد من دروس هؤلاء المشايخ، وتردد على حلقاتهم العلمية في المسجد الأموي، وغيره من المساجد والمدارس بدمشق، وقرأ مقالاتهم الإصلاحية، وعرف مواقفهم الداعية إلى مقاومة الغزو الاستعماري الحديث، واستنار بسيرهم العلمية، ولا سيما الشيخ بدرالدين الحسني الذي اتخذ من الكِتاب مُعلماً له، وعول عليه في تحصيله للعلم، فوقف البرقاوي على طرائقهم في التعليم، وعلى ما عرفوا به من الزهد والورع والخشوع لله عزّ وجل، وعدم التكالب على الدنيا، أو التهافت على مناصبها وعرضها الزائل.

ويظهر أن البرقاوي قد أفاد كثيراً من العلماء الذين يلقون دروسهم في المسجد الأموي بدمشق، وبخاصة إذا علمنا أن شيخه البيطار، كانت له دروس رمضانية في الأموي، الذي كان ملتقى العلماء الوافدين على دمشق أو المهاجرين إليها، وقد كثُر القادمون من الحجاز، ومصر، والمغرب العربي فارّين من أهوال الحرب العالمية الأولى. وكان هناك تقليد علمي في أموي دمشق للعلماء الوافدين إليها، فيقوم كل عالم ورد إليها بقراءة أو إلقاء درس في الأموي "يبين فيه عن علمه، ويكشف عن مشربه، ولقد حضرت دروساً منها لأكابر علماء مصر والشمال الإفريقي وغيرهما"[2].

ومن العلماء الواردين على دمشق إبان إقامة البرقاوي بها، عبدالحي الكتاني وهو من كبار المحدثين والمؤرخين المغاربة،[3] وصاحب "فهرس الفهارس"، و"التراتيب الإدارية"، و"الرسالة المستطرفة" وغيرها من المصنفات الكثيرة، ويتضح مما ذكره الطنطاوي عن الكتاني المكانة العلمية السامية التي حظيت بها دروسه في أموي دمشق، يقول الطنطاوي: "أما الشيخ الكتاني، فقد كان آية في معرفة علوم الحديث، وكتابه العظيم الذي سماه –

(١) انظر: **الطنطاوي، رجال من التاريخ:** ج٢، ص١٧٠.
(٢) **الطنطاوي، ذكريات:** ج١، ص٧٩.
(٣) انظر: **الزركلي، الأعلام:** ج٦، ص٧٢-٧٣.

تواضعاً- "الرسالة المستطرفة" دليل هذا العلم، الذي لا أعرف في هذا العصر، ولا غيره من ألف مثله، وأحسب أنه أملاه إملاءً... وكنا نحضر درسه، فيقرأ معيد الحلقة، وهو السيد محمد الزمزمي... ثم يأخذ الشيخ بالكلام عن رواة الحديث واحداً واحداً، يذكر من وثقه ومن تكلم فيه، ثم يتكلم عن المتن كأنه يقرأ من كتاب، وذلك في هيبة ملك، وتواضع عابد، واطلاع عالم منقطع النظير، بلهجة مغربية حلوة..."(١).

ومن علماء المغاربة الواردين على دمشق الشيخ البلغيثي "درس مدة في الأموي، وكان أعجوبة في المسائل المعقولات، وفي حل المشكلات..."(٢)، ودرس في الأموي آخرون كالشيخ عبدالقادر الإسكندراني، والشيخ العلمي المفسر، والشيخ العذري، الذي كان جريئاً في نقده للفرنسيين، يقول الطنطاوي واصفاً إياه: "وكان في درسه صراحة عجيبة، كان يشتم الفرنسيين، ومن يعاونهم أقبح الشتائم، فمنعوه من التدريس"(٣).

وممّا تقدم من الأمثلة التي عكست لنا جوانب من الحياة الفكرية والعلمية، التي حمل راياتها العلماء الشاميون، وغيرهم من العلماء المسلمين العرب الوافدين على دمشق، ندرك مدى الفائدة التي حصلها البرقاوي في جامع بني أمية، فقد كان أشبه ما يكون بجامعة علمية لها العشرات من خزائن الكتب الموقوفة على طلاب العلم(٤)، وتدرس فيها كل العلوم الإسلامية والعربية منذ تأسيسه في نهاية القرن الهجري الأول، وحتى زمن إقامة البرقاوي بدمشق جندياً وطالباً ومعلماً، في القرن الرابع عشر الهجري.

وعُرف البيطار (شيخ البرقاوي في العربية) بسعة اطلاعه على العلوم الإسلامية والعصرية، فقد درس الفرنسية في المدرسة العزيزية بدمشق، وعمل معلماً في مدرسة أنموذج الميدان الابتدائية، وكان يخطب ارتجالاً في جامع القاسمي خلافاً لأكثر خطباء عصره، الذين كانوا يخطبون من الكتب، وله به دروس يومية، وكانت له دروس رمضانية في أموي دمشق، وهو أحد أعضاء المجمع العلمي بدمشق، ثم أصبح فيما بعد مدرساً في

---

(١) **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج١، ص٧٧.

(٢) **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج١، ص٧٧.

(٣) **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج١، ص٧٩.

(٤) انظر: **الدروبي**، سمير: "**خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق من القرن (٦-١٢ه/١٠-١٦م)**، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، وهو بعنوان: الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، تحرير: محمد عدنان البخيت، ط١، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م: م٢، ص١٤٣-١٦٢.

الحرم المكي، ومديراً للمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وأنشأ دار التوحيد في الطائف، وقد انتفع بجهوده في أرض الحرمين كثير من طلاب العلم، وأصبح بعضهم من العلماء المعروفين في العالم الإسلامي.

ورفض البيطار فكرة التعصب المذهبي التي غلبت على كثير من علماء عصره، ودعا إلى نبذ التقليد، ودعا إلى الاعتماد على الدليل، فأعجب بكتب ابن تيمية التي تحض على اتباع عقيدة السلف، ورفض أفكار الصوفية التي غلبت على الكثيرين من أهل الشام في ذلك الزمن، وما كان لذلك من آثار سلبية في تعطيل العقل، وسيادة الخرافة[1] بدمشق.

آثر بهجة البيطار وظيفة المعلم في المدارس الابتدائية –على قلة دخلها– على وظائف الفرنسيين التي كانوا يستميلون بها النابهين من أبناء الشام، ثمناً لسكوتهم على جرائم المحتلين الذين يعيثون قتلاً وبطشاً، واغتصاباً وظلماً، وفساداً ونهباً في ربوع الشام[2].

ولا شَكّ، أنّ كثيراً من شيوخ البرقاوي وزملاءه في التعليم الابتدائي من جِلّة العلماء، أمثال: بهجت البيطار، وحامد الفقي، وسعيد الأفغاني، وسليم الزركلي وغيرهم مِمَّن كانوا يعدون التعليم قربة إلى الله، وهم مسؤولون يوم العرض عليه، عن هذا العمل الذي ندبوا أنفسهم لامتهانه، وتجلى هدفهم الأسمى في تربية جيل مؤمن، وبناء أمة واعية أبية عزيزة، وكان دأب المعلمين في هذه المرحلة نشر الوعي الوطني بين الطلاب، وغرس كُره المستعمر ومن والاه عندهم، وترسيخ الأخلاق الفاضلة في نفوسهم، يقول الطنطاوي الذي عاش تلك الأيام، وسجل ذكرياته عنها، متحدثاً عن أساتذته وعن نفسه: "كنا نعيد عليهم كل يوم، أن هذه البلاد لنا، وأن الفرنسيين واغلون علينا، عادون على حقنا، ومن يعاونهم منا أعدى منهم علينا، وإن كان في الظاهر منا"[3].

عاش البرقاوي في تلك البيئة الوطنية الصحيحة، التي تعمل على توعية الأجيال، وتدفعهم إلى النهضة، وتعلمهم كره المحتل وأتباعه، متبعين في ذلك سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم– في تعليم الأمة، وتبليغها بالحكمة والموعظة الحسنة، سالكين طريق الرفق والتواضع، إلى غير ذلك من الأخلاق الرفيعة التي تحلى بها البرقاوي وأشياخه وأقرانه،

(١) انظر: **الطنطاوي**، علي: **رجال من التاريخ**: ج٢، ص١٧٠-١٧٨؛ ذكريات: ج١، ص٣٠، ٧٧.
(٢) انظر: **الطنطاوي، ذكريات**: ج٢، ص١٠٤.
(٣) انظر: **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج٣، ص٢٦٢.

علماً بأن هذه الطريقة في التعليم كانت مما عرف عن البرقاوي عندما وصل إلى الأردن سنة ١٩٢٥م، وانخرط في سلك التعليم، حتى فارق الحياة سنة ١٩٦٩م.

وكان قلبُ البيطار وبيته مفتوحين لطلاب العلم[١] وللعلماء، وجمعته صداقات كثيرة مع محمد جمال الدين القاسمي، ومحب الدين الخطيب، وعرف بملازمته وصداقته "لعز الدين التنوخي، العالم اللغوي العروضي، الذي جمع من المزايا ما لو وزع على عدد من النابغين لخلد به ذكرهم"[٢] وغيرهم من أعلام الدماشقة، وأعضاء مجمعها العلمي.

وعرف البرقاوي البيطار في المدرسة الكاملية، ودرس عليه اللغة العربية، وعرفه في المجمع العلمي العربي، يقول يعقوب العودات: "وفي دمشق اتصل بالشيخ بهجة البيطار الذي توسم فيه الذكاء، وأيقن أن في إهابه عالماً لغوياً كبيراً، لما يعرفه من علماء جبل نابلس من الفضل، وطول الباع في العلم، وشجعه على قراءة كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبدالقاهر الجرجاني"[٣].

قلت: إن صلة البرقاوي بالشيخ البيطار لم تقتصر على تشجيعه، بل كانت دراسة منظمة، ومتابعة كاملة، إذ تتلمذ عليه البرقاوي، ولازمه ثلاث سنوات في محاضراته وفي دروسه الخاصة، ثم منحه إجازة علمية[٤] هذا نصها:

> إلى من يهمه الأمر
>
> أنا الموقع أدناه بهجة البيطار الدمشقي، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، والأستاذ المحاضر في الجامعة السورية، ومدرس اللغة العربية في ثانويات دمشق، أشهد أن السيد حسن بن محمد صالح البرقاوي، قد تتلمذ عليّ، ودرس "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" و"الإحكام في الأحكام في علم الأصول" خلال الأعوام ١٩١٩-١٩٢١م. وكان موضع التقدير والكفاءة خلقاً واجتهاداً، وعليه أعطيته هذه الشهادة".

وشهادة البيطار للبرقاوي صادرة عن مجمع اللغة العربية بدمشق وموقعة من البيطار نفسه.

---

(١) انظر: **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج١، ص٢٦٦، ج٣، ص١٢٨، ج٤، ص٨٠.

(٢) **الطنطاوي، المصدر السابق**: ج٤، ص٢٩٨.

(٣) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

(٤) نسخة مصورة عن هذه الإجازة، وهي من **محفوظات المكتبة الوطنية في الأردن**.

ويضيف العودات، أن البرقاوي قد قرأ على الشيخ بهجة البيطار كتاباً في الفلسفة، لم يسمه، وذكر أن زميل البرقاوي في دراسة هذه المصادر الضخمة، هو صبري العسلي رئيس وزراء سوريا الأسبق[1].

وقد أفاد البرقاوي من مخطوطات المكتبة الظاهرية وكتبها، التي أشرف عليها مجمع اللغة العربية. إضافة إلى خزانة المجمع نفسه التي تضاعفت أعداد مقتنياتها من المعاجم والموسوعات والمجلات والصحف الحديثة، وهو مما سنبينه في الصفحات التالية من هذا البحث.

والثاني- عبدالفتاح الإمام (١٢٩٤- ١٣٨٤ه/١٨٧٧-١٩٦٤م):

وهو من العلماء الذين قرأ عليهم البرقاوي في دمشق، والإمام من مواليد دمشق، قرأ على علمائها علوم اللغة العربية، والفقه والأصول، والحديث والتفسير، سافر الإمام إلى إسطنبول للدراسة في الكلية الحربية التي تخرج منها ضابطاً، واشترك في الحرب العالمية الأولى، وكانت خدمته في البلقان، ثم عاد إلى دمشق، ودرّس في مدارسها، وعمل في المكتبة الظاهرية بضع عشرة سنة.

وعُرف الإمام بدعوته للإصلاح، وتفرغ بعد ذلك للعمل الإسلامي والاجتماعي، وأسس "لجنة الشبان المسلمين" التي قامت فكرتها على اشتمال الإسلام على كل ما ينفع المجتمعات مادياً أو معنوياً. وكان الإمام مدافعاً عن الدين الإسلامي، مبيناً أنه دين العلم والعقل، وأن الاكتشافات العلمية الحديثة تؤكد ذلك، وكان متأثراً بمنهج طنطاوي جوهري في تفسير القرآن تفسيراً علمياً، ودعا الإمام العرب والمسلمين إلى الأخذ بأسباب التقدم في العلوم العصرية، وإلى الاهتمام بالعلوم التجريبية؛ لأن حضارة أسلافهم قامت على العقل والعلم. ونشر الإمام عدداً كبيراً من الرسائل والكتب التي تحث المسلمين على ذلك.

وشارك الإمام الشيخ محمد بهجة البيطار، وسعيد الأفغاني، وحمدي الخياط، وزهير الشاويش، وأحمد دهمان، وغيرهم من نوابغ الدمشقيين في تأسيس جمعية "التمدن الإسلامي" التي نشرت أكثر من مئة كتاب، وأصدرت مجلتها الذائعة الصيت "مجلة التمدن الإسلامي" التي كانت أغلب مقالاتها متعلقة بالإصلاح والنهضة، واستمر صدورها قرابة نصف قرن، وكان البرقاوي واحداً من كتابها، ومن المناصرين لأهدافها ورسالتها.

ومن كتب الإمام التي تدل على تفكيره، وجوهر دعوته للنهضة الإسلامية، التي بنى على أساسها كثير من المفكرين المسلمين كتبهم ودراساتهم فيما بعد: "العلم والعقل"،

(١) العودات، المرجع السابق: ص٦٢.

و"المسلمون كيف تقدم الأولون منهم؟ وكيف تأخروا اليوم؟ وكيف يستردون مجدهم؟"، و"الحقوق في الإسلام"، و"الإسلام والعلم"، و"الحضارة الإسلامية"[١]. وغيرها من الكتب الدائرة في فلك النهضة الإسلامية، وصحوة الأمة من سباتها.

ويبدو أن البرقاوي كان معجباً بأفكار أستاذه الإمام الإصلاحية، التي تقوم على إعمال العقل، وأخذ الأمة بأسباب التقدم العلمي، والاهتمام بالعلوم التجريبية التي هي أساس النهضة المعاصرة، ولكن إفادة البرقاوي من أستاذه الإمام كانت في ميدان الفقه، وعلم أصوله عندما درس عليه "مجلة الأحكام العدلية" التي وضعتها لجنة من كبار علماء الفقه والشريعة في الدولة العثمانية، وصدرت سنة ١٨٧٦م.

ومجلة "الأحكام العدلية" عبارة عن قانون مدني، يتعلق بالأحوال الشخصية، والعقوبات والمعاملات، وهو مستمد من فقه المذهب الحنفي، جاء على شكل مواد قانونية، ذات أرقام متسلسلة، بلغت ١٨٥١ مادة، صيغت على غرار المواد القانونية الحديثة، وكتبت هذه المجلة باللغة التركية، ثم ترجمت إلى اللغة العربية، وأصبحت مصدراً للقوانين المدنية في بعض البلاد العربية.

ولما كان أكثر مواد هذه المجلة مصوغاً بطريقة موجزة، فإنه يحتاج إلى تفسير، مثال ذلك: المادة (٤) اليقين لا يزول بالشك. المادة (٥) الأصل بقاء ما كان على ما كان. المادة (٩) الأصل في الصفات العارضة العدم، إلى آخر مواد هذه المجلة.ولذا فإن البرقاوي المتطلع عقله إلى الفهم الدقيق لهذه الأحكام المستمدة من كتب علم الفقه وأصوله التي درس كثيراً منها، وكانت هذه الأحكام متناثرة فيها، ولكنها قننت في مجلة "الأحكام العدلية" في قالب يماثل الأحكام والقوانين العصرية في الترتيب والتنظيم، وسهولة الرجوع إليها، ورأى البرقاوي ضرورة دراسة "مجلة الأحكام العدلية"، يقول العودات عن البرقاوي خلال إقامته بدمشق، وطلبه لمزيد من العلم فيها: "... فاتصل وهو نزيل دمشق بالشيخ عبدالفتاح الإمام، وقرأ عليه شرح "المجلة" الشرعية الحقوقية، وكتاب علم الفرائض، وآخر في المنطق"[٢]. ولكننا لا نعرف هل كانت هذه الكتب من تأليف الإمام، أم تأليف غيره؟ لأن ما أورده العودات لم يكن واضح الدلالة على أنها من كتب الإمام، والأرجح أنها من تأليفه؛ لأنه كان مهتماً بموضوع علم أصول الفقه والفلسفة، والموضوعات الحقوقية ذات العلاقة بحقوق المرأة والإنسان في الإسلام، وله تفسير للقرآن الكريم، ووصف بأنه "عصري ببيانه الواضح، وبرهانه العلمي الجديد، وهو قديم باتباعه منهج السلف، وإعلانه الحرب على الابتداع في الدين"[٣].

---

(١) انظر: **الصباغ**، محمد لطفي: "**الشيخ عبدالفتاح الإمام**"، الألوكة http: \\www.alulcah.net

(٢) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

(٣) **الصباغ، الشيخ عبدالفتاح الإمام**، الألوكة.

وربما يتمكن الباحث من معرفة العلل والأسباب الكامنة وراء توجه البرقاوي لدراسة مجلة الأحكام العدلية، إذ عرف الرجل من خلال قراءته الواعية للتاريخ الإسلامي، ومن خلال مشاهداته في مصر والشام، تهالكَ كثير من الحكام، والمشايخ والقضاة، على أبواب السلاطين والأمراء، لشراء مناصب القضاء والوظائف الدينية، وبخاصة وظائف الأوقاف بالرشوة، ولم يكتفوا بذلك بل أصبحت هذه المناصب حكراً لهم، ووقفاً على أسرهم وأبنائهم، يتوارثونها جيلاً عن جيل.

وزادت حالة القضاء تردياً وتدهوراً مع مرور الزمن، مما أدى إلى تشويه صورة القضاء الإسلامي، وتطاول الدول الغربية على الشرع الإسلامي، وجعل الغربيون قوانينهم وأحكامهم مزاحمة للشرع في بلاد المسلمين، بل مقدمة عليها في بعض بلاد المسلمين، وقد وصف محمد كرد علي هذه الحالة الخطيرة قائلاً: "وما زالت حال القضاء في تدهورٍ، العصرَ بعد العصرِ، حتى كانوا هم السبب الأعظم في إدخال قوانين الغرب على الدولة العثمانية، والحكومة المصرية، والإمارة التونسية، لكثرة ما أساءوا إلى الشرع، وعبثوا بأصوله وفروعه، وبقلة دينهم، وبقلة علمهم، أمست الأحكام الشرعية سلسلة من الخلل والعلل، فأكرهت دول أوروبا الدول الإسلامية على قبول قوانينها، ظناً منها أن الفساد آتٍ من الشريعة، وما العيب إلا من جهل المنفذين لأحكامها، وفساد أخلاقهم"(١).

وزاد كرد علي ما ذكره أعلاه قائلاً: "فأنا أعلم من نفسي إن معظم القضاة، لعهدنا لا يخافون الله، وهم لصوص تحمل رؤوسهم عمائم بيضاء، وأن طعامهم وشرابهم، ولباسهم ومسكنهم من أموال اليتامى والأيامى"(٢).

لقد كانت محاربة الغربيين للشرع الإسلامي مبنية على مخططات خطيرة، تهدف إلى تصوير الإسلام على أنه مجرد شعائر، وطقوس عبادة لا أكثر، وأنه "دين مجرد من أية قوانين، وأحكام لتنظيم حياة الناس والمجتمع"(٣). وعبر الغربيون عن دهشتهم، بل عن ابتهاجهم، عندما وجدوا "أن هناك ثورة مفاجئة تحدث في العالم الإسلامي: فنحن نشهد ما يجري في الشعوب التي تدين بالإسلام من فصل بين القانون المدني وبين الدين. وأول من فتح الطريق هو الشعب التركي الذي خضع منذ ١٩١٧م لإصلاحات جدّ عميقة بالنسبة لأصول المحاكمات، وقوانين الأحكام الشخصية..."(٤).

قلت: إن ما ذكر أعلاه من فساد في أحوال القضاء، ومن تعاقب القضاة الجهلة على مناصب الشرع قد أدى إلى شن الغربيين حرباً جديدة على الشرع الإسلامي، وكان مدخلهم في ذلك هو فساد

(١) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص٣٠.

(٢) **كرد علي، المصدر السابق:** ج١، ص٣١.

(٣) **مجموعة من المؤلفين الفرنسيين: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب.** ترجمة: عبدالعلي الودغيري، ط١، سلسلة كتاب العلم، الرباط، بلا تاريخ: ص١٥٠.

(٤) **مجموعة من المؤلفين الفرنسيين، المرجع السابق:** ص١٤٦.

القضاء، وانعدام القوانين المنظمة لأحكامه، لذا هب رجال الإصلاح في آخر أيام الدولة العثمانية إلى تقنين الأحكام الشرعية على نمط القوانين الحديثة، وهو مما يفسر عناية البرقاوي بهذا الموضوع، الذي اتخذ منه المستعمرون ذريعة لحرب الإسلام، ولذلك كان حريصاً على تدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس، على أساس من الفهم الصحيح لأحكامه.

وربما كان من الممكن للباحث أن يفسر سرّ اهتمام البرقاوي بدراسة مجلة الأحكام العدلية، إذا عرفنا الخلفية الاجتماعية، والظروف الصعبة التي قاسى منها الناس في بلاد الشام ومصر، فقد رأى بأمّ عينه الظلم الذي وقع على أكثر من مائتي قرية محيطة بنابلس، ورأى تحالفاً دنساً بين أثرياء الفلاحين، وتجار نابلس، مما أدى إلى تجريد الفلاحين من أرضهم، وإرسال الخيالة لاعتقالهم، وزجهم في السجون، بحجة التمرد على عمال الدولة الذين ابتزوا أموالهم ومحاصيلهم، وكانت المحاكم عاجزة عن دفع تنمر بعض العائلات الإقطاعية الحاكمة المتسلطة في نابلس، وقد أبرز الباحث دوماني كثيراً من الوثائق التي تدل على فساد هذه العائلات، التي توسعت ملكياتها على حساب الفلاحين البسطاء الذين أوقد بينهم أغاوات نابلس الحقد والبغضاء، والشقاق والنفاق، والفتن المهلكة، فمزقوا نسيجهم الاجتماعي، لغاية السيطرة عليهم وإذلالهم(١).

ويبدو أن سرّ تتلمذ البرقاوي على الشيخ عبدالفتاح الإمام الذي كانت له غرفة أو قاعة للتدريس في المدرسة العادلية، هو دعوته إلى التحديث، والأخذ بعلوم العصر، ومكافحة الجهل والتخلف، الذي تفشّى بين أتباع بعض الطرق الصوفية، التي استغوى فيها الدجاجلة عقول العوام، فأصبحوا يتبركون بهم، بل يستغيثون بشيوخهم، وغدت بعض الطرق غناء ورقصاً، وطبولاً وزمراً، وبيارق وأعلاماً، وتواجُداً وأكلاً وغيرها من البدع التي ينكرها الشرع(٢)، فراجت بين كثير من الناس الخرافات، وأصبحت عائقاً في سبيل تقدم المجتمعات الإسلامية ونهضتها، حتى أصبح الإسلام صنواً للرجعية، وبخاصة بعد ظهور الأحزاب الجديدة التي قامت على أسس علمانية.

ويظهر أن البرقاوي الذي أحب أبا العلاء المعري، وقرأ لزومياته قراءة فهم وتحليل وبحث عميق، قد أدرك أن مقالة المعري عن متصوفة زمانه، لا تختلف كثيراً عما كان عليه حال متصوفة عصر البرقاوي، الذين أشاعوا الخرافة، وعطلوا العقل، يقول المعري:

أرى جيلَ التصوف شرَّ جيلٍ ... فقلْ لهُمُ وأهونْ بالحُلولِ

أقالَ الله حينَ عشقتُموه ... كُلوا أكلَ البهائم وارقُصوا لي

وقد أعجب البرقاوي بدعوة الإمام إلى الأخذ بالعلم، ورفض الجهل والخرافة، وأن الإسلام هو دين الحق ودين التقدم الذي صنع حضارة عربية إسلامية شامخة، قدمت

(١) انظر: **دوماني، إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس ١٧٠٠-١٩٠٠**: ص١٨٢-٢١٤.

(٢) انظر: **كرد علي، المذكرات**: ج٣، ص٨١٧-٨٧٢.

للإنسانية الكثير، بل إن الحضارة الحديثة قد نهلت من معينها، وبنت على منجزاتها العلمية في الفلك والطب والرياضيات، وقد تفوقت في القوانين والأخلاق الفاضلة، إلى غير ذلك من مفاخر هذه الحضارة الإنسانية التي وجدت صدى عميقاً في نفس البرقاوي، ولا سيما أنه نشأ وترعرع على مبادئ هذه الدعوة، عندما درس في الأزهر على أبي العيون، ودرس في الكاملية بدمشق على الشيخ درويش القصاص وغيرهما من متنوري العلماء الهادفين إلى ترقية العقول والساعين إلى تنمية المواهب، والرافضين للجمود والتقليد، والداعين إلى التطور والتجديد، والمواكبة لروح العصر في كل ما يؤدي للنهضة العربية الإسلامية الجديدة.

وفوق ذلك، فإنّ تلمذة البرقاوي على الشيخين الفاضلين المصلحين: درويش القصاص، وعبدالفتاح الإمام، اللذين أعجب بهما، ودرس عليهما الرياضيات والطبيعيات، والمنطق والفلسفة، وعلم أصول الفقه، وغيرها من العلوم والفنون، كان تمرداً ورفضاً لما شاع في عصره من رفض لتلك العلوم التي كانت العناية بها، أو دراستها، أو تدريسها يُعدُّ خروجاً على الدين، بل مروقاً منه، وقد وصف محمد كرد علي التردي الفكري، والحالة الثقافية شبه المعتلة في تلك الفترة قائلاً: "وكانوا يعدون علوم الطبيعيات والرياضيات، والفلك، مَدْرَجَةً إلى الزندقة. أما الفلسفة فإن مجرد ذكر العارف بها كان كافياً للحكم عليه بالإلحاد، وأبيح دمُ المتفلسف، ومالُه في بعض الأدوار، بل لقد حرّموا قراءة المنطق لما يلاحظ فيه من توسع العقل، وهم لا يطلبون من العقل إلا أن يكون ضيقاً"(١).

ومما لا ريب فيه، أن عناية المتعلمين بكتب الفلسفة والحكمة والمنطق، والهندسة، وغيرها من العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية قد قلّت، بل تراجعت إلى حد عظيم، منذ أن قام الغزالي بحملته المعروفة على الفلاسفة، وألف كتابه المعروف بـ"تهافت الفلاسفة" في مطلع القرن السادس الهجري، وأورد لنا القفطي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) خبراً يدل على شدة عناية المتقدمين من علماء القرن الرابع والخامس الهجريين بكتب الحكمة، والبحث عنها، والتغالي في أثمانها، ثم يعلق عليه قائلاً: "قلت: فانظر إلى همة الناس في تحصيل العلوم، والاجتهاد في حفظها، والله لو حضرت هذه الكتب المشار إليها في زماننا، وعُرضت على مُدّعي علمها ما أدوا فيها عُشر معشار ما ذُكر"(٢).

---

(١) **كرد علي، المذكرات**: ج٣، ص٨٩٣.

(٢) **القفطي**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م): **تاريخ الحكماء**. تحقيق: يوليوس ليبرت. ترجم حواشيه ومقدمتها وأضاف إليها: محمد عوني عبدالرؤوف. ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م: ص٥٤.

المبحث السادس- البرقاوي في رحاب المجمع العلمي العربي والمكتبة الظاهرية بدمشق:

تم تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق -وهو أول مجمع رسمي للغة العربية في العالم العربي- أيام الملك فيصل بن الحسين، الذي دخل دمشق في بداية الربع الأخير من سنة ١٩١٨م تقريباً، وسط ابتهاج أهالي الشام، وشرع منذ دخوله بتشكيل لجان التعريب والترجمة، لخدمة مؤسسات الدولة الناشئة، ثم استدعى محمد كرد علي من إسطنبول، وعينه مديراً للمعارف، ثم رئيساً للمجمع العلمي العربي، واستطاع مع زملائه من أعضاء المجمع النهوض باللغة العربية، وخدمتها في المؤسسات العسكرية والمدنية والتعليمية؛ لأن هدف الحكومة العربية النهوض بالبلاد، بالأخذ بالعلوم العصرية، التي لا يمكن نشرها في البلاد ما لم تكن لغة البلاد صالحة، وقادرة على التعبير عنها، فقامت لجان المجمع بذلك خير قيام، وتبوأت اللغة العربية مكانها اللائق بها في مؤسسات الدولة، ومدارسها ومعاهدها العلمية.

ويبدو أن محمد كرد علي قد لحظ البرقاوي بعين عنايته، ونال محبته ورعايته في المجمع، عندما عرف أنه من قرى نابلس، التي كانت لها سابقة عارفة عند كرد علي، عندما قام شبان تلك القرى بإنقاذه من شرك ولاة الأتراك الذين طاردوه، وأرادوا الإيقاع به، فكان أهالي قرى نابلس كما يقول كرد علي: "ينتدبون أناساً من شجعانهم، وأصحاب المروءات منهم، يقفون على الطريق في الليل والنهار، لينقذوني من مخالب الظالمين، وباتوا يترصدون المعابر والمسالك أياماً وليالي، حتى قرأوا في الصحف المصرية. أني بلغت مصر، وهذه مروءة عربية، استرق بها النابلسيون قلبي ما دمت حياً"(١).

وكان من أهم أهداف المجمع وغاياته: "النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم، والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب على نمط جديد. وجمع الكتب المخطوطة، وتأسيس دار كتب عامة... وإصدار مجلة خاصة بالمجمع، ينشر فيها أفكاره وأعماله، وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة"(٢).

وأضحى العمل في المجمع كخلية النحل، ووضع اللغويون فيه كثيراً من الألفاظ التي وردت إليه من دوائر الحكومة، فأصلحت لغة الدواوين، ولقيت عملية التعريب هذه استحساناً من الصحف، ودوائر الحكومة، وجمهرة المتعلمين، واهتم المجمع بمراجعة لغة الكتب المدرسية التي لم تضعها إدارة المعارف بين يدي الطلاب، إلا بعد إجازتها لغوياً من المجمع الذي راجع المقررات التدريسية الطبية والحقوقية في التعليم العالي، إلى غير ذلك من

(١) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص٩٣.

(٢) **الفتيح، أحمد: تاريخ المجمع العلمي العربي.** ط١، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م: ص١٤-١٥.

الأعمال الجليلة التي أعادت للعربية وجودها في إدارة الدولة، وحضورها في مؤسساتها التعليمية والعسكرية، والمدنية والتجارية، بعد انقطاع دام قروناً. بينما كان مصير غيرها من لغات الأقدمين الموت أو الانقراض، بينما لغة العرب باقية ببقاء أبنائها، وقرآنها، وكتب تراثها التي عدها المجمع منهلاً لصياغة كثير من الألفاظ الحديثة.

وأصدر المجمع العدد الأول من مجلته في الحادي والعشرين مع ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ه، الموافق للأول من كانون الثاني عام ١٩٢١م وما زالت تصدر حتى يومنا هذا، وكانت أول مجلة متخصصة في خدمة العربية، وقامت ببعث الاهتمام باللغة العربية في أوساط المثقفين، فتتبعت أخبار العربية، ووصفت أحوالها في جميع البلاد العربية، بل في العالم كله، ولذا فإنها تعدُّ الأولى في بابها، ونشرت مقالات أعضاء المجمع، وحملت دعوتهم إلى التعريب، وإلى تدريس كل العلوم والفنون العصرية بها، ووضع ما يلزمها من تعابير وألفاظ ومصطلحات باللغة الفصحى، عن طريق الاشتقاق والمجاز والاقتراض وغير ذلك.

إن دعوة المجمع للتعريب التي نشرها كرد علي في مجلته، قد لقيت معارضة شديدة من قبل بعض الأسماء اللامعة يومها في ميدان الثقافة العربية، كيعقوب صروف صاحب مجلة "المقتطف"، الذي كتب لمجلة المجمع قائلاً: "إنني غير راضٍ عن اهتمام بعض الأعضاء بالترجمة، حيث لا موجب لها، أي ترجمة بعض الأسماء الإفرنجية التي لا مرادف لها عندنا، بالله ما فائدة اللغة من ترك كلمة إفرنجية شاعت بيننا، والتفتيش عن كلمة قديمة حوشية يحتمل أن لا يؤدي معناها معنى اللفظة الافرنجية؟!.. ثم هل في الإمكان أن نترجم، أو نجد مرادفات لكل الكلمات الجديدة؟!"(١).

ومما لا ريب فيه أن دعوة صروف إلى أخذ الألفاظ الأعجمية كما هي، وكما جرت على الألسنة والأقلام، كانت من الدعوات المشبوهة، التي هي في غاية الخطورة، وربما كان تثبيطه لسياسة التعريب التي تبناها مجمع دمشق، وبث دعوتها بين الوطنيين الغيورين على لغتهم، جزءاً من المشروع الاستعماري الغربي الهادف إلى تهميش اللغة العربية وتشويهها، بل محاربتها في ميدان التعليم كما فعل الانجليز بمصر، عندما جعلوا من الانجليزية لغة التعلم في المدارس والمعاهد، هادفين إلى حرمان العربية من أن تكون لغة للعلوم والمعارف الحديثة، وهو الأمر الذي يؤدي إلى وقف نمو العربية، بل موتها، وتخلفها عن اللحاق بلغات العصر الحاضنة للتقنيات والعلوم العصرية، علماً بأن رأي صروف يخالف تاريخ هذه اللغة التي

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: م٢، ص٢٥١.

احتضنت علوم العالم ألف عامٍ، وأصبحت أمّاً رؤوماً لها، فحفظت علوم الإنسانية من التلاشي والاندثار[١]، وخلدت في لغة لا يخشى عليها من الانقراض أو البوار.

ومما وقر في أذهان المستعمرين الغربيين الجدد سواءً أكانوا من الفرنسيين أو الانجليز أو الإسبان أو الطليان، وجعلوا منه سياسة لغوية، وضعت موضع التطبيق العملي في مستعمراتهم أو الأماكن التي حازوا فيها نفوذاً فأصدروا تعليماتهم لجيوشهم وإداراتهم الغازية: "... لا يمكن أن نقبل بانتشار اللغة العربية، التي تعبر بصعوبة عن جوانب التقدم في الحضارة الحديثة، على حساب لغة الشعب المُحَضِّر (أي المستعمر) التي هي لغة حضارة حديثة"[٢]. أي أنهم يريدون اقتلاع العربية من جذورها، وانتزاعها من حالتها اللغوية، وإحلال لغاتهم الأوروبية محلها، لتموت العربية، وتحيا لغاتهم.

إن ردّ المجمع العلمي العربي السريع على أباطيل صروف وأضرابه من الانتدابيين ومروجي الاستعمار الغربي، وعلى شبهاتهم، ودعواتهم المأفونة، جاء على عجل ودون إبطاء، بقلم أنيس سلوم عضو المجمع، الذي قال في رده: "فإن اتبعنا رأي الدكتور صروف، واستعملنا كل كلمة جديدة لا مرادف لها عندنا بلفظها الموضوع لها في لسان واضعيها، أصبحت لغتنا خليطاً من العربية واللغات الغربية، فتشوهت محاسنها البديعة، وانحطت منزلتها الرفيعة، وإذا دام النقل إليها بهذه الطريقة، ازدادت فيها الكلمات الأعجمية، بازدياد المكتشفات العلمية، والمصطلحات الفنية، والتجارية والصناعية والسياسية وغيرها، على توالي الأيام والسنين، حتى تغلبت عليها، وكان ذلك مدعاة إلى سقوطها، ولحاقها بلغات الغابرين، فلا يبقى منها إلا ما حفظته الخزائن من كتب الأولين"[٣].

وأبدى الحَبر الهمام، واللغوي اللُّهام الأب أنستاس ماري الكرملي عضو المجمع الدمشقي حماساً كبيراً لتعريب الألفاظ الأعجمية، ووضع ما يقابلها بالعربية، وعزم على وضع ألف لفظة عربية، إزاء مثلها من اللغة الإنجليزية والفرنسية، وأورد أمثلة مما صنعه في هذا الميدان، وعدّ هذا الوضع أمنية مثلى للعربية، يقول: "فلا يمضي حينئذ ردح من الزمن، إلا وقد أصبحت لغتنا تجاري سائر اللغات العصرية، في أوضاعها الحديثة المعنى، قياماً بإيفاء المعاني حقوقها من المباني اللازمة لها"[٤].

---

(١) انظر: **الدروبي**، سمير: **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**. ط١، مركز الملك فيصل لبحوث الحضارة الإسلامية، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ص١١-٤٣.

(٢) **مجموعة من المؤلفين الفرنسيين، الفرنكفونية**: ص١٦٦.

(٣) **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**. كانون الثاني ١٩٢٢م/ جمادى الأولى ١٣٤٠هـ: م٢، ص٢٣.

(٤) **الكرملي**، أنستاس: "**الأوضاع العصرية**" مجلة المجمع العلمي العربي، ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ/ كانون الثاني سنة ١٩٢١م: ج١، ص١٦١.

وقد عاصر البرقاوي هذا الصراع المرير بين أنصار التعريب ودعاته، وبين خصومه وأعدائه، الذين سعوا بكل الوسائل لوقف نهضة اللسان العربي، ومنع إعادته إلى رونقه، وسابق عزه، وغابر مجده،وكان الرجل من الشهود على ما يبذل المجمع من جهود علمية في مكافحة داء العجمة، الذي بدأ يستفحل، ويتمدد يوماً بعد يوم، وهو الداء الوبيل الذي لا يمكن استئصاله والبرء منه، إلا بدواء نشر الوعي القومي، والإصرار على التعريب، ووضع الألفاظ العربية لكل علم مستحدث، وفكر حديث، وفن جديد، وقد حمل البرقاوي دعوة التعريب طوال عمره منذ أن كان معلماً في مدرسة حي الميدان بدمشق، وغيرها من مدارس دمشق وحمص ودرعا، ثم نقلها إلى مدارس شرقي الأردن في الكرك وإربد، والسلط وعمان، حتى آخر أيامه سنة ١٩٦٩م.

وعرف البرقاوي من خلال المجمع، وما ينشره في مجلته الغراء–التي صدر عددها الأول قبل قرن من الزمان، وما زالت تصدر حتى يومنا هذا–، كثيراً من أعمال المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، ولا سيما بعد أن أصبح عدد منهم أعضاء شرف في المجمع، وأمدوه بكثير من كتبهم ونشرياتهم، ولكنه عرف أيضاً المآرب الخبيثة لبعض المستشرقين الذين يلبسون شكوكهم وشبهاتهم لبوس البحث العلمي، ومن هؤلاء المستشرق الإنجليزي مرجليوث، الذي شكك في عروبة بعض الألفاظ العربية الواردة في القرآن الكريم، مثل: القضاء، والحج، والزكاة، وأرجعها إلى أصول يونانية، فرد عليه اللغوي أحمد رضا، وفند مزاعمه(١).

وأيقن البرقاوي، أن حروب المستشرقين على العربية متعددة الوجوه والوسائل، بعضها علني، وبعضها سري، ولكنها تهدف إلى غاية واحدة، هي هدم الفصحى عن طريق إحياء لغات الأقليات، وتشجيع العاميات(٢)، والدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني، والطعن في قدرة العربية على استيعاب العلوم والمعارف الحديثة، إلى غير ذلك من المزاعم والمغالطات، التي وجدت قبولاً لدى من زاغت أبصارهم، وعميت قلوبهم عن إدراك الحقيقة من أبناء العربية نفسها.

ويبدو أن البرقاوي كان مبتهجاً بنشر مجلة المجمع المقالات الرائقة، التي خطها فحول المجمع، دفاعاً عن جاهزية العربية وقدرتها على استيعاب علوم العصر، ومن هؤلاء الرجال: سعيد الكرمي، وأنيس سلوم، والأب أنستاس الكرمي، ومحمد كرد علي، ومرشد خاطر، وعبدالقادر المغربي وغيرهم من نحارير العربية ومحبيها الموقنين بقدرتها السريعة على النهوض، واللحاق بلغات العصر، وأخذ مكانها الطبيعي اللائق بها بين لغات البشر.

(١) انظر: رضا، أحمد: "**القضاء والزكاة والحج، ألفاظ عربية الأصل والمعنى**"، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م: ج٢، ص٢٤٥-٢٥٠.

(٢) انظر: **الجندي، الفصحى لغة القرآن**: ١٢٦-١٨٦.

ويتضح أن البرقاوي قد أفاد كثيراً من مجلة المجمع، وتوسعت آفاقه عندما فتح المجمع أبوابه لتلقي الحضور، الذين يستمعون إلى ما يلقى في ردهته الواسعة من محاضرات، قدمها كبار الباحثين والأدباء والمستشرقين، باللغة الفصحى في مختلف الموضوعات: اللغوية والأدبية، والعلمية والتاريخية، والاجتماعية والفلسفية التي كان الإقبال عليها شديداً من طلاب المدارس العالية وعامة المثقفين، وخُصت النساء بمحاضرات المجمع أيضاً، ومن محاضراته في السنة الأولى: "طرفة بن العبد" لعبدالقادر المغربي، و"إحياء اللغة العربية" لمتري قندلفت، و"الملاريا كيفية الوقاية منها" لمرشد خاطر، و"صناعة الإنشاء العربي" وغيرها من المحاضرات التي تواصلت عبر السنوات، وبلغت المئات، ونشر بعضها في أعداد مجلة المجمع، وجُمعت فيما بعد في بضعة أسفار أصدرها المجمع لتيسير الرجوع إليها.

ومما هو جدير بالذكر، أن محاضرات المجمع كانت تلقى كل أسبوعين، ثم قصرت المدة إلى أسبوع، وأحياناً يلقى في الأسبوع أكثر من محاضرة؛ "لتتخرج من المحاضرين في المستقبل جماعة يصلحون للتدريس، على مقاعد مدرسة الآداب، التي تضاف إلى الجامعة السورية..."[١].

وغدت جلسات المجمع علنية، يُدعى إليها المهتمون باللغة والأدب، ويطلعون على ما يهدى للمجمع من كتب المستشرقين، ودوريات المراكز والدراسات الاستشراقية في روسيا والبلاد الأوروبية، وفي البلاد العربية وبخاصة مصر. وكان الحضور يبدون اقتراحاتهم في الألفاظ التي تحتاج إلى تعريب، وفي الأخطاء اللغوية والتركيبية، التي تكررت في الصحافة ودواوين الحكومة[٢]، فكثرت بذلك الأفكار الخادمة لرسالة المجمع، وأصبحت له قاعدة شعبية من جمهرة المثقفين، وأنصار نهضة اللغة العربية، التي تقوم على قاعدة الوعي القومي الذي ازداد ضراماً، بعد أن أجهض الفرنسيون مشروع النهضة العربية، بإسقاط الدولة العربية التي أعلنت استقلالها، وقام الفرنسيون بإخراج الملك فيصل، وإهدار دم رموز دولته ورجالاتها ممن كانوا دعاة لوحدة العرب ونهضتهم، وتمكين لغتهم من علوم العصر.

وقد أبدى البرقاوي حسرته وأسفه، على ما فعله المستعمر الفرنسي الذي قوض أركان الدولة العربية، ووقف نهضتها في خاطرته المعنونة بـ"اخرجوا أيها الفرنسيون، ألم تتلقوا درساً من سقوط باريس؟"، يقول: "... إنّ لنا، أيها الفرنسيون، ملكاً شامخاً قوضتم أركانه، وتاجاً نثرتم دُرره، وإن العروبة متحضرة للاشتراك معكم، إن عاجلاً أو آجلاً، مهما كلف الأمر،

---

(١) **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، ١٣٣٩هـ/١٩٢١م: م٢، ص٣٥٦.

(٢) انظر: **المرجع السابق**: م٢، ص٣٥٦.

واستحر القتل، وأريقت الدماء، كما تريقونها في سبيل ادعائكم بالحق المشوب بالباطل"[١]. وهنا يبدو البرقاوي ساخطاً على الفرنسيين، الذين أجهضوا مشروع نهضتها، واستباحوا أرضها، وسلبوا ملكها.

ومن المراكز الثقافية التي أفاد منها البرقاوي في دمشق المكتبة الظاهرية، نسبة للسلطان المملوكي الظاهر بيبرس الفاتح العظيم، ويعود الفضل في تأسيس هذه المكتبة إلى المصلح الكبير الشيخ طاهر الجزائري، الذي كان مفتشاً للمعارف، وإلى الشيخ سليم البخاري إبان ولاية مدحت باشا للشام سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، الذي كان من ولاة الإصلاح في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، إذ تقدم الجزائري والبخاري بطلب جمع مخطوطات خزائن الكتب الموقوفة في مدارس دمشق في مكان واحدٍ، بعد أن وجدا أن كثيراً منها قد تبدد، أو سرق، أو بيع، نتيجة لإهمال المتولين لأمر هذه الخزائن، فجمعت هذه المخطوطات في المدرسة الظاهرية في سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، وأطلق عليها اسم المكتبة العمومية. وبلغ عدد مخطوطاتها ألفين وأربعمائة وثلاثة وخمسين كتاباً في مختلف العلوم والفنون[٢].

وكانت هذه المكتبة تابعة لدائرة الأوقاف، ثم ربطت بديوان المعارف عام ١٩١٩م، وفي العام نفسه جعل الإشراف عليها للمجمع العلمي العربي، الذي عين لها أمينين، وعهد لسعيد الكرمي أحد أعضاء المجمع بالإشراف عليها، فعمل بجد على تنظيمها، وجذب القراء إليها، وشراء ما يلزمها من المخطوطات والكتب، أو استهدائها من كل أرجاء العالم، فنمت بسرعة[٣]، وأصبحت تضم المطبوعات الحديثة من المعاجم والمجلات العربية والاستشراقية، إضافة إلى ما فيها من كنوز المخطوطات العربية والفارسية والتركية، ونظمت فهارس هذه المكتبة، وسمح لروادها بعارية كتبها المطبوعة[٤]، وعم نفعها القراء والباحثين، الذين كان البرقاوي واحداً منهم، ولا سيما أن البرقاوي الملازم لها، وكان كما وصفه العودات: "ظل مواظباً على مكتبة الملك الظاهر بدمشق"[٥].

ومما هو جدير بالذكر، أن الشيخ طاهر الجزائري المصلح التربوي، هو مَنْ أسس المدارس الابتدائية، والمكتبة الظاهرية بدمشق، والمكتبة الخالدية في القدس، وكان قد لقي في

(١) **البرقاوي**، حسن: "**اخرجوا أيها الفرنسيون، ألم تتلقوا درساً من سقوط باريس؟**"، صحيفة "الجزيرة"، إمارة شرقي الأردن، سنة ١٩٤٠م، : العدد (١٠٧٢)، ص٣.

(٢) انظر: **الفتيح، تاريخ المجمع العلمي العربي**: ص١٢٥-١٢٩.

(٣) انظر: **الدروبي، مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين من ١٩١٨-٢٠٢١م**: ج١، ص ١٦٨-١٩٣.

(٤) انظر: **الفتيح، المرجع السابق**: ١٣٤-١٤٣.

(٥) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ٦٢.

سبيل ذلك مقاومة عنيفة من الجامدين الذين يعارضون الإصلاح، ومن المنتفعين الذين كانوا يأكلون مال الأوقاف، ويبيعون كتبها، فحرضوا عليه السلطة التركية، فهاجر إلى مصر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، ثم عاد إلى دمشق سنة ١٩١٩م، فصدرت إرادة الأمير فيصل بن الحسين بتعيينه مديراً لدار الكتب العربية (الظاهرية)، وأصبح عضواً عاملاً في المجمع العلمي[١].

لقد كانت عودة الجزائري إلى دمشق مدعاة لإفادة البرقاوي من هذا الأستاذ الذي وصفه محمد كرد علي بالقول: "وكم من عامي أصبح بتعاليمه متعلماً، في جلسات قليلة في حضرته، وسماع مجالسه ومحاضراته، وقل أن يوجد رجل من أدباء هذا العصر وعلمائه في بلاد الشام، لم يستفد من علم الأستاذ وتجاربه، إن لم يكن مباشرة فبالواسطة، وتلامذته الذين انتفعوا به في شبابه فقط يعدون بالمئات، وأكثرهم اليوم يشغلون مقامات سامية في دور العلم والحكومة والإدارة، ومنهم المؤلفون والصحفيون، والمتأدبون والنابهون"[٢]. وعلاوة على ذلك، فإن الجزائري يُعد بطلاً للكبرياء القومية في عصر غلب عليه التتريك والنزعة الطورانية، وفضل الشيخ طاهر تجلى في نشره لمبادئ الحرية، ودعوته لمقاومة الظلام، وبما أرشد الناس إليه من طرائق الإصلاح، وما دعا إليه من ضرورة الإسراع في النهضة، والانعتاق من قيود التخلف والجهل[٣].

وكان البرقاوي في دمشق متصلاً بأستاذه محمد الأنسي مدير المدرسة الظاهرية، ويظهر أن الأنسي كان من كبار التربويين بدمشق في أيام الحكومة العربية، ومن الرجال العاملين على النهوض بمستوى المدارس وترقية التعليم فيها؛ لأنه الأساس المتين الذي يُبنى عليه صرح نهضة الأمة، ويدلنا على رؤية الأنسي لدور التعليم في حياة الأمة، أنه قد أصدر مجلة مختصة بشؤون المدارس، ووسمها بـ"المدرسة" هادفاً منها إلى نشر الوعي التربوي والتعليمي في بلاد الشام، ولم يقتصر اهتمام الأنسي على مجلته "المدرسة"، بل أنشأ جريدة "الحق" التي كان يصدرها مرتين أسبوعياً، وتعنى بالأخبار المحلية والخارجية، وكانت الحكومة الفيصلية تشجع النابهين والمتنورين على إصدار الجرائد التي تعنى بالقضايا الوطنية والقومية؛ لأن الفرنسيين الذين احتلوا الساحل السوري من نهاية الحرب العالمية الأولى، شنوا حملة إعلامية عنيفة هاجموا فيها الحكومة العربية، وصورت على أنها حكومة بدوية[٤] دخيلة على بلاد الشام، وأطلقت فرنسا المحتلة عملاءها، يفسدون ما بذرته الحكومة العربية في نفوس الشاميين الذين

(١) انظر: **العاصمة** (جريدة الحكومة الرسمية)، السنة الأولى، دمشق ١٧ محرم سنة ١٣٣٨هـ/ ١٣ تشرين أول سنة ١٩١٩م: العدد (٦٦)، ص٢.

(٢) **كرد علي**، محمد: "**الشيخ طاهر الجزائري**"، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٢١م، المجلد ١، ص١٩.

(٣) انظر: **القاسمي**، ظافر: **مكتب عنبر**، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بلا تاريخ: ص١٠٠-١٠١.

(٤) انظر: **العجلوني**، محمد: **ذكرياتي عن الثورة العربية**. ط١، منشورات مكتب الحرية، عمان، ١٩٥٦م: ص٧٩.

التفوا حول دعوتها الوطنية، القائمة على اللغة القومية، والنهضة والحرية والاستقلال، والأخذ بأسباب الحضارة المعاصرة.

ويبدو أن البرقاوي، قد استجاب لرؤية أستاذه الأنسي القائمة على أن التعليم الصحيح، المبني على الأساليب الحديثة، هو أقوى دعائم النهضة العربية التي تقوم على أسس الوطنية، والقومية واللغة العربية الجامعة. وأدرك البرقاوي أن المعلم الكَفيّ النابه المخلص، هو القائد الحقيقي، والداعية الصادق القادر على تجذير دعوة النهضة، والنزعة الوطنية في نفوس النشء الجديد المعول عليه في حمل رايات النهضة.

وإذا عرفنا أن البرقاوي كان ملازماً للمكتبة الظاهرية،التي أصبح الجزائري مديراً لها، أدركنا مدى إفادة البرقاوي من هذا الرجل المصلح، الذي كان يسعى إلى نشر العلم والتعليم والمدنية، ويجهد في محاربة التعصب والجهل، وكان داعياً الأمة إلى اقتناء الكتب ومطالعتها، وإلى الاطلاع على المجلات والصحف الجادة، وهي الدعوة التي حملها البرقاوي إبّان عمره المديد في تعليم الأجيال، وأخلص في حمل رسالة الكتاب، إيماناً منه بدعوة الجزائري أن التعليم الصحيح، ومطالعة الكتب، وتهذيب الأخلاق، والإخلاص في العمل، هي القواعد الثابتة التي تبنى عليها نهضة الأمة.

وآمن البرقاوي بأن تجربة الجزائري الناجحة في تعليم الناشئة، يمكن أن ينقلها إلى طلابه في الأردن، فتحقق له ما أراد فيما بعد، ونجح نجاح الجزائري في تخريج المئات من النابهين، الذين أصبحوا رجال الإدارة والحكم والجيش، والتعليم والأدب والصحافة في الأردن، وهو الأمر الذي كان قد أنجزه الجزائري في سوريا من قبل.

وشغف البرقاوي بالتراث العربي الأصيل، وبالعلوم والنظريات الحديثة التي كان مصراً على فهمها واستيعابها، أي أنه كان يجمع بين القديم والحديث، وبين الأصيل والمعاصر، وهو ما عرف به الجزائري الذي وصفه تلميذه محمد كرد علي، بقوله: "وكانت له أساليب خاصة في بث الأفكار الصحيحة، فهو لا مراء داعية علم حقيقي، متفانٍ في نشر العلم والتهذيب، والجمع بين القديم السليم، والحديث المفيد". أي أن دعوة الجزائري في الجمع بين التراث النافع، والحداثة المفيدة قد أثرت في فكر البرقاوي، الذي نقله إلى طلابه فيما بعد.

وبقي البرقاوي متفيئاً ظلال المجمع العلمي، ومتابعاً لما يدور فيه من مناقشات ومساجلات علمية، ولما يلقى فيه من محاضرات وندوات أسبوعية، تزدحم فيها النخبة المثقفة في المجتمع الدمشقي، يقول تيسير ظبيان متحدثاً عن البرقاوي: "وفي دمشق الفيحاء كنا نلتقي أيضاً، ونتردد على مجالس جهابذة العلماء، وفحول الشعراء، ونغترف من معين فضلهم، كالعلامة الشيخ بهجة

البيطار، والأساتذة محمد كرد علي، والشيخ عبدالقادر المغربي، والشيخ عبدالقادر المبارك، والشاعرين الكبيرين: شفيق جبري وخليل مردم"[١].

وبناءً على ما ذكره ظبيان، فإن البرقاوي كان من رواد مجالس هذه النخبة المتميزة من المجمعيين، الذين رفعوا رايات التعريب عالية، وأشرعوا أسنة أقلامهم داعين إليه، فردوا دعوات الخراصين الحاقدين على لغة القرآن ولسان العرب، علماً بأن بعضاً من المجمعيين، أرادوا تضييق دائرة المجمع، وحصره في أعضائه، ولكن أديب الشام محمد كرد علي، وصاحب الفضل على كتابها، رفض هذه الدعوة الأرستقراطية الطبقية في جلسات المجمع ونشاطاته، وجعل ردهة المجمع، ومجالسه العلمية ومكتبته، منهلاً لكل راغب؛ لأن العلم كالماء لا يرد عنه متعطش إليه.

وظل البرقاوي في دمشق متصلاً بالأستاذ محمد الأنسي الذي كان مديراً للمدرسة الظاهرية، التي كانت جزءاً من بناية المكتبة الظاهرية، ثم ضم إليها سنة ١٩٢٧م الجزء الذي كانت تشغله المدرسة، وأصبحت البناية كاملة للمكتبة الظاهرية. وقد درس البرقاوي على محمد الأنسي الذي لم تمدنا المصادر بمعرفة حياته كتاب "الموجز في علم الاقتصاد"[٢] لروابوليو بول الذي قام بترجمته عن الفرنسية الشاعر خليل مطران، والأديب مصطفى لطفي المنفلوطي، بناءً على تكليف من وزارة المعارف المصرية، وقد وقعت ترجمة هذا الكتاب في خمسة أجزاء، مما يدل على أنه كان موسوعياً في بابه، وأنه كان ذا قيمة علمية كبيرة، بل قد يكون أحدث كتاب في موضوعه آنذاك، ونشرته مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٣م.

ولا ريب في أنّ اهتمام البرقاوي بهذه الموسوعة الاقتصادية، كان مبنياً على إدراكه خطورة الاقتصاد، ودوره في بناء الدول والمجتمعات أو هدمها، فالرجل كان واقعياً في رؤاه، ينظر إلى بيئته التي نبت فيها، وإلى محيطه الذي ترعرع فيه، إذ رأى هيمنة الإقطاعيين، والآغاوات والعائلات الحاكمة على الاقتصاد في نابلس، وفي بعض القرى التابعة لها. ولمس الكره الشديد الذي يكنه القرويون لمن تسلطوا عليهم بالسُّلف والقروض، ذات الفوائد الباهظة، التي عجزوا عن سدادها في وقتها، مما جرهم إلى الاعتقال والسجن، أو التجريد من أراضيهم مصدر أرزاقهم، وعيش أطفالهم[٣]، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل عند الحديث عن بواعث دراسته لمجلة الأحكام العدلية.

المبحث السابع- البرقاوي معلماً في مدارس حمص ومواصلته طلب العلم فيها:

ويظهر أن إدارة المعارف بدمشق قد عرفت كفاءة البرقاوي، وأهليته للتعليم في المرحلة الثانوية، يوم أن كانت المدارس الثانوية قليلة العدد، ويُختار لها المتميزون من المدرسين،

---

(١) **ظبيان**، تيسير: "**فقيدنا البرقاوي**"، ضمن كتاب: حسن البرقاوي (المربي والإنسان ذكرى وتحية): ص٤٩.

(٢) انظر: **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين:** ٦٢، ومؤلف هذا الكتاب عند العودات (بولار وبولو)؛ الزركلي، الأعلام: ج٢، ص٣٢٠.

(٣) انظر: **دوماني، إعادة اكتشاف فلسطين:** أهالي جبل نابلس ١٧٠٠-١٩٠٠م: ص١٨٢-٢١٤.

فحولت البرقاوي من مدرسة الميدان الابتدائية بدمشق، إلى مدرسة حمص التجهيزية بتاريخ ١٩٢٢/٩/١٦م، وبقي معلماً فيها حتى ١٩٢٣/٩/٢٢م، ثم نقل منها بتاريخ ١٩٢٣/٩/٢٤م إلى المدرسة الرشادية بحمص، وعمل فيها حتى ١٩٢٤/٨/٢١م[١]. أي أن البرقاوي قد علَّم بمدارس حمص الابتدائية والإعدادية المتقدمة والثانوية[٢] عامين متتاليين، علماً بأن تسميات هذه المدارس تختلف من عهد إلى عهد، وقد وجدنا صورة مصدقة عن تعليم البرقاوي في مدارس حمص، وهي ضمن الملف الوظيفي العائد لحسن البرقاوي رقم ٥٨/١١، من وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، التي تعود إلى عهد إمارة شرقي الأردن، التي كان يتولى أمور التعليم فيها إدارة المعارف العامة، ونص الوثيقة:

اسم وزارة المعارف السورية بالفرنسي

وزارة المعارف السورية
عبدالرحمن الكيالي

وزارة المعارف
مصطفى المحاسبة
١٣٥٥-١٩٣٧

لحضرة مدير تجهيز حمص المحترم

دولة دمشق

ديوان مدير المعارف العام

عدد ٦٤

ذيل لكتابنا رقم ٥٣ بتاريخ ٧ شباط سنة ٩٢٣

نرغب إليكم أن تبلغوا السيد حسن البرقاوي، ثناءنا على ما قام به في أثناء تدريسه اللغة العربية على سبيل الوكالة، فنشكر له نشاطه، وقد رأينا أن يعود الآن إلى وظيفته الأصلية في القسم الابتدائي من مدرستكم ويتقاضى راتبها، وأن يكون الشيخ عبدالفتاح عبدالصمد وكيل أستاذ اللغة العربية في القسم التالي بثلثي الراتب المخصص لهذه الوظيفة، فنرغب إلى حضرتكم إبلاغهما ذلك والعمل بمقتضاه، والسلام عليكم.

٧ آذار سنة ١٩٢٣

رئيس المعارف

نصوحي

(١) انظر: **وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن**، الموظف حسن البرقاوي، إضبارة رقم ٥٨/١١ التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال).

(٢) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

وقد وقع على هذه الوثيقة رئيس المعارف: نصوحي، وهو نصوحي بك البخاري الذي ولي وزارة المعارف غير مرة في عهد الانتداب، وقد صادق عليها عبدالحق الحراني في مدرسة التجهيز بحمص بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٩٢٣م، وقد صادقت على الوثيقة متصرفية لواء البلقاء أي السلط حيث كان البرقاوي معلماً في مدرستها، وكتب فوق خاتم متصرفية لواء البلقاء طبق الأصل في ٩٣٧/١٠/١١وخاتم متصرفية لواء البلقاء متبوع بتوقيع لم يذكر اسم صاحبه ولعله متصرف اللواء المذكور.

إن نقل البرقاوي من مدارس دمشق الابتدائية، إلى مدارس حمص الثانوية، يدلنا على أن الرجل قد حاز ثقة إدارة المعارف في سوريا، وأصبح معلماً مشهوراً، ومن الذين يشار إليهم بالبنان، بعد أن عرف بإتقان العربية، وطول الباع فيها. ولعل من المناسب هنا أن نورد ملاحظات العلامة سعيد الأفغاني، الذي كان معاصراً لتلك الفترة، وعارفاً بدقائق التعليم فيها، يقول: "... ومن حسن الحظ، أنه لم يكن يرشح لتدريس اللغة العربية في الثانويات، إلا من ثبتت له قوة في علومها، أو في أدبها نثراً وشعراً، أو بلاء حسن في تعليمها سنين طويلة. وإلى أن يشتهر واحد بشيء من هذا، يكون قد أبلى نضارة أيامه جلوساً على ركبتيه في حلق العلم، وسهراً على تحصيل مسائله، وقل أن تطير له شهرة إذا لم يضف إلى ذلك نشاطاً يُرضي أهل الاختصاص، ولم تكن يومئذ تلك البدعة المتأخرة في جعل التولية مقصورة على من حمل شهادة عالية، سواء أكان أهلاً، أم غير أهل، سواء أكانت الجهة المعطية الشهادة لشهادتها وزن أم لا"(١).

نعم، إن ما ذكره الأفغاني يعبر لنا عن شخصية البرقاوي العلمية خير تعبير، ويترجم لنا عن جده وكده، ومواصلته الطلب في تحصيل العلم في برقة والأزهر، ونابلس ودمشق، ولكنه لم يحصل على شهادات المعاهد والجامعات، بل أثبت كفايته وتفوقه على كثير من حملتها، وسلكته كفايته العلمية في الطراز الرفيع من معلمي الأمة ونوابغها، الذين لم يتجاوز تحصيلهم العلمي الكتاتيب والمدارس، كالشيخ طاهر الجزائري، ومحمد كرد علي، والعقاد، والرافعي، والمازني، والمنفلوطي وغيرهم من نوابغ الأمة في مطلع القرن العشرين.

أما الأثر المحمود، والمجد المؤثل الذي تركه ذلك الرعيل الأول –والبرقاوي من أعلامهم– فإنه كما وصفه الأفغاني: "والفضيلة التي ينبغي أن تسجل، أن هؤلاء الأساتذة في جملتهم عنوا بالكشف عن الملكات الأدبية واللغوية وتفتيحها، مع عنايتهم بتدريس المناهج

(١) **الأفغاني**، سعيد: **من حاضر اللغة العربية**. ص٨٢.

المقررة، وكانوا يأخذون طلابهم بالكلام العربي الصحيح في قاعات الدروس، ويقومون ألسنتهم عند كل لجنة، في قراءة أو محادثة أو كتابة، وكلهم لا يضع درجات الامتحان إلا بوزن وحساب، فعلى قدر سلامة اللغة، وصحة الملكة، يُقدّر الطلاب، فعاد ذلك على الطلاب أنفسهم بالخير العميم، حتى صاروا يتعايرون باللحن، ويتباهون بالفصاحة والسلامة"[1].

وربما بدا نقل البرقاوي من دمشق إلى حمص إبعاداً له عن العاصمة التي هي مركز الحراك الثقافي والحضاري، وعن المجمع العلمي العربي، والمكتبة الظاهرية التي كان ملازماً لها قراءة وعارية، لكن ربما كان الأمر كما قال المتنبي لسيف الدولة "في طيّه أسَفٌ في طَيّه نِعمُ"؛ لأن البرقاوي لم يكن بمنأى عن دمشق التي تبعد عن حمص مسافة ١٦٠كلم، يمكن قطعها بالقطار أو السيارة، ولكن من نعم الله على البرقاوي أن هذا النقل الوظيفي مكّنه من التعرف على مصادر معرفية جديدة، وأتاح له الاتصال بأحد كبار العلماء فيها وهو:

الشيخ العلامة أحمد بن عمر بن أحمد بن نجيب آل صافي الحمصي (١٨٦٠م-١٩٤٨):

الذي وصف بأنه "جهبذ" حمص، وبأنه "أحد جهابذة رجال العلم، تفرد في عصره في العلوم والفنون" إذ نبغ الحمصي في العلوم التي حصلها في حلقات المساجد بحمص، وأجيز بالتدريس، وعرف "بقوة الحافظة والتحقيق"، وكان منشوداً في علوم الدين قاطبة من العلماء فيما أشكل عليهم[2]، وتتلمذ على يديه أغلب علماء حمص، ومن تلاميذه محمد شاكر المصري شقيق محمود شاكر، وهما من هما في العربية وأدبها وتراثها وتاريخها.

وقد طارت شهرة الحمصي في علوم اللغة والنحو والصرف، والبيان والبديع، وتم اختياره مدرساً لتفسير البيضاوي في مدرسة حمص الوقفية، وكان مرجعاً ومعيناً، وحجة فيما غمض على العلماء والطلاب من مسائل الأدب، والبلاغة والتفسير، وغيرها من العلوم والفنون الإسلامية، فقصده الطلاب لذلك، وكان البرقاوي واحداً منهم، فقرأ عليه، اللزوميات لأبي العلاء المعري[3]، وهي نصوص شعرية يغلب على كثير منها الغموض، والتطرف في الأفكار والمعاني، بل ربما بدت خروجاً عن مألوف عقائد السلف، فوقع البرقاوي على الشيخ الحمصي

(١) **الأفغاني، المرجع السابق:** ص٨٢.

(٢) **رابطة العلماء السوريين: "الشيخ أحمد صافي"** كاتب الترجمة: حامد الصافي، الاثنين ٢ ربيع الأول ١٤٤٢هـ-١٩ أكتوبر ٢٠٢٠م https://islamsyria.com

(٣) انظر: **العودات، "من أعلام الفكر الأدب في فلسطين"** ص٦٢.

وسقط على الخبير اللوذعي اليلمعي الذي كان حلالاً لغموضها، وفتاحاً لمشكلاتها، وإقليداً لخزائن معانيها، علماً بأن الصافي كان شاعراً ينظم في الإلهيات، وله فيه ديوان شعر وسمه بـ "الإيمان الصافي".

ويرى كاتب هذه السطور إن سرّ إعجاب البرقاوي بلزوميات أبي العلاء المعري، يعود إلى معرفته بمحمد سليم الجندي، الذي كان من كبار كتاب الإنشاء في دواوين الحكومة العربية، وفي زمن الانتداب. وأصبح الجندي عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٢٢م، وكان الجندي مغرماً بشعر المعري، وينظم شعراً على نسق لزومياته في الحكمة والوعظ والأخلاق، وقد جمع أخبار المعري في كتابه المعروف بـ"الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره" الذي نشره المجمع في ثلاثة أسفار[١].

وفوق ذلك، فإن الصافي قد عرف بقوة اليقين، وعمق الإيمان، وبالصبر والاحتساب عندما فقد ولده البكر عمر، في مقتبل شبابه، وكان الابن أديباً شاعرا، وعرف بموته قبل صلاة الفجر، ولكنه حضر الصلاة، وأعطى درسه لطلابه، ثم أخبرهم بوفاة زميلهم بعد الدرس، فلامه بعض الناس على ذلك، فقال لا أتحمل خسارتين في يوم واحد: فقدان الابن، وخسارة الدرس، فضرب بذلك مثالاً في الصبر والاحتساب[٢].

والظاهر أن تأثير الشيخ الحمصي على طالبه البرقاوي كان كبيراً، وقد تبدى ذلك في أمرين:

الأول– قراءة البرقاوي لأدب أبي العلاء المعري على شيخه الحمصي:

والمعري هو الشاعر الفيلسوف، الذي قرأ البرقاوي شعره وبخاصة ديوان "اللزوميات" قراءة واعية ناقدة، على يدي الشيخ أحمد صافي، الذي حلّ له الكثير من إشكالات شعر المعري وأدبه، وفتح له آفاق التأمل والنظر والتأويل، والفهم العميق والتحقيق في تناول نصوصه وسبرها، والنفاذ إلى جواهر معانيها ومقاصدها.

وقد أدرك هذا الأمر في شخصية البرقاوي حمد الفرحان، أحد طلابه النجباء الذي درس الفيزياء في الجامعة الأمريكية، وكان من أوائل الطلبة وأذكيائهم، ومن الرموز الوطنية في الأردن، يقول الفرحان: "وعيتُه على كِبري، وإذا هو محاولات جبارة مستمرة من نفس حبيس،

---

(١) انظر: **الزركلي، الأعلام:** ج٦، ص١٤٨؛ **القاسمي، مكتب عنبر:** ص٥٢.

(٢) **رابطة العلماء السوريين: "الشيخ أحمد صافي"** مرجع سابق.

تتحفز دائماً للانطلاق على المعرفة. فهو يُدَرسُ رسالة الغفران في الرابع الثانوي، فيجد منها مناقذ من النقد، والتقدير، والتجريح، والإبداع للفكر الإنساني بأكمله، منافذ على فكر أرسطو... وأبي حنيفة... والغزالي... وهو يتكلم عنهم، يتطاول ولكن بثقة، وكأنه أحدهم، أو منهم، أو ند لهم. عقل متلهف دائماً يحاول الامتداد إلى آفاق جديدة من المعرفة"(١).

والثاني- إعجاب البرقاوي بشخصية أستاذه الحمصي:

فقد عرف الحمصي بحرصه الشديد على إفادة طلابه وتعليمهم وتفهيمهم، وبما شهر عنه من صفة الصابرين المحتسبين، في المواقف التي لا يقوى فيها أكثر الناس على ذلك، وبخاصة عندما فقد الصافي ذات يوم ابنه الشاب الشاعر النابغ فجراً، ولكنه لم يتأخر عن صلاة الفجر، وعن تدريس طلابه في ذلك الصباح الحزين، ثم أخبر طلابه بعد ذلك كما أسلفنا.

ويبدو أن قصة الصافي عند فقد ابنه، قد تركت أثرها العميق في نفس البرقاوي، وتجلت لديه سلوكاً عندما توفي طفله الصغير ليلاً، ولكنه لم يخبر أحداً من جيرانه، أو أصدقائه خوفاً من إزعاجهم، أو تعطيلهم عن أعمالهم، وترك رجال حارته في السلط حتى ذهبوا إلى العمل، وطلب حضور أحد الأشخاص، فقام بحفر القبر، وحمل طفله مع رجل آخر إلى المقبرة، ولكن سرعان ما شاع الخبر، فتراكض إليه طلابه وبعض الناس، يقول أحد جيرانه الذي روى الخبر لهاني العمد: "وعندما بدأ البرقاوي يهيل التراب على الطفل، رفع يديه إلى السماء، وقال: الحمد لك على ما أعطيت، والحمد لك على ما أخذت، والحمد لك على ما أبقيت"(٢).

وبناءً على ما ورد في الرواية السابقة عن حال البرقاوي عند وفاة طفله، فإننا نستدل على ما كان الرجل عليه من قوة يقين وإيمان، وصبر واحتساب لله تعالى، ويبدو أن ما ذُكر عن أستاذه الصافي في احتسابه، كان حاضراً عنده في ذلك اليوم الذي فجع فيه بفلذة كبده.

وذكر العودات أن البرقاوي خلال عمله معلماً في مدرسة حمص الثانوية، قد قرأ "مؤلفات نقولا حداد في الاجتماع وعلم النفس"(٣)، ولكن العودات لم يكشف لنا عمن قرأ عليه البرقاوي كتب نقولا حداد، المولود سنة ١٨٧٨، في لبنان، وحصّل حداد ثقافة واسعة في الأدب والعلوم

(١) وزارة الثقافة الأردنية، **حسن البرقاوي (المربي والإنسان... ذكرى وتحية)**: ص٤٦.
(٢) **الفرحان**، حمد "**حسن البرقاوي المعلم العربي المخلص**"، ضمن كتاب: حسن البرقاوي (المربي والإنسان... ذكرى وتحية): ص٢٥.
(٣) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

والتاريخ، وكان شاعراً وروائياً وعالماً، وعمل صحفياً في "الأهرام"، و"الرائد المصري" وغيرهما من الصحف المصرية واللبنانية، ومن مؤلفاته: "آدم الجديد" وهي رواية اجتماعية، و"الحب والزواج"، و"فلسفة الوجود"، و"الديمقراطية مسيرها ومصيرها"، و"الاشتراكية"، وله "علم أدب النفس" و"مناهج الحياة"، ومؤلفاته هذه ذات طابع اجتماعي علمي، وله روايات أدبية، وتوفي نقولا حداد عام ١٩٥٤م(١).

وربما كان البرقاوي قد قرأ هذه المؤلفات الفلسفية والاجتماعية، التي كانت غريبة عن ثقافة ذلك العصر في المجتمعات العربية على نفسه، وحاول فهمها ومناقشة أفكارها مع زملائه من المعلمين في مدارس حمص، وما ذكره تيسير ظبيان عن زملاء البرقاوي في مدارس حمص يشي بذلك، يقول ظبيان: "لقد عرفت فقيدنا الغالي في مدينة (ابن الوليد) قبل خمسين عاماً، وكنا نتولى مهمة التدريس في مدارسها، ونلتقي كل يومٍ في فترات المساء مع فريق من الزملاء، حيث تعقد الحلقات الطوال، لمطالعة بعض الكتب الدينية والأدبية، والعلمية والتاريخية..."(٢).

ودرس البرقاوي إبان إقامته في حمص آثار جبران خليل جبران، يقول العودات: "وعكف مع شاب حمصي اسمه رزق أنبوية على آثار جبران التي تركت في نفسه آثاراً عميقة"(٣).

وإشارة العودات إلى توافر البرقاوي على مؤلفات جبران، وعكوفه على درسها وفهمها مع ذلك الشاب الحمصي رزق أنبوية، وما كان لذلك من عميق الأثر في نفسية البرقاوي، مما يجعلنا نحاول استشفاف الأسرار التي جعلت البرقاوي معجباً بجبران، وربما كانت الإشارة إلى النقاط الآتية في أدب جبران، وإبداعه ما يلقي لنا ضوءاً على سرّ هذا الإعجاب:

أ- **إن جبران خليل جبران** المولود في بشرّي القرية اللبنانية سنة ١٨٨٣م والمتوفي في نيويورك سنة ١٩٣١م(٤) واحدٌ من أبرز أدباء المهجر ونوابغهم، وكتب باللغتين العربية والانجليزية، وكان من مؤسسي الرابطة القلمية في نيويورك عام ١٩٢٠م، وقد ضمت في عضويتها: إيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة وغيرهما، وقد ترك جبران أدباً إنسانياً شعراً ونثراً، ترجم إلى أكثر من مئة لغة، وطبع عشرات الطبعات، ولا غرو في ذلك، فهو أديب

(١) انظر: **نقولا حداد**- **ولكبيديا** https: //ar.m.wikipedia.org

(٢) **ظبيان**، تيسير: "**فقيدنا البرقاوي**"، ضمن كتاب **حسن البرقاوي (المربي والإنسان... ذكرى وتحية)**: ص٤٩.

(٣) **العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**: ص٦٢.

(٤) انظر: **الزركلي، الأعلام**: ج٢، ص١١٠.

وجداني تميز برهافة الحس، وتدفق المشاعر الإنسانية... لقد كتب جبران نشيداً للإنسان الباحث عن الحقيقة منذ الأزل حتى آخر الدهر، مروراً بكل الأنبياء والمصلحين، والفلاسفة والحكماء، وقد افتتح نشيد الإنسان بآية قرآنية كريمة (وكنتم أمواتاً فأحياكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون)[1].

ب- **كان جبران داعية تجديد في الأدب العربي**: إذ توجه إلى الطبيعة يستلهمها، ويعيش في أحضانها، ويتغنى بجمالها، ويتخذها رموزاً يعبر بها عن نفسه ومجتمعه، وكان متأثراً بالنزعة الرومانسية العربية، ولذلك فإن الطبيعة والإحساس بجمالها قد تركت آثارها العميقة في شعره ونثره ورسمه، ودعا إلى العودة إليها أماً رءوماً.

ج- **كان جبران في أدبه ثائراً على المستبدين من الحكام**، وولاة الأمور، وعلى المتخلفين من رجال الدين، وعلى نظرة الشرقيين إلى الشاعر الذي طلبوا منه "أن يحرق نفسه بخوراً أمام سلاطينهم وحكامهم وبطاركتهم"[2]، وكان أيضاً ثائراً على فكر الشرقيين الذين حبسوا أنفسهم في الماضي، ولم يلتفتوا إلى حاضرهم، يقول: "... فالشرقيون يعيشون في مسارح الماضي الغابر، ويميلون إلى الأمور السلبية المُسلّية، ويكرهون المبادئ والتعاليم الإيجابية المجردة، التي تلسعهم وتنبههم من رقادهم العميق... إنّما الشرق مريض قد تناوبته العلل، وتداولته الأوبئة حتى تعوّد السقم... وأطباء الشرق كثيرون يلازمون مضجعه، ويتآمرون في شأنه، ولكنهم لا يداوونه بغير المخدرات الوقتية التي تطيل زمن العلة ولا تبرئها"[3].

ويبدو أن البرقاوي قد وجد في جبران طبيباً نطاسياً بارعاً ومفكراً، جريئاً باحثاً عن الحرية لأمته، وطالباً منها فك أغلال الاستبداد، وآفة التمسك بالقشور وإهمال اللباب من الأمور- واستطاع برؤيته الثاقبة، أن يشخص أدواء الشرق، وأن يرسم له سبيل الخلاص، وطريق النجاة مما اعتراه من العيوب المستأصلة، والأمراض المزمنة، في الفكر والسياسة، والاجتماع والتعليم، والأخلاق والسلوك.

ودعا جبران الشرق إلى طلب الحرية، والتضحية من أجلها، وإلى بغض هيمنة وطغيان المستبدين، وإلى التصدي للمحتلين والمستعمرين، وإلى طلب الحرية والاستقلال، وإلى التمرد

---

(١) **جبران**، خليل جبران: **المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية**. قدم لها وأشرف على تنسيقها: ميخائيل نعَيمَة، مكان وتاريخ النشر غير مذكورين: ص٣٤٣.

(٢) **جبران، المصدر السابق**: ص٤٠٥.

(٣) **جبران، المصدر السابق**: ص٤٠٦.

على الخنوع والخضوع، والرفض للذل والعبودية، يقول: "أرواحكم تنتفض في مقابض الكهان والمشعوذين، وأجسادكم ترتجف بين أنياب الطغاة والسّفاحين، وبلادكم ترتعش تحت أقدام الأعداء والفاتحين، فماذا ترجون من وقوفكم أمام الشمس؟"(١).

د- **الأسلوب الجديد: الذي حاول جبران بخاصة، وأدباء المهجر بعامة إشاعته ونشره في الأدب العربي الحديث**، ويتسم هذا الأسلوب بالبساطة في التعبير، والخروج عما اعتاد عليه رواد النهضة الأدبية من جزالة الألفاظ وقوتها، وطول النفس في الشعر، والتمسك بالقوالب والتشبيهات القديمة، أما أسلوب جبران المبتكر، فقد وصفه ميخائيل نعيمة رفيقه في العصبة القلمية بالقول: "يستوقفك نمط من الكتابة يتميز بسهولة التعبير، وحلاوة التلوين، ولطافة الوقع، وصدق النيّة، وسلامة الذوق، وعمق الإحساس، والنزعة إلى الإبداع في الوصف والتشبيه. فهو يتنكب المألوف من الجناس والمجاز، ويحاول تحميل الكلمات من المعاني فوق ما تعودت حمله على ألسنة الكتاب والشعراء، ويحاول تجريدها من التفاهة والفضول"(٢).

ه- **عُرف جبران بأنه واحد من رواد الأدب التأملي**: إذ تناول في تأملاته المستمرة والعميقة والطويلة الحياة الإنسانية، والروح، والزمن، والخلود، والحب، والموت ومصير الإنسان وغيرها من الموضوعات الإنسانية، وقد كشف جبران عن عبقرية ابن سينا في قصيدته العينية التي وصف فيها النفس الإنسانية، وبين تفوق ابن سينا فيما طرحه في عينيته على كل من جاء بعده من الشعراء العالميين، بل جعله "نابغة لعصره، وللعصور التي جاءت بعده، ويجعل قصيدته في النفس أبعد وأشرف ما نظم في أشرف وأبعد موضوع"(٣).

أما مذهب جبران في التأمل، فقد وضحه عند الحديث عن قصيدة ابن سينا، قائلاً: "... فكأني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة، وأدرك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيات، فجاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً على أن العلم هو حياة العقل، يتدرج بصاحبه من الاختبارات العملية، إلى النظريات العقلية، إلى الشعور الروحي، إلى الله"(٤).

---

(١) **جبران، المصدر السابق**: ص٣٩٢.

(٢) **جبران، المصدر السابق**: ص٧-٨؛ وانظر: **الناعوري**، عيسى: **أدب المهجر**. وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١١م: ص٩٨-١١٠.

(٣) **جبران، المصدر السابق**: ص٥٤٥.

(٤) **جبران، المصدر السابق**: ص٥٤٢.

ويبدو لي أن ميل جبران إلى التأمل الفلسفي في الوجود والكون والحياة، هو من الأسباب القوية التي دفعت البرقاوي للتعمق في دراسة روائع جبران، وإلى العكوف على دراسة لزوميات أبي العلاء المعري في حمص.

و- **انتماء جبران للشرق**، وعدم التنكر لتاريخ أمته وحضارتها: وله في ذلك أقوال خالدة منها: "أنا مسيحي ولي فخر بذلك، ولكنني أهوى النبي العربي، وأكبر اسمه، وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله، وأنا شرقي، ولي فخر بذلك، ومهما أقصتني الأيام عن بلادي، أظل شرقي الأخلاق، سوري الأميال، لبناني العواطف. أنا شرقي، والشرق مدينة قديمة العهد...".

ولجبران نظرات دقيقة في حال اللغة العربية في عصره، وما يتوقع لها من مستقبل، فقد طرح السؤال التالي: ما مستقبل اللغة العربية؟ ثم أجاب عن سؤاله بالقول: "وإنما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار، توقفت اللغة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهقر، وفي التقهقر الموت أو الاندثار. إذاً فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع... هي في الأفراد النبوغ وفي الجماعة الحماسة..."[1].

وتبدو آثار جبران، ونفحاته الفكرية والإبداعية، واضحة فيما كتب البرقاوي، وقد وقفنا من تلك الآثار على مقالة اجتماعية رائقة، كتبها في موضوع "الصداقة" ونشرها في عددين من أعداد صحيفة "الجزيرة" التي كانت ملتقى أقلام الأدباء والكتاب من الأردن ومن العالم العربي، والتي كان يرأسها الأديب تيسير ظبيان صديق البرقاوي، وزميله في التعليم، وقد جاء عنوان المقالة على النحو التالي: "صديقك كفايتك (بحث أدبي اجتماعي طريف)"، وقد صدّر البرقاوي هذه المقالة باقتباس جملة أو حكمة من نثر جبران، يقول البرقاوي: "قال جبران خليل جبران: "إن صديقك هو كفاية حاجاتك" وعقب البرقاوي على كلام جبران، قائلاً: "كلمة جامعة، خطها يراع ذلك الأديب الفذ، تتناول عناصر قيمة، وشؤوناً حافلة، أردت أن أعلق عليها شارحاً وممهداً"[2] ثم يطلق البرقاوي العنان لقلمه البليغ السيال، الذي يخط سحراً، ويفوح من عطر أفكاره المطعمة بأدب جبران الذي أعجب به البرقاوي أيّما إعجاب.

---

(١) **جبران، المصدر السابق:** ص٥٥٤.

(٢) **البرقاوي**، حسن: "**صديقك كفايتك**" مقالة منشورة في صحيفة "الجزيرة"، عمان، ١٩٤٠م، الأعداد (٩٧٠)، (٩٧١).

وفي ضوء ما تقدم بيانه عن شيوخه، وما تعلمه على أيديهم، وما أضحى عليه الفكر العربي في زمانه وقبله بقرون، إذ نُحّي العقل جانباً، وأولع بتصديق الخرافة، فإننا يمكن أن نفهم الجذور الأولى لرغبة البرقاوي الجامحة في التبحر في فهم العلوم الحديثة، التي أطلق عليها زميله المؤرخ الأردني محمد أديب العامري "عقدة التحديث"، يقول: "إنه كان يعاني: ما يمكن أن أسميه "عقدة التحديث"، إذ كان له هم خاص في مسايرة الزمن، ومباراة خريجي الجامعات الحديثة والعلوم، كان يدرك بثقافته الموزعة، أن العلوم الحديثة عماد الحياة، وكان مولعاً بالتطور وبالحياة معاً، لذا كان يشرئب إلى الكلام عن النظريات الحديثة في العلم، والاقتصاد والاجتماع، وحتى ولو أشرف ذلك الكلام على النظريات المتطرفة –عقدة التحديث مرة أخرى كانت تشوقه"(١).

وعلاوة على ذلك، فإننا نفهم أن تشوف البرقاوي لفهم النظريات الحديثة في الفلسفة والعلم، والاجتماع والفن والأدب، وعلم النفس والتربية، يدل على أن هذا الرجل قد أصبح من دعاة نهضة العقل العربي، وتوسيع نطاقه في العلوم والفنون والصنائع الحديثة، وغدا من المتلهفين على تفجير القوى العلمية الكامنة في الوجدان الحضاري لأمته العروبية، منذ أيام الكلدانيين، ومروراً بالكنعانيين، وبكل الحضارات العروبية القديمة في بلاد الرافدين والشام والجزيرة العربية، وصولاً إلى حضارة العرب الفاتحين التي امتدت من البحر الأصفر إلى بحر الظلمات، وأصبحت لغتهم لغة العلم الإنساني، عند أغلب شعوب الأرض قرابة الألف عام، حتى قال البيروني "لا يتصور وجود كتاب علم بغير العربية"(٢).

وبعد أن أمضى البرقاوي سنتين في حمص معلماً ومتعلماً، فإنه يمكننا القول: إن عمل البرقاوي في حمص، قد هيَّأ له فرصة ذهبية للدراسة على الشيخ أحمد صافي الحمصي جهبذ مدينة حمص وعلامتها، كما فتحت له إقامته بحمص باباً لدراسة علم النفس، والتربية، والاجتماع، وأدب جبران خليل جبران الذي أعجب البرقاوي بأدبه أشد الإعجاب.

وختمت المرحلة الحمصية من حياة البرقاوي بنقله إلى مدرسة درعا بحوران في القسم الجنوبي من سوريا في ١٩٢٤/٩/١م، وعمل فيها حولاً كاملاً حتى ١٩٢٥/٩/١م، ومما يؤكد ذلك وجود وثيقة في الملف الوظيفي لحسن البرقاوي، وكانت هذه الوثيقة محفوظة لدى إدارة المعارف العامة في إمارة

---

(١) **العامري**، محمد أديب: "**في أربعين البرقاوي**" ضمن كتاب حسن البرقاوي (المربي والإنسان... ذكرى وتحية): ص٣٠.

(٢) **الدروبي**، سمير: **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**. ص٥٢-٥٦.

شرق الأردن، والوثيقة عبارة عن إجازة للبرقاوي تسمح له بالذهاب لزيارة عائلته في فلسطين، وهي صادرة عن وزير المعارف رضا سعيد في دولة سورية –وزارة المعارف، ومؤرخة بـ ٩ تموز سنة ١٩٢٥م، ونص الوثيقة المختومة من أعلاها وأسفلها بختم متصرفية لواء البلقاء:

دولة سورية

وزارة المعارف

رقم الديوان

١٧١

لحضرة السيد حسن البرقاوي أحد معلمي مدرسة درعا المحترم

أذن لكم بالذهاب إلى فلسطين لرؤية عائلتكم، على أن تكونوا في ١٥ أغستوس سنة ١٩٢٥م على رأس وظيفتكم، والسلام عليكم.

دمشق في ٩ تموز ١٩٢٥م

وزير المعارف

رضا سعيد

ولم أعثر فيما بين يدي من أوراق البرقاوي، على ما يشير إلى من درس عليه أو أخذ عنه في درعا الواقعة في منطقة حوران الخصيبة، وربما كانت الحركة العلمية خابية آنذاك في هذه المدينة المعروفة تاريخياً باسم أذرعات، ويبدو لي أن البرقاوي قد تعلم دروساً عظيمة في الوطنية، والبطولة العربية عندما استمع من أهلها إلى أفاعيل الفرنسيين، وما تعرضوا له من أبشع الجرائم الفرنسية، عندما ثاروا على سلطات الاحتلال، وأبدوا مقاومة

ضارية، فدكت قراهم بالمدافع، وقصفت بالطائرات، وقام المستعمر بفرض الغرامات والإتاوات الهائلة على درعا ومحيطها، واستصفى أموال أهلها، وجردهم من ذهبهم ومدخراتهم، ونكل بأولئك الرجال الكرماء الذين كانوا أول من ثار على المستعمر الفرنسي بعد إسقاط الفرنسيين للحكومة العربية في عام ١٩٢٠م، وظهر فيهم أبطال كأحمد مريود، وأدهم خنجر الذي أمطر الجنرال غورو قائد الاحتلال الفرنسي برصاصة في هضبة الجولان، فكان ذلك إرهاصاً للثورة السورية الكبرى، علماً بأن خنجر ورفاقه، قد انطلقوا من عجلون، رغبة في التضحية بواحد من كباش الإفرنسيين، الذين قتلوا الأطفال، ودمروا البيوت وعاثوا في الأرض فساداً وقتلاً، وسلباً ونهباً.

وختاماً فإنني أرى أن هذه المقالة المتواضعة، تجيب على كثير من الأسئلة المتعلقة بموسوعية البرقاوي، وثقافته المتعددة الموضوعات، وبقدرته الفائقة على طرح موضوعات اللغة والأدب، والعلم والفلسفة، والدين والقانون بلغة عربية مشرقة، تنم على اطلاعه الواسع على القديم والحديث، وقد أشار الأديب الأردني هزاع البراري إلى الانفتاح المعرفي عند البرقاوي، فقال: "نهل علومه من مدارس ومعلمين من مختلف المشارب"[١]. وهو ما نرجو أن نكون قد قدمناه، وكشفنا عن خباياه، في الفترة الزمنية التي عاشها، ولقي فيها أعلام عصره في مصر والشام، وتأثر بدعوتهم للتجديد والإصلاح، وأخذ علومه عنهم، حتى أحكمها، وبرع فيها وأتقنها، متحدياً زملاءه في تدريسها، فكان معلماً مخلصاً لتلاميذه في دمشق وحمص ودرعا، والكرك وأربد والسلط وعمان، كما أنه أرشدهم إلى طرائق فهمها واستيعابها والإفادة منها، فهو بحق **أستاذ الأجيال** على مدار خمسة وستين عاماً.

١- **البراري**، هزاع: **حسن البرقاوي (التربوي العتيق باني الأجيال)**، مدونة الأردن، تاريخ ٧ سبتمبر، ٢٠١١.

فهرسة المصادر والمراجع

آل سعود، نايف بن ثنيان: **المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في الوطن العربي**. ط١، دار أمية، الرياض، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.

الآلوسي، جمال الدين: **محمد كرد علي**. ط٢، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦م.

بالحنيحن، أيمن؛ **الغيث**، محمد: **مكتبة المسجد النبوي الشريف تاريخ ونوادر**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، بلا تاريخ.

البرقاوي، حسن: "**أواه زعيم الشام**"، صحيفة الجزيرة، ١٤ رجب ١٣٥٩ه/١٧ آب سنة ١٩٤٠م، السنة (٨)، عدد رقم (١٠٠٠).

البرقاوي، حسن: "**اخرجوا أيها الفرنسيون، ألم تتلقوا درساً من سقوط باريس؟**". صحيفة الجزيرة. سنة ١٩٤٠م، العدد رقم (١٠٧٢).

التميمي، محمد رفيق؛ **الكاتب**، محمد بهجت: **ولاية بيروت**. دراسة وتحقيق: زهير عبداللطيف غنايم، محافظة، محمد عبدالكريم. ط١، مكان النشر غير مذكور، ٢٠٠٠م.

جريدة العاصمة، السنة الأولى، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، الأعداد: (٢٩)، (٥٢)، (٥٣)، (٥٦)، (٥٧)، (٦٨)، (٦٩)، (٧١)، (٨٤).

الحصري، ساطع: **يوم ميسلون**. دار الاتحاد، بيروت، بلا تاريخ.

الحكيم، يوسف، **سورية والانتداب الفرنسي**، ط١، دار النهار، بيروت، ١٩٨٣م.

خباز، حنا: **سلسلة الخباز**. ط١، مطبعة علم الدين، القاهرة، ١٩٢٨.

الخطيب، جبر: **العروبة والإسلام في خطاب الحسين بن علي**. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٧م.

الدباغ، مصطفى مراد: **بلادنا فلسطين**. ط٢، رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الدروبي، سمير: **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**. ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض/١٤٢٨ه/٢٠٠٧م.

الدروبي، سمير، **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨/٢٠٢١م.**

الدروبي، سمير: "**من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٥٠)، السنة العشرون، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

دروزة، محمد عزة، **مذكرات محمد عزة دروزة**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

راموز، أرنست أ: **تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨**. ترجمة: صالح أحمد العلي. ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

السكاكيني، خليل: **كذا أنا يا دنيا**. أعدتها للنشر: هالة السكاكيني، ط١، القاهرة، ١٩٥٥م.

الشهبندر، عبدالرحمن: **مذكرات وخطب**. ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م.

الصيرفي، نوال حمزة يوسف: **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**. ط١، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

ظبيان، تيسير: "**فقيدنا البرقاوي**" ضمن كتاب: حسن البرقاوي المربي والإنسان... ذكرى وتحية. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ١٩٩٠م.

العجلوني، محمد علي: **ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى**. ط١، منشورات مكتبة الحرية، عمان: ١٩٥٦م.

العظمة، عبدالعزيز: **مرآة الشام (تاريخ دمشق وأهلها)**. ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.

عمر، محمد خالد: **الزعيم إبراهيم هنانو (سيرة ومسيرة)**. ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٠م.

العياشي، غالب: **الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا**. ط١، ادلب، ١٩٥٤م.

فيندوز، فولكهارد: "**اللغة العربية الفصحى والعامية**". مجلة المعلم وزارة التربية والتعليم، الأردن، السنة (١٥)، ١٩٧٢م.

القاسمي، ظافر: **مكتب عنبر (صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية)**. ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بلا تاريخ.

قدري، أحمد: **مذكراتي عن الثورة العربية**. ط١، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦م.

كالفي، لويس جان: **حرب اللغات والسياسات اللغوية**. ترجمة: حسن حمزة، مراجعة سلام بزي حمزة، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.

كرد علي، محمد، **المذكرات**، طبعة مصورة، دار أضواء السلف، الرياض، بلا تاريخ.

كرومر، اللورد: **مصر الحديثة**، ترجمة: صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم: أحمد زكي الشلق. ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.

كوثراني، وجيه: **بلاد الشام (السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسيّة في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق)**. ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٠م.

لون نغريغ، ستيفن همسلي: **سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**. ترجمة: بيار عقل. ط١، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٨م.

المالكي، منير: **من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسة)**. ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

المبارك، مازن: **مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) (تعريف تاريخي)**. ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق/ ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

مجموعة من المؤلفين الفرنسيين: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب. ترجمة وتقديم وتعليق: عبدالعلي الودغيري. ط١، سلسلة كتاب العلم، الرباط، ٢٠١٣.

محافظة، علي، **الفكر السياسي في الأردن (وثائق ونصوص ١٩١٦- ١٤٤٦م)**، ط١، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٩٠م.

محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣٢م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق: إحسان عباس. ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

موسى، سلامة: "**اللغة الفصحى واللغة العامية ورأي السير ولكوكس**". مجلة الهلال، تموز، ١٩٢٦م/ ١٣٤٤م، السنة (٣٤).

نفوسة زكريا سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**. دار الإرشاد، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي، إضبارة رقم ٥٨/١١ التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال)، سنة ١٩٢٥م.

حسن البرقاوي (أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة في الأردن): أثر مشاهداته في بناء ثقافته وتشكيل وعيه الوطني

أ.د. سمير محمود الدروبي*

الملخص

يحاول هذا البحث تقصي أهم مشاهدات المعلم حسن البرقاوي، وكيف أثرت في بناء ثقافته، وتشكيل وعيه الوطني، وتبدأ مشاهدات البرقاوي منذ دخوله كتّاب قريته عام ١٨٩٨م تقريباً، وحتى دخوله المدرسة الرشدية العثمانية فيها، واجتيازه اختباراً أدى إلى دخوله في سلك التعليم، فشاهد البرقاوي الأحوال البائسة، والتخلف العلمي الذي عانته المدارس في قضاء نابلس بخاصة، وبلاد الشام بعامة، في ضوء سياسة التتريك، التي جعلت من التركية لغة للتعلم. وتوسعت مشاهدات البرقاوي الذي أصبح طالباً في الأزهر لمدة سنتين ١٩١٠-١٩١٢م، وأفاد من الدعوة الإصلاحية التي دعا إليها الشيخ محمد عبده وتلاميذه، لإصلاح مناهج الأزهر، الذي بدأت تهب عليه رياح التجديد، وتدعو إلى أخذه بالقديم النافع، والجديد المفيد من المناهج والمقررات الدراسية، وبعد عودته إلى نابلس سنة ١٩١٢م طالباً في المسجد الصلاحي حتى سنة ١٩١٤م أفاد من كبار علماء نابلس في العلوم اللغوية والدينية، ولكنه لم يلحظ دعوة للتجديد أو الإصلاح في مساجدها أو مدارسها.

وعاصر البرقاوي الحرب العالمية الأولى وأهوالها من ١٩١٤-١٩١٨م جندياً في دمشق، ورأى كيف قام الطورانيون من الترك، بتعليق دعاة الحرية من العرب على أعواد المشانق في ساحة الشهداء بدمشق، وفي عاليه وبيروت. ولكن ليل الترك المظلم في أواخر عهدهم، بعد الانقلاب على السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٩٠٨م، أذن بالزوال، بعد دخول فيصل بن الحسين إلى دمشق، وتأسيس أول حكومة عربية فيها، وقد بدأت الحكومة العربية بتطبيق سياسة التعريب والإصلاح، والتعليم والنهضة، وإقامة المؤسسات العربية اعتماداً على نهج وطني سديد، يوحد أبناء الشام على أساس لغتهم ووحدتهم الثقافية والتاريخية، فكاد لهم المنتدب الفرنسي، وأسقط الحكومة العربية سنة ١٩٢٠م، فارضاً سياسة الفرنسة التي تجلت في الهيمنة اللغوية والثقافية والتعليمية، ومحارباً كل دعوة وطنية، فكانت المدارس وطلابها ومعلموها، هم دعاة الوطنية والحرية والاستقلال، وقد شهد البرقاوي كل ذلك في دمشق وحمص ودرعا حتى مغادرته سوريا وقدومه إلى إمارة شرقي الأردن سنة ١٩٢٥م. لقد تركت مشاهدات البرقاوي ومعاصرته لهذه الأحداث التي غيرت وجه المنطقة أثراً كبيراً على ثقافته ووعيه الوطني، وهو ما أفاد به طلابه في الأردن فيما بعد.

الكلمات الدالة: حسن البرقاوي، التتريك، التعريب، الفرنسة، النهضة العربية، اللغة العربية، التعليم.

* **قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة. (عضو مجمع اللغة العربية الأردني ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).**

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

The Impact of Teacher Hassan Al-Barqawi's Observations on Building His Culture and Shaping His National Consciousness

Prof. Samir AL-Droubi

Abstract

This research attempts to investigate the most important observations of the teacher Hassan Al-Barqawi, (the first teacher in Jordanian Kingdom) and how they affected the building of his culture and the formation of his national consciousness. The miserable, and the scientific backwardness suffered by schools in the district of Nablus in particular, and the Levant in general, in light of the policy of Turkification, which made Turkish a language of education. And the observations of Al-Barqawi, who became a student at Al-Azhar for two years 1910-1912 AD, expanded, and he benefited from the reform call that Sheikh Muhammad Abdo and his students called for, to reform Al-Azhar's curricula, which the winds of renewal began to blow on him, calling for him to adopt the useful old and the new useful curricula and curricula. After his return to Nablus in 1912 AD as a student at the Salahi Mosque until 1914 AD, he benefited from one of his top scholars in linguistic and religious sciences, but he did not notice the intention of any call for renewal or reform.

Al-Barqawi lived through the First World War and its horrors from 1914-1918 AD, and was a soldier in Damascus, and saw how the Turks, the Turanians, hung Arab freedom advocates on the gallows in Martyrs Square in Damascus, in Aley and Beirut. But the dark night of the Turks at the end of their reign, after the coup against Sultan Abdul Hamid II in 1908 AD, authorized its demise, after Faisal bin Al-Hussein entered Damascus and established the first Arab government in it. On a sound national approach, uniting the people of the Levant on the basis of their language and their cultural and historical unity, so the French delegate almost defeated them and overthrew the Arab government in 1920 AD, imposing the French policy that was manifested in linguistic, cultural and educational dominance, and fighting every national call. Freedom and independence, and Al-Barqawi witnessed this in Damascus, Homs and Daraa until his departure from Syria and his arrival to the Emirate of Transjordan in 1925 AD. Al-Barqawi's observations and his contemplation of these events that changed the face of the region had a great impact on his culture and national awareness, which was later reported by his students in Jordan.

Key Words: Hassan Al-Barqawi, Turkification, Arabization, Frenchify, Arabian Renaissance, Arabic Language, Education.

شاهد المعلم حسن البرقاوي في الربع الأول من القرن الماضي كثيراً من الأحداث الهامة، والتقلبات السياسية الخطيرة التي غيرت وجه المنطقة العربية سياسياً واجتماعياً وتعليمياً، وكان البرقاوي شاهدَ عيانٍ لكثير من الأحداث المتسارعة التي عصفت بمصر وبلاد الشام في نهاية العصر العثماني، وفي أيام الحكومة العربية "الفيصلية"، وفي حقبة الانتداب الفرنسي، وقد استطعنا أن نحصر هذه المشاهدات في الآتي:

أولاً- مشاهدات البرقاوي في نابلس والأزهر (١٩٠٠-١٩١٢م):

عاش البرقاوي منذ ولادته سنة ١٨٩٢م تقريباً، وحتى عام ١٩١٠م في قريته برقة التي لا يزيد عدد سكانها على ألفي نسمة يومذاك، وكانت تعدُّ من أكبر القرى التابعة لنابلس، ونشأ في هذه القرية طالباً للعلم في الكتاتيب، ثم في مدرسة القرية الابتدائية، ثم مدرستها الرشدية، التي كانت الدراسة فيها باللغة التركية، ودرس البرقاوي على شيوخ قريته، وتفوق في تحصيله العلمي، فأصبح معلماً في مدرسة قريته لمدة سنتين، ويظهر أن تجربته العلمية في القرية كانت متواضعة، بل هي استمرار لحالة التخلف التي كانت قائمة في العصر العثماني، في المناهج، والأساليب الحديثة في التدريس، ويكشف لنا التقرير، أو الدليل العلمي الذي كَلّف عزمي بك أفندي والي ولاية بيروت، كلاً من: محمد رفيق التميمي مدير المكتب التجاري في بيروت، ومحمد بهجت الكاتب المدير الثاني في المكتب السلطاني، كتابته بعد الاطلاع والمعاينة المباشرة، للأحوال التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، في لوائي نابلس وعكا، وكان مما جاء في التقرير المنشور سنة ١٩١٦م عن أحوال المعارف في لواء نابلس: "... وحاصل القول: أنّ حالة المكاتب الابتدائية في القرى النابلسية التي طفنا فيها -مؤلمة ومحزنة جداً- فمعلموها جهلة جهلاً مطبقاً، فلا قوة ولا استعداد، ولا أهلية فيها لتعليم القروي، وتهذيب أخلاقه. وعلاوةً على ذلك، فإن تأخر الرواتب على المعلمين منذ أشهر، دعاهم إلى إغلاق المكاتب، والاشتغال بالبيع والشراء؛ للقيام بأود أنفسهم... فالقروي لا يستفيد اليوم من التسعة والأربعين مكتباً المفتتحة..."(١).

ويشير تقرير التميمي والكاتب إلى أن الطبقة المثقفة في نابلس، كانت من أبناء الخواص، الذين كانوا حجر عثرة في وجه كل ارتقاء أو تجديد؛ لأنهم يريدون الحفاظ على واقعهم الراهن الذي يحفظ لهم امتيازاتهم، ويُبقي على هيكل طبقتهم(٢).

---

(١) **التميمي**، محمد رفيق؛ *الكاتب*، محمد بهجت: **ولاية بيروت**. دراسة وتحقيق: زهير عبداللطيف غنايم، محافظة، محمد عبدالكريم. ط١، مكان النشر غير مذكور، ٢٠٠٠م: ج١، ص١٨٣.

(٢) **التميمي**، الكاتب، **المصدر السابق**: ج١، ص١٢٣-١٢٤.

ويبدو أن البرقاوي لاحظ المعاناة الشديدة التي يعانيها أهالي القرى، الذين كان أغلبهم مَديناً للإقطاعيين، والتجار المُرابين، وما يترتب على ذلك من إرسال الجاندرمة الذي كان "يسلب الفلاح ماله ودجاجه، وطعامه وشعيره، ويضربه علاوة على ذلك"[1]، ثم يقوم بجلبه إلى محاكم نابلس التي قد تجرده من أرضه وفاءً للدائنين، أو قد تزج به في السجون، أو تجعل مصيره رهينة للدائنين، أو قناً للمرابين والملاك والأعيان المتنفذين مما ولّد كرهاً شديداً، ومقتاً كبيراً، لآغوات نابلس ومرابيها بين أهل القرى المسحوقين، الذين فرّ منهم من فرّ إلى حوران وغيرها، وهلك منهم من هلك، ووقع من تبقى منهم تحت جمر المخمنين، وسياط الإقطاعيين، وفتك الأمراض السارية الناجمة عن الجهل وقلة العلاج[2].

وفي ضوء تلك الأحوال المتردية، والأوضاع المفجعة في: التعليم، والصحة، والاقتصاد، وهيمنة الطبقة التي تحتكر المال والسلطة، ترك البرقاوي نابلس متوجهاً إلى الأزهر الشريف بمصر التي كانت أحسن حالاً في التعليم، والاقتصاد والإدارة والصحافة، فانتسب إلى الأزهر الشريف، ودرس فيه على العالم المصلح محمود أبي العيون وغيره من جلة شيوخ الأزهر مدة سنتين، وأفاد من حركة إصلاح التعليم في الأزهر، التي أخرجته من إسار المناهج والمقررات القديمة في التعليم، والتفتت إلى العلوم والمعارف العصرية، مع الاحتفاظ بالنافع والأصيل من موروث الثقافة الإسلامية.

لقد أدرك البرقاوي خلال مجاورته في الأزهر، أن الاستعمار الانجليزي هو صاحب اليد الطولى في التخطيط للتعليم، وتنفيذ برامجه في مصر، وأن (كرومر) الإنجليزيّ هو الحاكم الفعلي لمصر، وأن السياسة التعليمية بمصر منوطة برجال (كرومر) أمثال المستشرق المبشر دنلوب، ويعقوب آرتين وغيرهما من الاستعماريين، الذين جعلوا من التعليم أدوات للتخريب الثقافي، والتخلف الاقتصادي، والجمود الفكري والاجتماعي، إذ أصبح التعليم وقفاً على أولاد الأغنياء، وحرباً على اللغة العربية، والدين الإسلامي، والتاريخ العربي الإسلامي، إذ احتُقِر مدرسو هذه المواد، وحوربوا في رزقهم، ومكانتهم في المدرسة والمجتمع، وقُدمت الإنجليزيّة على العربية، وأصبح معلمها الإنجليزي مثالاً للعلم والرقي، والتقدم والحضارة، وأخضع المعلمون للمفتشين والنظار الذين أذلوا المعلمين، وساموهم

(١) انظر التميمي؛ الكاتب، المصدر السابق: ج١، ص٧٦.

(٢) انظر: التميمي؛ الكاتب، المصدر السابق: ج١، ص٧٢-٧٧.

الخسف، ومارسوا القمع والإرهاب على الطلاب، وأصبحت المدارس في زمن الاحتلال البريطاني كالسجون الرهيبة(١).

وأصبحت الفَرنجة أو التغريب، هدفاً استراتيجياً للاحتلال الإنجليزي الذي حارب الروح الوطنية في مصر، وسعى إلى استئصال الروح الإسلامية المتأصلة في المجتمع المصري، وغدا النموذج الغربي العلماني في التعليم مثالاً يحتذى عند الانجليز المستعمرين، وعُدّ التعليم الشرقي دليلاً على الرجعية والتخلف، ورأى أدوات الاحتلال أن اللغة العربية هي السد المنيع في وجه أهدافه التغريبية، فدعا الإنجليز على ألسنة أزلامهم وعلمائهم، وصبيانهم وأذنابهم إلى العامية، وشجعوا أنصارها، ومدوهم بالمال وبأقلام الصحافة المسمومة(٢).

ومما هو جدير بالذكر، أن كبير دعاة العامية بمصر، هو مهندس الري الإنجليزي السيد (ولكوكس)، الذي كان باله مشغولاً وقلقاً على "اللغة التي نكتبها ولا نتكلمها، فهو يرغب في أن نهجرها، ونعود إلى لغتنا العامية، فنؤلف فيها، وندون بها آدابنا وعلومنا"(٣). ومما لا شك فيه أن الأزهر –الذي كان البرقاوي فيه طالباً– هو الحصن الحصين الذي تنطلق منه القوى التي تصد دعاة العامية، وتقف في وجه أراجيفهم ودعواتهم الغاشمة.

وكان موقف كرومر الحاكم البريطاني الفعلي لمصر معادياً للغة العربية، وكان حكمه على الخط العربي الذي يكتب به العرب، والترك والفرس، وغيرهم من أمم الشرق سلبياً، فهو عنده خط صعب ومعقد، بينما الحروف الأوروبية بسيطة وسهلة(٤)، كما أنه عدّ الدعوة إلى تعليم العلوم العصرية باللغة العربية، عقبة تقف أمام تقدم العلوم في مصر، واتخذ من يعقوب آرتين الذي كان مستشاراً في المعارف "أعلى سلطة في مسائل التعليم في مصر"(٥) علماً بأن يعقوب آرتين ودنلوب وزويمر كانوا

---

(١) انظر: **آل سعود**، نايف بن ثنيان: **المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في الوطن العربي**. ط١، دار أمية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ص١٩٨-٢١٧.

(٢) انظر: **محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**. ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ج٢، ص٢١٦-٢٢٠؛ وانظر: نفوسة زكريا سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**. دار الدعوة الإسلامية، المنصورة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: ص٣١-١٣١.

(٣) **موسى**، سلامة: "**اللغة الفصحى واللغة العامية ورأي السير ولكوكس**". مجلة الهلال، تموز، ١٩٢٦م/ ١٣٤٤م، السنة (٣٤): ص١٠٧٣.

(٤) انظر: **كرومر**، اللورد: **مصر الحديثة**. ترجمة: صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم: أحمد زكي الشلق. ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م: ج٢، ص٢٠٥.

(٥) **كرومر**، **المصدر السابق**: ج٢، ص٦٣٣.

من أكثر الناس عداء للعربية في التعليم بمصر، بل إن آرتين كان يرى التعليم الإلزامي منافياً للعدالة[1]!!؛ لأنه كان يريد أن يبقى ليل الجهل مرخياً سدوله على أرض الكنانة.

لقد رأى البرقاوي الاستعمار الثقافي الإنجليزي. وهو في أوج جبروته وطغيانه، وأن له أنصاراً وأعواناً يروجون دعوته، وينشرون أفكاره في المجتمع المصري، ورأى المصلحين المخلصين الذين يعملون ويحرضون الأمة على النهضة، وتعلم العلوم العصرية، ويحذرون الأمة إن لم تأخذ بأسباب الرقي والتقدم.

وأدرك البرقاوي إبان دراسته بمصر، أن قوى الاستعمار الغربي كافة ترمي اللغة العربية والثقافة العربية عن قوس واحدةٍ، وأن هدفهم الأقصى هو إحلال لغاتهم محل اللغة العربية، وسحب بساطها من التعليم والمدارس والمعاهد، بكل طريقة أو ذريعة ممكنة، وقد كشف المستشرق فولكهارد فيندوز، طبيعة المكر الإستعماري، وخططه ووسائله في موضوع تمويت اللغة العربية التي أصبحت أمام خطر استعماري داهم، وما سيكون لذلك من آثار سلبية على الأجيال القادمة من أبنائها، يقول: "ومن الطبيعي أن الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي، لم يشجع قيام نهضة ثقافية ولغوية بالتالي، بل بالعكس... لقد حاول الأجانب صرف العرب عن ثقافتهم ولغتهم، وأسسوا المدارس والمعاهد المكلفة بنشر لغتهم وثقافتهم... أضف إلى ذلك، أن العلوم الحديثة، ومتطلبات الحياة العصرية، هي التي سهلت سياسة الاستعمار، وإحلال اللغات الأجنبية محل اللغة العربية الفصحى في التعليم العالي، والثانوي على الأقل"[2].

عرف البرقاوي خلال إقامته في الأزهر، أن السياسة التعليمية الإنجليزية في مصر وفي السودان، تقوم على حصر التعليم في المستويات الدنيا، وأنه يجب أن يقتصر على التعليم الابتدائي، الهادف إلى تخريج الموظفين الذين يُسيّرون الأعمال المكتبية البسيطة في دواوين الدولة، أما التعليم العالي، فكان مضيقاً عليه لأبعد الحدود؛ لأنه يخرج في نظرهم من يسمونهم "أهل شغب ودعاة ثورة وسخط"[3] وهو ما يتنافى مع السياسة الإنجليزية الاستعمارية، التي تبقي الناس على جهلهم، وتكره المتعلمين القادرين على تبصير الناس حقوقَهم، وحثهم على المطالبة بحق العمل والاستقلال والحرية للوطن.

---

(١) انظر: **كرد علي: المذكرات**: طبعة مصورة، دار أضواء السلف، الرياض، بلا تاريخ: ج٢، ص٥٩٩ .

(٢) **فيندوز**، فولكهارد: "**اللغة العربية الفصحى والعامية**". مجلة المعلم وزارة التربية والتعليم، الأردن، السنة (١٥)، ١٩٧٢م: ص٢٥.

(٣)انظر: **كرد علي: المذكرات**: ج٢، ص٥٩٩.

تحقق البرقاوي إبان دراسته في الأزهر من خطورة الاستعمار الغربي الحديث ممثلاً بالفرنسيين الذين غزا قائدهم نابليون مصر في نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر، وما نجم عن هذا الغزو من قتل لنصف مليون من أهلها، ونهب لآثارها وأموالها، وتدمير لكثير من أحيائها ومعالمها الأثرية، لكن الفرنسي أُرغم على الانسحاب من مصر والشام مذموماً مدحوراً، وما تلا ذلك من قيام محمد علي الكبير بمؤازرة علماء الأزهر، بتوحيد مصر وجمع كلمة أهلها.

وعرف البرقاوي الدور الخطير الذي قام به محمد علي عندما أرسل البعثات العلمية من طلاب الأزهر لدراسة العلوم الحديثة في أوروبا، ثم عادوا إلى مصر، وعربوا ما تعلموه من علوم عصرية، ولم يُسمح لهم في عهده بالتدريس في معاهد مصر ومدارسها إلا باللغة العربية، وأصبحت الدولة العلوية في مصر بفضل اتباعها لسياسة التعريب الرشيدة، واحدة من أعظم القوى الاقتصادية والعسكرية في المنطقة العربية، لكن سرعان ما تحالفت ضدها قوى الاستعمار الغربي والشرقي، إذ عمد المستعمرون إلى نزع قوتها العسكرية، وتقييدها بمعاهدات دولية، وانتهى الأمر إلى احتلال الإنجليز لها عام ١٨٨٢م، فقام هذا المستعمر الجديد بهدم كل مؤسساتها التعليمية، ونَزع العربية من معاهد البلاد ومدارسها، وفرض الانجليزية لغة للتعليم، وجاء بالمستشارين والمستشرقين والمبشرين الذي نفذوا سياسته الثقافية.

عرف البرقاوي كلّ ذلك، وشهد آثاره عياناً، وسمع من شيوخه في الأزهر عن مظالم الإنجليز وجرائمهم ومذابحهم، ورأى جيوشهم من الهنود والأفارقة والأستراليين، وغيرهم من أخلاط المرتزقة الذين حشدوا في مصر، ونشروا فيها الفساد وتدمير الأخلاق.

ويمكن القول: إن البرقاوي قد مرّ بتجربة علمية وتاريخية وسياسية، واجتماعية وحضارية، من خلال مشاهداته ومسموعاته بمصر في الحقبة الممتدة من سنة ١٩١٠م وحتى سنة ١٩١٢م، ثم عاد بعدها إلى نابلس طالباً للعلم في مسجدها الصلاحي، الذي وجد فيه نشاطاً علمياً ربما كان قريباً مما في الأزهر، ولكن بلا شيوخ لهم دعوة أو رؤية للإصلاح والتغيير، كما هو عليه الحال في الأزهر. ووجد أن علماء نابلس أقرب للجمود منهم إلى النهضة والإصلاح، بل أصبحوا فلكاً تابعاً يدور في فلك الإقطاعيين والآغاوات، والأثرياء ذوي الثروات التي تكدس أكثرها عن طريق المراباة، ومنح القروض بالفوائد الباهظة للفلاحين، بينما وقفت طبقة الخواص أو العلماء "حجر عثرة في وجه كل تجدد، وهم لا ينفكون لحظة عن إقامة العراقيل، يعملون ما يرونه فقط. يقلدون الشيء حرفاً بحرف، لا يهتمون مطلقاً، ولو اختلطت الكائنات ببعضها، لا يعرفون سوى المعيشة براحة في دورهم"[١] كما يقول محمد

(١) **التميمي؛ الكاتب: ولاية بيروت:** ج١، ص١٢٤.

رفيق التميمي، ومحمد بهجت الكاتب اللذان كانا شاهدي عيان على تلك الأحوال بل الأهوال، وكان البرقاوي شاهداً ومجايلاً لها، وقد تحقق له هذا الأمر عياناً، وبدأ يوازن بين علماء الأزهر الذين تنتشر بينهم الدعوات الإصلاحية، وعلماء نابلس الغائبين على الإصلاح والنهضة.

وبعد أن أمضى البرقاوي حولين كاملين في نابلس، طُلب للتجنيد الإجباري بعد أن رأى إبان وجوده في نابلس، هيمنة الإقطاعيين المتحالفين من إدارة الأتراك، وطبقة العلماء أو الخواص على الاقتصاد والمال، والعلم والنفوذ، وما يتبع ذلك من استبداد واستعباد لأهالي عشرات القرى من الفلاحين الفقراء، الذين جاء البرقاوي من بينهم، فكان لذلك وقع عظيم في نفسه، وعرف أن تجهيل الفلاحين، وعدم إنصاف القضاء والدولة والمحاكم لهم، هو الذي أوصلهم إلى تلك الحال المحزنة، وأدرك البرقاوي أن الخروج من ذلك النفق المظلم، لا يكون إلا بالتعليم الصحيح الهادف إلى الإصلاح، لا التعليم الذي تكون مخرجاته مجموعة من الموظفين المرتزقة الذين لا هم لأكثرهم إلا بطنه وفرجه.

ثانياً- مشاهدات البرقاوي في دمشق إبان سلطة الإتحاديين (١٩١٨-١٩١٤م)

دعي البرقاوي إلى التجنيد الإجباري عام ١٩١٤م مع بداية الحرب العالمية الأولى، وكانت دمشق مقراً لخدمته العسكرية التي كان نظامها قائماً على الإذلال والاستبداد، وقتل روح الجندية في نفوس الجند، فقضى فيها السّنوات الأربع الأخيرة من حكم الأتراك، الذي استمر في البلاد العربية أربعمائة عام، كان لها جوانب مُشرقة تجلت في حماية الأرض العربية من الحملات العسكرية الصليبية، التي شنتها أمم الغرب على البلاد العربية والإسلامية، فدفع الترك البرتغاليين -الذين كان اليهود جواسيسهم، والصفويون والأحباش حلفاءهم- عن الحرمين الشريفين، والخليج العربي الذي قاسى من وحشيتهم ومذابحهم الأهوال[1]، وطارد الترك الإسبان في المغرب العربي، ومنعوا سقوطه واستعباد أهله، وأخرجوا الصفويين من بغداد التي فعلوا بها ما لا يقل بشاعة وبطشاً، وسبياً وقتلاً عما فعله الإسبان في المغرب، والبرتغاليون في الخليج العربي، وقد لخص الشريف الحسين بن علي دور الترك الذين شاركهم في إخضاع بعض الثورات في الجزيرة العربية، ومنها ثورة عسير سنة ١٩١١م التي أوقد الطليان نيرانها، فقال الحسين بن علي مخاطباً جمعاً من أهل عسير في مدينة أبها: "اعلموا علم اليقين، أنه لولا وجود هذه الدولة العثمانية، وشدة اعتناء خلفائها بالأمة الإسلامية... لاختطفتكم الدول الأجنبية،

(١) انظر: **الصيرفي**، نوال حمزة يوسف: **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**. ط١، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م: ص٩-١٨٠.

اختطاف الذئاب للغنم المنفردة..."[١]. وقد أكد الحسين بن علي ثانية دور خلفاء بني عثمان في خدمة الإسلام والمسلمين سنة ١٩٢٤م عند مبايعته بالخلافة، ونبه على ما كان لهم من الأيادي البيضاء في تاريخ هذه الأمة[٢]. ولا ننسى أيضاً أن كثيراً من علماء الترك وأدبائهم كانوا محبين للعرب، ومعجبين بلغتهم وحضارتهم ودينهم، يقول كرد علي: "وفي الحق أن المتنورين من علماء الترك وأدبائهم، كانوا يحبون العرب، ويعجبون بالآداب العربية وبتاريخهم، ويشمئزون من كل من ينال منهم، ويطعن فيهم، وكان رجال الأستانة مثالاً من هذا اللطف والعطف"[٣]، ولذا فإن جرائم الاتحاديين الكارهين للعرب وللإسلام، يجب ألّا تعشي أبصارنا عن جوانب أخرى مضيئة في تاريخ الأمة التركية، التي حمت البلاد العربية والإسلامية مدة نيفت عن ألف عام.

وعلى الرغم من بعض الجوانب المضيئة في فترة الحكم العثماني، فإنّ الأتراك لم يرقّوا المعارف في الولايات العربية، أو يعملوا على نهضتها، أو ينشروا التعليم فيها، سوى ما كان من محاولات متواضعة في آخر عهدهم، وبلغت الأوضاع فيها ما لا مزيد عليه من الظلم والطغيان، والتجهيل والاستعباد بعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي، التي هي الواجهة العلنية لتركية الفتاة، على السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٨م، وتولّى الطورانيون الحاقدون على الجنس العربي، وعلى الإسلام زمام الأمور في الدولة العثمانية، وأغلب هذه الشرذمة من يهود الدونمة المرتدين، ومن أعضاء الجمعيات الماسونية التي عاثت وما زالت تعيث في الأرض فساداً[٤].

لقد رأى البرقاوي صنيع الولاة الترك بأهل دمشق، ممن تذللوا لهم، ولثموا عتباتهم، إلى غير ذلك من قبيح الأفعال التي تأباها عزة النفس العربية، وقد وصف لنا محمد كرد علي حال أهالي دمشق، عندما عينت الدولة العثمانية والياً جديداً عليهم، يقول: "... وقد ورد عليه الأعيان يحيونه، فمنهم من كان يقبل يده، ومنهم من يلثم ذيله وركبته، وكلهم متماوتون في حضرته، متهالكون على الغلو في تمجيده..."[٥]. وإذا كانت هذه حالة أعيان دمشق، فما بالك بسواد الناس وعوامهم الذين لا حول لهم ولا

---

(١) **محافظة، الفكر السياسي في الأردن:** ج١، ص٣٨؛ وانظر: الخطيب، جبر: **العروبة والإسلام في خطاب الحسين بن علي (١٩٠٨-١٩٣١م)**. ط١، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، ٢٠٠٧م: ص٧٣-٧٧.

(٢) انظر: **الخطيب، المرجع السابق:** ص٢٦١.

(٣) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص١٤٦.

(٤) انظر: **رامزور**، أرنست أ: **تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨**. ترجمة: صالح أحمد العلي. ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م: ص١٢٢-١٢٥؛ **العزاوي**، قيس جواد: **الدولة العثمانية من الخلافة إلى الانقلابات ١٩٠٨-١٩١٣**. ترجمة: عاصم عبد ربه. ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م: ص١٥٦-١٥٨.

(٥) **كرد علي، المذكرات:** ج٢، ص٣٩٤.

طول، والذين هم تبع للأعيان الذين يسيطرون في دمشق على التجارة والمال والأعمال، والمؤسسات الوقفية والتعليمية وغيرها.

وبناءً على ما تقدم، فإننا لا نعجب إذا عرفنا أن الولاة الترك قد جندوا كثيراً من الموظفين والأعيان، والتجار وأصحاب المال وغيرهم ليكونوا جواسيس[1] لهم، فنقلوا لهم أخبار الناس، وما يدور بينهم من أحاديث، بل حاولوا توريطهم، وإلحاق تهمة الخيانة للدولة، أو التآمر عليها، أو الاتصال بالقناصل والسفارات الأجنبية بهم، ولذا فإن أحمد جمال باشا السفاح قائد الجيش التركي الرابع في سورية، قد ألقى القبض على كثير من العرب الداعين إلى حرية بلادهم، وجلبوا إلى محكمة عاليه في جبل لبنان، وصدرت أحكام الإعدام على بعضهم، وعلقوا في ساحة المرجة المسماة بساحة الشهداء بدمشق في السادس من أيار عام ١٩١٦م، وصدرت أحكام السجن أو النفي أو الترحيل على كثير من الأحرار العرب.

وقد أوجز لنا محمد علي العجلوني –وهو أحد الضباط العرب في الجيش العثماني– حال الشام في تلك السنوات العجاف قائلاً: "وطفق هذا السفاح يلهو نهاراً بإزهاق الأرواح ظلماً وعدواناً، وينعم بمجالس الأنس، وبممارسة القمار ليلاً، فأثار نقمة الناس جميعاً، لا فرق بين بدو وحضر، وعمت البلوى..."[2].

وفوق ذلك، فإن كثيراً من الأتراك في الجيش العثماني كانوا يصبون اللعنات والشتائم على أولئك الشهداء المعلقين على أعواد المشانق في المرجة بدمشق وعاليه وبيروت؛ لأنهم من العرب، الذين أصبح جلهم متهماً بالخيانة عند أوباش الترك، ويصف محمد علي العجلوني ما وقع لأحد زملائه مع الأتراك، بعد شنق أحرار العرب المطالبين بالحرية، فيقول: "وعندما نبههم أحد الزملاء بأن هؤلاء، وإن كانوا مجرمين، فقد لقوا جزاءهم وكفى، فما ذنب العرب جميعاً، ونحن أفراد منهم، وزملاؤكم في الجيش؟ فكان الجواب الذي تلقاه الزميل: إن العرب كلهم خائنون، وأردف ذلك بكلمات تهديد ووعيد، قوبلت منا بمثلها على الفور، وقد فار الدم في عروقنا، وعدنا إلى التكنات موغري الصدور، نتحرق ألماً، وصار يختلف بعضنا إلى بعض، فنتبادل الشكوى، ونستطلع الأفكار والأخبار، ونتساءل ما وراء

(١) انظر: **كرد علي، المصدر السابق:** ج١، ص١٦٥.

(٢) **العجلوني**، محمد علي: **ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى**. ط١، منشورات مكتبة الحرية، عمان: ١٩٥٦م: ص١٩.

هذا الليل والويل..."[١]، والبرقاوي عاش حياة الثكنات العسكرية التركية التي كان الصراع فيها بين العرب والترك قائماً وبخاصة من كان طورانياً منهم.

لقد كان البرقاوي مقيماً بدمشق في الثكنات العسكرية للأتراك، ولا ندري هل شهد ذلك اليوم الرهيب، الذي علق فيه السفاح أحرار العرب على الأعواد في ساحة المرجة أم لا؟ ولا شك أن آثار تلك الجريمة، قد أحدثت صدى عميقاً، وجراحاً غائرة في نفس كل عربي حرّ. لكن من المشاهدات المؤكدة للبرقاوي الذكرى السنوية ليوم الشهداء، الذي تحتفل به دمشق سنوياً منذ جلاء الأتراك، وقد وصف لنا ذلك اليوم منير المالكي أحد كبار الوطنيين عندما سرد أبرز الوقائع في سورية عام ١٩٢٤م قائلاً: "بتاريخ السادس من أيار احتفلت دمشق كعادتها بذكرى الشهداء، وقد نصبت مشنقة رمزية في ساحة الشهداء، علقت عليها صور الشهداء، وخطب رجال السياسة الوطنيون، وسار موكب الشباب مع الأكاليل حتى قبور الشهداء حيث قرؤوا الفاتحة"[٢].

ولم يكتف الاتحاديون بسفك دماء العرب المطالبين بحقوقهم، بل قاموا إبان الحرب العالمية الأولى باحتكار تجارة السكر، مما أدى إلى رفع أسعاره، فجنوا من ذلك عشرات الملايين من الليرات الذهبية[٣]، وعاش غالبية أهل الشام في فقر مدقع، وانتشرت المجاعات، وبخاصة في لبنان الذي حاصره الإنجليز والفرنسيون مما أدى إلى عدم وصول الأغذية إليه بحراً، وضيق الخناق عليه المحتكرون والمرابون براً، فمات كثير من الناس جوعاً في أنحاء الشام، وقد وصف لنا خليل السكاكيني أيام المجاعة بدمشق، إذ دون في مذكراته بتاريخ ١٩١٨/٣/٢م ما نصه: "لا يمرُّ يوم إلا اشتد الغلاء: ثمن رطل الخبز من الجنس الثاني ثلاثون غرشاً نقوداً.. وقس عليه سائر الحاجيات. الله يساعد أرباب البيوت. ولا عجب إذا مات الناس جوعاً، يقال: إن المجلس البلدي، يدفن كل يوم عدداً ليس بقليل من ضحايا الجوع. ولا تمرُّ في الطرق في الليل أو النهار إلا رأيت كثيراً من المتسولين من نساء وفتيات وأطفال، ليس عليهم غير الجلد والعظم، يتضورون جوعاً ويولولون. مشاهد تمزق القلب، وتستوكف الدموع. ومع ذلك فإنك ترى زرافات الناس يروحون ويجيئون، ولا تأخذ أحداً منهم من رأفة بهذه الإنسانية المعذبة، كأن قلوب الناس قُدت من الصخور"[٤].

---

(١) **العجلوني، المصدر السابق:** ص٢٠.

(٢) **المالكي،** منير: **من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسية).** ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م: ص١١٠.

(٣) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص١٧٢.

(٤) انظر: **السكاكيني،** خليل: **كذا أنا يا دنيا.** أعدتها للنشر: هالة السكاكيني، ط١، القاهرة، ١٩٥٥م: ص١٣٥.

ومما رآه البرقاوي بدمشق سياسة التجهيل التي مارسها الترك ضد العرب، إذ عملوا على تكريس الجهل، ومنع انتشار العلم فيما بينهم، فكانت المدارس قليلة، وكان تعليمها فاسداً إلى حدٍ بعيد بحيث لا تُخرّج المتنورين، ولا سيما أن التعليم فيها كان لكل المقررات الدراسية باللغة التركية، حتى أصبحت دروس اللغة العربية تلقى باللغة التركية، وقد يكون معلم اللغة العربية تركياً، أو أرمنياً جاهلاً بلغة العرب، فحصرت بذلك غالبية السكان في دوائر الجهل، التي لم يتمكنوا من الخروج منها، بينما سمحت للإرساليات التبشيرية، بفتح المدارس لأبناء الطوائف الذين تعلموا فيها العلوم، والمعارف واللغات الحديثة[1]، بينما بقي أبناء المسلمين مكبلين بأغلال مناهج التعليم التركي، الذي يعادي كل ما هو عربي، بل كان بعض من ولاة الترك يحتقرون من يتكلم بالعربية، ويعدون ذلك نقصاً وعيباً، يقول محمد كرد علي: "كان بعض العمال من الأتراك المتعصبين لقوميتهم تعصباً أعمى، يشمئزون كل الاشمئزاز من رجل يتكلم بالعربية، وإذا كان موظفاً عندهم عدوا عليه من النقص تكلمه بالعربية، وربما يضع الرئيس بجانب اسمه علامة تؤخر ترقيته، وكان كثير من الأتراك والأكراد وغيرهم من العناصر، يعرفون العربية، وينكرون أنهم يعرفونها، ليرضى عنهم بعض أصحاب الدولة، كأن معرفة اللغة العربية جرم من الأجرام"[2].

ومما لا شك فيه أن البرقاوي الذي أشرب قلبُه حبَّ العربية، قد أنكر تلك الأفعال القبيحة، وآلمه ما رآه من بعض الترك الذين كانوا من المسلمين، لكنهم يعادون لغة القرآن، ويكرهون لغة نبيه الذي كان عربياً بل أفصح العرب.

ثالثاً- مشاهدات البرقاوي في عهد الحكومة العربية "الفيصلية" (١٩١٨-١٩٢٠):

أسفرت نهاية الحرب الكونية الأولى سنة ١٩١٨م عن جلاء الترك عن بلاد الشام ودخول الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق في مطلع شهر تشرين أول من ذلك العام، وكانت الأعلام العربية قد رفعت على الدوائر الحكومية في دمشق وبيروت، وحماة وحلب، قبل مقدمه ببضعة أيام، واستقبل فيصل استقبالاً تاريخياً مهيباً في دمشق، لكن سرعان ما تدخل الأسطول الفرنسي، طالباً إنزال الأعلام العربية عن دوائر الحكومة في بيروت، وأقنع الجنرال اللنبي قائد قوات الحلفاء الأمير فيصل بالاستجابة للطلب الفرنسي، وأن مسألة بيروت، وجبل لبنان ستتم تسويتها فيما بعد، فاستجاب لهم الأمير مكرهاً[3].

---

(١) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص١٦٤.

(٢) **كرد علي، المصدر السابق:** ج١، ص١٥٩.

(٣) انظر: **العجلوني، ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى:** ص٧٢-٧٣.

كان البرقاوي مقيماً في الثكنات العسكرية العثمانية بدمشق، عندما استسلمت الحامية العسكرية المقيمة بها لقائد الحملة السيارة التابعة لجيش الثورة العربية، وشاهد خروج جمال باشا الثاني أو الصغير قائد الجيش التركي الثاني من دمشق، وما كان من ذلك القائد الذي يفترق عن سلفه السفاح في سياسته الإجرامية، إذ قام جمال باشا الثاني و"هنّأ أعيان دمشق بقرارهم التاريخي، وحيّا العلم العربي، ونصح إلى الأهلين في بذل جهودهم في المحافظة على استقلالهم. وأن يحذروا من انقلاب الأجانب عليهم"(١).

هذا، وقد كان القرار التاريخي لأهالي دمشق وأعيانها هو إعلان قيام حكومة سوريا بإمارة فيصل ابن الحسين، ورفع الأعلام العربية على مباني الحكومة(٢). وللحقيقة والتاريخ، فإنه يجب أن نؤكد أن الأتراك لقوا كلّ رعاية واحترام(٣) من العرب عند سقوط دمشق بأيديهم، فلا قتل ولا مطاردة ولا إراقة للدماء، خلافاً لما فعله الغازي الفرنسي بأهل دمشق بعد ذلك بعامين عندما ارتكب أعمال القتل والمطاردة والصلب للمواطنين ولرجال الحكومة العربية. وللقارئ أن يقارن بين الخلق العربي الذي يقوم على التسامح والأخلاق الإنسانية، وبين أخلاق الفرنسيين الهمجية التي لا تعرف إلا الحديد والنار، والقتل والدمار، علماً بأن ما يقوم به الفرنسيون لا يمثّل جمهرة الشعب الفرنسي، بل يمثّل الجنرالات الاستعماريين الذين يحركهم السياسيون والموظفون في حكومة فرنسة.

اتخذ الأمير فيصل من دمشق عاصمة للحكومة العربية الوليدة، وعيّن علي رضا باشا الركابي حاكماً عسكرياً لها، فباشر الركابي تطبيق سياسة التعريب التي كانت يقيناً وإيماناً لدى الأمير منذ أن كان في الحجاز، وباشر الركابي تطبيق سياسة التعريب في دوائر الحكومة، وكانت أوامره صارمة بضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى في دواوين الدولة، وعدم استخدام العامية أو التركية فيها، وهدد بالطرد الوظيفي لأي موظف يخالف ذلك.

وتدلنا مذكرات محمد علي العجلوني الذي كان ضابطاً في جيش الأمير فيصل، على أن قضية تعريب الجيش، وما يصدر عنه من أوامر ومكاتبات وألقاب، قد بدأت على يد ثلة متنورة من الضباط العراقيين والسوريين، والأردنيين والفلسطينيين المشاركين في الثورة العربية، وقد بدأوا التعريب في العقبة، وتضافروا في تعريب المصطلحات العسكرية التركية، ووضعوا بدلاً منها مصطلحات

(١) **العجلوني، المصدر السابق:** ص٧٣.

(٢) انظر: **العجلوني، المصدر السابق:** ص٧٢.

(٣) انظر: **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص١٤٦.

عربية[1]، ولذا فإن علي رضا الركابي الحاكم العسكري في الحكومة الفيصلية، سرعان ما شكل عدداً من اللجان والشُّعَب التي تُعنى بالتعريب والترجمة، ومراسلات الدولة، وشؤون المعارف، والكتب المدرسية، ثم دمج أغلبها في ديوان المعارف الذي استقدم له الأمير فيصل محمد كرد علي رئيساً، وأمده بالمال، وشجعه على العودة إلى بلده دمشق، بعد أن كان فاراً منها إلى إسطنبول، ثم حُوّل ديوان المعارف فيما بعد إلى "المجمع العلمي العربي"، وتمت الموافقة على تأسيسه، من الأمير فيصل بن الحسين عام ١٩١٩م[2].

ومما شاهده البرقاوي في زمن الحكومة العربية، التي عينته معلماً في مدرسة الميدان، أن حركة التعريب في المؤسسات التعليمية والإدارية كانت سريعة جداً، وكانت استجابة الناس لسياسة التعريب الحكيمة قوية، وأصبح التعريب واجباً وطنياً يتبارى الغيارى من أبناء الأمة على جعله واقعاً عملياً في دوائرهم، أو معاهدهم، أو مدارسهم، ومن هذه المؤسسات التعليمية التي أسرعت في تلبية نداء التعريب، مكتب عنبر ذو التاريخ العريق في نشر العلم في بلاد الشام، وقد وصف لنا ظافر القاسمي أحد طلابه سرعة تعربه بالقول: "كان مكتب عنبر أول مؤسسة تعربت بشكل كامل، وفي مثل لمح البصر، وزال منها كل أثر للتركية، بفضل الأئمة والأساتذة الذين حشدوا فيه، وقام أساتذته وطلابه ومراقبوه، وحتى خدامه بواجبهم في تدعيم أركان الدولة الفتية"[3].

ولا شك في أن سرعة تعرب مكتب عنبر، قد تركت انطباعاً قوياً في نفس البرقاوي عن الدور الذي يمكن أن يضطلع به المعلم في تسريع التعريب ونجاح دعوته، وأن المدرسة هي القاعدة والأساس الذي يرتكز عليه مشروع التعريب، ومنها يتخرج رجاله ودعاته، وحملة رسالته إلى الأمة.

ولما كان البرقاوي معلماً في مدرسة الميدان، فإنه قد وعى أبعاد حركة تعريب المدارس والتعليم في البلاد، وكان من المشاركين في جهوده، وبخاصة أن سياسة الحكومة الفيصلية كانت قد أولت اللغة العربية عناية فائقة، وأنزلت هذه اللغة الشريفة الخالدة المكانة التي تستحقها من الإجلال والإكبار، والتكريم والاعتبار، في الصحافة والتعلم، والإدارة والجيش، ودليلنا على ما نقول، ما جاء في العدد

---

(١) انظر: الدروبي، سمير: **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين، من ١٩١٨-٢٠٢١م**، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٢١م: ج١، ص٨٠.

(٢) انظر: **المبارك**، مازن: **مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) (تعريف تاريخي)**. ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق/ ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ص٣-٧.

(٣) **القاسمي**، ظافر: **مكتب عنبر (صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية)**. ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بلا تاريخ: ص١٠٢.

التاسع والعشرين من الجريدة الرسمية المعبرة عن رأي الحكومة العربية وسياستها: "لغتنا من أغنى لغات العالم مادة... لغتنا غنية في مفرداتها وعباراتها... وإنني أرى نهضة شريفة تلوح مع فجر حياتنا الجديدة، وآمالاً كباراً تبتسم ثغورها لهذه اللغة العزيزة. بالأمس نبهت حكومتنا الحاضرة جميع مأموريها، وحثتهم على الاعتناء بدرس قواعد اللغة العربية وإتقانها، والتمرن عليها كتابةً وإنشاء، وإلا كانوا عرضة للعزل والفصل. وديوان المعارف يضم اليوم نخبة من رجال العلم والفضل، كانوا ولم يزالوا من أشد الناس غيرة على هذه اللغة، كأعرفهم بما فيها من غزارة المادة، واتساع النطاق، وأعلمهم بما لها من القابلية لسائر المصطلحات العلمية، والأوضاع العصرية على اختلافها، وما تحتوي عليه من ضروب النحت والاشتقاق، والاستعارة والمجاز... فالحكومة، وديوان المعارف، والمدارس، والصحافة العربية لم تتوحد غايتها قبل اليوم، ولا انصرفت همتها دفعة واحدة على تعزيز هذه اللغة، والسير بها على مناهج التحسين والتنشيط..."(١).

ولا ريب في أن نجاح الحكومة العربية في سياسة التعريب، كان له دور عظيم في سورية فيما بعد، مما مكنها من الصمود في وجه أعاصير الفرنسة التي اجتاحت البلاد بعد ذلك بعامين، وقد حدثنا كلود حجاج عن الآثار الإيجابية التي تحققها الدولة في الإشراف على مسار اللغة قائلاً: "إن نجاح الدولة في الإشراف على مسار اللغة في إحدى مراحلها الحاسمة، فإنه يضيف إلى سلطته سلطة مجهولة فاعلة... كل سياسة لغوية إنما هي في خدمة السلطة بقصد أو بغير قصد؛ لأنها تعزز واحداً من أبرز القواعد إخلاصاً لها"(٢).

ويظهر أن درس الوطنية وغرس جذورها الصالحة في نفوس أبناء الأمة، من أعلى وأجل الدروس التي تعلمها البرقاوي في العهد الفيصلي. وعاش تجربة استنبات الوطنية وترسيخها في نفوس الناشئة عن طريق الإيمان بدور هذه اللغة وحبها، والتفاني في رفع شأنها، وإعلاء منارها، إذ كان خطاب الدولة العربية في جريدتها الرسمية موجهاً لمعلميها كافة، ومنهم البرقاوي نفسه، فقد جاء في تلك الصحيفة، التي كانت لسان حال الدولة الإعلامي ما نصه: "... وكذلك المدارس الوطنية اليوم من مدارس للذكور والإناث، تبث روحاً جديدة في الناشئة بفضل عمدة وأساتذة مهذبين، توفر فيهم العلم

(١) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، العدد (٢٩)، الاثنين ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٧ه الموافق ٢٦ آذار سنة ١٩١٩م: ص٢-٣.

(٢) **كالفي**، لويس جان: **حروب اللغات والسياسة اللغوية**. ترجمة: حسن حمزة. مراجعة: سلام بزي. ط١، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، ٢٠٠٨م: ص٣٨٩-٣٩٠.

الصحيح، والخلق الكريم، والحب الأكيد لهذه اللغة الشريفة... فاللغة هي الصخر الثابت الذي تقام عليه دعائم الوطنية..."[١].

وعلاوة على ذلك، فإن البرقاوي قد جمع إلى التعليم في نموذج الميدان، طلب العلم في المدرسة الكاملية على ثلاثة من أبرز مدرسيها، هم: محمود الحمصي، ودرويش القصاص، ومحمد بهجت البيطار[٢]، وكانت الكاملية في العهد الفيصلي من أهم المعاقل في تعليم العربية.

وشاهد البرقاوي النشاط الأدبي الذي يقام في هذه المدرسة كل أسبوعين، حتى أطلق على تلك الحفلات أو المهرجانات الخطابية التي كانت تعقد فيها اسم "سوق عكاظ"، وقد نقلت جريدة العاصمة خبر إحدى تلك الأمسيات الخطابية في الكاملية، وقد جاء في ذلك الخبر: "شهدنا يوم الخميس الماضي، حفلة أدبية مهمة في المدرسة الكاملية الهاشمية، وهي إحدى الحفلات التي تقام في تلك المدرسة مرة في كل أسبوعين، تمريناً لنجباء التلاميذ على الخطابة المرتجلة، في الموضوعات الأخلاقية والاجتماعية النافعة، وقد كان الحاضرون من أولياء التلاميذ، وأفاضل العلماء والأدباء معجبين كل الإعجاب بما شاهدوه من طلاقة لسان، وفصاحة بيان، وقوة جنان، وآراء حسان، أخذ الله بأيدي القائمين بأمر هذه المدرسة، وكل عامل لخير هذه الأمة، وجزاهم أفضل جزاء"[٣]. وبناءً على وجود البرقاوي في هذه البيئة المتألقة وطنياً كان درساً عملياً في مبادئ الوطنية، ووسائل غرسها في نفوس الطلاب الذين هم قادة المستقبل ورجاله.

ومما شاهده البرقاوي بدمشق، وتردد إليه ما كان يلقى على مسرح "زهرة دمشق"، إذ شهدت الحياة المسرحية في دمشق نشاطاً ملحوظاً في العهد الفيصلي، وبخاصة بعد أن قامت "جمعية نهضة التمثيل الأدبي" بنقل مقرها من حيفا إلى دمشق عام ١٩١٩م، وكان نشاط هذه الجمعية قد توقف في حيفا بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، وقامت الجمعية بعرض رواية "عواطف الزوجة" على

---

(١) **جريدة العاصمة**: السنة الأولى، العدد (٢٩)، الاثنين ٢٦ جمادى الثانية، سنة ١٣٣٧ه الموافق ٢٦ آذار سنة ١٩١٩م: ص٣.

(٢) انظر: **وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي، إضبارة رقم ٥٨/١١** التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال)، سنة ١٩٢٥م.

(٣) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، العدد (٥٥)، الاثنين ٦ ذو الحجة، سنة ١٣٣٨ه، الموافق ١ أيلول سنة ١٩١٩م: ص٣.

مسرح "زهرة دمشق"، وقام سامي السراج وافتتح الحفلة "بخطبة بليغة مرتجلة عن الجمعية، وسابق خدمتها للأمة، بترقية فن التمثيل من جهة، وبإنفاق وارداته على تأسيس مدرسة راقية"(١).

ويُعد النادي العربي(٢) من أبرز ضروب الحراك الأدبي الذي شهدته دمشق في العهد الفيصلي، فقد عرف البرقاوي هذا النادي، وأفاد من محاضراته ودروسه في الوطنية، والأدب والسياسة وتدليلاً على قوة النشاط الفكري والأدبي في هذا النادي، نورد الخبر الذي نشرته جريدة "العاصمة" في عددها الثاني والخمسين، الصادر في ٢١ أغسطس سنة ١٩١٩م عن محاضرات النادي التي كانت شبه يومية في بعض الأسابيع، ونص الخبر:

- ألقى الخطيب المصقع، الخوري يوسف أسطفان، محاضرته السابعة في النادي العربي مساء الاثنين الماضي.
- وألقى الأديب الفاضل، السيد فهمي المدرس قصيدة في النادي العربي مساء الثلاثاء الماضي، في رثاء الشهداء، ومدح الجيش العربي المظفر.
- وألقى الأستاذ السيد، خليل سكاكيني محاضرة في النادي العربي أيضاً مساء أمس، موضوعها "ما قبل الانقلاب وبعده"(٣).

ويبدو أن أغلب موضوعات الخطب والمحاضرات التي كانت تلقى في النادي العربي، قد دارت حول ترسيخ العقيدة القومية في نفوس السوريين، وحول المطالبة بالوحدة والاستقلال، ولذا كان المحاضرون في النادي من مختلف الطوائف في بلاد الشام، بل البلاد العربية، وكان الخطيبان المفوهان في هذا النادي وهما: الشيخ عبدالقادر المظفر اليافي، والخوري يوسف أسطفان يقومان بمهمة غرس الوطنية في النفوس، وأورد المربي الكبير خليل السكاكيني –الذي عينته الحكومة العربية بدمشق مفتشاً للمعارف فيها– خبراً في مذكراته، يدل على تمدد نشاط النادي العربي إلى كثير من المدن السورية، يقول عن ذكرياته في ١٩١٩/٦/١٥م: "وصلت البعثة الأمريكية إلى القدس مساء يوم الجمعة في ١٢ حزيران. لم تشرق شمس هذا النهار (٦/١٥) حتى كان النادي العربي، بالاشتراك مع المنتدى الأدبي، قد علقوا على حبل مشدود من النادي العربي، إلى مطعم سليم ملاءات (يافطات) كتبوا عليها بخط كبير هذه الجملة: "نطلب استقلالاً تاماً"– "سوريا لا تتجزأ"– "نحتج على الصهيونية، ونرفض مهاجرة اليهود إلى بلادنا"– "ليعيش أميرنا فيصل"– "سوريا تمتد من جبال طورس شمالاً إلى ترعة

---

(١) **المصدر السابق**: العدد ٥٥، ص٣.

(٢) انظر: **الدروبي، مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين**: ج٢، ص ٣٧-٣٩.

(٣) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٨/ ٢١ أغسطس سنة ١٩١٩م: العدد ٥٢، ص٥٢.

السويس جنوباً"[١]. وعمت هذه الدعوة الوطنية أغلب أرجاء سورية، وكان النادي الأدبي متابعاً لنشرها وتجذيرها في نفوس أبناء الأمة السورية.

ويظهر أن النادي العربي كان محط نظر البرقاوي وإعجابه، لما يقوم به هذا النادي من تنظيم المحاضرات والندوات، التي تلامس أهم القضايا الوطنية والسياسية، التي تؤرق أهل الشام، وتحدد مصيرهم، فقام النادي باستضافة يوسف العيسى الذي قام بإلقاء محاضرة في غاية الأهمية، "عن الصهيونية، وأدوارها الثلاثة: دور الأمل (من تشتت اليهود القديم إلى سنة ١٨٩٦)، ودور العمل (من سنة ١٨٩٦–١٩١٨)، ودور القِحة الذي يطلب اليهود فيه أن تكون فلسطين يهودية كما أن بريطانيا إنكليزية"[٢].

ومما هو جدير بالذكر، أن "العاصمة" الجريدة الرسمية، قد نشرت خبر البيان الذي يعبر عن موقف الأمير فيصل من فلسطين، وقد نشر هذا البيان في جريدة (الجويش كرونكل) التي هي لسان حال اليهود في إنجلترا، ومما جاء في البيان، الذي وصفته العاصمة بأنه بيان "للأمير فيصل، عالج فيه بتمام الصراحة مسألة العرب واليهود في فلسطين، فقال: إن فلسطين يجب أن تظل جزءاً من سورية، وأنه ليس بين البلدين حدّ طبيعي، ولا فاصل ما، وما يؤثر في الواحدة منهما يؤثر في الثانية، فالعرب يرون فلسطين ولاية، ولا يرونها بلاداً قائمة بنفسها. ونحن نسعى لننشيء سلطنة عربية، تتألف في أقل ما يكون من العراق، وسورية وفلسطين"[٣].

وبدا الخطر الصهيوني ماثلاً للعيان، وأخذت المؤامرة الصهيونية الاستعمارية أبعاداً خطيرة، واتضح للحكومة العربية، ولأهل الشام بعد تسارع الأحداث أبعاد الغارة الشعواء التي يقودها الزعيم الصهيوني (حاييم ويزمن) على فلسطين، إذ استدعى ويزمن (بتريل جدس) أحد كبار مخططي المدن في أوروبا، لتخطيط مدينة القدس الجديدة، ولتخطيط الجامعة اليهودية أو العبرية المنوي إقامتها في القدس[٤].

وفوق ذلك، فإن الدعاية الصهيونية كانت منهمكة في تسريع وتيرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والبحث عن المبررات التي تحرض اليهود على الهجرة، وتشجع إنجلترا وفرنسا على المسارعة

(١) **السكاكيني**، خليل: **كذا أنا يا دنيا (يوميات خليل السكاكيني)**: ص١٨٦.
(٢) **العاصمة**، ٢٤ محرم سنة ١٣٣٨ه/ ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٦٨)، ص٣.
(٣) **العاصمة**، ١٧ محرم سنة ١٣٣٨ه/ ١٣ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد (٦٦)، ص٣.
(٤) **العاصمة**، ٩ ذو الحجة سنة ١٣٣٧ه/ ٤ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٦)، ص٧.

والمساعدة في دعمها، فقد ذكرت جريدة "العاصمة" أن (ويزمن) قد ألقى خطبة في اجتماع عقدته الجمعية الصهيونية الانجليزية، فقال: إن حالة اليهود في أوروبا صعبة جداً، فلا بدّ من الاستعداد لمهاجرة مليون يهودي إلى فلسطين، ولكن البلاد لا تتسع إلا جزءاً من الذين يريدون دخولها في السنين الخمس القادمة، والواجب أن يُقدم طالبو العمل، وأصحاب رأس المال، والحاذقون في الأعمال على غيرهم"[١]

ومما لا شك فيه، أن مثل هذه الأخبار المتعلقة بالدعم اللامحدود للهجرة الصهيونية إلى فلسطين وتهيئة كل الظروف والأسباب المساندة لها، من تأييد سياسي، ودعم مالي سخي، وتدريب وتسليح أرعبت الوطنيين – ومنهم البرقاوي – وجعلتهم يدركون أن معاندة إنجلترا وفرنسا قيام حكومة عربية مستقلة على أرض الشام التي قسّمها المستعمران فيما بينهما، يهدف إلى قيام دولة يهود في فلسطين، التي لم تكن أرضها كافية، عند زعماء الصهيونية، لاستيعاب الهجرة اليهودية الهادفة إلى التوسع والتمدد في أرض الشام والعراق، وكل البلاد العربية التي أصبح بعض أعرابها اليوم يمنحون جنسياتهم لآلاف الصهاينة، ويبنون لهم الكُنس، ويشجعونهم على الهجرة إلى جزيرة العرب، ويملكونهم الأرض والدور والعقارات، والمال والأعمال، وما يفعله منافقو الأعراب الآن مخالف لأمر نبينا، عليه السلام، الذي قال: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان"، بل هو أكبر تهديد وأعظم شر وخطر على الأمة جمعاء منذ البعثة النبوية وحتى يومنا هذا.

لقد شاهد البرقاوي تكالب أمم الغرب على بلاد العرب المطالبة بحريتها، ورأى الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي غدت أرضها بمثابة رأس الجسر الذي ينفذ منه الصهاينة إلى أرض العروبة والإسلام، وقد وصف البرقاوي تلك الظروف القاسية في تأبينه لعبد الرحمن الشهبندر أحد كبار الزعماء الوطنيين في دمشق، عندما اغتالته يد الشر المحركة من الفرنسيين المستعمرين سنة ١٩٤٠م، ومما قاله البرقاوي معبراً عما فات، ومستشرفاً ما هو آت من الخطر المحدق بالأمة: "ما هذه العوادي القاسية القاصمة، التي تروعنا بالفجيعة الموجعة، بين حين وحين، وفترة وفينة، تنقضُّ علينا كواسرها، تفترس ما تفترس، وتفتل بما تفتل، دون رأفة ولا حنان، إنها الحياة تحشد أجنادها يخامرها الذعر، ويفزعها الهلع: من كل ما يُراش، وما يدوي في الفضاء، معلناً مجد هذه الأمة، مهيباً بشعورها الراقد، ليركض مع الأيام يقظاً مرهفاً، كيلا يسمع قصفه فترتعش منه الدهور: إنه الدهر يغالبنا صراعاً بعزمه الواثب الصاخب، ويسوق قواه المكتظة، ليناصبنا العداء، مضمراً في طياته السوء والبغضاء، حتى أنه

(١) **العاصمة**، ٩ ذو الحجة سنة ١٣٣٧ه/ ٤ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٦)، ص٧-٨.

لم يدع قوارب نجاتنا المواخر في يمّ الأحداث تدنو من شواطئه، وتقرب من سواحله، بل يصطخب موجه بمدّ مخيف يقصينا إلى غمرة لُجه المزبد"(١).

لقد كانت كلمات البرقاوي وعبارته، بثاً حزيناً لواقع مؤلم، تركت فيه الأمة عزلاء، بلا نصير ولا معين، وفجعها الدهر بفجائعه، واجتاحها بجوائحه، وتداعت عليها ذئاب الأمم، وانقضت عليها وحوش طيرها الكاسرة، وبخاصة بعد أن تكشفت أبعاد المشروع الصهيوني، وأعلن الإنجليز وعدهم المشؤوم المعروف بوعد بلفور، الذي بُدئ تنفيذه على عجل، في حين أن أمة تطالب بحقها في أرضها لقيت كل رفض واستنكار، ومحاربة وتعطيل، وبطش وتنكيل لقاء ما تطالب به من حرية واستقلال ووحدة.

ومما شهده البرقاوي في دمشق، ارتفاع الروح الوطنية، وتأجج الغضب الشعبي والحزبي في مطلع شهر أيلول من عام ١٩١٩م، عندما بدأت الصحافة الإنجليزية والفرنسية تهيئة الأذهان في الغرب والشرق، للشروع في تطبيق قرارات المؤتمر الصهيوني الذي عقد في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧م بزعامة هيرتسل، وما تلا ذلك من تصريح بلفور وزير خارجية انجلترا عام ١٩١٧م، بالعمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان صدى الحديث عن هذا المشروع الاستيطاني عنيفاً في نفوس الأحرار والوطنيين، ورجالات الأحزاب، وعامة الشعب، في دمشق بخاصة، ومعظم أرجاء الشام بعامة، وبناءً على تلك الأخبار المزعجة التي روجتها الصحافة الاستعمارية، ومن كان تابعاً لها من الصحافة العميلة في بلاد الشام، كثرت الأراجيف، وانتشرت الإشاعات، وزاد القلق والأرق، وأصبح الناس في أمر مريج، فقامت الأحزاب والنقابات، والنوادي والجمعيات، وفتيان الأحياء وعلماء الدين، باجتماع حاشد يطوفون أحياء دمشق، وهم يرددون الأهازيج الوطنية، واختاروا للخطابة فيهم الشيخ عبدالقادر الخطيب الذي قال في خطابه "لقد أصبحنا في هذه الساعة جنوداً، فلا يجوز لنا أن نتكلم في السياسة... ما كان صاحب الجلالة الهاشمية، ولا نجله صاحب السمو الأمير فيصل، ولا سائر أبناء هذه البلاد الذين وهبوا دماءهم متطوعين في الجيوش الهاشمية، ليفعلوا ذلك ويقاتلوا مع الحلفاء جنباً إلى جنب، لأجل أن يرفعوا عن أعناقنا نيراً، ويضعوا نيراً آخر في مكانه..."(٢).

وأمّا الخطيب الثاني في هذا المهرجان الوطني الجوال في دمشق، فهو الخوري يوسف إصطفان الذي خاطب سمو الأمير قائلاً: "لقد جئنا إلى هذا المكان لنجدد أمامك، وتحت هذا اللواء العربي عهداً عقدناه بيننا وبين الوطن، إن هذا العلم العربي أيها الأمين، قد خاض المعارك والأهوال في البادية،

(١) **البرقاوي**، حسن: "**أواه زعيم الشام**"، صحيفة الجزيرة، ١٤ رجب ١٣٥٩ه/ ١٧ آب سنة ١٩٤٠م، السنة (٨)، عدد رقم (١٠٠٠): ص١.

(٢) **العاصمة** ، ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٨ه/ ١١ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٧)، ص٤-٥.

وهو عنوان الشرف والظفر، إلى أن جاء هذه المدائن السورية، محمولاً على عواتق جيشك، شريفاً طاهراً نقياً من كل سوء، وها نحن قد جئناك لنعاهدك على أن نحافظ عليه، كما سلمتمونا إياه، فيبقى إلى الأبد شريفاً طاهراً نقياً"[١].

وأما المتحدث الثالث في ذلك اليوم الوطني، فهو الشاعر الشاب محمد الشريقي، الذي ألقى في الجموع قصيدة وطنية، عدد فيها كل البلاد العربية المتطلعة للوحدة، واجتماع الكلمة، وحث فيها شباب الأمة على النضال؛ لدفع أعدائها الذين حذرهم من العبث بأوطان العرب، التي يستعذب فتيانها الموت على الحياة دفاعاً عن مقدساتهم وأرضهم وعرضهم، ومما قاله الشريقي في قصيدته البائية التي أنشدها في ذلك اليوم المشهود[٢]:

جرّدْ حُسامَكَ وانشر رايةَ العربِ ... واسترجع المجدَ بالأقلامِ والقُضبِ
هذي مَواطِنكُم يا قومُ فانتبهوا ... واسعوا لإنقاذِها من كلّ مُغتَصِبِ
إلى الجهادِ إلى حِفظِ البلادِ إلى ... نَيل المُراد وجدّوا اليوم بالطلب
نحنُ الأعاريب لا دينٌ يفرقُنا ... ولا مَفاسدُ أهل الشّكِ والريب
يا طامعاً ببلادٍ كلُّها عَربٌ ... من دونها صَدَماتُ الجَحفلِ اللّجب
أما شهدتَ شَهيدَ العُربِ مبتسماً ... يستقبلُ الموتَ بالترحابِ عن كَثَبِ

إلى آخر أبيات هذه القصيدة الوطنية المدوية، التي أعقبت الجماهير المحتشدة كل بيت من أبياتها بالتصفيق الحاد.

ثم أمضت تلك المسيرة الوطنية سحابة ذلك اليوم، ومواكبها تترنم بالأهازيج الحماسية، إلى أن وصلت إلى ساحة الشهداء في دمشق، وما كان من الخوري إسطفان إلا أن صعد إلى الطابق العلوي من عمارة البلدية، وذكرّ أبناء الأمة بأرواح شهدائها الذين علقت لهم أعواد المشائق في تلك الساحة[٣].

لقد كان ذلك واحداً من أبرز مشاهدات البرقاوي التي رأى فيها الأمة على اختلاف طوائفها وطبقاتها، مجمعة على طلب حريتها واستقلالها، ورافضة لمقدمات المشروع الصهيوني، الذي بانت نواجذ شره، وكشر عن أنيابه الكالحة، وأصبح ماثلاً للعيان عقابيل مكره وغدره المؤيد بقوة سلاح انجلترا وفرنسا.

(١) **العاصمة**، ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٨ه/ ١١ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٧)، ص٥.
(٢) **العاصمة**، ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٨ه/ ١١ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٧)، ص٥.
(٣) انظر: **العاصمة**، ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٨ه/ ١١ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٧)، ص٥.

وعلاوة على ذلك الحراك الوطني الذي عاشه البرقاوي، وشاهده في دمشق حاضرة الشام، فإنه رأى صراعاً آخر بين المتعلمين والمتنورين وبين المحافظين على كل قديم من أبناء الأمة، وكان هذا الصراع بين القديم والجديد، بين التمسك بالأساليب القديمة، والأخذ بالطرائق الحديثة في الماديات والمعنويات.

ويبدو أن الحكومة العربية التي رفعت شعار النهضة، قد أدركت حدة هذا الصراع الذي يدور بين المقلدين والمجددين، علماً بأن أنصار القديم المتوارث منذ قرون أكثر من أنصار الحديث الذي ما زال حديث عهد في دمشق، والأجزاء الداخلية من بلاد الشام، ولذا فإن الحكومة العربية، قد أوعزت لمحب الدين الخطيب مدير جريدتها الرسمية "العاصمة" -والخطيب من مدرسة الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا في الإصلاح الديني والعلمي والسياسي- أن يتناول موضوع المحافظة والتجديد في افتتاحيّة للعدد السادس والستين من جريدة "العاصمة"، وقد حدد الخطيب مسألة الصراع بالقول: "لا نزال حتى الآن أمام معضلتنا التي لم تحلّ، وهي تمسك بعضنا بكل قديم من أحوالنا وأطوارنا، وتشددهم في المحافظة عليه، واعتقاد البعض الآخر منا ضرورة الإسراع في إدخال التجديد على مادياتنا ومعنوياتنا..."[١].

ويلفت محب الدين الخطيب أنظار المثقفين والمتعلمين من أبناء الأمة إلى مجموعة من الحقائق والاقتراحات والرؤى، التي يمكن أن تنشل الأمة من دوامة هذا الصراع بين المحافظة والتجديد، ومما قاله:

- إن التجدد يقتضي من الناس أن يتغيروا بتغير زمانهم، وهذا ما حدث لأمتنا بعد احتكاكها بالأمم الأخرى.
- لا بد للأمة من الجمع بين القديم النافع، والجديد الذي يؤدي إلى التقدم.
- يجب على الأمة أن تحافظ على أصالتها وذوقها الخاص؛ لأن "الإفراط في التحول، والتسرع في التجديد، يورثان وهناً في الرابطة التي بين الأمة وماضيها، ويؤديان إلى انحلال كيانها القومي"[٢].
- إن التعنت في المحافظة على القديم ينافي التقدم، ويؤدي إلى تخلف الأمة عن مجاراة الأمم[٣].

(١) **العاصمة**، ١٧ المحرم، سنة ١٣٣٨ه/ ١٣ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٦٦)، ص١.
(٢) **المصدر السابق**: العدد (٦٦)، ص١.
(٣) انظر: **المصدر السابق**: العدد (٦٦)، ص١-٢.

- إن من أسباب ضعف أمتنا هو جمودها على القديم عصوراً، مما أدى إلى حرمانها من الاستفادة من العلوم العصرية، ونهضتها الصناعية التي رفعت من أخذ بها من الأمم كالصين واليابان.
- يتوجب على أمتنا المسارعة إلى الاستفادة من كل جديد نافع عند غيرنا، "فنفرغه في قالب الذوق العربي، موفقين بذلك بين طرفي المحافظة والتجديد"(١).

وبناءً على هذه الأصول والقواعد التي قررها محب الدين الخطيب، والتي كانت معبرة عن رأي الحكومة العربية، وعن الموقف الفكري لجمهرة المتنورين من أبناء الأمة، فإنه قد جرى التحذير من بعض الأخطار التي تهدد كيان الأمة القومي، وتؤدي إلى زعزعة رابطتها الوطنية التي قد تنجم عن إهمال المدارس الوطنية، وغير الوطنية تدريس تاريخ أمتها، وجغرافية بلادها، وسير أعلامها ورموزها، علماً بأن كثيراً من خريجها يعرفون الكثير عن تاريخ فرنسا وأعلامها وعظمائها، أكثر مما يعرفون تاريخ بلادهم وأعلامهم، ولذا فإنه يتوجب على هذه المدارس، أن تلتفت إلى تدريس التربية الوطنية التي تنشيء طلابها على حب أوطانهم ومعرفة تاريخها وحضارتها(٢).

ويبدو أن البرقاوي قد أدرك من خلال عمله في التعليم في دمشق وحمص ودرعا، قصور المناهج التعليمية المتعلقة بتاريخ الأمة، ومعرفة رموزها وأبطالها، وهو الأمر الذي انتبهت له الحكومة العربية في إصلاحها للمناهج التعليمية، ولكن عهد الحكومة العربية لم يكمل حولين، ودخل الغازي الفرنسي، فهدم كثيراً مما بنته الحكومة الوطنية، وشرع في تطبيق سياسة فرنسة المناهج.

ومما عاينه البرقاوي وأعجب به الدعوة إلى إصلاح التعليم الديني، ومحاولة تجديد مناهجه وأنظمته، وذلك عندما أصدر الأمير فيصل أمره بتنظيم المدارس الدينية، وتحسين أوضاعها التعليمية، وألف لجنة للنظر في شؤونها، ثم شرعت اللجنة بوضع برنامج للمدارس الدينية، كان قريباً مما هو معمول به في برامج الأزهر، وقسم التعلم في هذه المدارس إلى ابتدائي، وثانوي، وعالٍ، وتكون مدة الدراسة فيها اثنتي عشرة سنة، ويدرس فيها: القرآن والتجويد، والحديث والفقه، وعلوم العربية، والتاريخ والجغرافيا، والحساب والمنطق وغيرها من المواد كالهندسة، ونظام القضاء، وعلم الفلك، ويتدرج فيها الطالب كلما ارتقى من مرحلة إلى مرحلة أعلى منها(٣).

---

(١) **المصدر السابق**، العدد (٦٦)، ص٢.

(٢) **المصدر السابق**، ١١محرم ١٣٣٨ه/٦ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد (٦٤)، ص٥.

(٣) انظر: **المصدر السابق**، ٢٩ ذو القعدة سنة ١٣٣٨ه/ ٢٥ أغسطس الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى: العدد (٥٣)، ص٥-٦.

واللافت للنظر، أن أكثر شيوخ البرقاوي كأبي العيون في مصر، ودرويش القصاص، وبهجة البيطار، وطاهر الجزائري، وعبدالفتاح الإمام، وأحمد آل صافي الحمصي في بلاد الشام، كانوا من دعاة الإصلاح الديني والتعليمي والفكري، وهم يمثلون الجيل الأول من مدرسة الإمام محمد عبده رائد الإصلاح والنهضة. والتنوير في العصر الحديث.

هذا، وعاد الأمير فيصل إلى دمشق في منتصف شهر كانون الثاني من عام ١٩٢٠م، وقد استقبل الأمير يوم عودته استقبالاً شعبياً حاشداً، وزينت دمشق بالأعلام، واصطفت الجماهير على جانبي الطريق، مستقبلة موكب الأمير بالتصفيق والابتهاج، وقدم ممثلو المدن السورية للمشاركة في الاستقبال، وانطلقت مظاهرة شعبية ضخمة من ثكنة الحميدية يوم ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٠م، وقد كان عدد المشاركين أكثر من مئة ألف شخص، وساروا وهم يرفعون الأعلام العربية، إلى أن وصلوا سراي الحكومة، وكان الأمير "واقفاً على الشرفة، يحيي الجماهير، ويلوح بيده، وكان الجميع يصيح: يعيش سمو الأمير، أهلاً بالأمير، وليحيَ الاستقلال، وليحيَ الوحدة العربية"[١].

لقد شهد البرقاوي هذا الاستقبال الشعبي والرسمي لعودة الأمير من مؤتمر الصلح، ورأى تطلعات أهل الشام جميعاً للاستقلال والوحدة، ولكن ردّ الغازي الفرنسي على هذا العرس الوطني الكبير، جاء بعد أسبوع من ذلك، إذ قامت الجيوش الفرنسية بطرد الحامية العربية من بعلبك، وقامت الصحف العميلة لفرنسا بالتشويه والدس، وعقبت على احتلال بعلبك بالقول: إن الأمير فيصل كان متفقاً مع الفرنسيين على ذلك[٢]، إلى غير ذلك من الدعايات المسمومة التي روجها بعض الصحفيين الذين كانوا عبيداً لفرنسا ينالون منها الرشاوي.

وفوق ذلك، فإن المعلم البرقاوي وغيره من الوطنيين الذين شاركوا في استقبال الأمير فيصل عند عودته من مؤتمر الصلح، قد قارنوا بين استقبال الدمشقيين للأمير العربي، ثم الاستقبال الذي جرى لـــ (غورو) قائد الانتداب الفرنسي بعد ذلك ببضعة أشهر، إذ لم يستقبله إلا العملاء والأذناب، والجواسيس والانتدابيين، خوفاً على مصالحهم بعد أن تكشفت خيوط مواطئتهم للمستعمر، ومؤامرتهم على أوطانهم.

لقد عاد الأمير فيصل بعد مشاركته في مؤتمر الصلح، الذي لم يحقق للعرب شيئاً من وعود إنجلترا التي تخلت عن الأمير فيصل، وتنكرت لما قطعته على نفسها من وعود باستقلال البلاد العربية، وطلبت منه التفاهم مع فرنسا التي أصرت على أن تكون دولة مُنتدبة على سوريا، فأقام النادي

(١) المالكي، منير: من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسية): ص٧٧.
(٢) انظر: المرجع السابق: ص٧٧.

العربي حفلاً ضخماً للأمير في نهاية شهر كانون الثاني من عام ١٩٢٠م، وكان الخطباء في النادي يصرون على الاستقلال، ورفض الانتداب، استجابة للضغط الشعبي، وبخاصة طلاب المدارس، والشبيبة الواعية المتنورة في البلاد، وقد لاحظ الأمير فيصل تغيراً جذرياً في اهتمامات النادي العلمية والأدبية فقال: "... ليس هذا خطأ الأمة أو الشبيبة، ولكن الأحوال السياسية قضت على النشء بترك الخطب العلمية، فأهملوا دروسهم وكتبهم، وأخذوا يتدخلون في الأمور السياسية، لاعتقادهم أن العلم أصبح في مثل هذه الأيام في الدرجة الثانية بالنسبة لحراجة الموقف، ولأن الدفاع عن الوطن فوق كل شي"(١).

لقد عاش البرقاوي تلك الظروف العصيبة التي استنفرت الشبيبة واستفزتهم، وأثارت حمية طلاب المدارس وألهبت مشاعرهم، وبخاصة عندما رأوا وطنهم مهدداً بالاحتلال الفرنسي، بعد انسحاب الانجليز من سوريا، ووقفهم المساعدات المالية للحكومة العربية التي منعها الانجليز من تشكيل قوة عسكرية تدافع بها عن إنجازات النهضة العربية التي تحققت في عهدها، وقام الإنجليز والفرنسيون بوضع اتفاقية سايكس- بيكو موضع التطبيق الفعلي، فأخذ الأمير يدعو الناس إلى العمل الجاد، وبين لهم أنه غاب في أوروبا أربعة أشهر دفاعاً عن حقوق العرب، الذين نقل قضيتهم، وحقهم في الاستقلال لمسامع الغرب، ومما قاله أمام الشباب والطلاب، والسياسيين المحتشدين في النادي العربي: "لنا سنة ونصف، ونحن نقول: كفانا خطباً، كفانا أقوالاً، نحن في أيام العمل، لا أيام الأقوال، إن الأقوال لا تأتي بفائدة، ولكن الأفعال تفيد كثيراً"(٢).

وسرعان ما استجابت الأمة لدعوة الأمير فيصل بالاهتمام بالأفعال لا بالأقوال، وعمّ سورية هياج عظيم، رفضاً لإملاءات الفرنسيين، الذين مضوا في فرض انتدابهم على سوريا بالتدريج وبقوة الحراب، وبخاصة بعد سقوط حكومة كلمنصو، التي كانت أقرب إلى الاتفاق مع الحكومة الفيصلية على شروط قد يكون بعضها مرضياً للعرب، ولكن الهياج والاضطرابات والمظاهرات، كانت في دمشق على أشدها، وكان البرقاوي مشاهداً لمظاهر السخط والغضب، والخوف الشعبي على مصير البلاد.

وقد كان البرقاوي شاهد عيان على الحراك الشعبي والرسمي الذي تأجج مع نهاية عام ١٩١٩م وبعد مضي عام على قيام الحكومة العربية، إذ اختار المؤتمر السوري في إحدى جلساته المنعقدة في شهر تشرين الأول من العام المذكور، لجنة ممثلة للمؤتمر، تكون مهمتها إبلاغ معتمدي دول الحلفاء

(١) **قدري**، أحمد: **مذكراتي عن الثورة العربية**. ط١، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦م: ص١٦٤.

(٢) **قدري**، **المصدر السابق**: ص١٦٦.

في دمشق "أن المؤتمر الذي يمثل الأمة السورية، يحتج على كل قرار أو اتفاق، يخالف تصويت الأمة بضرورة المحافظة على وحدة البلاد السورية واستقلالها"(١).

واختار أهالي دمشق وفداً شعبياً مهمته الطواف على الدوائر السياسية الوطنية والأجنبية، وإخبارها بقرار الأمة: الدفاع عن وحدة البلاد السورية واستقلالها والاستنكار لكل قرار يمس كرامة الأمة العربية. وقد أقلت الوفد مجموعة من المركبات، التي تتقدمها الأعلام العربية، ثم أبلغت رسالتها لكل معتمدي الدول الأجنبية، ولدار الحكومة العربية، وعندما أنهى الوفد الشعبي مهمته "طاف بعرباته في أحياء دمشق، فكان يقابل في كل مكان بالتصفيق الحاد، والهتاف البالغ عنان السماء"(٢).

وفوق ذلك، فإن الشعب بدأ بالتدريب على استعمال السلاح، ونفخت الروح العسكرية في أغلب الأحياء بدمشق، وكانت محلة أو حي الميدان أسبق الأحياء في مباشرة التدريب، ثم تبعتها بقية الأحياء، وقام ضباط كلّ حي بتدريب أبنائه على الأسلحة، واتخذت محلة القيمرية من مدرستها مركزاً لمتطوعيها الذين كانوا يخرجون على شكل طابور منظم للتدريب، مما أثار إعجاب المحلات الأخرى، التي شاهدت متطوعي القيمرية وهم سائرون "أربعة أربعة بشكل حسن، يتجلى فيه نظام الجندية، متحلياً بروح الوطنية، فكان أهل الأحياء الأخرى يهتفون لراية هذا الحي، ويصفقون تصفيقاً حاداً لأفراده الذين لا يأتي الطَرْف على آخرهم، لكثرة عددهم، وإن الأمة كلها في العاصمة والملحقات عزمت على اتباع هذه الخطة، مكتفية بما لديها من الضباط الأهليين، الذين قطعوا علاقتهم بالجيش"(٣).

ومما لا ريب فيه، أن البرقاوي وهو الرجل الذي خدم في سلك الجندية، وتدرب على استعمال السلاح كان معجباً بروح الحماس والتطوع التي عمت أهل دمشق وبقية بلاد الشام، رغبة في الدفاع عن بلادهم، وحفظ استقلالها، علماً بأن جلّ أهالي بلاد الشام، كانوا يقاومون بشدة التطوع في جيش الترك الذين كانوا يسوقونهم للموت، والجوع، والقتل، أيام السفربرلك، أي (النفير العام) عام ١٩١٤م عند بداية الحرب الكونية الأولى.

وبدأ الفرنسيون بنشر جواسيسهم في ربوع الشام، لشراء ذمم ضعاف النفوس ليكونوا إلى جانبهم، وللمطالبة بأن تكون فرنسا هي الدولة المُنتدبة على سورية، وقام المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون بتشجيع بعض النواحي والأقضية السورية على الانضمام إلى لبنان، وزورت نتائج لجنة الاستفتاء

(١) **العاصمة**، ٦ صفر سنة ١٣٣٨ه/ ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، عدد (٧١)، ص٣.
(٢) **المصدر السابق**، ٦ صفر سنة ١٣٣٨ه/ ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، عدد (٧١)، ص٣.
(٣) **العاصمة**، ٦ صفر سنة ١٣٣٨ه/ ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، عدد (٧١)، ص٤.

الدولية في مناطقهم، لفصلهم عن مناطق الحكومة العربية، تمهيداً للتجزئة والتقسيم وإعادة رسم خارطة سورية الطبيعية، ولخلق ما اصطلحوا على تسميته بـــ "لبنان الكبير"، وقد أنفق ماسنيون المجند في وزارة المستعمرات الفرنسية، أموالاً طائلة لشراء ضمائر زعماء هذه المناطق، ممن كانوا من مزعزعي العقيدة الوطنية(١).

لكن الأحرار والوطنيين من أبناء سورية، رفضوا هذا المشروع الاستعماري الخبيث، وشكل الوطنيون جماعات أو عصابات مسلحة تهاجم قوات الفرنسيين في كثير من المناطق، فثار محمود الفاعور أمير عرب الفضل في هضبة الجولان، والدندشي والبرازي(٢) في تل كلخ الواقعة إلى الغرب من حمص، والشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية، وإبراهيم هنانو(٣) في منطقة حلب وأنطاكية، إذ تمكن هنانو الذي تخلى عن مركزه في المؤتمر السوري، من إضرام نار الثورة في إدلب، وحارم، وجسر الشغور، وجبل الزاوية، ولقي مؤازرة قوية من الحكومة العربية، ومن رجال تلك المناطق الحاقدين على الاحتلال الفرنسي للساحل السوري.

وقد وجه البطل هنانو في السادس من كانون الثاني عام ١٩٢٠م نداء ثورياً لكل الشعب السوري دعاهم فيه إلى التمرد والانتفاض، والقيام بالسلاح على المحتل الفرنسي، الذي سرق استقلالهم، وسلبهم حريتهم واعتدى على كرامتهم، ومما جاء في ذلك النداء التاريخي: "... يا بني وطني، يا أبناء سوريا الأشاوس... يا أباة الضيم... من على قمة هذا الجبل الأشم، استصرخ ضمائركم، وأقول لكم إن بلادنا العزيزة أصبحت اليوم محتلة مهددة، من قبل المستعمرين أولئك الذين اعتدوا على قدسية استقلالنا وحريتنا، قاصدين من وراء ذلك فرض الاستعمار الجائر، والانتداب الممسوخ... والآن لم يبق في بلادنا قانون، ولا حق، ولا دستور، بل تصرفات استعمارية يرتكبها الجنرال غورو... توحي له بها الأهواء والمطامع، لجعلنا عبيداً أرقاء، وأنذالاً أدنياء بشكل تأباها العدالة والكرامة والإنسانية. ذلك هو الحكم الذي فرضه الانتداب على الشعب السوري العربي..."(٤).

ومما شك فيه أن هذا النداء الوطني العظيم، قد لامس قلب كل سوري حر، ولا سيما من كان من الوطنيين والعمال والفلاحين والطلاب والمعلمين الذين كان البرقاوي واحداً منهم.

---

(١) انظر: **الآلوسي**، جمال الدين: **محمد كرد علي**. ط٢، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦م: ص٢٧٧-٣٠٠.

(٢) انظر: **قدري، مذكراتي عن الثورة العربية**: ص١٤٦-١٤٩.

(٣) انظر: **الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي**. ط١، دار النهار، بيروت، ١٩٨٣م: ص٦٣-٦٤.

(٤) **العياشي**، غالب: **الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا**. ط١، ادلب، ١٩٥٤م: ص١٨٧-١٨٨.

وعندما تمكن المستعمر من شراء بعض الضمائر الميتة، وتخلى عن هنانو كثير من أنصاره الذين وقعوا بين فكي الترغيب والترهيب الفرنسي، غادر هنانو سورية متوجهاً إلى عمان، ثم إلى القدس حيث ألقى الانجليز القبض عليه، ثم سلموه إلى الفرنسي "فتأثر العرب في شرقي الأردن، وغضبوا من هذا الإجراء، فتظاهروا واعتدوا على قائد الدرك البريطاني، واحتج سمو الأمير عبدالله رسمياً إلى الحكومة البريطانية..."(١) مما يدل على أن أصداء انتصارات هنانو، وأخبار وقائعه المظفرة مع الفرنسيين كانت تعم بلاد الشام كلها.

وكثر الثائرون الذين عضدتهم الحكومة الفيصلية بالمال والسلاح والرجال، وتمكن المناضلون من هزيمة قوات الفرنسيين في كثير من المعارك، وكان ردّ فعل الفرنسيين قاسياً، فدمرت البيوت بالمدافع، وقصفت القرى بالطائرات والدبابات، وحشد الفرنسي جيوشاً جرارة لإخضاع الأهالي المطالبين بحريتهم واستقلالهم، والرافضين لرفع الأعلام الفرنسية في سماء مدنهم. وكانت أنباء هذه الثورات الوطنية، وأخبار الجرائم والاعتداءات الفرنسية على المدن والقرى والأرياف، مما يصل يومياً إلى عاصمة البلاد، أو يقرأه البرقاوي في الصحف الدمشقية، أو يسمعه من زملائه في التدريس.

ولم يكتف الفرنسيون بجرائمهم البشعة ضد السكان المسالمين، بل صوروا الحكم العربي بزعامة الملك فيصل الذي التف حوله أحرار العرب، ولقي تأييداً شعبياً واسعاً، على أنه حكم جماعة من المتعصبين، والبدو المتخلفين، و"أن الحجازيين أعراب لا يمتزجون بالسوريين الحضريين"(٢).

لكن السبب الحقيقي الذي دفع الفرنسيين إلى إطلاق هذه الإشاعات، ونشر هذه الأكاذيب والمفتريات، هو أن الأمير فيصل شكل خطراً على الفرنسيين؛ لأنه يمثل "النزعة القومية المتصلبة"، والاتجاهات الديمقراطية لدى مثقفي المدن الشامية، وهو الأمر الذي يقف عائقاً في وجه فرنسا التي كانت تعد سوريا، فرنسا الشرق(٣)، رغبة في الهيمنة عليها، وسلب خيراتها وثرواتها، ونشر اللغة الفرنسية في ربوعها.

وعملت فرنسا على استغواء الأرستقراطيين الإقطاعيين، والوجهاء والتجار، وحرفت كثيراً منهم عن طريق الجادة الوطنية، وحذرتهم من خطر وجود الحكومة العربية على الأمن والاستقرار في

(١) **العياشي، المرجع السابق**: ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) **العجلوني، ذكرياتي عن الثورة العربية**: ص٧٠.

(٣) انظر: **كوثراني**، وجيه: **بلاد الشام (السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسيّة في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق)**. ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٠م: ص٢١٠-٢٢٢.

بلادهم، وأن من جاءت بهم هذه الحكومة هم مجموعة من الدخلاء على بلادهم، وإن "حكم فيصل يغلب عليه طابع البداوة، يوجهه فيه المتطرفون الذين لا يتحملون المسؤوليات في مصير الوطن، ولا سيما الذين ينتمون إلى الأقطار العربية الأخرى خارج سوريا..."(١)، والمقصود بالمتطرفين أحرار سوريا والبلاد العربية الذين انضووا تحت راية الأمير فيصل، مطالبين بوحدة العرب، ونهضتهم واستقلالهم.

وقد شعر كثير من فئة الأرستقراطيين، أو من يسمون أنفسهم بالوجهاء والحكماء، وأصحاب السيادة والزعامة في دمشق، بسحب بساط الهيمنة المتوارثة عندهم منذ قرون من تحت أرجلهم، وأن التأييد الشعبي كان غامراً للحكومة العربية، التي أعادت للشام تاريخها الحقيقي، وسابق عزها ومجدها، الذي يعود إلى أيام بني أمية، الذين جعلوا من دمشق عاصمة للعروبة والإسلام والفتوح والانتصارات، ومقراً لقيادة جيوش الفتح التي تقاتل في أرض الصين، وعلى مشارف باريس، ناشرة دعوة الإسلام.

لقد عاش البرقاوي تلك الأيام الحاسمة، ورأى أمة تستيقظ من سبات عميق غطت فيه قروناً، ورأى شعباً عربياً حراً موحداً ينشد الاستقلال والحرية، يقوده ملك عربي مخلص لأمته، ويسعى إلى نهضتها ولحاقها بالأمم الحية، ورأى زعماء تقليديين يستميتون في الدفاع عن حصون سيادتهم، ومكتسباتهم، وإقطاعياتهم التي ورثوها عبر القرون، وما رآه في دمشق لا يختلف عما عهده بنابلس، التي سيطر عليها الآغاوات والمرابون، والأثرياء والعائلات الحاكمة منذ قرون.

ومما لا شك فيه، أن البرقاوي بحكم نشأته القروية التي هي أقرب للبداوة والشجاعة، ولما هي عليه نفسه الحرة الأبية التي تأبى الظلم، ومعرفته بجوهر الإسلام وحقيقته، وقراءاته الواعية للتاريخ العربي والإسلامي على يدي شيخه أبي العيون في الأزهر، فإنه كان ميالاً لعامة الشعب والشبيبة، وفتيان الأحياء، والطلاب والمعلمين الوطنيين الذين هم الصوت الحقيقي والضمير الحي، وأس الشهامة والكرامة في الأمة الواحدة التي آمن بها، وكانت الحكومة العربية تبث دعوتها الوطنية، ونزعتها القومية وتطبقها عملياً، وتدعو الناس إليها، فرأى في دمشق: الدمشقي والحلبي، والفلسطيني واليمني، والأردني والعراقي، والحجازي واللبناني وغيرهم من أبناء الأمة، على اختلاف طوائفها وعقائدها وأديانها، وأعراقها وأصولها، يعملون خلية واحدة، في سبيل الوحدة والنهضة لأمة عربية واحدة، غابت عن مسرح التاريخ قروناً، نتيجة لتفرقها وتشرذمها، وتفشي الجهل والخرافة فيها، وتحكم الزعامات التقليدية المتوارثة التي كانت في كثير من الأوقات، عوناً لكل مستبد وظالم، ودخيل ومستعمر.

وعاش أهل سوريا في الأشهر الأولى من عام ١٩٢٠م حالة من الاضطراب والخوف والترقب، وانتشار الإشاعات التي يروج لها أذناب فرنسا وجواسيسها في سورية، فتداعى المؤتمر السوري الذي

---

(١) **العجلوني، المصدر السابق**: ص٧٩.

يضم –ممثلين لكل الأمة السورية– وعقدوا مؤتمراً تاريخياً في السادس من آذار عام ١٩٢٠م، وأعلن المؤتمر قراراته في الثامن من آذار، وقد نصت قراراته على: "استقلال سوريا بحدودها الطبيعية، وأن يكون فيصل بن الحسين ملكاً عليها، كما قرر أن يكون علمها العربي المربع الألوان، مضافاً إليه نجمة بيضاء في مثلثه الأحمر"[١] إلى غير ذلك من القرارات التي تتشبث بوحدة الأمة، وتدعو إلى نهضتها، وتطالب بترقية العلوم فيها، وترفض الخضوع لمطالب المستعمرين وإملاءاتهم، ورغائبهم وتهديداتهم.

أما ردّ الغزاة على قرارات هذا المؤتمر الوطني، فقد كانت صادمة، إذ أعلن لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا في الثامن عشر من آذار من عام ١٩٢٠م، في مجلس العموم البريطاني، رفض بريطانيا وفرنسا لقرارات المؤتمر السوري، وطلبا من الملك فيصل الحضور إلى مؤتمر الصلح[٢]، إلا أنه أرسل من يمثله إلى ذلك المؤتمر، الذي لم يسفر عن أية نتيجة إيجابية تخص العرب، وَعدّت فرنسا في مؤتمر الصلح، الأمة السورية شعوباً[٣] مستقلة لا شعباً واحداً، إمعاناً منها في سياستها الراميّة إلى تفتيت بلاد الشام، وتقسيمها إلى دويلات طائفية هزيلة، تمهيداً للسيطرة عليها بسهولة.

وشرعت فرنسا باتهام الملك فيصل بأنه المحرك للثورات في سوريا، وأطلقت على الحكومة العربية اسم "الحكم الشريفي"، الذي صور على أنه حكم غريب، وطارئ ودخيل على السوريين، كما أنه لا يرتكز على قواعد سياسية ومحلية. وكان مما غاظهم من الحكومة الفيصلية أنها تمثل النزعة القومية، التي جمعت تأييد غالبية أهل الشام للأمير فيصل، وعلى الانضواء تحت دعوته للاستقلال والوحدة والنهضة، وبلغ من أكاذيب دعايتهم أن ما يجري في مدن الشام من مظاهرات مؤيدة للأمير كان بتأثير الرشوة أو الضغط، وأن زعماء المدن التقليديين يؤيدون فرنسا ويطلبون انتدابها[٤].

وقد كشف أحد الباحثين وهو حنا خباز عن أكاذيب الاستعمار الفرنسي، وتماديه في الجور والظلم، وتزييف الحقائق، ونشر الأكاذيب عن الحكومة العربية، واتهامها بأنها استمالت أهل الشام بالرشوة والتخويف، ولكن الحقيقة كما يقول خباز: "فرنسا دخلت سورية راشية، مادياً وأدبياً"[٥]، ودفعت الرشوة

---

(١) **قدري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**: ص١٨١، وانظر: المالكي، منير: من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسته): ص٨٠-٨١.

(٢) انظر **قدري، المصدر السابق**: ص١٩٦.

(٣) انظر: **قدري، المصدر السابق**: ص١٩٩.

(٤) انظر: **كوثراني**، وجيه: **بلاد الشام (السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين: قراءة في الوثائق)**: ص٢٠٩-٢١٢.

(٥) **خباز**، حنا: **سلسلة الخباز (سياسة فرنسا في الثورة)**. ط١، مطبعة علم الدين، القاهرة، ١٩٢٨: ج١، ص٣٧.

لكبار الكتاب والصحف، فقال خباز: "إن فرنسا اشترت بتلك الدراهم إهانتها وسقوطها؛ لأنها لم تدفعها لمساعدة المحتاجين، ولا لنشر العلم، بل رشوة في غير محلها... إن رشوة فرنسا صحف سورية تدل دلالة واضحة على عدم ثقة فرنسا بعدالة تصرفها"(١). علماً بأن حنا خباز كان انتدابياً وموالياً لفرنسا، ولكنه عندما رأى وحشيتها وخداعها، وقهرها للسوريين، أبى ضميره الحي إلا أن يتكلم، لا سيما أنه كان من رجال الدين المسيحيين، وكان ندمه كبيراً على ما أبداه من تأييد للفرنسيين في بداية انتدابهم الذي بدت نواجذ شره فيما بعد.

وطلب الفرنسيون من الحكومة العربية قبول الورق السوري، وتأديب الثائرين، وقبول الانتداب الفرنسي، وتسريح الجيش، إلى غير ذلك من طلبات الذل والإهانة، مما أدى إلى هياج الشعب(٢)، وغضب الملك فيصل الذي أصبح لا حول له ولا طول، بعد أن تخلت عنه إنجلترا التي سوت خلافاتها مع فرنسا بخصوص الانتداب على بلاد الشام، وأصرّ وزير الحربية يوسف العظمة على مواجهة الجيوش الفرنسية الغازية والزاحفة إلى دمشق، بقوة قليلة ليس لها من المعدات، والذخيرة سوى القليل، خوفاً من أن يسجل التاريخ، أن الفرنسيين دخلوا دمشق دون مقاومة، مؤثراً الموت على حياة الذل، وتاركاً ابنته الصغيرة الوحيدة، وعندما مثّل العظمة بين يدي الملك فيصل الذي رأى إصراره على المقاومة(٣)، تمثل الملك ببيت أبي الطيب المتنبي:

لا يــسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُــراقَ على جوانبه الــدمُ

ووقعت معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م، ورزق العظمة هو وكثير من رفاقه الشهادة، وفازوا بالذكر الخالد والسعادة، وأصبح قبره رمزاً للإباء والبطولة والتضحية، والدفاع عن الوطن، وطلب الحرية في وجه الغزاة مهما عظمت قوتهم، واشتد بأسهم.

ويُعدّ يوم ميسلون المشؤوم يوماً أسود في تاريخنا الحديث، إذ طلبت قوات (غورو) من الملك فيصل مغادرة دمشق فوراً، فخرج كسيراً حسيراً مهيض الجناح من عاصمة ملكه، وفرّ أكثر رجال حكومته الذين حكم عليهم الفرنسيون بالموت غيابياً(٤)، ودخلت قوات الفرنسيين دمشق، عاصمة بني أمية، واستولت على دوائر الحكومة، وقام قادتهم باستعراض جيوشهم في شوارعها وساحاتها، بعد أن قتلوا من أسروه رمياً بالرصاص، وصلباً على جذوع الأشجار، وحاولوا أن يكذبوا على الخلق، وأن

(١) **خباز، المصدر السابق:** ٣٩-٤٠.

(٢) انظر: **الزركلي، ما رأيت وما سمعت:** ص٣.

(٣) انظر: **قدري، المصدر السابق:** ص٢٦٢.

(٤) انظر: **قدري، المصدر السابق:** ص٢٧٠.

يدلسوا على الإعلام المحلي والعالمي، فبثوا بعض صنائعهم وعملائهم في الفنادق، ليرشقوهم بالرياحين، فيقال: دمشق تفتح صدرها للمستعمرين...!"[١].

رابعاً- مشاهدات البرقاوي للغزو الفرنسي: القضاء على الدولة العربية، تفكيك وحدة البلاد، تدنيس المقدسات والرموز الدينية، وإهانة الرايات العربية:

أ- القضاء على الدولة العربية المستقلة:

كان دخول الفرنسيين دمشق في ٢٦ من تموز سنة ١٩٢٠م، إذ قامت جيوشهم باستعراض قوتها في شوارع دمشق، وكان (غوابيه) قائد حملتهم "ممتطياً جواده، وبجانبه ضابط عربي، وخلفه الموسيقى العسكرية، فرجال المشاة من فرنسيين ومغاربة وسنغال. ومن ثم الخيالة فالمدفعية فالمصفحات والدبابات[٢]...".

لقد شهد البرقاوي دخول الغزاة دمشق، ورأى غطرسة الفرنسيين وعرضهم لقواتهم في عاصمة بني أمية، ترهيباً للناس، ومنعاً لهم من إبداء أية مقاومة، علماً بأن الدمشقيين قد أغلقوا أسواقهم، وأقفلوا محلاتهم في ذلك اليوم حزناً على سقوط دولتهم، وضياع استقلالهم، وخروج مليكهم على تلك الصورة المهينة، وما وقع في ذلك اليوم كان من المشاهد المؤلمة التي تركت في نفس البرقاوي وغيره من الأحرار جروحاً دامية، وحزازات لا تنسى طوال العمر.

وقد عبر البرقاوي عن غيظه المكظوم على جرائم فرنسة المتوحشة بعد ذلك بعقدين من الزمان، ونفث غيظ صدره على أولئك الغزاة البغاة الطغاة الذين سقطت عاصمتهم سنة ١٩٤٠م إبان الحرب العالمية الثانية، فقال متشفياً بهم، ومذكراً للأمة بتاريخهم الأسود في سورية والمغرب العربي وداعياً إياهم إلى الخروج من الشام التي قوضوا أركان الحكومة العربية "الفيصلية" فيها عندما أعلنت استقلالها، وطالبت بحقها في الوحدة والنهضة، لكن المستعمر الفرنسي أراق الدماء وبغى وعتا، وتجرد من الإنسانية، وطغى عندما احتل الأرض العربية، وسلب أهلها حريتهم، ومنعهم استقلالهم وتقرير مصير بلادهم، يقول البرقاوي: "... ومن الغريب أنهم يعتقدون أن الدنيا ما زالت في قبضة أيديهم، وأنه من الضروري أن يظلوا أسياداً، بما وصل إليهم من الحضارة المشوبة بالإفساد والإثم، وأن العروبة ستخضع لهم في مجدها العريق طيلة الأيام والسنين. ماذا تبتغون أيها الفرنسيون بعد ما دهتكم

---

(١) **الزركلي، ما رأيت وما سمعت:** ص٤.

(٢) **المالكي، من ميسلون إلى الجلاء (سيرة ومسيرة):** ص٩٣. وانظر: **لون نغريغ،** ستيفن همسلي: **سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.** ترجمة: بيار عقل. ط١، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٨م: ص١٣٢.

به الأيام من الخطب العظيم؟ أتودون أن تسلبوا سوريا مواردها الضئيلة؟! وأن تستغلوا جنى أتعابها لسد رمق بلدانكم الخربة الجائعة؟! وأن تحرموها الحرية التي تنشدها الأمم لأبنائها، وينشدها العقل والضمير؟!

إن لنا أيها الفرنسيون في سوريا ملكاً شامخاً قوضتم أركانه، وتاجاً نثرتم دره، وأن العروبة متحضرة للاشتراك معكم إن عاجلاً أو آجلاً، مهما كلف الأمر، واستحر القتل، وأريقت الدماء، كما تريقونها في سبيل ادعاء الحق المشوب بالباطل، والزيغ عن الجادة القويمة.

اخرجوا أيها الفرنسيون إن كانت لكم عاطفة تحترم كرامة الإنسان، وحريته في عقله وبلاده وكلامه. اخرجوا من هذه الأقطار السورية، واتركوا الجزائر ومراكش، غيرتم لسانها وبدلتم أخلاقها.

اخرجوا أيها الفرنسيون من سوريا ولبنان، قطري الجمال والبهاء، والرواء وينابيع الذكاء، وخلوا البلاد لأهلها، حتى تسطع فيها شمس الحرية، وحتى تغرد بلابلها أناشيدها، فوق ذلك الدوح الملتف الخالد"[١].

وبدأ الفرنسيون احتفالاتهم بإنهاء عهد الدولة العربية أو "الفيصلية" الذي أطلق عليه الفرنسيون اسم "العهد الشريفي" بدمشق، وعدوا ذلك اليوم صفحة مشرقة في تاريخ فرنسا، وادعوا أنهم جاءوا لتمدين السوريين، ونقلهم إلى الحضارة والتقدم، إلى غير ذلك من الدعايات التي كذبتها أفعالهم الإجرامية، ونفتها أعمالهم الانتقامية، التي كشفت عن روح صليبية متأصلة في نفوسهم، فقد ذكر (غوابيه) قائد الحملة التي دخلت دمشق أن "العدالة الإلهية هي التي مكنت حفيد أسير الحروب الصليبية، أن يدخل دمشق مظفراً"[٢].

لقد دخل الفرنسيون دمشق بهذه الروح الصليبية البغيضة، حاملين أحقاد القرون الغابرة وذكرياتها المؤلمة، منذ معركة بلاط الشهداء، ومروراً بعصر الحروب الصليبية، وحملة نابليون على مصر والشام، وحتى يوم سقوط دمشق عام ١٩٢٠م، وبدأوا بمطاردة رجال الحكومة العربية والبحث عنهم وعن كل وطني في كل مكان، وانتشر الرعب في كل أرجاء سورية، ولجأ رجال الانتداب الفرنسي إلى "اتباع سياسة التخويف والإرهاب: فأعلنوا صدور أحكام الإعدام على معظم أعضاء "المؤتمر

(١) **البرقاوي**، حسن: "**اخرجوا أيها الفرنسيون، ألم تتلقوا درساً من سقوط باريس؟**". صحيفة الجزيرة. سنة ١٩٤٠م، العدد رقم (١٠٧٢): ص٣.

(٢) **الحصري**، ساطع: **يوم ميسلون**. دار الاتحاد، بيروت، بلا تاريخ: ص٣٦٨.

السوري"، دون أن يروا لزوماً حتى إلى دعوتهم للمثول أمام محكمة عسكرية"[١] مما اضطرهم إلى مغادرة البلاد، أو الاختفاء عن أعين الفرنسيين وجواسيسهم.

ومن فظائع الفرنسيين أنهم طاردوا الملك فيصل بعد إخراجه من دمشق، فثارت النخوة العربية، والحمية الوطنية في نفوس أهل حوران المعروفين بالشيم والإباء، والنخوة والحمية، ورفضوا طلب الفرنسيين الآمر لهم بطرد الملك فيصل من درعا، وإلا فإن مصير قراهم هو التدمير، وتصدى الحوارنة للفرنسيين الذين قصفوا قراهم بالطائرات، ودكوها بالمدافع، وفرضوا عليهم الغرامات الحربية الباهظة، وزحفوا عليها بالمرتزقة والمجرمين، وألزموا أهل حوران بدفع ديات القتلى، حتى أفقروها، واستصفوا ذهب أهلها، إضافة إلى سفك الدماء، وتخريب البيوت[٢].

ولا يتسع المجال لسرد الأعمال الوحشية والإجرامية، التي ارتكبها الفرنسيون ضد الأمة السورية، وهو ما يحتاج إلى دراسة ضافية، من خلال المذكرات الشخصية، والمشاهدات اليومية، والسير الذاتية التي كتبها السياسيون والأدباء، والقادة العسكريون والصحفيون وغيرهم من الكتاب والمؤرخين، الذين دونوا تلك الصفحات السود من تاريخ فرنسا الدموي، وما فعلته في سورية، لا يقل عن إجرامها ووحشيتها في الجزائر وتونس والمغرب وغيرها من بلاد العالم الإسلامي.

إن أفاعيل الفرنسيين، وتجاوزاتهم بل شرورهم وجرائمهم، في سورية كان البرقاوي وغيره من نابهي دمشق معاصرين لها، بل اقترف أكثرها على مرأى منهم ومسمع، وعرفوا غطرسة الفرنسيين عن كثب، واكتووا بنار بطشهم، بعد أن دمروا دولة عربية مستقلة، يحكمها ملك عربي، بايعه ممثلو الشعب في المؤتمر الوطني السوري، وتمكنت حكومته العربية من بناء مؤسسات الدولة، ورسخت أسس النهضة فيها.

وقد زاد جبروت الفرنسيين ووحشيتهم، وتدميرهم وتخريبهم، عندما أصبح المفوض السامي الفرنسي ذا سلطة مطلقة في سوريا، بل إن سلطته فاقت سلطة رئيس الجمهورية الفرنسي في بلاده، يقول محمد كرد علي: "إن سلطان المفوض السامي المقيم في سورية ولبنان أوسع من سلطان رئيس جمهورية فرنسا"[٣].

---

(١) **الحصري، يوم ميسلون:** ص٤١٠.

(٢) انظر: **العياشي، غالب: الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا:** ص١٣٧، ١٩٦-١٩٧.

(٣) **كرد علي، المذكرات:** ج٢، ص٤٥٢.

ب- تفكيك وحدة سورية السياسية وفرض سياسة الفرنسة في الحكم والإدارة والقضاء:

بعد أن قضت فرنسا على "الحكومة العربية"، وأخرجت ملكها فيصل، وطاردت رجالها، وحكمت على أكثرها بالإعدام غيابياً، إثر معركة ميسلون التي وقعت في الرابع والعشرين من شهر تموز عام١٩٢٠م، قامت بتطبيق قواعد الفرنسة على سوريا، ومن أبرز قواعد الفرنسة: منع مستعمراتها من إقامة أية كتلة متلاحمة من الأهالي، الذين يتكلمون لغة واحدة، ولهم مؤسسات واحدة، وتطلعات قومية واحدة(١).

وبناءً على ذلك، فإن فرنسا قامت بتمزيق الوحدة السياسية التي تحققت في زمن الملك فيصل، وأسرعت إلى تقسيم الشام إلى دويلات صغيرة، أكبرها دولة دمشق، التي تضم دمشق وأقضيتها، سوى التي اقتطعت منها، وألحقت بـــ لبنان الكبير، وضمت دويلة دمشق ألوية: حمص، وحماة، وحوران، سوى قضاء مصياف الذي ألحق بمقاطعة بلاد العلويين، وقضاء عجلون الذي ألحق بمنطقة شرقي الأردن(٢). ودولة حلب التي ألحق بها لواء الإسكندرونة، مع الاحتفاظ باستقلاله الإداري(٣). وأعلن جبل الدروز منطقة مستقلة. وكذلك أعلنوا حكومة العلويين، وتشتمل على لواء اللاذقية، وقد أضيفت إلى تلك الحكومة أقضية: صافيتا، والحصن، ومصياف وغيرها.

وربط الفرنسيون كل هذه الحكومات بالمندوب السامي الفرنسي مباشرة، ويدير كل واحدٍ منها مديرون من السوريين، يشرف عليهم مندوب معين من المندوب السامي، إضافة إلى المستشارين الفرنسيين في كل مديرية أو وزارة، وهم أصحاب الإرادة الفعلية النافذة في البلاد، وقد وصف منير المالكي، أحد معاصري تلك الأحداث، تسلط المستشارين الفرنسيين قائلاً: "كان ضغط الفرنسيين على الشعب كبيراً، لم تخل منه مدينة أو قرية، فعين الفرنسيون في كل قضاء مستشاراً فرنسياً له دائرته الخاصة، يفرض إرادته، ويتحكم بسكان القرى كما يشاء، ويفرض الغرامات ويحصلها، ولا يهتم بالحاكم الوطني سواء أكان مدير ناحية، أم قائم مقام. وقد ضج الناس من هذا التسلط، وبدأ التململ من الحكم الجائر"(٤).

(١) انظر: **مجموعة من المؤلفين الفرنسيين، الفرنكفونية:** ص١٦٧-١٦٩.

(٢) انظر: **الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي:** ص٥٣.

(٣) انظر: **الحكيم، المصدر السابق:** ص٤٧.

(٤) **المالكي**، منير: **من مسلون إلى الجلاء (سيرة سياسة):** ص٩٧.

والظاهر أن سياسة تقسيم سورية، وتقطيعها إلى دويلات ومقاطعات، قد أثارت سخطاً شعبياً هائلاً، وشعر الوطنيون أن بلادهم تقطع على مذبح السياسة الفرنسية، وأن الجسد الواحد قد قطع إلى أوصال، وأضحى أشلاء لا حياة فيها، وندم كثير من أذناب فرنسا الذين رحبوا بمقدمها غير السعيد على سورية، وسافر وفد من الوطنيين إلى جنيف، وقابلوا الملك فيصل، طالبين منه العودة برضى الانتداب أو بغير رضاه؛ لأن الملكية ستحول دون تقسيم البلاد، وتمنع انقسام الشعب على نفسه بفعل دس المستعمر وكيده(١).

وأول من بدأ سياسة فرض الغرامات في سورية هو المندوب السامي (غورو) الذي زار دمشق في السابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠م، وألزم الحكومة السورية بتقديم غرامة مالية قدرها مائتا ألف ليرة عثمانية ذهبية، وطلب جمع عشرة آلاف بندقية من المواطنين خلال ثمان وأربعين ساعة، وهو ما قامت بلدية دمشق بتلبيته فوراً(٢). وهكذا جرّد المستعمر الفرنسي أهل دمشق من سلاحهم، واستصفى أموالهم، وخرب مؤسساتهم، وترك همجه الهامج يعيث فساداً في عاصمة بني أمية، ونورالدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، وفي ذلك إذلال وانكسار لم تشهده دمشق إلا في أيام المغول.

وأصبح المفوض السامي الفرنسي في سورية ذا سلطان واسع، حتى قال محمد كرد علي –وهو أحد وزراء ذلك العهد الأسود، ومن العارفين بدهاليز سياسة المفوض السامي وخفاياها– عندما زاره أحد محرري الفيغارو الباريزية–: "إن سلطان المفوض السامي المقيم في سورية ولبنان، أوسع من سلطان رئيس جمهورية فرنسا. ذلك لأن رئيس جمهوريتكم ممتع بسلطة محدودة، أما المفوض السامي عندنا فسلطته واسعة النطاق، ممتدة الرواق، ومفوضنا يعين رؤساء جمهوريات، ورؤساء وزارات، وينحيهم عند الاقتضاء، أليس من يعين رؤساء جمهوريات ويقيلهم، أعظم من رئيس جمهورية ضيق السلطة؟!"(٣).

ولم يكتف الفرنسيون بجرائمهم البشعة، وتفكيكهم لسورية الموحدة إلى دويلات ومناطق، وفرضهم الغرامات والمصادرات، بل قاموا بضرب الوحدة الوطنية التي كانت قائمة في البلاد أيام الحكومة الفيصلية، بل قبل ذلك بقرون، على الرغم من الاختلافات الطائفية، والمذهبية والعرقية، إلا أن عوامل الوحدة القائمة على اللسان الواحد، ووحدة الثقافة، والعيش المشترك، والانتساب إلى الجنس الواحد،

(١) انظر: **الحكيم، المصدر السابق:** ص٥٩.
(٢) **المالكي، المصدر السابق:** ص٩٣.
(٣) **كرد علي، المذكرات:** ج٢، ص٤٥٢.

كانت أقوى من عوامل الافتراق والتنازع التي شب ضرامها، وأجج سعارها المستعمر الخبيث، حتى يخلو له الجو في افتراس البلاد، ونهب خيراتها، وفرنستها لغوياً وثقافياً، وإدارياً.

هذا، وقد اعتمدت فرنسا الاختلافات المذهبية معياراً لتقسيم بلاد الشام أقساماً متعادية[١]، وغدا الفرز قائماً على المذهب بالدرجة الأولى، حتى أصبحت بعض النوادي والجمعيات والمدارس، تحمل أسماء طائفية مثل: الكاثوليكية، المارونية، الارثوذكسية، الإسلامية، العلوية، اليهودية، الدرزية، اللاتينية وغيرها[٢]، علماً بأن الغرض من ذلك هو ضرب دعوة الوطن الواحد الذي يضم جميع السوريين، وهو ما تحقق أيام الحكومة الفيصلية.

ومن الأعمال المشينة التي قام بها المستعمر الفرنسي تشجيعاً للطائفية، أن الكولونيل (نييجر) حاكم منطقة العلويين "دعا إلى منزله القاضي الشرعي، الشيخ محمد العجان، واستحصل منه على وثيقة خطية، يؤيد فيها استقلال العلويين عن السنيين في المذهب"[٣] ثم حمله (نييجر) الوثيقة إلى المفوض السامي في بيروت، واستصدر منه قراراً يقضي باعتبار العلويين طائفة مستقلة عن المسلمين السنة، وأنشأ للعلويين محاكم مذهبية. إن هذه الوثيقة التي استصدرها المستعمر الفرنسي من قاضي المسلمين، وما تبع ذلك من قرار للمفوض السامي الفرنسي، من أخطر الجرائم الفرنسية، مما أدى إلى وصول هذه الطائفة إلى الحكم في سبعينيات القرن الماضي بدعم من الغرب والشرق، وما تبع ذلك من الجرائم والإبادة وتدمير المدن والقرى بل تدمير الدولة السورية منذ ذلك الحين وحتى الساعة.

وعلاوة على استفواء الفرنسيين بالمسيحيين، ومحاولة الاستعانة بهم في ضرب المسلمين، فإنهم جعلوا بعضاً من المسيحيين في نحر المسلمين، مما يؤدي إلى الاقتتال بين الطائفتين، وذلك عندما طلب مدير الداخلية والاستخبارات الفرنسي (تومين مارتن)، من أحد وجهاء المسيحيين في اللاذقية أن يكون احتفالهم بعيد الفصح. "احتفالاً فخماً، رافعين الصليب أمامهم، ومتجولين في جميع أحياء المدينة دون استثناء أي حيّ منها، تحف بهم عناية الحكومة الساهرة على ضمان حريتهم"[٤]. ولكن أحد عقلاء المسحيين، العارفين ببواطن الأمور، حذر طائفته من هذه المظاهرة التي لم تشهدها المدينة من قبل، مما قد يؤدي إلى وقوع الفتنة بين الطائفتين[٥]، ويبدو أن هذا الرجل الحكيم نظر إلى مشهد الأرمن

(١) انظر: **كرد علي، المصدر السابق**: ج٤، ص١١٨٢.

(٢) انظر: **كرد علي، المصدر السابق**: ج١، ص٤٧.

(٣) **الحكيم، سوريا والانتداب الفرنسي**: ص٦٦.

(٤) **الحكيم، المصدر السابق**: ص٨٠؛ وانظر: كرد علي، المذكرات: ج١، ص٢٣٧.

(٥) **الحكيم، المصدر السابق**: ص٨٠؛

الذين جعلتهم فرنسا حرباً على المسلمين في كليكيا، ثم تخلت عنهم، وتركتهم يقاسون ألواناً من العذاب، وضروباً من متاعب التشرد وويلاته[١].

ومما لا شك فيه أن لعب فرنسا على حبال الطائفية في سورية، قد أغضب الطبقة المتعلمة التي كان البرقاوي واحداً من رجالها، وأثار اشمئزاز الوطنيين من مسلمين ومسيحيين، بل عامة الناس الذين يدركون عقابيل الطائفية الكريهة، ومخاطرها وأبعادها على مستقبل الوطن المطالب بوحدته وحريته واستقلاله.

وبدأ جواسيس فرنسا وعملاؤهم في المنطقة، بتأجيج نيران الطائفية البغيضة، وتحريض بعض الطوائف على بعض، بعد أن عاش أهل الشام دهراً قلما يعرفون فيه هذه النعرة النتنة، التي كانت خافتة في الأعم الأغلب، وما كان لها أن تطل برأسها، إلا بعد تدخل الأجنبي، وبخاصة الفرنسي المستكلب على تقطيع أوصال سورية طائفياً، يؤازره في ذلك المستعمر الإنجليزي الذي يريد حصته من أرض الشام، علماً بأن جمهرة السوريين كانوا ومازالوا مؤمنين، بوحدة الوطن، واللغة، والعيش المشترك، إذا ما أقصيت عن مجتمعاتهم الطائفية ومن يحركها[٢].

وعلاوة على نشر الفرنسيين التعصب المذهبي بين الأهالي، فإن كبار رجال الانتداب، كانوا يجاهرون بعداء الأكثرية المسلمة، ولم يتورع الكولونيل (تراكول) مدير استخبارات الشرق عن القول في إحدى المناسبات: "المسلمون بهائم"[٣]. وحرَمَ الفرنسيون المسلمين من التعيين في وظائف المفوضية الفرنسية وما يتبعها، واقتصروا على تعيين الكاثوليك والموارنة والبروتستانت وغيرهم، سالبين بذلك حق الأغلبية المسلمة من السكان في الأعمال والوظائف الحكومية[٤].

جاء الفرنسيون بجيوشهم التي ضمت أخلاطاً من السنغال وفرسان السباهية المراكشية، والرماة التونسيين وغيرهم من الأفارقة المسلمين، وساقوهم لقتل إخوانهم في الشام، وقاموا بتجنيد كثير من أهل الشام ترغيباً وترهيباً، وسموهم الأنصار الذين كانت جمهرتهم من الأرمن والإسماعيلية، وغيرهم من الجماعات من مختلف الطوائف، واستعانوا بهم جواسيس ومخبرين وجنوداً، وسلطوهم على رقاب

(١) انظر: **الحكيم، المذكرات:** ص٨٠.
(٢) انظر: **كرد علي، المصدر السابق:** ج١، ص٢٣٩.
(٣) انظر: **كرد علي، المصدر السابق:** ج٢، ص٣٧٣.
(٤) انظر: **كرد علي، المصدر السابق:** ج١، ص٢٣٧؛ ج٢، ص٣٤٥.

السوريين يدمرون مدنهم وقراهم، ويقمعون مظاهراتهم واحتجاجاتهم، ويخمدون تحركاتهم وثوراتهم[١]، وينتهكون حرماتهم، وينهبون أموالهم وثرواتهم، ويعذبونهم في معتقلاتهم.

وقد وصف لنا العياشي فرقة من أوباش المرتزقة، الذين جمعتهم فرنسا من مختلف المدن السورية، وأطلقت عليهم اسم المتطوعين، وأغرتهم بالمال، وأمدتهم بالأسلحة، ووعدتهم بالمساعدة، لقاء خدماتهم الآثمة، يقول العياشي: "في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٠م جاءت فرقة من المتطوعين مع الفرنسيين من أهالي حلب واللاذقية، وغيرها من المدن السورية، وكانت مؤلفة من خمسمئة متطوع... وفي مقدمتهم الرئيس (محاسن محمود) من أهالي اللاذقية. والملازم (محمد شفيق إسماعيل جانات) من أهالي حلب، يرافقهم الدليل الجاسوس المدعو (أحمد البوم) من أهالي أريحا، فتوجهوا إلى جبل الزاوية، قاصدين ومعتقدين تطهيره من العصابات وملاحقتها، ولما شعر المجاهدون بوصولهم إلى بلدة أريحا... نصبوا لهم كمائن متعددة، إلى أن دنوا منهم، فأصلوهم ناراً حامية، ولم تطل هذه المعركة أكثر من ساعتين، حتى أبيد الكثير من أفراد الجنود المتطوعين، وفي طليعتهم الضابطين المذكورين..."[٢]، ثم ألقي القبض على الجاسوس الذي أعدم رمياً بالرصاص[٣].

واللافت للنظر، أن ظاهرة تطوع بعض السوريين جنوداً، يحاربون في صفوف المستعمر، قد وجدت منذ أيام ميسلون وحتى نهاية الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٧م، إذ نكثت بعض الطوائف والجماعات عهد أمتهم، وباعوا أنفسهم للشيطان الفرنسي، الذي استرقهم بالمال على حساب وطنيتهم ودينهم، لكن سجلت خيانتهم في سفر تاريخ أمتهم، فباءوا بالإثم والعار، والخزي والشنار أبد الدهر، علماً بأن الوطنية والإخلاص للأمة كانت هي القاعدة، والخيانة والعمالة هي الاستثناء، ولكنه الزمان الخوان الذي جعل كثيراً من الأحذية على الرؤوس.

وجندت فرنسا جيشاً من التراجمة والجواسيس في الإدارة الحكومية، فلقي الناس منهم كل أذى وامتهان واحتقار، بل أذلوا كثيراً من رجال الحكومة العربية الذين كان يحجز أحدهم الساعات في دوائر الحكومة، حتى يؤذن له بالدخول على جاسوس مأفون، ومتعصب ملعون. وتدفقت عشرات تقارير جواسيس فرنسا الذين يشون بالمواطنين للإدارة الفرنسية صباح مساء، فأنشأ الفرنسيون ديواناً لترجمة تقارير جواسيسهم التي كان أغلبها من قبل الوشايات الشخصية، والمكايدات الخبيثة، التي يرمون بها الأبرياء، علماً بأن هؤلاء التراجم الذي أتقنوا لسان المحتل الفرنسي كانوا من "غلمان

(١) انظر: **كرد علي، المصدر السابق:** ج٢، ص٥٢٣.

(٢) **العياشي، الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا:** ص١٩٢.

(٣) انظر: **العياشي، المذكرات:** ص١٩٢.

المدارس، وتراجمة السياح، الذين يفتقر أغلبهم للخبرة والأخلاق السليمة، ولذا غلب عليهم التعصب والمحاباة لطوائفهم من ناحية، والكره والحقد على المسلمين من ناحية أخرى، علماً بأن المحتل الفرنسي قد دأب على تهميش المسلمين وإبعادهم عن الوظائف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[١].

ولم يتوقف المستعمر الفرنسي عند حدّ تدمير الإدارة الوطنية، واستقدام التراجمة الحاقدين على جمهرة الأهالي، بل عمد إلى تدمير اقتصاد البلاد، وفرض التعامل بالعملة الورقية التي أصدرها، وسحب بل استصفى ما بأيدي الناس من الذهب، مما أدى إلى خسارة الأهالي لأموالهم، وفرض على التجار وغيرهم الضرائب الباهظة جداً حتى غدت ضرائب الترك نزراً يسيراً بجانب الإتاوات الفرنسية، وحاربت فرنسا الزراعة الوطنية، وسلطت الشركات المستغلة على العمال والفلاحين إلى غير ذلك من ضروب القهر والتسلط والاستغلال، ونهب الثروات والأموال[٢].

وقام المحتل الفرنسي في سنة ١٩٢٣م بإنشاء المحاكم المختلطة، التي تنظم فيها الدعاوي المتعلقة بالأجانب في دمشق وحلب، وكان يرأس كل محكمة منها فرنسي، ولها عضوان فرنسي وسوري، ثم توسعت صلاحياتها لتنظر في قضايا الإخلال بالنظام العام، والجنسية، والأسلحة وغيرها، فأدى ذلك إلى سخط غالبية الناس على وجود هذه المحاكم الجائرة، ومما قاله الحكيم: "إن مجرد تأسيس المحاكم المختلطة، قبل توسيع صلاحياتها، قد أثار ثائرة غلاة الفكرة الوطنية، لاعتقادهم كما هو الواقع، المؤيد بإجماع كلمة المواطنين والأجانب معاً، بنزاهة القضاء، السوري وكفاءته..."[٣].

ورفع المحامون السوريون اعتراضاتهم، للمفوض السامي على إنشاء هذه المحاكم، وأضربوا خمسة عشر يوماً، احتجاجاً على هذا الاعتداء الفرنسي على القضاء الوطني[٤]، ولكن اعتراضاتهم واحتجاجاتهم لم تلق اهتمام المحتل، وكانت شكواهم شكوى الجريح للغربان والرخم. وكان إنشاؤهم لهذه المحاكم تدخلاً سافراً في القضاء الذي أرادوا تسييسه وتطويعه خدمة لاحتلالهم، وتبريراً قانونياً وأخلاقياً لجرائم استعمارهم.

---

(١) انظر: **كرد علي، المصدر السابق:** ج١، ص١١٩-١٢٠، ٢٠١-٢٠٣.

(٢) انظر: **الحصري، يوم ميسلون:** ص٤٠٩-٤١٠؛ خباز، **سلسلة الخباز (سياسة فرنسا في الثورة):** ج١، (ص١٩-١٣).

(٣) **الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي:** ص٩٣.

(٤) انظر: **المالكي من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسية):** ص١٠٠، ١٠٧.

ج-تدنيس المساجد والرموز الدينية الإسلامية:

فقد باشر الفرنسيون تدنيسهم لبيوت الله منذ وصول (غورو) إلى بيروت عام ١٩١٩م، وقام الحاكم العسكري الفرنسي لمرجعيون في لبنان برفع الراية الفرنسية فوق قباب المآذن، مما أدى إلى وقف رفع الأذان، وترك المصلين للصلاة في مسجد مرجعيون وغيره من المساجد في تلك المنطقة[١].

ولم يتوقف الحد عند رفع الفرنسيين لأعلامهم التي هي رايات للعار والشنار، بل هي رمز لأخبث ضروب القهر والاستعمار والبربرية الفرنسية، بل قاموا بإعدام المصلين في المساجد، ورميهم بالرصاص على جدرانها وأبوابها[٢] وفي ساحاتها. وقاموا بترصد المصلين على أبواب المساجد واعتقالهم، بينما كانوا ذاهبين إلى صلاة الفجر[٣].

وتجاوز الفرنسيون حدود الإنسانية، وما جاءت به الشرائع والكتب السماوية التي تكرم الإنسان حياً وميتاً، واقترفوا جرائم نبش قبور أئمة المسلمين، وجعل أحد ضباط فرنسا من تلك الأجداث الطاهرة مدفناً لكلابهم، وقد فعلوا ذلك بقبر الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ه/ ١٣٣٧م)، وهو العالم المجدد المصلح الذي تعوّد أن يغبر في السرايا، ويعتلي صهوات المنابر داعياً الأمة لجهاد أعدائها، ومنكراً على السلاطين المستبدين المتقاعسين عن حماية البلاد والعباد. وقبر ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ه/ ١٣٧٢م)[٤] المفسر المحدث المؤرخ، وكلا العالمين له من التقدير والإجلال في نفوس المسلمين القدر العظيم منذ ذلك الحين وحتى الآن، بل إن الأول منهم هو أكبر داعية لتجديد الفكر الإسلامي منذ عصره وحتى الآن.

وعلاوة على ذلك، فإن كبار موظفي الانتداب الفرنسي عملوا على التدخل في عبادة المسلمين وصلواتهم في الأعياد والمناسبات الدينية، ومعروف أن هذه الصلوات لها أوقاتها ومواعيدها التي لا يمكن أن تؤخر عنها، وكان مندوب المفوض السامي في دمشق (المسيو بروبير) قد غضب غضباً شديداً، وشتم الأئمة الذين أقاموا الصلاة، ولم ينتظروا تشريف جناب (بروبير) وهو الرجس النجس البوال على أعقابه، ولا شك في أن حضوره تلك المناسبة الدينية كانت تدنيساً للمسجد في يوم العيد المبارك، مما أدى إلى استفزاز المسلمين، وإثارة مشاعر غضبهم على ذلك الاستعماري المتغطرس، لا

(١) انظر: **العاصمة**، ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ه/ ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد (٧٩): ص٦.

(٢) انظر: **عمر**، محمد خالد: **الزعيم إبراهيم هنانو (سيرة ومسيرة)**. ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٠م: ص١١٠-١١١.

(٣) انظر: **خباز، سلسلة الخباز (سياسة فرنسا في الشرق)**: ج١، ص١٤٧.

(٤) انظر: **الشهبندر**، عبدالرحمن: **مذكرات وخطب**. ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م: ص٢١.

سيما أنه أراد الاستعلاء على كل من حضر في الجامع، وقد وصف لنا محمد كرد علي ما جرى يومذاك في غضون حديثه عن المسيو (تترو) كاتم سر المفوض السامي الفرنسي في بيروت، يقول: "وتخلفت عن الجماعة، وبقيت مع المسيو (تترو) وقلت له جاداً: أما بلغك أنه كادت تقوم فتنة أمس في دمشق، فقال: لا، وكيف كان ذلك؟ فقلت له: أنت تعلم أن الفقراء، والأغنياء سواء أمام الله، وفي الجامع عندنا لا فرق بين السلطان والشحاذ. وقد شاء مندوبكم المسيو (برويير) أن يحضر صلاة العيد في الجامع الأموي، فتأخر عن الميعاد، ولما حضر كان المصلون أقاموا الصلاة، فغضب وشتم خصوصاً لما رأى أنهم لم يخصوه في السدة بكرسي عظيم..."[1].

قلت: ربما كان البرقاوي أحد المصلين في المسجد يوم ذلك العيد، فشاهد مندوب المفوض السامي، وسمع بذاءات لسانه، وشاهد استكباره في جامع بني أمية، أو نقل للبرقاوي ذلك الخبر من صلوا في الجامع، وفي ذلك مهانة عظيمة للمسلمين وتاريخهم، وخصوصاً في ذلك المسجد التاريخي العظيم الذين خطب فيه خلفاء بني أمية جيوشهم المظفرة.

ومن الأحداث المهمة التي شهدها البرقاوي وكثير من رجالات ذلك العصر: وكان أثرها بالغاً في نفوسهم أن الأتراك أعلنوا الجمهورية في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٢٣م، وأصبح مصطفى كمال أتاتورك رئيساً لها، فقام بإلغاء الخلافة الإسلامية، فاتجهت أنظار المسلمين نحو الشريف الحسين بن علي في الحجاز، وتمت مبايعته بالخلافة في الرابع عشر من شهر آذار في المسجد الحسيني في عمان عام ١٩٢٤م، إذ وفد عليه كثير من الوفود الشعبية من المدن الشامية واللبنانية والفلسطينية، مبايعين له بالخلافة أو الإمامة الكبرى للمسلمين[2]، مما أثار توجس فرنسا من خطر هذه الحركة الدينية في سوريا بعد أن "ألقى الشيخ عبدالقادر الخطيب خطبة الجمعة في جامع بني أمية، أمام حشد ينوف على ثلاثين ألف نسمة، وأعلن مبايعة الملك حسين ملك الحجاز باسم الشعب السوري بالخلافة"[3].

ولما كانت الخلافة من الدين عند المسلمين، ولها دور عظيم في توحيدهم، وجمع كلمتهم، وتحريك نفوسهم، خشي الفرنسيون نتائج هذه البيعة، وأدركوا أنها تشكل خطراً على وجودهم في بلاد الشام وبقية البلاد العربية والإسلامية، وما كان من الحاكم الفرنسي إلا أن أوعز إلى رئيس الدولة السورية بمنع ذلك، فأمر رئيس الدولة الخطباء والعلماء بالامتناع عن ذكر موضوع الخلافة، أو الدعوة إليها،

---

(١) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص٣٠٤.

(٢) انظر: **الخطيب، جبر: العروبة والإسلام في خطاب الحسين بن علي.** ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٧م: ص٢٢٥-٢٦٥.

(٣) **المالكي، من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسية):** ص١٠٤.

فأضربت مدينة دمشق بعد سماع خبر المنع "ووقف الشيخ عبدالقادر الخطيب خطيباً في الجامع، وقال: إن نكث البيعة لا يجوز. وخطب داعياً أن ينصر الله خليفة المسلمين، دون أن يذكر اسمه، وأقيمت الصلاة، وخرج الناس من الجامع بدون ضجة. وكانت السلطة قد حشدت العديد من الجند والدوريات خوفاً من المظاهرات"(١).

د- إصرار المحتل الفرنسي على رفع الأعلام الفرنسية على الدوائر الحكومية، ونزع الأعلام والرايات العربية وإهانتها ومحاولة سرقتها:

لقد ناصب الفرنسيون الأعلام العربية العداء منذ اليوم الأول لنزول قواتهم الغازية في بيروت، فعندما أُعلن الحكم العربي في بيروت في نهاية عام ١٩١٨م تقريباً، ورفعت فيها الأعلام العربية، تصدى الفرنساوي لذلك، وأصرّ على إنزالها عن الدوائر الحكومية، وتدخل اللنبي لدى الحكومة العربية لتنفيذ هذا الطلب الذي يُعدُّ إهانة وطنية(٢)، وكذلك أنزلت الأعلام العربية، ورفعت الأعلام الفرنسية في كل المناطق التي احتلها الفرنسيون(٣) في الساحل الشامي، علماً بأنّ كليمنصو رئيس وزراء فرنسا، كان يطلب من الأمير فيصل أثناء وجوده في فرنسا عام ١٩١٩م، رؤية العلم الفرنسي مرفرفاً في سماء دمشق(٤).

ووصلت الإهانة الفرنسية للعلم السوري غايتها في الرابع والعشرين من تشرين الثاني عام١٩٢٠م، بعد الاحتلال الفرنسي لدمشق، ورفع العلم السوري المؤقت على دار الحكومة في دمشق، وألقى رئيس الوزراء جميل بك الألشي المتماهي مع الانتداب، وهو الذي يتناقل عنه الدمشقيون فعلته المخزية المزرية عند دخول غورو لدمشق، عندما فكّ الألشي وأشباهه، ومن هم على شاكلته من العبيد، خيل عربة (غورو)، وجروا تلك العربة بغالاً وحميراً لغازٍ كان من حقه أن يقابل بأزيز الرصاص، وصليل السيوف، وطعن الخناجر، وهو ما فعله أحرار الشام الذين انطلقوا من عجلون بعد ذلك، ومما قاله ذلك الألشي الانتدابي في خطابه بمناسبة رفع العلم السوري: "أيها السادة، أيها الشعب: نحتفل الآن بوضع علم حكومة دمشق الجديد، وقد وقع الاختيار عليه مؤقتاً، ريثما يجتمع مجلس الأمة السورية، ويقرر لنفسه علماً خاصاً لبلاد سورية المتحدة عامة. ولقد جعلنا في رأس علمنا مصغر

(١) **المالكي، المصدر السابق:** ص١٠٤.

(٢) انظر: **العجلوني، ذكرياتي عن الثورة العربية:** ص٧٣.

(٣) انظر: **قدري، مذكراتي عن الثورة العربية:** ص١٣٩.

(٤) انظر: **قدري، المصدر السابق:** ص١٤٨؛ العاصمة، ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ه/ ٨ كانون الثاني سنة١٩٢٠م: السنة الثانية، العدد (٩١)، ص٣.

الفرنسي، دليلاً على اجتماع مصلحة البلاد مع المصلحة الفرنسية، وأن حكومة الجمهورية المعظمة هي المنتدبة على سورية... فلتعش سورية المتحدة، ولتحيَ فرنسا العظيمة"(١).

ويجد الباحث مفارقة عجيبة بين موقف جمال باشا الصغير آخر القواد الأتراك في بلاد الشام، عندما خرج من دمشق عام ١٩١٨م، وحيى العلم العربي الجديد، وحذر العرب من مكائد الاستعمار، وبين مواقف (غورو) وقواده الذي أصروا على اقتلاع الأعلام العربية التي طويت بزوال الدولة العربية منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ه/١٢٥٨م، وكادت تمحى من أذهان أبناء الأمة حتى قام فتيان العرب وأحرارهم مطالبين بالحرية والاستقلال من قيود الاتحاديين، وألفوا بين "ألوان العلم العربي الحاضر الذي يخفق اليوم فوق ربوع الحجاز وسورية... ألفت الراية العربية ذات الألوان الثلاثة، وعرفها المشتغلون بالاستقلال العربي من الشباب والشيب وأشير إليها في إحدى المنشورات الثورية التي عثر عليها جمال السفاح، ونشرها في كتابه الذي سماه "إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي بعاليه"(٢).

وكان من المشاهد المروعة أن جعل العلم الفرنسي عالياً على الأعلام العربية، بل لم يكتفِ الفرنسيون بهذه الإهانات للأمة التي تعتد بأعلامها، وتعدها رمزاً لعزتها ومجدها، وتاريخها وثورتها، بل وصل بهم الحال إلى محاولة سرقة الأعلام العربية التي رفعت في فترة حاسمة من تاريخها، وكانت ترفع بين يدي الملك فيصل في المناسبات الوطنية وبخاصة العلم الذي أصبح رمزاً للاستقلال، وإعلان قيام المملكة العربية في سوريا.

وقد ذكر لنا محمد كرد علي ما وقع له مع الكولونيل كاترو مدير استخبارات الشرق الفرنسي مع المفوض السامي المسيو بونسو، وجعل كاترو حاقداً عليه، وغاضباً منه، يقول كرد: "وكان السبب في حنق الكولونيل كاترو عليّ، أنه طلب مني العلم الكبير، الذي يحمل أمام الملك فيصل، لما بويع ملكاً في دمشق، وكنت أخذته في جملة ما أخذت من الأعلام وغيرها، ووضعته في المتحف ليحفظ. طلب أخذ هذا العلم، ليجعله في المتحف العسكري بباريز، فأجبته: إن العلم أصبح ملك الأمة، وأشبه بالمال الموقوف، والوقف لا يجيز إخراج شيء بعد دخوله في ملكه، وإذا أعطيت العلم، يتعذر عليّ الخروج في شوارع دمشق؛ لأن أهلها يصفونني بالخيانة، وألحّ علي مرتين في أخذه، فأشحت في المرة الثالثة بوجهي عنه، وتشاغلت عن حديثه، فاحمّر حنقاً، وأبغضني من ذلك اليوم"(٣).

---

(١) **العاصمة**، ١٥ صفر سنة ١٣٣٩ه/ ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٢٠م: السنة (٢)، العدد (١٦٦)، ص١.
(٢) **المصدر السابق**: ٥ محرم سنة ١٣٣٨ه/ ٢٩ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة (٢)، العدد (٦٢)، ص٤.
(٣) **كرد علي، المذكرات**: ج٢، ٣٤٤.

واللافت للنظر فيما حكاه كرد علي، أن المجتمع الدمشقي كان يعيش حالة من الغليان والامتعاض الشديد من هذا الاحتلال البغيض الذي أسقط دولتهم، وأزاح مليكها غلبة وظلماً، وتسلطاً وقهراً، ولا شك في أن البرقاوي –وهو الرجل الوطني الغيور– كان منفعلاً بهذه الأجواء المسمومة بوجود المحتل الفرنسي الذي أسقط دولة عربية، أعادت لأبناء الأمة نفحات من أمجادهم، وأياماً تذكرهم بسابق عزهم من ناحية، وسبق لنا اقتباس ما قاله البرقاوي في ذلك عندما كتب مقالته "اخرجوا أيها الفرنسيون، ألم تتلقوا درساً من سقوط باريس"، ومن ناحية أخرى، فإن المجتمع الدمشقي كان محتقراً أشد الاحتقار لأشباه الرجال الذين تعاونوا مع المحتل، وحطبوا في حبله، وساروا في ركابه، وقبلوا أعتابه، فهم خونة في أعين غالبية الناس الذين قابلوهم بالإزدراء، حتى أصبحوا عاجزين على الظهور على الملأ، ومواجهة الناس في الشوارع؛ لأن وجوههم لبست أقنعة الخيانة التي أصبحت ميسماً خاصاً بهم، وعلامة دالة عليهم، ولعنة تطاردهم أينما حلوا.

وفوق ذلك، فإن العلم العربي كان له أعزّ الذكريات في نفوس الدمشقيين، عندما ارتدى طلاب المدرسة الحربية ملابسهم العسكرية، وصدحت الموسيقى بألحانها، وأقسم الطلاب يمين الإخلاص للعلم العربي، وقد وصفت جريدة العاصمة تلك المراسم المهيبة بالقول: "... جيء بالعلم العربي المحبوب، يحمله أحد الضباط الأقوياء، ويخفره ضابطان شَهر كل منهما حربته، والعلم يتموج في الهواء، كأنه شاعر بما له من العظمة والجلال، فوقف الأمير، ورئيس الشورى الحربي، وكافة المدعوين إجلالاً وإعظاماً للراية العربية المظفرة، المربعة الألوان، الرامزة إلى مجد العرب الخالد، وتاريخهم المجيد، وفخرهم الحميد. في هذا الموقف الرهيب وقف أستاذ العلوم الدينية في المدرسة، أمام مائدة التحليف، متظللاً بالراية العربية..."[(١)] وقام الطلاب بالقسم على خدمة الوطن والإخلاص للأمة.

وبناءً على ما تقدم، فإننا ندرك مشاعر الاحترام والتقديس للرايات العربية، التي رفعت بدمشق مذكرة الوطنيين كافة بأمجاد الأجداد، وفتوحاتهم وانتصاراتهم، وبتلك الرايات التي رفرفت في سماء دمشق أيام بني أمية، وباعثة الأمل في نفوسهم، بأن الأحفاد سيواصلون رفع راية الأجداد، وهو مما كان يشاهده البرقاوي عند صباح كل يوم دراسي، عندما يرفع العلم العربي ويقابله الطلاب بالتصفيق والإنشاد لهذه الراية العربية التي غابت عن ساحات المعارك والفداء، والدواوين والمدارس، والمؤسسات العامة والخاصة، حتى كادت الأمة أن تنسى رايات مجدها التي بقيت خفاقة عندما لم يترجل فرسانها عن ظهور الخيل.

---

(١) **العاصمة**، ٢٨ محرم سنة ١٣٣٨ه/ ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد ٦٩، ص٥-٦.

أمّا سرُّ حرص مدير الاستخبارات الفرنسي على الإستيلاء على هذا العلم التاريخي، الذي قرر المؤتمر السوري الممثل للأمة السورية كلها اعتماده للحكومة العربية، التي أعلن استقلالها، وتمت البيعة لفيصل بن الحسين ملكاً عليها، وأصبح هذا العلم رمزاً للاستقلال العربي وللوحدة العربية التي حطم الفرنسيون مشروعها، ونقضوا برامج عملها بعدوانهم، وقوة حديدهم ونارهم، ولذا فإن الاستيلاء على هذا العلم يعد وثيقة تاريخية للفرنسيين، يخلدون بها ذكرى انتصارهم على أول دولة عربية تقوم في العصر الحديث في بلاد الشام، وبخاصة إذا علمنا أن كاترو مدير الاستخبارات الفرنسي كان على علم ودراية بأحوال الشرق وتاريخه، وحروبه وانتصاراته، وقصة صراعه مع أمم الغرب منذ أيام الحروب الصليبية، وهو بلا شك على معرفة تامة بالراية الإسلامية التي استولى عليها ألفونسو ملك قشتالته، وغيره من ملوك الإسبان، ومن كان معهم من متطوعة الفرنسيين في معركة العُقاب، التي دارت رحاها في الخامس عشر من صفر عام ٦٠٩ه، الموافق للسادس عشر من يوليو عام ١٢١٢م، وأسفرت عن هزيمة المسلمين، وكانت طامة كبرى على الأندلس والمغرب، وشكلت بداية لتتابع سقوط المدن الأندلسية الكبرى، والتياث أمر المسلمين في الأندلس[1]، وكان من جملة غنائم الإسبان، راية الموحدين في تلك المعركة، وهي الراية التي يحملها كبار الضباط الإسبان كل عام في ذكرى يوم المعركة، ويطوفون بها الشوارع، تخليداً لانتصارهم على المسلمين.

ومما لا شك فيه أن كاترو الفرنسي أراد أن يحيي مجد أجداده الذين تطوعوا لقتال المسلمين في العُقاب، وأراد أن تكون لهم غنيمة تاريخية ثانية تصبح شاهداً على انتصارهم على العرب والمسلمين في العصر الحديث، ولا سيما أن الفرنسيين مولعون بحفظ الشواهد التاريخية التي تدل على تمكن الروح الصليبية وتغلغلها في وجدانهم من جانب، وعلى وحشيتهم وافتقارهم للقيم الإنسانية من جانب آخر.

ومن هذه الشواهد التي ما زالوا يحتفظون بها، رأس سليمان الحلبي الأسد الجسور، والشاب المقدام الهصور، الذي انقض على (كليبر) قائد حملة نابليون ونائبه بمصر، بينما كان بين جنوده، وحرسه وبنوده، وصال عليه سليمان بخنجره فأرسى طعنات مُصْمية من يد طاهرة مؤمنة، في قلب قاتل لعين، سفاح سفّاك لدماء الآلاف الأبرياء من الأطفال والنساء، بمصر والشام، وكانت التضحية بذلك الكبش السمين في ٢ صفر عام ١٢١٦ه الموافق ١٤ يونيو عام ١٨٠٠م.

(١) انظر: **المقري**، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ه/ ١٦٣٢م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق: إحسان عباس. ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨ه/ ١٩٦٨م: ج٤، ص٣٨٣.

وما زال الفرنسيون يحتفظون برأس سليمان الحلبي، وخنجره المطهر المقدس، الذي تطهر وتقدس بدم السفاح القاتل كليبر، في متحف الإنسان بقصر شايو بباريس، في علبة من بلور كتب تحتها "جمجمة مجرم"[١]. نعم، إن جمجمة الحلبي هي جمجمة مجرم في عرفهم، ولكنها في عرفنا جمجمة البطل الشجاع، الشاب المطهر، المجاهد المقدام، الأسد الهُمام، الذي أذاق كليبر كأس الحمام، عندما صال عليه بطعنات نافذة قاصمة، جعلته يخرّ صريعاً لليدين وللفم.

خامساً- مشاهدات البرقاوي لسياسة الفرنسة:

وقد تبدت مشاهدات البرقاوي لسياسة الفرنسة في التعليم في أمرين:

أ- **محاربة اللغة العربية:** مما لا ريب فيه أن محاربة الفرنسيين للغة العربية، والسعي لاقتلاعها من دواوين الدولة ومؤسساتها، وفرض اللغة الفرنسية، وتطبيق سياسة الفرنسة في الإدارة والتعليم، سياسة راسخة لدى الفرنسيين منذ غزوهم للجزائر عام ١٨٣٢م، ثم طغت في تونس ومراكش فيما بعد، ثم قام المستعمر الفرنسي بنقل تجربته الاستعمارية في الفرنسة إلى سورية التي كانت أحوالها الثقافية والاجتماعية مختلفة إلى حدٍ كبير عن المغرب العربي.

وقد سبق احتلال فرنسا لسورية أن قامت فيها الحكومة العربية "الفيصلية" التي كانت سداً منيعاً في وجه المشروع الفرنسي، وبخاصة بعد أن نجحت سياسة التعريب التي تبنتها الحكومة الفيصلية في الإدارة، والجيش والقضاء والتعليم، وغيرها من إدارات الدولة ومؤسساتها، التي أصبحت عربية الوجه واللسان كما بينا ذلك من قبل، ثم جاء الغازي الفرنسي، وشن حرباً شعواء على اللغة العربية في أرضها التي تكلمت بها منذ آلاف السنين، حين لم يكن هناك لغة تسمى الفرنسية، وعلة ذلك أن العربية من أقوى الروابط في توحيد الأمة من جانب، كما أن سياسة الحكومة العربية قد أعلت من شأن اللغة العربية، وجعلتها دعامة للاستقلال، وأساساً للنهضة، ودليلاً على الوطنية، وشجعت على نقل العلوم العصرية، من اللغات الأوروبية إلى لغة العرب من جانب آخر[٢].

حرص الغازي الفرنسي على أن تكون الفرنسية مزاحمة بل منافسة خطرة للعربية في أرضها، وقد كشف رئيس وزراء فرنسا عن رغبته هذه في الاتفاق الذي نظمه مع الأمير فيصل في السادس من كانون الثاني عام ١٩٢٠م وهو الاتفاق المعروف باتفاق فيصل -كليمنصو-، إذ جاء في الاتفاق: أن يكون تدريس اللغة الفرنسية في المدارس السورية إجبارياً وممتازاً[٣].

---

(١) انظر: **سليمان الحلبي** في https: //ar.m.wikipedia.org

(٢) انظر: **العاصمة**، ٥ محرم سنة ١٣٣٨ه/ ٢٩ أيلول سنة ١٩١٩، السنة الأولى، العدد(٦٢)، ص٦.

(٣) انظر: **قدري، مذكراتي عن الثورة العربية**: ص١٥٦.

لقد تيقنت الحكومة العربية منذ قيامها عظم الأخطار التي تهدد اللغة العربية من جانب المحتل الفرنسي، الذي بسط انتدابه على الساحل السوري واللبناني، ولذا فإن الحكومة العربية، قد دقت ناقوس الخطر الداهم على لسان العرب، ونشرت في صحيفتها الرسمية الصادرة في يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ه، الموافق للحادي عشر من أيلول سنة ١٩١٩م مقالة عنوانها "**مما لا غنى لنا عن معرفته**"(١)، وقد جاء في تلك المقالة: "نشر الدكتور السيد فريد كساب مقالة افتتاحية في "المفيد" الصادر من أول أمس، وقد ورد فيها تصريح للمسيو (كيكس) أحد علماء الاستعمار الفرنسي، وهذا نصه: "لولا الإسلام لكان أهل المغرب مثلنا، قريبين من مدنيتنا؛ لأن أصلهم من أواسط أوروبا، نزحوا إلى إفريقيا في العصر الروماني. أمّا الآن وهم مسلمون، فلا يندمجون معنا، ولا يقدمون على مدنيتنا. **والمانع الثاني لتقربهم منا هو اللغة، فهي العامل الأكبر بعد الدين. فنحن لا يمكننا اليوم أن نحارب الدين؛ لأنه تأصل في النفوس، ولكننا نحتال على اللغة، فنميتها بواسطة لغتنا ومدارسنا**، ومنع المساعدة عن العربية، فلنجتهد أن نمنع القسم البربري الذي لم يدخل في الإسلام بعد من أن يسلم، ولنقف سداً بوجه البربر لئلا يتعربوا، ولنضعف الجامعة العربية عند العرب والمتعربين"(٢).

ثم قال: "ولا شك أن التصاق العرب بالفرنسيين مما يساعد لغتنا على أن تنتشر فيما بينهم، فتدخل في لغتهم التعابير الجديدة... ولعجزهم عن الإتيان بما يقوم مقامها في لغتهم، وعدم تمكيننا إياهم من ذلك، تصير لغتهم مزيجاً من لغتين، وهذا يكون للغتنا نصراً على لغتهم، وفوزاً كبيراً"(٣).

وفوق التحذير والتنبيه الذي تقدم النص المقتبس من تصريح المسيو (كيكس)، وهو أحد المستشرقين الفرنسيين الاستعماريين الخبراء بلغات العالم الإسلامي وتاريخه، فإن إدارة تحرير جريدة العاصمة التي تعبر عن سياسة الحكومة العربية ومواقفها الرسمية من شؤون الحكومة السياسية والتعليمية والاقتصادية، قد عقبت على كلام الاستعماري (كيكس) بالقول: "ولكن ياالله من السياسة وما أشد تهجمها على العلم"(٤).

وبناءً على ما تقدم، فإنه يتضح لنا بجلاء خطورة (المخططات)، وضخامة الدسائس والمؤامرات، التي تحيكها فرنسا للغة القرآن الكريم سواءً أكان ذلك في مغرب العالم العربي أم في مشرقه، وأن هذه

(١) **العاصمة**، السنة الأولى، ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٨ه/ ١١ أيلول سنة ١٩١٩م: العدد ٥٧.
(٢) **المصدر السابق**، العدد (٥٧): ص٧.
(٣) **المصدر السابق**، العدد (٥٧): ص٧.
(٤) **المصدر السابق**، العدد (٥٧): ص٧. العدد (٦٢): ص٦.

السياسة اللغوية الفرنسية، تسير وفقاً لخطة محكمة، تنفذ خطواتها بالتدريج، وتضع لها البرامج والمناهج، وتسخر لها كل الوسائل السرية والعلنية التي تمكنها من التطبيق والنجاح.

لقد عاش البرقاوي تلك الحقبة، وشاهد هو والمتنورون والوطنيون من أبناء جيله كثيراً من مظاهر الحرب اللغوية الشرسة، التي شنها الاستعمار الفرنسي على العربية في أرضها، وفي دولتها العربية في سورية التي قطعت خطوات واسعة في التعريب، وأحلت اللغة العربية مكانها اللائق بها في الإدارة والتعليم والجيش، وتمكنت خلال عامٍ من إعادة سلطة العربية وعزّها، وبهائها ورونقها، الذي ضعف وكان أن يتوارى خلال أربعمائة عام بعد سقوط دمشق والقاهرة بيد العثمانيين بعد معركة مرج دابق عام ٩٢٣ه/ ١٥١٧م.

ومن أهم مظاهر الفرنسة، والاعتداءات اللغوية الاستعمارية التي شهدها البرقاوي، ومُجايلوه من الوطنيين الغيورين على لغتهم، والمؤمنين بأنها من أعظم الدعائم التي تقوم عليها الوطنية: كثرة الناشئة من المتفرنجين الذين آثروا الفرنسية وغيرها من اللغات الأعجمية[١] على لغتهم العربية، وفاق حبهم للفرنسية واللغات الأعجمية حبهم للغتهم العربية، مما أدى إلى تبلبل ألسنة هذه الزعنفة التي أعجبت بالانتداب الفرنسي، وظاهرت لغته، ورطنت بلسانه، وتنكرت للعربية، وأولعت بحب الفرنسية، وأصبح كلامهم مزيجاً من الألفاظ المختلطة الملفقة من لغات متعددة، وعلى رأسها لغة المحتل الفرنسي الذي بيده المال والأعمال، والوظائف والمغريات الأخرى.

وقد تبين لنا من خلال تصريح المسيو (كيكس) المستشرق الاستعماري، أن من ذرائع الاستعمار الفرنسي لإضعاف العربية في أرضها، وتمويتها في بلادها، ودحرها في حماها، العمل على أن تصبح مزيجاً من اللغات، مما يؤدي إلى إضعافها وتمويتها، وهذا ما أطلق عليه لويس جان كالفي–أحد أبرز دارسي حروب اللغات– مصطلح الاستبدال بالامتصاص، ويقصد به استبدال لغة بأخرى و"يكون استبدالاً مستمراً، حين تذوب لغة من اللغات المغلوبة، بعد عملية طويلة بطيئة في لغة غالبة، ويسَمى هذا النوع من الاستبدال المستمر استبدالاً بالامتصاص"[٢].

إن مواجهة الفرنسية للغة العربية، تعود إلى أيام الحملة النابليونية على مصر وبلاد الشام سنة ١٨٩٧م، وقد ضمت حملته لفيفاً من المستشرقين العارفين بأحوال الشرق العربي لغة وأدباً، وتاريخاً، وأرضاً، وثقافة وديناً، وحضارة وعلماً، وعلى الرغم من خروج نابليون مذعوراً مدحوراً، إلا أنه

(١) انظر: **العاصمة**، السنة الأولى، ٥ محرم سنة ١٣٣٨ه الموافق ٢٩ أيلول سنة ١٩١٩م.

(٢) **كالفي**، لويس جان: **حرب اللغات والسياسات اللغوية**. ترجمة: حسن حمزة، مراجعة سلام بزي– حمزة، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م: ص٢٠٦.

استطاع أن يجعل للفرنسية موطئ قدم في الشرق العربي، وقام المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي مؤسس علم الاستشراق في أوروبا، بتوجيه عناية الاستشراق إلى الاهتمام بالعاميات في مصر وبلاد الشام، وسلفستر دي ساسي هو أول من قام بتدريس العاميات في "مدرسة باريس للغات الشرقية الحية" مستعيناً على ذلك بمخائيل بن موسى الصباغ المتوفى سنة ١٨١٦م الذي ألف بطلب من دي ساسي "الرسالة التامة في كلام العامة"(١).

ونشرت فرنسا مدارسها التبشيرية في بلاد الشام ومصر، واستقبلت البعثات العلمية من مصر في معاهدها، مما أدى إلى انتشار الفرنسية، لكن بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس والمغرب، نفذ الفرنسيون سياساتهم اللغوية، الهادفة إلى ضرب اللغة العربية بعنف وبلا هوادة، في كل بلد عربي أو إسلامي تمكنت فرنسا من احتلاله أو النفاذ إليه بأي طريقة كانت.

وقد لاحظ محمد كرد علي شيخ الصحفيين والأدباء الدمشقيين، ومؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق، الذي حضر البرقاوي محاضراته ومجالسه الأدبية، خطورة دور بعض المتفرنجين الذين أضحوا خطراً على العربية، يقول: "وحاول في هذا العصر بعض المتحذلقين، الذين لم يُعنوا بدرس أدب هذه اللغة أن (يفرنجوا) ألفاظها وتراكيبها، فعمدوا إلى استعمال كلّ ساقط من اللفظ والتراكيب، يعبرون عن أفكار لا تستسيغها أذواقنا، يريدون بهذه البدعة، أن يستروا نقصهم بدعواهم أن كتابتهم عصرية..."(٢).

ولا ريب في أن أكثر من عناهم كرد في قوله السالف، كانوا من خريجي المدارس والكليات التي زرعتها فرنسا، وغيرها من القوى الاستعمارية في القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين في الأرض العربية، وكان من أخطر مخرجات هذه المدارس نفخ "روح التعصب الديني"(٣) بين خريجيها، فنفّذ بعضهم ما أوحى إليه المستعمرون، ولكن ذلك لا ينفي وجود الوطنيين المخلصين المحبين للغة الآباء والأجداد، وإن كانوا درسوا في تلك المدارس، وأفادوا من علومها العصرية، ومناهجها الحديثة في التدريس، وهو الأمر الذي كانت تفتقر إليه المدارس الحكومية في العهد التركي.

---

(١) انظر: **نفوسة زكريا** سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**. دار الإرشاد، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: ص٢٣-٢٤؛ **الزركلي، الأعلام**: ج٧، ص٣٣٨.

(٢) **كرد علي، المذكرات**: ج٤، ص١٠٩.

(٣) **كرد علي، المصدر السابق**: ج١، ص٧٣.

لقد عرف البرقاوي الكثير من محبي هذه اللغة، المتمسكين بها أشد التمسك ممن خدموا لغتهم الوطنية، وعملوا على إحيائها، وعرف أيضاً غيرهم ممن أصبحوا أدوات مشبوهة، وخناجر مسمومة، بأيدي الغزاة الساعين إلى ضرب هذه اللغة في عقر دارها، وهدمها في أرضها وحصونها، وبلبلتها على ألسنة أبنائها وأهلها، عن طريق فرنجة ألفاظها، وتحطيم أساليبها، والتنكر لفصاحتها، والتقليل من شأنها، وتوليد أساليب حملت سفاحاً من دعواتهم المشبوهة المشبوبة بنار الحقد على لغة القرآن، الذي ثبت لهم بعد دراساتهم المكثفة عبر سنوات من الجدية في البحث لأثره وتأثيره، ومنعة قلاعه وحصونه، وشموخ بنيانه الذي لا يزلزل، وأنهم لم ولن ينتصروا مع وجوده في قلوب هذه الأمم، وفي مساجدها، وكتاتيبها ومدارسها، وفي معاهدها وجامعاتها، علماً بأن كثيراً من المناهج التي خطط لها ونفذها العلمانيون في بعض البلدان العربية والإسلامية تحاربه أشد المحاربة سراً وعلناً، ولكنه –بحمد الله– يقوى أمره، ويعلو شأنه، ويزداد الإقبال على درسه وفهمه وحفظه من العجم قبل العرب.

وبينما كانت الحكومة العربية جاهدة في ترقية مستوى اللغة العربية في دواوينها ومؤسساتها، ومعاهدها ومدارسها التي كان البرقاوي واحداً من معلميها الجادين في خدمة لغة أمتهم وتعليم ناشئتها، شعر الفرنسيون بسرعة انتشار العربية، ولمسوا حماس أبنائها في الدفاع عنها في التعليم والصحافة، وفي النوادي الأدبية والمسارح، وفي دور العبادة والمحاكم والقضاء وغيرها.

وبناءً على ما تقدم، فإن منظري الفرنسة ودهاقنتها أدركوا، ضرورة اتخاذ إجراءات سريعة، وقرارات حاسمة، توقف صعود العربية ونهضتها في بلاد الشام، فكانت ضربتهم الأولى في لبنان، التي فصلوها عن سورية، وفرضوا عليها انتدابهم بقوة السلاح، بعد أن قاموا بشراء ضمائر بعض الزعامات المحلية بالمال وغيره من الوعود والرغائب، واتخذ الفرنسيون قراراً بجعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية في القضاء والمحاكم في لبنان، علماً بأن عدد مؤيدي الانتداب الفرنسي على لبنان لا يزيد على خمسة بالمئة من مجموع السكان[١]، بينما كانت الكثرة الباقية قالية للانتداب ولافظة له، بل وكارهة أشد الكره لقراراته، وقد نُشر خبر هذا العدوان اللغوي الفرنسي على لغة القضاء في لبنان في جريدة "العاصمة" المعبرة عن رأي الحكومة العربية بدمشق، التي خاطبت الشبيبة اللبنانية قائلة: "تذكروا أنكم لبنانيون، وأن العربية لغة لبنان، كيف تعملون على استبدالها لتجعلوا سواها لغة رسمية في البلاد؟ وإن تنصلتم من ذلك، فهذي مخابراتنا (مراسلاتنا) الرسمية، راجعوها أكثر. كيف تعملون على تعميم فن المحاماة بلغة ليست بلغتكم، ولا شريعتكم؟ وإن تنصلتم، فالمحامون اللبنانيون من أكبر الشواهد على ما دار في دار النقابة. خبرونا هل تقاليدكم تقاليدهم، وشريعتكم شريعتهم، وعنصركم

(١) **كرد علي، المذكرات:** ج ، ص .

عنصرهم؟! نحن اليوم في بداية أدوار حياتنا الجديدة، ومع هذا فقد بدأنا ننفر من هذه الأدوار التي تمثل على مسرح الوطنية..."[١].

ولم يكتف الفرنسيون بما تحقق للغتهم في القضاء اللبناني، بل أرادوا أن يجعلوا للغتهم مكانة ممتازة في سورية[٢]، وطالبوا بتدريس الفرنسية إجبارياً في مدارس سورية، وكان ذلك أحد البنود التي طرحها الفرنسيون على الأمير فيصل أثناء -مباحثاته مع رئيس وزراء فرنسا، فيما عرف بـ "مشروع اتفاق فيصل- كلمنصو"-، الذي نظم بتاريخ ٦ كانون الثاني عام ١٩٢٠م وحمله الأمير معه من فرنسا إلى دمشق، لأخذ رأي الشعب فيه[٣]. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

ومما شاهده البرقاوي، وقرأه وسمع به في المجتمع العلمي العربي بدمشق الذي التصق البرقاوي بمكتبته ومحاضراته، ولازم أعلامه، وتمثل دعوتهم إلى التعريب، الحملة الشعواء التي شنتها فرنسا على اللغة العربية في بلاد الشام، إذ وصف الفرنسيون اللغة العربية، بأنها لغة صعبة، وهي لغة البداوة لا الحضارة، بل هي من أسباب تخلف الشرقيين، إلى غير ذلك من الافتراءات والأكاذيب والدعاوى الزائفة، والأقوال المزورة على هذه اللغة الشريفة[٤]. علماً بأن السياسة اللغوية الفرنسية كانت تعلي من شأن لغتها التي ترى أنها لغة التمدن والحضارة، والدخول إلى الحداثة المعاصرة، لكنها كانت تغض من شأن اللغة العربية، وتعدها لغة القرون الوسطى، وعصور الظلام، التي لم تعد صالحة لعصرنا[٥]!!!. وهو ما يكرره بعض العاقين، بل المرتدين عن حب لغة أمتهم، ممن ينتسبون إليها اسمياً لا فعلياً، وما كان منهم إلا أن ناصبوا لغة القرآن العداء، وتراطنوا بلغات العجم[٦] في غير حاجة إلى ذلك، بل بلغ من قحة بعضهم مهاجمة لغة أمته جهاراً نهاراً، عياناً بياناً، في وسائل الإعلام، وأمام طلاب المدارس والجامعات الذين قد يستغوى كثير منهم بمثل هذه الأباطيل والتخرصات.

---

(١) **العاصمة**، السنة الأولى، ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٨هـ/ ١٥ كانون الأول سنة ١٩١٩م: العدد (٨٤)، ص٥.

(٢) انظر: **محافظة**، علي: **فرنسا والوحدة العربية ١٩٤٥-٢٠٠٠م**. ط١، مركز الدراسات العربية، بيروت، ٢٠٠٨م: ص٣٧٠-٣٧٢.

(٣) انظر: **قدري، مذكراتي عن الثورة العربية**: ص١٥٦.

(٤) انظر: **كرد علي، المذكرات**: ج٢، ص٤٩٩.

(٥) انظر: **مجموعة من المؤلفين الفرنسيين: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب**. ترجمة وتقديم وتعليق: عبدالعلي الودغيري. ط١، سلسلة كتاب العلم، الرباط، ٢٠١٣، ص٥٤.

(٦) انظر: **الدروبي، سمير: الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**. ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض/ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ص٢٣-٢٤.

ومما ركز عليه المستعمر الفرنسي، وحاول توطيده وتأكيده، وسعى إلى نشره وترويجه، وعمل على غرسه في أذهان أبناء الأمة، هو عجز اللغة العربية عن التعبير عن المصطلحات والألفاظ والمسميات الحديثة، التي لا نظير لها في العربية، ووصف العرب المعاصرون بأنهم عاجزون عن وضع ما يقابل "التعابير الجديدة"[١] في لغتهم.

ولا يخفى أن أهداف المستعمر من هذه المقولة الداحضة المرذولة وغير المقبولة والتي أسقطها وأبان عن تهافتها، علماء اللغة الأفذاذ في عصرنا من عرب ومستشرقين، هو دفع العربية عن أن تكون لغة للحضارة المعاصرة، ووقف نهضتها التي أصبحت سياسة للحكومة العربية الناشطة في التعريب، والعمل على تعطيل مجمعها أو تقليص نشاطه وإبعاده عن غايته الأولى حين اضطلع بتنفيذ رغبات الملك فيصل في التعريب، عندما استدعى محمد كرد علي من إسطنبول، ومهد له السبيل لتأسيس أول مجمع للغة العربية بدمشق سنة ١٩١٩م، وهو المجمع الذي "وكل إليه النظر في اللغة العربية، وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات، والفنون، عن اللغات الأوروبية"[٢].

ولما كان البرقاوي من مريدي المجمع الذين يحضرون جلساته ومحاضراته ويستمعون إلى أحاديث أعلامه، وينهل من معين مكتبته التي بدأت تصل إليها أحدث الكتب التي تصدرها دور النشر، أو تصدر عن المستشرقين، ولذا فإن البرقاوي عاش هذا العراك والتطاحن بين العربية لغة الأمة، التي يصرُّ الغيارى والمخلصون من أبنائها على إحيائها ونقل العلوم إليها، وبين الفرنسية لغة المستعمر، التي يريد لها أن تعلو على العربية، في معاهد العلم والمدارس، والإدارة والقضاء والدبلوماسية.

ب- التحكم في المناهج والسيطرة على إدارة المعارف:

بسط المستعمرون الفرنسيون جناح سيطرتهم على المعارف، بل هيمنوا على التعليم، وعملوا على تسخيره لمصالحهم، وتدخلوا في المناهج تدخلاً مباشراً، وقد وثق لنا هذه القضية الخطيرة محمد كرد علي الذي كان وزيراً للمعارف في أكثر من حكومة إبان الانتداب الفرنسي، يقول كرد علي: "كان المسيو (برويير) مندوب المفوض السامي يكرهني، ويحب مستشار المعارف المسيو (راجي)، وكان هذا خصمي منذ توليت الوزارة، فقد كان يتدخل فيما ليس من شأنه، وأنا واقف في طريقه بالقليل من

(١) **العاصمة**، ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ه/ ١١ أيلول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد (٥٧)، ص٧.

(٢) انظر: **الدروبي**، سمير، **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨-٢٠٢١م**: ج١، ص١٧٥-١٧٦، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، الجزء (١) كانون الثاني سنة ١٩٢١م الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٩٣٩ه المجلد (١)، ص٦.

الوسائل التي كانت لديّ. وقد دعيت مرة لنتفاوض في منهاج التعليم الثانوي برياسة كاتم السر العام المسيو (تترو) في بيروت، وكان معي مستشاري، ولحق به المندوب المسيو (بروبير)، فحضر الجلسة، وليس من حقه أن يحضرها، فلما تكلم مستشار المفوضية وتكلمت أنا، أراد مستشاري أن يتكلم، فما فهم الحاضرون مما قاله، وتبسموا مما أورده من العبارات، وانفضت الجلسة"[1].

وبناءً على ما أورده كرد علي في مذكراته، فإننا نفهم أن رجال الإدارة الفرنسية كانت لهم الكلمة العليا في أمور التعليم، وأنهم كانوا يتدخلون في المناهج تدخلاً مباشراً، ولا يسمحون فيها بما يخالف سياستهم التعليمية، كما أن المستشار الفرنسي في وزارة المعارف، كان هو الآمر الناهي فيها، وأن صلاحيات الوزير، كانت محدودة، وما أراده رجال الاحتلال يكون نافذاً مفعولاً. وكل ما تقدم من تسلط الانتداب على المعارف، كان موضوع حديث كرد علي في المجمع، الذي كان البرقاوي ملازماً له، ومتابعاً لجلساته ومحاضراته.

وفرض المحتل الفرنسي لغته في التعليم، وعُدّت الفرنسية لغة رسمية في البلاد، وجعلوا تعليمها إجبارياً، وعين الفرنسيون مستشاراً فرنسياً في وزارة المعارف، يعاونه في عمله بعض التراجمة من غير المسلمين الذين لم يكن أكثرهم موضع ثقة فرنسا، وكان المستشار الفرنسي في المعارف، هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فيها، فعمل على محاربة العلوم الإسلامية التي كانت تدرس في المدارس، وحصرت دروس: التجويد، والتوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث وغيرها في درس واحد سموه "درس الديانة"، الذي أصبحت له حصة واحدة أسبوعياً، وجعل درس الديانة موازياً في عدد حصصه لدرس الموسيقى والرسم والرياضة[2]، هادفين من وراء ذلك إلى انتزاع الهوية العربية الإسلامية، وتوهين هيبة الدين وشأنه ودروسه في نفوس طلبة المدارس.

وبعد أن ارتكب الفرنسي جريمة محاصرة العلوم الإسلامية، بل محاولة استئصالها من المعارف، يمّم وجهه شطر التاريخ العربي الإسلامي الذي هو السجل الحقيقي، والذاكرة الحية لتاريخ الأمة وأمجادها، ورموزها وأبطالها، ووقائعها وانتصاراتها التي يعتز بها كل عربي ومسلم، فتبنّى المفوض السامي كتاباً في التاريخ الإسلامي للمستشرق (هنري لامنس) اليسوعي، وهو من أكثر المستشرقين عداء للتاريخ الإسلامي، وكيداً له، واستهزاءً به وبنبيه، وبعداً عن المنهج القومي القويم في البحث والدرس، بل كان لامنس متطاولاً تطاولاً ممزوجاً ببذاءة وخبث، فيما يكتب على دين الإسلام ونبيه

(١) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص٣٠٤.

(٢) انظر: **الطنطاوي، ذكريات:** ج٥، ص٢٦٠.

وزوجاته، إذ وصف عائشة أم المؤمنين بأنها "الجاسوسة الحسناء في بيت محمد". وأراد المفوض السامي أن يكون الكتاب مقرراً في المدارس(١).

وتصدى محمد كردّ علي لكتاب (لامنس)، وكتب نقداً علمياً لما في الكتاب من تزييف وتدليس، ودس وتشويه لتاريخ الأمة، فحاول بعضهم منع كرد من نشر نقده، ولكنه أصرّ على الجهر بالحق، ولو كلفه ذلك العزل من منصب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، يقول كرد علي: "ونشرت نقدي، وردّ الأب (لامنس) ردّاً ضعيفاً، وأراد أن يدخل في المهاترات في مناقشته فما مكنته. وكان من نتائج هذه المناقشة، أن صدر الأمر برفع الكتاب من المدارس، وكانت النية إدخاله في المدارس الإسلامية والنصرانية، وهو كتاب إذا قرأه التلميذ المسلم ينشّأ على بغض أبناء دينه، ويحتقرهم، ويمتهن الإسلام، وإذا قرأه الطالب المسيحي يكره المسلمين والإسلام والعرب والعربية"(٢).

لقد كان البرقاوي حاضراً في ذلك المشهد الهادف إلى تدريس التاريخ الإسلامي من وجهة نظر استعمارية استشراقية، وكان عارفاً بدخائل الموضوع وتفصيلاته بحكم تردده شبه اليومي على المجمع العلمي وحضور مجالسه وندواته.، كما كانت له معرفة وثيقة بمناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي، وما كان لهم من مغالطات علمية، تنم عن حقد مسبق على تاريخ الأمة، وقد عرف البرقاوي ذلك أيام دراسته مادة التاريخ في الأزهر على الشيخ أبي العيون، الذي كان مناهضاً بلسانه وقلمه ودروسه للاحتلال الانجليزي، وعارفاً بمكايد دنلوب وزويمر وولككس، وما كان لهم من حملات غاشمة على لغة العرب وتاريخهم.

إن واقعة تبني المفوض السامي لفرض كتاب (لامنس) في التاريخ العربي الإسلامي مقرراً مدرسياً، تدل بوضوح على أن المستعمر كان يطبق سياسة الفرنسة، التي خطط لها في المستعمرات الفرنسية كلها، وبخاصة في المغرب العربي، وأن المستشرقين المستعمرين كانوا هم اللاعبين الحقيقيين وراء مخطط تلويث المناهج، التي اتخذوا منها أداة لاجتثاث هوية الأمة، وتسويد تاريخها في أعين أبنائها، وعزل العلوم الإسلامية أو تهميشها في المقررات المدرسية.

ومما هو جدير بالذكر، أن هذه السياسة الاستعمارية العدوانية ما زالت قائمة في أكثر البلاد العربية والبلاد الإسلامية، حتى أصبحت بعض الحكومات تنزع الآيات القرآنية من المقررات الدراسية، ولا تبقى إلا على أقلها، أو على ما تعلق منها بالعبادات، وقام بعض الأذناب المأجورين بشن حملات على رموز الأمة وأبطالها العظام، الذين ألحقت بهم أبشع النعوت والصفات التي تفوه بها

---

(١) انظر: **كرد علي، المذكرات:** ج١، ٢٠٧.

(٢) **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص٢٠٧.

بعض المأفونين المأبونين على: عمرو بن العاص، وعقبة بن نافع، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وغيرهم العشرات من قروم الأمة وسادتها، وقاماتها وقادتها، وصحابة نبيها ورجاله الغر الميامين المحجلين المبجلين، حتى بلغ الأمر في بعض دول العرب أن صدرت الأوامر بحرق الكتب التي تتحدث عن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين بن أيوب، قاهر الفرنج، ومحرر القدس، وموحد مصر والشام، وحامي بيت الله العتيق والحرم النبوي الشريف وقبر المصطفى عليه السلام.

وإننا لا نستغرب هذا، فإن ما خطط له سلفستر دي ساسي، ولويس ماسنيون، وجولدزيهر، وهنري لامنس اليسوعي، وآن بلنت، وماير، وغيرهم من عتاة المستشرقين[1] الاستعماريين، ما زال قائماً حتى الساعة، وما زالت أفكاره الخبيثة النبيثة تجري في عروق كثير من وزارات المعارف العربية والإسلامية، ويجرى الآن تنفيذ ما عجزوا عنه من قبل، حينما كان هناك من الرجال الوطنيين، والعلماء المخلصين الذين لا يتنازلون عن حرية الأمة ووحدتها، واستقلالها وسيادتها، وتمسكها بقرآنها وهويتها، ولغتها وثقافتها، ولا يعطون الدنية في دينهم، أما الآن وقد كثر المتسلقون والمستوزرون، والطامعون والمتهافتون على المناصب والمراتب، والمنافع والأموال، فقد تمهد الطريق أمام الغزاة لتنفيذ ما خططوا له منذ قرنين، ليصلوا إلى هدفهم الأقصى في اقتلاع الأمة من تراثها ودينها، وهويتها وتاريخها وحضارتها وعروبتها، حتى تغدو لهم فريسة سهلة سياسياً واقتصادياً، وفكرياً وأخلاقياً.

هذا، وقد تغلغل الفرنسيون في التعلم عن طريق المستشارين الذين لهم الأمر والنهي في المعارف، وعن طريق التراجمة التابعين للمستشارين الذين كان بعضهم يسرب أسئلة امتحان البكلوريا (الثانوية)، ويبيعها للطلاب سنوياً[2]، فأدى ذلك إلى فساد عظيم في العملية التعليمية، وتشكيك في مصداقية ما تمنحه من شهادات.

وقام المستعمر بتعيين جهلة المعلمين الفرنسيين، الذين كان ظاهر عملهم التعليم، وباطنه الجاسوسية على الطلاب والمعلمين، يقول ظافر القاسمي مسترجعاً ذكرياته أيام الانتداب، في مكتب أو مدرسة عنبر وهي أعرق المدارس الثانوية، وأقدمها في دمشق: "وكان يعلمنا الفرنسية أول الأمر، فرنسي عجوز، أعرج طويل اللحية، أحمق رخو، لا يضبط صفاً، ولا يصغى إلى درسه أحد...

---

(١) انظر: **الدروبي**، سمير: "**من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٥٠)، السنة العشرون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) انظر: **كرد علي، المذكرات:** ج١، ص٣٠٤-٣٠٥؛ **القاسمي، مكتب عنبر:** ص٧٣.

ويتحمل أذى التلاميذ صابراً، واسمه المسيو (ميشيل)... ثم جاءنا (تريس) Tresse وهو استعماري جاهل، يبدو أنه من أجلاف الريفيين الفرنسيين، لا يفقه شيئاً، ولا يحسن تعليماً ولا تفهيماً..."[١]. وقد عُين تريس –على جهله وتفاهة دروسه– رئيساً للتدريسات الفرنسية في مدرسة عنبر، وبعد أن عرف المدرسة وطلابها، وترسخت جذوره فيها، كشّر عن أنيابه الاستعمارية، وشرع في ممارسة سياسة الفرنسة التعليمية والقائمة على الاستخفاف بالمجتمعات العربية، والهادفة إلى قطع المجتمعات العربية الإسلامية عن تاريخها، والحط من ثقافتها، والعمل على إلحاقها بالثقافة الغربية في عادتها وأخلاقها، ونظمها ومناهج تعليمها، يقول القاسمي: "وبعد أن رسخت جذوره في مكتب عنبر، أخذ ينفث سمومه، بأشكال مختلفة، وإن أعمقها في نفسي أثراً تهكمه على بعض تقاليدنا وعاداتنا الشرقية أو الإسلامية، بشكل يمازجه العنف أحياناً"[٢].

لقد عاصر البرقاوي التعليم في سورية في عهد الحكومة العربية، وعاش أيامها السعيدة التي كأنها الأعراس عند أمة تسعى إلى النهضة، وتجد في طلب العلم، ورأى ما آل إليه التعليم في عهد الانتداب الفرنسي، وكان الرجل مشاركاً في العملية التعليمية، وأدرك البون الشاسع بين العهد الفيصلي الذي عمل بكل قوة على ترقية المعارف والتعليم، والدفع به في معارج التقدم، ثم شاهد فترة الانتداب الذي لم يعمل على ترقية المعارف والتعليم، وتوسيع انتشاره بين الناس، وكان الحجة في ذلك هي قلة الموارد المالية، فأهمل التعليم في القرى والأرياف، وكان التوسع في التعليم محدوداً في المدن، وكان أكثر المعلمين لا يختلف كثيراً عن مستوى معلمي الكتاتيب. وأتت السياسة ببعض الوزراء الذين لا علاقة لهم بالمعارف، فعينوا كثيراً من المعلمين الجهلة إرضاء للمتنفذين، ورجال الدولة والمنتدبين، وتدنت رواتب المعلمين عن رواتب غيرهم من الموظفين، مما أدى إلى تأخر التعليم في سورية[٣] عما كان عليه أيام الحكومة العربية.

وعلى الرغم من ذلك، وجد بعض المعلمين الأكفياء الراغبين في مهنة التعليم؛ لأنهم أدركوا ما لها من دور عظيم في نهضة الأمة، وتحررها واستقلالها[٤]، ولا شك أن البرقاوي كان واحداً منهم، ولا غرو في ذلك، فهو المعلم الوطني المخلص، الذي باشر التعليم وهو فتى في العهد العثماني، وبقي معلماً مخلصاً للعلم ومثابراً على مباشرته، حتى بعد أن أصبح شيخاً على مشارف الثمانينات من عمره.

---

(١) **القاسمي، مكتب عنبر:** ص٢٤. وانظر: ص٨٣.

(٢) **القاسمي، المصدر السابق:** ص٨٤.

(٣) انظر: **كرد علي، المذكرات:** ج٢، ص٣٩٧-٣٩٩.

(٤) انظر: **الطنطاوي، ذكريات:** ج٢، ص٢٤٩.

كان البرقاوي شاهد عيان لكل ما ذكرناه آنفاً عن تجزئة فرنسا لسورية التاريخية التي نجح الملك فيصل في إعادة توحيدها، والتقريب فيما بينها سياسياً وفكرياً ووطنياً، من خلال النوادي والجمعيات الأدبية[1]، والمؤتمر السوري، ودعم الصحافة ذات التوجهات الوطنية، وفتح المدارس، وإقامة المؤسسات العلمية وأهمها المجمع العلمي العربي، وغيرها.

عاصر البرقاوي مظاهر النهضة الإدارية والسياسية والتعليمية، التي زرعت في البلاد أيام الحكومة العربية، وتنسمت معاهد العلم والمدارس أجواء الوطنية، ورأت بواكير النهضة العلمية في زمن الملك فيصل، ورجال دولته الذين عملوا بنشاط على الارتقاء بمستوى التعليم، والارتفاع بمستوى النزعة الوطنية، لدى الطلاب والمعلمين على حدّ سواء، فنشأ عن ذلك حماس وطني لدى الطلاب، يواكبون فيه قضية بلادهم في الوحدة والاستقلال والنهضة أولاً بأول، فشاركوا في المظاهرات، وتابعوا التطورات السياسية المتعلقة ببلادهم، وعدوها قضايا أساسية لا تقل أهمية عن دروسهم وواجباتهم المدرسية.

وما أن مضى عامان تقريباً على ذلك الارتقاء في مستوى التعليم، والرابطة الجنسية واللغوية، التي تنامت وتعززت في معظم البلاد السورية، حتى وغل عليهم عدو شرس، يريد فرض انتدابه، بل استعماره عليهم بالقوة، وبدأ الفرنسي ببث الدعايات، ونشر المناشير ضد الحكومة العربية، التي تمثل عرب الشام والعراق والحجاز، فاتهم الفرنسيون هذه الحكومة بأنها متطرفة متسلطة، تقود البلاد نحو الخراب، وأنها حكومة الغرباء التي تدعم العصابات الثائرة في أرض الشام[2]، إلى غير ذلك من الدعايات المغرضة، التي تعمل على تفكيك البلاد، وتمنع وحدتها، وتعيق تقدمها ونهضتها، فأدرك المعلمون والطلاب وعامة المتنورين من الوطنيين، أن بلادهم في خطر داهم، وقد أصبح هذا الخطر واقعاً ملموساً عندما أخرج الملك فيصل، وشرّد رجال دولته، وحكم على أغلبهم بالإعدام غيابياً، وجاء الغازي بأذنابه وأعوانه، ومرتزقته وجواسيسه، وأحلهم محل الوطنيين، ووسد إليهم مناصب الدولة، وتوجيه التعليم فيها.

ومما لاحظه البرقاوي الذي عمل معلماً في مدارس الحكومة إبان العهد الفيصلي، ثم قام بالعمل نفسه أيام الانتداب، أن هذه المدارس قد أصبحت معقلاً للحركة الوطنية؛ ومركزاً للدعوات المناهضة للمستعمر الفرنسي، ونهض من بين معلميها من هو مخلص لقضية أمته، فقام بتعليم الوطنية، وجهر

(١) انظر: الدروبي، **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان**: ج٢، ص ٣٧-٤٣.
(٢) انظر: **الحصري، يوم ميسلون**: ٣٣٣-٣٤٣.

بها بين الطلاب، على الرغم من كثرة الجواسيس الذين زرعهم الفرنسي فيها، وأغراهم بالمال، وحثهم على التعاون والاستجابة لمشروعه، موهماً إياهم أن في ذلك مصلحة بلدهم وأمنها ورقيها وتمدنها.

ومن أبرز المعلمين الذين نشطوا الروح الوطنية بين الطلاب، وأثاروا هممهم للتعبير عن كره المحتل ومقاومته، رشيد بقدونس، الذي ندد بالاحتلال الفرنسي الذي فرض على سورية بالجبروت والقهر، والإرهاب وقوة السلاح، وبدأ تاريخه الأسود بعد معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠م. ولا ريب في أن بقدونس كان قدوة ونبراساً للبرقاوي وغيره من المعلمين، الذين تعلموا من مواقفه ورجولته دروساً في الوطنية، ثم قاموا بتعليمها لطلابهم، وترسيخها في وجدانهم وأذهانهم.

وعندما عاد الطلاب إلى المدارس في نهاية شهر آب من العام المذكور أعلاه أي بعد شهر من الاحتلال تقريباً، كان حديث الطلاب عن هول فاجعة الاحتلال، وفقدان بلادهم لاستقلالها، وما السبل المؤدية إلى إنقاذها، ودعا بعض الأساتذة إلى التمرد والعصيان، ومقاومة الجبروت والطغيان(١).

وكان المعلم الوطني رشيد بقدونس محرضاً –في دروسه– لطلابه على المقاومة، وداعياً لهم إلى عدم الاستكانة والخنوع للفرنسي المحتل، فنهض طالب من بين طلابه مخاطباً أستاذه: "دعنا من هذا الحديث... وإذا بصوت رشيد بقدونس، يعلو حتى يكاد يسمعه كل من في مكتب عنبر، وينهض من مقعده، ويصيح في وجه الطالب المتخابث: اذهب إلى (غورو)، وقل له: إن رشيد بقدونس يعلّم الطلاب الوطنية!"(٢).

لقد كان بقدونس رجلاً عظيماً وقدوة ومثلاً في الوطنية لغيره من المعلمين(٣)، الذين رفعوا راية الدعوة الوطنية في مدارسهم، ومنهم البرقاوي وغيره من المعلمين الذين حملوا همّ الأمة على كواهلهم، وأرّقتهم أوجاعها ساعة محنتها، وتدارسوا الأوضاع المتردية التي جلبها العدو المحتل للبلاد، وبحثوا عن أنجع السبل، وأقرب الطرائق المؤدية للنهوض، والخلاص من الغزاة، وقد كشف لنا تيسير ظبيان صديق البرقاوي، وزميله في التعليم في مدارس حمص في العشرينيات من القرن الماضي، عن الجلسات الوطنية والعلمية التي كان يحضرها البرقاوي مع زملائه من المعلمين، يقول ظبيان: في معرض تأبينه للبرقاوي سنة ١٩٦٩م: "لقد عرفت فقيدنا الغالي في مدينة (ابن الوليد) قبل خمسين عاماً، وكنّا نتولّى مهمة التدريس في مدارسها، ونلتقي كل يوم في فترات المساء، مع فريق من

(١) انظر: **القاسمي، مكتب عنبر:** ص١٠٤-١٠٥.

(٢) **القاسمي، المصدر السابق:** ص١٠٥.

(٣) **القاسمي، المصدر السابق:** ص٧٧.

الزملاء، حيث نعقد الحلقات الطوال لمطالعة بعض الكتب الدينية، والأدبية والعلمية والتاريخية، ونتبادل وجهات النظر في الوسائل التي تؤدي إلى إقالة الأمة من عثارها، وإنهاضها من كبوتها، وتحطيم قيود الجور والأسر التي كانت ترسف فيها"(١).

وبناءً على ما ذكره ظبيان عن البرقاوي، وغيره من زملائه المعلمين الوطنيين، الذين بدأوا بتوعية الطلاب وطنياً، وعملوا على بث الحماسة القوميّة في نفوسهم، فإننا قد وجدنا آثار هذه الدعوات الوطنية المحمودة، قد تحولت إلى مناهضة للاحتلال، وتنديد بأفعاله الإجرامية، وإحياء لذكرى المحنة الأليمة التي تعرضت لها البلاد، منذ احتلالها في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠م، ولذلك فإن الطلاب قد انتهزوا في عام ١٩٢١م، فرصة أول مناسبة وطنية لها في نفوس السوريين أعظم الوقع، وأجمل الآثار، وهي ذكرى الثامن من آذار، وهو يوم إعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية، وتتويج الملك فيصل بن الحسين ملكاً عليها عام ١٩٢٠م، وقاموا بإحياء هذه الذكرى السعيدة، التي جعلت منذ ذلك اليوم عيداً رسمياً في البلاد، وأضرب الطلاب في مكتب عنبر عند الدوام في ذلك اليوم الوطني الكبير، فعدّ الفرنسيون ذلك تحدياً لهم، وحضر مدير شرطتهم إلى المدرسة لمعرفة المحرضين على الإضراب، إلا أنه لم يجد جواباً(٢).

وفي الثامن من آذار سنة ١٩٢٢م، عَمَّ الإضراب المدارس استذكاراً لمناسبة الاستقلال، وتظاهر الطلاب في الشوارع، معلنين سخطهم على المحتل، وداعين إلى رحيله عن بلادهم، فتدخلت الشرطة والدرك، ولاحقت المتظاهرين، وفرقتهم بالقوة، ثم قامت سلطات الانتداب بالتحقيق مع المعلمين والطلاب المحرضين على التظاهر، وأوقفت بعضهم(٣)، ولكن تجاوب الشعب مع حركة طلاب المدارس ومعلميها كان كبيراً، وقاموا بتزيين محالهم التجارية(٤)، استرجاعاً لذكرى استقلالهم وتتويج مليكهم، ودعماً لهذه النخبة المتعلمة، التي أضحت رأس الحربة في تأجيج المظاهرات، وتنظيم الإضرابات، وإعلان الاحتجاجات على عدو غاشم سلب الأمة السورية استقلالها، وحطم دولتها.

(١) **ظبيان**، تيسير: "**فقيدنا البرقاوي**" ضمن كتاب: حسن البرقاوي المربي والإنسان... ذكرى وتحية. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ١٩٩٠م: ص٤٩.

(٢) انظر: **القاسمي، مكتب عنبر**: ص١٠٩-١١١.

(٣) انظر: **المالكي، من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسية)**: ص٩٧.

(٤) انظر: **المالكي، المصدر السابق**: ص١٠٠.

ويبدو أن البرقاوي ورفقاءه من المعلمين الوطنيين، كانوا مبتهجين أشد الابتهاج على استجابة طلابهم لدعواتهم في التصدي للمستعمر، الذي انتهك حرمة بلادهم، وسلبها خيراتها، وهدم مؤسساتها، وشرّد أحرارها.

ولم تقتصر هذه الدعوات الوطنية على المعلمين وطلاب المدارس، بل تجاوزتها إلى المعلمات والطالبات اللائي قمن بالمظاهرات السياسية سنة ١٩٢٢م ضد المستعمر، واحتفاء بزيارة (كراين) مبعوث الرئيس الأمريكي (ولسون) الذي دعا في نهاية الحرب العالمية الأولى، إلى حق الشعوب التي كانت خاضعة للسيادة العثمانية في الاستقلال التام، وقد وصفت مظاهرة طالبات مدرسة دار المعلمات التي كانت أول مظاهرة نسوية في سورية، بأنها "كانت فريدة من نوعها، عميقة في آثارها... فملأت أندية الشام بالحديث عنها" وذهل الفرنسيون من إقامتها، لا سيما وإن الحجاب كان على وجوه النساء جميعاً، والملاءة هي اللباس الوحيد لهن"[١].

أدرك المحتل الفرنسي أن المدارس هي المحرك الحقيقي للمظاهرات والإضرابات التي تعم البلاد، وأن طلابها هم اللاعبون الحقيقيون في الحراك الشعبي ضدهم، وأن تنامي حركتهم قد يكون خطراً محدقاً بهم في المستقبل القريب، ولذا فإنهم كانوا يهاجمون المظاهرات ويفرقونها بسرعة، ويقومون باعتقال الطلاب والمعلمين المتظاهرين الذين كانوا يقابلون ذلك بالأناشيد الوطنية، لكن الضباط الفرنسيين ومن معهم من السنغال المرتزقة كانوا ينهالون عليهم ضرباً بأعقاب البنادق وركلاً بالأرجل، إرهاباً لهم وتخويفاً[٢].

ولكن الأمة الحية لا تموت، ولا يضيع الحق وأهله يجدون في طلبه، فنهض بعض من مشايخ دمشق وعلمائها، يدعون الناس إلى مقاومة المحتل الفرنسي، وقد عرفت حركتهم بـــ "نهضة المشايخ أمثال: الشيخ علي الدقر، والشيخ هاشم الخطيب، ومحدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني، وغيرهم من العلماء والعاملين، الذين عرفهم البرقاوي، وحضر دروسهم، واستمع إلى خطبهم ومحاضراتهم بدمشق.

شرع هؤلاء العلماء بالطواف في أنحاء الشام، وقاموا في زياراتهم وجولاتهم الوعظية بتحريض الناس على مقاومة الغزاة، ودعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، ودفع العدو عن أرضهم. ومن المناطق التي كانت مقصداً لهم حوران، حيث كان البرقاوي معلماً في مدرسة درعا، وأموا أيضاً منطقة البلقاء في الأردن، وقد اجتمع الحسني والخطيب والدقر، وكانوا يجولون بقاع الشام سويّة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: "وكانوا إذا شارفوا البلد خرج الناس لاستقبالهم، وساروا وراءهم، فيبدؤون

---

(١) **القاسمي، مكتب عنبر**: ص١١٦.

(٢) انظر: **القاسمي، المصدر السابق**: ١١٤-١١٥.

بالمسجد، فيعظون ويعلمون، ويحثون على الجهاد، يبينون أحكامه وحالات وجوبه، وكانت هذه الجولة هي الشرارة التي أشعلت الثورة"[١].

ويبدو أن البرقاوي قد تأثر كثيراً بحركة المشايخ، وأدرك مالهم من دور عظيم في إيقاظ الأمة، ودفعهم لمقاومة الطغاة المحتلين، وتيقن أن سكوت العلماء وتخاذلهم، وعدم قيامهم بواجبهم الديني والوطني يؤدي إلى سقوط الأمة، ووقوعها فريسة سهلة للمستبدين والمستعبدين والمستعمرين، وهو ما كان عليه جمهرة علماء نابلس وغيرهم من علماء الشام ومصر، إذ كانوا ساكتين عن المظالم، وغير مكترثين بحال الناس الواقعين تحت سياط الجندارمة والآغوات والمستعمرين.

ويبدو أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من المناسبات الدينية التي أثرت في نفس البرقاوي أثناء وجوده بدمشق بعد دخول الفرنسيين، وبخاصة أن هذه المناسبة الدينية التي تُقرأ فيها قصة المولد النبوي الشريف، وتنشد فيها قصيدة البردة، وتوزع فيها الحلوى على الحضور، قد تطوّرت إلى "مهرجان وطني، وإلى مباراة بين أحياء دمشق في نصب أقواس النصر، وتغطيتها بفروع شجر الغوطة، وتزيينها بالورد والزهر، وصور عنتر وأبي زيد الهلالي، وأبطال القصص الشعبية، ورفع الأعلام عليها، واللوحات الداعية إلى النضال وتمجيد الاستقلال، ورفض الاحتلال، ولم يرفع المحتفلون العلم الرسمي، بل رفعوا العلم العربي المربع الألوان، وكانوا يهرجون بالأهازيج الوطنية، يتلو ذلك حضور موكب الوطنيين" فيخطب الدكتور عبدالرحمن شهبندر، وهو من أقدر من سمعت من الخطباء، وزكي الخطيب، وخالد الخطيب، وتشتد الحماسة، وربما مشوا بمظاهرة، فاصطدموا بقوى الحكومة..."[٢].

هذه المشاهد الاحتفالية التي عاشها البرقاوي وشارك فيها، تكشف لنا عن الروح الوطنية الحقة في أهل دمشق، وغيرها من أهالي مدن الشام الذين تعززت لديهم روح الاستقلال، والإصرار على المطالبة بالحرية، وإخراج المستعمر، بعد أن قامت حكومتهم العربية بإعلان استقلال بلادهم، ورفعت علمهم العربي، الذي أصبح رمزاً للاستقلال، وللعزة العربية التي ترفض الخنوع والخضوع، والانقياد لمطالب المحتل، ولكن الغرب المستعمر، سرعان ما أعلن رفضه لمطالبتهم بالاستقلال، وهدم دولتهم، فكان ردهم مستوحى من ميراثهم وتاريخهم، واحتجاجاً على فرنسة التي حطمت أحلامهم، وزجت بأحرارهم في سجونها المظلمة، وجندت عملاءها ليقوموا بقمع إخوانهم وقتلهم، وشقت مجتمعهم بتأجيج نار الطائفية التي لا تطفئ جمرتها الخبيثة، وما زالت تعمل في المجتمعات الشامية حتى اليوم.

---

(١) الطنطاوي، ذكريات: ج١، ص٢١٩.

(٢) الطنطاوي، المصدر السابق: ج١، ص٢٢٢.

أما أهم هذه العناصر التي توجز لنا طبيعة الاستعمار الفرنسي الذي عاصر البرقاوي سنواته الأولى في سورية، فهي:

أ- تفكيك وحدة البلاد السياسية، بعد القضاء على استقلالها وهدم دولتها، وتقطيع أوصالها إلى دويلات صغيرة: دولة حلب، لبنان الكبير، دولة دمشق، حكومة العلويين، حكومة جبل الدروز؛ ليتمكن الفرنسيون من التحكم بها والسيطرة عليها، وهدم وحدتها الوطنية(١).

ب- تدمير الاقتصادي السوري، وفرض العملة الورقية في التعامل، وسحب الذهب من أيدي الناس، وفرض الضرائب الباهظة جداً، ومحاربة الزراعة الوطنية، وتسليط الشركات المستغلة لجهود العامل والفلاح، إلى غير ذلك من ضروب الهدم والسرقة والتخريب(٢).

ج- إفساد الإدارة في الدوائر الحكومية، فقامت فرنسا بطرد الموظفين الوطنيين، وعينت بدلاً منهم الجواسيس والتراجمة، وخريجي المدارس التبشيرية، وغيرهم من أذناب فرنسا وأعوانها، فلقي الناس منهم كل إذلال واحتقار وعنت، وعاشت هذه الطبقة الطفيلية الاستعمارية الجديدة على جهد المواطن وضرائبه وإنتاجه(٣).

د- إهانة الرموز التاريخية والدينية الإسلامية، فقد قام غورو بزيارة قبر صلاح الدين الأيوبي، وقال: "إنا جئنا ثانية ولن نعود"(٤).

ه- الحرب على اللغة العربية والتراث التاريخي والدين الإسلامي.

وبناءً على ما تقدم، فإن البرقاوي قد عاش وشاهد، كل النجاحات والإخفاقات التي تعرضت لها بلاد الشام، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، وترسخت لديه القناعة التامة، بأن الوعي الوطني المدعوم بالعلم والمعرفة، هو الأساس الثابت الذي يُمكن الأمة من إنجاز وحدتها واستقلالها، وطرد الغزاة من أرضها، وهو ما نذر نفسه لحمله والتبشير به، حتى الأيام الأخيرة من حياته، عندما وافاه الأجل المحتوم عام ١٩٦٩م، وكان قد أشرف على الثمانين من عمره، ولم يترجل هذا الفارس الحامل لراية اللغة العربية والتعليم والوطنية، إلا في الأسبوع الأخير من حياته عندما أقعده المرض.

---

(١) انظر: **العظمة**، عبدالعزيز: **مرآة الشام (تاريخ دمشق وأهلها)**. ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م: ص٩٧.

(٢) انظر: **الحصري، يوم ميسلون**: ص٤٠٩-٤١٠؛ خباز، حنا: **سلسلة الخباز (سياسة فرنسا في الثورة)**، مطبعة علم الدين بمصر، ١٩٢٨م: ص١٩-١١٣.

(٣) انظر: **كرد علي، المذكرات**: ج١، ص٢٠١-٢٠٨.

(٤) **دروزة: مذكرات محمد عزة دروزة**: ج١، ص٤٨٣.

المصادر والمراجع

آل سعود، نايف بن ثنيان: **المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في الوطن العربي**. ط١، دار أمية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

الآلوسي، جمال الدين: **محمد كرد علي**. ط٢، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦م.

البرقاوي، حسن: "**أواه زعيم الشام**"، صحيفة الجزيرة، ١٤ رجب ١٣٥٩هـ/١٧ آب سنة ١٩٤٠م، السنة (٨)، عدد رقم (١٠٠٠).

البرقاوي، حسن: "**اخرجوا أيها الفرنسيون، ألم تتلقوا درساً من سقوط باريس؟**". صحيفة الجزيرة. سنة ١٩٤٠م، العدد رقم (١٠٧٢).

التميمي، محمد رفيق؛ **الكاتب**، محمد بهجت: **ولاية بيروت**. دراسة وتحقيق: زهير عبداللطيف غنايم، محافظة، محمد عبدالكريم. ط١، مكان النشر غير مذكور، ٢٠٠٠م.

جريدة العاصمة، السنة الأولى، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، الأعداد: (٢٩)، (٥٢)، (٥٣)، (٥٦)، (٥٧)، (٦٨)، (٦٩)، (٧١)، (٨٤).

الحصري، ساطع: **يوم ميسلون**. دار الاتحاد، بيروت، بلا تاريخ.

الحكيم، يوسف، **سورية والانتداب الفرنسي**، ط١، دار النهار، بيروت، ١٩٨٣م.

خباز، حنا: **سلسلة الخباز**. ط١، مطبعة علم الدين، القاهرة، ١٩٢٨.

الخطيب، جبر: **العروبة والإسلام في خطاب الحسين بن علي**. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٧م.

الدروبي، سمير: **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**. ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض/١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الدروبي، سمير، **مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨/٢٠٢١م**. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ٢٠٢١م.

الدروبي، سمير: "**من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٥٠)، السنة العشرون، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

دروزة، محمد عزة، **مذكرات محمد عزة دروزة**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

راموز، أرنست أ: **تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨**. ترجمة: صالح أحمد العلي. ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

السكاكيني، خليل: **كذا أنا يا دنيا**. أعدتها للنشر: هالة السكاكيني، ط١، القاهرة، ١٩٥٥م.

الشهبندر، عبدالرحمن: **مذكرات وخطب**. ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م.

الصيرفي، نوال حمزة يوسف: **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**. ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

ظبيان، تيسير: "**فقيدنا البرقاوي**" ضمن كتاب: حسن البرقاوي المربي والإنسان... ذكرى وتحية. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ١٩٩٠م.

العجلوني، محمد علي: ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى. ط١، منشورات مكتبة الحرية، عمان: ١٩٥٦م.

العظمة، عبدالعزيز: **مرآة الشام (تاريخ دمشق وأهلها)**. ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.

عمر، محمد خالد: **الزعيم إبراهيم هنانو (سيرة ومسيرة)**. ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٠م.

العياشي، غالب: **الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا**. ط١، ادلب، ١٩٥٤م.

العزاوي، قيس جواد: **الدولة العثمانية من الخلافة إلى الانقلابات ١٩٠٨-١٩١٣م**. ترجمة: عاصم عبد ربه. ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

فيندوز، فولكهارد: "**اللغة العربية الفصحى والعامية**". مجلة المعلم، وزارة التربية والتعليم، الأردن، السنة (١٥)، ١٩٧٢م.

القاسمي، ظافر: مكتب عنبر **(صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية)**. ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بلا تاريخ.

قدري، أحمد: **مذكراتي عن الثورة العربية**. ط١، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦م.

كالفي، لويس جان: **حرب اللغات والسياسات اللغوية**. ترجمة: حسن حمزة، مراجعة سلام بزي حمزة، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.

كرد علي، محمد، **المذكرات**. طبعة مصورة، دار أضواء السلف، الرياض، بلا تاريخ.

كرومر، اللورد: **مصر الحديثة**. ترجمة: صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم: أحمد زكي الشلق. ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.

كوثراني، وجيه: **بلاد الشام (السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسيّة في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق)**. ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٠م.

لون نغريغ، ستيفن همسلي: **سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**. ترجمة: بيار عقل. ط١، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٨م.

المالكي، منير: **من ميسلون إلى الجلاء (سيرة سياسة)**. ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

المبارك، مازن: **مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٣٧ه/١٩١٩م) (تعريف تاريخي)**. ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق/ ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م.

مجموعة من المؤلفين الفرنسيين: الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب. ترجمة وتقديم وتعليق: عبدالعلي الودغيري. ط١، سلسلة كتاب العلم، الرباط، ٢٠١٣.

محافظة، علي، **الفكر السياسي في الأردن (وثائق ونصوص ١٩١٦- ١٤٤٦م)**. ط١، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٩٠م.

محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ه/١٩٨٠م.

المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١ه/١٦٣٢م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس**. ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨ه/١٩٦٨م.

موسى، سلامة: "**اللغة الفصحى واللغة العامية ورأي السير ولكوكس**". مجلة الهلال، تموز، ١٩٢٦م/ ١٣٤٤م، السنة (٣٤).

نفوسة زكريا سعيد: **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**. دار الإرشاد، القاهرة، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.

وثائق وزارة التربية والتعليم في الأردن، الموظف حسن البرقاوي، إضبارة رقم ٥٨/١١ التي تعود إلى عهد إمارة شرق الأردن، إدارة المعارف العامة (ترجمة حال)، سنة ١٩٢٥م.

تداوليّة الخطاب السّياسيّ الدينيّ في رسالة عمّان

د. باسم يونس البديرات*

ملخص

هَدفَت الدّراسة إلى الوقوف على أبرز عناصر تداوليّة الخطاب السّياسيّ الدّينيّ؛ لما له من أثر فاعل في الحياة البشريّة على جميع مستوياتها، ولما يحتاجه هذا النوع من الخطابات كذلك من احترازات هامّة في عملية البناء اللغويّ من حيث التسلسل والتعالق بين أركانه وحججه ووسائل إقناعه، وذلك من خلال دراسة (رسالة عمّان)، التي تمثّل هذا النّمط من النّصوص، لما تضمنته الرسالة من معانٍ معمّقة حملتها ألفاظ منتقاة، بلغة سهلة تخاطب العقول بجميع مستوياتها، لأنّ مضمونها يعني الجميع بلا استثناء، فكانت مستويات الاستعمال اللغويّ منسجمة مع الغاية التي يحملها النصّ. وكان لمكانة كاتب الرسالة (ملك) ومسؤولياته أثر واضح في لغة الرسالة وتكوينها، لتعبّر عن مسؤولياته الإنجازيّة تجاه قضايا مفصليّة تهمّ الأمّة بشكل خاص والعالم بصورة أوسع.

اتّخذت الدراسة من الوصف والتحليل منهجاً لها، وخلصت إلى نتائج من أبرزها: أنّ معاينة رسالة عمّان تؤكّد أنّها نصّ حجاجيّ بامتياز، قامت في جوهرها على الحوار وبسط الحجج وتسلسلها بدقّة واقتدار، وتقديم الدعاوى ونفيها ببراعة عبر تقنية الانتقاء، وظّف الكاتب فيها النصوص السلطويّة (الشرعية) توظيفا دقيقا للتأكيد على أهميّة الفكرة التي تبناها ودافع عنها.

الكلمات الدالة: التداوليّة، السيميائية، الحجاج، الاستلزام الحواري، أفعال الكلام.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

The Pragmatics of Religious Political Discourse in Amman Message

Dr. Basem Younes Al-Bderat

Abstract

The study aimed to identify the most prominent pragmatic elements in religious political discourse due to its effective impact on human life. The study also aimed to highlight the importance of this type of discourse in the process of language construction in terms of sequence and correlation, and arguments and persuasion throughout the study of RisalatAmman (Amman Massage). The simple language usage in selecting the words and phrases in the massage addressed all minds due to its vitality to all humans, and showed how the linguistic style of the Massage was consistent with its purpose. The position and responsibilities of the Massage's author (King) played an important role in the language and construction of the massage itself which in turns showed how his achievements in several important issues concerned not only local issues but also global ones. By adopting a descriptive analytical approach, the researcher found that the investigation of the Amman Message confirmed that it is a persuasive text based, in its essence, on dialogue to explain arguments accurately and efficiently. Moreover, throughout the use of the selection technique, it was found that the Massage presented the claims skillfully and accurately. Finally, it was found that the writer of the Massage used religious texts carefully to emphasize the importance of the idea adopted in the Amman Message; the tolerance of Islam.

Key Words: Pragmatics, Semiotics, Persuasion, Dialogue necessity, Speech acts.

مقدمة:

تعدّ رسالة عمّان نصّاً لغوياً متنوع الاتجاهات كونه يمثّل الجانب السياسي الديني، إذ وجّهت هذه الرّسالة إلى العالم أجمع في ظلّ انتشار مفاهيم مغلوطة عن الدّين الإسلامي، وظّف أصحابها في بعض الأحيان مفاهيم الدين توظيفا انتقائياً لتحقيق مآرب ذاتيّة متخذين من بتْر النصوص ووضعها في غير سياقتها وسيلة لتحقيق ما يصبون إليه، بمعنى أنّ رسالة عمّان قد كُتبت في ظلّ خضمّ من الإشكاليّات السّياسية التي وظْفتْ مفاهيم دينيّة غير سليمة غطاء لها، فجاءتْ هذه الرّسالة في ظل هذه المستجدّات لتبيّن للنّاس كافّة مدى سماحة الإسلام وبراءته مما علّق به، وأنّه دين للإنسانية جمعاء لا فرق فيه بين عربيّ أو أعجميّ إلا بالتقوى.

ورسالة عمان هي البيان الذي صدر في ٩ نوفمبر عام ٢٠٠٤م، (٢٧ رمضان ١٤٢٥ هـ) من قِبَل جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين ملك المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ممثّلة لموقف جلالته – بحكم مسؤولياته وواجباته القوميّة وانتمائه الهاشميّ– ممّا يدور من أحداث عالمية غريبة في المنطقة وما حولها، داعياً من خلالها إلى التسامح والوحدة في العالم الإسلامي، ومحاربة ما علق بالإسلام من تهم هو بريء منها.

وقد نهضت رسالة عمّان بفكرة أساسيّة قوامها بيان مدى سماحة الإسلام، عضّدها الكاتب بجملة من الفكر الفرعية الداعمة، نحو: محاربة التطرّف الدّيني والإرهاب، ونبذ الهجوم على الدين الإسلامي جرّاء تصرفات فردية، ووحدة أصل الديانات، وتعزيز قيم التسامح، وغيرها.

جاءت الدراسة في مقدمة، ومدخل، وأربعة مباحث، وخاتمة. تناولت في المقدمة الإطار العام للدراسة، وأبرز الدراسات السابقة. وتناولت في المدخل – الذي يعدّ الإطار النظري للدراسة – الخطاب السّياسي الديني من حيث مفهومه ونشأته وعلاقته بالتداوليّة، والعلاقة بين النّص والخطاب، ومدى تحقيق رسالة عمّان – مدونة الدراسة – لمعايير النّصّ الخطابي كالقصديّة، والتضام، والموقفيّة. أمّا المبحث الأول فقد تناولت فيه تداولية العنوان والمفردات في الرسالة وأثرها في ترابط أوصالها وتأكيد فكرتها. وفي المبحث الثاني توقفت الدراسة عند أبرز عناصر الحجاج التداولي في الرسالة، وبيان كيفيّة استدراج المتلقّي من خلال وسائل الإقناع المتنوعة في الرسالة لغة، وأسلوباً، واستشهاداً. وفي المبحث الثالث تناولت الدراسة الاستلزام الحواري، وبيّنت أبرز تقنياته، نحو: التسلسل المنطقي في العرض، والانتظام بالموضوع، واستحضار تقنيات الجذب والتأثير، وتوظيف ما يُعرف تداولياً بـــ(التأدّب الأقصى) في أسلوب الحوار. وفي المبحث الرابع تناولت الدراسة أفعال الكلام في الرسالة،

وحاولت بيان أبرز الدّلالات الإيحائيّة التي تحملها بعض الأفعال متجاوزة بناءها التركيبي شكلا، لتعبّر عن قصديّة الكاتب. أمّا الخاتمة فقد بيّنت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وهناك دراسات أخرى تناولت دراسة جوانب من الموضوع، منها دراسة: العليمات، فاطمة محمد: "الخطاب الإسلامي، دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، رسالة عمّان أنموذجا" المجلّة الأردنيّة في الدّراسات الإسلاميّة، مج(١٠)، ع(٢)، ١٤٣٥/٢٠١٤م، هدفت الدراسة إلى الوقوف على كيفيّة توظيف اللغة في الخطابات الدينيّة بين أفراد المجتمع. ولم أجد في الدراسة تناولاً حقيقيّاً لعناصر التداوليّة في الّرسالة بصورة متكاملة من وجهة نظر الباحث، وإنّما اقتصرت على بيان عناصر الخطاب والاتصال في الرسالة. وهناك دراسة أخرى للتجاني، حلومة: "تداولية العنوان في نماذج من الأوراق النقاشيّة لجلالة الملك عبد الله الثاني" مؤتمر كليّة الآداب، جامعة مؤتة، الأدب واللغة منصة للتفاعل الحضاري، ٢٠١٩م. اقتصرت الدراسة على نماذج من الأوراق النقاشية لجلالة الملك عبد الله الثاني، للوقوف على مدى فاعليّة مناهج تحليل الخطاب في فهم النصوص، وإبراز جمالية العناوين، وعلاقتها بالنّصوص السّياسية تحديداً. حاولت من خلالها استنطاق عناوين هذه الأوراق، وطرح إشكالية الكفاءة التواصلية فيها وعلاقتها بالمتن. ودراسة: الفايز، حمزة نوّاف: "دور الخطاب السياسي الأردني في الدفاع عن وسطيّة الإسلام (رسالة عمّان) أنموذجا، جامعة الشرق الأوسط، قسم العلوم السياسيّة، ٢٠١٧م، هدفت الدراسة إلى التعرّف على دور الخطاب السياسي الأردني في الدفاع عن وسطيّة الإسلام، وإبراز النهج الهاشمي المعاصر في الاعتدال والوسطيّة. وهي أطروحة جامعيّة غلب عليها الطابع الإنشائي، وتخلو من التحليل اللغويّ، ولم تُبرز العناصر التداوليّة في رسالة عمّان. بالإضافة إلى بعض المقالات المنشورة في مجلّة رسالة المعلّم، ركزت في مجملها على المكانة السياسيّة للرسالة، ولم تتطرّق للأبعاد التداوليّة فيها.

مدخل: الخطاب السياسي الديني

يُعرّف الخطاب –بشكل عام– على أنّه رسالة يتمّ توجيهها من طرف المرسل إلى طرف آخر وهو المستقبل، والهدف منها هو إيصال فكرة ما، أو توضيحها، أو شرحها، وقد يكون الخطاب على شكل الاتّصال الشفويّ المباشر من خلال الكلام الذي يتضمّن مجموعة من العبارات والأقوال الإنجازيّة، وقد يكون مكتوباً، وفي هذه الحالة لا يقتضي التفاعل المباشر ما بين المُخاطِب والمتلقي. ونتيجة لاختلاف مصادر الخطاب ومواضيعه، واختلاف نوعيّة الفئات التي يوجه إليها، وعددها، فقد تم تقسيمه إلى عدة أنواع، منها الخطاب السياسيّ الدينيّ، الذي يصدر عادة عن فرد أو جماعة في منصب سياسيّ معين، يهدف بشكل أساسي إلى معالجة قضايا ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين والعقيدة، ويمتاز هذا النوع من

الخطابات بتضمنه عبارات إقناعيّة تتخللها الكثير من البراهين والحجج؛ ليحقق القصديّة التي عادة ما "تتمخّض عنها التواصليّة والفائدة المقصودة"[١].

هناك ترابط وثيق بين الإسلام ونشوء الخطاب السياسي الديني، برز منذ بدايات ظهور الدعوة الإسلاميّة على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، حيث اتّخذ من الخطاب وسيلة لتوصيل مبادىء رسالته الخالدة في مجتمع تربّى على الوثنيّة وعبادة الأصنام، هذا على المستوى الداخلي (الجزيرة العربية). أمّا على المستوى الخارجي فقد تجاوزه إلى ملوك وأمراء العالم المُحيط، فكانت هذه الخطابات وسيلة دعويّة هامّة ذات طابع حجاجي مبني على البراهين والحجج لإبلاغ الناس بدعوة الإسلام لمن يجهل هذه الدعوة ولمن ينتظرها كذلك، وكان المحور الأساسي لهذه الخطابات "أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ"[٢].

وقد زادت العناية بهذا النوع من الخطابات في ظل الدولة العباسية بعد اتساع نطاق الدولة وكثرة الفتن والتحولات السياسيّة، فـــ"ارتبط اسم الخطاب بالسياسة ارتباطاً وثيقاً"[٣]. ولعلّ ما سبق يؤكّد مدى أهمية الخطاب اللغويّ في حياة المجتمعات، فاللغة ليست مجرّد نظام من العلامات، أو مجرّد "أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن حاجاتهم"[٤]، بل هي في الأساس "نشاط تواصلي يقوم على استعمال العلامة اللغويّة لإنجاز أفعال تواصليّة"[٥]. فتأثير اللغة بناء على وظيفتها لا يقتصر على جانب محدد من جوانب الحياة، فهي ذات تأثير عميق في مسالك الحياة جميعها، فللخطاب اللغويّ تأثير في إحداث التغيير الاجتماعي، وفي الانتقال السياسي (السلطة السياسيّة)، بمعنى أنّ اللغة بصورة عامّة جزء من الحياة الاجتماعيّة، فبينها وبين عناصر الحياة الأخرى علاقة منطقيّة جدليّة، وفي كلّ تحليل ثقافيّ تُرجَّح كفّة اللغة، ويتقدّم الخطاب اللغويّ بوصفه الناطق الرسمي باسم المجتمع وقضاياه وظواهره،

---

(١) **شويحط**، إبراهيم أحمد، ومرعي، عبد القادر، **فضّ الشّراكة المفاهيميّة بين النّص والخطاب**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، الجامعة الأردنيّة، مجلد ٤٣، ملحق٤، عدد ٢٠١٦، ص١٤٠٨.

(٢) **الشوكاني**، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ١٤١٤هـــ.

(٣) **برهومة**، عيسى عودة، **تمثلات اللغة في الخطاب السياسي**، عالم الفكر، عدد١، مجلد٣٦، يوليو – سبتمبر، ٢٠٠٧، ص١٢٧.

(٤) **ابن جني**، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ج١، بيروت، عالم الكتب، د.ت، ص٣٣.

(٥) **الحلوحي**، فهيمة، **علم النّص: تحديات في دلالة النّص وتداوله**، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خير- بسكرة- الجزائر، العددان (١٠، ١١)، ٢٠١٢م، ص٢٠٨.

سواء أكان خطابا تداوليا حجاجيا يُتوسّلُ بالاستدلال البرهاني أم كان خطاباً تخييلياً أدبيا يتوسّل بالقيم البلاغية التعبيريّة[1].

ونتيجة لأهميّة اللغة على المستوى التواصلي – نجد حديثاً أنّ السّاحة النقدية قد شهدتْ تطوّرا هائلا في ميدان المناهج التي تناولت اللّغة، ووظائفها، والخطابات وأنواعها وأنماطها؛ محاولةً منها لفهم العملية التّواصلية والعناصر المتحكّمة في إنتاجها ونجاحها، وربّما يعود الفضل في ذلك بصورة مباشرة إلى عالم اللغة (فرديناند دوسوسير) الذي أتاح الفرصة لإعادة التفكير في أثر اللغة والرموز الجمعيّة في الحياة الاجتماعيّة، عندما نظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعيّة. فـ"اللغة ليس بالضرورة أن تكون انعكاساً مباشراً للواقع، ولكنّها تمارس وظيفة أكبر من ذلك في تشكيل الحياة الاجتماعيّة"[2].

ولعلّ التّداولية كانت من أنجع ما توصّل إليه النقد الحديث في تناوله للّغة وعلاقتها بالفكر وطرق تمثيلها له، أي أنّها دراسة اللّغة أثناء ممارستها وفق مقام وسياق ومتلقين معيّنين (مقاصد المتكلم وتلقي السامع للرسالة)، إذ تتخذ من العلوم المختلفة معينا تغترف منه للإحاطة بالعملية التواصلية، فهي لا تقتصر على جانب واحد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا، وهي كذلك لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة بالرغم من أنّها تتداخل معها في بعض جوانب الدرس، منها علم الدلالة، وهو يشارك التداولية في دراسة المعنى، ومنها علم اللغة الاجتماعي، وهو يشارك التداوليّة في تبيين أثر العلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلّم والسّامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغويّ في اختيار السّمات اللغويّة وتنوعها. وكذلك علم اللغة النفسي الذي يشترك مع التداوليّة في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه، والذاكرة، والشخصيّة. وتحليل الخطاب، وهو يشترك مع التداوليّة في الاهتمام أساساً بتحليل الحوار، ويقتسمان عدداً من المفاهيم الفلسفيّة واللغويّة كالطريقة التي توزّع بها المعلومات في جمل أو نصوص، والعناصر الإشاريّة والمبادئ الحواريّة[3].

ولعلّ اتساع رقعة التداولية سابق الذكر وتداخلها مع مختلف علوم اللسان قد شكّل عائقاً أمام وضع تعريف شامل لها يخلو من النّواقص، إلا أنّ معظم الباحثين قد مال إلى أنّ التداولية فرع من علم اللغة

---

(1) **بودرع**، عبد الرحمن، **في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي: قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٤م، ص٦.

(2) **بدوي**، أحمد موسى، **الأبعاد الاجتماعيّة لإنتاج واكتساب المعرفة**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٩م، ١٨٠.

(3) **نحلة**، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعيّة، ٢٠٠٢، ص١٠– ١١.

يبحث كيفيّة اكتشاف السامع مقاصد المتكلّم، أو هو دراسة معنى المتكلّم[١]، فقول القائل مثلا: (هل يمكن أن تناولني الماء) نجد ظاهر كلامه يشير إلى أنّه استفهام، ولكن دلالته (القصد) الطلب، وبذلك ينتقل المتكلّم من المعني المُصرّح به إلى المعنى المستلزم خطابيا. لذا يبدو لي أنّ أقرب التّعريفات إلى طبيعة التداوليّة واتجاهاتها "هو دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصّلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، ولا السامع وحده"[٢]، ولعلّ مقبوليّة التعريف السابق نابعة أساسا من أنّ صناعة المعنى – أساس التّواصل – تتمثّل في تداول اللغة بين المتكلّم والسّامع في سياق محدد قد يكون ماديّاً أو اجتماعيّاً أو لغويّاً؛ وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.

انطلاقاً من مفهوم التداوليّة سالف الذكر نجد أنّها قد تجاوزت في دراستها للغة حدود الجملة إلى النّصّ، فالجملة الضّيقة التي نالت عناية فائقة في المدارس اللغويّة القديمة بوصفها أعلى وحدة لغويّة محوريّة انطلاقاً من كونها وحدة نظريّة نظاميّة إطارها اللغة، تنطلق من كفاءة لغويّة مرتبطة بتمام المعنى المقصود، فأصبح مفهومها عندهم "ما يَحسنُ السّكوت عليه، وفيه تمامُ المعنى"[٣]. في حين نجد أنّ الاتجاهات اللسانيّة الحديثة قد تجاوزت ذلك إلى وحدة كبرى هي النّص، على اعتبار أنّه "وحدة إجرائية استعماليّة إطارها الكلام، تنطلق من إنجاز لغوي أو كفاءة تواصليّة"[٤].

فقد حُدد النّص بأنّه "فعل لغوي معقّد يحاول المتكلّم أو الكاتب أن يُنشئ من خلاله علاقة تواصليّة معينة مع السامع أو القارئ[٥]. ومعنى ما سبق أنّ مفهوم النّص في الدرس اللسانيّ الحديث لم يعد يقتصر على وحدة نحوية دلاليّة ينتظم عناصرها اتّساق نحويّ وانسجام فكريّ موضوعي ومقصد عام وإنجاز كلامي تنتظم فيه أفعال الكلام الموجودة فيه كلّها، وإنّما دخلت في النظر إلى مفهومه مباحث أعلى تكشف عن بنياته الكبرى، كأجناس الخطاب وأنماطه وغيرها من المجالات التي تتداخل فيها مباحث لسانيات النّصّ وتحليل الخطاب فيما بينها، "فكان مفهوم النّص فتحاً كبيراً خلّص البحث اللساني من وطأة الجملة، وسمح كذلك بالانفتاح على الخطاب في أجناسه وأنماطه المختلفة"، فالخطاب يحمل

---

(١) يُنظر حول هذه التعريفات: **صحراوي**، مسعود، **التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٢) **نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص١٣.

(٣) **سيبويه**، أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ج٢/ص ٨٨.

(٤) **الحلوحي، علم النّص، تحريات في دلالة النّص وتداوله**، ص٢٠٨.

(٥) **برينكر**، كلاوس، **التحليل اللغوي للنّص– مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج**، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٥.

في طيّاته النّص اللغويّ في بنائه وتماسكه، ويزيد عليه بإدماج أطراف التّخاطب ومقاصد الخطاب وظروف الزمان والمكان التي تنجز فيها أفعال الكلام. وأصبح من مهام نحو النّص رصد بناء النّصوص ونَسْج الخطاب في مقام معيّن، حتى يحقق للنّصّ أغراضه التداوليّة، ويكشف عن التناسب بين بنية النّص وظروف إنجازه[١].

فالعلاقة التي تربط بين النّص والخطاب علاقة وثيقة، فمهما حاولت بعض الدراسات الحديثة الفصل بين المفهومين[٢]، إلا أنّهما وجهان لعملة واحدة مفهوماً ووظيفة، فأصبح المنظور التداولي (البرجماتي) للنص أو الخطاب على حدّ سواء يستند إلى النظرية التواصلية التي تقوم على نظريّة الفعل الكلامي التي نشأت أساساً خدمةً لدراسة تداوليّة الخطاب، وكذلك الحال بالنسبة للنّص في تصوّر (جلينتس وشميث وسانج) هو فعل كلامي يحقق التفاعل والاتصال الاجتماعي، "لذا تحوّل الاهتمام المنصب على الكفاءة اللغويّة للنص إلى الكفاءة التواصلية"[٣].

فتحليل الخطاب اللغويّ لا يمكن تحققه إلا بشرط المرور على طريق لسانيات النّص، لما بين الاثنين من تعالق على المستوى الدّلالي والتركيب، فنجد (فان ديك) ينظر للنّص "بوصفه فعلاً للكلام أو بوصفه سلسلة من أفعال الكلام، كما يرى أنّه يمكن تحليل النّص على أنّه متوالية من أفعال الكلام مثلما يُحلّل على أنّه متوالية من الجمل"[٤]، وعليه فإنّه يُنظر إلى لسانيات النّص على أنّها مرحلة في بناء الجسم اللغويّ للنّصّ، فإن لم يتحقق شرط البناء اللغويّ المتماسك الذي يؤلّف بين أجزاء النّصّ المُنجَز ومؤلّفاته، فلا يُتصوّر قيام خطاب يستحقّ التحليل، ومعنى ما سبق أنّ "بناء النّص أكبر رافد لقيام الخطاب"[٥]. فلتحليل الخطاب جذور متينة في لسانيات النّصّ التي لم تقتصر على أشكال نصيّة بعينها، وإنّما تجاوزت إلى "المحادثات اليومية والأحاديث العلاجيّة، والمواد الصحفية والحكايات والقصص، ونصوص الدعاية والخطب وغيرها"[٦]. فمهمة لسانيات النّص وصف العلاقات الداخليّة والخارجيّة

---

(١) **بودرع، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي**، ص٨-٩.

(٢) يُنظر: **شويحط**، إبراهيم أحمد، ومرعي، عبد القادر، **فضّ الشّراكة المفاهيميّة بين النّص والخطاب**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، الجامعة الأردنيّة، مجلد ٤٣، ملحق٤، عدد ٢٠١٦.

(٣) **الحلوحي، علم النّص: تحريات في دلالة النّص وتداوله**، ص٢٠٨.

(٤) **عمران**، قدور، **البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني**، علم الكتب الحديث، بيروت، ٢٠١٢ص٦٢.

(٥) **بودرع، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي**، ص٩.

(٦) **فان دايك، علم النّص: مدخل متداخل الاختصاصات**، ترجمة: سعيد بحيري، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١،، ص١١.

للأبنية النصيّة بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستعمال اللغة، كما يتمّ تحليلها في العلوم المتنوعة[١].

وعند مطالعة رسالة عمّان موضوع الدراسة نجدها قد حققت مفهوم النّص الخطابيّ، فقد بدأت الرسالة على النسق المعهود من القِدَم في هذا النوع من النصوص، فبدأت بالبسملة، والافتتاح المعهود، وختمت بالسلام، وقد حققت الرسالة بذلك أبرز معايير النص الخطابي كالموقفيّة، والإعلاميّة، والقصديّة، والسّبك، وذلك لأنّها شكّلتْ وحدة اتصاليّة إنجازيّة في إطار موقف، ذات معنى، الهدف منه تحقيق الإعلامية والقصدية، لأنّ الخطاب في الموسوعة اللغويّة "هو علاقة لغويّة تتجسّد بالكتابة أو المنطوق، وهي وجهان: أحدهما يمثّل المستوى السطحي للنّص بواسطة الدوال، وثانيهما المستوى العميق للنّص الذي يمثل المدلولات"[٢].

من هنا سعت الدراسة إلى الوقوف على أبرز عناصر تداوليّة الخطاب السياسي الدّيني؛ لما له من أثر فاعل في الحياة البشريّة على جميع مستوياتها، ولما يحتاجه هذا النوع من الخطابات من احترازات هامّة في عملية البناء اللغويّ من حيث التسلسل والتعالق بين أركانه وحججه ووسائل إقناعه وغيرها، وذلك من خلال دراسة (رسالة عمّان)، التي تمثّل هذا النمط من النصوص، وذلك لما تضمنته من معانٍ معمّقة حملتها ألفاظ منتقاه بلغة سهلة تخاطب العقول بجميع مستوياتها، لأنّ مضمونها يعني الجميع بلا استثناء، فكانت مستويات الاستعمال اللغويّ منسجمة مع الغاية التي يحملها النصّ. فاللغة هي وسيلة التفاهم بين البشر، لذا يقتضي وصولها بصورة واحدة مُفصِحة بذاتها عن معانيها، خاصة إذا كانت صادرة هذه اللغة عن ملك يعتبر صاحب مسؤوليات متعدّدة، مهمته تفرض عليه أن يشكّل خطاباته وفق المتلقين ووفق السياقات التي ينتج فيها الكلام، باعتبار أنّ اللّغة التي يستخدمها المتكلم لا تعبر عمّا يختلج النفس أو ما يدور بأخلاد النّاس بقدر ما هي تعبير عن مسؤولياته تجاه قضايا مفصلية تهمّ الأمّة بشكل خاص والعالم بصور أوسع.

وستتوقّف الدّراسة عند أبرز مفاهيم التداوليّة في رسالة عمّان، التي تمثّل نمطاً من أنماط الخطاب السياسي الديني بصورة واضحة؛ كونها صادرة عن شخص له مكانته السياسيّة في العالم، وتناولت قضيّة مرتبطة بالعقيدة ارتباطا وثيقا. واقتصرت الدراسة على بعض المفاهيم التداوليّة التي تجلّت في الرسالة مدونة الدراسة، وهي: السيميائيّة (تداوليّة العنوان، والمفردات)، والحجاج، والاستلزام الحواري، وأفعال الكلام، مفصّلة في مباحث مستقلّة على النحو الآتي:

---

(١) **فضل**، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، عالم المعرفة، ص٢٤٧.

(٢) **الحلوحي، علم النّص: تحريات في دلالة النّص وتداوله**، ص٢٢٢.

المبحث الأول: السيميائيّة

يُقصد بالسيميائيّة دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، بمعنى أنّ السيميائيّة في حقيقتها كشف واستكشاف لعلاقات دلاليّة غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة[١]، ولاستكشاف هذه العلاقات نجد أنّ اللسانيات الحديثة تنطلق من فرضيّة أنّ الخطاب في الأساس يمكن تحديده، "بأنّه مركّب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق"[٢]، وتُكوِّن هذه الجمل بالأساس من كلمات مفردة تنشأ بينها علاقة استدعائية، نتيجة الاستعمال المتكرر، تصل أحياناً إلى حدّ الإلزام، فإذا ذُكرتْ اللفظة الأولى، فإنّها بصورة تلقائية تستدعي معها الأخرى التي تتصاحب معها، وهو ما يُطلق عليه في الدراسات اللغويّة الحديثة اسم (التّصاحب الدلالي)، أو (التّصاحبات المعجميّة)[٣]. فإذا ذُكِرتْ كلمة (امرأة) على سبيل المثال يتبادر إلى الذهن مباشرة مصاحباتها نحو: العاطفة أو البكاء. وكذلك الحال بالنسبة لكلمة مثل (يهودي)، تستدعي مصاحباتها كالطمع والبخل والمكر والخديعة[٤].

وبناء على طبيعة تكوّن النّص أو الخطاب (الكلمات المفردة)؛ فإنّ الفهم المعتاد له ينطلق تقريباً من أنّ القارئ يتلقى أولاً عناصر مفردة منه كالكلمات وغيرها، فيقوم المتلقي بدوره بمعالجتها، ليصل عبر عمليات متعاقبة من دمج وحدات النص المفردة تدريجيا إلى فهم معانيه الجزئيّة أولا ثم يتوصّل إلى الفهم الكلّي لمعنى النّص[٥]. وكذلك الحال بالنسبة لنصّ رسالة عمّان الذي نحن بصدده له دلالات كبرى لا يمكن التوصُّل إليها إلا بالوقوف عند دلالاته الجزئيّة التي تتحقّق على مستوى الكلمات المفردة ودلالاتها الجزئيّة، وكذلك الحال عند تراكيبه وجمله وفقراته، بمعنى مكوناته الكليّة.

ومع أنّ الكاتب قدّم نصّا يمتاز بالسهولة، ولم يقدّم نصّاً صعباً ولم يفترض مسبقا قارئاً على درجة عالية من الثقافة والمعرفة، إيماناً منه (أنّ لكلّ مقام مقالاً) إلاّ أنّه صاغه بطريقة تجعل القارئ يصل إلى قناعة كبيرة للفكرة التي دافع عنها – سماحة الإسلام – وحشد لها جملة من التقنيات

---

(١) **بنكراد**، سعيد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢م، ص١٥.

(٢) **أبو غزالة**، إلهام، وحمد، علي خليل: **مدخل إلى علم لغة النّص، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٢٥.

(٣) **عبابنة**، يحيى: "**عناصر دلالة النّص وتحدّي الشكل**"، **قراءة في نص شعري لمحمد القيسي**، مجلّة أفكار، ٢٠٠٣، ص١١.

(٤) **عمر**، أحمد مختار، **علم الدلالة**، ط٧، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٧.

(٥) **الفقي**، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ص٣٨٠.

الإقناعيّة، موظفاً النصوص السلطويّة (الشرعيّة) بكثافة، والتدرج المنطقي في عرض الحجج، والتعالق الشديد بين العلاقة والسبب، وغيرها، فصوّر المعنى الكلّي للنّص (سماحة الإسلام) من خلال العنوان ودلالته، ومن خلال بعض دلالة المفردات وما تحمله من قيم تداوليّة موضّحة على النحو الآتي:

١- تداوليّة العنوان

يُعدّ العنوان المدخل الأساس الأول الذي يواجهه القارئ عند طرق أبواب النص (فهو عتبة النّص). ولم تعد دلالة العنوان مقتصرة على الأعمال الأدبية، بل أصبحتْ سمة بارزة في جميع أنواع النصوص اللغويّة التي تحمل دلالة معينة؛ فغدا أوّل الأدوات المُعينة على سبر أغوارها والدخول إلى مظان معانيها المرادة، ولملمت تشعباتها المختلفة[١]، وكل ذلك عن طريق منهج تفكيكي تأويلي للعنوان ومكوناته اللفظيّة، مع ضرورة مراعاة المتلقّي أثناء التفكيك والربط قضيّة أنّ العناوين لا تجري على وتيرة واحدة مطردة من الغموض والوضوح، أو من التصريح والتلويح؛ إذ إنّ بعض العناوين تُحتَجب الدلالة فيها خلف مؤشرات رمزية، تتجاوز المعاني الأول إلى المعاني الثواني، بل إنّها قد تنفتح بطابع العلامة الإيحائي على ما بعد ذلك من متتاليات معنوية[٢].

كما أنّ فهم القارئ لعناوين النصوص اللغويّة (أدبيّة أو غير أدبيّة) أو استجابته لها لا بدّ من أن ينسجم انسجاماً تاماً وثقافته وميوله. وفي هذا الأمر دلالة لدى الكثير من الباحثين[٣] على أنّ المتلقي لم يعد يقتصر أمره في تلقي النصوص اللغويّة على أنواعها المختلفة على الاستقبال أو الاستهلاك فقط، بل أصبح دوره دور المنتج الفاعل والشريك الرسمي الرائد في إنتاج النّص. فالشعراء – على سبيل المثال – حين يضعون عناوين لشعرهم، فإنّهم يقصدون دلالة وهدفاً، ويحمّلون العنوان جزءاً أساسياً من رسالة النّصّ، وقد خُصّت وظائف العنوان في ثلاثة أمور، هي: التحديد والإيحاء ومنح النّصّ الأكبر قيمته، بالإضافة إلى أنّ العنوان يفتح شهية المتلقي للقراءة[٤].

وقد اختار جلالة الملك عبد الله الثاني لرسالته عنوانا يرتبط بمضمون النّص ارتباطا وثيقا، وهو (رسالة عمّان)، وهو عنوان مكوّن من مقطعين مورفيميين، الأول (رسالة) وهي مفردة تحمل دلالة

---

(١) **بلعابد**، عبد الحق: **جيرار جينيت من النصّ إلى المناص**، ط١، بيروت: الدار العربيّة للعلوم، ٢٠٠٨، ص٦٥.

(٢) **عليان**، مصطفى: "**سيميائيّة العنوان في مجموعة صور ومواقف من حياة الصالحين/ الصالحات**"، مجلّة إسلاميّة المعرفة، عدد ٥٨، ٢٠٠٩، ص١.

(٣) **السعافين**، إبراهيم، **إشكاليّة القارئ في النقد الألسني في نظريّة الأدب ومغامرة التجريب**، ط١، القدس: دار الشروق العربيّة للنشر، ١٩٩٣، ص٥.

(٤) **الرواشدة**، سامح، **إشكالية التلقي والتأويل**، أمانة عمّان الكبرى، الأردن، ٢٠٠١، ص٩٦.

تراثية دينية مفادها التوجيه والتنوير، وإزالة الغشاوة التي قد تنتاب الإنسان نتيجة التأثير الخارجي أو الجهل أحيانا؛ فغالباً ما ارتبطت النصوص التراثية التي تحمل عناوينها لفظة (رسالة) بالتوجيه ونقل القيم والتقاليد والأفكار الحضاريّة والاجتماعيّة والفكريّة والعقديّة[1]، والثاني منهما (عمّان)، وهي العاصمة التي تحمل دلالة المركزيّة والعموميّة في الوقت ذاته، فكثيراً ما تُعرف الدول بأسماء عواصمها، لتنتقل للآخر فكرة مفادها أنّ هذه الرؤية لا تقتصر على المتكلم وإنّما تشمل كلّ من يمثله بحكم القيادة والسلطة، وما يترتب عليها من مسؤوليات وأفعال لا بدّ من إنجازها، خاصّة أنّها صادرة عن ملك هاشميّ النّسب، ارتبطتْ مسؤولياته بالدرجة الأولى بحماية المقدسات والذود عن حمى الإسلام، فأضفى الإسناد الاسمي على الاسم الأول (رسالة) خاصيّة التعريف من جهة المعنى النحوي[2]، وأعطى هذا بدوره المضاف (رسالة) دلالة المركزية في التوجيه من حيث المعنى الدلالي.

٢- تداوليّة المفردات:

على الرغم من أهمية المفردات في سبر أغوار النصوص اللغويّة وكشف كنهها إلا أنّه لا بد من تجاوز المعاني الضيقة لهذه المفردات في بعض الأحيان وربطها في سياقاتها اللغويّة، "لأنّ اللغة في ماهيتها ليست إلا نَظْما من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً تحتمه قوانين معينة لها"[3]. بمعنى أنّ الوصول إلى هذه المعاني - المُضمّنة في النصوص على اختلافها - يحتاج من القارئ أحياناً تجاوز الحدود الضيقة للمفردات أو حتّى الجمل، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا على مستوى التركيب بأكمله، وهو ما راعاه البلاغيون العرب بصورة جليّة في بيانهم كيفية معالجة التراكيب، مراعين جانب المعنى بشكل كبير. وأبرز من التفت إلى هذا الجانب وأولاه عناية فائقة هو عبد القاهر الجرجاني، الذي أخرج نظريتهُ (النظم) معتمداً على علم النحو. فقد شبّه نظم الكلام وترتيب الكلمات بنظم اللؤلؤ والجوهر معتمداً على الذوق من جهة وعلى العقل من جهة أخرى[4]. فالنّص اللغويّ – بغض النظر عن نوعه – عند الجرجاني لا يمكن فيه الفصل بين الشكل والمضمون، ولا يمكن النظر فيه إلى كلّ جزئيّة

---

(1) **مقابلة**، جمال، **رسالة سهل بن هارون "في البخل" قراءة في الحجاج**، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد ١٦، عدد، ٢٠١٩، ص٨١.

(2) **السامرائي**، فاضل صالح، **معاني النحو**، دار الفكر، عمّان، ١٩٩٩، ج٣، ص١٢٣.

(3) **مراد**، وليد محمد، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣، ص١٩٣- ١٩٤.

(4) **الجرجاني**، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمد رشيد رضا، مصر: مطبعة المنار، ١٣٣٠هـ، ص ٦٤.

بصورة منفصلة بذاتها، لكن ينبغي النظر إليه على أنّه جديلة واحدة مضفورة من الألفاظ والمعاني، توصل إلى الآخرين قصديّة المبدع من معان بصورة بلاغيّة بارعة. فقد جاء عنده في تفسير "النظم" وأسراره ودقائقه ما يوحي إلى مذهبه ومقصده من ذلك بقوله: "واعلم أنّ ههنا: أسراراً ودقائقَ، لا يُمكن بَيانُها إلاّ بَعْد أن تقدم جملةً منَ القول في (النَّظم) وفي تفسيرهِ والمُراد منه، وأيِّ شيءٍ هو؟ وما محصولُه ومحصولُ الفضيلةِ فيه؟"[١].

لعلّ هذه المفردات التي سنتناول دلالتها التداولية في الرسالة لا ينطبق عليها مفهوم (مفاتيح النّص) انطباقاً تاماً، لكون هذه الكلمات المفتاحيّة – من وجهة نظر الدراسات اللسانيّة الحديثة – تعين القارئ بالدرجة الأولى على كشف مواطن التعمية والغموض التي قد تنتابه في بعض الأحيان، وذلك لكون لغة رسالة عمّان قد امتازتْ بالسّهول والوضوح كما أشرنا سابقا، فالخطابات ذات الطابع السياسي كثيراً ما تخلو من اللغة الإبداعيّة، إلا أنّها كبقيّة النصوص تحتاج إلى تأمّل أو فكّ شفرة، كما تحتاج إلى متلقٍّ بارع من خلال الاستدلال المنطقي[٢]، من هنا وقع اختيارنا لهذه المفردات لكونها تحمل أبعاداً تداوليّة وظّفها الكاتب لعضد الفكرة الأساسيّة التي بنى خطابه عليها.

ومن هذه المفردات لفظة (بيان) افتتح الكاتب فيها خطابه، بقوله "هذا بيان للناس، لإخوتنا في ديار الإسلام، وفي أرجاء العالم"، وجعلها خبراً لمبتدأ (هذا)، وهو اسم إشارة يحمل أعلى درجات التعريف في اللغة العربية، وجعل نعتها شبه جملة (للناس)، ونعت النكرة فيه إفادة التخصيص لا التعريف، واستعمال لفظة (الناس) تبيّن أنّ الكاتب قد بدأ بالعام، ثم انتقل إلى الخاص (إخوتنا في ديار الإسلام، وفي أرجاء العالم)، ولعلّ انتقال الكاتب من العام إلى الخاص فيه جذب انتباه للقارئ أيا كان لينتقل بعدها إلى تفصيل هذا العام بقسميه: المسلمين، وبقيّة العالم.

وتتبع أهمية لفظة (بيان) في الرسالة في قوله (هذا بيان للناس) أنّها تشكّل تناصاً واضحاً مع قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، أي أنّه بيان للناس عموماً، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً، وهو كذلك دلالة ظاهرة، تبيّن للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة. وفي قوله (وهدى وموعظة للمتقين) لأنّهم هم المنتفعون بالآيات فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي، وأمّا باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم به عليهم الحجة من الله، ليهلك من هلك عن بينة[٣].

---

(١) **الجرجاني، دلائل الإعجاز**، ص٨٠.

(٢) **برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي**، ص١٢٤.

(٣) **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠،ج٧/ ٢٣٢.

ومن المفردات التي تحمل دلالة تداولية في النّص وتشكل حلقة وصل في تأكيد فكرته لفظة (المُنعطَف) في قوله: "تصارح فيه الأمّة، في هذا المُنعطَف الصعب من مسيرتها"، والمنعطف في حقيقته الاستعمالية بمعنى: مُنْعَطَفُ الطريق: مُنْعَرَجُهُ ومُنْحَنَاهُ. ومنه منعطف الوادي، ويُقال: منحنى الوادي أو الطريق منعطفه، دلالة على صعوبتها[1]. وربّما استعمال هذه المفردة من باب المجاز دلالة على صعوبة المرحلة التي تمرّ بها الأمة بدليل نعته للمنعطف بـــ(الصعب)، وهذا النوع من المجاز يُطلق عليه في علم الدلالة مصطلح المجاز الحفري "وهو النوع الذي يفقد مجازيته ويكتسب الحقيقة من الألفة وكثرة التردد في الاستعمال"[2]. فالتداوليّة تعنى أشدّ العناية بانتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح، فتنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المُسبقة ومن الأقوال المُضْمرة. بمعنى أنّ الكلمات قد يتغيّر معناها كثيراً في لغة الخطاب وفقاً لطبيعته، ونسبة إلى المعنى الذي يريد إيصاله المُخَاطِب إلى المُخَاطَب[3]. فأصبحنا نتداول في الحياة اليوميّة عبارات نحو: منعطف فكري، ومنعطف حضاري، ومنعطف سياسي وغيرها، إلا أنّها جميعها تحمل فكرة التحديات التي تواجه الفرد أو الجماعة. وترتبط هذه المفردة ارتباطاً وثيقاً بالتحديات التي أصبحت تواجه الأمة وعلى رأسها التطرّف الديني.

ومن المفردات التي تحمل كذلك دلالات تداولية في النّص لفظة (الانخراط) بقوله: "إنّ هدي هذا الإسلام العظيم الذي ننتشرّف بالانتساب إليه يدعونا إلى الانخراط والمشاركة في المجتمع"، وتبرز تقنية الانتقاء بصورة جليّة في هذا الموطن، إذ لم يختر الكاتب لفظة أخرى ربما تحمل معنى قريباً من ذلك نحو: نشارك، أو نساهم أو غيرها، ففي استعمال لفظة (الانخراط) دلالة على أقوى درجات المساهمة في البناء والنماء البشري، بمعنى قوّة الإيحاء، وهي واحدة من الأفعال الإنجازيّة التي تقتضي تنفيذا عملياً. وفي المكونات الداخليّة لهذه الكلمة أيضا تبرز القيمة الدّلاليّة للصوت أي (الفونيم)، وهي قيمة لا تخفى على أحد ابتداء من الخاء، إلى الراء وانتهاء بالطاء، على أساس أنّ "الفونيمات تقوم بدور فاعل في تحديد دلالات الكلمات"[4].

ومن المفردات التي تحمل دلالة تداوليّة في النّص، ووظّفت كذلك توظيفا تداولياً ناجحا متناسقا مع موضوع الخطاب (رسالة عمّان)، لفظة (الهُويّة) بقوله: "مدركين ما تتعرّض له من تحديات تهدد

([1]) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، القاهرة، ١٩٦٠م، ج١، ص٢٠٤،

([2]) **عمر، علم الدلالة**، ص٢٣٨.

([3]) **برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي**، ص١٣٠.

([4]) **أبو الفرج**، محمد أحمد، **مقدمة لدراسة فقه اللغة**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٩م، ص١٣٢ وما بعدها.

هويتها وتفرّق كلمتها"، فالهُوِيّة لفظة معاصرة شاع استعمالها في الآونة الأخيرة كثيراً، تعني مجمل السمات التي تميّز شيئاً عن غيره، أو شخصاً عن شخص، أو مجموعة عن غيرها. بمعنى أنّ الهُوِيّة: "هي ما يشخّص الذات ويميزها"[١]، وقد جاءت لفظة (هُوِيّة) مقترنة بالفعل (تهدد) فهي مفعوله، والتهديد غالبا ما يكون للبشر لغاية التخويف أو غيره، إلا أنّ الكاتب ربّما قد أنسن (الهُوِيّة) في هذا الموضع لكونها تعدّ من أبرز الخصائص المميزة للإنسان عن غيره، ولأهميتها في تلاحم المجتمع ووحدته، وترتبط بالدين ارتباطا وثيقا، إذ يُعد من أبرز مكوناتها، وخير دليل على ذلك أنّ هُوِيّة الأمة الإسلاميّة – على سبيل المثال – لم تتحدد إلا بوجود الدين الإسلامي "فقد كان له (الإسلام) دور محوريّ في تكوين الأمة والثقافة العربية وتحديد هويتها"[٢]. غير أنّ هذا المكوّن الهام يتعرض اليوم لأبشع الهجمات، لأسباب منها تصرفات فردية – من أبناء الأمّة أو من غيرهم – لا علاقة له فيها، وبذلك يتضح التوظيف الدقيق للمفردة مع موضوع الخطاب بصورة تلاحميّة تعزز الفكرة الأساسيّة له. وقد أخذ الكاتب على عاتقه إثبات الهُوِيّة والحفاظ عليها في ظلّ التنوع الذي يصل حدّ الاندماج بفعل العولمة.

ومن هذه المفردات أيضا لفظة (شجرة) بقوله: "شجرة الحضارة تذوي عندما يتمكّن الحقْد وتنغلق الصدور"، فرمزيّة الشجرة حاضرة في الاستعمال اللغويّ – التراثي والمعاصر – للتعبير عن الحياة والنماء، وجعلها مضافة إلى كلمة (حضارة)، وبذلك خصص الكاتب دلالتها، لأننا كثيراً ما نستعمل في الوقت الحاضر لفظة شجرة مضافة إلى مفردات تعطيها دلالة معيّنة، بسبب العلاقة التلازميّة بين المضاف والمضاف إليه نحو: شجرة العائلة، وشجرة الحياة، وغيرها. ولعلّ هذا الإسناد الذي وظّفه الكاتب يُعدّ خرقاً لغوياً عمّا هو معتاد، و"ينبغي على كلّ متلقٍ أن يفسّر تلك الخروق التي يرتكبها المنشئ أو يقع فيها، والضمنيات الخطابيّة التي تحملها،..... وما تلك الصعوبات في الحقيقة إلا أساس يقوم عليه الفعل التأثيري الذي يرمي الخطاب إلى تحقيقه"[٣]. ويبرز عندها دور السياق في تحديد النمط التّداولي المقصود من المفردة إيجاباً أو سلباً. فاستعمال كلمة (شجرة) مضافة إلى لفظة (الحضارة) جاءت حاملة إيحاءات وخصوصيّة معينة، منحت الكاتب مساحة بالتعبير عن مدى خطورة الحقد على الإنسان ومن حوله، بما يتنافى مع النماء والعطاء الذي حثّ عليه الإسلام. وهذا الأمر يؤكّد فكرة أنّ

---

(١) **الدوري**، عبد العزيز، **الهُوِيّة الثقافيّة العربيّة والتحديات**، مجلة المستقبل العربي، م١٠/٩٩/ ص٦.

(٢) **الدوري**، **الهُوِيّة الثقافيّة العربيّة والتحديات**، ص٦.

(٣) **الزليطني**، محمد لطفي، **نحو منهج تداولي في تحليل الخطاب الأدبي**، مجلة الدراسات اللغويّة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، مجلد(١٥)، عدد (٣)، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، ص٨٩.

الكلمات في الخطابات ذات الطابع السياسي، "هي أسلحة، أو مهدئات، أو سموم نطرحها من خلال هذه الألفاظ المستعملة"[1].

ومن المفردات التي تحمل دلالة تداوليّة في النص كذلك لفظة (التطرّف)، والتطرّف مفردة معاصرة، تعني "المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطِر مدمِّر للفرد أو الجماعة"[2]. وتعدّ من المصطلحات القمعيّة التي شاع استعمالها حديثا، وتحمل دلالة واحدة، وهي تبنّي أفكار أو إيديولوجيات أو معتقدات متشددة، فأصبحنا نستعمل في لغة التخاطب: التطرّف الأخلاقي، والتطرّف السياسي، والتطرّف المذهبي، وغيرها. وقد وظّف كاتب الرسالة هذه المفردة بقوله: "التطرّف تسبب عبر التاريخ في تدمير بنى شامخة في مدينات كبرى، غير موصوفة – لأنّ نعت المعرفة يوضحها، ونعت النكرة يخصصها – للدلالة على خطورة التطرف والمغالاة أيّا كان نوعه بلا تحديد، وهي كذلك بما يتنافى مع مبادئ الإسلام وتسامحه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ (البقرة: ١٤٣).

ومن المفردات التي تحمل تداوليّة في النّص، وترتبط دلالتها بمضمون الرسالة ارتباطا وثيقا لفظة (التّشنّج) بقوله: (وتبعدهم عن مهاوي التطرّف والتشنّج المدمرة)، والمعنى المعجمي لهذه الكلمة "أَخْذُ الشيءِ ورَبْطُه، ومنه مَشْيُ المُقَيَّدِ والجَمْعُ بينَ القَوائِمِ للوُثوبِ ونحوِه"[3]. وهو معنى يشير إلى البطء بالحركة، أو ربّما الثبات أحياناً، وهي مصدر للفعل تشنّج، ولا يخفى ما للمصدر من دلالة على الثبوت بعكس الفعل، فعالق الكاتب بين البناء (المصدر) ودلالته في الخطاب، لأنّ مجمل هذه السلوكات التي حذّر منها الكاتب تتنافي مع تعاليم الإسلام ومبادئه القائمة على الانفتاح على الآخر، والأخذ من مختلف الآراء والأفكار بما يتناسب مع قيمه وروابطه.

وقد أكثر الكاتب – بشكل بارز أيضاً – من استعمال المفردات التي جاءت في سياقات متنوعة مختلفة الجذور اللغويّة، متقاربة في دلالتها مؤكدة للفكرة الأساسيّة للنّص (التسامح الديني)، موزعة بين الاسميّة والفعلية نحو: الرفق، واللين، والرحمة، والاحترام، وعفا، وأصلح، واعدلوا، وغيرها. إنّ هذه الألفاظ كانت ذات حمولة دلالية عالية، وتتضمن قيماً إنجازية لاقترانها بأفعال إنجازية انتشرت في معظم مفردات الخطاب الفعلية.

---

(1) **مكدونيل**، ديان، **مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة عزّ الدين إسماعيل**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٤٨.

(2) **عمر**، أحمد مختار، وآخرون، **معجم اللغة العربيّة المعاصرة**، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٨، ج٢/ ص١٣٩٦.

(3) **الفيروزآبادي**، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، ج١/ص٧٧٨.

المبحث الثاني: الحجاج

لقد تعددت تعريفات الحجاج في الدراسات اللسانية الحديثة عند الباحثين، إلا أنّها تكاد تتفق على أنّه مجموعة من الخطوات التي يتبعها المتكلّم للتأثير بالمتلقي لتبني موقفاً معيّناً، بالاعتماد على تمثّلات حجاجيّة ذهنية مجردة أو حسيّة ملموسة تهدف إلى البرهنة على صلاحيات رأي أو مشروعيّته[١]. بمعنى أنّ الحجاج يسعى إلى الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب، فهو فعاليّة تداولية جدلية ديناميكيّة فعّالة[٢].

فالغاية الأساسيّة للحجاج جعل العقول تُذعن لما يُطرح عليها، وجُعل أنجح أنماط الحجاج وأقواها ما زاد درجة الإذعان لدي المُتلقين بصورة تدفعهم إلى العمل المطلوب إنجازه، أو الإمساك عنه، أو هو ما وفّق على الأقل في "جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[٣]. فكان التركيز منصبا على تحديد تقنيّات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من آراء وأفكار، وبناء على ما سبق فقد حددت مراحل لبناء الخطاب الحجاجي ليتحصل على مراده من الإقناع: المرحلة الأولى تحديد مصادر الأدلّة، والثانية ترتيب أجزاء القول، والثالثة مرحلة الصياغة الأسلوبية، وأخيرا مرحلة الإلقاء[٤].

ولأهميّة مسألة الحجاج في العملية التخاطبية نجدها قد نالت عناية فائقة عند الفلاسفة والمناطقة منذ العهد الإغريقي، انطلاقاً من عنايتهم بالجدل القائم أساسا على التأثير والإقناع، فنجد سقراط على سبيل المثال قد دافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك السليم للوصول إلى الحقيقة معتمدا في ذلك على العقل والجدل التوليدي والبرهان. والأمر ذاته نجده عند أرسطو طاليس الذي تناول البلاغة من منظور حجاجي من خلال مؤلفه (الحجج المشتركة) الذي يعدّ محاولة جادة للتأطير للحجاج وبيان مجالاته وأسسه وموضوعاته من خلال الأفعال الإنسانيّة التي تتسم بالغموض ولا تلتزم بقاعدة أو فنّ منتظم[٥].

---

(١) **أبو غليون**، هاني يوسف، الحجاج في النّص القرآني، "**سورة الحواميم أنموذجا**"، عمّان، دار زهدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٩، ص١٤.

(٢) **حمداوي**، جميل، **التداوليّة وتحليل الخطاب**، ص٣٨.

(٣) **صولة**، عبد الله، **في نظريّة الحجاج: دراسة وتطبيقات**، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١، ص١٣.

(٤) **بوقرة نعمان**، **المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب: دراسة معجميّة**، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩، ص١٠٦.

(٥) **حمداوي**، جميل، **نظريات الحجاج**، مجلّة المنهاج، عدد (٧٠)، ٢٠١٨، ص٢٢.

ومن هنا يأتي تركيز التداوليّة على موضوع الحجاج لعلاقته الوثيقة بمدى التأثير بالمتلقّي، وهو هدف الخطاب في النهاية أيّا كان شكله، والتحليل التداولي هو الكفيل بالدرجة الأولى عن الكشف عن آليات التأثير[1]. والخطاب يتكون من لغة (منطوقة أو مكتوبة) موجّهة إلى المتلقي، واللغة أساسا هي الظاهرة الشكليّة التي ينطلق منها المتلقي لكشف ماهيّة الخطاب وطبيعته ووظيفته، بمعنى أنّ تتيح للقارئ أن يتعرّف على الخطاب اللغويّ الذي لا يتحقق إلا بها وفيها[2]. ولا يمكن للمحلّل تحقيق غايته في التعرّف على قصد الكاتب إلا من خلال فعل القراءة. ولمّا كانت القراءة فعلا عقليا، فهذ أمر يقتضي بالضرورة أن يكون تفسير المقروء أو تأويله، انعكاسا صادقا لتفكير القارئ وقناعاته. بمعنى أنّ عمليّة إنتاج الخطاب تمرّ بمرحلتين متتاليتين، المرحلة الأولى إنتاج الخطاب من المرسل (الأساس)، والمرحلة الثانية من مراحل الإنتاج تتمثّل في إعادة توجيه الخطاب من القارئ بما ينسجم مع ثقافته وميوله ورؤيته للحياة. فالقارئ عند (رولان بارت) هو من "يُعيد إنتاج النصّ وكتابته"[3]. وهذا الأمر يتطلّب احترازا كبيرا في مرحلة إعداد الخطابات لتؤدي غرضها الإقناعي، خاصة في الخطابات التي تمس قضايا الأمّة أو البشريّة بشكل عام.

وقد تجاوز دور الحجاج عند (ديكرو) و(أنسكومبر) كلّ ما سبق وجعلاه شرطا أساسيا لكلّ قول؛ "وذلك لأنّ كل من يتكلّم هو في الحقيقة يحاجج ويحاول الإقناع، فلا وجود لكلام دون شحنة حجاجيّة، فالحجاج عندهما هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب"[4]. ولتحقيق هذه الغاية يوظّف المتكلّم كل العلاقات اللغويّة التي يتكوّن منها النص الخطابي للوصول بالمتلقي إلى دائرة الإفهام عن طرق التفاعل والتواصل في بنية الخطاب بين المتكلّم والمتلقيّ، و"بعد إحكام دائرة الإفهام يتمّ الانتقال إلى دائرة الاقتناع من خلال التأثير وصولاً إلى دائرة التسليم والإذعان حول قضيّة خلافيّة تكون موضوع المحاجّة"[5].

والنصوص اللغويّة التي يتعرّض إليها الإنسان في حياته ليست واحدة، فهي تنقسم فيما بينها إلى أنواع متعددة بناء على خصائصها الأسلوبيّة، فمنها النّص التفسيري والنّصّ الوصفيّ والنّصّ السرديّ

([1]) **بيرم**، عبد الله، **التداولية والشعر: قراءة في شعر المديح في العصر العباسي**، دار مجدلاوي للطبع والنشر، ٢٠١٣، ص٣٦.

([2]) **المسدي**، عبد السلام: **الأسلوبية والأسلوب**، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢، ص١١١.

([3]) **خرماش**، محمد: "**مفهوم المرجعيّة وإشكاليّة التأويل في تحليل الخطاب الأدبي**"، مجلة الموقف الثقافي، عدد٩، ١٩٩٧، ص١.

([4]) **صادق**، مثنى كاظم، **أسلوبيّة الحجاج التداولي البلاغي**، دار كلمة للنشر، تونس، ٢٠١٥، ص ٢٢.

([5]) **أبو غليون**، **الحجاج في النّص القرآني**، ص١٥.

والنصّ الاستدلاليّ (الحجاجي)، والنّصّ التحاوري. وهذه النصوص تتباين في طريقة بنائها اللغويّ، وما يعنينا بالدرجة الأولى النّصّ الحجاجي، الذي يعتمد على القياس والمنطق والتتابع في الأفكار، وأهمّ شيء فيه تلك الروابط المنطقيّة والمعنويّة. ويقع تحديد نوع النّصّ وانتمائه بإحدى طريقتين: الأولى الرجوع إلى المجموعة التي ينتمي إليها؛ كون النّصّ شبكة من العلاقات تربطه بغيره من النصوص التي تشبهه شكلاً ومضموناً، وإمّا بالرجوع إلى بنيته الداخليّة وتحليلها للوقوف على المقومات والمزايا التي تشكّل خصوصيّة الكتابة فيه[١].

وغالباً ما يكون الباحث بحاجة ماسّة إلى الفصل بين النصوص بجميع أنواعها للوقوف على خصائصها البارزة، فيلجأ إلى ما يُسمّى بنظرية (أنواع النصوص)، وهي الكفيلة بتبيان ذلك. لأنّ "هدف نظرية أنواع النصوص تكثيف خواص البنية اللغويّة وأنماط الوسائل الاتصاليّة التي يغلب ارتباطها بنوع نصّي بعينه مقارنا بسائر الأنواع الأخرى، وهذه العمليّة تعين على اختصار العدد غير المتناهي من النصوص للوصول إلى نصوص حقيقيّة قابلة للتحليل وكشف ماهيتها في بنيتها الكليّة[٢].

ومعاينة رسالة عمّان تكشف أنّها نصّ لغويّ اتخذ من تقنيات الحجاج أداة له، على اعتبار العلاقة الوثيقة التي تربط بين العقل واللغة، فقامت الرسالة في جوهرها على الحوار وبسط الحجج بدقّة واقتدار عبر تقنية الانتقاء لما يدعم موقف الكاتب ويعزز فكرته. فوظائف اللغة لا تقتصر على جانب التواصل الاجتماعي في المعنى الضيق، بل تتجاوزها إلى التعبير عن رؤى الفرد ومشاعره وتطلعاته. انطلاقا من الهدف الأساسي للغة، وهو التواصل والإقناع بين ركني عمليّة الاتصال اللغويّ (المُخاطِب والمُخاطَب)، لبيان أنّ التشدد ليس في النّص أو في فهمه، وإنّما هو في نفس المتشدد رغبة منه أو جهلاً أحيانا، وقامت الرسالة أيضا على فكرة استحضار السياقات المصاحبة للنصوص الدينية بهدف إحقاق الحقّ ودحض الباطل. فانطلقت الرّسالة من هدف أساسي هو التأكيد على مجموعة من الرؤى الدينية الثابتة، وهي الأخوة، والتسامح، وحرية العبادة، وغيرها، ولعلّ طبيعة هذه المضامين التي تضمّنتها الرسالة تتطلب براعة ودقة في بسط الحجج الإقناعية في خضم الأفكار العدائية السائدة. فالفكرة الأساسية لرسالة عمّان هي التسامح الديني ونبذ العنف باسم الإسلام، ونبذ الهجوم على الإسلام كذلك بتهمة حثّه على العنف والإرهاب، فـ "رسالة الإسلام السمحة تتعرّض اليوم لهجمة شرسة ممن يحاولون أن يصورها عدوّا لهم، بالتشويه والافتراء". وقد حاول كاتب النص أن يستند على (النصوص

---

(١) **بركة**، بسّام، **مبادئ تحليل النصوص الأدبية**، الشركة المصريّة العالمية للنشر، لونجمان، ومكتبة لبنان ناشرون، القاهرة– بيروت، ٢٠٠٢، ص١٧٣.

(٢) **مقابلة**، جمال، **رسالة سهل بن هارون "في البخل" قراءة في الحجاج**، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد ١٦، عدد، ٢٠١٩، ص٨٣.

السلطوية) أو الأدلة الشرعية التي تدعم حججه، فقد بدأ نصّه بآية قرآنية تؤكّد فكرة وحدة الخلق ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقد بدأ الكاتب حجاجه العام أيضاً من خلال استدراج القارئ (المتلقي) إلى الاعتراف بأركان الإيمان التي لا يصح إيمان المسلم من دونها مستدلا بـــ (الحديث الشريف) أو النص السلطوي، "الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ تبارَك وتعالى؛ ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ"[1]. تأكيداً منه على ضرورة التراحم بين البشريّة جمعاء.

وهذا الاستدراج سمح له بالوقوف مليّاً عند الإيمان بالرسل جميعهم، وقد وظّف الكاتب نصاً سلطوياً آخر وهو النّص القرآني بقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ليجعل القارئ خاضعاً لسلطة النص، ومن ثم ينطلق في حجاجه من هذا المنعطف إلى الاعتراف بكل الأديان –بعيداً عن التحريف – وأتباعها من باب الإيمان بالرسل جميعهم. وهذا الحِجاج فيه إشارة إلى حريّة الاعتقاد، وأنّ معظم الصراعات التي تشهدها الحضارة الإنسانية اليوم هي صراعات سياسيّة لا دينية، فلكل شخص حرية اعتقاده، وحسابه عند الله لا عند البشر، ودور المؤمن يبرز بالحث على اتباع السبيل القويم بالحسنى لا بالعنف، وأكّد ذلك المضمون الديني بنصين سلطويين من القرآن الكريم متتالين للتأكيد على أهمية الفكرة التي طرحها الكاتب وألحّ عليها، النّص الأول قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). والثاني قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ولغة الرسالة توحي أنّ كاتبها يعي موضوعها وعياً تاماً، وقصديّة المتكلم من المبادئ الأساسيّة التي نالت عناية فائقة في الدراسات التداوليّة، إذ لا يمكن الاستغناء عنها في كشف كنه التراكيب اللغويّة التي تبيّن دلالتها –القصديّة – بصورة مباشرة. ويتبدى ذلك بصورة جليّة من خلال الربط المعنوي بين المعنى العام للنّص (محاربة التطرّف)، والنصوص الشرعيّة التي جاءت مؤكدة لفكرة سماحة الإسلام وسلميته. بمعنى أنّ الكاتب قد لجأ إلى استراتيجيّة (الحجاج التراكمي)، إلا أنّ هذا التراكم – بناء على صغر حجم الرسالة – لم يكن أمراً عشوائياً، وإنّما جاء بطريقة تلاحميّة لتأكيد

([1]) **الترمذي**، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤/ص٣٢٣.

المعنى، فالترتيب "هو دوما ضروريّ في الخطاب"[١]. فأهميّة الحجاج التداولي تقتضي من الكاتب أن "يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق، فيكون بعضها حججا يدعم بعضها الآخر، أي أنّ المتكلّم إنّما يجعل قولاً ما حجّة لقول آخر هو بلغة الحجاج نتيجة يروم إقناع المتلقي بها، بمعنى أنّ المتكلّم قد يصرّح بالنتيجة وقد يخفيها، وعلى المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة بل اعتماداً على بنيتها اللغويّة"[٢]. فبدأ الحديث عن مبادئ الإسلام، ثم تناول مكانة الإنسان في الإسلام، ثم بيان منهج الدعوة إلى الله (الرفق واللين)، وهكذا إلى نهاية الرسالة، بشكل مترابط كلّ فكرة فيه تفضي إلى الأخرى.

ولعلّ ما سبق يبرر عناية علماء اللغة القدماء وعلى رأسهم الجرجاني بالنحو في دراسة التراكيب اللغويّة، فما هي إلا توظيف للنحو لخدمة العملية التواصلية، حيث أكّد على أن السياق الكلامي لا يتأتى إلا من خلال معرفة علامات الإعراب في التراكيب، وما هي إلا عوامل ليكون خطاب المتكلّم مفهوما لدى المتلقين، فـ "لا بدّ من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواضيعها"[٣]. لقد انتقى الجرجاني معنى النحو وأعطاه الخاصية التواصلية، وفي هذا النهج الذي سلكه الجرجاني في تحديد الطاقة الاستيعابية للنحو كشف عن دوره في التعبير عن مقاصد المتكلم، وأغراض الناطق، والعملية التواصلية الخطابية، أمّا عن الحدث الكلامي فإن الجرجاني ركز على وجوب علم المخاطب بمحتوى الخطاب حتى تكون الفائدة، ويصل الفهم إلى المتلقي بسرعة وسهولة، واستنباط قانون من التناسب بين طاقة التصريح في الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة.

ومن تقنيات الحجاج التي وظّفها كاتب الرسالة تقنية الربط بين العلاقة والسبب، بهدف التوجيه لتحقيق أعلى مراتب الإقناع، ويعدّ هذا الربط أيا "ضغطا وتدخلا، ولو بدرجات متفاوتة على المُرسَل إليه، لتغيير معتقداته وقناعته، لا فقط أفعاله وسلوكاته"[٤]. كون موضع الرسالة يرتبط بمفهوم الاعتقاد

---

(١) **الولي**، محمد، **الاستعارة في محطات يونانيّة وعربيّة وغربيّة**، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥، ص٦٢.

(٢) **الدريدي**، ساميّة، **الحجاج في الشعر العربي: قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم**، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٩م.

٢٠١١، ص٢٣.

(٣) **الجرجاني، دلائل الإعجاز**، ص٥٣.

(٤) **الشهري**، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداوليّة**، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي – ليبيا، ٢٠٠٤، ص٣٢٢.

السليم، وهو فعل حسيّ قد لا يُكشف بيسر. وتبدى ذلك بصورة واضحة في الرسالة في غير موطن منها:

- الإنسان أساس الحضارة البشريّة، والاعتداء على حياته بالقتل أو الإيذاء هدم للعمران.
- صنع الإسلام عبر التاريخ أمّة قويّة متماسكة، نتيجة الإيمان بقواعد الإسلام الناظمة للسلوك الإنساني بكل أبعاده.
- إيجاد قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صُعد مشتركة، نتيجة لإيمان المسلم بجميع الرسل ورسالاتهم.
- قيام العلم وتطوره في الحضارة الغربيّة الحديثة، نتيجة لاهتمامهم بالحضارة العربيّة القديمة.
- وجود الحضارة الإسلاميّة الراسخة، نتيجة تأسيس الإسلام ورسالته الخالدة للعلم والتدبّر والتفكّر.
- تطوير مناهج إعداد الدعاة، نتيجة للأثر الفاعل الذي يتركه الدعاة في نفوس المُخاطَبين.

وقد وظّف الكاتب في خطابه بعض ألفاظ التعليل شكلاً من أشكال الإقناع، فهي "تبرير أو تعليل لفعله بناء على سؤال منطوق أو مفترض في الخطاب"[1]، ومن أبرز هذه الألفاظ في مدونة البحث المفعول لأجله، وهو "مصدر يبيّن سبب الفعل وعلّة حصوله"، ويكون في العادة إجابة لسؤال افتراضي يبدأ بـــ(لماذا)، ويكون بمثابة أداة وصل بين الكلام، لأنّ المتحاجَين حين "ينطقان بعبارة من العبارات مفردة أم موصولة بغيرها من أدوات الوصل والربط يصبحان فاعلين لغويين ينجزان فعل الادّعاء"[2]. استعمله الكاتب في الرسالة في ستة مواضع، أربعة منها في بيانه للدور الهاشمي في إبراز الصورة الحقيقيّة المشرقة للإسلام، ووقف التجنّي عليه، وردّ الهجمات عنه، وبالذات على يد المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال، ومن ثمّ على يد جلالة الملك عبد الله بن الحسين، وكأنّ هذه التراكيب التي تضمّنت (المفعول لأجله) في هذه المواضع الأربعة جاءت إجابة لسؤال افترضه الكاتب مسبقا، وهو: لماذا يقوم الهاشميون بهذا الدور؟ فكانت الإجابة: (خدمةً للإسلام)، و(وتعزيزا لتضامن مليار ومائتي مسلم)، و(ودرءا لتهميشهم)، و(وتأكيدا لدورهم).

والموضع الآخر الذي استعمل فيه الكاتب المفعول لأجله كان في أثناء حديثه عن ضرورة (الانخراط والمشاركة في المجتمع الإنساني)، فجاءت الإجابة أيضا عن السؤال الذي افترضه الكاتب،

([1]) **الشهري، استراتيجيات الخطاب**، ص٤٧٨.

([2]) **الدكان**، محمد بن سعيد، **الدفاع عن الأفكار: تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري**، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص١٧١.

لماذا هذا الانخراط؟ فكانت الإجابة: (إبرازاً أميناً لحقيقتنا)، و(تعبيراً صادقاً على سلامة إيماننا وعقائدنا).

ومن وسائل الحجاج التداولي التي يمكن أن نلمسها في رسالة عمّان أيضاً أنّ لغتها قد اتسمت بالوضوح والبساطة وسهولة كشف مغازيها دون أقل درجة من درجات العناء، إذ تختلف الخطابات بحسب ميول الأشخاص ومِهَنِهم وكفاءتهم في فهم الرّسالة، ولعلّ هذه السمة تنطلق من مبدأ بلاغيّ قديم (لكلّ مقام مقال)، وفكرة المقام هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفيّة في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشّقّ أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثّل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعيّة التي تسود ساعة أداء المقال[١]، فالرسالة بطبيعتها وبقصديّة كاتبها نصّ موجّه إلى جمهور عام وقرّاء متنوعي الاتجاهات والثقافات والمستويات التعليمية، لذا جعل الكاتب نصّه يسيراً تركيباً ودلالة ليصل المضمون المراد إلى الجميع على مستوى واحد من الفهم والإدراك.

المحور الثالث: الاستلزام الحواري في الرّسالة

يعدّ الاستلزام الحواري أحد المفاهيم التداولية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الحجاج، إذ ينطلق من فكرة تأكيد وصول المعنى بين المتحاورين أو المتواصلين أثناء عملية الكلام، وتعود بداياته إلى الفيلسوف اللغويّ (بول غرايس) من خلال كتابه (النطق والمحادثة)، فلاحظ أنّ المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عدداً معيناً من القواعد المحددة اللازمة في أثناء تواصلهم. ووضع مبدأ عاما للحوار سمّاه (مبدأ التعاون)، يقتضي هذا المبدأ بأن يتعاون المتخاطبون في تحقيق الهدف من حوارهم، بمعنى أن يكون اندفاع المتكلم في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي يشترك فيه[٢].

ويتجلى الاستلزام الحواري في الرسالة بصورة واضحة عبر مجموعة من التقنيات الأسلوبيّة، أبرزها الاستشهاد والاحتجاج، فيما يحاول الطرف الأول (الكاتب) أن يقيم الحجّة على الطرف الآخر (المتشدد)، وذلك بالإكثار الظاهر في ثنايا الرسالة مما يسمّى تداولياً (بحجج السلطة)[٣] بجميع أنواعها كالدينيّة والاجتماعيّة والثقافيّة وغيرها. فكاتب الخطاب يوظّف اللغة من خلال استخدامها أداة للتعبير عما يجول في خاطره من انعكاسات للواقع الذي يعيشه ويشاهده، وبنفس الوقت تكون وسيلته لإيصال

---

(١) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤، ص٣٣٧.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٧، ص٨٤.

(٣) **الدريدي، دراسات في الحجاج**، ص١٤٥.

رؤيته إلى من هم حوله، كما أنه يخاطب جمهورا مهما كان افتراضيا[١]. وفرضيّة وجود جمهور (طرف آخر) تقتضي إعداد الخطاب – بناء على غرضه – إعدادا دقيقا يستحضر فيه الكاتب كل تقنيات التأثير وجذب الانتباه. لذا وظّف كاتب الرّسالة دعامتين أساسيتين في بناء خطابه، هما الدعامة النقليّة، والدعامة العقليّة، وهو ما يُعرف بالدراسات الألسنية الحديثة بأسلوب (امتزاج النّقْل بالعقْل)[٢]، فالنقليّة تمثلت بالنصوص الشرعيّة بالدرجة الأولى، وما يستنبطه منها من أحكام معتمداً على استقراء مقتضياتها، أمّا الدعامة العقليّة فهي الأوليات والاعتقادات الجازمة والمشهورة والمقبولات والاستنتاج.

فكان من أبرز تقنيات الحوار الإقناعيّة التي وظّفها الكاتب في رسالة عمّان تقنيّة الاستشهاد بالنصوص الدينيّة (القرآن والحديث)، وهذه التقنية الأسلوبيّة في الرسالة اتخذت شكلين، الشكل الأوّل تمثّل بإيراد النّص كما هو بشكل صريح (مقتبس)، وهذا ما كان غالبا على طبيعة الاستشهاد بالنصوص الدينية، فقد استشهد بالآيات القرآنيّة سبع عشرة مرّة، وبالحديث الشريف مرّتين، والشكل الثاني تمثّل بإيراد المعنى المراد من النّص الديني أو بعض الكلمات دون إيراد النّص بحرفيته، وهذه التقنية تُعرف أسلوبياً بتقنية التداخل، ويُقصد بها: "مقطع من نصّ يؤخذ من سياقه الأصلي، ويُدرج في سياق آخر بطريقة ما لتحقيق وظيفة ما"[٣]، وهي دليل البراعة في الكتابة، جعلها القدماء شرطا أساسيّا من شروط الكتابة، يقول ابن الأثير: "فما وجدتُ أعون الأشياء عليها (الكتابة) إلا حلّ آيات القرآن والأخبار النبويّة، وحلّ الأبيات الشعريّة"[٤]. ونحو ذلك في رسالة عمّان: (هذا بيان للناس)، وقوله: (بأن يصدر منها في شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)، وقوله: (عدم بخس الناس أشياءهم)، ومن أمثلة إيراد المعنى المراد من الحديث الشريف الذي يبيّن أركان الإسلام "بُني الإسلام على خمس"، قوله: (والإسلام الذي يقوم على مبادئ أساسها: توحيد الله، والإيمان برسالة نبيّه، والارتباط الدائم بالخالق بالصلاة..... ووحدة الأمّة بالحجّ إلى بيت الله الحرام). فقد وظّف كاتب الرسالة هذه التقنية (التداخل) توظيفاً ناجحاً، حقق من خلاله تنوعاً أسلوبياً في لغة الرسالة

---

(١) **رينيه ويليك**، أوستن وارين، **نظرية الأدب**، ترجمة: محيي الدين صبحي وحسام الخطيب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧، ص ٩٧.

(٢) **مفتاح**، محمد، **التلقي والتأويل، مقاربة نسقيّة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٩، ص١٣٢.

(٣) **قادا**، عبد العالي، **الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسيّة الأندلسيّة خلال القرن الخامس أنموذجا**، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٥، ص٩٨.

(٤) **ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩، ج١، ص٢٧.

ساهم في تضام أجزائها من جهة، ومن جهة أخرى فيه بيان لمصدر المعلومة لتأكيد فكرته أمام الطرف الآخر، ودحض حجّته، ومحاولة ردّه من نفس المنطلق الذي حرّفه ليصور أفكاره وقناعاته في غلوه وتطرفه في تفسير النّص الديني.

ومن تقنيات الحوار الأخرى التي لجأ إليها الكاتب أن جعل خطابه منتظما في موضوعه، فدار حول فكرة واحدة وهي سماحة الإسلام، عضدها بجملة من الفكر الفرعيّة، وهي:

- محاربة التطرّف الديني والإرهاب.
- نبذ الهجوم على الدين الإسلامي جرّاء تصرفات فردية.
- وحدة أصل الديانات.
- تخليص الدين الإسلامي القويم مما علق به من شوائب هو بريء منها.
- التسامح البشري أساس الوجود وقوامه الأخوّة الإنسانية.
- من أبرز مقومات الحضارة البشرية احترام حقوق الآخر.
- التراحم بين البشر جميعا بلا استثناء.
- أثر الفهم السليم لتعاليم الدين في بناء الحضارة الإسلامية الأولى.

فنجح الكاتب في جعل المضامين الثانوية المرافقة رافدا أساسا لفكرته التي ألحّ عليها وجاهد في إيصالها إلى المتلقي، فبدأ الحديث عن المساواة بين البشريّة جمعاء، إذ لا فرق بين عربيّ أو أعجمي، وأنّ اختلاف الخلق (شعوبا وقبائل) ما هو إلا للتعارف وعمارة الأرض، والكرامة بينهم والتمايز بين يدي الرحمن عزّ وجل بالتقوى بصريح النّص القرآني الذي استدل به، ولا يحتمل غير قراءة واحدة وفهم واحد. أمّا اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم "فهو سنّة قدرها ربّ العزّة وقضاها لحكمة عظيمة وغاية جليلة هي الابتلاء والاختبار"[1]، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨) موضحا الأسس التي تحكم هذه العلاقة بين البشرية دون استثناء، وهي التي أكدها ربّ العزة، وهي أساس التعامل بينهم على مختلف العصور والأزمان، كالتسامح واحترام حقوق الآخرين، واحترام المواثيق وغيرها. وفي ذلك حثّ واضح في الرسالة على ضرورة التماثل بين القول والفعل حين تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية، لتتسنى للطرف الآخر فرصة لقبول رأيك أو الاقتناع

(١) **المحلي**، جلال الدين، والسيوطي، جلال الدي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، ط١، ص٤٨٢.

بفكرك، وهو المبدأ التداولي الذي يُسمّى بـــ(التصديق)، وخلاصته "لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه عملك"[1].

ومن تقنيات الحوار التي لجأ إليها الكاتب أيضا التدرّج المنطقي في طرح الأفكار، وهي صورة من صور الإقناع التي ميّزت الخطاب الإسلامي بصورة عامّة، "فبدأ بالحديث عن المشترك العام بين النّاس أولا، فلفت النظر إلي المتفق عليه لا المختلف فيه"[2]. للوصول إلى عقل المتلقي، وتغيير قناعاته أيا كان ليقنعه بالفكرة التي يحملها الخطاب، متجاوزاً حدود الأمة الإسلامية إلى العالم أجمع، وهذا ما ميّز الرسالة بعالميتها إذ المضمون يعني الجميع بلا استثناء. وموضوع المعتقدات التي تناولته الرسالة اقتضى أن تكون نصّا تقويميا بالدرجة الأولى، والقيمة أساسا مفهوم تداولي يُستنبط مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تشيّده المجادلات. والقيم والمعارضة من أبرز المرتكزات التي يبنى عليها النّص الحجاجي عند (ديبوجراند ودريسلر)، فالحجاج عندهما هو موظّف لتقوية القبول أو تقويم معتقدات وأفكار[3].

وهيكل الرسالة يكشف عن مدى تمكّن الكاتب من وسائل التأثير والإقناع في حواره للآخر، إذ بدأ بمقدمة عامة تحدّث فيها عن سبب إطلاق الرسالة في هذا الوقت بالذات، ومكانها وزمانها بقوله: "تعتزّ عمّان، عاصمة المملكة الأردنيّة الهاشميّة، بأن يصدر منها في شهر رمضان.....نصارح فيه الأمّة، في هذا المنعطف الصعب من مسيرتها، بما يحيط بها من أخطار". ثمّ تدرّج بعد ذلك إلى الحديث عن مضامين الرسالة بصورة تتسم بالتعالق والانسجام وفق تسلسل منطقي، ربط فيها الكاتب بين الفهم السليم لتعاليم الإسلام وما أنتجه هذا الفهم من تقدّم حضاري حتّى وصلت إلى الذروة، مبرزاً دور الرسول صلى الله عليه وسلّم بالتوجيه القويم للمسلمين، وما ترتّب عليه من نتائج يُشهد لها، "وقد أسس للعلم والتّدبّر والتّفكّر ما مكّن من إيجاد تلك الحضارة الراسخة التي كانت حلقة مهمة انتقل بها الغرب إلى أبواب العلم الحديث".

ونلتمس من طبيعة الحوار الحجاجي في الرسالة أنه يرتفع إلى أعلى مراتب الأدب في الحوار وذلك بالبعد عن التجريح أو الإساءة، وهذا الطرح ينسجم في طريقته مع ما يُسمى في التداولية بمبدأ (التأدّب الأقصى)، وقد ظهر هذا المبدأ عند (جوفري ليتش)، وعدّه مكمّلا لمبدأ التعاون، وصاغه في

---

(1) **الشهري، استراتيجيات الخطاب**، ص١٠٠.

(2) **العليمات**، فاطمة محمد، "**الخطاب الإسلامي، دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال**، رسالة عمّان أنموذجا" المجلة الأردنيّة في الدراسات الإسلاميّة، مج(١٠)، ع(٢)، ١٤٣٥/٢٠١٤م، ص٣١٨.

(3) **العبد**، محمد، **النّص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب**، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٩٠ وما بعدها.

صورتين: الأولى صورة سلبية: قلل من الكلام غير المؤدّب، والثانية صورة إيجابيّة: أكثر من الكلام المؤدّب. وهاتان الصورتان تجنبان المتكلّم من الوقوع في النزاع أو ما يمنع التعاون، إذ يُعدّ التعاون الأساس المفترض لتوجيه طرفي الخطاب، لأنّه الرابط بين قصد المرسل في خطابه ومعنى الملفوظ الدلالي، وعدم مراعاة هذا المبدأ يجعل الخطاب مقتصراً على الجانب التبليغي فقط، مغفلا مبادىء الخطاب الأخرى كالاجتماعية والنفسية وغيرها[١].

المبحث الرابع: أفعال الكلام

يُقصد بالأفعال الكلاميّة التصرّف الإرادي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام، بمعنى مدى الإنجاز الذي يؤديه المتكلّم بمجرّد تلفظه بملفوظات معينة لها أغراض إنجازيّة ترمي إلى صناعة أفعال وسلوكات مؤسساتيّة أو اجتماعيّة بالكلمات والتأثير في المخاطب، وحمله على فعل شيء ما أو تركه أحياناً[٢]. فقد لاحظ (أوستين) صاحب النظريّة "أنّ في اللغة العديد من الملفوظات التي تُشبه إلى حدّ ما الخبر، ولكن لا يُقصد بها الإخبار، فهي لا تصف أخبارا ولا تحملها ولا تقرّر، كما لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، إنّها من باب التلفّظ بالجملة، يعني إنجاز فعل"[٣]. ويتكوّن الفعل الكلامي عنده من ثلاثة أفعال تعدّ جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر وهي: فعل الكلام، قوّة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام، ففي قولنا: (لا تدخّن) مثلا، ثلاثة أفعال لفعل كلاميّ واحد:

- فعل لغوي (لا تدخّن)، يتكوّن من أداة النفي (لا)، والفعل (تدخّن).
- فعل إنجازي: النهي عن التدخين (الامتناع عن التدخين).
- فعل تأثيري: رد فعل المُخَاطب بـــ(الاستجابة أو الرفض).

ومعنى ما سبق أنّ تحليل الفعل الكلامي يمرّ في ثلاث مراحل أولها فك رموز اللّغة، وثانيها الكشف عن المعاني الدلاليّة المُضمّنة في القول، وثالثها تتبُّع أثر هذا الفعل في المُخاطبين. وأُطلِق

---

(١) تومي، عيسى، الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني، مقاربة تداولية في آيات سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة العربية، مجلد٨، عدد١، ٢٠١٩، ص٤٦.

(٢) صحراوي، مسعود، الأفعال الكلاميّة عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداوليّة، مجلّة اللغة العربية، الجزائر، عدد ١٠، ٢٠٠٤، ص١٨٦.

(٣)أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق:١٩٩١، ص ٧.

عليها تسميات أخرى عند بعض الباحين منها: "العمل القولي: وهو مجرّد إصدار إشارات صوتيّة حسب سنن اللّغة الدّاخلية؛ العمل اللاقولي: الّذي يقوم على إتمام عمل آخر، عبر القول غير مجرد التّلفظ بمحتوى، وتحديدا على قول صراحة، ولكن ليس دائما؛ عمل التّأثير بالقول: ويتمثّل في إحداث تأثيرات، ونتائج في المخَاطبين"[1].

ويستدعي كلّ قول من هذه الأقوال قوّة إنجازيّة، ولكن بدرجات مختلفة، ويقصد بالقوّة الإنجازيّة "القصد الّذي ينويه المتكلّم، أو يستلزمه خطابه مقاميا من خلال عمليّة الإنجاز الحرفي أو الاستلزامي للكلام؛ فمحدّدات الأعمال الإنجازيّة شكلاً ووظيفة وتأويلاً بحسب التّداوليين قوامها عنصران أصليان ضمن مؤشرات السّياق، وهما القصد والاستعمال"[2]. يعني هذا أنّ كلّ قول يتضمن قوّة إنجازيّة حرفيّة، وقوّة إنجازيّة مستلزمة مقاميا، تتضمّن القصد الّذي يريد المتكلّم تبليغه للمخَاطَب، وهذا الأخير لا يمكنه أن يصل إلى القصد إلاّ إذا استعان بالسياق الّذي يساعد في تحديد دلالة الأقوال تداوليّا.

وتنبع أهميّة أفعال الكلام في رسالة عمّان من مكانة كاتبها ومسؤولياته بالدرجة الأولى، ليس شخصا عاديّا، له مكانته واحترامه في المجتمع الدول، وتشكّلت هذه المكانة لكاتب الرسالة من خلال مواقفه الدوليّة المشرّفة في مختلف المجالات، التي عبّر عنها بخطابات متعددة نالت عناية فائقة في مختلف المحافل الدوليّة الإعلاميّة منها والسياسيّة والفكرية. والرسالة أيضا ذات طابع تقويمي كما أشرنا سابقا، لذا فإنّ طبيعة الأفعال الكلامية التي وردت في الرسالة كانت ذا طابع إنجازيّ بالدرجة الأولى (قوّة الفعل)، هدفها تعديل السلوك غير القويم – بناء على موضوع الخطاب – من وجهة نظر الكاتب، لأنّ أهميّة الأفعال الكلامية في النظريّة التداوليّة نابعة أساسا من خلال أثرها في سلوك المتلقي – نفسيا أم جسديا، وغايتها حمل المتلقي على الإقتناع، واتخاذ موقف ما إزاء ما طرح من محتوى قضوي، لذا كان من أبرز الوظائف التداوليّة للفعل الكلامي وظيفته الحجاجيّة التي تزيد من فاعليّته الإنجازيّة التي أرادها، وخاصة ما كان منها مرتبطاً بوظيفتي: التأثير والإقناع[3].

---

(1) فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص٥٩.

(2) كروم، أحمد، مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشّرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، عمّان، ٢٠١٥م، ص١٣٦.

(3) **صادق**، مثنى كاظم، **أسلوبيّة الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير**، ص١٣٣.

وعند مطالعة الأفعال الكلاميّة في الرسالة يمكن ملاحظة نمطين منها: النّمط الأول جاء معبّراً عن تطلعات الكاتب ورؤيته الخاصّة بناء على مكانته السياسيّة، غلب عليها دلالة الجمع بإسنادها إلى ضمير الرفع (نحن) للتناسب مع مكانة الكاتب بما يحمله الضمير (نحن) من تفخيم، وجاءت كذلك بصيغة الحاضر، للدلالة بالدرجة الأولى على أنّ هذا الموقف الذي تبناه الكاتب وليد اللحظة، بناء على المستجدّات الفعليّة والتفكيريّة من بعض الأشخاص أو الجهات التي تجيّش أشخاصا لتحقيق مآربهم، نحو: نستنكر، نصارع، نستهجن، وغيرها. أمّا النمط الآخر من الأفعال فجاء بصيغة الحاضر أيضا للتعبير عمّا ترتّب على القيام بالأفعال المغلوطة من آثار ينبغي محاربتها، مسندة إلى ضمائر الغائب نحو تصدر، تعبّر، ينير، تحمل، يستوعب، ....، وغيرها.

والأفعال التي أوردها كاتب الرسالة، وبنى عليها رؤيته – في مجملها – ناشئة عن ملاحظته ومشاهدته للأحداث الآنية (المُعاصرة)، مما يؤكّد مدى العلاقة الرابطة بين الفعل الكلامي والقصديّة، فـ" كلّ فعل كلاميّ يقوم على مفهوم القصديّة"[١]. لذا يرى (ليفن) أنّ وراء كل نصّ – أدبي أو غير أدبي – دعوة من المنشىء إلى المتلقي كي يشاركه تجربته التي تخيلها أو عاشها وعبّر عنها من خلال عمله (النّص)[٢]. وصيغة هذه الدعوة في رسالة عمّان (أنا الملك عبد الله الثاني ابن الحسين أدعو الأمة الإسلاميّة إلى ضرورة بيان مدى سماحة الإسلام قولا وفعلا، من منطلق المسؤولية الأخلاقيّة تجاه الدين الذي نعتنقه جميعا، وأدعو المجتمع الدولي جميعه إلى الوقوف بجانبي في وجه التطرّف الديني أيا كان مصدره). والفعل هنا (أدعو) باعتقادي أنّه يحمل دلالة إنجازيّة نابعة من خطورة الموقف، مما جعله يحمل دلالة الأمر بالدرجة الأولى لا الإخبار.

ومن الأفعال الكلاميّة التي استعملت في الرسالة وحملت قوة إيحائية تتجاوز المنظور الشكلي للفعل (الإخبار) الفعل (نصارح) بقوله: "نصارح فيه الأمّة في هذا المنعطف الصعب"، فالفعل في سياقه يحمل دلالة التحذير من السكوت وعدم اتخاذ موقف حازم إزاء ما يدور من أحداث تمسّ الجميع في معتقداتهم ومعاشهم. وكذلك الفعل (تتعرّض) في قوله "إنّ رسالة الإسلام السمحة تتعرّض اليوم لهجمة شرسة"،

---

(١) **صحراوي**، مسعود، **التداوليّة عند العلماء العرب**، ص٤٤.

(٢) **الزليطني**، محمد لطفي، **نحو منهج تداولي في تحليل الخطاب الأدبي**، مجلة الدراسات اللغويّة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، مجلد(١٥)، عدد (٣)، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، ص٧٢.

فالفعل تجاوز قيمته الإخبارية، كونه لم يضف معلومة جديدة بالنسبة للمتلقّي، فالجميع يرون ما يتعرّض له الإسلام اليوم ويشاهدونه، لينقل دلالة أقوى وهي استعطاف معتنقي الإسلام بالدرجة الأولى، وحثّهم على الوقوف في وجه كلّ ما يشوه صورته قولا أو فعلا. وهنا تبرز أهمّ وظيفة من وظائف الفعل الكلامي في الخطاب، وهي إحداث تغيير في ذهن المتلقّي، "فيضيف إليه معلومة، أو يغيّر في معتقداته أو في رغباته، من خلال مواقف وأفعال اجتماعيّة محددة. فطلب شيء ما معناه إعلام طرف ثانٍ بأنّ المتكلّم يريد منه فعل ذلك الشيء، وأنّ الطرف الثاني بناء على تلك المعلومات قد يقرر تنفيذ ما طُلب منه فينفذه فعلاً، أو قد يتجاهل الطلب ولا يبالي، مع ما قد يترتب على هذا الموقف من نتائج[1].

ومن الأفعال التي تحمل دلالة تداولية في الرسالة الفعل (نستنكر) مرتبطاً بالفعل (نُدين) بالواو، بقوله: "ونحن نستنكرها وندينها اليوم كما استنكرها وتصدى لها لها أجدادنا عبر التاريخ الإسلامي"، والاستنكار يحمل دلالة إيحائيّة وهي التوبيخ والقمع بناء على طبيعة الفعل الذي يقوم به الطرف الآخر. مع ملاحظة تكرار الفعل (نستنكر) غير مرة بقوله أيضا "وإنّنا نستنكر دينياً وأخلاقيّاً المفهوم المعاصر للإرهاب"، يحمل إشارة إيحائيّة أخرى، وهي تأكيد موقف الكاتب ووجهة نظره – انطلاقا من الهدف الأساسي للتكرار – من هذه الأفعال التي تنافي سماحة الإسلام ومبادئه السليمة، وعدم تساهله بموقفه مهما كلّفه الأمر.

وأختم الحديث في هذا المبحث بالفعل (نتطلّع) بقوله: "نتطلّع إلى نهوض علمائنا إلى الاسهام في تفعيل مسيرتنا"، فالفعل في السياق الذي ورد فيه، وختم الرسالة – كان عن الحديث عن دور العلماء والوعاظ في توضيح الصورة الحقيقيّة السمحة للإسلام، والإفادة من تكنولوجيا العصر بما يخدم مصلحة الأمة – يتجاوز إلى قيمة إنجازيّة متعالية على حدود التكوين الصوتي للفعل وهي التوجيه والإرشاد، لتتناسب هذه الدلالة مع إيمان الكاتب وقناعته المطلقة بدور العلماء وتأثيرهم بالمجتمعات سلوكاً وتفكيراً، ويدعم ذلك قول الكاتب "والأمل معقود على علماء أمتنا أن ينيروا بحقيقة الإسلام".

(١) الزليطني، نحو منهج تداولي في تحليل الخطاب الأدبي، ص٧٤.

الخاتمة:

تناولت الدراسة الأبعاد التداوليّة في رسالة عمّان، التي تمثّل شكلاً من أشكال الخطاب السياسي الدّيني المُعاصر، وقد خلصت إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

١- أصبح المنظور التداولي (البرجماتي) للنص أو الخطاب على حدّ سواء يستند إلى النظرية التواصليّة التي تقوم على نظريّة الفعل الكلامي التي نشأت أساساً خدمةً لدراسة تداوليّة الخطاب.

٢- تعدّ رسالة عمّان نصّاً تقويمياً بالدرجة الأولى، والقيمة أساساً مفهوم تداولي يُستنبط مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تشيّده المجادلات.

٣- كان لمكانة كاتب الرسالة (ملك) ومسؤولياته أثر واضح في لغة الرسالة وتكوينها، فمهمته تفرض عليه أن يشكّل خطاباته وفق المتلقين ووفق السياقات التي ينتج فيها الكلام، لتعبّر عن مسؤولياته الإنجازية (أفعال الكلام) تجاه قضايا مفصلية تهمّ الأمّة بشكل خاص والعالم بصورة أوسع.

٤- امتازت رسالة عمّان بأعلى مقاييس المبدأ التداولي (التأدّب الأقصى) في طرح الفكرة ومحاورة الطرف الآخر.

٥- تضمنت الرسالة جملة من المفردات ذات حمولة دلاليّة تداوليّة سمحت للكاتب مساحة واسعة في التعبير، وحققت تناسقاً تاماً بين أفكاره ومضامينه، منها: بيان، والانخراط، والهُويّة، والمنعطف، والتّطرُّف، وغيرها.

٦- وظّف الكاتب النصوص السلطويّة (الشرعية) توظيفاً دقيقاً للتأكيد على أهمية الفكرة التي تبناها النّص (سماحة الإسلام).

٧- معاينة رسالة عمّان تؤكّد أنّها نصّ حجاجيّ بامتياز، لأنّها قامت في معظمها على الحوار وبسط الحجج وتقديم الدعاوى ونفيها ببراعة واقتدار، عبر تقنية الانتقاء لِما يدعم موقف الكاتب.

٨- من تقنيات الحوار التي لجأ إليها الكاتب التدرّج والتسلسل في طرح الأفكار، وهي صورة من صور الإقناع التي ميّزت الخطاب الإسلامي بصورة عامّة.

٩- وظّف الكاتب المضامين الثانوية في الخطاب توظيفاً ناجحاً، لتكون رافداً أساساً لفكرته التي ألحّ عليها وجاهد في إيصالها إلى المتلقي.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩م.

أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق:١٩٩١م.

بدوي، أحمد موسى، **الأبعاد الاجتماعيّة لإنتاج واكتساب المعرفة**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٩م.

بركة، بسّام، **مبادئ تحليل النصوص الأدبية**، الشركة المصريّة العالمية للنشر، لونجمان، ومكتبة لبنان ناشرون، القاهرة- بيروت، ٢٠٠٢م.

برهومة، عيسى عودة، **تمثلات اللغة في الخطاب السياسي**، عالم الفكر، عدد١، مجلد٣٦، يوليو – سبتمبر، ٢٠٠٧م.

برينكر، كلاوس، **التحليل اللغويّ للنّص- مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج**، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٧م.

بلعابد، عبد الحق: **جيرار جينيت من النصّ إلى المناص**، ط١، بيروت، الدار العربيّة للعلوم، ٢٠٠٨م.

بنكراد، سعيد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢م.

بودرع، عبد الرحمن، **في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي: قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٤م.

بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب: دراسة معجميّة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩م.

بيرم، عبد الله، **التداولية والشعر: قراءة في شعر المديح في العصر العباسي**، دار مجدلاوي للطبع والنشر، ٢٠١٣.

الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

تومي، عيسى، **الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني، مقاربة تداولية في آيات سورة البقرة**، مجلة إشكالات في اللغة العربية، مجلد٨، عدد١، ٢٠١٩م.

الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمد رشيد رضا، مصر: مطبعة المنار، ١٣٣٠هـ.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ج١، بيروت، عالم الكتب، د.ت.

حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

حمداوي، جميل، **نظريات الحجاج**، مجلّة المنهاج، عدد (٧٠)، ٢٠١٨م.

خرماش، محمد: "**مفهوم المرجعيّة وإشكاليّة التأويل في تحليل الخطاب الأدبي**"، مجلة الموقف الثقافي، عدد٩، ١٩٩٧م.

الدريدي، ساميّة، الحجاج في الشعر العربي، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد. ٢٠٠٩م.

الدكان، محمد بن سعيد، **الدفاع عن الأفكار: تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري**، مركز نماء للبحوث والدراسات، د.ت.

الدوري، عبد العزيز، **الهُويّة الثقافيّة العربيّة والتحديات**، مجلة المستقبل العربي، م١٠/٩٩.

الرواشدة، سامح، **إشكالية التلقي والتأويل**، أمانة عمّان الكبرى، الأردن، ٢٠٠١م.

رينيه ويليك، أوستن وارين، **نظرية الأدب**، ترجمة: محيي الدين صبحي وحسام الخطيب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.

زليطني، محمد لطفي، **نحو منهج تداولي في تحليل الخطاب الأدبي**، مجلة الدراسات اللغويّة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، مجلد(١٥)، عدد (٣)، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، دار الفكر، عمّان، ١٩٩٩م.

السعافين، إبراهيم، **إشكاليّة القارئ في النقد الألسني في نظريّة الأدب ومغامرة التجريب**، ط١، القدس: دار الشروق العربيّة للنشر، ١٩٩٣م.

سيبويه، أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداوليّة**، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي – ليبيا، ٢٠٠٤م.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ١٤١٤هـ.

شويحط، إبراهيم أحمد، ومرعي، عبد القادر، **فضّ الشّراكة المفاهيميّة بين النّص والخطاب**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، الجامعة الأردنيّة، مجلد ٤٣، ملحق٤، عدد ٢٠١٦م.

صادق، مثنى كاظم، **أسلوبيّة الحجاج التداولي البلاغي**، دار كلمة للنشر، تونس، ٢٠١٥م.

صحراوي، مسعود:

* **الأفعال الكلاميّة عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداوليّة**، مجلّة اللغة العربية، الجزائر، عدد ١٠، ٢٠٠٤م.
* **التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

صولة، عبد الله، **في نظريّة الحجاج: دراسة وتطبيقات**، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠م.

عبابنة، يحيى: "**عناصر دلالة النّص وتحدّي الشكل**"، **قراءة في نص شعري لمحمد القيسي**، مجلّة أفكار، ٢٠٠٣م.

العبد، محمد، **النّص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب**، القاهرة، ٢٠١٤م.

عليان، مصطفى: "**سيميائيّة العنوان في مجموعة صور ومواقف من حياة الصالحين/ الصالحات**"، مجلّة إسلاميّة المعرفة، عدد ٥٨، ٢٠٠٩م.

العليمات، فاطمة محمد، "**الخطاب الإسلامي، دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، رسالة عمّان أنموذجا**" المجلة الأردنيّة في الدراسات الإسلاميّة، مج(١٠)، ع(٢)، ١٤٣٥/٢٠١٤م.

عمر، أحمد مختار، **علم الدلالة**، ط٧، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٩م.

عمر، أحمد مختار، وآخرون، **معجم اللغة العربيّة المعاصرة**، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٨م.

عمران، قدور، **البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني**، علم الكتب الحديث، بيروت، ٢٠١٢م.
أبو غزالة، إلهام، وحمد، علي خليل: **مدخل إلى علم لغة النّص، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
أبو غليون، هاني يوسف، **الحجاج في النّص القرآني، "سورة الحواميم أنموذجا"**، عمّان، دار زهدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.
فان دايك، علم النّص: **مدخل متداخل الاختصاصات**، ترجمة: سعيد بحيري، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
أبو الفرج، محمد أحمد، **مقدمة لدراسة فقه اللغة**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٩م.
فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، عالم المعرفة، بيروت، د.ت.
الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
قادا، عبد العالي، **الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسيّة الأندلسيّة خلال القرن الخامس أنموذجا**، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٥م.
كروم، أحمد، **مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشّرعي**، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، عمان، ٢٠١٥م.
الحلوحي، فهيمة، **علم النّص: تحديات في دلالة النّص وتداوله**، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خير– بسكرة– الجزائر، العددان (١٠، ١١)، ٢٠١٢م.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، القاهرة، ١٩٦٠م.
المحلي، جلال الدين، والسيوطي، جلال الدي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، ط١، د.ت.
مراد، وليد محمد، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغويّة عند عبد القاهر الجرجاني**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م.
المسدي، عبد السلام: **الأسلوبية والأسلوب**، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.
مفتاح، محمد، **التلقي والتأويل، مقاربة نسقيّة**، المركز الثّقافي العربي، الـــدار البيضـــاء – المغرب، ٢٠٠٩م.
مقابلة، جمال، **رسالة سهل بن هارون "في البخل" قراءة في الحجاج**، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد ١٦، عدد، ٢٠١٩م.
مكدونيل، ديان، **مقدمة في نظريات الخطاب**، ترجمة عزّ الدين إســماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١م.
نحلة، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر**، دار المعرفة الجامعيّة، ٢٠٠٢م.
الولي، محمد، **الاستعارة في محطات يونانيّة وعربيّة وغربيّة**، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م.

الألفاظُ والتّراكيبُ العاميّةُ الدّارجةُ والمُحدَثَةُ في شِعر عَرَار

أ.د يس محمد أبو الهيجاء *

ملخص

يَتناولُ هذا البَحثُ جانِبًا من لُغَةِ الشّاعِرِ مُصطفَى وَهْبِي التّل "عَرار"، وَهوَ الألفاظُ والتّراكِيبُ العاميّةُ الدّارجَةُ والمُحدَثَةُ غَيرَ الأعلامِ، ودَور هذهِ الألفاظِ والتَراكيبِ في شِعرِهِ، فَضلاً عن تَحديدِ حَجْمِها، ومَكانَتِها مِن هذا الشِّعرِ. وخاصّةً أنْ ثَمّةَ تَهويلًا لاستِخدامِ عَرَار لِهذا البابِ مِن اللّغَةِ، حتّى عَدَّه بَعضُهم ثائِرًا على اللّغَةِ الفَصيحَةِ، مُستَظهِرًا بالعاميّةِ عَليهَا.

فالبحثُ يَتَقَصّى هذا الاستِخدامَ، وحُقولَه الدّلاليّةَ، ويَقِفُ على حَقيقَتِه، نَوعًا وكَمًّا. وعِنايتُه بتقصّي العاميّة في المَقامِ الأوّل، وكانَ لابدَّ من إدخالِ المُحدَث لِتَداخُلِهِ مَعَها، وهو في المُحصّلة بارقٌ على جانبٍ من عَرارٍ وشعرِهِ.

وتَخلُقُ الإشارةُ إلى أنّ هذا البَحثَ يَنهضُ بالدّرجةِ الأُولى مِن ديوان الشّاعرِ عَرار، ويُعرِّج على بَعضِ الآراءِ التي تَتّصلُ ببَعضِ مَوضوعاتِهِ.

الكلمات الدالة: عرار، الالفاظ العامية، اللغة الفصحى، الشعر.

* **جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، مكة المكرمة**

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Slang and Vernacular Vocabulary and Structures of Mustafa Wahbi Al-Tal Poetry (known as Arar)

Prof. Yaaseen Mohammad Abu Alhayjaa

Abstract

This research addresses the language of Mustafa Wahbi Al-Tal (known as Arar), mainly, the slang and vernacular vocabularies and structures away from proper nouns. In more details, it deals with the role of these vocabulary items and structures in his poetry. It also identifies the boundaries and size of these structures and expressions in his poetry. The reason behind this is that there has been lots of exaggerations in the Arar's use of this kind of language. This leads some critics and scholars to consider him as a rebellion against Fosha Language (Classical Language), even more by preferring slang and colloquial language to Fosha (standard) language.

The research also investigates and analyzes the use of slangs and vulgar language in Arar's poetry, in addition to their denotations and connotations quantitatively and qualitatively. The main focus is on his colloquial and vulgar language which is highlighted. This entails the study of the interference and overlaps between already used language (Muhadtha Language) and this kind of language. The result of this is that parts of Arar's poetry is spotted and analyzed and some critical views are discussed concerning some of his topics in his poetry.

Key Words: Arar, Slang and vernacular vocabularies, Standard language, Poetry.

قالَ مُصطفَى وَهْبِي التّل المُلقَّب بـــ"عَرَار"[١]:

أنا شاعِرُ الأُردنِّ غيرَ مُدافَعٍ وأنا هَنيبالُ الوَغَى المَركُونُ

وقد صَدقَ فِيما وَصفَ بِهِ نفسَه، فهوَ شاعرُ الأردنِّ غيرَ مُدافَعٍ ولا مُنازَع، وقد طرَّزَ لقبَه هذا على جِبالِها ووِهادِها، وعُمرانِها وخَرابيشِها. فَعرارٌ ليسَ شاعِرًا نُخبويًا، استأثرتْ به فِئةٌ أو طبقَةٌ أو جِهَةٌ، دونَ غَيرِها، بل هو شاعِرٌ امتزَجَ بوَطَنِهِ امتِزاجًا، فحاكَى ألوانَه وصوَرَه، وتَمثَّل طَبيعتَه وأهلَه. فهو شاعِرُ الأردنِّ، وأحدُ أبرزِ الشّعراءِ العَربِ في القَرنِ العِشرين.

وشِعرُه بعامَّةٍ مَبثوثٌ لِلنّاس، لا يَبتَغِي به أُعطِيَةً ولا مَنزِلَةً، ولا مَحَلًّا في مَجالس المَلَأ، بل كانَ يَقولُ إذا استَدعَاه أمرٌ، أو استَخفَّه طَربٌ، أو لَفتَتْه حادِثَةٌ، تُثيرُ فيه مَكمَنًا من مَكامن شُعورِه، قَبِلْنا بِمَا قالَ أم رَدَدْناهُ، وهذا لا يُخطِئُه من اطّلَعَ على سِيرتِه، أو أَلَمَّ بشَيءٍ مِنها.

وعلى الرَّغمِ من الإشكالِ في شَخصيَّةِ "عَرار"، وتُبايُنِ المَواقفِ في سِيرتِهِ فإنَّه شاعِرٌ غَنِيٌّ، وشِعرُه حافلٌ بالحُقول الخِصبَةِ للدّراسين، في اللّغة وغَيرِها. وحَياتُه وشِعرُه ومَواقِفُه كانَتْ –ومازالت– مَحَلَّ الكَثيرِ من البُحوثِ والدّراساتِ والمُؤتَمرات[٢].

على أنّني سأقِفُ في هذه العُجَالةِ على شَطْرٍ مِن جانبٍ واحدٍ من هذه الحُقول، لم تُفرَدْ له دِراسَةٌ خاصّة فيما اطّلَعْتُ عليهِ. ألَا وهو لُغَةُ عَرار، بمَعنَاها الضّيّق، أعنِي ألفاظَه المُفردَةَ، وتَراكيبَه، وأخصُّ منها العاميّةَ الدّارجةَ، والمُحدثةَ. مُستثنيًا الأعلامَ، لأنّها جَديرةٌ بدراسة مستقلّة، في منهج مختلف.

ومَوضُعُ العِنايَةِ هَهنا العاميَّةُ وتَقصّي شُيوعِها في شِعرِه، لأنّها مَوطنٌ مُشكِلٌ لكلِّ مَن تَناوَلَ شِعرَه، ولا مَندوحَةَ مِن تَرحيبِ الدّائرةِ لتَشمَلَ المُحدَثَ مِن الألفاظِ والتّراكيب؛ لأنّها مُتداخِلَةٌ مُتواشِجَةٌ مَعَ العاميّ الدّارجِ، فَحَرِيٌّ بالبَحثِ أنْ يَقِفَ عَليها ويَصِفَ مقامَها. وغَنيٌّ عن الذّكْر أنّ المَعنيّ بها الألفاظُ والتّراكيبُ التي دَخَلَتْ حديثًا، سواء أكانتْ أعجَميّةً أم مُبتدَعَةً، لا عَهدَ لِلفَصيحِ بها.

ولَعلّ أقربَ البُحوثِ إلى مَوضوعِ هذا البَحثِ هو "طَوابعُ شَعبيّة في شِعرِ الشّاعِرِ مُصطَفى وَهبِي التّلّ"[٣] على أنّي وجدته يتَناولَ مَوضوعاتٍ بَعيدةً عَمّا تناوَلَه هذا البَحثُ، فَضلًا عن أنّه لا يَنطلِقُ مِن شِعرِ عَرارٍ بقَدرِ ما يُسلّم بما قِيل فيه، من هذا الجانب.

---

(١) ديوان عرار، بتحقيق د. زياد الزعبي: ٣٨٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال: عَرار، شاعِر الأردنّ، البَدَويّ المُلثّم. والشّاعر مُصطَفى وَهْبِي التلّ، حَياتُه وشِعره، كَمال فَحماوي. وعَرار الشاعر اللامنتمي، أحمد أبو مطر. وأُطرُوحَة د. علي الخرابشة: "الصّورَة الشّعريّة في شِعر عَرار". ورِسالة ماجِستير، مُصطَفى وَهبِي التلّ عَرار ناثرًا، تَحسين شَقَافحَة. والثّورَة والاغتراب في شِعر عَرار، جِهاد المَجالي. وطَوابع شَعبيّة في شِعر الشّاعر مُصطفَى وَهبي التلّ، عَرار، آمنة أبو عبيلة، ومُصطفى بَني ذياب.

(٣) طوابع شعبية في شعر الشاعر مصطفى وهبي التل، عرار، آمنة أبو عبيلة، ومصطفى بني ذياب، مجلّة التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٤٧، ج١، ٢٠١٢م.

وعرارٌ– فَردًا– لم تَتهيأ له دِراسة مَنهجيّةٌ عَميقةٌ، لا في العَربيّةِ ولا في غَيرِها، ولكنَّه غاصَ في اللُّغةِ الفُصحَى، وحَفِظَ عُيونَ الأدَبِ العَربيّ، وقد تَمثَّل هذا الحِفظُ في شِعرِهِ، أَلفاظًا وتَراكيبَ، وأساليبَ، وحَسبُكَ أنْ تَنظرَ في ديوانِه لِتَؤوبَ بهذِه الحَقيقَةِ.

فعَرارٌ لم يَكُن يُعانِي وَهْنًا في مادّتِه اللّغَويّةِ المَورُوثَةِ، ولا في تَمثّلِهِ للتّراكيبِ والأساليبِ الفَصيحَةِ، يَسُدُّ خَلَلَهُ بما اتّفَق مِن الألفاظِ، فيُشظّي صُورَهُ التي يَرسمُها، وهذه يَنبَغِي أَلّا يَغيبَ عن كُلِّ مَعنيٍّ بشِعرِهِ.

ومَعَ هذهِ النّماذجِ المُشرقَةِ؛ الفُصحَى والفَصيحَةِ، التي حَفظها عَرار وتَمثّلها في شِعرِه كانَ ثَمّةَ نَهرٌ يَجري فيهِ بإزائِها، رافِدُه مِن البيئة التي عاشَ وامتزَجَ فيها؛ ولِذلكَ لم يَكُن يَتوانَى عن استِخدام أيِّ لَفظٍ أو تَركيبٍ دارِجٍ لا يَرَى سَبيلا أنصَعَ منهُ لِرسمِ صُوَرِهِ، ومَدِّ ظِلالِها. بل إنّنا لَنَجدُ الألفاظَ الدّارجَةَ والتّراكيبَ السّائرةَ التي استَخدمَها تَكادُ تَكونُ بُؤرةَ الصُّورةِ في شِعرِهِ الذي استخدَمَها فِيه، تَشُدُّ إليها خُيوطَ المَعنَى الذي يَبتَغِي تَوصيلَهُ، وإلقاءَه في رُوْعِ السّامِعِ أو القارئ.

وعَرارٌ ثائرٌ بطبَعِهِ، وزادَ هذه الثّورَةَ الظّروفُ السّياسيّةُ التي واكَبَتْه، ومَفاهيمُ المُجتَمعِ الذي عاشَ فيه. ولَعلَّ مِن لوازِمِ ثَورتِهِ مَيلَهُ إلى مُجتَمَعِهِ وانغِماسِهِ فيه، من أدْنَى طَبَقاتِهِ إلى ذُؤابَتِها.

على أنه وإنْ ثارَ على مَفاهيمِ مَجتمَعِهِ وتَصنيفاتِهم، وطبَقاتِهم، وألصقَتْهُ هذه الثّورةُ بالنّاسِ فَهوَ لم يَكنْ ثائرا على اللّغَةِ الفَصيحَةِ، يَقولُ د. علي الخرابشة[1]: " ثَورةُ عَرارٍ على اللّغةِ الشّعريّةِ كانَت تَحدّيًا لِلأعرافِ اللّغويّةِ السّائدَةِ آنَذاك، وتَنسجِمُ مَعَ طَبيعةِ الحياةِ التّي عاشَها المُجتَمَع، فكانَ لَه لُغتُه التي يَتكلّمُ بها وللناسِ لُغتُهم، ولَعلّ الدّارسَ لِلغَةِ عَرارٍ يرى فيها تَطابُقًا مَعَ ما قَالَه جُبرانُ خَليل جُبران: لَكُم لُغتُكُم ولِي لُغَتي...). ويَرى د. علي أنّ ثَورةَ عَرارٍ على اللّغَة تَتمثّلُ في اتّجاهَين:

الأوّل: الثّورةُ عَلى اللّغَةِ الشّعريّةِ التي فُتِنَ بها الشُّعراءُ قَديمًا، والتَزَمَ أصحابُ النّحوِ والصّرفِ بها ومُطابَقَتَها لِقواعِدِهم... وما اشتَمَلتْ عليهِ مِن فُنونِ البَّديعِ والبَيَان...

والثّاني: المَوضوعاتُ الشّعريّةُ التي سارَ عَليها الشُّعراءُ السّابقونَ، والتَزمُوا بها نَهْجًا، وتَمثيلًا لِحياةِ الإنسانِ منهم[2].

(١) الصورة الشعرية في شعر مصطفى وهبي التل(عرار)، علي قاسم الخرابشة، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م: ٢٩٢.

(٢) نفسه: ٢٩٣.

وقال سُلَيمان الأَرْرَعِي: "ولَقد كانْ "عَرارٌ" في الأردنّ تَمامًا، كمَا كَان بُوشكِين[١] بالنِّسبة لِرُوسيَا. فقد استَعانَ بالعاميِّةِ على الفُصحَى"[٢]. ويَقولُ د. محمود السَّمرة: " واللُّغة التِي يَستعمِلُها عَرارٌ، رَغمَ مَحلِّيَتِها... ورَغمَ بَعضِ الأخطاءِ اللغويّةِ والعَروضيّةِ حافِلَةٌ بالحياةِ، تَفتَحُ عُيونَنا على عُيوبِ المُجتمع".

أمّا مَسألَةُ الخُروجِ على قَواعدِ النّحو فتَحتاجُ وَقْفَةً فوقَ هذا الخَبَب، ولكنَّها –بعامّة– مَحدودةٌ، ويَقِفُ خَلفَها الاضطِرارُ، وعَدَمُ المُراجَعةِ، التي عُرِفَ عَرارٌ بها، والسَّهوُ، وهذا كلّه أعلَقُ ببداياتِهِ الشِّعريّة. وأشياءُ أخرَى ذَكَرَها أستاذُنا د. زياد في مُقدمَةِ تَحقيقِهِ لِلديوان[٣]، وإلا فإنّ عَرارًا احتَذى الشُّعراء القُدامَى، في بناءِ قَصيدتِه وتَراكيبِها، بل إنّنا نَراه في عَددٍ ظاهرٍ من قصائدِهِ يَحتذِيهم حَذوَ القُذَّة بالقُذَّة. ولا يَعني امتزاجُ شِعرِهِ بقَضايا مُجتَمَعِه وأمَّتِهِ أنّه ثَورةٌ على الشِّعرِ القَديم.

على أنّ عَرارًا – بعامّة– وَجدَ أُسلوبًا خَاصًّا به، وانتخلَ لغةً قريبةً مِن النّاس، مِن المُجتَمَعِ القَريبِ مِنه، وطَعَّمَها إلى حَدٍّ ما بالألفاظِ والتَّراكيبِ الدّارجَةِ، فضلاً عن المُحدَثَة، وَخاصّةً في مَواقفِ السُّخريَةِ والتَّهكُم واللّهو. وما كانَ لِيَسرَهُ أنْ يقولَ لِلنّاسِ، الذينَ امتزَجَ بهِم: لَكُم لُغَتُكُم ولِي لُغَتِي. وهذا الخَليطُ الذي يَبدُو مُعقَّدًا، هو عَرارٌ وشِعرُه.

وممّا يَنبغي التّوقّفُ عليهِ في مَسألة استِخدامِ اللّغَةِ الدّارجَةِ والألفَاظ المُحدَثة وتراكيبِها أنّ عَرارًا لم يَعمَدْ إلى هذا المَنحَى في بَواكيرِه، والتي تَمتدُّ إلى ١٩٢٠م،[٤] وأنّ انتحاءَه هذا السَّمتَ مِن استِعمالِ اللُّغة جاءَ بَعدَ نُضوجِهِ، وذلكَ – في رأيي– شَيءٌ طَبيعِيٌّ؛ لأمرَين:

الأوّل: أنّ عَرارًا رسَخَ في خَلَدِهِ – مِن ثَنايَا ما نَطّلِعُ عَليهِ مِن هذه البَواكيرِ– طُموحُهُ أنْ يَحتلّ مَكانًا ومَكانَةً في الشِّعرِ العَمودِيّ، وقد أظَلّه زَمَنٌ تَزاحمَ فيهِ فُحُولُ الشِّعرِ العَربِيِّ، فلا مَناصَ مِن التّوسّلِ إلى ذَلكَ بِلُغَةٍ رَصينَةٍ ونَماذِجَ مُشرِقَةٍ.

وأمّا الثّاني: فإنّه لم يَكُن امتزَجَ بَعدُ بالبيئَةِ الأردنيّةِ، وأهلِها. فلَمّا ذَرَع جِبالَها وسُهولَها، ونَجْدَها وَغَوْرَها، وتَسلَّمَ المَناصِبَ الإداريّةَ فيها، وتَشبَّعَ بِلُغَتِها الشَّعبيّةِ، والإداريةِ، واطّلَعَ على حَياةِ النّاسِ ومُشكِلاتِهم، واستَوَى شاعِرًا مَعدُودًا، تَصرَّفَ بمَخزونِهِ الشَّعبِيّ، والمُحدَثِ مِن اللّغَةِ، ووَظّفَه في شِعرِهِ، تَوظِيفًا مَحدُودًا – كَمَا سنَرَى– لا مُمتَدًا. ولم يَتخَلَّ عن طُموحِهِ في تَسنّم ذُروَةِ الشِّعرِ العَمُودِيّ، على الرَّغمِ مِن أسلوبِهِ المَذكورِ آنفًا، وممّا طَعّمَ به شِعرَه مِن الدّارجِ والعامِيّ والمُحدَثِ، وهذا ما تُنبِئُ بِهِ قَصائدُ دِيوانِهِ.

---

(١) هوَ الكسندَر بُوشكِين شاعِر رُوسيا الأكبَر، ومُؤسّس الأدبِ الرّوسيّ، تُوفي سَنة ١٨٣٧م.

(٢) عرار والموروث الشعبي، منديات ستار تايمز (موقع في النت).

(٣) ينظر: مقدمة الديوان: ٤٤.

(٤) ينظر: "بواكير عرار" في ديوانه، بتحقيق د. زياد الزعبي: ٥١١، وما بعدها.

بادِئَ ذِي بَدْءٍ لا بدَّ مِن الاعترافِ أنّ مَسألةَ تَحديدِ اللّفظِ العاميِّ، ووصفِهِ ليست يسيرةً ولا سَهلَةَ المَأخَذِ، وقد اختَلَفَ فِيها الدّارسُونَ اختِلافًا لا سَبيلَ إلى عَرْضِهِ في هَذِه الإلماعَة، ولكِنّنا نَستعِينُ عَلَيها في هذا البَحثِ بشَيئَين:

الأوّلُ البِيئَةُ، فَنَحن نَنتَمِي إلى بيئتِهِ نَفسِها.

والأمرُ الثّاني: السِّياق الذي تَرِدُ فيهِ.

أمّا الألفاظُ المُحدثَةُ فأمرُها أيسرُ، ومَعرِفَتُها والتّحقّق مِنها أقرَبُ مُتَناوَلاً، مِن طَريقِ المُعجَماتِ وغَيرِها.

ولا بُدَّ مِن الإشارةِ إلى أنّ ثَمَّةَ ألفاظًا وتَراكيبَ عاميَّةً لها أصلٌ في الفَصيحَةِ، ولكِنَّ العاقِبَةَ أنّها في سِياقِ العاميّةِ، لأنّ العامّةَ لا تَعنِيهُم أُصولُها، ولا سَبَبُها مِن الفَصيحَةِ، فَعَرارٌ يُحيلُ في ذَلكَ إلى استِخدامِهِم.

والألفاظُ والتّراكيبُ العاميَّةُ والمُحدثَة المُثْبَتَةَ في هذا البَحثِ هيَ كُلُّ ما وَقَعْتُ عليهِ في ديوانِ عَرار، بتَحقِيقَيْهِ؛ الأوّل لـــ د. مَحمُود السَّمْرَة، والثّاني والذي اعتَمَدْتُهُ بِشَكْل رَئيس هو تَحقيقُ أستاذِنا د. زِياد الزّعبي، واعتمادِي على ديوان د. مَحمود السّمرة جاءَ من قِبَلِ النّسخةِ التي بَينَ يَدَيّ من تَحقيق د. زياد، وَهيَ نُسخَةٌ إلكترونيّةٌ من أُطروحَتِهِ التي نالَ بها الدُّكتُوراه، بإشرافِ الدّكتُور السَّمرَة، وفيها الكَثيرُ مِن التّآكلِ وغُمُوضِ الطّباعَةِ[1].

أمّا الألفاظُ العاميّةُ والمُحدثَةُ – وهيَ الغَالِبَةُ في استِخدامِهِ على التّراكيبِ غَلَبَةً بَيِّنَةً– فَخَليقٌ بِنا أنْ نَعلمَ أنّ أكثرَها إنّما هيَ أعلامُ الأماكِنِ، إنْ جازَ لَنا أنْ نُدرجَها في هذا الحَقْلِ، كَما ذَكرتُ آنفًا. فلا نَكادُ نقعُ على قَصيدَةٍ له، لا يَذكرُ فِيها مَكانًا، سَواءً أكانَ مَدينَةً أمْ قَريَةً، أمْ واديًا، أم نَهرًا، أم عَينَ ماءٍ. فَهوَ يَذكُرُ إربدَ، وَعمّانَ، ووَادِي السِّير، وَوَادِي الشّتا، ورَاحُوبَ...، ومِثْلُ هذا شائِعٌ ذائِعٌ في شِعرِه، وَلَيسَ هذا بمُستَغرَبٍ مِن شاعِرٍ امتَزَجَ بِتُرابِ وَطَنِه ومائِهِ.

(١) لم أجدْ ديوانَه الذي أعادَ نَشره د. زياد لا في مَكتبةِ جامِعةِ أمّ القُرى، ولا في المَكتبات العامّة والخاصّة هنا، كمَا لم أجدْه في مَواقعِ الشّابكة "الإنترنت"، والنّسخةُ الإلكترُونيّة التي بَينَ يَدي زَوّدَني بها د. إبراهيم البُعول، مَشكورًا.

وعَرارُ في ذَلِكَ كُلِّهِ لَيسَ بغَافِلٍ عَمّا يُرِيدُ أنْ يَصلَ إليهِ مِن نَفسِ السَّامِعِ أو القارئ، وأيِّ صُورَةٍ سَيَنقُشُها في صَدْرِهِ. ولَعلّكَ لو أردتَ أنْ تَقتَلِعَ العَامِيّةَ أو المُحدَثَةَ التي رَكزَهَا في بيتِه لَرأيتَ كَيفَ خوَى ذَلك البَيتُ، وبَهتَت صُورتُهُ، وما أزرَتْ به الكَلِمَةُ التِي تُفَكّرُ في إحلالِها؟

وإذا تَرَكْنا الأعلامَ – ولا شَكّ أنّها جَديرَةٌ بدِراسَة مُستَقِلّةٍ– فلا بدَّ مِن الوُقوفِ على الأبوابِ التي ظَهَرَ فيها تَأثُّرُ عَرارٍ بالعَاميّةِ الدّارجَةِ، والمُحْدَثِ مِن الألفاظِ والتّراكِيبِ، وتَصنيفِها، مِمَّا أَحْصَيتُهُ، ووَقَعْتُ عَليهِ في شِعرِهِ.

أمّا هذه الأبوابُ فـــ:

- **النّباتُ:**

وَهوَ يَذكُرُ مِنها ما تَكاثَرَ حَولَهُ، وتَنشَّقَ عَبيرَهُ:

الحَمَاط[١]، (شجرةُ التِّين) والدِّيفُور[٢] (تِينٌ نافِجٌ، مِن بَواكِيرِ ثِمارِهِ)، والخُرْفِيش[٣]، والمُرّار[٤]، والعِلِت[٥]، والعَكّوب (مرتين)[٦]، والقُرْصَعَنّه[٧]، والخُبّيزة[٨]، والدَّحْنُون (عَشرَ مَرّات)[٩]، السِّدر[١٠]، والزّعرُور[١١]، والشِّيح (مَرّتين)[١٢]، والقَيصُوم (مَرّتين)[١٣]، والجَثْجَاث (نَباتٌ بَرّيّ عِطريّ)[١٤].

---

(١) الديوان: ٣٨١.

(٢) نفسه: ٣٨١.

(٣) نفسه: ٤٧٢.

(٤) نفسه: ٤٧٢.

(٥) نفسه: ٤٧٢.

(٦) نفسه:١٧٢، ٤٨٣.

(٧) نفسه: ٤٨٣.

(٨) نفسه: ١٧٢.

(٩) نفسه: ١٧٢، ٢٠٧، ٢٤٠، ٢٧٢، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٢١، ٣٧٩، ٣٨٣، ٤٨٣.

(١٠) نفسه: ٤٧١.

١١ نفسه: ٤٧١.

(١٢) ديوانه (بتحقيق د. محمود السمرة): ١٠، وديوانه: ٤٣٣. كما ذكرتُ فقد اعتمدتُ بشكلٍ رئيس على ديوانه بتحقيق د. زياد الزعبي. فأينَما ذُكرَ الدّيوان مُجرّدًا، فتحقيقَ د. زياد أعني.

(١٣) ديوانه: ٢٥٤، ٤٣٣.

(١٤) نفسه: ٤٣٣.

- **الأطعِمَةُ والأَشربَةُ:**

وهوَ يَذكرُ أطعِمَةَ النّاسِ: غَنيِّهم وفَقيرِهم:

البَسكوت[١]، والسّكاكر(مَرّتَين)[٢]، والقَطايف[٣]، والكُلّاج (مَرّتَين)،(نَوع من الحُلويات)[٤]، والقِشطَة[٥]، والقُوزليّة (مَرَق العَدَس)[٦]، والقَلِيّة (القَمْح المُحَمَّص)[٧]، والمُونَه[٨] (المَخزُون من الطّعام).

وأَشربتَهم، وما في حُكْمِها، تَقيِّهم، وعاصيهِم:

التّقَهوي[٩]، والقَهوَة[١٠]، والكُنْياك (سِتّ مَرّات)[١١]، والوِسْكي (أربع مرات)[١٢]، ورُومَا[١٣]، والبيرَاء (ثَلاثَ مَرّات)[١٤]، و(الأربعةُ مِن الخَمرِ)، والتّدخين[١٥]، والسّجاير (مَرّتين)[١٦]، والتّبغ[١٧]، والتُّنباك[١٨]، والنِّيكُوتين[١٩].

---

(١) ديوانه: ٤٠٢.

(٢) نفسه:٦٧، ٣٢٠.

(٣) نفسه: ٦٧.

(٤) نفسه: ٦٧.

(٥) نفسه: ٦٧.

(٦) نفسه: ١٣٨.

(٧) نفسه: ٤٠٢.

(٨) نفسه: ٣٨٠.

(٩) نفسه: ٢٩٣.

(١٠) ديوانه (السمرة): ١٥١.

(١١) الديوان: ٢٩٣، ١٥٢، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٤٣٧.

(١٢) نفسه: ٢٩٣، ١٥٢،٢٤٠، ٢٧٦.

(١٣) نفسه: ٢٢٥.

(١٤) نفسه: ٥، ٤٣٧، ٤٧٦.

(١٥) نفسه: ٢٩٣.

(١٦) ديوانه: (السمرة): ١٢٦، ١٥١.

(١٧) نفسه: ١٧٠.

(١٨) نفسه: ٢٣٥.

(١٩) نفسه: ٤٩٠.

الألبِسَةُ:

الأرستُقراطيّة مِنها والشّعبيّة:

السّموكِن (البَدلة بالعَاميّة)[١] والبنجُور (ثلاثَ مَرّات) (وهو لِباسٌ رَسميّ)[٢]، والجُوخَة (لِباسٌ صّوفِيّ)[٣]، البُرنيطَة[٤]، والسّيدارة (قَلَنسُوة)[٥]، والبَنطَلُون[٦]، المَضَام(قُماشٌ رَديء)[٧]، والكُندَارة[٨]، والكُندَارة[٨]، والشَّرت (مَرتين) [٩]، والصُّرماية(مرتين) [١٠]، (وثلاثَتُها أَحذِيَة).

النُّقود ومُتعلّقاتها:

البَّنك[١١]، السُّفتَج والسَّفاتِج(الكُمبيالات)[١٢]، والمَتْليك (قطعة نقدية)[١٣]، اللّيرَات[١٤]، والرِّيال[١٥]، والبَارَة[١٦]، والكُوتَا(لاتِينِيّة الأَصلِ ، وتَعني الحِصّة النّقديّة)[١٧].

---

(١) نفسه: ٥٩ ، ١٧٦.

(٢) نفسه: ٥٩، ١٧٦.

(٣) نفسه: ١٨١.

(٤) نفسه: ٧.

(٥) نفسه: ١٨١.

(٦) نفسه: ٢٨.

(٧) ديوانه (السمرة): ١٤٥.

(٨) ديوانه: ١٨١، ٣٩٤.

(٩) نفسه: ٨.

(١٠) نفسه: ٣١٦.

(١١) نفسه: ١٨٠.

(١٢) نفسه: ١٨١، ١٩٣.

(١٣) نفسه: ٢٣٦.

(١٤) نفسه: ١٨١.

(١٥) نفسه: ٢٤٦.

(١٦) نفسه: ١٨٠.

(١٧) نفسه: ٣٢٠.

وَسائِلُ النّقلِ ومُتَعلّقاتُها:

البَاراشُوت (مِظلّةُ هُبوطٍ كبيرةٌ)[١]، والسَّيارة (ثَلاثَ مَرّات)[٢]، والكَراج[٣].

- **وَسائِلُ اللّعبِ واللّهوِ ومُتعلّقاتُها:**

الدَّوَاحِل(جمع دُوْحَل، كُراتٌ زُجاجيّة صَغِيرة يَلعب بها الأطفالُ بأصابِعهم)[٤]، والطّنبارَة (آلة وَتَرِيّة)[٥]. الرّبابَة[٦]، والقِيثارة (مَرّتين)[٧]، السِّيجَة (لُعبَة شَعبيّة مِن ألعَابِ الحَصَى والحِجارَةِ، شَبيهَة بالشّطرنَج)[٨]، والشِّيش[٩]، والدُّوبارَة (فارسيّة، مِن ألفاظِ لُعبَةِ الطّاولَة، وهي لُعبَةٌ شَعبيّة)[١٠].

- **المِهنُ، وما في حُكْمِها:**

المُستشَارة[١١]، الفَرّان (مَرّتين)[١٢]، والسَّوّاق[١٣]، والدَّرَك[١٤](مَرّتَين)، والتَّسوُّل[١٥]، وجَرْسُونَه[١٦]، وجَرْسُونَه[١٦]، والبَرّاجَة[١٧] والبَصّارة[١٨]. (والبَصّارة والبَرّاجة مِن مِهَن قِراءَةِ الغَيبِ، وكَشفِ الطّالِع)، على أنّهُما لَيستَا مِن كَلامِ الأُردنيّ ولا الفِلَسطِينيّ، بل من كَلامِ السُّوريّين.

---

(١) ديوانه (السمرة): ٦٠.
(٢) ديوانه: ٦٨، ١٨٥، ٤٦٤.
(٣) نفسه: ٦٨.
(٤) نفسه: ٣٧.
(٥) نفسه: ١٨٢.
(٦) نفسه: ١٠٠.
(٧) نفسه: ١٥٦، ١٢٩.
(٨) ديوانه: ٣٧.
(٩) نفسه: ١٨٢.
(١٠) نفسه: ١٨٢.
(١١) نفسه: ١٧٨.
(١٢) نفسه: ٢٢٥، ٥٥٥.
(١٣) نفسه: ٤٦٤.
(١٤) نفسه ٢٩٣، ٢٩٤.
(١٥) نفسه: ٣٠٠.
(١٦) نفسه: ٣٧٥.
(١٧) نفسه: ٤٢٩.
(١٨) نفسه: ٤٢٩.

الأدَواتُ:

اللّولبُ[١]، والبِركارُ (قَلم الباركَر)[٢]، الجُونَه[٣] (سَلّة يَستَخدِمُها الفلّاحُون) والسَّحاحِير[٤] (صَناديقُ (صَناديقُ خَشبيّةٌ صَغيرةٌ، يَضعُ فيها الفَلاحون ثِمارَهم)، والمِنجال[٥] (أداةٌ لِحَصدِ السّنابِل)، والباطِيَة[٦] والباطِيَة[٦] (إناءٌ لِلطّعام)، والفَناجِين[٧].

الأوصاف، والألقابُ وما يُفضي إليها:

شِينَة (مَرتين)[٨]، وزِينَه[٩]، ومَزيون[١٠]، ومَزيُونة (مرتين)[١١]، وعَذيّة[١٢]، ومُدقَّقة (مَوشُومَة)[١٣]، (مَوشُومَة)[١٣]، شوَيّه[١٤]، وعِينة (الكميّة القَليلة)[١٥]، ووَحدَانـــي[١٦]، وعَكُروت (الشّقيّ والماكـــر)[١٧]، وعَرْص[١٨] (الرّجل السّـــيئ)، وكُوبَان (الجَبان)،[١٩] داشِر (هائِمٌ على وَجهِهِ، وغير مُهذَّب)[٢٠]، والهَمَالَـــة (التّسكُّـــع) (فالهَبر في دُنيـــا الهَمالـــة أوحـــدُ)[٢١]، القَوّاد[٢٢] (ســـيِّئ الخُلُق)،

(١) نفسه: ٤٢٩.
(٢) نفسه: ١٦٩.
(٣) نفسه: ٣٨١.
(٤) نفسه: ١٧٢.
(٥) نفسه: ٢٤٥.
(٦) نفسه: ٢٢٥.
(٧) ديوانه(السمرة): ١٦٧.
(٨) ديوانه: ٣٧٧، ٣٧٩.
(٩) نفسه: ٣٧٨.
(١٠) نفسه: ٣٨٠.
(١١) نفسه: ٣٨٠، ٣٨٣.
(١٢) نفسه: ٤٠٤.
(١٣) نفسه: ٣٧٥.
(١٤) نفسه: ١٥.
(١٥) نفسه: ٣٧١.
(١٦) نفسه: ٣٤٥.
(١٧) نفسه: ٣٣٢.
(١٨) نفسه: ٣٣٢.
(١٩) نفسه: ٤١٧.
(٢٠) نفسه: ٢٥٤.
(٢١) نفسه: ١١١.
(٢٢) نفسه: ٤٠٤.

والسَّرسَرِيّة (اللّصوص)[١]، وطَفران[٢]، والطّفارَى (المُفلِسون)[٣]، والعُمْص (ذَوُو العُيون المُتّسِخَة، الضيّقَة الرُّؤية)[٤]، والأزعَر(صِفة للشّخصِ السّيئ، يَتتبع النِّساء)[٥]، والرَّدْح (الفُجور في الخُصومَة)[٦]، والخَرط (الكَذِب)[٧]، ومَحسُوبك (خادِمُك ورَهْن إشارتِك)[٨]، والسّتّات[٩]، ومُطَنطَنة (ظاهِرةٌ ومَشهورة)[١٠]، ومَسكُونه[١١] (يَسكُنُها الجِنّ)، وسَوا (مَعًا)[١٢]، والكَرتونِيّ (نسبة إلى الكَرتُون)[١٣]، ومُكَعوك (هَيئة للنائمِ المُلتَفّ)[١٤]، وشَرواك(مِثلُك، ولها أصلٌ في الفَصيحَة)[١٥]، مُنمَّر[١٦] (مُرقّم)، والبيك[١٧]، والبَاشَا (ثَلاثَ مَرّات)[١٨]، والجَنَاب[١٩] (من الألقَاب)، والنّيشَان (مَرّتَين) [٢٠].

وقد تأتي الدّارجةُ من قِبَلِ التّغيّر الصّوتيّ، فيعمَد إلى ذِكر الصّفَةِ الفَصيحَةِ بانحرافِها الصّوتيّ على ألسِنَة الفَلّاحين: كـ "مُجَحَّلَة" في (مُكَحَّلَة) (مَرّتَين) [٢١]، (وهوَ نُطقُ "الكافِ" بين الجِيمِ والشّين) في قُرى شَمال الأردُنّ.

---

(١) نفسه: ٤٠٤.

(٢) نفسه: ٢٨٠(الحاشية).

(٣) نفسه: ٣٠٤.

(٤) نفسه: ١٣٤.

(٥) نفسه: ١٢٩.

(٦) نفسه: ٧٨.

(٧) نفسه: ٢٤٥.

(٨) نفسه: ١٢٢.

(٩) نفسه: ٥٢٧.

(١٠) نفسه: ٦١.

(١١) نفسه: ٣٨٠.

(١٢) نفسه: ٣٩٨.

(١٣) نفسه: ٤٣٠.

(١٤) نفسه: ٢٩٣.

(١٥) نفسه: ٩٤.

(١٦) نفسه: ١٤٦.

(١٧) نفسه: ١٣٣.

(١٨) نفسه: ٢٨١، ٣١٩، ٤٧٥.

(١٩) ديون عرار (السمرة): ٣٨.

(٢٠) نفسه: ٣١٩، ٣٩٠.

(٢١) نفسه: ٣٢٤(الحاشية)، و ٣١٥ (الحاشية).

مـــاذا عـــلى النـــاس مـــن حـــبـــي مـــجَـــحـــلَةً بـــيـــنَ الخَـــرابـــيـــشِ أهواها
وتـــهـــوانـــي[١]

وقولُه: "جُوِيَت" في "كُوِيَت"[٢]:

هَيهاتِ لـــو ما مَضَى قَد يَعودُ
ما جُـــوِيـــتْ بَحـــرّهـــا الكُبـــودُ

الأغاني والأهازيجُ الشّعبيّة:

وَوَقعتُ على اثنتَينِ مِنها، ولا شَكّ أنّه يَستخدِمُ مَطالِعَ هذه الأهازِيجِ إحالةً وَجزءًا مِن الصُّورَة التي يَرسُمُها في القَصيدَة، وَهما:

هَبْ الهَوَا (ذكرَها ثَلاثَ مَرّات) (مَطلَعُ أُغنيَة عندَ الفَلاحين)[٣]، دَلْعُونَا (أُغنِيَةٌ شَعبِيّةٌ لِمناطِقَ واسِعةٍ مِن بِلادِ الشّام)[٤].

الاتجاهاتُ الفِكريّةُ، وما يُفضِي إليها:

بَلْشَفِي[٥]، شُيوعِي[٦]، التَّحرُّر[٧]، مُحرِّر[٨] (مانِح الحُرِّيّة)، والتيّار(اتجاهٌ فِكريّ)[٩].

الثّقافَة والأدبُ:

الثّقافَة[١٠]، والجَرائِد[١١]، والرِّوايَة[١٢] (القِصّةُ الطّوِيلَة)، والأُسلُوب(الأدبي)[١٣].

---

(١) نفسه:٢٤.
(٢) نفسه: ٨٨، وديوانه بتحقيق السمرة: ٢١٤.
(٣) نفسه: ٢٥٣، ٢٥٥.
(٤) نفسه: ٥٥٦.
(٥) نفسه: ٤٩٧.
(٦) نفسه: ٤٩٧.
(٧) نفسه: ١٦٢.
(٨) نفسه: ٣٤٦.
(٩) ديوانه (السمرة): ٦٢.
(١٠) نفسه: ١٩٥.
(١١) نفسه: ٢٤٥.
(١٢) نفسه: ١٨١.
(١٣) نفسه ١٩٥.

الأماكِنُ والمَنازِل:

المَضافَات (أماكنُ استقبالِ الضُّيوفِ، واجتماعِ النّاسِ مِن ذَوِي القَرابَة)[1]، الحارَة (مَرّتين) [2]، والخَرابِيش(ثمانِي مَرّات) (جَمْع خَرْبُوش، خَيْمَة تُصنَعُ مِن الخَيْش، وهيَ هُنَا خيَمُ النّوَر) [3]، العَريشَة (المُعَرَّش) [4].

بعضُ المُتفرّقاتِ مِن الأسماءِ والجُموعِ:

وهيَ مُتفرّقات لا تَنتَظِمُها الأبوابُ السّابقَة:

سَنتِمِتر[5]، والمِشوار[6]، والكِتَاف (نوعٌ من التّقييد)[7]. والسَّوالِف (الحكَايا)[8]، والشّلايا[9] (قُطعانُ قُطعانُ الأغنَام)، والجُوْرَعَة (إباحَةُ الفَلاحينَ مَحاصيلَهم لِلنّاس آخرَ مَوسمِ الحَصادِ)[10]، العُنوان[11]، مَمْنون[12] (شاكِرٌ لك)، وشَالُوم (كَلِمة عِبريّة[13].

(١) نفسه: ٢٤٥.

(٢) نفسه: ١٨٠، ١٨٥.

(٣) نفسه: ١٦٤، ١٦٧، ١٧٣، ٢٦٨، ٣٢٥(مرتين)، ٣٤١، ٤٨١،

(٤) نفسه: ٤٩٤.

(٥) نفسه: ٣٨.

(٦) نفسه:٥٩.

(٧) نفسه: ١٥٤.

(٨) نفسه: ٢٤٥.

(٩) نفسه: ٧٥.

(١٠) ديوانه: ٢١٩.

(١١) نفسه: ٣٩١، ٥٥٨.

(١٢) نفسه: ٤٨٣.

(١٣) نفسه: ٤٣٣.

الأفعالُ:

بَرطَــع (مَكَثَ مَسرُورًا مُستمتعًا)[١]، وزَعَــق[٢]، وفَشَــروا[٣] (ثــلاثَ مــرّات) (خَسِــروا)[٤]، (خَسِــروا)[٤]، وعَنفَصَ (اغتاظَ وغَضِــبَ)[٥]، ولَطَــش (سَــرَقَ)[٦]، انكَبُّــو (اصمــتوا)[٧]، شــلّحَ[٨] شــلّحَ[٨] (عَرّى). وازعَق[٩] (مَرّتين)، وخَبُوني (خَبِئوني)[١٠]، ولَفلِفيني (ضُمّيني)[١١]. وأُفتِّش (أَبحَثُ)[١٢]، ويَشحَد (يستَجدِي)[١٣]، ويَنفِلقُو (لا يَأبَهُ لَهم ما صنَعُوا)[١٤]. وتُفٍّ (مُنوّنَة مَرّتَين)[١٥].

التّراكيبُ:

وهي:

يا بِنت (خَمسَ مَرّات) [١٦]، ويا بنيّة[١٧]، ياعَجيّة[١٨]، يا مَعوِّد[١٩]، أطلَعُوا دِيني[٢٠]، حَرقَتَ وأَحــرقُ دِيكَك (يَستَبدِلُونَ بالنّون كَافًا؛ تَحرّجًا مِن الحُرمَة)[٢١]، قَبضَ المَعاشَ (مَرّتين)[٢٢]، يُقيم

(١) نفسه: ٢٧٢.
(٢) نفسه: ٣٨٣.
(٣) نفسه: ١٣٦، ٣٧١.
(٤) نفسه: ١٣٦، ٣٧١.
(٥) نفسه: ٣٧١.
(٦) نفسه: ١٨٥.
(٧) نفسه: ١٨.
(٨) نفسه: ٤٩٣.
(٩) نفسه: ٢٠.
(١٠) ديوانه: (السمرة): ٥٠.
(١١) الديوان: ٣٢٨، ينظر الحاشية.
(١٢) نفسه:٣٠٩.
(١٣) نفسه: ١١٣.
(١٤) نفسه: ١٧٢، والحاشية: ١٦٤.
(١٥) نفسه: ٢٠٠، ٢٦٢.
(١٦) نفسه: ٢٦٢، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٢٠، ٣٧١، .
(١٧) نفسه: ٤١٠.
(١٨) نفسه: ٢٧.
(١٩) ديوانه: ١١١.
(٢٠) نفسه: ٣٩٥.
(٢١) نفسه: ٤١، ١٨٠.
(٢٢) نفسه: ١٤٩، ٤٧٧.

قِيامتي[١]، أبيعُ بالجُملَة (مرّتين) [٢]، يَباعُ بالكَمش[٣]، خُذني مَعاك(ثلاث مرّات)[٤]، حِنّي عَليّ[٥]، بَلّطوا بَلّطوا البَحر[٦]، وعلى هُون ه(على مَهلِه، مُتعلّقَة بفِعلٍ مَحذُوف) (مرّتين) [٧]، ومِن هُونَه (مِن هُنا، وهي متعلّقةٌ بفعلٍ محذوف أيضًا) (مرّتين) [٨]، على دُوّه على أُونَه[٩] (عِبارَة للدّلّالين، يُغرُونَ بها النّاسَ النّاسَ للاشتِراكِ في المَزادِ أو الشِّراء). والوُقوفُ إجباري (ليتَ الوُقوفَ بوَادي السّيرِ إجباري)[١٠]، حِسابُه جارِي[١١]، والأمورُ الجَوهريّة[١٢]، وريشَةُ الفَنّان، وأحلام مُجَنَّحَة[١٣]، وشْلُونه (وأصلُها" إيش لُونُه" وهيَ في أَصلِها سُؤالٌ عن الصِّحّة) (مرّتين)[١٤]، ونَفسي لم تَزَل خَضرَا[١٥]، ونَفسِي طَرِيّة[١٦]، وسَكران طِينَة[١٧] (لَيستْ مِن كَلام الأُردنيّين، بل من كَلامِ أهلِ مِصرَ والسّودان). سكْتَة قلبية[١٨]، والزّمانُ الزّفْت[١٩]، والخِديدُ الأحمرُ[٢٠]. ابنُ الشارع[٢١]، أكل هَوى[٢٢]، لُقْمة الخُبز[٢٣]، ودارُ

(١) نفسه: ١٨٠.
(٢) نفسه: ٢٧٩، ٥٥٥.
(٣) نفسه: ٢٧٩.
(٤) ديوان عرار(د.زياد): ٣٣٤.
(٥) ديوانه(السمرة):٣٥.
(٦) نفسه: ٣٠٢.
(٧) ديوانه: ٣٧٨، ٣٨١.
(٨) نفسه: ٣٧٥، ٣٧٧.
(٩) نفسه: ٣٨٤.
(١٠) نفسه: ١٥٦.
(١١) نفسه: ١٥٧.
(١٢) ديوانه (السمرة): ٢٧.
(١٣) نفسه: ٣٢٥.
(١٤) نفسه: ٣٧٧، ٣٧٨.
(١٥) ديوانه: (السمرة):٣٤.
(١٦) ديوانه: ٤٠٣.
(١٧) ديوانه: ٣٧١.
١٨ نفسه: ٢٢١.
(١٩) نفسه: ٣٠٤.
(٢٠) نفسه: ٣٢٠.
(٢١) نفسه: ٢١٠.
(٢٢) نفسه: ١٤٥.
(٢٣) نفسه: ٢٦٢.

العادِلِيّةِ[١]، ورَاسُ الكُومِ [٢]، ورَأسُ الوَظيفةِ[٣]. العِزّ والرُّز (كِنايَة عن النِّعمة)[٤]، وكاني وماني ("وكاني ماني"، ودلالتها كثيرة، بحَسبِ السِّياق)[٥].

(و) قد يَعمَدُ الشّاعرُ إلى تَفصيحِ اللّفظَة العاميّة، فَيصبّها في قالبٍ فَصيحٍ، نحو: يَتبَلْفَر[٦]:

فَهناكَ لا بِلفُورَ يُزعِجُ وَعدَه أَحَدًا ولِيسَ هُناك مَن يَتَبَلْفَرُ

و"خَربَشوا" (بنَوا خَرابيشهم)[٧]:

إخوانُ سَلْمى خَربَشُوا فالاحتِفاءُ بِهم لِزام

و "تَبَوْهَمَ"[٨]:

قد تَبَوهَمَ حتّى كادَ يَوهمةً يَذوبُ رَغمَ الطّبيبِ المُسعِفِ الآسِي

و "تأردَنَ"[٩]:

ولا تَأَردُنُهُ يَومًا بمُحتَمَلٍ ولا لِتقديسِهِ الأردنَّ إمكانَا

وتمشكَحَ (تَسكّعَ)[١٠]:

قالُوا تَمشكَحَ في يافا وقد صَدَقُوا إنّي تَمشكَحتُ رَغمَ العاذِلِ الشّانِي

وتَدمشَقَ[١١]:

قَالوا: تَدَمشَقَ، قُولوا: ما يَزالُ على عِلّاتِهِ إربدِيَّ اللّونِ حُوراني

وأنورَ[١٢]:

نَورٌ نُسمّيهم ونَحنُ بعُرفِهُمُ مِنهُم وفي عَينِ الحَقيقَةِ أَنْوَرُ

---

(١) نفسه: ٢٥.

(٢) نفسه: ١٤١.

(٣) نفسه: ١٥٣.

(٤) نفسه: ٣٦.

(٥) الديوان: ٣١٢.

(٦) نفسه: ١٣٢.

(٧) ديوانه (السمرة): ١٤٥

(٨) ديوانه: ١٩٠.

(٩) الديوان: ٢٨٨.

(١٠) نفسه: ٣٢٥.

(١١) نفسه: ٣٨٢.

(١٢) ديوانه (السمرة): ١٠٥.

والنَّوَر، جَمعُ النّوريّ، وهُم الغَجَرُ، ومَن في حُكمِهم، ولا يُشتَقُّ مِن "النّوَر" اسمُ التّفضيل. وتَعاوَجَ[١]، وتَطربَش[٢]، وتَقلبَ ق(لِباسُ الرّأسِ عندَ الشّركَ(س))[٣]، وغَوَّر[٤]، وجِلْعَ(د)[٥]، ونَورَزْنا ونَورَزْنا (دَخَلنا في النَّوْرُوز، وهو الرَّبيعُ عِندَ الفُرْس) (مَرّتين)[٦].

وكُلُّها مَصبُوبَةٌ في قَوالبِ أبنيةِ الفَصيحَةِ، وجلّها على وَزن: "تَفَعلَلَ"، و"قَعْلَلَ"، وواحِدَةٌ "أنوَر" على وَزْن "أَفْعَــل" التّفضيل، ولا تَفضيلَ مِن "النَّوَر"، كما ذُكِر.

وهُنا يَجدرُ التَوقّفُ على بابٍ كُلُّ مُفرداتِهِ مُحدَثٌ، يَخُصّ فِئَةً، ومِهنَةً امتَهَنَها عَرار، ولَعلَّها المِهنَةُ الوَحيدةُ التي ظَفِرَ بشهادَةٍ فيها، والمُحاماةَ والقانُونَ أعني. فَضلًا عن الوَظائفِ الإداريّةِ التي تَبوّأها، ورَسَّخَت في وَعيهِ تِلك الألفاظَ والمُصطلحاتِ. وإنّنا لنَرَى انعكاسَ ذلكَ على صَفحاتِ شِعرِه، إذْ يَذكُر:

القَوانين (مَرّتين)[٧]، وقانُونــي[٨]، والقَانون (ثَــلاثَ مَرّات)[٩]، قانُون الجَــزاء[١٠]، أحكــام الخَزِينَة[١١]، والقَضيّة[١٢]، والقُضــاة (مَرّتين)[١٣]، وأحكــام[١٤]، وحُكومي[١٥]، والعَدالــة[١٦]، والتّنديد[١٧]، والعَــزل[١٨]، والنَّفي[١٩]، والمُدّعي العام (ثَــلاث مَــرّات)[٢٠]، والحِــرْز[٢١]،

(١) نفسه: ٢٦٢.
(٢) ديوانه: ١٩٧.
(٣) نفسه: ١٩٧.
(٤) نفسه: ٢٠٩.
(٥) نفسه: ١٢١.
(٦) نفسه: ٢٢٤.
(٧) نفسه: ٢٨٢، ٣٠٢.
(٨) نفسه: ٢٦٨.
(٩) نفسه: ٢٧٠، ٢٧٧.
(١٠) نفسه: ٣٧٠.
(١١) نفسه: ٣٧٠.
(١٢) نفسه: ٤٠٠.
(١٣) نفسه: ١٦٥، ٣٧٠، ٤٠٠.
(١٤) نفسه: ١٦٥.
(١٥) نفسه: ٢٥٤.
(١٦) نفسه: ٢٦٩.
(١٧) نفسه: ٣٠٢.
(١٨) نفسه: ٣٠٤.
(١٩) نفسه: ٣٠٤.
(٢٠) نفسه: ٢٩٩، ٤٠٠.
(٢١) نفسه: ٤٠٠.

والمَراسِـــم[١]، والرُّســـوم[٢]، والطَّوابِـــع[٣]، والاشتِياه[٤]، والغَريم[٥]، والجانِي[٦]، والجُنَاة[٧]، والأسبَقيّة والأسبَقيّة (مرّتين)[٨]، والبَراطِيل (الرّشاوَى)[٩]، والرَّاتِب[١٠]، والمَعاش[١١]، والإضبَارة[١٢]، والرُّكْن[١٣]، وعُمومِي[١٤]، ونُصوص حُكمِ هَواك[١٥]، ودَوائِر الإجراء[١٦]، والتَّعْيين[١٧]، وتَوْريد[١٨]، وإصدَار[١٩]، واستنكَروا[٢٠]، واستَكتَبُوا[٢١].

وهذه ألفاظٌ ومُصطَلحاتٌ قانُونيّة وإداريّة مُحدَثَةٌ بمَفْهُوماتِها، عاشَ مَعَها عَرارٌ جُلَّ عُمُرِهِ، فغَاصَتْ في أشعارِهِ وصُورِهِ، وتَوسَّلَها؛ ليُودِعَ المَعنى الذي يَتغيَّاهُ مِنها في نَفسِ سامِعِه وقارئِهِ.

---

(١) نفسه: ٤٠١.

(٢) نفسه: ٢٥٤، ٤٠٠.

(٣) نفسه: ٤٠٠.

(٤) نفسه: ٢٦٨.

(٥) نفسه: ٣٠٢.

(٦) نفسه: ٢٦٨.

(٧) نفسه: ١٦٤.

(٨) نفسه: ٤١١،٤٠٤.

(٩) ديوانه: ٤١٦.

(١٠) نفسه: ٨.

(١١) نفسه: ٢٥٣.

(١٢) نفسه: ١٨٠.

(١٣) ديوانه (السمرة): ٤.

(١٤) ديوانه (السمرة):١١.

(١٥) نفسه: ١٤٤.

(١٦) ديوانه (السمرة): ٣٦.

(١٧) ديوانه(السمرة): ٥٠.

(١٨) نفسه: ٦٤.

(١٩) ديوانه (السمرة): ٦٥.

(٢٠) نفسه: ٣٢٥.

(٢١) ديوانه:٢٩٧.

وفي ذاتِ السِّياق لا بُدَّ مِن الإشارَةِ إلى مَلْمَحٍ مِن مَلامِحِ تَعَلُّق عَرار بِثَقافَةِ النّاسِ ولُغَتِهم، وهوَ ما صَنعَه من مُحاولَتِهِ الفَريدَةِ في نَظمِ الأمثالِ الشّعبيّةِ، فقد ذَكرَ له د. زياد الزّعبي سِتّةً وعِشرينَ مَثَلا، صاغَها في اثنينِ عِشرين بَيتًا[1]، ونَشرَها في جَريدةِ الأردنّ، والدّكتور زياد لم يُحَدِّدْ تاريخَ نَظمِها، فإذا فإذا كانَتْ جَريدَةُ الأردُنّ صَدرَت في الأردنّ سَنَة ١٩٢٧م عَلِمنَا أنّ عَرارًا نَشرَها بَعدَ هذا التّاريخ.

وهذهِ تَجربَةٌ مُتَفَرِّدَةٌ لعَرار، وإنْ كانَ لها مِن قِيمَةٍ فإنّها باديَةٌ في تَعَلُّق الشّاعِرِ بالناسِ وأمثالِهم الشّعبيّةِ، ولَعلّها لا تَعدُو هذه المَنزِلَةَ. فحلُّ المَثَلِ لِيغْدُو شِعرًا من غَيرِ سِياقٍ فَنِّيٍّ يُبرِّدُ المَثَلَ، ويَجعلُ الشِّعرَ مَتْنًا مِن المُتونِ، ما دامَ هذا المَثَلُ لا يَشغَلُ مَكانَهُ، مِن نَصٍّ يُوَظَّفُ فيهِ.

ويَقولُ الأزرَعِي في تَجربتِهِ تِلك[2]: " ... حتّى إذا دَقّقنا في ما هو غَيرُ مَكتوبٍ، كُنّا أمامَ لَوحَةٍ شَعبيّةٍ مُتكامِلَةٍ أبدعَتْها رُوحُ الشّعبِ، المُلَخّصَة والمُكثّفَة في مَنظُومَة المَثَل الشّعبيّ... ولو لم يَكُن عَرارٌ يُدرِكُ تلكَ التّرابطيّة التي تُشكّلُ في مَجموعِها مَوضوعًا مُوحّدًا لَمَا صَاغَ هذه الأمثالَ على بَحرٍ واحِدٍ، وقافِيَةٍ واحِدَةٍ، ولَتَرَكَ كُلَّ واحدٍ مِنها على حِدَةٍ". وهذا مَركَبٌ وَعِرٌ، يَسوقُ فيه الأزرَعِي الأبياتَ سَوقًا إلى غايَةٍ لا يُمكِنُ الخُلوصُ إليها، فهذه الأمثالُ أضغَاثٌ، لَيس لجَمعِها غايَةٌ، ولا رابِطَ يُؤَلِّفُ بَينَها، إلا أنّها أمثالُ النّاسِ، ولا تَنتَظِمُها فِكْرَةٌ إلا النّظمَ.

ولَعلَّ أبا العَتاهِية سَبقَ عَرارًا بهَذا[3]، وقد ذَكرَ صَاحِبُ الأغاني أُرجُوزتَه "ذاتَ الأمثالِ"، وذَكرَ أنّ له فِيها أربَعةَ آلافِ مَثَلٍ، أثبَتَ مِنها ثَلاثَةً وعِشرين، وأتمّ مِنها شُكرِي فيصل ثَلاثَمِئَةٍ وعِشرين بَيتًا[4].

وسَبيلُ أبي العَتاهِيَة غَيرُ سَبيلِ عَرار، فَهوَ يَنظِمُها مُتُونًا لِلحِكمَةِ، على سَمْتِهِ، ونَهجِهِ، بَينَما سَلَك فِيها عَرارٌ مَسلَكًا أقرَبَ إلى رَقْم هذه الأمثالِ، والحِفاظ عليها، ولم يَعُد إليها، على هذا المِنوَال.

ومِنَ المُؤَكّد أنّ عَرارًا كانَ عارفًا بالأمثالِ الشّعبيّة، عالمًا بمعَانيها، وقد أثبتَ له د. زياد الزُّعبي مَجموعَةً قَصَصيّةً مَفقُودَةً جَعَلَ عِنوانَها" أوّل الرّقْصِ حَنْجَلِه"[5]، وهو مَثَل مَعرُوفٌ في الأردُنّ وفِلَسطين.

---

(١) ديوانه: ٤١٣.

(٢) عرار والموروث الشعبي، منديات ستار تايمز (موقع في النت).

(٣) ينظر: مصطفى وهبي التل حياته وشعره، كمال فحماوي: ٩٦.

(٤) أبو العتاهية، أخباره وأشعاره: ٤٤٤، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٥م.

(٥) نفسه: ٣٢.

على أنّ عَرارًا يَعِي جَيِّدًا مَتى يَستَدعي المَثَلَ، أو يَستدعِيهِ المَثَلُ، وحاجَةَ السِّياقِ إليهِ، لِيُكمِلَ عناصرَ صُورتِهِ، كَقولِه[١]:

بـــأدغـــالـــكَ يازَيتـــو نَ بُرْما استأسَدَ الذِّئبُ

ومُذ أبصَرتُ كُسحَانًا بِهِـــم تَتَبـــرَّمُ الـــدَّربُ

لقـــد آليـــتُ يا نـــدمـــا نُ لا أَمشِي وأَنْ أَحبُو

وقَولُهُ في المَثَلِ نفسِه[٢]:

زيتُونَ بُرْمَا رغْمَ أَنْفِكَ داشِرٌ ما زالَ وهوَ كَذلكَ مُنذُ قَديمِ

فاخْتَرْ لِنفْسِكَ مَوْطِنًا مُتَمنِّعًا بالعِـــزّ لَيسَ بهِ الخَنـــا بمقيـــم

فهَهنا نَجِدُ مَثَل "زَيتُون بُرمَا" لا مُتَكَلَّفًا ولا دَخيلًا، بل جُزءًا أَصيلًا مِن الصُّورةِ.

وإذا عُدْنا إلى الأبوابِ التي أَثبَتنا فِيها الألفاظَ والتَّراكيبَ العَاميَّةَ والمُحدَثَة في شِعر عَرارٍ فثَمَةَ مَلمَحانِ لا بُدَّ مِن ذِكرِهِما والوُقوفِ عَليهما في تَحليلِ هذه الأبوابِ:

الأوّل: أنّ عَرارًا يَستخدِمُ هذا النَّمَطَ مِن اللُّغةِ الدارجة والألفاظَ المُحدثَةَ؛ لِيُتِمَّ اللّوحَةَ التي يُريدُ أنْ يَرسمَها بِشعرِه، ويَفزعَ إليها عِندَما يَرى أنّ الصُّورةَ والسِّياقَ لا يَتمُّ دُونَها.

والثّاني: أنّ الغَالبيّةَ العُظمَى مِنها إنّما هيَ ألفاظٌ مُفردَةٌ، لا تَراكيب. وهذهِ سِمَةٌ تُشيرُ إلى أنّ عَرارًا لم يَكُن يَميلُ إلى الإغراقِ في استِخدامِ العاميّةِ الدّارجَةِ، بل كان يَكتَفي مِنها بلَفظَةٍ، كَضَربَةِ فُرشَاةٍ مُشرِقَةٍ، في لَوْحَةٍ عَريضَةٍ.

فالتّراكيبُ شَيءٌ قَليلٌ مَعَ الألفاظِ العاميّةِ الدّارجةِ، أو المُحدثَةِ التي ذَكرَها؛ ذلك أنّه –كما ذَكرنا–لا يَبتغِي الخُروجَ عن الفَصيحَةِ خُروجًا بَيّنًا، وقد رَأينا حِرصَه على أنْ يَكونَ شاعِرًا فَصيحًا.

(١) ديوان عرار: ١٩.

(٢) ديوانه: ٢٥٤.

وأيًّا كانَ الأمرُ فالألفاظُ العاميّةُ والمُحدثَةُ والتّراكيبُ التي استَخدمَها عَرار لا تُساوي شَيئًا يُذكرُ في جَنب القَصائدِ الفَصيحَةِ التي أودَعَها ديوانَه. ولئن فاتَني من هذهِ الألفاظِ والتّراكيبِ شَيءٌ فمِن المُؤكّدِ أنّه لم يبقَ ما يُغيّرُ هذا الرأي.

الحُقُولُ الدّلاليّةُ:

بادئًا، إنّ الكَلامَ هَهنا على الحُقولِ الدّلاليّةِ – وهي إحدَى نَظرياتِ المَعنَى– ليسَ كَلامًا يَتناولُ نَظرياتِها ولا تَفصيلاتِها وتَفريعاتِها، ولكِنّه كَلامٌ أجتَزئُ مِنهُ بتَصنيفِ الأبوابِ المَذكُورَةِ التي جاءَت في شِعرِ عَرار، حَتّى نَتعَرّفَ اتجاهَ استِخدامِهِ لهذا البابِ مِن اللُّغَةِ.

ذَكرتُ آنفًا أنّ أوسَعَ حَقلٍ في ديوانِ عَرار وأخصبَه إنّما هو حَقلُ الأعلامِ، وأعلامُ المَكانِ بالدّرجَةِ الأُولى، تَليهِ الأعلامُ مِن الذين عاصرَهم، أو استَشهَدَ بحالِهم، وهذا الحَقلُ لا يَعقُبُه حَقلٌ في الكَثرَةِ والاتّساعِ. ونَظرَةٌ في فَهرَسَةِ الأماكِنِ، في تَحقيقِ د. زياد للدّيوان تُؤكّدُ هذه الحَقيقةَ، وأمّا الأشخاصُ فلا تَخلُو قَصيدَةٌ مِنهم، وقد ذَكرتُ آنفًا أنّ هذا حقيقٌ بدراسَةٍ خاصّةٍ.

بعدَ ذَلكَ نَقِفُ على الحُقولِ التي أثبتّاها، وَهي –كَما رَأينا– حُقولٌ مُتباعِدَة، قد يَظهرُ أحدُها على الآخَر، ولكِنّها حُقولٌ مَحدُودَةٌ ولَيسَت مُمتدّة. وهي – كَما بَدَت – أربَعَةُ أقسامٍ:

- قِسمٌ مُتآلِفُ المَعاني والدّلالَةِ، ويَضمُّ اثنيْ عشرَ حَقلاً، وهي: الألفاظَ القَانونيّةَ والإداريّةَ، والنّباتَ، والأطعِمَةَ والأشربةَ، والأدَواتِ، والمِهنَ، والألبسَةَ، والنّقودَ، والنّقلَ، ووَسائلَ اللّعبِ واللّهوِ، والأدَبَ والثّقافَةَ، والأماكِنَ، والاتجاهاتِ الفِكريّةَ.
- وقِسمٌ قليلٌ مِن المُتفرّقاتِ، قِوامُهُ أشتاتٌ من الأسماءِ والجُموعِ المُختَلِفَةِ.
- وقِسمٌ يُمكِنُنا أنْ نُدرِجَهُ تَحتَ التّصنيفِ اللّغويِّ، والصّرفيِّ خاصّة، وهو الأوصافُ، والأفعالُ، وتَفصيحُ الألفاظِ، وصَبُّها في الصّيَغِ الصّرفيّةِ الفَصيحَة، على أنّ ثمّةَ سِماتٍ مُؤتَلِفةً فيها، كَما سَنرَى.
- والقسمُ الرّابعُ هوَ قِسمُ التّراكيبِ، وهوَ قِسمٌ يَنتَظِمُهُ أُسلُوبُ التّأليفِ، وتَتَفَرّقُ به المَعاني.

أمّا الإحصاءُ فَنبدأُ بالحُقولِ المُتآلِفةِ المَعنى، ونَجدُ أبرزَها حَقلَ الألفاظِ القانونيّةِ والإداريّة، وهيَ ألفاظٌ مُحدثَةٌ أَلِفَتْها المَحاكِمُ، ونُظُمُ إدارةِ الدّولةِ، ولم تَعهدْها الفَصيحَةُ بهذِه المَعاني والصّفَاتِ، وإنْ عرفت بعضَ مُصطَلحاتِها، وقد بلَغت (٤٣) لَفظًا.

ويَتلُوهُما حَقلُ الأطعِمَةِ والأشربَةِ، أمّا الأطعمةُ فقد بلَغَت (١٠) ألفاظٍ، ثُلُثاها للمُترَفِين، (٣) مِن العاميّة الدّارِجَةِ، وَسائِرُها مُحدَثٌ.

أمّا الأشْرِبَةُ فقد بلَغَت (٢٢) لفظًا، (١٤) تَكرارٌ لأنواعٍ مِن الخَمرِ، و(٦) من التِّبغِ، واثنانِ لِلقَهوَة. وكُلُّها مُحدَث.

وأمّا النّباتُ فقد بلغ(٢٦) لفظًا، وَجُلّه مِن الأعْشابِ البَريّة، التي يَفتاتُها بُسطَاءُ النّاسِ، وقَد كرّرَ الدَّحْنُونَ (١٠) مرّاتٍ، مِمّا يُشيرُ إلى مَنزِلَةِ هَذا النّباتِ عِندَ الشّاعِرِ.

وأمّا الألبِسَةُ فقد بلَغَت ألفاظُها (١٤) لفظًا، (٨) مِنها أرستُقراطِيّ مُحدثٌ، و(٦) عامِيٌّ دارِجٌ.

أمّا الأمَاكِنُ والمَنازِلُ فقد بلغت (١٢) لفظًا، وكلُّها شَعبيّ دَارِجٌ، كَرّرَ فيها "الخَرابيش" (٨) مرّات، أيْ أكثرَ مِن نِصفِها، وهذا يُصوِّرُ تَعلّقَهُ بأصحابِها، وكَثرَةَ مُقامِهِ فِيهِم.

أمّا المِهَن، فقد بلَغَت (١٠) ألفاظٍ، منها(٤) مُحدَثَةٌ، وقد كَرّرَ "الدَّرَكَ" مَرتين. وسائرُ الألفاظِ الخَمسَةِ عامِيّةٌ، وهي:(الفَرّان" مَرّتَين" والتّسوّل، والبَصّارة، والبَراجَة)، وإنْ لم تَكُن مَحلّية.

أمّا وسائلُ اللّعِبِ واللّهْوِ فقد بلغت(٨) ألفاظٍ، (٣) مِنها آلاتُ عَزفٍ وَتَريّةٍ، واحدةٌ منها مُحدَثَةٌ، وهي "القِيثَارَة"، وقد كرّرَها مرّتين، ولُعبَةُ أطفالٍ، واثنتانِ تَتَعلّقانِ بِلُعبَةِ الطّاولة، وباستِثناءِ القِيثَارة، فَكُلّها ألفاظٌ شَعبيّة دارجَةٌ.

وأمّا النُّقودُ فبلَغَت ألفاظُها (٨)، نِصفُها عُمُلات، وسائِرُها متعلّق بها كالكَمْبِيَالات والكُوتَا، وكُلُّها مُحْدَثٌ.

أمّا الأدواتُ فقد بلَغَت (٧)، ثِنتان محدثتان، وخَمسةٌ عامِيّة دارجة.

وأمّا ألفاظُ وَسائلِ النّقلِ فبلَغَت (٤)، ومُتَعلّقٌ هو "الكراج"، وكلُّها مُحدَثَة، وقد كَرّرَ السّيارَةَ ثَلاثَ مَرّاتٍ مِنها. ولَعلّهَا تُحاكِي قِلّتَها في حَياة النّاسِ آنذاك.

وأمّا الاتّجاهاتُ الفِكريّة فقد ذَكَر (٥)، كُلّها مُحدَثٌ.

وأمّا الأهازيجُ الشّعبيّةُ فقد ذَكَر "هَبْ الهَوا" (٣) مَرّات، و"دَلْعُونا" مرّة واحدة.

وأمّا الأدبُ والثّقافَة فقد ذَكَر (٤)، وكلّها مُحدَثٌ.

وأمّا المُتفرّقاتُ فقد بلَغَت (٩) ألفاظٍ، وهي أشتاتٌ مِن الأسماءِ والجُموعِ، وكَلِمَةٌ عِبريّةٌ هي "شَالوم"، ذكَرهَا في مَعرِضِ التّهكُّم.

أمّا حقولُ الألفاظِ التي يُمكِنُ أنْ تَنتَظِمَها اللّغةُ فأوّلُها النُّعوتُ والأوصافُ، والألقابُ، وهي توازي عَديدَ ألفاظِ الحَقلِ القانونيّ والإداريّ، وجُلُّ مَفرداتِها مَذمومٌ، وقد بلَغَت (٤٣) لَفظًا. منها (٣٤) أوصافٌ شَعْبيّة دارجَةٌ، وإن كانَ مِنْها ما له جَذرٌ في الفَصيحَةِ، و(٩)، مُحدَثَة، جُلُّها ألقابٌ.

يَليهِ الأفعالُ وقد بلَغَت (١٨) فعلاً، (٨) مِنها بصيغَة الماضي، و(٣) بالمُضارِع، و(٥) بصيغَةِ الأمرِ، وواحدٌ استخدَمَه بما يُشبِهُ أسماءَ الأفعالِ، وهو (تُفٍّ)، منوّنَةً (مرّتين). وجلّها يدُلُّ على أفعالٍ وهَيئاتٍ غيرِ مَحمُودَةٍ، وكلّها من العَاميّ، المُغرِقِ في الشّعبيّةِ.

أمّا الألفاظُ المَصبُوبَةُ في قَوالبِ أبنيةِ الفَصيحَةِ فقد بلَغَت(١٤) فعلًا، جُلّها جاءَ أفعالاً على "فَعْلَلَ، وتفَعْلَلَ؛ إذ بلغ وَزنِ: تَفَعلَلَ" (٦) أفعالٍ، و"قَعْلَلَ" (٤) أفعالٍ، وواحِدٌ "يَتَفَعْلَل"، وواحِدٌ "تَفاعَلَ"، وواحِد "فَعلَ"، واسمٌ واحِدٌ على وَزْنِ أَفْعَلِ التّفضيلِ.

أمّا التّراكيبُ فقد بلَغت (٤٨) تَركيبًا، وينتظِمُها المَعنى الأُسلوبيّ، أكثرُ مِن ثُلثِها فِعليّة، إذ بلغَت (١٩) تركيبًا، وثمة(٨) في النّداء، وإذا تَبعنا النُّحاةَ في أنّها تَؤُولُ إلى الفِعليّةِ بلغت(٢٧)، فكانَت الفِعليّةُ هي الغالبَةُ على هذه التّراكيب. والشّطرُ الباقِي تَوزّعَ بَينَ الاسميّةِ، وقد بلَغَت (٧) تراكيبَ، والوَصفيّةِ، وقد بلَغَت (٥) تراكيبَ، والإضافيّةِ وقد بلَغَت (٧). ومُركّبانِ إضافيّانِ، أحدُهُما مُتَلازِمَةٌ: هي: "كَاني ومانِي".

وهذه التّراكيبُ تَنقَسِمُ بعَامّة ثَلاثَةَ أقسامٍ:

القِسم الأوّلُ: جاءَ على سَمْتِ العَامّةِ ولكنّه سُبِكَ في تَركيبٍ فَصيحٌ، نَحوَ: "يا بِنت" وقد كَرّرَها (٥)، ويا مَعوّد، وياعَجيّة، وأحرقُ دِيكَك، وأطلَعُوا دِيني، ونَفسِي لم تَزلْ خَضْرا... .

والقِسمُ الثّاني: مُحدَثٌ، جرَى على نِظامِ العربيّة، ولا عَهدَ لها بمَعناهُ، نَحوَ: الوُقوف إجباري، وحِسابهُ جارِي، والأُمور الجَوهَريّة، والأحلام المُجنّحَة، والسّكْتَة القَلبيّة، وريشَة الفَنّان...

.والقسم الثالث: عاميّ صِرفٌ، لا يُمكِنُ تَوجيهُه، وهوَ اثنَا عَشَرَ تَركيبًا: هي: (يَباعُ بالكَمش، قَبضَ المَعاشَ "مَرّتين"، خُذني مَعَاك "٣مرات"، و"مِن هُونَه" " مرتين "، و "على دُوّه على أُونَه"، و"شْلُونه" "مرّتين"، و"كانِي مانِي"). فلا "الكمْشُ" موجودٌ في العَربيّة بهذا المَعنَى، ولا "المَعاشُ"، ولا "مَعَاك" بمَطل الألفِ" ولا هُونَه" "هُنا"، ولا "شْلُونَه"، ولا التّركيبان على "دوّه على أوْنَه"، و"كاني وماني". فهذه جميعًا عاميّة خالِصَةٌ.

والإشكاليّةُ الدّلاليّةُ في هذه التّراكيبِ –بعامّة– هِي بَينَ المَعنَى المُستَحدَثِ للتّركيبِ نَحو: يا مَعوَّد، والوُقُوف إجباري، وأَبيعُ بالجُملَة وحِنِّيْ علَيّ...، أو الإسنادُ غَيرُ المألوفِ لِلمُفرداتِ، نَحو: يُقيم قِيامتِي، ونَفسِي لم تَزلْ خَضرَا، ونَفسِي طَريّة، وسَكرانُ طِينَة... .

كما يَنبَغِي أنْ نَذكُرَ هَهُنا أنَّ كَثيرًا مِن هذه الألفاظ والتّراكيبِ لَيسَت مَحلّيّةً، بل تَنبسِطُ في البُلدان المُجاورَة.

ويُمكِنُنا أنْ نَخلُصَ مِن هذا كُلِّهِ إلى الإحصاءاتِ الأتِيَة:

استخدَم عَرار (٢٥٠) لَفظًا عاميًّا ومُحدثًا، وأُهزُوجَتَين، كرّرَ إحداها ثَلاثَ مَرّات و(١٤) لَفظَةً صبَّها في قَوالبِ الفَصيحَةِ، و(٤٨) تَركِيبًا. أيْ أنّه استَخدَمَ العاميّةَ الدّارجة والمُحدَثَة ألفاظًا وتَراكِيبَ(٣١٦) مَرّةً في شِعرِه.

ولَو زيّلْنَا بيْنَ العَاميّة الدّارجةِ، والألفاظِ والتَراكيبِ المُحدَثَة، وأحصَينا ما وَرَدَ في كلٍّ مِنهما لوَجَدنا العاميّة مُتَمَثِّلَةً في(١٧٩) لفظًا وتركيبًا، والمحدثة (١٣٧). ولو أسقَطْنا أسماءَ النّباتِ التي تُسلَكُ في العَاميّة؛ لأنّها على ألسِنَة العامّة، لقلّ هذا العَدَد. ولَعلّ في سَلْكِها هذا اعتِسَافًا، لأنّ كَثيرًا مِنها لم تدوّنْه الفَصيحَةُ، أو يَعسُرُ الوَقوعُ عليهِ فيها.

وما وَرَدَ من العاميّة والمُحدَثَة مَعًا، بعُجَرِهِ وبُجَرِهِ لا يُذكَرُ في جَنْبِ دِيوانِهِ، ولا يُفضِي إلى وَسمِهِ بالثّائرِ على الفَصيحَةِ، ولا بالمُستَعينِ عليها بالعاميّةِ، والكَثيرُ من الألفاظِ والتّراكيبِ التي

أُدرِجَتْ في العاميّة سلَكَت طَريقَها في الفَصيحَة، فَضلاً عن أنّ الكثيرَ مِنها سبكَه عَرار في قَوالبِ الفَصيحَة وتَراكيبها. كما أنّ ما وَردَ منها-على قِلّتِه- لا يُنصّبُه شاعِرًا مَحلِيًّا، فالكَثير مِنها لَيسَت بالمَحلّيّة.

وبعدُ، فإنّ هَذهِ اللمْحَةَ العَجْلَى لا تَفِي شَيئًا بما يَستَحِقّه هذا الشّاعِرُ الكَبيرُ، ولكِنّها لَمْعَةٌ في جانِبٍ مِن جَوانبِ إبداعِهِ، وإشارةٌ لِمَظهَرٍ من مَظاهرِ تَعلُّقِهِ بمُجتَمَعِهِ وبيئَتِهِ، وتَمثّلِهِ الوَازِنِ لِلُغَتِها، وتَراكِيبِها. وهو في المُنتَهى تَوصيفٌ لِطَبيعَةِ هذا البابِ مِن اللّغَةِ، وَحَقِيقَتِهِ في شِعرِهِ.

الخاتَمَة:

نَنتَهِي إلى خاتَمَةٍ تُلخّصُ مُعطَياتِ هذا البَحثِ على النّحو الآتِي:

- أنّ عَرارًا كانَ شاعِرًا فَصيحًا، لم يَتّخذْ العاميّةَ أُسلُوبًا ولا مَنهجًا في التّعبيرِ عَمّا أرادَ، وأنّ المُبالَغَةَ في ذلك لا تُمثّلُه، ولا تُمثّلُ شِعرَه.
- أنّ الألفاظَ العاميّةَ والمُحدثَةَ جاءَت لِرَسمِ صُوَرٍ خاصّةٍ أرادَ عَرارٌ أنْ يُوصِلَها لِسامِعِيهِ وقَرّاءِه.
- أنّ أشيَعَ استِخداماتِهِ لِلألفاظِ الدّارجَةِ والمُحدثَةِ إنّما هِي الأعلامُ، وأعلامُ المَكانِ على رَأسِها. ولا شَكّ أنّ مُعالجَتَها تَحتاجُ مَنهجًا آخَرَ، لا يَتّسِعُ لَه هَذا البَحثُ.
- أنّ أكثرَ الحُقُولِ بَعدَ الأعلامِ حَقلا: الألفاظِ القَانُونِيّةِ والإداريةِ، والأوصافِ، على ما بَينَهُمَا مِن اختِلاف.
- أنّ استِخدامَهُ الألفاظَ العاميّةَ والدّارِجَةَ في سائِرِ الحُقولِ المَذكُورَةِ مَحدُودٌ.
- أنّ الألفاظَ تَبوّأت المَنزِلَةَ الأُولَى مِن استِخدامِهِ، إذ نَجِدُ (٤٨) تَركيبًا، مِن (٣١٦) استِخدَامًا عاميًّا ومُحدثًا، أي ما يقارب ١٥% منها، وهذا يَدلُّ على أنّه لم يَنْحُ مَنْحًى عَميقًا في استِخدامِ العاميّة، والمُحدَثَة.
- بلغت العامية في شعره (١٧٩) لفظًا وتركيبًا، بينما بلغت المُحدثة (١٣٧).
- أنّ حُقولَ الألفاظِ التي استَخدَمَها – بعامّة- في شِعرِهِ تَنَوّعَتْ بَينَ حُقولِ المَعانِي مُتآلِفَةِ الدّلالَةِ، وَهي الغالِبَةُ، والحُقُولِ اللّغَويّةِ.

- أنّ كثيرًا مِن الألفاظِ والتّراكيبِ العاميّةِ والمُحدثَةِ في شِعرِه لَيسَت مَحلِّيَّةً.
- لو جرَّدْنا العاميّةَ والمُحدثَةَ في شِعرِه مِمّا لهُ أصلٌ في الفَصيحَةِ، أو أخَذَ طَريقَهُ فِيها، لبَقِي عَدَدٌ مَحصُورٌ، مِمّا يَنطبَقُ عَليه وَصفُ العاميّة، أو خارِج دائِرةِ الفَصيحَة.

والحَمدُ للهِ أولًا وآخِرًا.

المَراجِع

الشّاعِر مُصطفَى وَهْبي التّلّ، حياتُه وشِعرُه، كَمال فَحماوِي.

الصُّورَة الشِّعريّة في شِعرِ مُصطفَى وَهْبِي التّلّ(عَرار)، عَلي قاسِم الخَرابشَة، رِسالة دُكتُوراه، جامِعَةُ اليَرمُوك، ٢٠٠٥م.

أبو العَتَاهِيَة، أَخبارُه وأَشعارُه، دار المَلّاح لِلطبّاعَة والنّشر، دِمشق، ١٩٦٥م.

عَشيّات وادِي اليابِس، دِيوان مُصطفَى وَهْبي التّلّ، عَرار، جَمع وتَحقِيق وتَقديم د. زِياد الزّعبي، رِسالَة دُكتوراه، الجامِعَة الأردِنيّة، ١٩٨٢م.

عَشيّات وادِي اليابِس، دِيوان شاعِر الأردُنّ، مُصطفَى وَهْبِي التّلّ. تَحقيق مَحمُود السَّمْرَة.

عَرار والمَورُوثُ الشّعبِيّ، مُنتَدَيات ستار تَايمز (مَوقِع في النّت).

لغة المكاتبات الإداريّة في إمارة شرق الأردن: البدايات نموذجًا

أ.د. محمد سليمان السعودي*

ملخّص

ترمي الدراسة إلى الكشف عن لغة المكاتبات الإدارية في إمارة شرق الأردن، وقد حددتها في العشرة الأعوام الأولى؛ لما لهذه الحقبة الزمنية من أهميّة في وضع الأسس الأولى للمكاتبات الإدارية اليومية. وتضمّنت الدراسة عدة محاور، منها: الأهمية التاريخية لوثائق المكاتبات، ولغة المكاتبات الإدارية من حيث معالم الشكل والمتن والصياغات اللغوية، وما تتضمنه من عبارات مكرورة ومصطلحات متداولة، وقضايا في الإملاء والصرف والنحو، ثم الأثر الديني في تلك المكاتبات.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن هذه الوثائق لم تحفَ بدراسات كافية تضيء تلك الحقبة الزمنية المهمة من عمر الدولة الأردنية، حيث كان الاهتمام في الجانب اللغوي فيها جليًّا من خلال معالم شكل تلك المكاتبات ومتنها وصياغاتها. وتنوّع المتن في هذه الوثائق في السياسة والإدارة العامّة والأوقاف والمال والطب والزراعة والعلاقات الخارجية، في حين لم يُكتب لبعض المصطلحات استمرار التداول ضمن المصطلحات الإدارية اليوم في الإدارة، أو في الموازنات العامة للدولة. وتكاد هذه المكاتبات تخلو من أخطاء الإملاء والصرف أو النحو.

الكلمات الدّالة: المكاتبات الإدارية، الوثائق الهاشمية، لغة المخاطبات، إمارة شرق الأردن.

* **قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. (الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني).**

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

The Language of Administrative Correspondences in the Emirate of Transjordan: The Beginnings

Prof. Mohammed Suleiman Al-Saudi

Abstract

The study aims to reveal the language of administrative correspondences in the Emirate of Transjordan, identified in the first ten years; because of the importance of this period in laying the first foundations for daily administrative correspondences. The study included several axes, including: The historical importance of correspondence documents, the language of administrative correspondence in terms of the features of the form, the text, the linguistic formulations, and the repetitive phrases and terms used, issues in spelling, morphology and grammar, and the religious impact on those correspondences.

The study concluded a number of results, most notably: These documents were not enriched with sufficient studies to illuminate that important period of time in the life of the Jordanian state, where the interest in the linguistic aspect was evident through the features of the form, text and formulations of these correspondences. The text in these documents varied in politics, public administration, endowments, money, medicine, agriculture, and foreign relations, while some terms were not pliable for the continuity of circulation within administrative terms today in the administration or in the state's public budgets. These correspondences are almost freed from spelling, grammar or spelling errors.

Keywords: Correspondence, Administrative documents, Drafting, The Emirate of Transjordan.

المقدّمة.

تعدّ المكاتبات الإداريّة في داخل الدولة أو في علاقتها مع الدول الأخرى من أدق عناصر التقييم لقوة الدولة ومكانتها بين الدول وهيبتها وتقديرها في نفوس أبنائها، والدولة الأردنية الحديثة من الدول التي عنيت في البدء بمكاتباتها الإدارية عناية فائقة؛ وهو ما دفع الباحث لقراءة هذا النهج اللغوي الإداري، والبحث في عناصره؛ لاستجلاء أمره لمتلقي اليوم. وستقتصر هذه الدراسة على الأعوام العشرة الأولى من عمر إمارة شرق الأردن، وتحدّد بين (١٩٢١-١٩٣١م). معتمدة في هذا التتبع على موسوعة الوثائق الهاشمية[١]. وقد اخترتُ دراسة هذه الحقبة لما لها من أثر جلي في وضع البِنية الأولى في هذا النمط من المكاتبات، فضلاً عن العدد الكبير منها، وهو يحتاج مساحة من الصفحات كما ويحتاج أوقاتاً طويلة أيضًا. ومن خلال التتبع لهذا النمط، فقد استمرّ زمنًا طويلاً على شكله الأول مع استبدال أو تغيير بسيط فيما طرأ على إدارة الإمارة من تطور. وكان لا بدّ من الوقوف بعد أن حُدد القصد عند الأهمية التاريخيّة للوثائق، وما تشكله من تأثير في البعدين: الزماني والمكاني. في حين ناقشت الدراسة معالم الشكل في المكاتبات، من حيث: البداية والنهاية، والتواريخ، والعبارات الدارجة، والصيغ المكرورة، ومباشرة الخطاب، واقتصاره على الهدف الذي أُنشئ بسببه.

وفي إضاءة على المتن، تنوّعت الموضوعات التي تداولتها المكاتبات من تعيين لإداريّي المقاطعات والأطباء وغيرهم، ومن موضوعات أُخرى تمس حياة الناس كالأوقاف ومساجدها، وتأطير الحياة العامة برمتها، وبخاصة أننا نتحدّث عن نظام جديد للحياة والإدارة لم يكن معهوداً في هذه المنطقة. فيما كانت الصياغات اللغوية طريق الدراسة للوصول إلى هذا العمق، من خلال عبارات البدء بالإشارة أو إشارة أو تابعًا، إلى غيرها من هذا الوجه، ثم الصياغات اللغوية الثابتة في مكاتبة سمو الأمير (حتّى إذا راقه أيده الله)، أو (الإرادة المطاعة) أو (ضيق الحال الزراعيّة)، وفيما شاع في بعض المصطلحات المنصوص عليها، مثل: الإكراميات، والمكوس، وضريبة التّمتّع. ولم يكن هذا بعيدًا عن أثر ما سبقه من لغة

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية**، وهي سلسلة صدرت في البدايات عن جامعة آل البيت منذ عام ١٩٩٤م ثم توالى إصدارها عن لجنة بلاد الشام في مركز التوثيق والمخطوطات في الجامعة الأردنية منذ ١٩٩٤م تعتمد فيها اعتمادًا كليًّا على أرشيف الديوان الملكي الأردني. وقد بلغت (٤٢) اثنين وأربعين مجلدًا حتى هذا العام ٢٠٢١م.

متداولة بين الناس في المعاملات وغيرها، وإن بدت هذه المكاتبات خالية من تأثير ديني واضح في الصياغة، أو في الاتّكاء على القرآن الكريم والحديث النبويّ، وحتى ما انتشر على ألسنة الناس من مقولات نثرية، أو أبيات شعرية أو أمثال. ولعل مقام المكاتبات المباشرة التي ترمي إلى هدف واضح هو ما دفعهم للابتعاد عن هذا النمط الكتابي الذي كان متداولاً في أزمنة ماضية سبقت العصرين: العثمانيّ والمملوكيّ.

كان لكلّ هذا أثره في تطوير لغة الإدارة الحكومية، حتى غدت نهجًا جديدًا وقتئذ، وظلّت طريقًا متّبعًا لزمن طويل اقترب من خمسة عقود تالية، لا يزيغ عنه حاذق أو يتنكّبه صاحب دراية وفكر، فها نحن اليوم ننظر ونأسف على ما فرطنا في لغة مكاتباتنا، وطوّعت لنا أنفسنا استطراب ما نحن فيه اليوم من نكران في الدّرس الأكاديميّ والإعلام والإبداع، وفي الحياة العامة والسياسة. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائجها التي أظهرت خلاصة هذه التجربة الإدارية في بدايات تأسيس الإمارة.

أولاً: الوثائق الهاشميّة والمكاتبات:

اعتمدت الدراسة على مجموعة الوثائق الهاشمية (أوراق الملك عبدالله الأول) مصدراً رئيساً لها؛ نظرًا لما تشكله هذه الوثائق من أهمية تاريخية وإدارية وسياسية في مسيرة المملكة الأردنية الهاشمية، ولما لها من أهمية كبيرة في إظهار حقبة دقيقة الظروف والمواقف مُتمثلة بتأسيس إمارة الشرق العربي عام ١٩٢١م، وما تلا ذلك من تطورات سياسية ساهمت في تغيير اسم الإمارة إلى إمارة شرق الأردن، وتحديث البنية السياسية والإدارية، حتى غدت عام ١٩٤٦م باسم المملكة الأردنية الهاشمية. ولم تكن هذه الوثائق في متناول اليد قبل التسعينيّات من القرن الماضي، وإن ظهر منها شيء فكان من خلال مؤلفات متفرّقة. ولا شكّ أنّ تأخر ظهورها ونشرها منع عن الدارسين مصدراً مُهماً، وحجب عن الوطن "الأردن" صورة جسّدت عمق تجربته وتجربة أبنائه. وكانت بدايتها قد انطلقت من جامعة آل البيت عام ١٩٩٤م، ثم تابعت إصدارها تباعًا لجنة بلاد الشام في مركز التوثيق والمخطوطات في الجامعة الأردنية. وقد ساهمت هذه الوثائق في نشر وثائق العلاقات الأردنية العربية، وكانت مصدراً غنياً من مصادر البحث العلمي والتوثيق، على سبيل المثال في العلاقات الأردنية السعودية، وما تبع

ذلك من معالجة لقضية الحدود، وما زودتنا به من أهم الاتفاقيات والمعاهدات الحدودية الموقعة بين الطرفين إضافةً إلى تضمينها عدداً من المكاتبات المتعلقة بترسيم الحدود وتعيينها وخرائطها(١).

ويعود مصطلح المكاتبة لغةً إلى كاتَبَ يكاتب مُكاتبةً فهو مُكاتِب (اسم فاعل) ومُكاتَب (اسم مفعول)، واصطلاحًا هي المراسلة(٢) وتطورت اللفظة اليوم لتعني المكاتب: في الصحافة: مراسل الصحيفة من الخارج وهي من الألفاظ المحدثة في المعجم الوسيط(٣)؛" ويرى أبو هلال العسكري أن الخطابة والكتابة مختصتان بأمر الدين والسلطان، وعليهما مدار الدّار"(٤).

وما يهمنا في دراستنا المكاتبات التي تداولتها الإدارة العامّة في تلك الحقبة لتنظيم أمور المواطنين، وعلاقة الدولة بالدول الأخرى. ولما كانت الدولة الأردنية الحديثة فقد اطّلع أهل الحل والعقد فيها إلى تحديد ملامحها من خلال اللغة المتداولة بين مؤسسات الإدارة العامّة.

والوثيقة ذات أهمية تاريخية وحضارية ولغوية كبيرة، فهي تكشف المحجوب، وتظهر عناصر نجاح المرحلة وتدلل على الإخفاقات كي لا تكرّر، فالوثيقة، مساهمة حقيقية في واقعنا واستشراف صادق لمستقبلنا. فيرى الباحث توفيق الأحداث ونتائجها، مظهرها وعلتها في الحدث التاريخي، ووجهة النظر والرأي من ناحية والحقيقة التاريخية من ناحية أخرى، ليؤدي إلى فهم واضح للحدث التاريخي، ومعرفة في إصدار الأحكام وإدراك الحاضر، والقدرة على التنبؤ بالمستقبل(٥).

---

(١) الجالودي، عليان عبدالفتاح، **العلاقات الأردنية السعودية من خلال الوثائق الهاشمية (١٩٢١م-١٩٥١م)**، محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص٥٣٧.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، المجلد الخامس، القاهرة، مادة كتب، ص ٣٨١٦- ٣٨١٨.

وانظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، د.ت، مادة وثق، ص١٠١٢/١٠١١.

(٣) انظر: **المعجم الوسيط**، مادة كتب، ص٧٧٥/٧٧٤.

(٤) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ) **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ: ص١٣٦.

(٥) أبو السعود، عطيات، **الوعي التاريخي بين الماضي والمستقبل**، عالم الفكر، (٢٩)،١، ٢٠٠١، ص ٨٥-١٠٨.

ثانيًا: الأهمية التاريخية لوثائق المكاتبات:

يعود الأصل في وثيقة إلى الفعل الثلاثي وَثِقَ وهي مؤنث وثيق، وهو ما يحكم به الأمر[1]، وفي الاصطلاح تعرف بأنها "كل ما يعتمد عليه، ويرجع لإحكام أمر وتثبيته وإعطائه صفة التحقق والتأكد من جهة أو يؤتمن على وديعة فكرية أو تاريخية تساعد في البحث العلمي، أو تكشف عن جوهر واقع ما، أو تصف عقارًا، أو تؤكد على مبلغ، أو عقد بين اثنين أو أكثر"[2]. وتشكل الوثائق الهاشمية أهمية تاريخية في البعدين الزماني والمكاني، فالزماني منها تعلق بأحداث تلك الحقبة التي شُكلت فيها الدول العربية الحديثة، وبخاصة في تلك الظروف العالمية التي كانت بوابتها الحرب العالمية الأولى ثم وعد بلفور ثم انهيار الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة.

وكان لهذه الأحداث الجسام أثر كبير في تشكيل هذه الدول الحديثة وارتباطاتها بالشكل العالمي الجديد. أما أهميتها في البعد المكاني، فقد كانت هذه الدول إجابة عن سؤال يكمن في عقل العربي الذي ثار على نظام همّش العربية لغةً وفكراً وثقافة، وهمّش الإنسان العربي في واقعه وطموحاته. فكيف لهذا العربي أن يرسم مكاناً جديداً يناسبه ويقترب من طموحه في أمكنة توزعت بين البريطانيين والفرنسيين في بلاد الشام والعراق ومصر والخليج والمغرب العربي؟! فدفعه للتفكير من جديد في قبول هذا الحيز المكاني البسيط ليبني عليه آماله وطموحاته. ولذا فهذه الوثائق التي تعنى بالمكاتبات تظهر لنا علاقة الناس ببعضهم بعضاً وقتئذ، وعلاقتهم بإدارة المقاطعات، وعلاقة هذا كله بمؤسسة الحكم الجديد المتمثل في إمارة شرق الأردن؛ فأخرجت لنا هذه الوثائق أحلام الناس وطموحاتهم ورؤاهم الجديدة في تشكيل مجتمعاتهم البسيطة، أو التجانس مع المجتمع الكبير الذي سيشكل الدولة الحديثة. وأظهرت هذه الوثائق مظالم الناس وآهاتهم في قراهم ومدنهم، وتجاربهم الخاصة في البناء الإداري والفكري والاجتماعي. وفي المقابل كشفت الوثائق التصميم الحقيقي للقائمين على الدولة الحديثة في تشكيل نظام سياسي يثبت وجوده أمام نفسه أولاً ثم أمام الآخر، فلم يعتد الناس منذ أربعة قرون على حكم أنفسهم بهذه الطريقة العربية الخالصة، وتدلل أيضاً هذه

(١) أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة، المكتبة العلمية، مادة وثق، ص.

(٢) المالكي، مبجل لازم، **علم الوثائق**، وتجارب في التوثيق والأرشفة، عمان: مؤسسة الوراق، ٢٠٠٩م، ص ١٧.

الوثائق على صرامة الدولة الفتية من خلال القرارات الصادرة، ومن خلال توزيع الصلاحيات بين المقاطعات ورئيس النظار والمجلس التنفيذي.

وكان لهذه الوثائق أيضاً دورٌ في إظهار الموازنات العامة في بداية تأسيس الدولة والحالة الصحية وتعيين الأطباء وانتقالهم، والتعاقد معهم، ليس للأردنيين فقط، بل تجاوز ذلك للإخوة العرب، وأظهرت هذه المكاتبات نزر العمل الطبي وممارسيه في المنطقة كلّها، ومدى الحاجة الملحّة إلى استقطاب بعض الأطباء من مصر وبيروت ويافا وبغداد، في حين شكلت هذه الوثائق تبياناً لدور المصرف الزراعي في حينه، وكيف كان دوره الكبير في الإنتاج، وتوزيع الأراضي، وإقرار المحاصيل في مواقعها، واتخاذ ما يلزم لإعاشة الناس والنهوض بحياتهم اليومية.

وبينت هذه الوثائق دقة الإدارة المحلية في التعامل مع المال العام، ورسم الموازنات العامة، والموازنات الأخرى الخاصة بالأقاليم، وتضمين ذلك من خلال قرارات إدارية مالية ثابتة وواضحة، ومتابعة هذه الأمور في كل المقاطعات، وما يلزم لذلك من متابعات يومية أو شهرية أو سنوية. فقد شكل هذا الأمر رؤية واضحة للمال العام مسجلين بذلك دقةً في مراحل صرفه. وكان لهذه الوثائق أيضاً مزيةٌ في إظهار العلاقات الأردنية العربية، كما دللت بعض الدراسات على ذلك، كما تعد هذه الوثائق من المصادر الخاصة بفلسطين لما قدمته من معلومات عن حرب ١٩٤٨م وعن دور الدول العربية في ذلك، وما قدمه الجيش العربي الأردني في فلسطين ولا سيما في منطقة القدس من تضحيات وما عرفتنا به من وثائق حول الهدنة بين الأطراف المتحاربة وقيام الوحدة بين الضفة الغربية وشرق الأردن[١] وغيرها من الوثائق التي تنتظر البحث والدراسة والمقارنة والتبويب والنظرة المستقبلية. وكذلك هي الحال في العلاقات الأردنية السورية التي بيّنت الوثائق بعض مفاصلها في النصف الأول من القرن العشرين[٢].

---

(١) غنايم، زهير، **العلاقات الأردنية- الفلسطينية وحدة الضفتين من خلال الوثائق الهاشمية (١٩٢١م-١٩٥١م)**، محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً، ص٥٦٧.

(٢) الأرناؤوط، محمد موفق، العلاقات الأردنية السورية من خلال **الوثائق الهاشمية**، محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً، ص٤٨١.

ثالثاً: لغة المكاتبات الإدارية

١- معالم الشكل:

ظلت لغة الخطاب الرسمي محافظة على قواعدها الأولى منذ تأسيس الدولة ١٩٢١م حتى نهاية الإمارة وبداية المملكة عام ١٩٤٦م، ثم أخذت مظاهر اللّغة الأولى تتلاشى في الخطاب الرسمي اليومي شيئاً فشيئاً. ويرى القلقشندي[١] "لصانع الكلام ألّا يتقدّم الكلام تقدما، ولا يتبع ذناباه تتبّعا، ولا يحمله على لسانه حملاً؛ فإنه إن تقدّم الكلام لم يتبعه خفيفة وهزيلة وأعجفه والشارد منه".

وما يهمنا هنا هو كيف استقرّت لغة خطاب الدولة بعد الانتقال المفاجئ من استعمال اللغة التركية التي كانت اللغة الرسمية للدولة العثمانية التي كان الأردن جزءاً منها إلى إحلال اللغة العربية، بمعنى العودة إلى لغة الخطاب الرسمي العربي، بعد انقطاع امتدّ أكثر من أربعة قرون، وإن بدت في سورية والعراق إلا أنها تجربة جديدة بالنسبة لعمرها الذي لا يزيد على سنتين أو ثلاث من تأسيس الإمارة.

شكل الخطاب الرّسمي والألقاب الوظيفيّة:

صُدّرت المكاتبات الإدارية في بداية التعامل الإداري في الإمارة بعبارة "حكومة الشرق العربي" بالخط الديواني، تليها في الأسفل متوسطةً عبارة "رئيس النظار" بخط الرقعة، أصغر حجمًا، ثم يتبعها رقم الكتاب الصادر. أما التاريخ، فعادة ما تذيّل به الكتب بعد عبارة (واقبلوا فائق احترامي) أو (وتفضلوا بقبول فائق الاحترام). في حين توضع كلمة "الموضوع"؛ ويقصد بها الموضوع المعالج، ومكانها في الجانب الأيسر من الكتاب. وفيما يتعلّق بتوقيع المكاتبات إذ مالبثت أن وُقّعت في ١٩٢٦/١٩٢٧م بلقب "رئيس النظار"، والمقصود به رئيس الوزراء، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلًا، فقد وقّعت الكتب الصادرة بلقب رئيس الوزراء عام ١٩٣٠م، وكان أول استخدام للقب رئيس الوزراء، وذلك كما ورد في قانون ميزانية ١٩٢٩ و١٩٣٠م الموافق عليه وفق الوثيقة رقم (٣٥ و٢٧/٣٤)[٢]، وهناك بعض المسميات التي ظهرت في حقب زمنية محددة، ثم تلاشت من الكتب الرسمية ومن هذا في رئاسة النظار حيث وضعت عبارة ديوان الرسائل تحت حكومة الشرق العربي ورئاسة النظار، وكان ذلك في عامي (١٩٢٦ و١٩٢٧). وفي الربع الأخير من عام ١٩٣١م أدرج لقب رئيس الوزراء

(١) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٨٢١ هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص١٣٣.

(٢) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- الموازنات العمومية في عهدي إمارة شرقي الأردن ١٩٢٦-١٩٤٠م**، المجلد (٢٥) ١٤٤٠ه/٢٠١٨م ص١٠٧.

بصورة نهائية في الكتب الرسمية واستمر حتى اليوم. وفي الوقت نفسه أصبح رسم الحروف بالآلة الطابعة فقط بعد هذا التاريخ مع وجود التعليقات بخط اليد على تلك المكاتبات من خلال الموافقة عليها أو التعديل أو عدم الموافقة. ومن الغريب أن المخاطبات في تلك الحقبة من ١٩٢١م حتى ١٩٣١ خلت من البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) في بدايتها، كما خلت من أي لفظة أخرى تشير إلى التحية أو السلام.

الحكام الإداريون في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية (١٩٢١ - ١٩٥١ م)

٩- وثيقة رقم (١٩١/١٠٨)

بخصوص الشريف علي

مندوبة رئيس الديوان الأميري الأفخم

الموضوع – الموظفين

موافق

في المجلس التنفيذي في الجلد الثالث من جلسته السادسة والعشرين المنعقدة بتاريخ ٣/١٠/١٩٢٦ تقرر حاكم جبل عجلون الشيخ السيد محمد السيود لمحاكمة الطفيله ببرائه وتعيين السيد خلف القلاجين اهالي اربد حاكما لجبل عجلون ارجو ان تعرضوا بعرض ذلك على انظار صاحب السمو السمو الملكي امير البلاد المعظم حتى اذا راقه ايده الله تتفضلون بايلاغي مواقفه السامية ٠

والبقاء احترامي ٠

ن/ف ر ٤/١٠/١٩٢٦ رئيس النظار

٥٢

(٣٠) وثيقة رقم (٣٥ و ٣٦/٣٤)

نحن عبد الله بن الحسين أمير شرقي الأردن ،

بما أننا رأينا أستنادا للمادة (٢٩) من القانون الأساسي وبعد الاطلاع على مضبطة المجلس التشريعي ان الجلسة العامة قضت بالاذن بنفاذ القانون الآتي ذكره بتمريره بدون تعديل وجه كما قضى به النظام الداخلي ،

وبناء على ما قرره المجلس التشريعي في جلسته المنعقدة بتاريخ ايلول سنة ١٩٢٩ و ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ،

نصادق بمقتضى المادة (١٩) من القانون الأساسي على هذا القانون ونأمر بأصداره قولاً :-

(قانون موازنة (١٩٢٩ـ١٩٣٠) لسنة ١٩٣٠)

اسم القانون ١ – يسمى هذا القانون قانون موازنة (١٩٢٩ـ١٩٣٠) لسنة ١٩٣٠ ،

الواردات المقدرة ٢ – قدرت واردات حكومة شرق الأردن للأثني عشر شهرا التي تنتهي في آخر شهر آذار سنة ١٩٣٠ بمبلغ (٢٤٦٩٧٠) جنيها فلسطينيا كما هو مبين في الجدول الأول الملحق بهذا القانون وقد أضيف اليها مبلغ (١٣٣٣٢) جنيها فلسطينيا مقابل الواردات المقدرة زيادة على النفقات بتاريخ ٣١ آذار سنة ١٩٢٩ فبلغ المجموع (٢٤٠٣٠٢) جنيها فلسطينيا ،

تخصيص مبلغ ٢٣٧٨١٠ جنيها فلسطينيا ٣ – يخصص لنفقات الحكومة عن الأثني عشر شهرا التي تنتهي في ٣١ آذار سنة ١٩٣٠ اي مبلغ لا يزيد على (٢٣٧٨١٠) جنيها فلسطينيا ،

تحديد المبالغ الواجب صرفها ٤ – يجوز تخصيص اي مبلغ لا يزيد على المقدار المبين حذاء كل فصل من فصول الجدول الثاني الملحق بهذا القانون وصرفه للبند والبنود الداخلة تحت الفصل ذي ذلك الجدول ،

(الجدول الأول)

فصل الواردات	المقدار
١ – الجمارك والمكوس	٧٤٠٠٠
٢ – الرسوم والضرائب الى ...	١٤٠٥٦٠
٣ – رسوم المحاكم والكاتب	٢٠٣٢٠
٤ – رسوم الدمغ والرسائب	١١٢٧٠
٥ – الواردات من ملك الدولة	١٢٠٠
٦ – الربح	١٠٠٠
٧ – متنوعة	٣٠٨
٨ – بيع ملك الدولة	٤٠٠
٩ – استرداد نفقات قوة الحدود	٢٤١١١
١٠ – اعانة من الحكومة البريطانية	٤٠٠٠٠
١١ – استرداد نصف نفقات مكاتبة الجراد	٥٠٠٠
المجموع	٢٤٦٩٧٠

١٠٧

أما لقب "المقر العالي"، فقد كان الشكل نفسه على الزاوية العليا من اليمين من الكتاب يليه بخط الرقعة عبارة رئاسة الديوان، ثم يتبعها أرقام الكتب الرسمية، وكما هو معمول في رئاسة الوزراء، فيوضع الموضوع على الزاوية اليسرى، ويذيل الكتاب بالتاريخ الميلادي. وظهر التاريخ الميلادي ملازماً للهجري في معظم الكتب في هذه الحقبة، مقدماً التاريخ الهجري على التاريخ الميلادي في الحالات كلّها، غير أنّ بعض الكتب الصادرة في (١٩٢٥م و١٩٢٦م) كانت تستخدم لفظة "أغسطس" بدلاً من "آب" للشهر الميلادي الثامن، كما ورد في عدة وثائق منها وثيقة رقم (١٨٥/٦)[١] و(١٨٥/١٠)[٢] واستخدم أيضًا في بعض الكتب مارس بدل "آذار" ومنها وثيقة رقم (١٨٥/١٩)[٣] ولعل ذلك يعود إلى طبيعة محرري المكاتبات الإدارية، إلا أنه في الشائع ممّا ورد قد اعتمد ما أشرت له سابقاً التاريخ الهجري ثم الميلادي، وعلى سطر واحد بعد عبارة (وتفضلوا...) في المساحة المتروكة قبل توقيع رئيس النظار، أو رئيس الديوان الأميري الذي أصبح فيما بعد بلقب رئيس الديوان، وقد ناوب محرّرو الكتب في المقر العالي بين الطباعة وخط اليد. وظهر أيضاً على بعض الكتب لفظة مكتوم على الزاوية العليا اليمنى بعد أرقام الكتب وقبالة موضوع الكتاب. وعادةً ما تكون المخاطبات الرسمية بين رئيس النظار ورئيس الديوان الأميري حول الأعمال الإدارية في المناطق أو تعيين الحكام الإداريين، كما ورد في الوثيقة رقم (١٦١/٢٤٧)[٤].

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية، الأوقاف الإسلامية في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٤-١٩٥١م**، المجلد (٢٩) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م ص٥٠.

(٢) **المصدر نفسه** ص٥٤.

(٣) **المصدر نفسه** ص٧٢.

(٤) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- الحكام الإداريون في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٦-١٩٥٦م**، المجلد (٢٨)، ص٥٢.

المجلد التاسع والعشرون

٦- وثيقة رقم (١٨٥/٦)

مقوضة رئيس الديوان الأشرف الأقدس

الموضوع – تسجيل أراضي الوقف

أشير للأوراق المرفقة وأرجو بعد عرضها على الأعتاب السنية التفضل بالتلطف بمواهقة سموالأمير المعظم على تسجيل الأراضي الواقعة في باعور والصخرة حدودها في المعاملة المبيوضة وفقا على جامع تلك العينة -

والسلام عاقل المقرأس ٤

ن/ف

٤ صفر ١٣٤٤ و ٢٣ المطابق ٩٢٥

رئيس الوزراء

٥٠

المجلد التاسع والعشرون

٢٨- وثيقة رقم (١٨٥/١٩)

مقوضة رئيس الديوان الأشرف الأقدس

ن/ ٩/٩ – ٣٩٥٢

الموضوع – أراضي الوقف

أرسل طيه نسخة من كتاب فضيلة قاضي العاصمة الشرعي رقم ١٠٦ بتاريخ ١٩٣٢/٥/١٦ في موضوع تسجيل قطع الأراضي المذكورة من قبل حضرة حسن اسماعيل أبو من أهالي قرية باعور عليها حدودها وجاء مبينة على أنها وقف صاحب السماحة الملكي الأمير المعظم والمفضل بالتلطف بتحرير أوامره السنية -

والسلام عاقل المقرأس ٤

في ٤ صفر الحرام ١٣٥٠ و ٢١ مايس ١٩٣١

رئيس الديوان

٧٢

المجلد التاسع والعشرون

١٠- وثيقة رقم (١٨٥/١٠)

معلوفة رئيس الديوان الأميري الأفخم

الموضوع - تسجيل أرض الأكاليل

أتشرف للإيزاء المرفقة وأرجو بحث عرضها على أنظار سموّ الأمير الملكي المعظم المتضمن بالتلاقي مواقفه السامية على تسجيل قطعة الأرض الواقعة في وادي السير والمعروفة (بأم البيق) وفقا على جاء بتلك القيمة وتفرغ بند تخصيصها لهذا وتسليمها لعوان الوقف هناك .

وأنسلوا فائق احترامي ؛

ن/ف

٦ صفر ١٣٤٤ و ٢٥ أغسطس ١٩٢٥

رئيس النظار

٥٤

المجلد الثامن والعشرون

٥- وثيقة رقم (١٦١/٢٤٧)

المفوضية العثمانية
بيت الديوان
الخاص
٩٥/٤/٣٠

فخامة رئيس النظار الأفخم

صدرت الإرادة السنية العالية بالموافقة على أن تسلم بنصبها السيد مصطفى وكيل حاكماً إدارياً للطفيلة مع رغبته سموه الكريم في وجوب العناية في نظام جزاء [illegible] وفقاً لما جاء في الخطاب الرسمي المرقوم ٩٥/٥/٢٩ فتنتظر باجراء اللازم وتقبلوا زيد الاحترام

رئيس الديوان

٩٥/٥/١٤

٥٢

أو كما ورد في بيان حالة الأحوال الزراعية في الوثيقة رقم (٤٢٢/١)[١]

وعادةً ما ترد بعض التعليقات على تلك المكاتبات من رئيس الديوان الأميري أو رئيس النظار بخاصة فيما يتعلق ببعض الموافقات السامية على تعيين الحكام الإداريين، كما ورد في الوثيقة رقم (١٦١/١٠٨)[٢] أو بعض القضايا، كما وردت بعض الموافقات على الكتاب الرسمي نفسه من قبل سمو الأمير عبدالله وقتئذ، وشمل هذا موافقات على كتب لرئيس النظار، وكذلك لرئيس الديوان الأميري.

وشاع في تلك الحقبة لقب المجلس التنفيذي في رئاسة الوزراء الذي يقرّر المصائر العامة في الدولة، ويرأسه رئيس الوزراء وفي الصفحة نفسها من القرارات توقيع رئيس الوزراء (رئيس المجلس التنفيذي والأعضاء العاملين فيه وعددهم في معظم الحالات خمسة أعضاء دون رئيس الوزراء). وقد توزعت عبارات التفخيم بين المكاتبات الرسمية بصورة متنوعة، فمثلاً يُخاطَب رئيس النظار بفخامة رئيس النظار المعظم، وفي بعض المواقع رئيس الوزراء الأفخم أو رئيس النظار الأفخم أو فخامة رئيس النظار الأفخم، ويخاطب رئيس الديوان الأميري (بعطوفة رئيس الديوان الأميري الأفخم) وهذا التعبير من رئيس النظار، وفي مراحل زمنية أخرى من رئيس الوزراء. وتكاد تشيع هذه العبارات في المكاتبات كلها

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- المصرف الزراعي في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية** ١٩٢٨-١٩٥١م، المجلد (٣٠) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م ص٤٤.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٥٣.

منذ تأسيس الإمارة حتى عام ١٩٣١م وهي المدة الواقعة تحت الدراسة. وقد اقتصر على مخاطبة سمو الأمير في حينه على صاحب السمو الملكي أمير البلاد المعظم، وقد ظهر هذا من خلال المكاتبات بين رئيس الديوان الأميري ورئيس النظار (رئيس الوزراء).

وممّا شاع في شكل المكاتبات التي تخصّ الأطباء أن الموافقات على تعيينهم تكون تنسيبًا من المجلس التنفيذي الذي يشغله رئيس النظار (رئيس الوزراء) إلى صاحب السمو الملكي الأمير، وغالباً ما تكون الموافقة على تعيينهم بتوقيع منه شخصياً في أعلى الكتاب، بجانب موضوع التنسيب وبتعليق بخط اليد من قبل رئيس الديوان الأميري، يتضمن نص الإرادة، ومن هذا ما ورد في الوثيقة رقم (١٤٧/٧)[١]

وقد أظهرت الوثائق الطريقة التي يُخاطَب فيها المعتمد البريطاني عندما كان الأردن واقعاً تحت الانتداب، فقد ورد كتاب بما يخص القروض من المصرف الزراعي من رئيس الديوان، مخاطباً المعتمد البريطاني بلقب (دولة المعتمد البريطاني الأفخم)، ويشير ذلك إلى

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية– الطب والأطباء في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٥–١٩٥١م**، المجلد (٢٣) ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م ص٦٣.

مكانة المعتمد البريطاني في إدارة الدولة وقتئذ، فلفظة دولة لم تطلق حتى هذا التاريخ على أحد سوى المعتمد البريطاني، أما رئيس الوزراء، فأسند إليه لقب فخامة رئيس الوزراء الأفخم، ولم تشر وثيقة قبل هذا التاريخ إلى أن لقب دولة أطلق على رئيس الوزراء فيما توافر من وثائق.

وخلاصة الأمر في شكل المكاتبات أن لغتها مالت كثيراً إلى التضخيم، واستعمال العبارات الإنشائية في المديح والثناء، ولعل هذا يعود إلى الأثر العثماني في المكاتبات التي سبقت تأسيس إمارة شرق الأردن، إلا أن الدقة في شكل الكتب الرسمية بدت واضحةً؛ فقد حافظت هذه المكاتبات على شكل واحد منذ تأسيس الإمارة حتى ١٩٣١م، وقد استمرت في ذلك، إلا أن تلك المكاتبات ليست من الوثائق المقصودة في البحث. وقد خضع هؤلاء المنشئون إلى قواعد الكتابة العامة في استعمال نظام الفقرات والوقف والشرطات والفواصل وعلامات التنصيص في المكاتبات جميعها، مع أن استحداث علامات الترقيم بهذه الصورة، لم يكن قد مضى عليه زمن طويل في الكتابات العربية، وهذا يدلل على إصرار الموظف العام وقتئذ على إخراج النظم الإدارية في الدولة كما ينبغي أن تكون، ولم يكن هذا مقتصراً على مخاطبات رئيس الديوان ورئيس النظار لسمو الأمير وقتئذ فقط، وإنما على المكاتبات بينهما، وعلى المكاتبات الأخرى التي ترسل إلى المقاطعات أو إلى موظفي الإدارة، سواء أكانت صحية أم زراعية أم مصرفية أم غيرها، أم كانت لمخاطبة الأفراد فيما يقدمون من التماس في قضايا خاصة بهم أو بمقاطعتهم. وقد أسس هذا النهج في عموم الدولة سيرةً إداريةً دقيقة واثقة استمرت عليها المؤسسات الإدارية أكثر من نصف قرن.

٢- في المتن:

ظهر الاهتمام بالجانب الإداري في الإمارة جلياً في المخاطبات الرسمية بين رئاسة النظار ورئاسة الديوان الأميري، بما يخص تعيين الحكام الإداريين، أو نقلهم أو إعفائهم أو إحالتهم على التقاعد. وأبان هذا عن أسس دقيقة في الاختيار، وعن أسس أخرى في الإحالة على التقاعد، كما ورد في الوثيقة رقم (١١٢/١٦١)[١].

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- الحكام الإداريون في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٦-١٩٥١م**، المجلد (٢٨) ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، ص٥٧.

الحكام الإداريون في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية (١٩٢٦ - ١٩٤١ م)

١٠- وثيقة رقم (١١٢/١٦١)

محفوظ رئيس الديوان الأميري الأشم

الموضوع- موافقة الذات الملكية

قرر المجلس التنفيذي في البند الخامس من جلسته ١٠٧ المنعقدة بتاريخ ١٩٢٧/١٠/١٩ الموافقة على تعيين حاكم جبل عجلون الأسبق عبد المهدي الشمايلة حاكماً إدارياً للطفيلة.

أرجو أن تتفضلوا بعرض هذا القرار على أنظار صاحب الجلالة الملك المعظم حتى إذا ما رأى أيده الله التفضل بإبلاغي موافقته السامية.

وتقبلوا فائق احترامي.

ن/ف ١٩٢٧/١٠/٢٠

رئيس المجلس

التي تشير إلى قرار المجلس التنفيذي بتاريخ ١٩٢٧/١٠/١٩م الموافقة على تعيين حاكم جبل عجلون الأسبق عبدالمهدي الشمايلة حاكماً إدارياً للطفيلة، وفي الكتاب نفسه تعليق من رئيس الديوان الأميري بصدور الإرادة بالموافقة على قرار المجلس التنفيذي، كما ظهر في الوثيقة رقم (١٦١/١١٦)[1].

١- **المصدر نفسه**، ص٦١.

المصدّقة من رئيس النظّار على قرار المجلس التنفيذي بعدد من التعيينات والترفيع والنقل لموظفي إدارة المقاطعات، بما يخص عمر بيك الأفيوني وعبدالمهدي بيك الشمايلة وشوكت بيك حميد ونجيب بيك الحمود. وكان الكتاب تحت لفظة "مكتوم" وموافقة خطية من لدن أمير البلاد وقتها.

وما نشير إليه هنا دقة الألفاظ اللغوية التي شكلت مضمون الخطاب، ومن ذلك اللغة القانونية بألفاظ مثل: تحت التجربة بالنسبة إلى متصرف لواء عجلون (الموظف تحت التجربة إلى وظيفة سكرتير المجلس التشريعي الشاغرة براتب أعلى مربوط...) كما ورد في ذيل الكتاب (فأرجو عرض هذه التسميات على أعتاب مولاي صاحب السمو الملكي) ثم (حتى إذا اقترنت بموافقته السامية) و(تفضلتم بإبلاغي الإرادة المطاعة)، وهذه من الأساليب الإنشائية التي تضبط العبارة والمعنى المراد، خاصة أننا نتحدث عن تشكيلات جديدة لإدارة المقاطعات، فاللفظة هنا لها معناها ولها قصديتها الخاصة.

وقد أبانت المكاتبات الرسمية الخاصة بقضايا الأوقاف أنها كانت تُعرض على أمير البلاد، مما يعكس اهتماماً واضحاً بهذا الموضوع، ففي الوثيقة رقم (١٨٥/١٠)[1] طلب انتزاع أرض من يد "مغتصبها" في منطقة وادي السير، لصالح وقف جامعي، من دون ذكر اسم المغتصب صراحةً موجهة من رئيس النظار (رئيس الوزراء) إلى رئيس الديوان الأميري ومؤرخة في ١٩٢٥/٨/٢٥م واللافت أن هذه القضية أعيد طرحها من قاضي القضاة بتاريخ ١٩٢٨/٢/١٢م بناءً على طلب من يدعون ملكيتها بالرغبة في إنابة مفتي العاصمة لرؤية هذه القضية، ومدعين (أن قاضي العاصمة الشرعي قد أحس برأيه في وقفية الأرض المذكورة) وقد أجيب هذا الطلب والموافقة على عرضه. وما يهمنا هنا أن من طرافة الكتب الرسمية وقتئذ أنها لم تذكر اسم المغتصب صراحةً في المكاتبات، بل استعملت لغة الإيحاء، فلفظة المغتصب قوية في ظاهرها وفي عمقها (مغتصبها). ثم برهنت هذه المكاتبات على وقوف قاضي العاصمة الشرعي بعبارة جميلة (قد أحس)، فاستعمل فعلاً ماضياً، مع قد التحقيقية، ويُظهر هذا البعد رصانة هذه الكتابة وهذه الدعوة، وقدرة منشئها اللغوية.

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية الأوقاف الإسلامية في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٤-١٩٥١م**، المجلد (٢٩) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م ص٥٤.

٣- الصّياغات اللّغويّة:

كانت لغة المكاتبات في بدايات الإمارة إداريةً بحتةً فخلت من المقدمات أو الوصف المغرق، خلا ما وصف به سمو أمير البلاد، وكانت هذه المكاتبات عالية الوضوح، لا سيما بحثها في أمور الإدارة، وما يتبع ذلك من واجبات وحقوق؛ فجاءت مُلائمة قواعد النحو والصّرف والإملاء في معظم حالاتها، ولا يوجد ما يخالف هذه القواعد بخروج بيّن أو ضعف ظاهر. وتتوافق الدراسة هنا مع رأي من "أجاز استعمال اللفظ على غير استعمال العرب ما دام جاريًا على أقيستهم من مجاز واشتقاق وتوسيع للدلالة وغيرها"(١). وكما أشار، فإن هذا لا ينأى بنفسه عن معالم العربيّة وأقيستها كما يرى ابن جنّي: "للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس ما لم يُلْوِ بنصّ أو ينتهك حرمة شرع. فقس على ما ترى؛ فإنني إنما أضع من كل شيء مثالاً موجزاً"(٢).

وكشفت هذه الوثائق أن القضاء قد يقف إلى جوار المواطن ضد الدولة، كما ورد في الوثائق المشار إليها سالفاً في قضايا المساجد في الوثيقة رقم (١٨٥/١٠)(٣) التي تخص أرضاً في منطقة وادي السير. والدولة قد تبحث في وثائق من يعيّنون فتردّ تعييناً، لأن أوراق المُعيّن ليست مكتملة كما حدث في تعيين الأطباء. وقد يعتذر طبيب عن عدم تلبية الدولة في التعيين للصالح العام لأسباب خاصة به، وترضى الدولة بذلك، بل لا يشكل مشكلة في إدارتها من قبول الاعتذار؛ فقد كان الأمر هيناً أكثر مما نتوقع. ومن ذلك اعتذار الطبيب محمد أبو غنيمة عن التعيين في سلك الدولة، كما تثبت الوثيقة رقم (١٤٧/٢٣)(٤)، وكذلك الأمر في الوثيقة نفسها مع الطبيب سعيد المفتي الذي اعتذر شقيقه الطبيب السيد شوكت المفتي، لأن الطبيب سعيداً ما فتئ بألمانيا، وهذا يدلل أيضاً على المرونة الموجودة في الإدارة العامة، وأنها تعمل لمصلحة الدولة أولاً، فلم تكن ثأرية في التعامل مع هؤلاء الأطباء في قادم الأيام.

---

(١)عمر، أحمد مختار وآخرون، **معجم الصّواب والخطأ**، دليل المثقف العربي الجزء (١)، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ج.

(٢)ابن جنّي، أبو الفتح عثمان(ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، ج١، حققه محمد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط١، بيروت، د.ت ص ١٨٩.

(٣) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية الأوقاف الإسلامية في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٤-١٩٥١م**، المجلد (٢٩) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م ص٥٤.

(٤) المصدر نفسه، **الطب والأطباء**، المجلد (٣٢) ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م ص٧٠.

وشُفِعت المكاتبات بنظرات دقيقة من حيث العناية بالكتابة اللغوية الصحيحة، فنادراً ما يعتور كتاباً خطأٌ جليٌّ يؤثر في المعنى، أو يكسب النص دلالةً جديدة لا تتناسب والدلالة المرمي إليها في السياق، ومن هذه المكاتبات التي وقع اختيارنا عليها عشوائياً، تعيين أحد الأطباء مديراً للصحة العامة وتعيين أحد الدكاترة مديراً للآثار، وفي الكتاب لغةٌ مضبوطة من قبل رئيس الديوان الأميري، حيث استعمل التمييز بصورة تتوافق مع السياق وتخدمه. ففي الكتاب نفسه استعمال آخر حول السؤال عن الوسائط التي كانت بيد مدير الصحة السابق والتي ستعطى للمدير اللاحق. وهذا تلازمٌ بين التمييز في استعمالية الأولين السؤال عن المحدّد الوظيفي لكليهما.

ولعل الصيغ التي اعتمدت في بداية المكاتبات الرسمية متقاربة واستمرت حتى هذا اليوم في المكاتبات الرسمية بالدولة، وأشهر هذه العبارات أن الكتاب يشير إلى مضبطة موقعة من قبل مواطنين، كما هي الحال في المضبطة التي رفعها أهالي مدينة معان لصاحب السمو الملكي يشكون فيها عدم تشغيل أبنائهم في أشغال نافعة، استناداً للوثيقة رقم (٢٢٨/٣)[1] ذات الرقم (٨٣٢/٣٤/٩) بتاريخ ١٩٣١/٣/٥م فقد بُدِئ الكتاب بـ (أشير إلى المضبطة التي رفعها البعض).

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- موظفو دائرة النافعة ١٩٢٧-١٩٥١م**، المجلد (٢٧) ١٤٤٠-١٤٤١هـ/٢٠١٩م ص٤٣.

وفي موقف آخر تُستعمل صياغة "بالإشارة إلى"، وفي كتاب آخر مؤرخ في ١٩٢٣/١٠/١٧م ووثيقة رقم (٢٢٨/١)[١] استعمل الكاتب "بناءً على"، ويتلو ذلك قرار للمجلس التنفيذي بتعيين مفتش للطرق.

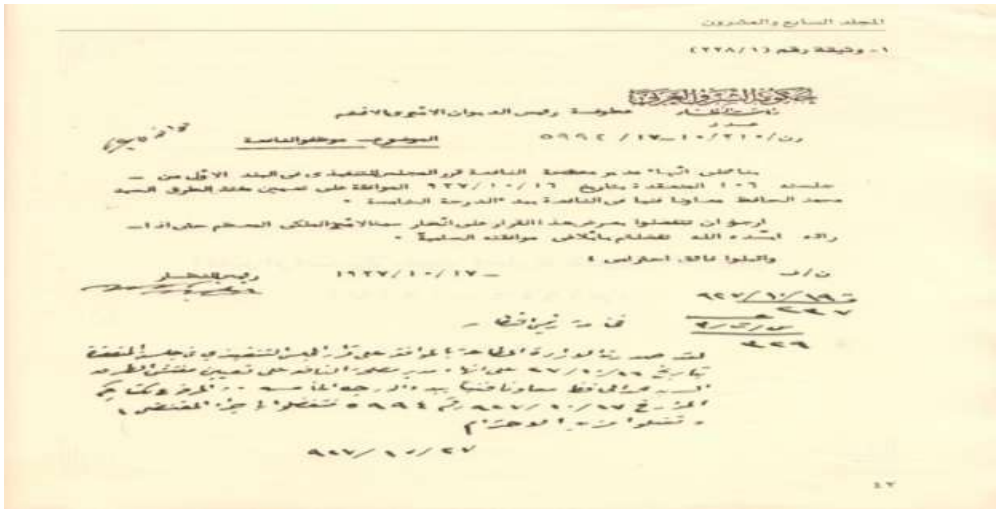

في حين وردت صياغة أخرى تحت لفظ (تابعاً لكتابي رقم تاريخ) وورد أيضاً "بعد أن اطلع المجلس التنفيذي" ثم يأتي بعده إصدار قرار حول مسألة إدارية. واستعملت أيضاً الأفعال في بداية الكتب الرسمية، ولعل الأفعال نفسها ما

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

زالت تُستعمل بعد مئة عام من تأسيس الدولة، مثل "أرسل طيه"، كما ورد في وثيقة رقم (٢٧/٩٧)[١].

الموازنات العمومية في عهد إمارة شرقي الأردن

٩٠. وثيقة رقم (٢٧/٩٧)

رئاسة الوزراء

الموضوع – الموازنة العامة

أرسل طيه نسختين من قرار المجلس التنفيذي رقم ١٢٣ تاريخ ٢٨/٦/١٩٢١ يشتمل على قانون الموازنة العام رقم (٢) لسنة ١٩٢١ وجاء عرضه على أنظار صاحب السمو الملكي الأمير لإبداء الصحائم والتفضل بأمر لأحد من يحضره موافقة بالتصديق، التالي :

وقبلوا فائق احترامي :

١٩ صفر ١٣٤٠ الموافق ٥ تموز ١٩٢١

١٦٥

وقد كثرت هذه الصيغة في المكاتبات التي تتحدث عن الموازنات العمومية في عهد الإمارة. واستعمل أيضاً (أقدم طيه) في معاملات المصرف الزراعي، كما ورد في الوثيقة رقم (٤٢٢/٦)[٢] من مكاتبات المصرف الزراعي لسنة ١٩٢٨م، وكلها تصب في المعاملات المالية.

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية، الموازنات العمومية في عهد إمارة شرقي الأردن ١٩٢٦-١٩٤٠م**، المجلد (٢٥) ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م، ص١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، **المصرف الزراعي ١٩٢٨-١٩٥١م**، المجلد (٣٠)، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م، ص٤٩.

كما لازم الكتب الخاصة بهذا الموضوع صياغات (قرر المكتب التنفيذي) و(اطلع المجلس التنفيذي)، ولعل الكاتب استعمل هذه الصيغ التي تناسب أمور المال وأحواله. واستعملت أيضاً الأفعال في تصدير المخاطبات في العلاقات الدولية بين إمارة شرق الأردن والدول الأخرى، ومن ذلك: عُرضت على حضرة صاحب السمو الملكي، وأعلمني دولة المعتمد البريطاني.

وثمّة عبارات مكرورة في المكاتبات ولعلّها من باب الاستلطاف في مخاطبة سمو الأمير ومنها: (حتى إذا راقه أيده الله)، وعادة ما تُكتب من رئيس النّظار (رئيس الوزراء) في كتابه المرسل إلى رئيس الديوان الأميري تعليقًا في نهاية المكاتبة، وهي عبارة لطيفة فيها تقدير للأمير، وفيها احترام للأمر المعروض أيضًا، وبخاصّة أنها تأتي بعد مسوغات إدارية، أو بعد ذكر يسير لسيرة ذاتية لأحد الأطباء، أو أي تعيينات في الأنظمة الإدارية المعمول بها في حينه.

ومن هذا أيضًا عبارة (الإرادة المطاعة)، وتلازمت مع طلب الموافقة من سمو الأمير على ما يصل إليه من رئاسة النظار من أمور تخصّ إدارة الدولة. وعبارة (ضيق الحال الزراعية) وهي عبارة أطلقت على موضوع الزراعة، وما يتبع ذلك من قروض من المصرف الزراعي وغيره، وقد وردت

وثائق عدة في هذا الموضوع، منها وثيقة رقم (٤٢٢/٢)[١] من رئيس الديوان، مخاطباً "دولة المعتمد البريطاني الأفخم".

ومن تلك العبارات أيضًا (الأعتاب السَّنيَّة)، حيث وردت في عدد كبير من الوثائق وندلل عليها من خلال وثيقة رقم (١٨٥/١٦)[٢] وهي تخص تسجيل قطعة الأرض المنوّه عنها في الكتاب وقفاً على الجامع الحسيني، وهي إحدى العبارات المتداولة في زمن الدولة المملوكية والعثمانية ويظهر تأثر المخاطبات في بداية الدولة بما تبقى من مصطلحات إدارية كانت شائعة في المخاطبات العثمانية، وعادةً ما تستعمل في عرض القضايا على صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله، ومن ذلك (رجاء عرضه على الأعتاب السّنيّة وإبلاغي بما تصدر به إرادة صاحب السمو الملكي مولاي الأمير

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- المصرف الزراعي ١٩٢٨-١٩٥١م**، المجلد (٣٠) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه، **الأوقاف الإسلامية ١٩٢٤-١٩٥١م**، المجلد (٢٩) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م ص٦٩.

المعظم). وقد وردت عبارة (أعتاب صاحب السمو الملكي) دون ذكر السنيّة في بعض الوثائق، ومنها وثيقة رقم (٢٢٨/٣)[1] التي تخص موظفي النافعة من أهالي معان.

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- موظفو دائرة النافعة ١٩٢٧-١٩٥١م**، المجلد (٢٧) ١٤٤٠-١٤٤١هـ/٢٠١٩م، ص٤٣.

٤- مصطلحات إدارية

تنوّعت المصطلحات الإدارية في بداية تأسيس الدولة، وسنركز هنا على تناول بعض المصطلحات التي ظهرت في تلك الحقبة، إلا أنها تلاشت بعد ذلك من سجلات الدولة خاصة في المُدَّة ما بعد تأسيس المملكة، ويظهر أن هذه المصطلحات كانت متداولة في المجتمعات، وفي اللغة الإدارية في أثناء الحكم العثماني، ولذلك أخذت تسلسلها اليومي في السجلات، وفي الموازنات العامة للإمارة، ولا نرمي هنا إلى تقصي هذه المصطلحات إنما لعرض عينات مما شاع منها وقتذاك، ولم يستمر ضمن المصطلحات الإدارية اليومية في الإدارة، أو في الموازنات العامة للدولة، ومن هذه المصطلحات: المكوس، والإكراميات، وضريبة التمتع.

المكوس:

وهي ضرائب يدفعها المواطنون لمؤسسات الدولة مقابل خدمات مقدمة لهم، وقد وردت في الموازنات العامة في الدولة ملازمةً لعدة مصطلحات، مثل: الجمارك والمكوس، ومنها محافظ المكوس ومأمور المكوس، وكان لكل منطقة مأمورٌ لمكوسها: مأمور مكوس عمان العقبة إربد السلط والقطرانة وجرش والرمثا والطرة وأم قيس، كما ورد في وثيقة رقم (٢٧/٢٢)[١] في الموازنات العمومية.

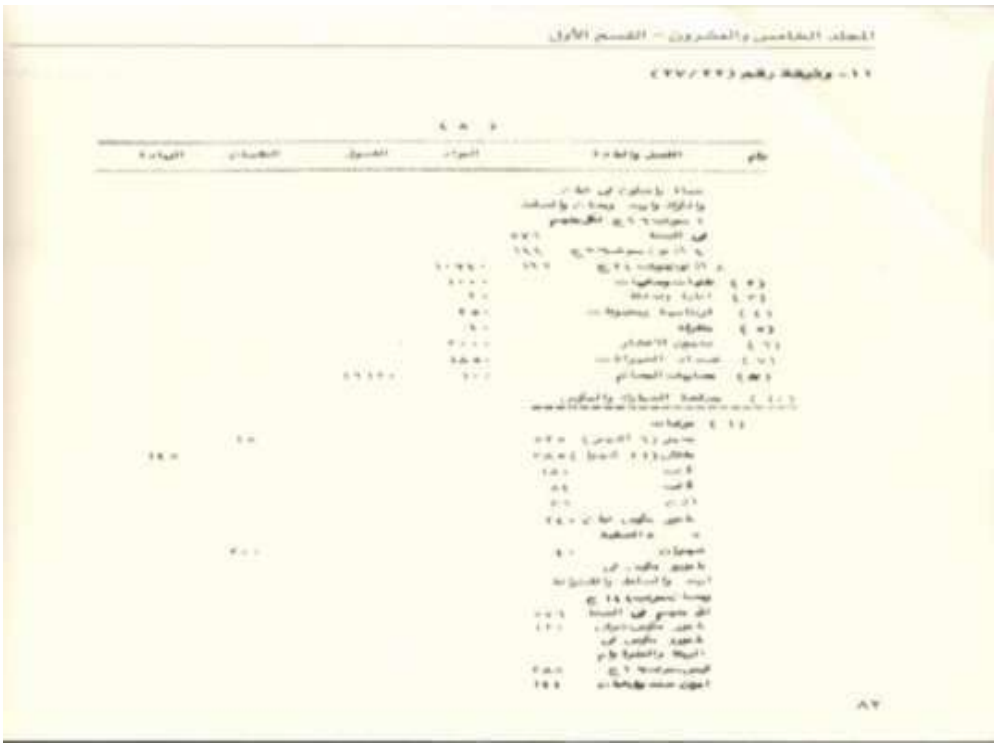

(١) **المصدر نفسه، الموازنات العمومية في عهدي إمارة شرقي الأردن ١٩٢٦-١٩٤٠م**، المجلد (٢٥)، ص٨٢.

الإكراميات:

ورد مصطلح الإكراميات في الموازنات العامة تحت باب التقاعد والإكراميات، كما ورد في وثيقة رقم (٣٤ و٢٧/٣٥)[١] لموازنة عام ١٩٢٩-١٩٣٠م من الموازنات العمومية. ويقصد بها ما يُقدَّمُ لموظفي الدولة من أموال في أثناء التقاعد، أو إنهاء الخدمة، وكانت مقدرة بـ٤٥٠٠ ليرة فلسطينيّة.

ضريبة التمتع:

وهو مصطلح يعبر عمّا يُقدَّم من الدولة للمواطنين تسهيلاً للخدمات، كما يفهمه الباحث، وقد وردت في وثيقة رقم (٢٧/٢)[٢]: وقد حصّلت مؤسسات الدولة منها ٢٥٠٠ ليرة فلسطينيّة في موازنة عام (١٩٢٦ و١٩٢٧).

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- الموازنات العمومية**، المجلد (٢٥) ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م ص١٠٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٠٢.

٥- قضايا إملائية وصرفيّة ونحويّة:

إن النظر في الوثائق الهاشمية التي تمثل شاهداً كتابياً على مرحلة تأسيس الدولة الأردنية في الأعوام العشرة الأولى، تحت مسمى إمارة الشرق العربي، أو بعد ذلك إمارة شرق الأردن، يظهر أن المكاتبات التي تمثل هذه الحقبة الزمنية تخلو من الأخطاء الإملائية، سوى بعض الهَنَات في بداية طباعة الكتب الرسمية على الآلة الراقمة (الطابعة) أي بعد عام ١٩٢٦م تقريباً، وهذا يخص الكلمات التي تبدأ بهمزات الوصل، عدا ذلك يبدو أن هناك عناية خاصة في التدقيق الإملائي، وإن كتبت بعض الكلمات على وجوه غير ما تستعمل اليوم فيما يتعلق بعدم وضع نقطتين تحت الياء المتطرفة، وهذا متداولٌ حتى في الكتابات القديمة من مخطوطات وتوقيعات وفي مصر حتى يومنا هذا كما هو معروف. أما ما يتعلّق بقواعد الصرف والنحو، فقد كادت هذه المكاتبات تخلو من إظهار الحركات الإعرابية على أواخر الكلمات بسبب الطباعة، والظرف العام لتلك المكاتبات، غير أن الالتزام بالقواعد

النحوية والصرفية بدا واضحاً حتى في استعمال الأسماء التي تتضمن (أبو أو ابن)، ومن ذلك وثيقة أبي غنيمة رقم (١٤٧/٢٣)[١]

المجلد الثالث والعشرون

١٤ - وثيقة رقم (١٤٧/٢٣)

ومن ذلك أيضاً الدقة في استعمال قواعد العدد والمعدود، فقد ورد في الوثيقة رقم (١٨٥/٨)[٢]: بإيراده في إحدى المكاتبات على تسجيل قطع الأراضي الثلاث المحددة في معاملة دائرة تسجيل، وقفاً على مسجد (الأبزاخ)، في وادي السير، فلو تأخر العدد ويجوز في القاعدة أن يستخدم الثلاثة أو الثلاث، إلا أنه امتثل للقاعدة النحوية، فقال: قطع الأراضي الثلاث.

وقد كان للمصادر الإسلامية أثرٌ كبيرٌ في المخاطبات التي سبقت الدولة العثمانية، لكنْ بسبب قرارها اعتماد التركية اللغة الرسمية للبلاد، وأن اللغة العربية لغة دينية يتحدث بها الرعايا العرب، لم يعد لهذه المصادر دورٌ كبير في المكاتبات الرسمية في الدولة، كما كان

(١) البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية- الطب والأطباء**، المجلد (٢٣)، ص٧٠.

(٢) **المصدر نفسه- الأوقاف الإسلامية**، المجلد (٢٩)، ص٥٢.

في العصور السابقة خاصةً في العصرين: الأموي والعباسي. وانسحب ذلك على بداية تأسيس الدولة؛ فقد لجأ منشئ المكاتبات إلى القصد من المكاتبات من غير الاهتمام بإدخال المؤثرات الإسلامية في إنشاء النصوص. فكأنه يعالج حدثاً آنياً يريد أن يصل فيه إلى خلاصة في حله. ولذلك خلت هذه المكاتبات من الأثر الديني – قرآناً وحديثاً– بمعنى أنه لم يلجأ أصحابها من الأهالي، أو حتى في ردود الدولة عليهم إلى استعطاف أو استعمال النص الديني، من أجل قضايا العامة، وهذا يضعنا أمام حقيقة أن الإدارة التنفيذية في الدولة كانت تبحث عن رفع سوية المجتمع والمؤسسات، بعيداً عن أي تأثير حتى لو كان دينياً. وإن المتأمل في هذه المكاتبات الرسمية يجدها أيضاً قد خلت من أي أثر تاريخي أو أدبي سواء أكان بيت شعر كان مثلاً أو قولاً سائراً أو أي أثر، ولو كانت مقولة محكية في المجتمعات وقتئذ، ويدلنا هذا على حرفية المنشئ وعدم إدراكه لدور هذه الآثار في نفوس من قُدِّمَتْ إليهم هذه المكاتبات أو قدمها أو حتى بالنظرة التاريخية المستقبلية لهذه الوثائق؛ وهذا ما وقعنا عليه هذا اليوم في قراءتنا لها. وقد يعود أيضاً إلى طبيعة المخاطبات الإدارية وأنها لا تتسع عادةً لمثل هذا، وقد تعذر المؤسسات القائمة على هذا النمط الكتابي في تلك الحقبة بسبب البدايات وما تصاب به من رؤى جديدة في تشكيل الدولة، خاصة أننا –كما ذكرنا– بعيدون عن استمرارية المكاتبات الرسمية في الدول التي كانت تحكم تلك المنطقة.

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

١. تشكل الوثائق الهاشمية بعدًا جديداً في الدّرس التاريخي واللغوي والسياسي والاجتماعي والحضاري، غير أنها لم تحفَ بدراسات كافية تضيء تلك الحقبة الزمنية المهمة من عمر الدولة الأردنية.
٢. كان الاهتمام بالجانب اللغوي في المكاتبات الإدارية جليًّا من خلال معالم شكلت تلك المكاتبات ومتنها وصياغاتها واستحداثها الألقاب العامّة.
٣. التزمت المكاتبات بمعالم خاصة في الشكل، من حيث التاريخ الميلادي والهجري وموقعهما في المراسلات، وما يلازم ذلك من موضوع كل مراسلة والدائرة أو الشخص المخاطَب. وفي عبارات الخاتمة أيضًا.
٤. كانت لغة الخطاب في هذه الموضوعات لغة قانونيّة إداريةً مباشرةً واضحةً، وتنوّع المتن في هذه الوثائق في السياسة والإدارة العامّة والأوقاف والمال والطب والزراعة والعلاقات الخارجية.

٥. خلت لغة المكاتبات الرسمية في بدايات تأسيس الإمارة من المقدمات أو الوصف المغرق، خلا ما وُصف به سمو أمير البلاد، ولم تتعدّ بعض الوصف المتّبع وقتئذ.
٦. شاعت في المخاطبات عبارات مكرورة مثل: (العتبات السنيّة)، (حتى إذا راق لسموه)، (الإرادة المطاعة)، وغيرها.
٧. لم يُكتب لبعض المصطلحات استمرار التداول ضمن المصطلحات الإدارية اليوم في الإدارة، أو في الموازنات العامة للدولة، ومن هذه المصطلحات: المكوس، والإكراميات، وضريبة التّمتّع.
٨. تكاد هذه المكاتبات تخلو من الأخطاء الإملائية أو الصرفية أو النحويّة، وإن وجدت فهي نزر قليل، ومعظمها بسبب استعمال الآلة الطابعة في المكاتبات التي صُدّرت بعد عام ١٩٢٦م.
٩. لم يكن هناك أثر نصّي واضح لِلقُرآن الكريم أو السنّة المطهرة أو النثر أو الشعر أو المثل أو القول السائر في المخاطبات الإدارية؛ لمعالجتها قضايا إدارية يومية صِرفة.

المصادر والمراجع

أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط، ج٢**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، د.ت.

الأرناؤوط، محمد موفق، **العلاقات الأردنية السورية من خلال الوثائق الهاشمية**، محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً، منشورات مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

البخيت، محمد عدنان وآخرون، **الوثائق الهاشمية الحكام الإداريون في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٦-١٩٥١م**، المجلد (٢٨) ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

الوثائق الهاشمية- **المصرف الزراعي في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٨-١٩٥١م، المجلد (٣٠) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م.**

-، **الوثائق الهاشمية الأوقاف الإسلامية في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٤-١٩٥١م**، المجلد (٢٩) ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م.

-، الوثائق الهاشمية- **موظفو دائرة النافعة ١٩٢٧-١٩٥١م**، المجلد (٢٧) ١٤٤٠-١٤٤١ه/٢٠١٩م.

-، الوثائق الهاشمية- **الموازنات العمومية في عهدي إمارة شرقي الأردن ١٩٢٦-١٩٤٠م**، المجلد (٢٥) ١٤٤٠ه/٢٠١٨م.

-، الوثائق الهاشمية- **الطب والأطباء في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٥-١٩٥١م**، المجلد (٣٢) ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

الجالودي، عليان عبدالفتاح، **العلاقات الأردنية السعودية من خلال الوثائق الهاشمية (١٩٢١م-١٩٥١م)**، محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً، منشورات مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، **الخصائص، ج١**، حققه محمد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط١، بيروت، د.ت.

أبو السعود، عطيات، **الوعي التاريخي بين الماضي والمستقبل**، عالم الفكر، (٢٩)، الكويت، ٢٠٠١م.

غنايم زهير، **العلاقات الأردنية- الفلسطينية وحدة الضفتين من خلال الوثائق الهاشمية (١٩٢١م-١٩٥١م)**، محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً، منشورات مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٨٢١ هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣٣.

المالكي، مبجل لازم، **علم الوثائق، وتجارب في التوثيق والأرشفة**، عمان: مؤسسة الوراق، ٢٠٠٩م.

العسكري، **أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ) الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم**، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ: ص١٣٦.

عمر، أحمد مختار وآخرون، **معجم الصّواب والخطأ، دليل المثقف العربي الجزء (١)، ط١**، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩/٢٠٠٨م.

ابن منظور، مُحَمَّد بن مُكرَّم (٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ناصر الدّين الأسد عَلَامَة أدبيّة في مسيرة الدّولة الأردنيّة: قراءة في نماذج من رسائله المخطوطة إلى ولده بشر

أ.د عمر عبد الله أحمد الفجّاويّ*

ملخّص

ينتوي هذا البحث الكشف عن رسائل مخطوطة لناصر الدّين الأسد تحتاج إلى قراءة وتحليل، فهو الّذي ولد مع نشأة الإمارة، وكان من السّبّاق إلى التّلمذة والتّعلّم والتّعليم.

وقد هيّأ لي ابنه بشر ضميمة من اثنتي عشرة رسالة تقرأ أوّل مرّة، وقسّمت البحث إلى قسميْن، أوّلهما القيم الظّاهرة في الرّسائل، والقيم الباطنة.

فمن القيم الظّاهرة ثقافة الإيجابيّة الّتي تمثّلت في تعظيمه المنجز، وحسن الظّنّ بالنّاس، وعدم اتّباع هوى النّفس، والحديث عن أحوال الأمّة، والكلام على بعض الإشارات العلميّة الدّقيقة، وتيسير أمر الامتحانات، وبثّ الأمل ورفع الرّوح المعنويّة في نفس ولده، ومن القيم الباطنة الّتي لم ترد في الرّسائل، اهتمامه بقيمة اللغة العربيّة، والاهتمام بالنّاحية الجماليّة في شكل الكتابة.

وستكون شرعتي في هذا البحث أن أعرض هذه القيم وفاق التّرتيب الزّمنيّ لتواريخ الرّسائل، وأن أشير إلى الأشعار والأنثار الّتي تضيء هذه القيم، ولا سيّما من الشّعر الجاهليّ.

وقد انتهى البحث إلى عدد من النّتائج، من أهمّها: الكشف عن ذخائر هذا المربّي الّتي تفيض بالقيم، كما أنّ لغتها مؤنسة محبوبة، مع أنّها رسائل بين والد وولده، ولكنّها تفيض بالعلم والمعرفة.

الكلمات الدالة: ناصر الدّين الأسد، مئويّة الدّولة الأردنيّة، الرّسائل المخطوطة.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. (الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني).

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Nasereddeen Alasad As a Remarkable Figure During the Last Centennial of Jordan: An Analysis of Manuscripted Epistles to His Son Bishr

Prof. Omar Fajjawi

Abstract

This paper aims at displaying some manuscript epistles of Nasereddeen Alasad who was born with the establishing of the Emirate of Jordan. These manuscripts still need to be researched and analyze .

His son, Bishr, offered to me specifically twelve of these epistles that are read for the first time, thus, I divided this paper into two aspects: the explicit values, and the implicit values.

For the explicit values, I wrote the cultural positivity which represents revering the achievements, good belief in people, unfollowing the lower desires of soul, mentioning our nation's circumstances, speaking about some scientific and precise ideas, making the examinations easy, and spreading hopes and exalting morality. For the implicit values, I discussed Nasereddeen Alasad's interesting of Arabic Language and its issues like the beauty and the form of his writing.

The research's method is to offer these values chronologically and to mention the related Pre-Islamic Poetry. The research concluded major results, such as: demonstrating some of the unknown heritage of Nasereddeen Alasad, and its rhetoric and eloquence language, even it was among him and his son, but it was overflowing with science and Knowledge.

Key Words: Nasereddeen Alasad, Centennial of Jordan, Manuscripted Epistles.

مهاد نظريّ: ناصر الدّين الأسد وثقافة الإيجابيّة:

ضرب ناصر الدّين الأسد مثلًا شرودًا في تمثّل ثقافة الإيجابيّة، خلقًا في نفسه وسلوكًا مع الآخرين، وقد آنست هذا في مجالسه العلميّة، ومناقشاته لرسائل الماجستير والدّكتوراه، ولبحوث الطّلبة، حتّى في لقاءاته الخاصّة والغاصّة، فترى له سمتًا خصّ به نفسه، ولا يحيد عنه، فهو يريد أن يبتني عند المتلقّي إيجابيّة عالية تُفيئه إلى كلّ كريمة، فقد كان شهم الخصومة، تقيّ الغضب، لا يفرُط، ولا يطغى، ويأتي على مراد كلامه بأيسر الطّرق، وأكرم الألفاظ[١]، فلا يخدش مروءة أحد، وخطابه رفيع، فلا ينزل به، بل يستنهض مستمعه إلى أن يرتفع إليه، ويصدق فيه قول المعرّيّ:

من النّاس من لفظه لؤلؤ يبادره اللقطُ إذ يُلفَظ

وبعضُهُمُ قوله كالحصا يقال فيُلغى ولا يُحفظ[٢]

ولا بدّ من تقديم تعريف علميّ للإيجابيّة في هذا السّياق، حتّى يكون تُكَأَة لنا في مسيرة هذا البحث، فهي:" خلق كريم ينشأ من صلاح بال ونفس مطمئنّة، ويظهر أثره في عذب الكلام وفي النِّصْبَة"[٣].

فحين نجيل البصر في هذا التّعريف، يتلامح لنا أنّ ناصر الدّين الأسد كان صالح البال، ويتمتّع بنفس مطمئنّة، وهذا الأمران أفضيا إلى أن يكون ذا خلق كريم، وقد بدا هذا جليًّا في مؤنس ألفاظه، وفي حركات جسده، فصلاح البال" يلقي ظلال الطّمأنينة والرّاحة والثّقة والرّضى والسّلام. ومتى صلح البال، استقام الشّعور والتّفكير، واطمأنّ القلب والضّمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت

---

(١) يقول في مقدّمة كتابه (تحقيقات لغويّة): "كانت الكلمة – من حيث هي لفظة مفردة، ومن حيث هي لَبِنَة في بناء نظم الجملة – موضع شغفي: بإيحاءاتها وموسيقاها وألوانها وظلالها وامتداداتها، منذ صباي المبكّر، حتّى لقد كنت أحسّ أحيانًا كأنّ اللفظ كائن حيّ، أحاوره وأداوره، ويحاورني ويداورني، قبل أن يستقرّ في موضعه من الجملة، وأرفع عنه قلمي. وقد أحسّ، بعد ذلك، أنّه لم يرض عن موقعه، ولم أرض عنه، فيظلّ قلقًا يتململ حين أعيد قراءته أو سماعه، ولا يهدأ إلّا بعد أن أضعه في موضع آخر يرضاه وأرضاه، وأحلّ محلّه لفظًا غيره يستسيغه ذوقي وتطمئنّ إليه نفسي". ص ٧.

(٢) لزوميّات أبي العلاء ٢: ٣٣١.

(٣) هذا تعريف اشتققته من تجربتي الشّخصيّة، وأحبّ أن يشيع بين أهل العلم ومنسوبي الجامعات، وأن ينظروا فيه آراءهم قبولًا أو إضافة أو تعديلًا. و"النِّصْبَة" مصطلح أورده الجاحظ، وأراه التّرجمة الدّقيقة لمصطلح" Body Language " فهو يقول:" وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العَقْد، ثمّ الخطّ، ثمّ الحال الّتي تسمّى نِصْبَة. والنِّصْبَة هي الحال الدّالّة، الّتي تقوم مقام تلك الأصناف،...، وأمّا النِّصْبَة، فهي الحال النّاطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السّماوات والأرض، وفي كلّ صامتٍ وناطق ،وجامد ونامٍ، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدّلالة الّتي في الموات الجامد، كالدّلالة الّتي في الحيوان النّاطق. فالصّامت ناطق من جهة الدّلالة، والعَجماء مُعربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأوّل: سل الأرض فقل: من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارًا، أجابتك اعتبارًا" البيان والتّبيين ١: ٧٦، ٨١.

النّفس، واستمتعت بالأمن والسّلام، وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟ ألا إنّه الأفق المشرق الوضيء الرّفّاف"[١].

وأمّا نفس الأسد المطمئنّة، فهي "الّتي تمّ تنوّرها بنور القلب، حتّى انخلعت عن صفاتها الذّميمة، وتخلّقت بالأخلاق الحميدة"[٢]، وسمّيت مطمئنّة" لاعتبار سكونها إلى الحقّ واطمئنانها به، وذلك إذا قطع الأفعال المذمومة والخواطر المذمومة مطلقًا، فإنّه متى لم ينقطع عنها الخواطر المذمومة، لا تسمّى مطمئنّة، بل هي لوّامة[٣].

ومن تلمذ له أو زاره أو جلس إليه، فإنّه سيلفي هذا باديًا ظاهرًا، لذلك، استطاع أن يكون محقّقًا لثقافة الإيجابيّة الّتي قدّمت تعريفها، وأن يجعل من هذا كلّه مبتدأً ومنطلقًا ليكون المربّي والمعلّم، فلم يعنُف بلفظ ولا سلوك، فكان الأقدر على تحقيق الأمن اللغويّ ببهجة كلماته، ولطائف عباراته، وترك أثرًا كريمًا في تلاميذه ومريديه[٤].

(١) في ظلال القرآن ج ٢٦: ص ٣٢٨١.
(٢) التّعريفات: ٢٥٢.
(٣) كشّاف اصطلاحات الفنون: ١٧١٨-١٧١٩.
(٤) يتجلّى هذا في رسائله إلى ولده بشر، فقد كان يبثّه الأمل ويعزّز محاسنه بأليف كلامه، فانظر إليه وهو يقول:" ابني الحبيب بشر، شرح صدري ما ذكرتَه في رسالتك أنّك استعدتَ جزءًا كبيرًا من نشاطك الدّراسيّ الّذي كنتَ قد فقدتَه في أثناء وجودك في عمّان، وكذلك سرّني ما ذكرتَه من أنّ مقامك في المدينة الجامعيّة يزيد من ارتباطك بالحياة الدّراسيّة، وأنّ إحساسك بالألفة لهذا المكان يشجّعك على الابتعاد عن الملهيات خارجه" انظر رسالته المخطوطة المكتوب عليها في الزّاوية اليسرى العليا: الجامعة الأردنيّة-عمّان في ١٩٦٨/٢/٢٣.
ويمضي في إيجابيّته في سياق آخر، إذ لا يلتفت إلى الوراء بأخطائه، بل يدفع ولده دفعًا إلى الأمام فيقول:" ومهما يكن، فإنّ الزّمن الّذي انقضى كان لتحقيق ما قصدتَ، وستأتيك رسائلي منذ الآن، لا أتحدّث فيها عن أمر مضى، فذاك حديث لا غَناء فيه، ولا جدوى منه، وإنّما سأحدّثك عن حاضر أمرك" من رسالته المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا" الجامعة الأردنيّة وتحتها عمّان، مكتب الرّئيس، ومن الزّاوية اليسرى العليا التّاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٠. وكان يعظّم منجز ولده، فهو يقول:" والحقّ أيضًا أنّ رسالتك الأخيرة كانت من أبدع ما قرأت من رسائل، في كشفها عن فكرك العميق المتّزن، ونفسك الصّافية المنفتحة للخير والحقّ والجمال، وفي بيانها الرّائق المتسلسل العذب، لولا أخطاء نحويّة يسيرة، وقد طربت لرسالتك طربًا ما بعده طرب، وقرأتها مرارًا وحدي أو مع والدتك وإخوانك، وقد جاءت دليلًا جديدًا على صدق ما شِمتُه فيك من الخير الكثير المرجوّ منك إن شاء الله، وأيّة فرحة أعمق وأكبر وأبهج من فرحتي بك وبإخوتك، وقد هداكم الله إلى الحقّ ويسّركم للخير، فالحمد لله حمدًا لا ينقضي" من رسالته الّتي يعلو زاويتها اليسرى" جامعة الدّول العربيّة، وتحتها القاهرة في ١٩٦٩/٩/١٧. وهنا لا بدّ من الإنباه على أنّه لم يعظّم أخطاء ولده النّحويّة، بل اكتفى بكريم الإيماءة إليها، من غير أن يخدش حياءه أو يثلم مروءته، وهذا قُلٌّ من كُثُر من رسائله، فهي طافحة بثقافة الإيجابيّة.

ولعلّ الأسد قد أدرك بثاقب بصيرته أنّ المجتمع العربيّ يعاني استبدادًا في كثير من مظاهره، ولا سيّما في التّربية والتّعليم، فتجد "الشّدّة، والعقاب، وإلقاء الأوامر، والتّهديد، والتّوبيخ، والإحراج[١]، والعنف، والتّمييز، والحرمان من الحقوق، والفرض بالقوّة، ومصادرة الحركة ،وعدم مراعاة إنسانيّة الإنسان"[٢].

ولذلك، آثر أن يخالف هذا ويتنكّبه، فهو أوعر المسالك، ومرتعه وخيم، فكلّ ذلك استبداد بغيض، وهي" ظاهرة تربويّة تمتدّ جذورها في البنية الاجتماعيّة العربيّة التّقليديّة الّتي تخشى إطلاق القوى الإبداعيّة، وتنكرها، وتحاول كبتها، وتشجّع الانقياد والامتثال والإذعان والاتّكال والمحاكاة، وتعمل على التّكيّف والاندماج ضمن البنى الاجتماعيّة القائمة، بغضّ النّظر عن سلبيّاتها"[٣].

وقد بدأ تنزيل ثقافة الإيجابيّة على أبنائه، ولا سيّما ولده البكر بشر، فقد كان يرسل إليه رسائل حين خلّفه وحده في سنّ الطّلب الأولى لدراسة الهندسة في جامعة عين شمس، وقد كان حينها فتًى غضّ الإهاب، لمّا يبلغ الثّامنة عشرة، وندب الأسد للعودة إلى الأردنّ ليكون مؤسّس الجامعة الأردنيّة ورئيسها الأوّل، فبثّ رسائله إلى ولده بشر ثقافة إيجابيّة عالية، سنتناولها بالتّفصيل والقراءة في هذا البحث.

القيم الظّاهرة:

بدت في رسائل ناصر الدّين الأسد إلى ولده بشر قيم تربويّة ظاهرة نصّ عليها صراحة، وهي:

أوّلًا: حسن الظّنّ بالنّاس:

أراد الأسد أن يسلّي ولده في غربته، بعد أن ظعنت عنه أسرته، إذ غادروا جميعًا القاهرة الّتي كانت منزلهم، بعد حصوله على درجة الدّكتوراه، وتعيينه في الدّائرة الثّقافيّة في جامعة الدّول العربيّة، بعدما سمع به أحمد الشّقيري[٤]، فكان يرسل إليه رسائل تفيض بمعاني النّبل والمروءة، وقد بثّ نفس

(١) علم نفس النّموّ، مرجع عاد إليه يزيد السّورطي، وتعذّر عليّ العود إليه. انظر السّلطويّة في التّربية العربيّة: ص٩.
(٢) السّلطويّة في التّربية العربيّة: ص٩.
(٣) جوانب من إشكاليّة الثّقافة العربيّة...الواقع والطّموح، من كتاب وحدة الثّقافة العربيّة: ٨٧.
(٤) هذه المعلومات ذكرها لي ولد المهندس بشر في بيته ذات لقاء كريم، في أثناء الاستعداد لكتابة هذا البحث. وأحمد الشّقيريّ(١٩٠٨م-١٩٨٠م) ولد في لبنان، وانتقل وهو طفل إلى طولكرم للعيش مع والدته. أنهى دراسته الثّانويّة في مدرسة صهيون في القدس سنة ١٩٢٦م، ثمّ التحق بالجامعة الأمريكيّة في بيروت. شارك في الثّورات الفلسطينيّة على الانتداب البريطانيّ والصّهيونيّة، وخاصّة ثورة ١٩٣٦م. بعد قيام الجامعة العربيّة في ١٩٤٥/٣/٢٢م، كلّفه موسى العلميّ تأسيس مكتب الإعلام العربيّ في واشنطن. كان خطيبًا مفوّهًا باللغتيْن العربيّة والإنجليزيّة، وصاحب أسلوب بليغ واضح، وتوفّي في عمّان، ودفن في مقبرة الصّحابيّ أبي عبيدة عامر بن الجرّاح في الأغوار بناء على طلبه. انظر للاستزادة: الموسوعة الفلسطينيّة الميسّرة: ٢٢-٢٣.

ولده المتلقّي بشر في أوّل رسالة يرسلها إليه أمرًا من القيمة والخطر بمنزلة، هو حسن الظّن بالنّاس، فيقول في رسالته: "ابني بشر، هذه أوّل رحلة لك: تشدّ رحالها، وتتحمّل أعباءها، وتنتهي منها لتواجه الحياة وحدك. ومع ذلك، فما أحسبك إلّا واجدًا من حولك من الأصدقاء وذوي القربى من يحمل عنك بعض العبء، ويشاركك بذل الجهد، ويسعى لتخفيف المشاقّ عنك، وتذليل الطّريق بين يديْك. وهذه أوّل رسالة أبعث بها إليك، أخصّك بها وحدك، ولا يَشْرَكُكَ فيها غيرك"(١).

وحين نرجع النّظر في استهلال هذه الرّسالة، نخلص إلى ما يأتي:

أ- الإيجابيّة الّتي تتحلّى بها نفس الأسد، ويرنو إلى أن يجعلها ثقافة عند ولده الّذي يتلقّى رسالته، فهو يعلم أنّ ولده في إقبال على الحياة، وما زال في جنّ النّشاط، وتزدحم في نفسه أغباش الظّنون والأوهام، فتختلط عليه الأمور، ولا يجد من يفيء إليه بعدما فارقوه وحيدًا في القاهرة، وعادوا جميعًا إلى عمّان ليتولّى الوالد عمله الجديد في التّأسيس والبناء، ولذلك، لا بدّ لهذا الفتى من نصح يفضي إلى النّجح، أمام هذا الواقع الّذي قد يبدو منبهمًا أشدّ الانبهام.

ب- حاول الأسد في رسالته الأولى هذه أن يسلّي ولده في غربته، وقد صرّح بأنّ هذه هي الرّسالة الأولى الّتي يرسلها إليه، وهذا ينبئ أنّه ستتلوها رسائل مترادفة تشاكهها وربّما تساميها، وهذا ما سنلحظه فيما بعث بعد هذه الرّسالة.

ج- أنّ أهمّ ما صرّح به فكر الأسد التّربويّ في السّطور الأولى لهذه الرّسالة أنّك تمرّ بأوّل تجربة تكون فيها وحيدًا، ولذلك، حمّله مسؤوليّة تحمّل أعباء ذلك وحده، وهذا من دقيق استشعار الوالد لحال ولده، وهي عاطفة أبويّة عفويّة، ولكنّه أراد أن يضعه أمام مسؤوليّاته الجِسام الّتي سيلقاها.

د- التّلطّف الّذي صيغت به هذه المعاني، فقد رام الأسد أن يعرّف ولده بشرًا أنّه ذو مقام عنده كبير، فبيّن له أنّه يخصّه وحده بهذه الرّسالة، ويلحف على المعنى حين أكّد له بمترادف المعنى أنّه لا يشركك فيها غيرك، ولو غصنا في قراءة هذا النّصّ، فإنّ الرّسالة بطبيعة الحال مرسلة إلى بشر وحده، ولكنّه أراد أن يقدّم له قيمة تربويّة جميلة في هذا، حين أعلن أنّه لا يشترك معه في هذه

(١) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا " الدّكتور ناصر الدّين الأسد، عميد كلّيّة الآداب، ومن الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" عمّان في ١ / ١٠ / ١٩٦٣).

الرّسالة أحد سواه، ليزيد في إعلاء منزلته عنده، وأن يشعره بقربه منه، وأنّه مع تنائي الدّيار بينهما يظلّ القريب المصاقِب، وهذا المعنى جرت عليه بعض آيات الكتاب العزيز، فقد قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(١).

وهذا يسمّى – في علم البلاغة – الإطناب، ويقول عنه ابن الأثير: "وبعد أن أنعمتُ نظري في هذا النّوع الّذي هو (الإطناب) وجدته ضربًا من ضروب التّأكيد الّتي يؤتى بها في الكلام قصدًا للمبالغة"(٢). ثمّ يبيّن في موضع آخر أنّه للخواصّ من النّاس، فيقول: "وعلى هذا، فإنّ الإطناب لا يختصّ به عوامّ النّاس، وإنّما هو للخواصّ، كما هو للعوامّ "(٣)، ويرى أنّ حدّه الفائدة لا التّطويل لغير فائدة، فيقول: "والّذي يُحدّ به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حدّه الّذي يَميزُه عن التّطويل، إذ التّطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة"(٤).

وابتناء على هذا، فإنّ آية الإسراء تفرض علينا تساؤلًا كبيرًا عن سبب ورود لفظة "ليلًا" فيها، مع أنّ الإسراء معلوم ميقاته في الليل، ولذلك، تأتي على سبيل توكيد الأمر وكون حدوثه في الليل، ويجيب الزّمخشريّ عن هذا فيقول: "فإن قلت: الإسراء لا يكون إلّا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلت: أراد بقوله "ليلًا" بلفظ التّنكير تقليل مدّة الإسراء، وأنّه أسريَ به في بعض الليل من مكّة إلى الشّام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنّ التّنكير قد دلّ على معنى البعضيّة"(٥).

٥-لا بدّ من التّنويه بالإشارة الرّاشدة الّتي جادت بها قريحة ناصر الدّين الأسد إلى ولده في أنّ من حوله أصدقاء وذوي قربى يمكن الاستعانة بهم على بعض ما يدهمه ويقرعه في حيواته الاجتماعيّة والاقتصاديّة والجامعيّة، وهذه وصيّة تربويّة عليا يجمل بالآباء النّظر فيها والأخذ بها، فالدّعوة إلى حسن الظّنّ بالنّاس من أكرم الشّمائل، وتجعل المرء في حالة من السّكينة والطّمأنينة، إذ لا يجوز أن يرمى النّاس بالتّهم والافتراءات في المقام الأوّل، ولا يقوى أيّ أحد على العيش

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) المثل السّائر ٢: ٢٧٨.

(٣) المصدر السّابق ٢: ٢٧٩.

(٤) المصدر السّابق ٢: ٢٨٠، وانظر كذلك: معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها ١: ٢٢٤-٢٢٥.

(٥) الكشّاف ٢: ٦٠٤، وانظر شبيه هذا في قوله تعالى" فخرّ عليهم السّقف من فوقهم "في تفسير القرطبيّ ١٠: ٩٠.

وحده، وهي إنباه كريم من الوالد إلى ولده على ضرورة فهم التّعايش السّلميّ مع النّاس، والاختلاط بهم، والتّعامل معهم، وهذه إيجابيّة حسنة منه يريد أن يبثّها في نفس الموصّى، ودعوة إلى نبذ الاعتزال، ففي مخالطة النّاس فوائد جمّة، ولا سيّما أنّ الأسد قد حدّد أصنافهم، فهم الأصدقاء وذوو القربى.

وهنا، يحسن الإشارة إلى أنّ وصيّة الأسد لولده بالاتّكاء على النّاس ليست مطلقة، بل جاءت مقيّدة تقييدًا صُراحًا، فقد ذكر الأصدقاء وذوي القربى فقط، ولذلك، لم يَعُمّ النّاس جميعًا، وهي – في تقديري – دعوة باطنة إلى ضرورة وجود الصّديق في حياة ولده، وإحسان التّعامل معه، وتحذير غير معلن من التّعامل مع أيّ أحد، سوى هذيْن الفريقيْن.

ومن المعلوم أنّ الأسد يمتح من ثقافة عربيّة وإسلاميّة خالصة، فحين نجيل نظرنا في تراثنا[١]، نلفي حديثًا قيّمًا عن قيمة مخالطة النّاس والأصدقاء، فهذا زهير ابن أبي سلمى المزنيّ يمتدح سنان ابن أبي حارثة المرّيّ بأنّه كان قريبًا من النّاس خَلِطًا، ولا ينعزل ببيت ناء عنهم، بل بيته يتوسّط البيوت، لكي يظنّ النّاس عنده خيرًا، فيقول:

خَلِطٌ أَلوفٌ للجميع ببيته ... إذ لا يُحلُّ بحيِّز المتوحِّد

يَسِطُ البيوت لكي يكون مظِنّةً ... من حيث توضع جفنة المسترفِدِ[٢].

ويقول المسيّب بن علس:

أحللْتَ بيتك بالجميع وبعضهم ... متفرّق ليحلّ بالأوزاع[٣].

وقد قيل: "حسن الظّنّ يذهب سوأتهم بكم "[٤].

(١) من الكتب الّتي تحدّثت عن قيمة الصّداقة كتاب "الصّداقة والصّديق" لأبي حيّان التّوحيديّ. وقد ذكر البابانيّ عنوان كتاب لطيف هو: "تحفة الأكياس في حسن الظّن بالنّاس" لأبي مكتوم جار الله المغربيّ المالكيّ، إيضاح المكنون ١: ٢٤٢.

(٢) شرح ديوان زهير: ٢٧٦.

(٣) ديوان المسيّب بن علس: ٩٨.

(٤) تفسير القشيريّ ٢: ٦١.

ثانيًا: عدم اتّباع هوى النّفس:

يضع ناصر الدّين الأسد ولده بشرًا أمام الواقع المعيش ويدعوه ألّا يسرف في الخيال، وألّا تذهب به منازع النّفس كلّ مذهب، فشتّان بين أحلام النّفوس ومناها وما تصوغه من أخيلة، وبين ما يراه المرء ويعاينه ويعانيه، فنراه يقول: "وإنّي لمغتبط ألّا يكون كلّ شيء في بداية الأمر وَفق هواك، لكيلا تنخدع عن نفسك، وتحسب أنّ الحياة من اليُسر بالمنزلة الّتي تشتهي"(١).

وساعة نستبصر هذه الكلمات، نخرج بما يأتي:

أ- ندرك أنّ الأسد يريد أن يربّي ولده تربية واقعيّة، تتفهّم مناحي الحياة بعُجَرها وبُجَرها، وأنّها ليست منثورة الأزاهير واضحة المسالك، بل تعاند وتخصم، وتخالف كثيرًا ممّا ارتسمه المرء في مخياله.

ب-وهو يدعوه إلى أن يطّرح هوى النّفس، وأن يعيش واقعه كما هو، وهو أسلوب في التّربية جدير بالاهتمام، فليس من الحقّ أن يترك النّاشئ في سنّ الفتوّة سبهللًا، وأن يحكمه الخيال بأمانيه الزّائفة، بل يجمل بالمربّي أن يأخذ بيد الفتى أخذًا قويمًا حتّى يبيّن له أنّ الحياة فيها يوم سعد وفيها يوم بؤس، ولا يمكن أن تسير على نسق واحد من البشر والسّرور، ولا من الشّظف والنّحس.

ج- ولا بدّ من طويل التّلبّث عند مفتتح كلمات الأسد لولده باستعماله لفظة " مغتبط " ولا سيّما أنّه قد قدّم لكلامه بالتّوكيد بإنّ التّوكيديّة، ومعلوم أنّ التّوكيد هنا لا يأتي إلّا في مقام يكون المتلقّي مرتابًا وشاكًّا، ولم يكتف الأسد بهذا التّوكيد، بل عطف عليه اللام المزحلقة في لفظة مغتبط، فأضحى التّركيب "وإنّي لمغتبط" ولا أخرج عن جادّة الحقّ إنّ زعمت أنّ الواو هنا كأنّما وطّأت لقسم محذوف، ولنا أن نتخيّل الحال الّتي كان فيها الأسد يخطّ هذه الكلمات، وهو في أعلى درجات التّحذير لولده الّذي يريد أن يربّيه أحسن تربية، فجاء في هذا السّياق بثلاثة

(١) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا "الدّكتور ناصر الدّين الأسد، عميد كلّيّة الآداب، ومن الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" عمّان في ١ / ١٠ / ١٩٦٣).

مؤكّدات، حتّى يخرج الخبر عن مقتضى الظّاهر، لينزل المتلقّي منزلة يخرجه فيها من أوهامه الدّنيويّة، وليأخذه إلى مهيع الحقّ وسبيل الرّشاد.

وأرى أنّ من الضّرورة الاحتفال بأمريْن هنا، أوّلهما التّوكيد، وآخرهما لفظة " مغتبط " فإضافة إلى ما قدّمنا، فإنّ الأسد مدرك قيمة هذا التّوكيد في مخاطبة ولد بشر، الّذي أحسّ أنّ أحلامه ربّما تسلكه إلى غير ما يرتضيه الوالد، ويجمل أن نذكر للقارئ قيمة هذا التّوكيد ومراده الّذي يستعصي على بعض الكبراء من أهل العلم، فقد نبّه الإمام عبد القاهر الجرجانيّ على مثل هذا فقال:" واعلمْ أنّ ممّا أغمضَ الطريقَ إلى معرفَةِ ما نحنُ بصدده، أنَّ ههنا فروقاً خفيّةً تَجهلُها العامّةُ وكثيرٌ من الخاصة، ليس أنّهم يَجْهلونَها في موضعٍ ويَعْرفونها في آخرَ، بل لا يَدْرون أنها هي، ولا يَعْلمونها في جملةٍ ولا تفْصيل"(١).

ثمّ يورد الجرجانيّ خبرًا طريفًا عن الكنديّ الّذي غاب عنه إدراك معاني التّوكيد، فيقول: "رويَ عن ابن الأنباريِّ أنه قال: ركبَ الكنْديُّ المتفلسِف إلى أبي العبّاس وقال له: إني لأَجِدُ في كلامِ العَرب حَشْواً! فقال له أبو العباس: في أي موضع وجَدْتَ ذلك؟ فقال :أَجِدُ العربَ يقولون "عبدُ الله قائمٌ"، ثم يقولون "إنَّ عبدَ الله قائمٌ"، ثم يقولونَ: "إنَّ عبدَ الله لقائمٌ"، فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس :بل المعني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ، فقولُهم : "عبدُ الله قائمٌ"، إخبار عن قيامه وقولهم "إن عبدَ الله قائمٌ" جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ وقوله "إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ"، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قيامَهُ، فقد تَكرَرَّت الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني. قال فما أَحَارَ المتفلسِفُ جواباً"(٢)، ويعلّق الجرجانيّ على هذا الخبر مبيِّنًا قيمته وخطره بعدما عاند الفهم الكنديّ في إدراك المراد منه، فيقول: "وإذا كان الكنديُّ يذْهَبُ هذا عليهِ حتى يَرْكَبَ فيه ركُوبَ مستفهِمٍ أو معْترِضٍ، فما ظنُّكَ بالعامّة، ومَنْ هو في عِدادِ العامّة، ممَّنْ لا يَخْطُرُ شبْهُ هذا بباله"(٣).

(١) دلائل الإعجاز: ٣١٥، وانظر الخبر كذلك في صبح الأعشى ١ : ٢٢٣، ويعلّق القلقشنديّ بعده قائلًا:" فإذا ذهب مثل هذا على الكنديّ فما الظّنّ بغيره؟

(٢) المصدر السّابق: ٣١٥.

(٣) المصدر السّابق: ٣١٥.

وأمّا تنخّب الأسد لفظة "مغتبط" في سياقه هذا، فهو أمر من التّربية بمنزلة كبيرة، فهو – كما قدّمنا – يتمتّع بإيجابيّة عالية، ولذلك، قدّم لفظة فيها إحساس بالسّعادة حتّى يربح متلقّي رسالته، ولكنّها تحمل معنًى آخر في نفسيّته، فهو يبغي أن يربّيه ويلقي عليه قولًا ثقيلًا، ولذلك، عالن – غير مخاتل ولا مداهن – أنّه سعيد بتوكيد شديد؛ لأنّه يعلم بابتنائه هذه القيمة التّربويّة الّتي تبدو على ولده عسرة الطّلّاب سيقتطف ثمراتها غضّة طريّة في قابل الأيّام، ولذلك، جاءت كلمة "مغتبط" تتوافق مع حاله هو بوصفه والدًا، ولكنّها تخالف مراد الولد المقبل بعنفوانه ونشاطه على مغريات الحياة وملهياتها، فيريد الأسد أن يثنيه عن ذلك، وألّا يغترّ بخياله، فإن أقبلت الدّنيا قليلًا، فإنّها تغدر، وهو بذلك يقدّم له تجربته الشّخصيّة الّتي مرّ بها في أثناء حياته، ولا يريد لولده أن يقع في شَرَك يقع فيه كثير ممّن تصدمهم الوقائع، بتغيّر النّاس وتقلّب الزّمان.

ولعلّي لا أغلو إن اتّخذت في قراءة وصيّة الأسد هذه وغبطته مبتعدًا شديد الغوص، فإنّي أرى أنّ الأسد يروم أن يحذّر ولده بشرًا ألّا يغترّ ببعض النّاس، وأنّ الدّهر خؤون، فلا يدوم على حال، وبعض القوم متقلّبون، وهو رؤية تربويّة مهمّة، تؤدّيه إلى إحسان فهم ما يجري حوله.

ولا يفهم غوصي هذا لالتقاط هذا المعنى نقضًا لما أوردته عن الأسد من حسن الظّنّ بالنّاس، ففكرتي هذه لا تنفي تلك، بل تقوّيها وتزيد في توضيحها، ومعلوم بالضّرورة أنّ الأسد لا يدعو ولده في المقام الأوّل إلى حبّ النّاس المطلق، وحسن الظّنّ الدّائم فيهم، فمراده هنا قيّد كلامه الأوّل، وهو دعوة إلى ولده بشر صريحةٌ بأن يعرف مبتدأ الأمور ومنتهاها، وميقات حسن الظّنّ، وميقات ما دون ذلك، ولا سيّما أنّ هاتيْن القيمتيْن: حسنَ الظّن بالنّاس، وعدم الاغترار ببعضهم، قد وردتا في رسالة واحدة.

ثالثًا: الدّعوة إلى استقلال الولد فكريًّا:

ما يفتأ ناصر الدّين الأسد يغدق على ولده من القيم والوصايا التّربويّة ما يبعث فيه الاستقامة والرّشاد، فنراه يتمثّل ولده ويتكلّم نيابة عنه، وكأنّ نفس ولده قد حلّت في نفسه، فهو يقرأ في عقليّة ولده الوثّابة إلى الحرّيّة والاستقلال ما لم يعالنه، ولكنّه المربّي الّذي يقرأ ما وراء السّطور، إذ أدرك أنّ ولده متحفّز إلى أن يكون كذلك، ولعلّ حياءه أو خشيته سطوة والده يمنعانه من ذلك، فآثر الوالد أن يقدّم بين يدي ولده هذا المعنى في التّحرّر والاستقلال، ليزيل عن نفسه أيّ جُناح أو حرج، فهو يقول له:" بشر، يا ولدي الحبيب، كلّما نازعتني نفسي إلى الكتابة إليك – وما أكثر ما فعلتْ – كبحت جِماحها حتّى لا

أفسد عليك شعورك بالتّحرّر من مواعظي وإرشادي. لقد آثرت أن أتركك وحدك، تخبِط فيما تخبط فيه، وتواجه الأمور مستقلًّا، وتعرف عمق تعقّد الحياة وثقل أعبائها في أمر واحد صغير من أمورنا، فكيف ببقيّة الأمور الكثيرة الكبيرة! ولا يعرف الابن ما يقاسيه أبوه من هذه الحياة إلّا حين يمارسها بنفسه"(١).

وأستطيع أن أقرأ هذه السّطور من وجوه، هي:

أ- أنّ الأسد يبغي أن يبعث في نفس ولده بشر قيمة الاستقلال والحرّيّة، ويريد في الوقت نفسه أن يحمله على تحمّل تبعات الحياة الّتي أبدى له ثقل أعبائها.

ب-يدرك الأسد أنّ ما يصنعه مع ولده قد يكون محفوفًا بالمخاطر، ولذلك، صرّح له بعقابيل هذا الاستقلال، ولذلك، وضعه أمام مسؤوليّاته، حتّى ينفي عن نفسه أي لائمة، إذا حدث لهذا الولد غير ما يحبّ ويرغب.

ج-أحسن الأسد إذ كانت لغته دقيقة قد تدنو من القسوة حين بيّن له أنّه تركه مع معترك الحياة يخبط فيما تخبط فيه، وبذلك، يكون قد رفع نفسه أيّ عذل من أيّ طرف.

د- لعلّ القيمة التّربويّة الّتي بثّها الأسد نفس ولده من أهمّ القيم الّتي يحرو بكلّ مربّ أن يربّي ولده عليها، إذ لا يجوز أن يظلّ الوالد قيّومًا وقوّامًا على كلّ شيء يخصّ ولده، فهذا سيفضي إلى العجز والاتّكال، وهو اعتراف من الوالد بأنّ ولده غير أهل لتحمّل أيّ مسؤوليّة، ولذلك، حين قدّم الأسد لولده بشر فكرة الاستقلال، إنّما قدّمها لعلمه أنّه قد ربّاه على ذلك، وهو مستحقّ لأن يصبح مسؤولًا عن نفسه، وأن يواجه معترك الحياة بفؤاد مُشَيَّع، وكأنّ نفس الشّنفرى حاضرة في نفس الأسد ونفس ولده حين قال:

وإنّي كفاني فقدَ من ليس جازيًا بحســـنى ولا في قربه متعلَّلُ
ثلاثة أصحاب: فؤاد مشـــيَّعٌ وأبيض إصليت وصفراء عيطلُ(٢).

(١) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" الجامعة الأردنيّة، عمّان في ١٩٦٣/١١/٢٢).
(٢) شعر الشّنفرى الأزديّ : ٩٧.

٥- ولا أغلو إن ذهبت إلى أنّ الأسد يريد أن ينفي عن عقليّة ولده بشر فكرة التّبعيّة، فهو يسعى بهذا إلى أن يكون له نضيج الفكر وسديد الرّأي، وألّا يظلّ أسير ما يمليه هو عليه، ولا يتشكّل هذا إلّا بمواجهة الحياة والخبط فيها.

وقد ألفيت أنّ الأستاذ الشّيخ قد اعتنى بتقليل مواعظه ونصائحه لولده أيّما اعتناء، وقد صرّح بهذا في رسالتيْن أخريين، فتراه يقول:" ابني الحبيب بشر، انقطعت طوال الحقبة الماضية عن الكتابة إليك؛ لأنّ أهمّ ما يشغلني هو التّفكير في دراستك وامتحاناتك، وخشيت – إذا كتبت – أن تكون رسالتي كلّها عن هذه الدّراسة والامتحانات محشوّة بالنّصائح، فيثقل الأمر عليك، وتتضخّم صورته في نفسك، فتضطرب وتتوجّس خيفة"(١).

وفي العام نفسه الّذي أرسل فيه قوله ذاك، أعاد مثله بعد خمسة أشهر، فقال:"... وكففت عنك مواعظي، ولم أرد أن أثقل عليك بلوم ولا تأنيب، وعزمت على ألّا أعكّر عليك مجال رؤيتك ولا جوّ نفسك، وتركتك وحدك"(٢).

رابعًا: الصّبر:

عرّف الفيروزباديّ الصّبر بأنّه "حبس النّفس عن الجزع والسّخط، وحبس اللسان عن الشّكوى، وحبس الجوارح عن التّشويش"(٣).

ويرى الغزاليّ أنّه لولا" الصّبر، لانهارت نفس الإنسان من البلايا الّتي تنزل عليه، ولأصبح عاجزًا عن السّير في معترك الحياة"(٤).

ومن كمال سلامة المنهج الّذي يسير فيه ناصر الأسد في تربية ولده أن يهتمّ بقيمة الصّبر، ولا سيّما أنّه يخاطب ولده بشرًا اليافع الّذي تفور فيه ميعة الشّباب، ولا بدّ مع هذه الميعة أن يقبل على بعض الأمور بدافع الإقبال وتحقيق شغف الاستكشاف غير حاسب لعقباها، فأراد الوالد أن يعرّفه قيمة يجمل به أن يأخذها بقوّة، وهي الصّبر، فيقول:" وإذا كنتَ الآن، بعد مرور نحو شهريْن، ما زلتَ تحسُّ

(١) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" الجامعة الأردنيّة، عمّان في ٤/ ٥ / ١٩٦٧.

(٢) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا" الجامعة الأردنيّة وتحتها عمّان، مكتب الرّئيس، ومن الزّاوية اليسرى العليا التّاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٠.

(٣) بصائر ذوي التّمييز ٣ : ٣٧١.

(٤) آداب الصّحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق: ١١٣.

أنّ الحيرة تلفّك من كلّ جانب، وأنّك ما فتئتَ حيث كنتَ في البداية، يتقدّم الزّمن ولا تتقدّم أنت خطوة واحدة في سبيلك لمعرفة النّتيجة، فلعلّ ذلك يدعوك إلى إدراك حقيقة أساسيّة في الحياة، وهي وجوب التّسلّح بالصّبر، فإنّ الحياة معركة ضارية لا بدّ للمرء فيها من أن يعبّئ قوّته كلّها لمواجهتها، وأن يبذل أقصى جهده – بإخلاص وإيمان – للفوز فيها، ثمّ عليه بعد ذلك – وليس قبله – أن يصبر، فإنّ الملل والسّأم واستعجال النّتائج مواطن ضعف قاتلة في المحارب، وربّما كسب المرء معركة؛ لأنّه صبر دقائق معدودات أكثر ممّا استطاع خصمه أن يصبر، ومن أجل هذا، أمرنا الله تعالى بالصّبر، وحسّنه إلينا، ووعد الصّابرين الفوز والجنّة"[1].

والمتأمّل لهذه السّطور يستطيع الخلوص إلى ما يأتي:

أ- أنّ خطاب الأسد لولده جاء من باب نفي الضّدّ عنه، وهو ما تفيض به نفس الشّابّ من حبّ المغامرة، ونجده لا يشير إلى هذا احترامًا لولده وتعظيمًا لنفسيّته، فهو يدرك ما تنطوي عليه نفس الولد، ولكنّه لم يجنح إلى التّصريح، بل اتّخذ سبيل النّصح والحديث عن الصّبر بوصفه صفة قد تغيب عن ذهن الشّابّ الممتلئ حيويّة وعنفوانًا، وهذا مبدأ في التّربية قويم ورشيد، فلعلّ الحديث المباشر يؤدّي غير المراد، وربّما رجعت عقباه إلى النّدم.

ب-تعظيم قيمة الصّبر وتقديمها أحسن التّقديم، واعتماد البرهان العقليّ في ذلك، فقد طلب من ولده أن يتسلّح بالصّبر، وليُلحظ هنا أنّه جعل الصّبر سلاحًا، فهو قد أنزل ولده منزلة الجنديّ المقبل على المعركة، ولا سيّما أنّه أشار إلى متاعب الحياة ومخاطرها في الرّسالة نفسها، فإذن، يقتضيه الأمر أن يجعله في إقبال على معركة، ولكنّ ممّا يحسن به تمثّله أن يكون صبورًا، وأن يجعل الصّبر سلاحه، وهذا من أهمّ الصفات الّتي لا يجوز لأيّ جنديّ التّخلّي عنها، وواضح أنّ الأسد كان يتمثّل في هذا قول سعد بن معاذ في غزوة بدر، إذ امتدح قومه بصبرهم، فقال: "... فامض – يا رسول الله – لما أردتَ، فنحن معك، فوالّذي بعثك بالحقّ، لو

(١) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" الجامعة الأردنيّة، عمّان في ٢٢/ ١١ / ١٩٦٣.

استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما تخلّف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غدًا، إنّا لصُبُر في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء"(١).

وقد امتدح زفر بن الحارث الكلابيّ عدوّه في أبياته المنصِفة بأنّهم كانوا أصبر من قومه، فقال:

ولما لقينا عصبة تغلبيّة يقودون جــردًا للمنيّة ضُــمَّرا

سقيناهُمُ كأسًا سقونا بمثلها ولكنّهم كانوا على الموت أصبرا(٢).

ج- أحسب أنّ الأسد قد استحضر في ذهنه – وهو صاحب المقام الرّفيع في حسن تلاوة القرآن الكريم وتبيّن أسراره – قيمة الصّبر الّتي وردت في قصّة نبيّ الله موسى عليه السّلام مع الرّجل الصّالح، حين ردّ عليه: "قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا"(٣).

فمتدبّر هذه الآيات يرى أنّ لفظة الصّبر قد كانت بؤرة اهتمّ بها الرّجل الصّالح، وهو المعلّم لموسى في هذه القصّة، وهي إلماحة دقيقة الملحظ إلى أنّ الصّبر قيمة مهمّة ينبغي للطّالب أن يتحلّى بها، وقد كانت هي القضيّة الكبرى عنده، ثمّ إنّ الرّجل الصّالح قد زاد في صرف نبيّ الله موسى عن التّلقّي عليه بأنّك لن تقوى على الصّبر عليّ، ثمّ أقام عليه النّكير، بالسّؤال الاستنكاريّ بأنّك لن تقوى على الصّبر على ما لم تعرف وتفهم، فكان الرّدّ من متلقّي: نبيّ الله موسى عليه السّلام بأنّي سأكون صابرًا. وهنا لفتة لا بدّ من التّوقّف عندها، وهي أنّ موسى عليه السّلام قد استثنى في الصّبر فقال: "إن شاء الله"، وقد ناقش القرطبيّ هذه المسألة فقال:" وقيل: استثنى في الصّبر فصبر، وما استثنى في قوله: ولا أعصي لك أمرًا، فاعترض وسأل. قال علماؤنا: إنّما كان ذلك منه؛ لأنّ الصّبر أمر مستقبل، ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفيُ المعصية معزوم عليه، حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه، ويمكن أن يفرّق بينهما بأنّ الصّبر ليس مكتسبًا لنا بخلاف فعل المعصية وتركه، فإنّ ذلك كلّه مكتسب لنا؛ والله أعلم"(٤).

(١) السّيرة النّبويّة ٢: ٢٢٧.

(٢) شرح ديوان الحماسة ١: ١٥٦.

(٣) سورة الكهف: الآيات ٦٦-٦٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١: ١٩.

د- وابتناء على كلّ ما سبق، فإنّ ناصر الدّين الأسد قد عظّم قيمة الصّبر، وحبّبه إلى ولده بشر، وأتى له ببرهان لطيف حين بيّن له أنّ صبر بضع دقائق سيفضي إلى عميم الخير في كسب المعركة في نهاية الأمر، ثمّ ختم قوله بما ينبئ عن ثقافة قرآنيّة رسيخة عند الوالد لا بدّ للولد أن ينزع إليها، حين أشار إلى أمر الله تعالى عباده بالصّبر، ووعده إيّاهم الفوز والجنّة.

خامسًا: بثّ المعرفة العلميّة:

من طريف ما وجدته في رسائل ناصر الدّين الأسد إلى ولده بشر أنّه أرسل إلى ولده بشر رسالة[1] علميّة تحدّث فيها عن ضروب الرّسائل في عصور الأدب الأولى، فقال: "ابني الحبيب بشر، كتابة الرّسائل فنّ، وهو باب قائم بذاته من أبواب الأدب العربيّ، وأحسبه كذلك في الآداب كلّها، ولكنّ عناية العرب به فاقت عناية غيرهم. والرّسائل في تاريخنا الأدبيّ ضربان: الرّسائل الرّسميّة الّتي كانت تصدر عن الدّولة ومن يمثّلها، سواء أكان خليفة أم واليًا. وكان لهذه الرّسائل ديوان خاصّ يسمّى" ديوان الرّسائل "وكان هذا الضّرب منها يسمّى" الرّسائل الدّيوانيّة"[2].

وأحسب أنّ الأستاذ الشّيخ قد رام في رسالته هذه أن يذكّر ولده بشرًا بقيمة العلم وضرورة المعرفة، حتّى في رسالة خاصّة بينهما، وهذه قيمة لا يدركها سوى كبار المربّين وسادة المعلّمين، فهو ينزع منزعًا لطيفًا في رسالته هذه، ليبيّن لولده أنّ العلم لا يجوز أن يغادرنا في أيّ لحظة، ويريد منه أن يتعلّم في غربته أمرًا لعلّه فاته حين كانا معًا، وأرى أنّ في هذه الرّسالة نسقًا مضمرًا يمكن أن نكشف عنه – صحّ أو لم يصحّ – هو أنّ الأسد قد اختار ساعة صفاء ولحظة تعليميّة مناسبة فاهتبلها ليلقي على ولده هذه المعلومات، الّتي تبدو غريبة من والد لولده، ولا سيّما في زمن كانت الرّسائل فيه ذات قيمة، وينتظرها النّاس انتظار الأرض الظّمأى لوابل الغيث، ولكنّ الأسد أصرّ أن يكون مختلفًا في رسائله كلّها، ولا سيّما هذه الرّسالة، فتخيّر لحظة يكون ولده فيها في أعلى درجات التّلقّي، فهو ينتظر أيّ رسالة من والده، وهو في غربته، فأرسل إليه هذه الرّسالة الّتي تبثّ فيه معلومات طريفة، فهو لم

(١) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا" الجامعة الأردنيّة، وتحتها كلمة عمّان، ويقابلها في الزّاوية اليسرى باللغة الإنجليزيّة" THE UNIVERSITY OF JORDAN" وتحتها باللغة الإنجليزيّة كذلك كلمة" AMMAN " وتاريخها ٢٦/ ١٠ / ١٩٦٥).

(٢) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا" الجامعة الأردنيّة، وتحتها كلمة عمّان، ويقابلها في الزّاوية اليسرى باللغة الإنجليزيّة" THE UNIVERSITY OF JORDAN" وتحتها باللغة الإنجليزيّة كذلك كلمة" AMMAN " وتاريخها ٢٦/ ١٠ / ١٩٦٥)..

يتخلّ عن أستاذيّته، فأراد أن يجعل من رسالته هذه درسًا في العلم والمعرفة، ليبيّن لولده قيمة الرّسائل في زمن غبَر.

ولي أن أقول بأنّ الأستاذ الشّيخ قد استوحى هذا الصّنيع ممّا صنعه نبيّ الله يوسف عليه السّلام، حين كان في سجنه، ومعه فتيان كلاهما رأى رؤيا، وأرادا تعبيرهما، فاهتبل يوسف عليه السّلام هذه اللحظة ولم يجب عن سؤالهما، بل راح يدعوهما إلى الله تعالى، لأنّه لم ينس مهمّته الأولى أنّه نبيّ من الله ومرسل، ولا بدّ له – وإن كان في السّجن – أن يبثّ تعاليمه، فقال تعالى: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ"(١).

والمتأمّل في هذه الآيات يستطيع الخلوص إلى أنّ نبيّ الله يوسف عليه السّلام قد استثمر فرصة حاجة الفتيين إليه، وأنّهما سيستمعان إلى كلّ ما سيقول، فابتدأ دعوتهما إلى الله تعالى، وإقناعهما بذلك، وأرجأ تعبير الرّؤيين حتّى يستوثق أنّهما قد استوعبا مقالته عن وحدانيّة الله، فهما سيستمعان إلى آخر كلمة يقولها مهما كانت، لحاجتهما الملحّة إليه؛ ولأنّهما راغبان أشدّ الرّغبة في تأويل ما رأيا في نومهما.

وهذه إشارة تربويّة ذات قيمة كبيرة، إذ لا بدّ للمربّي والمعلّم أن يتنخّب اللحظة الّتي يكون فيها التّلميذ يقظًا مستوفز الجوارح، فساعتها، سيكون الكلام فيه أوقع وأشدّ تأثيرًا، وقد ذكر الزّمخشريّ في تفسيره لهذه الآيات فقال: "وهذه طريقة على كلّ ذي علم أن يسلكها مع الجهّال والفسقة، إذا استفتاه واحد منهم أن يقدّم الهداية والإرشاد والموعظة والنّصيحة أوّلًا، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه ممّا استفتى فيه ثمّ يفتيه بعد ذلك، وفيه أنّ العالم إذا جهلت منزلته في العلم، فوصف نفسه بما هو بصدده، وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدّين، لم يكن من باب التّزكية "(٢).

(١) سورة يوسف: الآيات: ٣٦-٤١.

(٢) الكشّاف ٢: ٤٤٣.

غير أنّ الأستاذ الشّيخ قد أشار إشارة العجلان الزّاري لحال زمانه في أمر الرّسائل، فلم ينس إقامة الموازنة بين ذلكم الزّمان الجميل الّذي كان فيه للرّسائل ديوان[1] ويعيّن لها وزير، يكون من أهمّ الوزراء عن الخليفة، وبين واقع الرّسائل حين أخنى عليها الدّهر، فلم تعد بتلك القيمة ولا الخطر، فقد عالن غير هيّاب ولا وجل أنّ حال الرّسائل في زمانه – وهو في سنة ١٩٦٥ الّتي كتبت فيها الرّسالة – غير سارّ، فقال:" وهي تختلف اختلافًا بيّنًا عن الرّسائل الرّسميّة في عهدنا، إذ إنّها الآن مثال للرّكاكة، وضعف الأسلوب، وكثرة الأخطاء اللغويّة والنّحويّة، والجري على نمط واحد، لا يكاد يتغيّر، من العبارات والألفاظ"[2].

ومن الواضح أنّ هذه الحال الزّريّة قد استمرّت، بل ربّما ساءت أكثر، فقد أضحت الرّسائل في زماننا هذا ونحن في القرن الحادي والعشرين آية في الفهاهة والغثاثة، فقلّ أن يظفر القارئ برسالة ديوانيّة ذات وقع في النّفس، في وطننا العربيّ الكبير، مع أنّه يحلو للمرء أن يذكر أنّ الرّسائل الّتي كانت تخرج وما تزال من الدّيوان الملكيّ العامر دقيقة ورصينة[3]، ولكنّ كثيرًا ممّا يصدر من سائر دوائر الدّولة يحتاج إلى رجع نظر، ولست أغلو إن ضممت جامعاتنا في هذا، فالأمر لا يسرّ.

وفي سياق الحديث عن بثّ المعرفة العلميّة، نجد أنّ الأسد حاور ولده في رسالة محاورة عقليّة فلسفيّة، إذ كانت الرّسائل قد تراخت بينهما، فأرسل إليه يقول: "ابني الحبيب بشر، أتراني مقصّرًا في حقّك لتأخّري في الكتابة إليك؟ أكنتَ حقًّا تنتظر منّي رسالة، أو رسائل متتابعات، قبل هذه الرّسالة؟ وماذا كنتَ تتوقّع أن أقول؟ الموقف واحد يثير تفسيرات مختلفة، بل متناقضة أحيانًا، ولعلّ السّبب أنّ كلّ مفسّر ينظر من زاويته ويتشبّث بها، وقد يبذل جهدًا لرؤية الأمر من زوايا أخرى، ولا يحاول أن يضع نفسه في موضع صاحب الموقف ليرى من زاويته، وبتعدّد الزّوايا، تتعدّد جوانب الرّؤية،

(١) هذا بحث طُوال وكِبار، وللاستزادة منه ينظر مثلًا: المصنّفات الآتية: النّثر الفنّيّ في القرن الرّابع الهجريّ، لزكي مبارك، والفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ، لشوقي ضيف، والرّسائل الفنّيّة في العصر العبّاسيّ حتّى نهاية القرن الثّالث الهجريّ، لمحمّد محمود الدّروبيّ.

(٢) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا" الجامعة الأردنيّة، وتحتها كلمة عمّان، ويقابلها في الزّاوية اليسرى باللغة الإنجليزيّة" THE UNIVERSITY OF JORDAN" وتحتها باللغة الإنجليزيّة كذلك كلمة" AMMAN " وتاريخها ٢٦/ ١٠ / ١٩٦٥).

(٣) من شاء، فلينظر في الوثائق الهاشميّة الّتي يقوم على نشرها وطباعتها محمّد عدنان البخيت وطلبته، وما يقوم به بعض الباحثين الجادّين مثل محمّد يونس العبّاديّ ومهنّد المبيضين، فرصانة اللغة فيها جليّة واضحة.

ويختلف التّصوّر والحكم؛ وقديمًا قال المناطقة: الحكم على الشّيء فرع من تصوّره، فإذا كان التّصوّر ناقصًا أو محدودًا، جاء الحكم ناقصًا غير شامل"[١].

سادسًا: المصارحة والمكاشفة:

أعني بهذا البند أنّ ناصر الدّين الأسد كان يكاشف ولده بشرًا بتفاصيل دقيقة فيها صراحة شديدة، ربّما لا تعني الولد، ولكنّه رام من كلّ هذا أن يربّي ولده على الوضوح والمصارحة، وهي ملحظ لطيف في التّربية والتّعليم، لا يخلو من بعث روح المحبّة الخالصة بين التّلميذ وأستاذه، فما بالك بين الوالد وولده؟

فقد أرسل الأسد إلى ولده رسالة يقول فيها:" ابني الحبيب بشر، لعلّك علمتَ أنّ مجلس اتّحاد الجامعات العربيّة قد عقد في الجامعة الأردنيّة، وأنّ جميع مديري الجامعات بالجمهوريّة العربيّة المتّحدة قد جاءوا منذ أحد عشر يومًا. وقد قضيت هذه الأيّام في عمل متّصل من الصّباح المبكّر حتّى منتصف الليل. بين صعود إلى المطار في عمّان للاستقبال، أو سفر للقدس؛ لأنّ بعضهم هبط هناك، ثمّ ترتيبات المجلس واجتماعاته، وأعباء رئاسته، والحفلات والرّحلات إلى بترا والخطوط الأماميّة، ثمّ تكرار الصّعود إلى المطار، والسّفر إلى القدس للوداع. واليوم اضطررت إلى الاستيقاظ في السّاعة الخامسة إلّا ثلثًا في الصّباح، لكي أودّع الدّكتور سلامة حمّاد رئيس جامعة بيروت العربيّة، والدّكتور (البشير)[٢] دفع الله مدير جامعة الخرطوم. ومعنى ذلك أنّني لم أنم طول الليلة، أو نمت نومًا مفزّعًا قلقًا، ولم أفطر...وفي التّاسعة، سافرت مع الأستاذ الباقوري والدّكتور حشاد والدّكتور بغدادي والدّكتور مرسي وغيرهم إلى القدس لتوديعهم، وعدت إلى منزلي في نحو الثّانية، وفي الرّابعة، كنت مرّة أخرى في مكتبي بالجامعة، ولذلك، فقد استبدّ بي التّعب، وأشعر ببوادر الإرهاق والمرض، ولكنّي مضطرٌّ إلى كتابة هذه الأسطر خطفًا إليك، لتصلك مع الدّكتور علي إبراهيم عبده"[٣].

وأحسب أنّ الأسد قد أراد أن ينضو عن ولده ثوب الجدّ فيما كان يرسله إليه من رسائل جادّة، فأحبّ أن يسلّيه بأنبائه رفيعة الشّأن، حين كان وقتها رئيسًا للجامعة الأردنيّة، ومؤسّسًا لها، فهو يعلم أنّ استمرار الجهد يضني العقل ويُحْرِضُه، وهي قيمة تربويّة، لا بدّ لكلّ مربّ ومعلّم أن يسير فيها، إذ إنّ الجنوح إلى شيء من نافع الهَزْل ورطيب المزاح يرجع النّفس إلى نشاطها، ويزيل كلالها، وينفي ملالها.

---

(١) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا" الجامعة الأردنيّة وتحتها عمّان، مكتب الرّئيس، ومن الزّاوية اليسرى العليا التّاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٠.

(٢) هكذا رسمها المرحوم ناصر الدّين الأسد، وأحسبها كذلك، فقد حرْتُ بين البشير والنّذير.

(٣) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليسرى العليا: عمّان في ١٩٦٥/١٢/١١.

ولا ريب أنّ الأستاذ الشّيخ قد اطّلع على آداب المتقدّمين في هذا الشأن، وما كانوا ينظّرون له، فقد تحدّث التّوحيديّ في مقدّمة الليلة الثّامنة عشرة فقال: "وقال مرّة: تعال حتّى نجعل ليلتنا هذه مجونيّة، ونأخذ من الهزل بنصيب وافر، فإنّ الجدّ قد كدّنا، ونال من قوانا، وملأنا قبضًا وكربًا"(١).

وإنّما استشهدت بقول التّوحيديّ هذا، لا على سبيل المشاكلة بين الموقفيْن، بل على سبيل أنّ الأسد قد ذهب بالصّراحة والانكشاف مع ولده مذهب القدماء في التّربية، فلم يجنح إلى الحديث في عظائم الأمور ولا جادّ القضايا، بل حدّثه حديثًا لن يعود عليه إلّا بشيء من الرّاحة النّفسيّة، ولا سيّما أنّ المتلقّي والولد والتّلميذ ترتاح نفسه حين يتداخل مع أستاذه بشيء من حوادثه، ليشعره بقربه منه؛ لأنّ عقبى هذا كلّه أن يستحلي الدّرس والبحث، وتزداد الثّقة بينهما، إذ إنّ المربّي قد رفع قيمة هذا المربّى إلى مرتبة يشركه فيها بشيء من خصيصته(٢).

وقد تجاوز الأسد في مصارحته ولده إلى حدّ أن يحدّثه بأحوال العرب في زمانه، فقد قال:"... ثمّ إنّ النّاس في هذه الأيّام كلّهم في جميع أقطار العالم قلقون، والعرب منهم أشدّ قلقًا، لما تعرف من المهانة والذّلّة الّتي يعجز القلم عن وصفها، لما يجلّله من عار. فلا تحسبنّ نفسك وحدك تعاني، ولا تضخّم من أحوالك ومشكلاتك، ولا تَستَكِنْ إلى التّعلّات والمعاذير"(٣).

سابعًا: التّوعية بقيمة الأسفار:

حين همّ بشر بالسّفر إلى ألمانيا، أرسل ناصر الدّين الأسد رسالة إليه يحدّثه فيها حديثًا فيه كشف عن قيمة الأسفار وآدابها، فيبيّن له أنّه سيسير في مرحلتيْن، هما: "المرحلة الأولى:

(١)الإمتاع والمؤانسة: ٢٦١، وانظر شبيه هذا مثلًا: بهجة المجالس ١: ٥٥٦-٥٧١، كتاب أخبار الظّراف والمتماجنين، كاملًا، ولو أردت أن أذكر في هذا السّياق، لاستغرقت طويلًا.

(٢) ونجد مثل هذه المصارحة والمكاشفة في قوله:" ابني الحبيب بشر، منذ خمسة عشر يومًا كاملة، وأنا أحاول أن أكتب إليك هذه الأسطر، فحين وصلتني رسالتك الأخيرة المؤرّخة ١٩٦٩/٨/٩ كنت أستعدّ مع والدتك وإخوتك للسّفر إلى الإسكندريّة، لأحضر المؤتمر السّادس للمعلّمين العرب في ١٩٦٩/٨/١٦ لمدّة أسبوع، ثمّ تبدأ إجازتي السّنويّة، وهي عشرة أيّام فقط هذا العام، بسبب كثرة العمل، وقيام بقيّة الموظّفين بإجازاتهم، فكان لا بدّ أن أقتنع بهذه المدّة القصيرة. وحين وصلت الإسكندريّة، أخذت في الأيّام الأولى أحمل نفسي كلّ يوم على الكتابة إليك، وكانت نفسي تتأبّى وتتمنّع، لما أصابها من فتور وشاع في جسمي من تكسّر واسترخاء، فأيقنت أنّ العمل المتّصل طوال عام كامل جعلني في أشدّ الحاجة إلى راحة كاملة، لا أمسك فيها قلمًا، ولا أفرد أمامي ورقًا للكتابة، ولا أنظر في كتاب، وحسبي قراءة الصّحف وسماع الرّاديو" من رسالته الّتي يعلوه زاويتها اليسرى العليا: جامعة الدّول العربيّة، وتحتها القاهرة في ١٩٦٩/٨/٢٧.

(٣) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا: الجامعة الأردنيّة، وتحتها عمّان، مكتب الرّئيس، وفي الزّاوية اليسرى العليا التّاريخ ١٩٦٨/٤/٨.

المعرفة والمتعة معًا. وهما أمران لا ينفصلان، فكلّ معرفة جديدة تتضمّن متعة نفسيّة فكريّة. والمعرفة هنا بمفهومها الشّامل: معرفة بلاد جديدة بمعالمها المادّيّة: من موقع جغرافيّ وأنماط معماريّة، واستغلال لتطبيقات العلوم (التّكنولوجيا) في مرافق الحياة المختلفة، وما استطاع الإنسان في هذه البلاد أن يحقّقه لنفسه، وللإنسانيّة معه، عن طريق العلم من تيسير لوسائل المعيشة، وإتاحة الفرصة للاستمتاع بالحياة، واختصار الوقت، بل إطالة الوقت وتوفيره، وتمكين الإنسان من أسباب القوّة والغلبة، إلخ...ومعرفة بلاد جديدة بمعالمها النّفسيّة والاجتماعيّة: معرفة النّاس العاديّين، وطرق معيشتهم، والعلاقات الّتي تحكمهم، معرفة قيمهم ومُثُلهم وتقاليدهم ومطامحهم ووسائلهم لتحقيق أهدافهم ونظرتهم إلى الإنسان: إلى أنفسهم وإلى غيرهم، إلخ...إنّ كلّ معرفة جديدة هي تجديد لنفس الإنسان وعقله، ومن لا يكتسب كلّ يوم جديدًا – مهما يكن هذا الجديد قليلًا – إنسان جامد متحجّر، أو إنسان تضيع أيّامه من بين يديْه، ويفرّ عمره منه دون أن يحسّ. والمرحلة الثّانية: جزء من المرحلة الأولى، صادرة عنها ومتمّمة لها. وهي ما تكتسبه أنت – نتيجة لكلّ ما تقدّم – من شمول النّظرة ونفاذ البصيرة في إدراكك لموقفك وتقويمك لاتّجاهك، وما قد ينتهي إليه أمرك من اطمئنان إلى موضوع تخصّصك العلميّ"[(١)].

يريد الأستاذ الشّيخ أن يبتني من عقليّة ولده عقليّة متّقدة، فهو يعلم أنّ ولده مقبل على سفر إلى ألمانيا، وهو في شبابه، ومدرك حاجات الشّباب في هذه السّنّ، فأراد بإحساس المربّي وتربويّته العالية أن يأخذه في هذه الرّسالة مأخذًا علميًّا وسلوكيًّا وتربويًّا، فقدّم له معلومات لعلّه يحلو له الأخذ بها في سفره إلى بلد جديد، ودعاه إلى أن يقتبس من هذا الجديد كلّ جديد، ولم ينس أن يجعل كلامه منهجيًّا علميًّا، فدعاه إلى أن يجعل تحقيقه لمراده في مرحلتيْن، وفي هذا نهج علميّ سديد؛ لأنّه يروم غرس هذا المنهج في نفس ولده، فطلب منه أن يجوس خلال الدّيار الألمانيّة، لينظر في مرافق الحياة وطرائق حيوات النّاس فيها، وأن يهتمّ بالعمران والحياة المادّيّة ومظاهرها، لتكسبه مآثر صالحات تنفعه في قابل أيّامه، وتأتي المرحلة الثّانية الّتي تفضي به إلى شمول نظرته للمشهد كلّه ونفاذ بصيرته.

والقارئ لهذه الرّسالة يدرك أنّ الأسد لا يغيب عن باله في أمره كلّه أنّه المربّي والمعلّم، فرصانة الطّرح لا تفارقه، وعميق النّظر لا يغادره، ويحاول أن يلبسه ولدَه بشرًا بلبوس حسن، وهو يمتح من معين التّراث، فلو استبصرنا أدب الرّحلات، لوجدنا كلّ هذا ماثلًا، ولذلك، أراد

(١) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا التّاريخ فقط، ولم يظهر فيها اليوم، بل الشّهر والسّنة: ١٩٦٦/٨.

الأسد أن يبعث تلكم القيم من مراقدها، وخير من يجب أن تلقى إليه هو ولده بشر، فقد قال الشّافعيّ:

تغرّبْ عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ، واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد[1]

وقد نعى ياقوت في مقدّمة معجمه للبلدان على من يزور بلدًا ولا يعتبر، فيقول: "أمّا بعد، فهذا كتاب في أسماء البلدان،...، لم أقصد بتأليفه، وأصمُد نفسي لتصنيفه، لهوًا ولا لعبًا،...، ولكنْ، رأيت التّصدّي له واجبًا،...، وفّقني عليه الكتاب العزيز الكريم، وهداني إليه النّبأ العظيم، وهو قوله عزّ وجلّ، حين أراد أن يعرّف عباده آياته ومثلاته، ويقيم الحجّة عليهم في إنزاله بهم أليم نقماته: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" فهذا تقريع لمن سار في بلاده ولم يعتبر، ونظر إلى القرون الخالية فلم ينزجر، وقال وهو أصدق القائلين: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" أي انظروا إلى ديارهم كيف درست، وإلى آثارهم وأنوارهم كيف انطمست، عقوبة لهم على اطّراح أوامره، وارتكاب زواجره، إلى غير ذلك من الآيات المحكمة، والأوامر والزّواجر المبرمة،...، قال قسّ بن ساعدة،...، أبلغ العظات، السّير في الفلوات، والنّظر إلى محلّ الأموات، وقد مدح الشّعراء الخلفاء والملوك والأمراء بالسّير في البلاد، وركوب الحُزون والوِهاد، فقال بعضهم يمدح المعتصم:

تناولتَ أطراف البلاد بقدرةٍ كأنّك فيها تبتغي أثر الخِضْرِ"[2]

ثامنًا: تيسير أمر الامتحان:

لا ريب في أنّ الامتحان محنة يواجهها الطّالب، ويكرهها البشر، لما تنطوي عليه نفس مؤدّيه من اضطراب وكدر، وقد عمد الأستاذ الشّيخ إلى تيسير أمره ووقعه على ولده بشر بأحسن الكلمات، فقال: "والحقّ أنّ الامتحان – على هيبته ورهبته – يجب أن يلقاه الإنسان هادئ النّفس، مطمئنّ البال، بعد أن يكون قد استعدّ له استعدادًا يرضي الضّمير. وعلى المرء أن يسعى، وليس عليه إدراك النّجاح، فذاك من الله، يمنحه أو يمنعه لحكمة، ولكلّ امرئ حدّ يقف عنده، ولا يكلّف الله نفسًا إلّا وسعها، فعسى أن تكون قد استوفيتَ للأمر عُدّته، وأن تستدرك فيما

(١) ديوان الشّافعيّ: ٤١.
(٢) معجم البلدان ١: ٧-٨.

بقي من أيّام ما يكون قد فاتك، ثمّ لا عليك، بعد ذلك، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يضيع أجر المحسنين"[١].

والمستبصر في هذا الجزء من الرّسالة يدرك أنّ الأسد يصرّ على قيمة الإيجابيّة ويبثّها نفس ولده، وييسّر له سبل تلقّي الامتحان، مع إقراره في مضمر نسقه أنّه صعب عسير، ولكنّه ابتدره بعذب القول، فافترض فيه حسن الاستعداد له، حتّى يصبح وهو مطمئنّ مرتاح، ثمّ بيّن له بعد ذلك أنّ المرء يسعى في ركاب النّجاح، ولكنّ تحصيله قد يعسُر، وربّما يعثُر، ويفهّمه أنّ هذا من مراد الله تعالى، فالله يعلم طاقة كلّ نفس، ما دام المرء قد أخذ بالأسباب، فلا ضرورة للشّعور بالنّدم بعد ذلك، ولا لجلد الذّات.

ونلحظ في هذه الكلمات أمريّن:

الأوّل: أنّه يؤكّد قيمة تواصل المرء بربّه، فهو يستشهد بمحفوظه الدّينيّ في هذا السّياق، بكريم فهم لقضاء الله وقدره، وأخذ بأسبابه، والتوظيف لبعض آي القرآن الكريم: لا يكلّف الله نفسًا إلّا وسعها، والله لا يضيع أجر المحسنين.

الآخر: أنّه قد نهد إلى الشّعر فاقتبس منه قبسة لطيفة، ووظّفها في كلامه حين تحدّث عن النّجاح والسّعي إليه، فقال: وعلى المرء أن يسعى، وليس عليه إدراك النّجاح، وهو بيت شعر مشهور لكشاجم:

وعليَّ أن أسعى وليـــ ـــس عليّ إدراك النّجاح[٢]

القيم الباطنة:

أعني بهذا أنّ ناصر الدّين الأسد قد بثّ قيمًا في رسائله إلى ولده لم يذكرها صراحة كتلكم القيم الّتي أدرنا عليها الحديث والمناقشة آنفًا، فنحن هنا أمام قيم يستخرجها قارئ هذه النّماذج من الرّسائل استخراجًا، وقد انتهيت إلى ثلاث سأدير الكلام عليها، وهي:

الأولى: اهتمامه باللغة العربيّة:

لم يرد في أيّ رسالة من الّتي أقمت عليها هذا البحث أيّ إشارة يدعو فيها ولده دعوة صُراحًا إلى الاهتمام باللغة العربيّة، وهذا قادم في رأيي إلى أنّه قد أخذ على نفسه عهدًا – كما بيّنّا في هذا البحث – ألّا يميل إلى تكثير المواعظ والنّصائح، لعظيم وقعها على نفس المتلقّي،

(١) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليسرى العليا: الجامعة الأردنيّة، وتحتها عمّان في ١٩٦٧/٥/٤.

(٢) ديوان كشاجم: ٧٣، وانظر: الدّرّ الفريد وبيت القصيد ١٠ : ٢٦٨، فقد نسب فيه إلى يحيى ابن أبي منصور المنجّم.

وهو من راقي الأساليب في التّربية، كما أنّه لم ينسَ تخصّصه بالعربيّة وغيرته عليها، فلذلك، عمد إلى صياغة رسائله صياغة رصينة عالية المقام، وقد تبدّى هذا في ثلاثة أمور:

أ- سبكه لعباراته أحسن السّبك، فالقارئ يلفي في هذه الرّسائل رصانة العربيّة وفروسيّتها، واقرأ له قوله مثلًا:" وكنتُ أحبّ أن أكتب إليك بحقيقة مشاعري كتابةً تصوّر لك جلال إحساسي بالسّعادة: سعادة المرء الّذي أطال التّطواف وأمضّه الإدلاج والسُّرى، واستبدّ به القلق، وكاد يسقط إعياء"(١).

ب- استعماله لفصيح الكلام واقتباسه أزهاه وأشرفه، ونفي المبتذل منه: فلا تجد في أيّ رسالة أيّ لفظة ينبو عنها الذوق، أو يمجّها السّمع، بل يتنخّب كريم الكلام، ولطيف العبارة، وشريف القول، كقوله:" ولا تستكن إلى التّعلّات والمعاذير"(٢)، وكقوله: "لعلّي أجد في الرّسائل المقبلة متسعًا لما أحبّ أن أناجيك به"(٣).

ج- ضبط بعض المشكل منه بالقلم: فلم يكن يكتفي بإرسال الكلام على سجيّته، بل كان يعمد إلى ضبط ما يمكن أن تشكل قراءته على ولده، حتّى لا يُفهَم على غير مراد كاتبه، أو يجري عليه تصحيف، ومثل هذا في رسائله كثير، فمن ذلك قوله:" وإنّي لمغتبط ألّا يكون كلّ شيء في بداية الأمر وَفْقَ هواك "(٤)، وقوله في الرّسالة نفسها:" وهذه أوّل رسالة أبعث بها إليك، أخصّك بها وحدك، ولا يَشْرَكُكَ فيها غيرك"(٥).

فنلحظ أنّه أراد لولده أن يحفظ عنه أنّ الواو اللّيّنة في لفظة "وفق" ينبغي أن تضبط بالفتح، وأنّ الفعل "يشرك" ينبغي كذلك أن تكون ياء مضارعه مفتوحة، والشّين فيه ساكنة، والرّاء فيه مفتوحة.

---

(١) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليسرى العليا: عمّان في ١٩٦٦/٩/١٣.

(٢) رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا: الجامعة الأردنيّة، وتحتها عمّان، مكتب الرّئيس، وفي الزّاوية اليسرى العليا التّاريخ ١٩٦٨/٤/٨.

(٣) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا " الدّكتور ناصر الدّين الأسد، عميد كلّيّة الآداب، ومن الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" عمّان في ١ / ١٠ / ١٩٦٣).

(٤) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا " الدّكتور ناصر الدّين الأسد، عميد كلّيّة الآداب، ومن الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" عمّان في ١ / ١٠ / ١٩٦٣).

(٥) من رسالة ناصر الدّين الأسد المخطوطة إلى ولده بشر الّتي يعلوها من الزّاوية اليمنى العليا " الدّكتور ناصر الدّين الأسد، عميد كلّيّة الآداب، ومن الزّاوية اليسرى العليا المكان والتّاريخ" عمّان في ١ / ١٠ / ١٩٦٣).

الثّانية: ابتناء شخصيّة القدوة الحسنة

بدا ناصر الدّين الأسد حريصًا أشدّ الحرص في رسائله على أن يبتني أمام ولده قدوة حسنة من نفسه، فقارئ هذه الرّسائل يجد فيها شمائل التّربويّ الّذي لا يسفّ في قوله، ولا يستعمل إلّا الأرصن من الكلمات، وهو – وإن كان يكتب رسائل خاصّة بينه وبين ولده – يريد أن يقدّم له فنًّا أدبيًّا رفيعًا في كتابة الرّسائل، ولا ينسى الحديث عن الشّأن العامّ الخاصّ به، ولا الخاصّ بالأمّة، ولا تراه يجرح شعوره بأيّ خادشة أو ثالمة، ويبعث فيه الأمل، ويجعله معقد الرّجاء، ويحفزه على استقلال رأيه، ولذلك، هيّأ لولده بشر أن يكون هو نفسه قدوة كريمة يستطيع أن يرجع إليها هذا الولد في أيّ وقت يشاء، وهذا سمات كلّ مربّ ناجح، ووالد رحيم.

الثّالثة: الاهتمام بالنّاحية الجماليّة

فحين ينظر المرء في هذه الرّسائل المصطفاة، يجد كبير الاهتمام بشكل الورقة، فهي ما زالت تفيض بهجة وتبعث في نفس قارئها سرورًا، ومصوغة بخطّ جميل يفرح قارئها، ولا تعثر فيها على سطر طاغٍ على سطر، ولا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، كما أنّها خلو من أيّ كلمة ممحوّة أو مستبدلة أو مخربشة أو مُلَهْوَجَة، ولا ريب في أنّ الأستاذ الشّيح مستحضر قيمة ذلك كلّه في نفس التّلميذ؛ لأنّ قدماء العلماء قد حثّوا على ذلك ونبّهوا عليه، وهي دعوة باطنة إلى ولده وكلّ مطّلع على رسائله أن يأخذ هذا الملحظ الجماليّ مأخذ الجدّ، وقد قيل:" حسن الخطّ أحد اللسانيْن"(١).

وقد أورد الصّوليّ في حسن الخطّ هذه القصّة الطّريفة فقال:" حدثني طلحة بن عبد الله قال: اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحاً فوقع في رقعته: أردنا قبول عذرك، فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطك. ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك. أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة. ويمكن له درك البغية "(٢).

ونستطيع الخلوص إلى النّتائج الآتية:

(١) حكمة الإشراق إلى كتّاب الآفاق، ضمن نوادر المخطوطات: المجموعة الخامسة: ص٦٧، وانظر ما قيل في حسن الخطّ في صبح الأعشى ٣: ٢٥-٢٦.

(٢) أدب الكتّاب: ٥٣.

أ- كشف هذا البحث عن ذخائر ذوات قيمة مهمّة من تراث أستاذ كبير كان له كبير الدّور في ابتناء أصول التّربية والتّعليم في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، وشاء الله أن يظهر بعضها في ذكرى مئويّة المملكة.

ب-تظهر رسائل ناصر الأسد إلى ولده قيمًا عليا في التّربية، أهمّها القدوة الحسنة في تنشئة الولد، فقد استطاع أن يجعل ولده بَرًّا به من غير سلطويّة ولا غلظة ولا جفوة، واستلّ السّخيمة من صدر ولده، واحتضنه وأدناه منه، وقد فصّل الغزاليّ في رياضة الصّبيان ما فيه مَقنَع ومُزْدَجَر[1].

ج-تمثّل رسائل الأسد إلى ولده أسلوبًا كريمًا في التّربية والتّعليم يمكن للآباء وللمعلّمين أن يتّخذوه صُوَّةً يستدلّون بها في تربية أبنائهم وتلاميذهم.

د-بدت عناية الأسد باللغة العربيّة واضحة جليّة، وفي هذا رسائل مضمرة إلى كلّ ناظر فيها بقيمة اللغة في الإبانة عن مكنونات النّفس، ويريد أن يوصل فكرة مهمّة هي أنّ العربيّة ليست للشّعر فقط، بل يجب استعمالها في كلّ قضيّة، وهي تنقاد لمن يحسنها.

ه-لم يشأ الأسد جعل رسائله إلى ولده بشر حديثًا خاصًّا بينهما، بل استطاع أن يجعلها دروسًا لولده في اللغة العربيّة، وفنّ الإقناع القائم على منطق الفلاسفة، ولم يذخر جهدًا في الحديث عن المعلومة العلميّة فيها، كحديثه عن فنّ الرّسائل، وكلامه على آداب الأسفار.

[1]- إحياء علوم الدّين ٣ : ٧٨-٨٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آداب الصّحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، للإمام الغزالي (ت٥٠٥ه) دراسة وتحقيق محمّد سعود المعينيّ، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، إحياء التّراث الإسلاميّ، مطبعة العاني، بغداد.

إحياء علوم الدّين، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ (ت٥٠٥ه)، دار الكتب العلميّة، ط:١، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، بيروت-لبنان.

أخبار الظّراف والمتماجنين، أبو الفرج عبد الرّحمان بن عليّ بن الجوزيّ، بعناية بسّام عبد الوهّاب الجابي، ط:١، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٤١٨ه-١٩٩٧م، بيروت-لبنان.

أدب الكتّاب، أبو بكر محمّد بن يحيى الصّوليّ، عني بتصحيحه محمّد بهجة الأثري، ونظر فيه محمود شكري الآلوسي، المكتبة العربيّة، بغداد، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤١ه.

الإمتاع والمؤانسة، أبو حيّان التّوحيديّ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزّين، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة.

إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا بن محمّد أمين بن ميرسليم البابانيّ، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣ه-١٩٩٢م، بيروت-لبنان.

بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزباديّ (ت٨١٧ه) تحقيق محمّد عليّ النّجّار، المكتبة العلميّة، بيروت-لبنان.

بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذّاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ النّمريّ القرطبيّ (ت٤٦٣ه) تحقيق محمّد مرسي الخولي، مراجعة عبد القدار القط، مكتبة ابن تيميّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة.

البيان والتّبيين، لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥ه) تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

تحقيقات لغويّة، ناصر الدّين الأسد(ت٢٠١٥م) المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط:١، بيروت، ٢٠٠٣م.

التّعريفات، عليّ بن محمّد الجرجانيّ، ضبطه وفهرسه محمّد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط:١، ١٤١١ه-١٩٩١م.

تفسير القشيريّ المسمّى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيريّ النّيسابوريّ(ت٤٦٥ه) وضع حواشيه وعلّق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرّحمان، دار الكتب العلميّة، ط:٢، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م، بيروت-لبنان.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبيّ) أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ(ت٦٧١ه) تحقيق عبد الرّزّاق المهديّ، دار الكتاب العربيّ، ط:٤، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م، بيروت-لبنان.

جوانب من إشكاليّة الثّقافة العربيّة...الواقع والطّموح، حسني محمود، من كتاب وحدة الثّقافة العربيّة، عمّان، الاتّحاد العامّ للأدباء والكتّاب العرب.

حكمة الإشراق إلى كتّاب الآفاق، محمّد مرتضى الحسينيّ، نوادر المخطوطات، بتحقيق عبد السّلام هارون، المجموعة الخامسة، ط:٢، ١٣٩٣ه-١٩٧٣م، مكتبة ومطبعة مطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

الدّرّ الفريد وبيت القصيد، محمّد بن أيدمر المستعصمي (ت٧١٠ه) تحقيق كامل سلمان الجبوري، تقديم نوري حمّودي القيسي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان.

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد الجرجانيّ (ت٤٧١ه) قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، ودار المدنيّ بجدّة، مكتبة الخانجي، ط:٣، ١٤١٣ه-١٩٩٢م، القاهرة.

ديوان الشّافعيّ، أبي عبد الله محمّد بن إدريس (ت٢٠٤ه) المكتبة الشّعبية.

ديوان كشاجم، محمود بن الحسين (ت٣٦٠ه)، تحقيق النّبوي شعلان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:١، ١٤١٧ه-١٩٩٧م.

ديوان المسيّب بن علس، جمع وتحقيق ودراسة عبد الرّحمان محمّد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.

الرّسائل الفنّيّة في العصر العبّاسيّ حتّى نهاية القرن الثّالث الهجريّ، محمّد محمود الدّروبيّ، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٩٩٩، عمّان-الأردنّ.

السّلطويّة في التّربية العربيّة، يزيد السّورطيّ، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٦٢، إبريل، ٢٠٠٩م، الكويت.

السّيرة النّبويّة، لابن هشام (ت٢١٨ه) تحقيق مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التّراث العربيّ، ط:١، ١٩٩٤م-١٤١٥ه، بيروت-لبنان.

شرح ديوان الحماسة، لأبي عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقيّ (ت٤٢١ه) نشره أحمد أمين وعبد السّلام هارون، دار الجيل، ط:١، ١٤١١ه-١٩٩١م.

شرح ديوان زهير ابن أبي سُلمى، صنعة أبي العبّاس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب، دار الكتب والوثائق القوميّة، ط:٣، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م، القاهرة.

شرح اللزوميّات، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّيّ(ت٤٤٩ه) تحقيق منير المدنيّ وزينب القوصي ووفاء الأعصر وسيّدة حامد، إشراف ومراجعة حسين نصّار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٢م.

شعر الشّنفرى الأزديّ، شرح أبي المنهال عُيينة المهلّبيّ الأزديّ (نحو ٢٤٠ه)، اختيار محاسن بن إسماعيل الحلبيّ (ت٦٣٥ه)، تحقيق أحمد محمّد عبيد، دار الكتب الوطنيّة، هيئة أبو ظبي للسّياحة والثّقافة "المجمع الثّقافيّ" ط:١، ١٤٣٨ه-٢٠١٧م، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن عليّ القلقشنديّ(ت٨٢١ه) شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، ط:١، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م، بيروت-لبنان.

الصّداقة والصّديق، أبو حيّان التّوحيديّ، شرح وتعليق علي متولّي صلاح، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، المطبعة النّموذجيّة، القاهرة.

علم نفس النّموّ، عادل الأشول وآخرون، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٨٢م.

الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.

في ظلال القرآن، سيّد قطب، ط:٣٢، دار الشّروق، القاهرة، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.

الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ الخوارزميّ (ت٥٣٨ه) تحقيق عبد الرّزّاق المهدي، دار إحياء التّراث العربيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط:٢، ١٤٢١ه-٢٠٠١م، بيروت-لبنان.

المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين بن الأثير، قدّمه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

معجم البلدان، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ الرّوميّ البغداديّ، دار صادر، ط: ٣، ٢٠٠٧م، بيروت–لبنان.

معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، الدّار العربيّة للموسوعات، ط:١، ١٤٢٧ه–٢٠٠٦م، بيروت–لبنان.

الموسوعة الفلسطينيّة الميسّرة، هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثّقافة، أروقة للدّراسات والنّشر، ط:٣، ١٤٣٤ه–٢٠١٣م، عمّان–الأردنّ.

موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد عليّ التّهانويّ، تحقيق عليّ دحروج، نقل النّصّ الفارسيّ إلى العربيّة عبد الله الخالديّ، التّرجمة الأجنبيّة جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ط:١، ١٩٩٦م، بيروت–لبنان.

النّثر الفنّيّ في القرن الرّابع الهجريّ، زكي مبارك، المكتبة العصريّة، صيدا.

Jordanian Journal of Arabic Language and Literature

An International Refereed Research Journal

Issued by the Higher Scientific Research Committee/Ministry of Higher Education and Scientific Research and the Deanship of Academic Research/Mu'tah University

Price Per Issue: **(JD 3)**

Subscription:

Subscriptions should be sent to:

Jordanian Journal of Arabic Language and Literature
Deanship of Scientific Research
Mu'tah Jordan
Karak- Jordan

Annual Subscription:

Individuals:

- Jordan : [JD 10] Per year
- Other Countries: [$30] Per year

Institutions:

- Jordan : [JD 20] Per year
- Other Countries: [$40] Per year

Students:

[JD 5] Per Year

Subscrber's Name & Address:

Name	
Address	
Job	

Form:

☐ Cheque: ☐ Bank Draft ☐ Postal Order

Signature: **Date: / /20**

الحرف العربي	الرومنة	الحرف العربي	الرومنة	الحرف العربي	الرومنة	الحرف العربي	الرومنة
غ	ḡ	ز	z	ث	ṯ	الفتحة	a
ف	f	س	S	ج	j	الكسرة	I
ق	Q	ش	š	ح	ḥ	الضمة	u
ك	k	ص	ṣ	خ	ḫ	ء	>
ل	L	ض	ḍ	د	d	ا	ā
م	m	ظ	Ẓ	ذ	ḏ	ب	b
ن	n	ع	<	ر	r	ت	t
ي حرف صحيح	y	و/ حرف مد	û	و حرف صحيح	w	ه	h
		ط	ṭ	ض	ḍ	ي حرف مد	ĭ

Editorial Correspondence

Manuscripts for submission should be sent to: Editor-in-Chief,
Jordanian Journal of Arabic Language and Literature
Deanship of Academic Research
P.O. Box (19)
Mu'tah University, Mu'tah (61710),
Karak, Jordan.
Tel: (03–2372380)
Fax. ++962–3–2370706
E-mail: jjarabic@mutah.edu.jo

Example:

Al-Kinānī, Shafiʿ Ibn ʻAli. (d 730 AH./1330 AD.): **Al-Fadl al-Ma'thūr min Sīrat al-Sulṭān al-Malik al-Manṣūr**. Bodleian Library, Oxford, March collection number 424, folio 50.

Articles in Periodicals:

(1)author's name (2) title of the article in quotation marks (3) title of the journal in bold print (4) volume, number, year and page number.

Example:

Jarrār, Ṣalaḥ. " ʻynāyat al-Suyūṭi Biturāth al-Andalusi:Madkhal." **Mu'tah lilbuhūth wa al-Dirasāt**, vol.10, number 2, 1415AH./1995AD., pp. 179–216.

Edited Books (Conference Proceedings, dedicated books)

1. author's name (2). title of the article placed in quotation marks (3). title of the book in bold print (4). Name(s) of the Editor 5. Edition, publisher, date and place of publication 6. page(s) number.

Example:

Al-Ḥiyāri, Muṣṭafā: "Tawaṭṭun Al-Qabā'il Al-ʻArabiyya fi Bilād Jund Qinnsrin ḥattā Nihayāt Al-Qarn Al-Rābiʿ Al-Hijri", **Fi Miḥrāb Al-Maʿrifah: Dirasāt Muhda ilā Iḥsān 'Abbās**, Ed. Ibrāhim Assʿāfin, 1st edition, Dār Ṣāder and Dār Al-Gharb Al-Islamī, Beirut, 1997, p. 417.

- Names of foreign figures should be written in Arabic followed by the name in its original language placed in parentheses.
- Contributors should consistently use the transliteration system of the Encyclopedia of Islam, which is a widely acknowledged system.

- Qurānic verses are placed in decorated parentheses, ﴿﴾ with reference to the name of the surat and number of the verse. The Prophet Tradition is placed in double parentheses like this: (( )) when quoted from the original sources of the Prophet Tradition .

- Views expressed in the articles are those of the authors' and are not necessarily those of the Editorial Board or Mutah University, or in any way reflect the policy of the Higher Committee of Scientific Research or the Ministry of Education in The Hashemite Kingdom of Jordan.

Notes for Contributors:

-An Arabic and English abstract of 150 words should be included on two separate pages. Each of these two pages should include the title of the article, the names (First, middle and surname) of the author(s), the postal address and the e-mail, and their academic ranks. The keywords (5 words) should appear at the bottom of the two pages.

References:

In-text citations are made with raised Arabic numerals in the text placed in parentheses($^{(1)}$, $^{(2)}$) referring to notes that provide complete publishing information at the bottom of the page. Each page has its own sequence of numerals starting with the numeral 1 and breaking at the end of the page. The first time the author cites a source, the note should include the full publishing information. Subsequent references to the same source that has already been cited should be given in a shortened form.

Basic Format

Books

The information should be arranged in five units: (1) the author's name (Last name first followed by the first and middle names) (2) date of the author's death in lunar and solar calendars. (3) the title and subtitle of the book in bold print (4) name of translator or editor/compiler (5) edition number, publisher, date and place of publication, a number (for a multivolume work), and page(s) number.

Example:

Al-Jāḥ iẓ , Abu 'Uthmān 'Amr ibn Baḥr (d 255 AH./771 AD.). '**Al-Ḥayawān** . Editor Abdulsalām Moḥammad Ḥarūn. 2nd edition, Muṣṭafa al-Babi al-Ḥalabi, Cairo, 1965, vol. 3, p.40.

Subsequent references to the same source:

Al-Jaḥiẓ. **Al-Ḥayawān**, vol.3, p. 40.

Manuscripts:

(1) author's name (last name, first followed by first and middle names) and date of death (2) title of the manuscript in bold print (3) place, folio number and/or page number.

The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature

Refereed international scientific journal
Conditions of Publications:

- All contributions should be in Arabic. Contributions in English or any other language may be accepted with the consent of the Editorial Board.
- The journal welcomes high quality scholarly contributions devoted to the Arabic language and literature, like articles, edited and translated texts and book reviews.
- The author should warrant in a written statement that the work is original, has not been submitted for any journal and is not part of an MA or Ph.D. dissertation.
- The work should follow the rules of scientific research.
- It is a condition of publication that authors vest their copyright in their articles in the journal. Authors, however, retain the right to use the substance of their work in future works provided that they acknowledge its prior publication in the journal.
- Authors may publish the article in a book two years after publication, with prior permission from the journal, provided that acknowledgement is given to the journal as the original source of publication.
- After submission, two or more referees will be asked to comment on the extent to which the proposed article meets the aims of the journal and will be of interest to the reader.
- Four copies of each manuscript should be submitted, typed on one side of A4 paper, 2.5 margins and double spaced. Manuscripts can be sent by ordinary mail accompanied by 3 ½ inch diskette in MS Word 97 or higher. The length of the manuscript should not exceed 40 pages.
- The first page should have the title of the article, the name(s) and institutional affiliations .
- The Editorial Board reserves the right not to proceed with publication for whatever reason.
- Manuscripts that are not accepted for publication will not be returned to the author(s).
- The author(s) warrant that they should pay all evaluation fees in case they decide not to proceed with publication for whatever reason.
- The author(s) should make the amendments suggested by the referees within a month after the paper is passed to them.
- The journal reserves the right to make such editorial changes as may be necessary to make the article suitable for publication.

Jordanian Journal of
Arabic Language and Literature
An International Refereed Research Journal

Vol. (13), A Special issu, 2021

The journal is an international refereed journal, founded by the Higher Committee for Scientific Research at the Ministry of Higher Education, Jordan, and published periodically by the Deanship of Academic Research, Mutah University, Karak, Jordan.

Editor-in Chief: Professor: Anwar Abu Swailim
Secretary: Dr. Khaled A. Al-Sarairah

Editorial Board:

Professor Mohammad Mahmoud Al-Droubi
Professor Ibrahim Al-Kofahi
Professor Abdalhaleem Hussein Alhroot
Professor Omar Abdallah Ahmad Fajjawi
Professor Hussein Abass M. Al-Rafaya
Professor Fayez Aref Soliman Al-Quraan
Professor Saif Al-Dain Taha Al-Fugara
Professor Jaza Mohammed Al-Masarwah

Editorial Advisory Board

Prof. Sameer Shareif Istatieh	Prof.MawlaiYousef Al-Edrisi	Prof. Mohammed Saleh Rabea' Al-Ghamidi
Prof.Mahmoud Al-Batal	Prof.Abdulrahman Raja' Allah Al-Salmi	Prof.Abdulaziz Safi Al-Jeel
Prof.Ibrahim Abdulraheem Al-Sa'afeen	Prof.Ahmed Ali Hassani	Prof.Murad Abdulrahman Mabrouk
Prof.Salah Mohammed Jarrar	Prof.Ali Ahmed Al-Kubaisi	Prof.Ahmed Mustafa Afifi
Prof.Amal Tahir Nusair	Prof.Naseima Rashed Al-Naser Al-Ghaith	Prof.Mohammed Najib Al-Amami
Prof.Abdulfattah Ahmed Al-Humouz	Prof.Suaad Abdulwahaab Al-Abdulrahman	Prof.Khaleifa Alsaed Bujadi
Prof.Sameer Mahmoud Al-Droubi	Alhawaas Al-haj Masoudi	Prof.Mohammed Wajeih Sobhi Fanous
Mohammed Ahmed Al-Majali Prof.	Prof. Suzanne Pinckney Stetkevych	Prof.Masoud Mohammed Sahrawi
Prof.Mohammed Ibrahim Hoor	Prof . DILWORTH B.PARKINSON	Prof.Omar Hamdan Al-Kubaisi
Prof.Abdulgader Ahmed Al-Ruba'i	Prof.Khalil Mohammed Al-Shaiekh Khalil	Prof.Abdullah Saleh Babe'ir

Arabic Proofreader: Dr. Fayez Assa Almahasneh
English Proofreader Dr. Abeer Aser Alrawashdeh

Editing
Dr. Mahmoud N. Qazaq

Typing & Layout Specialist
Orouba Sarairah

©All Rights Reseved for Mutah University, Karak, Jordan

Publisher
Mutah University
Deanship of Scientific Research (DSR)
Karak 61710 Jordan
Fax: 00962–3-2397170
E-mail: jjarabic@mutah.edu.io

© 2021 DSR Publishers
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means: electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

Mu'tah University

جامعة مؤتة

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

Jordanian Journal of

ARABIC

LANGUAGE
&
LITERATURE

An International Refereed Research Journal
Published with the Support of Scientific
Research Support Fund

Vol. (17) A Special issue, 2021

صندوق دعم البحث العلمي
Scientific Research Support Fund

وتستمر المسيرة

Ministry of Higher Education
and Scientific Research

جامعة مؤتة
Mu'tah University

Special issue

Jordanian Journal of ARABIC LANGUAGE & LITERATURE

An International Refereed Research Journal
Published with the Support of Scientific
Research Support Fund

Vol. (17) A Special issue, 2021

S. No
64

ISSN 2520 – 7180